لمن يهمه الامر سلام

هذا العمل–بشأن ***الخوارج و المعتزلة الجدد*** من ابحاثي التى سرقها احدهم كما سرق غيرها وجعل من حاصل جمع ما سرق مثل مذكرات بعنوان ***صحبة حركات التحرر*** و بحث بعنوان ***"من بابل الى الاندلس"*** و غيرهما مما كنت ارسل له ارسلت له مسودات عدة منه جراء اصراره على كتابة مقدمات لها و مما كنت ارسل له كلما سافرت الى الخارج في رحلات طويلا خشية الحريق او السرقة–جعل ذلك الشخص من من اعمالى مؤلفات و غيرها.

و رغم انه كان احيانا يتصل ليسألني عن معنى ما اقول فى تلك البحوث فاشرح له و رغم اننى عندما كنت اتصل فترد زوجته فأسالها ان كان مشغولا –حتى لا اشغله–كانت تقول "انه يتصفح بحثك الذي ارسلته امس". و هكذا الا انه لم تراودني مرة فكره انه يستحوذ على عملي هكذا بدم بارد و مع سبق الاصرار والترصد. سوى ان ذلك لشخص ادرك انه يستحيل علىه نشر احد تلك الابحاث باللغة العربية فلم تلبث وصوليته المعروفة التى يتسول بها الكتابة عنه و الترجمة له ان الهمته استدراج رجل نبيل توسط له لدى من ترجم البحث له الى لغة اعجمية بامل اللا تكتشف الجريمة وهيهات.

فمن سوء حظ صاحبنا ان هذا ***البحث يصدر عن الاقتصاد السياسي للظواهر التى يناقشها والاصحاح القديم والجديد و عن القرآن الكريم و يرجع الى قراءات و مراجع بلغاة ليس لذلك الشخص بها ادنى صلة***. و الى ذلك فقد كانت ابعاد من ذلك البحث قد نشرت في دوريات ومجلات معروفة و على شبكة المعلومات كما كانت اجزاء منه قد نوقشت على صفحات الصحف و على شاشة التلفاز. و قياسا فلم ينفك ذلك المخلوق ان راح ***يحاول مصادرة اي امكانية لاحتمال مناقشة تلك الاعمال برشوة من يتفضل عليهم ببطاقات سفر او يبتذهم*** فيحرضهم على حظر وجود من من شأنه الكشف عن الحقيقة.

و ذلك المخلوق معروف بالسرقات الادبية حتى ان اصحابه يخشون عليه الافتضاح و ينصحونه الا انه فى كل مرة يعود الى افعاله المشينة تلك رغم انه ***افتضح من قبل على الاقل مرة***. و كان ذلك حين سرق عمل احدي الكاتبات فما ان شرعت فى مقاضاته حتى راح يبتذها–بنصحة من صديقته الكبيرة–حسب قوله مهددا اياها. فقد كانت المرأة متزوجة من رجل متزوج دون علم اسرته فتنتزلت عن القضية الا ان الامر طاف الافاق.

و رغم انه صرح حرفيا بانه "حرم" ان انه لن يقترف انتحال اعمال الناس مرة اخرى الا انه لم يرعوي اذ م يعاقب على اى فعله من تلك اقرفها. فذلك الشخص لم يملك اخفاء فرحته بنسبة ابحاثي و نتائج ابحاثي–و على رأسها بحث عن الخوارج و المعتزلة–الى نفسه. و كان قد انتحل تلك الابحاث بلا حياء او ضمير.

و مع ذلك بالمقابل كنت انا اسهم طوال مايشار 5 سنوات–منذ ان جندني لمهام يعرفها هو كما بالنسبة لكل عضو. فليس لاي عضو الا ان تكون لهمهة تهم ذلك الشخص و تصب فى مصلحته فكل العلاقات مصالح تخدم ما يسميه "مشروعه" بوصفه ملكية خاصة– و طوال الوقت كنت انا اساهم في المشروع و

في تيسير حاجات ذلك الشخص الفردية والشخصية في اي ساعة من الليل و النهار كتابة و مهاتفة –في مكالمات خارجية–و بالترجمة والمراجعة و بالاتصال بجهات حول العالم لتنظيم مؤتمرات كان احيانا يتحاوزه الى غيرها مما كان يحرجنى مع بعض معارفي و اصدقائي. كما بقيت اتعين عل تجنيد مفكرين و كتاب و مثقفين كبار– كل ذلك لوجه الله . و طوال الوقت لم يخطر على بالي ابدا غير ذلك. و ان كنت الان افكر فيما لو ان اسمي يكون قد ظهر بين قائمة من قوائم متسلمي الجعول السخية التى يرتب ذلك الشخص لاستحواذ بعضهم عليها حسب ما قال لي ضديق منهم.

المهم فورا كنت قد قضيت اكثر من 5 سنوات اعمل على البحث في الخوارج و المعتزلة الجدد و ما برحت اجود و اعدل فيه. ذلك ان مادة البحث الخام كانت حريه بطبيعتهاباستدعاء قراءات بلغاة تشهد المراجع و القرأءات عليها. و قياسا فان محض ذلك وحده يستحيل على امثال ذلك الشخص الالمام حتى بجزء مته ناهيك عن ما هو ابعد. و لعلكم تذكرون كيف كان يتعلق باهداب الالمام بلغات الدنيا مدعيا معرفة الالمانية و الايطالية و الانجليزية بصورة تدعو للرثاء.

تجدون نسخا من ابحاثي منشورة فى كتب اليكترونية على موقعي الخاص

واخرى منشورة بالموقع الفرعى الخاص بي على موقع الحوار http://www.nilesonline.net/ofog

المتمدن بالرابط ادناه بانتظار صدور الطبعة الاولى من الخوارج و المعتزلة وغيره قريبا باذن الله

http://www.ahewar.org/m.asp?i=3956

و الى ذلك فمن حسن الحظ اننى كنت قد ***حرصت على ايداع المراجع و اهم ابحاثي لدي اكثر من جهة منها مجلة الكلمة و الناشر كما ارسلت نسخ لسفارة الدولة التى ترجمت له المسروقات دون ذكر شئ بعد و اودعت ابحاثي لدى محامي الذى هو بسبيل مقاضاة الجاني .***

ومن سوء حظ ذلك الشخص مرة اخرى انه متورط فى معارضة دولة تقف الجهة –الدولة– التى ترجمت له البحث الى لغتها و كرمته على حد قوله و قد راح يزهو بنفسه– بوصفه عبقري–تقف دولة الترجمة هذه اليوم حليفا لا متهاود و و متسلح بمبدأ التحالف مع الدولة التى الحق ذلك المخلوق نفسه ارتزاقا بمعارضتها معارضة دموية عنيفة بمال امارات و مشيخات النفط التى يتمسح باقدام اميراتها و شيوخها علي صفحات الجرائد و شبكة المعلومات

فاي هوان و اى امتحان و أي محنة؟؟ و حسبى الله ونعم الوكيل

و بما تقدم انا على يقين من ان كل من يقع على اثر تلك السرقات سبفضحها مثلما يفعل بعض اصدقائي الشرفاء رغم انه يماسرس الحظر على بعضهم فلا يسمح لهم بالاتصال بي و لا الرد على رسائلي. فبعضهم رهين لذلك الشخص الردي الذى ما ينفك يدعي الثورية . و مع ذلك فحتى بعض معارف ذلك الشخص الموهوم يتحرقون شوقا الى فضحه مرة واجدتو الى الابد مثلما افعل انا مع هذا السارق تباعا.

و تجدون اجزاء من البحث منشورة ***على مدى عدة سنين بمجلة الكلمة الاليكترونية كما في الحوار المتمدن و في القدس العربي و على موقعي الخاص.*** اكسفورد يونيو 2012

الجزء الاول

تنويعات الخوارج و المعتزلة و اعادة انتاج الفكر و التنظيم التنويري المتخاتل : الاقتصاد السياسى للعقلانية القاحلة و سفر تكوين المسيحية اليهودية [1]

The Neo-Mu'tazilites&:Post Enlightenment Sterile Rationalism: the political Economy of the Genesis of Judio-Christianity [2]

محاولة فى قراءة التاريخ الرسمى بصورة مختلفة و قاموس الاستحواذ.

يقرأ كقاموس للاستحواذ اللامتناه :

د, خديجة صفوت

اكسفورد الخميس 29 اكتوبر 2007

الاهداء

الى ابنى حسام الدين

و الى ذكرى والدى محمد صفوت الذى كان يحمل سفر عصر المأمون اينما سار فى البيت يقراؤه و قد فصل اجزاء من الكتاب كون الكتاب كان من الحجم الكبير و يستحيل حمله من مكان الى مكان. و قد نشأنا على اسم ذلك السفر–و ضيق امنا به كونه لا يترك فى بيتنا مكانا مرتبا تماما–دون ان نقرأه وقتها و كنا اطفالا فى جنوب السودان. و ادمن شقيقي عزيز صفوت تلك المرحلة من تاريخ الاسلام من بعد و لم اهتم انا بها الا فيما بعد. فقد كنت قد تربيت فى مدارس كانت العربية تدرس فيها كلغة اجنبية و تاريخ الاسلام دين السيف The Religion of the Sword دموي تتخلع له قلوب الاطفال.

أي شئ الا مقدمة: قاموس الاقتصاد السياسى لمحطات العقلانية التنويرية القاحلة Sterile Rationalism:

"ان اليوم الذى يتوقف فيه العهد القديم عن تغذية علمنا التاريخى يغدو فيه شرحنا لامور الشرق محررا من امبراطورية الافكار المسبقة"[3].

و لا افهم:

-كيف ما نبرح نصدق الغرب الرأسمالي المالي Finance Capitalist west -الصهيونية العالمية- بعد اجتياح العراق و ذريعة ضرب افعانستان المتكاذبة؟

-كيف لا نقرأ التاريخ المكتوب و المسكوت عنه باثر رجعى فى ضوء فرية اسلحة الدمار الشامل WMD؟

-كيف لا ندرك ما يحيق و كان قد حاق بنا على مر التاريخ و قد خذق اعيننا انهيار اسواق الائتمان العقارى والازمة المالية الماثلة؟

-كيف لا نبصر الى كيف باتت الدول رهينة الديون لدائنين اشباح و لا يجرؤ احد على السؤال اين ذهب المال كله؟ فليس للسلطات اصدار احكام اخلاقية بشأن سلوك المصرفيين المتهور فيما يتصل بالمضاربة أو جراء أعطاء الاخيرين انفسهم مرتبات و مكفآت Bonus فاحشة علنا و يخشاهم رؤساء الدول و تضمن الاخيرة مصارفهم فيما لا تجرؤ على الاتفاق فيما بينها على سن قانون يحدد المكافات التى يتقاضاها المصرفيون؟

- كيف يثابر المصرفيون و الماليون على تكريس ثقافة المكأفأت Bonus Culture لقاء الاصرار على المقامرة باموال دافع الضريبة الذى يضمنهم كلما افلسوا لتعود الدولة فتضمنهم بمال دافع الضريبة ليواصلوا المقامرة باموال الاخيرين و كهذا مرة بعد اخرى؟

-كيف لا نرى اننا نعاصر يوميات اغتيال معلن لشعوب العوالم الثالثة و الرابعة و العصر حجرية و بخاصة المسلمين فى كل مكان؟

المهم و مع ذلك فنحن باهظو الوقع نكلف امريكا-الرأسمالية-مئات ملايين الدولارات ليقيم خصومنا مراكز بحوث استراتيجية تتعين على مناصبتنا عداوة منظمة و التخلص منا و قمعنا و كتم انفاسنا وصولا الى اصدار حكم بالاعدام المدنى بحقنا كما اوقع المعتزلة و يفعل المحافظون الجددبكل من لا يتفق معم تحت الوية الديمقراطية ما بعد الليبرالية؟ و اؤكد بداءة و فورا اننى لا اضع كافة المعتزلة فى سلة واحدة. بل استثنى بعضهم فاتحدث عن ذلك البعض بالذات وبخاصة اؤلئك اللذين عارضهم-أمثال الامام احمد ابن حنبل لما اوقعوه به. فقد ثابر ابن حنبل على معاندة السلطة القائمة على مر السلالة الاسراتية العباسية Abbasid Dynasties من المأمون الى بداية سلطة المتوكل.

–كيف لم يبق من أعلام و مشاهير رجال و بخاصة نساء معروفين سوى المعتزلة و تنويعاتهم و الخوارج قبلهم؟ كيف لم يخلف المعتزلة مشاهير غيرهم الا ما خلا قلة كالائمة الاربعة و لم يسلم الاخيرون فمن اغتيل منهم و من سجن حتى الموت و من احتفل بموته علنا؟

و يقول عبد الوهاب احمد الفقيه رمضان[4].

"أئمة المذاهب الأربعة نكل بهم الحاكم المنتسب للإسلام زورا وبهتانا مالك جلد عاري العورة في المدينة و أبوحنيفة قضى بقية أيامه الأخيرة في السجن, و ثمة من قال انه مات في السجن ومن قال نقل إلى بيته يحتضر. و الشافعي سل عليه السيف وهو على النطع ولولا آذان المغرب لقتل لكن إرادة الله أرادت غير ذلك. و قد مات المأمون وهو يوصي أخاه المعتصم شرا بابن حنبل, و الجعد بن درهم ذبح تحت المنبر يوم عيد الإضحى, و قد فرش العباسيون الأفرشة على الأجساد التي مازالت تحتضر وأولموا احتفالا بانتصارهم على الأميين."

هل قصد عبد الوهاب احمد الفقيه رمضان بالاميين الاممين الغويم الجنتايل Gentile غير المؤمنين بيهوا يا ترى؟ وهل كان الائمة يعبرون عن الاسلام الحق و ربما كانوا يقودون–دونما يتقصدون قصدا– الشعوب العربية و المسلمة فى مواجهة أهل الكلام و اختراق الاسلام و تشويه العقيدة؟ الم يخترق الاسلام والعروبة باكرا ما يبرح؟ وكيف لا و تصر امريكا على حضور اي اجتماع للعرب و المسلمين– دون ان يعلن للناس ذلك؟ فان يحضرون كافة اجتمعاتنا الا يقيض لاسرائيل العلم بواطن امورنا قبل ان يعلم معظمنا بها؟

هذا و من المفيد تذكر ان قلة من المفكرين والكتاب الشعراء –فيما خلا بعض الاشاعرة من الاخيرين و كان الاشاعرة فى تنويعاتهم الباكرة اقرب الى المتعتزلة–اشتهر على ايام العباسين. هذا و ان اشتهر قلة او احجاد المفكرين و الائمة من غير المعتزلة كالامام احمد ابن حنبل مثلا فلم يكن ذلك الا بقدرما ذب الاخير و نلك به على بيدي القاضى المعتزلي العقلانيى ابن ابى داوود و قوله–بفتح القاف و شد و كسر الواو–المعتزلة بما لم يقل.

و لك ان تنظر(ي) كيف شاع عن احمد ابن حنبل انه متطرف حتى باتت الحنبيلة تزويق للتطرف. كيف بات احمد ابن حنبل تويع على القديس بولص–بولص الرسون و بوحنا الافانجلي صاحب سف رارؤيا و جون كالفين الثيولوجى الفرنسى السويسرى John Calvin–1504–1564–و ابن حنبل هو الذى قال:

ان للمرأة المسلمة ان تشترط على زوجها الا يتزوج عليها مقابل ان تقبل الزواج به او كشرط لذلك.

- ان ليس على المرأة المسلمة خدمة زوجها.
- و اذا حج رجل من اجل ابويه فليبدأ بامه.
- و ان نادت ام ابنها وهو يصلى فعليه ان يقطع الصلاة و يلبى ندائها.
- ان الاسلام يقول بالعدل وليس بالمساواة وحدها.

و قياسا فيما ابلست المرأة غير الغربية وعمش على كل ما يمكن ان ينصف تاريخها مثلما ابلس تاريخ غير الغربي على مر السنين قال بولص الرسول ليس لامرأة امارة على رجل و انما عليها ان تبقى صامتة. وعندما قال ماركس من كل حسب قدرته و لكل حسب حاجته لم يعن جنسانوية القدرة او الحاجة Sexuality of ability or of need.

و يلاحظ كيف بقيت المساواة بهذا الوصف تحل مكان العدل فى اكثر مشاريع الخوارج و المعتزلة وصولا الى تنويعاتهم الماثلة من الرأسماليين الماليين ما بعد الصناعيين تدميرا للعلاقات الانسانية و للاسرة و فى اخصاء الرجل مما تمثل فى المشروع النسووقراطي و مشروع التنمويين و ما بعد الحداثثين و الليبراليين الجدد بوصفهما اليات تمرير ممارسات العولمة باقتصاد السوق و ثقافة الاستهلاك و خلق شرط هيمنة رأس المال المالى خصما **at the expense of** على رأس المال الصناعى السلعى و المشروع الاشتراكي جميعا.

و الى ذلك اليس غريبا الا يتسائل أكثرنا بل يصمت معظمنا طويلا وربما كلنا عمن هو القاضى ابن ابي داوود؟ وكيف لم يتأمل بعضنا مليا تلك الشخصية؟ وهل تلك الشخصية معروقة بصورة كافية؟ و اتسائل ان كان هؤلاء و بخاصة القاضي ابن ابي داوود تنويع على يوسف ابن نغزالة اليهودى وزير باديس ام على موسى الميمونى الاندلسي المصري طبيب صلاح الدين الخاص و مستشاره عشية الصليبية الثانية مرة وقد اثر مرة اخرى على الناصر صلاح الدين فاغوى الايوتبين بوضع نجمة داوود السداسية على عملتهم فى 568 هجرية ام على امثال ايتاح الخزرى والمملوك صالح بن وصيف مستشارى المتوكل و مصعب الزبيرى واسحاق بن ابى اسرائيل و قد تعينوا بدعوة من الخليفة المتوكل على المساهمة فى "الادلجة المذهبية الجديدة" وقد راحت تحل مكان فكر المعتزلة.

اجادل تباعا ان كان القاضي ابن ابي داوود و زميله بشر المريسي وثمامة بن أشرس الذي لم يكن المأمون يبرم أمرا دونه، بل أصبح ثمامة و ابن ابي داوود من بعده يرشح للمأمون الوزراء، فرشحا الاخير للمأمون أحمد بن أبي خالد خاصة ثم يحيى بن أكثم، وعن طريق الاخير تعرف المأمون بأحمد بن أبي

داوود فبات ابن ابي داوود مستشار المأمون و الواثق و المعتصم الخ. و كان الخليفة المأمون بايعاذ من ابن ابي دوود يخير الناس بين خلق القرآن من ناحية و بين الكفر.

و قد وقع ذلك لبعض المفكرين مثل للحلاج و ابن حنبل و كان ابن ابى داوود و محمد ابن نوح من اشد المناوئين لابن حنبل و كان ابن ابى داوود وراء تغريب احمد ابن حنبل والحلاج و محمد ابن نوح تعذيبهما و قتل من قتل من خصوم المعتزل'.

و قياسا فقد كان قياصرة و اباطرة الرومان من يوليوس قيصر على الاقل و كاليجولا و لوقت ما ملوك و ملكات و رؤساء جمهوريات اوربا الشرقية و الغربية بدورهم العوبة بأيدي تنويعات على ابن ابى دوود من اعراب الشتات منذ الامبراطور قسطنطين الاول على الافل. و اتسائل ان كان ابن ابي داوود تنويع على يوسف بن ماتلياهو المعروف بيوسوفوس 37–100 م–او تيوتوس فلافيوس *Titus Flavius* مستشار الامبراطور قسطنطين الاول[5]؟ و هل توماس كروميل Thomas Cromwell–و لا علاقه له باوليفر كروميل–مستشار الملك هنري الثامن فى امور الجنس و مهندس انقسام الكنيسة الغربية وصولا الى الافانجلية الانجلو ساكسونية فالانجلو امريكية فالمسيحية اليهودية تنويع على القاضي ابن ابي داوود و بشر المريسي وثمامة بن أشرس؟

و اتسائل قياسا ان كان جورج ابوت مستشار الملكة اليزابيث الاولى الذى تعقب الكاثوليك و نكل بهم تنويع على ابن ابى داوود و على بشر المريسي وثمامة بن أشرس؟ و هل كان جريجوري بوتمكين عشيق ياكاترينا العظمى قيصرة روسيا و مستشارها الاول ام كان نوستراداميس مستشار الملكة كاثيرن دي ماديتشي والدة فليب التاسع ملك فرنسا تنويع على القاضى ابن ابى داوود المعتزلي العقلانى–بالمعنى الذى يوقف الغقل فوق على رأسه–و الاشاعرة أمثال مصعب الزبيرى واسحاق بن ابى اسرائيل؟

و هل كان ينجامين ديزرائيلى مستشار الملكة فيكتوريا و جون وليامسون صاحب اجماع ووشنجعتون Washington Consensus و مايكل ميتكين و اوليفر جولدسميث نصحاء الرئيس الامريكى رونالد ريجان و كيث جوزيف مستشار مارجريت ثاتشر فيما يتصل بتكريس شرط الرأسمالية ما بعد الصناعية اى المالية تنويعات على القاضى ابن ابى داوود المعتزلي و الاشاعرة أمثال مصعب الزبيرى واسحاق بن ابى اسرائيل ؟

و هل كانوا جميعا تنويع باكر على بيتر ماندلسون و اليستير كامبيل كبير مستشاري اوني بلير رئيس وزراء بريطانيا الذى تعين اكثر ما تعين على تيسير تمرير سياسات ما سمى وقتها بالطريق الثالث خصما على اليسار "التقليدي" الذى كنا نعرفه؟ و اين اؤلئك جميعا من مستشاري جورج ووكر بوش امثال ديك تشينى و دونال رمسفيلد *Donald Rumsfeld*و بول وولفوفيتش *Wolfovich* و ريتشارد بيرل

*Perle*و هاريت مايرز Harriet Miers مستشارة بوش الوفية التي عينها النائب العام و تيم جريفين Tim Griffin و كارل روفRove كاتب خطب الرئيس و مستشاره و ايرفين كريستول Kristol وغيرهم؟

و قياسا ينبغى ان نكون حريصين جدا على الا ننسب اجندة يسارية للمحافظين الجدد او الليبراليين الجدد او الصهاينة و بخاصة زعماء اسرائيل< فقد انحل الاخيرون اجندة و مفردات اليسار تقصدا بغاية حرقها و الاهم لخلق فوضى فكرية و تنظيمية لصالحهم و بالخصم على من عداهم at the expense of everyone else. و لعله من المفيد ملاحظة ان الرئيس الامريكي 44 باراك اوباما عين اكبر عدد ممن يطلق عليهم القياصرة ممن يقدم النصح و الاستشارة للرئيس خارج نطاق المراجعة و المحاسبة البرلمانية. بل يقول البعض ان اوباما لا يعين الا من يتعاطف مع اسرائيل و هناك لجنة تحقق مع كل موطف فى طاقم اوباما للتأكد من ولائه لاسرائيل[6].

و قد بلغ عدد مستشاري اوباما بعد مضي محض 8 اشهر على رئاسته 32 قيصر و منهم هنري كيسنجر Kissinger المطلوب فى جرائم حرب فى كامبوديا و الفيتنام و ريتشارد هولبروك Holbrook و قد عرف بدوره فى حرب الصرب و البوسنة و دنيس روس Ross Dennisا لذى كان مستشار بوش الابن فى الشرق الاوسط و يشوع دى بوا Joshua DeBoi و كاس سونشلاين Sunstein[7].

و ازعم ان ظاهرة احاطة نمازج و عناصر مشبوهة باعضاء الدائرة الداخلية للسلطة بقيت ظاهرة متستر عليها او–و لم يعنى كثيرون برصدها و مقارنتها فمقابلتها بما تستحق من الاهتمام من حيث انها عامل مؤثر بصورة كبيرة فى مجريات امور و سياسة اعضاء الدائرة الداخلية للسلطة و بخاصة شخص الخليفة و رئيس الدولة وصولا الى اعتقال الاخير قصره او حتى نفيه حارج العاصمة. و ازعم ان تلك الظاهرة ما برحت ماثلة مما يلاحظه الناس فى كل مكان.

و السؤال الملح هو كيف يقيض وجود تلك العناصر عند حواف السلطة بل احيانا في قلبها على مر التاريخ–غير المكتوب بالضرورة و يبقى وجودهم مسكوت عنه؟ كيف يثابرون على التخفي حتى لا يسألوا مثلما يساءل اعضاء الحكومة مثلا؟ كيف يبقون هكذا متسارين لا ينتبه عليهم؟ الا يثير ذلك التساؤل ما اذا كان وجودهم كان حريا ان يستدعى عقلنة تسويغ ذلك الوجود و تزويق خطاب تلك الجماعات الكبالية Cabalist المتسارة المتكاذبة؟

و هل كان يستقيم ذلك الوجود بدون "عقلنة" خطاب السلطة القائمة و تزويق Euphemise التاريخ المكتوب؟ هل كانت المراكمة قابلة لان تملك التعبير عن نفسها–فى تنويعتها المالية خاصة–عن نفسها فى براديحمات و مشارع فصلية كالتنموية و ما بعد الحداثة و النسووقراطية و الليبراليين الجدد و الصهيونية–عبورا بنظائر باكرة مثل المعتزلية و البروتستانتية خصما على النظريات الكبرى– بدون تمرير ذلك التخاتل؟

وحدة الكاتب العربى:

فى كل ما تقدم من اسئلة او فرضيات مما قد لا يكون معظمه قد طرح من قبل و ان طرح و لم يجد سبيلا الى اجابة مقنعه او اطلاقا فان الباحث يجد نفسه فى كل ما تقدم متوحدا و متوجسا من تساؤلاته و فرضياته نازعا الى السلامة مرة و ناذرا نفسه لقول الحقيقة الموضوعية مرة. و قد ينذر الباحث نفسه لاعادة قراءة التاريخ من اسفل From Below--من وجهة نظر المخضعين لتداعيات ذلك التاريخ بوصفه تاريخ رسمى يخصم على التاريخ الشعبي الاغلبيات الناس فى كل مكان.

و يتعين علميا خصم التاريخ بهذا الوصف على تكريس احقية اقليات متسارزة مشبوهة تتربص بمن يتجاسر عليها الدوائر فى كل منحى و عند الزوايا و فى الاركان مرة اخرى. ذلك انه فى زمان يكاد يشارف زمان سفر الرؤيا فقد بات العرب و المسلمون و نظراؤهم من اهل الهكف.

ويطرح في زمان كهذا معظم المثقفين انفسهم خدام للسلطة و يلحق معظم الصحفيين انفسهم بمشاة السلطة. و قد يقوم الاخيرون بالخدامة دون ان يطلب منهم احيانا مدافعين عن مصالح الحكام و من في مكانهم. و يزاود بعضهم حتى على اصحاب المصالح ليضمنوا لانفسهم مكانا بين غمام التنافس على الرزق و الارتزاق. و يتفاقم تنافس المثقفين على مكان فى اى مكان فى ازمنة الشدة و العصف اللذان لا يعفيانهم هم او غيرهم الا ما خلا اصحاب المصالح و المال. ذلك انه لم يعد ثمة رب عمل مستقل او محايد بما فى ذلك الدولة. فالدولة نفسها رهينة اصحاب المصالح و المال بالضرورة والنتيجة[8].

و لعل اخطر ادوار معظم المثقفين الليبراليين الجدد على الخصوص وتنويعاتهم من اعراب الشتات المسكوت عنهم انهم هم الذين كانوا و ما يبرحون يكتبون التاريخ الرسمي. و يكتب الاخيرون التاريخ بحذق من لا يملك قول الحقيقة كونه متورط بالنتيجة فى تزييفها وتزويقها Euphemise it. و حيث ان الاخيرين اذ يكتبون التاريخ الرسمى المزييف فانهم يكتبون تاريخهم و لو فى جملة اعتراضية فى متن ذلك التاريخ فى افضل الشروط او-و كشرح على متون ذلك التاريخ, فحتى ان تعرف باحث على ملامح بعض ظواهر التاريخ الموضوعى المسكوت عنه لاغلبيات منتجي الثروة و الحياة و الكفاف و الفائض فان اللغة التى كانت قد مفصلت لتكريس المسكوت عنه لا تخدم اذ لا تنفع مشروع ذلك الباحث فلا تغنيه من قريب او بعيد بل الاحرى تقعده عن بلوغ القدرة على التعبير عما وعدت فرضياته بان تقيض من رؤيه.

1-التوحد اللغوى : الغرفة 39 يبيت الغول الاكاديمي الغربي:

فيما احاول تعريف لغة العمليات المذكورة اعلاه و ملامح ابطالها و تكريس احقيتة تلك الاحداث و ابطالها فى التاريخ المكتوب خصما على مما عداها و من عدى ابطاللها اجادل ان لغة تلك العميليات حرية بان تميل الى التخاتل و التكاذب و تطلق عليه ما تطلق من المسميات. و ازعم ان كل من التخاتل و التكاذب و بخاصة المسيمات التى تشكل قاموسهما لا تزيد على ما يسمي العقلانية. و ازعم تباعا ان

العقلانية و اشير اليها اجرائيا بالعقلانية القاحلة Sterile Rationalism بمعنى انها لا تدعى اعلاء العقل و اعماله و حسب وانما توقف العقل فى الواقع على رأسه,
واجادل ان ثمة فرق بين عقلانية من يملكون و عقلانية المفقرين ماديا. فعقلانية الاول تتعين على تزيين و تزويق الحقائق وصولا الى القضاء على مفهوم الحقيقة و الحق. و العقلانية قد تعالفت و التحورات Mutations التى حلت بالمسيحية الغربية وكانت الاخيرة قد اخترقت باكرا منذ بولص الرسول الى تنويعة على اليهودية وصولا الى المسيحية اليهودية وعبورا بالكالفينية او الاصلاح البروتستانتى الكالفينى التطهري الذى ازعم انه تنويع على خلق القرآن.
وقد باتت للعقلانية بهذا الوصف مدارس و نظريات و تصدر عن احداث و تتمأسس فوق رياضة فكرية ما تبرح تعبر ن نفسها فى تنويعات لا متناهية. و احاول التطرق الى تلك العمليات تباعا و فى سياق الاحداث التى تتنوع عليها فى كل مرة.
و قياسا يغدو الا معدى من ان يكتب امثالنا بطريقة مختلفة. و لعل معظمنا لا يتقصد و انما يدرك الا سبيل الى غير ذلك لو كانت الغاية تبيان و النظر فى عين الاحداث كما هى و ليس كما زوقت بمناهج تدعى الامبريقية Empiricism و الحيدة العلمية Scientific neutrality تخاتلا.ذلك ان الساحة كانت قد خلت لتلك المناهج بدون اى منافسة او تحد او بديل. واميل قياسا الى الكتابة على طريقة تمفصل استخدم مناهج بحث غايتها خدمة المادة و ليس العكس فلا اطوع المادة لتليق بمناهج البحث مثلما يفعل البعض ممن يلوى عنق الواقع بغاية حشره فى المفردة او–و فى المصطلح او ليناسب نصا او نظرية مسبقة pre-conceived الخ.
و كان التاريخ الموضوعى و الشعبى بخاصة قد ارتهن طويلا بمزوقات لا دليل عليها.
و قياسا يحاول البحث اعادة تعريف كل مفردة استخدمها فى سياق اعادة قراءة الاحداث وكلها امور مرهقة و متوحدة. ذلك ان كل ظاهرة يستدعى تحيلها موضوعيا ردها الى سفر تكوينها احيانا مما قد يعني اعادة قراءة تاريخ طويل عريض. و قياسا قد تغدو بعض الجمل الاعتراضية فى تعريف الظواهر و التعرف على سفر تكوين الاحداث بمثابة فرضية تحتاج بحثا قائما بذاته.
و قد تجعل التحديات و المواضعات المذكورة اعلاه المشروع الذى احاول التعين عليه مشروعا غريبا على كثيرين كونه لا يطرق طريق السلامة الذي مهددته كثرة اقدام العابرين المعهودين والمشتبه فيهم المعتادين Usual Suspects ومن الدارسين المرقدين embedded scholars. و بالمقابل يغدو الكاتب بخاصة فى المنفى المكانى و قد انغرس نصفه الباكر من حياته–التى كانت له فى وطنه–بقوة جذوره اللغوية فالنفسية و الفكرية –فى الوطن الاول. و بقدر ما يبقى الكاتب كذلك فلا يقتلع من جذوره تعبر نظرته الكلية عن اؤئلك اللذين كان قد جاء من بينهم و انتمى اليهم–ذلك الكاتب لا يفارقهم بقلبه و خاطره ابدا رغم المنفى و المسافات و الادعال و ربما بسبب ذلك.

و قد يغدو الكاتب او المثقف او المفكر المنفى ونصفه الثانى مغروس فى لغة المنفى او الوطن الجديد. ذلك ان لغة المنفى حرية بان تغدو –بقدر ما تكون عالمية و مانعة–هوية قوية للكاتب او المثقف المهاجر أو حتى اى منفى بقدر ما هى مكتوبة و عالمية, هذا زيادة على المنفى الاكاديمى فى المنفى المكاني.
و قد يقاس منفى الكاتب العربي بتجربة اليهود فى اوربا الغربية قبل ان يتعين مفكروهم و فلاسفتهم على تجاوز الغربة و النفى و الغيتوا الفكري و اللغوي خاصة فى القرن الثامن عشر وصولا الى احتكار لغة المنفى لحسابهم هم خصما على اللغاة التى وجدوها فى المنفى. و هذه المسألة فى غاية الاهمية و الخطورة و ينبغى التوقف عندها و تأملها بغاية الاستطراد فى دراستها مليا.
ذلك ان اليهود مثلا لم تكن لهم لغة عالمية بهذا الوصف و قد بقيت لغتهم لوقت طويل غير قابلة للصمود امام اللغاة القديمة الاخرى كالارامية و العربية ثم اللغاة الاوربية بعد تواجد اليهود فى شرق المتوسط ثم هجرة بعض قبائلهم الى شواطئ المتوسط الاوربية[9]. هذا و لم تكن اللغاة الاوربية التى وجدها اليهود فى المجتمعات التى استضافتهم او–و اختاروا الحلول بها تزرعا قمينة بان تعصم اصحابها فيما بقيت اليديشية اضعف من ان تواجه تلك اللغاة. فلم تنفك الاخيرة ان انزوت حتى نشأة حركة لاحيائها مؤخرا. [10]
و قياسا فقد تعين اعراب الشتات على لغاة المجتمعات المضيفة و بخاصة الانجلوس ساكسونية و الانجلو امريكية. و لم ينفكوا ان مفصلوا اللغة الانجليزية بهذا الوصف لصالحهم هم مما افصل جزءا منه فى مكان اخر.
ذلك ان اعراب الشتات حريون بانتحال كل ما يجدونه امامهم و يدعون كل ما يحلون به و بين ظهرانيه و قد ادعوا الحق فى ملكية كل ما وطأته بطون اقدامهم. و قياسا فالعرب و المسلمون و كل من لا يتماهى مع اعراب الشتات مدان بمحض ذلك المشروع الواسع سعة افقية و رأسية المانع بمحض احتكار اللغة وبالتالى الخطاب و النظريات و كافة اشكال الفكر و التنظيم وشبكة المعلومات الخ الخ ناهيك عن الاقتصاد.
و يتمثل ذلك فيما يتمثل فى لغاة المجتمعات المضيفة الانجلو ساكسونية و الانجلوامريكية التى كان اعراب الشتات قد اخترقوها فكريا و تنظيما و ثقافيا و دينيا و قد باتت تعبر عنهم هم اكثر من غيرهم وتجرم او– تؤبلس من عداهم على نحو شديد التركيب و الغموص بما قد يشار اليه اليوم بلغة العلاقات العامة او Spin. ذلك ان تلك اللغة المجاز Circumlocution بلا حساب مما احاول التعرف على اصوله الباكرة فى الحضارة الاسلامية على الخصوص عبورا بما يسمى التنوير ووصولا الى تنويعات لا متناهية تعبر عن نفسها فيمن اسميهم الخوارج او المعتزلة السياسيين الجدد–المحافظين الجدد – اليسوعوقراط–الافانجليين الانجلوامريكان الليبراليين الجدد.
و لا يعنى ذلك ان كل من يتصل بتلك التنويعات من اعراب الشتات. فقد تعين الاخيرون على تجنيد جماعات من كل عقيدة فى صفوفهم هم بالابتزاز والترغيب. فتسمع ديفيد كاميرون زعيم حزب المحافظين

البريطانى يجأر علنا بانه صهيونى و هكذا و تعترف جيرمين جرير عرابة النسووقراط بانها تكاد "تقتل نفسها حتى أغدو يهودية"[11]

و قياسا فان انتحل المحافظون الجدد اليسار كما انتحلت اسرائيل ما اطلقت عليه المواقع الاثرية التى ينسبوها الى التوراة و ينتحلون فلسطين بمشروع احلال ما قد يسمى غزة الكبرى مكانها. و ينتحل اعراب الشتات الحضارات الشرق الاوسطية و القرن افريقية. و كان اعراب الشتات قد انتحلوا اليهودية [12]و لم ينفكو ان انتحلوا المسيحية منذ الامبراطور قسطنطين وصولا الى ما يسمى الاصلاح البروتستانتى Protestant Reformist الكالفينى نسبة الى جون كالفين الثيولوجي الفرنسي–السويسري.

و قد انتحل المعتزلة الاسلام بان تعينوا على تكريس عقيدة خلق القرآن خصما على ما عداها من العققائد على عهد العباسيين الاسراتى. و اجادل ان حركة خلق القرآن تتوسع باكر علي التنوير البروتستانتي الاوربي الغربي بوصف ان التويع العباسي كان "بروفة" على انتير اوربي الغربي و كلاهما محاولات لاختراق مؤسسية كل عقيدة عدى عقيدة اعراب الشتات–الخزر– الاشكناذي الصهاينة و صولا الى المسيحية اليهودية. ذلك عقيدة اعراب الشتات–الخزر–الصهاينة متلفعة تباعا بالرأسمالية المالية وصولا الى المسحية اليهودية ليست سوى مشروع عقلاني يدعى الفكر و التنظيم ويتمأسس فوق مشروع توسعي افقي و رأسي كان قد عرب عنه نفسه و ما يبرح يعبر عنه نفسه فى الزمكان على مر التاريخ غير المكتوب.

2–لا استدعي الفرضيات الجاهزة:

بقي كثير منا يصدر عن مفردات جاهزة ناجزة يسيرة سهلة دانية و مصطلحات لم يصطلح عليها سوى ممفصلوها. و كانت تلك المفردات و المفهومات و المصطلحات و بقيت تعبر حتى بالنسبة للمنتفعين بها و المستفيدين من ورائها عن واقع افتراضى بالنسبة لمن عداهم. و قد بقى الاخيرون وحدهم يدركون ان تلك المفردات والمفهومات و المصطلحات هي كذلك حقا مرة. ومرة اخري فانهم معنيون بمفصلة تلك المفردات[13] التى تبقى فخاخ فى طريق كل من عداهم ما تنفك تخاتل عداهم.

و حيث نصدر نحن عن تلك المتخاتلات فاننا نادرا ما نصل الى محصلة يعتد بها. بل الواقع اننا بقبول مفردات و مفهومات الخ خطاب الخصم على عواهنها انما نتعامل مع خطاب الاخير على عواهنه take it at face value. و لعل ذلك لا يزيد على بعد من ابعاد الفوضى الاكاديمية و الفكرية المنظمة المهيكلة التى ما ان تأخذ بتلابيب اى بحث حتى يدور فيما لا طائل ورائه او–و فى حلقة مفرغة الا بقدر ما يتعين الاخير على ملئ صفحات بما قد لا يزيد على ما هو اقل من عديم الفائدة.

و قياسا فان يتعين البحث كما تعلمناه و علمناه من بعد على فرضيات فان غياب او انعدام المادة الخام و التاريخ الموضوعين و التاريخ الشعبى بخاصة لا يقيض فرضيات موضوعية تؤدي بالبحث الى محصلات ذات فائدة تذكر. وعليه حيث لا أمفصل فرضيات جاهزة ناجزة للبحث فى مفهوم العقلانية و العقلانيين و تنويعاتهم و نظائرهم على مر التاريخ المكتوب و المسكوت عنه أستعيض فيما يلى:

– اما بمجادلة المادة قبل ان استخلص منها فرضية مأمونة بالقدر الكافى.
– او باسئلة بعينها عن بعض فرضيات البحث.
و لعل البحث فى محاولة الاجابة علي بعض الاسئلة –قد يترك الاجابة على بعضها الاخر لاخرين قد يستحبون البحث من اجل الاجابة عليها– او قد احاول مجادلتها فى دراسات اخرى بوصفها فرضيات.
وقد حاولت الى ذلك الاستعاضة عن مناهج البحث الغربية–و كنت درست مناهج البحث طوال حياتى الاكاديمية فى اكثر من دولة و باكثر من لغة–حاولت الاستعاضة عن الاخيرة باطر فكرية–او براديجمات ان اردت(ي) تخص المادة الاولية لهذه الدراسة و ليس غيرها.
و قد نحت و احاول–من حرقة اكاديمية–نحت بدائل لبعض المفهومات المحورية للاكاديميا الرأسمالية الغربية–من اجل التعرف على و تحليل قضايا تخص العوالم غير الغربية كالعوالم الثالثة و الرابعة و ما غدى منها عصر حجرى. و حيث نتعين على ذلك منفردين احيانا كثيرةمنحاصرن غالبا فلعل ذلك حري بان يجعل مهمة البحث جد عسيرة حقا–و متوحدة بصورة مرهقة. هذا واجدنى كلما قرأت كتابا جديدا لكاتب اجنبى حزنت على وحدة الكاتب العربى.
ففى شكر ذلك المؤلف لمن ساهموا فى مساعدتة يعدد المؤلف ما قد يزيد على 10 متخصصين فيما خلا وكيل اعماله الى محرره الخاص فلكل كاتب فى الغرب محرره الخاص به الى منقحين و ناصحين و قراء المسودة الاولى و الثانية و مراجعين هذا الى الاصدقاء و المعارف الذين يتبرعون بالمشورة و يشيرون على المؤلف بما يكون قد غاب عليه و ما لا يكون على علم به.
اما الكاتب العربى فلا نصير له و لا نصيح و ان تصادف و اطلع احدهم على عمل لا يعدم ذلك الكاتب ان يجد ان عمله قد استبيح. فالسرقات الادبية–و هى من تداعيات الهوان–لم تعد سرقات بل عقلانية وشطارة ارتزاق مثلها مثل المتجارة بالمبادئ والسياسة مما اذكر طرفا منه فى مكان اخر.

3–المادة الخام: لا يأت معظمنا بجديد

لا يأت معظمنا بشئ جديد الا بادراك لاهمية اعادة ترتيب ما يقرأ. فالمثقف و الكاتب قمين بان يلهم و لو على سبيل تحد المعطيات الجاهزة الناجزة التى ترفض البدائل ببدائل يصعب تجاهلها. وحيث لا اتى– بدورى– بشئ لا يعرفه معظم الناس فمعظم ما اقوله غالبا معروف و تتدفق به وسائل الاعلام فى جل اعتراضية غالبا و ربما بعض الكتب الرصينة مما يكتبه صديقون–بشد الدال وكسرها–امناء بحق الواقع و الحقيقة. واحاول الالمام قدر الممكن انسانيا باكبر قدر من معرفة احوال العالم بادراك ان الفرد لا يملك ان يدعى انه مثقف ناهيك عن مفكر قبل ان يغنى ذاكرته بجانب كبير من الثروات الفكرية التى ابدعتها الانسانية حسب قول فلاديمير لينين فى من هو الشيوعى الذى يراه لينبن ارقى اشكال المثقفين و الشيوعى ماركسى كما تعلمون و ليس كل ماركسى شيوعى كما تعلمون ايضا.
و اصدر اكثر ما اصدر عن تجربة ما يشارف 40 عاما فى الغرب فى معاصرة لصيقة و تزداد حساسية لما يحيق بي و يصيب العرب و المسلمين و البشرية. واصدر قبل ذلك عن صحبة حركات التحرر

الافريقي و العربى على مدي نصف قرن[14]. و اخذ عن المراجع و شبكة المعلومات و الملاحظات بعد اعادة تفكيكها او التعليق عليها. و اخذ من المعاجم و القواميس المنشورة قديما و حديثا باستمرار و من المعاجم الاليكترونية–بالعربية و الانجليزية. و املك من القواميس و المعاجم ثروة باكثر من لغة اذ اعشق المعاجم و القواميس.

و قد اقتنيت من المعاجم على مر سنين البحث رفوقا من مكتبتى و من اهمها بالعربية حتى الان فيما اتصور "المغتى الاكبر" لمؤلفه الاستاذ الجليل حسن سعيد الكرمى: اصدار مكتبة لبنان. فقد حرصت فى الترحال المتصل ان اخذ معى من المعاجم ما عندي من مكان الى مكان و اسعى الجديد منها و لا يهون علي التخلص من القديم. و اخذ احيانا عن والمدونات Blogs والوكيبيديات و غيرها وأحقق فى كل من الاخيرتين و اضاهيهما بغيرهما. و اكرر كما قلت فى مكان اخر ان غالبا ما تسول لكل من يملك ولوج تلك العوالم الشاسعة لشبكة المعلومات نفسه اعادة كتابة تاريخه و هو امر غاية فى الخطورة فكما يقولون ان من يملك برود باند Broad Band لا يكتب نفسه شقيا. فلنأخذ عن تلك التسهيلات الناجزة بحذر.

ومن المفيد تذكر انه رغم ثورة المعلومات و بسببها فان شبكة المعلومات تقوم بدور غامض Nebulous و غريب من حيث انها تضخ "معلومات" و اخبار و تقارير الخ لا متناهية بلا رقيب. فقد باتت شبكة المعلومات و بعض الويكيبيديات الحرة Free Wikipedia تنشر احيانا ما لا سبيل الى التأكد من صحته الا بمضاهته بمراجع اخرى. فقد يشوه المقال الاصلي فى الوكيبيديا الحرة بما يقوم به القراء من تحرير واعادة تحرير.

فالوكيبيديا الحرة بطبعها لا تبحث عن الحقيقة بقدر ما تكرس الاتفاق Consensus على امور مثيرة للجدل لصالح بعض الفرضيات و الجماعات. و قد تعينت بعض الجماعات على عادة كتابة تاريخها و التنؤ بما سيكون قبل ان يكون او لا يكون. الا انه ان صدق الناس ما تقول تلك الاحابيل فان الامر قد يغدو و كأنه نبؤة تحقق ذاتها Self Fulfilling prophecy.

و من المفيد ملاحظة كيف انتشرت ويكيبيديات بعد فوز باراك اوباما تستدعى سردية اسطورية للرجل. و نسب تقارير عديدة–راحت تملأ شبكة المعلومات–اوباما الى سلالات ملكية و تنفى عنه كل وصمة قد تلحقه بالامريكان السود و العبودية ويقولون ان اول اسلافه وصل امريكا بعد تحرير العبيد بمائة عام.

المهم و الاخطر هو ان بعض الباحثين العرب يأخذ ما على شبكة المعلومات بلا تحفظ و كأنه موضوعى.

و يكتب بعضهم اطروحات كاملة و ينشر مؤلفات بالاخذ عن شبكة المعلومات و بخاصة عن الويكيبيديا الحرة و معناها الحرفى انها حرة اى غير مقيدة بشئ و هى الى ذلك وهذا هو الاهم قابلة للنقد و النقض و تبقى فى حالة تحرير و اعادة تحرير دائم. و احيانا تكون التعليقات على المقالات الاصلية فيها أهم من تلك المقالات. فلننتبه و من الله السداد.

على انه من المفيد ايضا تذكر ان ثمة مع ذلك مواقع و ويكيبيديات لا غبار عليها بخاصة عندما يتعلق بعضها بتاريخ متفق عليه و سير شخصيات معروفة مما يمكن دائما مضاهاته بالمعاجم و القواميس و المراجع الاخرى وغيرها. هذا و يبقى الى ذلك بعض ما اتعين على استخدامه كمادة خام او الاشارة الية من الصحافة و الاعلام و من الاصغاء لما يقوله غيرى و اتعلم من كل من أقابل تقريبا و كل ما اسمع عندما اصغى.

و تعود بعض مادة هذه الدراسة بعد و فوق كل شئ الى توليفة من المعايشة و الملاحظة و المعاصرة المستمرة للحياة و للاسفار و للسنوات النضال الطويلة والمتصلة من اجل المفقرين و المستلبين و ضد المظالم و ضد الذاهلين بخاطرهم عن المظالم و عن موضوعها. و فيما خلا ذلك قد لا ازيد الا بقدر ما أركب الافكار و اعيد ترتيبها و فكها و تحليل ما يقوله و يكتبه اخرون ممن اتفق و–أو أختلف معه ومما اقرأ و اسمع به و ما يترى على و على احوال العالم الذى اراقبه و اتتبع اخباره ليل نهار من نشرات اخبار او افلام وثائقية و غيرها.

و قد اخذت و اخذ عن برامج صباحية اسبوعية مثل بداية الاسبوعStart of the Week و كان يقدمه جيريمى باكسمان Paxman و يقدمه تباعا اندرو مار Andrew Marr ومن برنامج زماننا In Our Time ويقدمه ميلفين براج Bragg و عن نشرات و تقارير الاخبار و عن البرامج الوثائقية العربية و الانجليزية مما اذكره تباعا و قدر الممكن–الا ما خلا السهو و الخطأ–فى الشرح على المتون.

و تصدر المادة الاولية و الخام لمجادلة الوقائع مما تحاول الدراسة تحليله حول بعض ظواهرة المعتزلة و المتكلمين الخ فيما خلى المصادر الاولية و الثانوية عن "سلسلة تاريخ الاسلام و العقائد و العبادات"–عن شبكة المعلومات وغيرهما مع مضاهتهما بما كتب باكرا حول المعتزلة والخوارج بوصف ان الاخيرين خرجوا على كل من السنة و الشيعة.

و الى ذلك كانت حركتهم سياسية اكثر منها دينية و قد تعينوا على تزويق مفردات خطابهم فى تهيوات دينية تعمش على اجندة ازعم انها كانت حرية بان تكون فائقة على العقيدة و ربما خارجة عليها.

و اجادل ان حاصل جمع تلك الحركة قد يقيض مضاهاتها بنظائر عاصية للبابوية و لمؤسسية الكنسية المسيحية الغربية و قد تمثلت فى الطوائف البروتستانتية و معناها الحرفى معارضة الكاثوليكية الغربية- من الفعل يعارض to Protest.

و من المفيد تذكر ان تلك الحركة انجبت عدة تنويعات بروتستانتية فليس ثمة بروتستانتية واحدة و قد تحور بعضها الى تنويعات جديدة و حاول التأقل مع المجتمعات التى حلت بها طوائف البروتستانت من شمال اوربا و غربها والعالم الجديد الى افريقيا و اسيا كشبه القارة الهندية. و الى ذلك فمن المفيد تذكر ن تنويعة بعينها بقيت عنيدة تناصب الكاثوليليكية و ما عداها هى من العقائد العداء و تنطلق نحو التبشير في من معداها من العقائد وفى محاولة اختراقها و تشوييها,

و تتمثل تلك التنويعة الشرسة فى الافانجلية الامريكية المتطرفة و ربما تحورت بعض طوائف الاخيرة تباعا الى ما اسميه اليسوعوقراط. و اجادل ان المسيحية الغربية الافانجلية الامريكية المتطرفة و قد تحورت الى المسيحية اليهودية لم تنفك ان تماهت مع الرأسمالية ما بعد الصناعية–المالية على الخصوص–الامركة–العولمة–المشروع الامريكي الجديد المشروع الصهيونى الجديد. و قياسا فقد بات العداء للرأسمالية عاداءا للسامية.

و اجادل ضمنا وتفصيلا احيانا ان المسيحية الغربية بعامة كانت قد لفقت مما انعكس على تاريخ اوربا الغربية و العالم الجديد و الكواكب السيارة فى فلكما تباعا. ذلك ان المسيحية هنبط المجتمعات الاوربية الغربية وكانت اخيرية فى حالة وثنية شبه مطلقة و كانت معظم القبائل متاحرة و وحشية. حتى عندما وصلت المسيحية ان وصلت روما فلربما كان ذلك عن طريق التجار الفينيقيين, و لم تكن روما السابقة على الامبراطورية سوى قرية من اكواخ الطين و القش حتى انتصرت روما على قرطاج فتعلمت روما كل شئ من قرطاج و استحوذت على كل شئ فى قرطاج و لم تنفك روما ان اشعلت النار 3 سنوات طوال فى قرطاج فاحرقتها عن بكرة ابيها تدميرا للدليل على السرقة.

ذلك انه ان لم يملك السارق احراق المسروق منه فانه يسعى بجنون الى مصاردة وجوده او–و التشكيك فى مصداقيته To discredit him of her و قياسا فقد بات لزاما تلفيق تاريخ الغرب و العكس صحيح. ذلك ان الاخير يتمأسس قوق و يصدر عن اكذوبة كبرى يمفصلها يوميا وفى كل ساعة. قد ضيعت تلك الاكذوبة اكثر ما ضيعت العامة. ذلك انه بقدر الخشية من انكشاف المستور–وهو رهيب–بقدر ما تتفاقم انصاف الحقائق و الاكاذيب Half truths and lies و وجبات التزويق اليومية diet of Euphemisms

هذا و يبقى مصدر بعض من الفصول الخاصة ب"عقلانية عصاة الصحابة و امراء المؤمنين و عصاة الكنيسة المسيحية الغربية" و التحليل المقارن للاخيرة من المادة المتوفرة فى المخطوطات الى ما فوق شبكة المعلومات. واخذ من الاصحاح القديم و بخاصة سفر التكوين 33 و سفر الخروج 12:30و ليفيتيكاس Leviticus الفصل 7–و سفر صموئيل:17:25–وسفر استير 9:16 و غيره.

و قد اخذت فيما يتصل بموضوع العقلانية وظاهرة الخوارج و المعتزلة و تخريجاتهما كالاشاعرة المرجئة و الجبريين و الجهيين و المشبهة و المجسمة و الحلوليين عن شبكة المعلومات و كتابات الياس مرقص و جورج لوكاش و موقع الدكتور محمد باسل الطائي–قسم الفيزياء–جامعة اليرموك اربد–الأردن–الرقمية وموقع بيانات مكتب سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسنين فصل الله و غيرهم. فلهم و كل من اخذت عنه جزيل امتنانى.

و أزعم ان البحث يستفيد من كل ما يسمع و يقرأ وما لا يتفق معه و ما يتعين على ترويع السامع أو القارئ بتلفيق الحقيقة. هذا و استخدم المادة الخام فى كل مرة على مقاس فرضية البحث و اعيد استخدامها. فالواقع كما اكون قد ذكرت متعدد الوجوه يحتاج مرايا و مكبرات بصرية لادراك محتواه و

استبصار ابعاده فى كل مرة. و ادرك تباعا و بصورة باهرة ان لكل شئ جانب اخر لم اره و قصة اخرى لم اتعين على ادراكها و حادثة لم اسمع با و رواية لم يحكها لى احد بعد.

و استخدم المادة الخام فى كل مرة غالبا و ربما دائما بفرضية معينة ادراكا لكون الحقيقة قد تكون متوفرة الا انها كذلك على نحو مجزأ لا يمكن الوصول اليه دفعة واحدة ولا من جهة بعينها. وحيث ازعم ان المفردات تعبير عن احدات و ظواهر و ان الاحيرة تحدث فى سياق ماحولها بل هى محصلة احداث تتم فى العالم و قياسا احاول قدر الممكن التعين على تعريف المفردة او الظاهرة فى سياق ما يحدث في عالم متعددة. و تتعين مثل تلك العملية الذهنية على مجادلة ما يعن من استبيان ما وراء الكلمات الغشاشة على الخصوص.

و دون ان اجرؤ على الجزم فاننى اعتقد بتواضع حقيقى بان تلك هى الوسيلة اللازمة للتعرف على المعنى الحقيقى و التعريف الموضوعى للمفردة فى السياق الماثل و الماضى او ما اسميه التعريف الاجرائى Operational definition. و لعل ذلك يقيض احيانا اسقاطات على المستقبل مما قد يوفر للبحث بعدا تنبؤيا كلما امكن. و فيما خلا ذلك قد لا ازيد الا بقدر ما أركب الافكار و اعيد ترتيبها و فكها و تحليل ما يقوله و يكتبه اخرون ممن اتفق و–أو أختلف معه. و لا انسى قدر الممكن ذكر معظم من قرأت له ومن سمعت منه كمرجع فى كل مرة.

و اؤمن بان كل مرجع يذكره الكاتب عنوان على الاطلاع و ليس على الضعف كما ان اغفال ذكر المرجع ليس سرقة وحسب وانما دليل عدم ثقة بالنفس. و مع ذلك ربما كان مفيدا الاشارة الى ان معظمنا يضيره الاشارة الى كاتب عربى فيما يفخر و يتباهى باسماء كتاب اجانب حتى ان لم يقرأ لهم او ان قرأ لم يفهمهم جيدا و لعل بعضهم يكتفى بذكر عنوان و مؤلف الكتاب تدليلا على سعة ثقافته و كأن من يكتب بالعربية–و بخاصة ان كان الاخير امرأة–غير جدير بان يوصف بالمثقف أو المفكر, و يبقى مخض ذكر الاجنبى ناهيك عن الاخذ عنه دليل على سعة الثقافة.

وازهو بالاخذ عن اخرين واسجل فضلهم و يسعدنى ان اجد بينهم منصف او–و حتى طيف قريب مما اقول وامتن لكل من عزز فرضية لى او قيض لى الطمأنينه اليها فالكاتب(ة) غالبا ما يجد نفسه متوحدا بين ادغال التاريخ الرسمي المفبرك بلا معين سوى الله تعالى و تلك الشموع الحيية التى تضئ له الظلمات.

– شكر و عرفان:

لا يسعنى سوى التقدم بوافر امتنانى للمؤلفين و الكتاب الذي اصدرت عنهم ممن اذكر بالاسم. و من الاخيرين على الخصوص البروفيسور ويبستر جريفين تاربلاى Professor Tarplay, Webster Griffin الذى لقيته و استمتعت اليه فى محاضرة فى اكسفورد الثلاثاء 6 نوفمبر 2007. و كان لمحاضرة بروفسيور ويبستر جريفين تاربلاى وقع فى خاطرى. فقد ساعدت على تأكيد صحة فرضيات بعينها كنت أمفصلها منفردة ومتوحدة مما كان حريا بان يصيبنى بالكآبة احيانا لولا اننى لقيته و اخرين و

قد اسعدتنى تلك اللقاءات فكريا. و قد تواصلت و بروفيسور ويبستر جريفيث تاربلاى من وقتها على شبكة المعلومات فله منى جزيل الامتنان.

و اشكر كذلك باتريشيا كرون Patirica Crone–و شيلومو داو جويتين S.D.Goitein واخص بالشكر فاضل الانصارى الذى ادين له هنا بمعظم ما هو حول الطوائف و التطييف. و كذا اشكر محمد بحر عبد المجيد و ظفر الاسلام خان ومحمد رضوان الداية و يوسف العشى و أحمد شكرى و حسن ابراهيم حسن و حسين مروه و رمسيس عوض و عبد الرحمن بن محمد بن خلدون و مكى ابو قرجة و سعيد العشماوى و نادية مرسى صالح وجعفر هادى والياس مرقص و بيير روسي و عصام ناصف و كل من اخذت عنه مؤلفا او مخطوطا وغيرها من المادة الخام حول الطوائف و الملل و غيرها و اخصهم بالامتنان. و لكل من قد فات علي ذكره سهوا او لكون اسما لا يرد تحت بعض المقالات استميحهم جميعا عذرا و لهم العتبى و مثلى يخطئ. و اخص بالشكر صديقى الشاعر السورى الكبير نورى الجراح و محمد فضيل و مازن مصطفى و على كنعان وناصر سليمان و ابراهيم مكي و كل من قد يقرأ هذا النص و يساعد على تنقيحه و يصحح بعضه و كل من يشير على بما غاب على جزيل امتنانى.

و الى كل من يتعين على خلق شرط عالم الاخيار من النساء و الرجال الشرفاء ممن يغالب عالم العولمة وهو قابض على دينه كالقابض على الجمر اهدى بتواضع هذا العمل. و الله المستعان.

بتقديري

خديجة صفوت

اكسفود–الاثنين 12 نوفمبر 2007.

الباب الاول: توطئة:

قد يبدو الباب الاول وعرا جراء توفره على الجانب النظري التجريدي المفهوماتي من الدراسة. و يمكن المرور عليه فقرأته فيما بعد ان اردت. ذلك انه ان وجد البعض هذا الجزء من الدراسة فى البدء مرهقا نوع ما فليتركه الى الباب الثاني ليعود اليه ان اراد في النهاية. هذا فالمادة الخام و تحليلها و امثلتها على الواقع قد تتعين على ان تجلو الجزء النظري ليغدو انشاءا لله على نحو اوضح عندئد. و اجادل ان اى مما يتيعن عليه الجزء النظري ليس اكثر من مفصلة او اعادة قراءة احداث و تعريف مفاهيم معروفة و احيانا دارجة حيث اتعين على ايراد امثلة و نماذج يومية عليها مما يلاحظه الناس فى كل مكان. و قياسا فقد تبدو هذه الدراسة معنية بتفاصيل بعينها مما قد يجعلها مرهقة للقارئ لاول مرة. الا ان هذه الدراسة تجد نفسها بلا سند قبلها و لا هى امتداد لمنهج او سردية سابقة. و يجعلها ذلك حرية بان تكون مدفوعة للتعين على تقاصيل و ادلة لاثبات فرضياتها ربما من الصفر. فمعذرة. فهى كاليتيم الذى يحاول اثبات اصله و فصله بين غرباء عنه او بين بعض الاميين تاريخيا Historically illiterate و ربما او الاحرى غالبا بين خصوم قد يتربصون به الدوائر.

و تدرك هذه الدراسة ان محنة البحث فى امور الشرق ليست نظرية و حسب و انما تنظيمية. و تدرك بالتجريب و المعاصرة كيف تعاد انتاج هذا المحنة طوال الوقت بحرام مال الممولين. و قد عاصرت تلك الدراسة كيف يسخو المتواطئون على بعضهم بعضا بالقاب لا يستحقونها ابدا وكسف تصحب الالقاب عطايا و بطاقات سفر وحضور مؤتمرات:

– لا يقدم الواحد منهم فيها سوى فتات الكلام

– و يكتب بعضهم ورقته فى غرفة فى احد فنادق الخمس النجوم حيث يناقش الفقر ناهيك عن الافقار المنظم–عشية افتتاح المناسبة.

– يعيد بعضهم ان لم يكن معظمهم كتابة نفس الورقة او الاحرى لا يعيد كتابتها مع الحرص على ان توزع الورقة على الحضور فى نفس اللحظة التى يعتلى صاحبها المنصة.

و هؤلاء هم الذين يحتفل بهم الغرب حتى يسكرهم الاحتفال بهم غرورا و احساسا بالاهمية ظنا منهم انهم عباقرة في حين ان الغرب لا يحتفل الا بمن يشارف التخلف العقلي. ففي مسايرته الغرب حتى حافة الجرف او البئر قد يسقط الاخير غير مأسوف عليه او يستغني عنه كغيره. و يساير اؤلئك المنساقين بلا ارادة للغرب فى اغراق اهلهم فى المتاهات النظرية والتنظيمية لحساب اسيادهم بملايين الدولارات و مراكز البحوث الاستراتيجية.

والاخطر هو ان كل من لا يحتفل به الغرب و من لم تدشنه المؤسسة الاكاديمية الغربية الرسمية–السياسية بالنتيجة–مهما كانت اهميته–بل كلما ارتفعت اهمية الموصوعيية على الخصوص–لا يحتلف به بل لا ضاهى بمن يحتفل به الغرب و الاكاديميا الغربية. و يمنح نجيب محفوظ جائزة نوبيل عقلانيا صبيحة توقيع اتفاقية كامب ديفيد او اوسلو. و قياسا يتماهى معظم المثقفين العرب–نظريا او–و انتهازيا و قد تضور معظم المثقفين غير الغربين من المنابر و سبل العيش و كل اسباب توكيد وجودهم على ساحة العمل المترفع الشريف من اجل المجتمع و الناس العاديين–بتماهى المرتزقة مع المؤسسة الرسيمة سواء السياسية او الاكاديمية الرأسمالية الغربية. و اذا حدث و عارض بعضهم تلك المؤسسة فلاسباب ذاتية أكثر منها اكاديمية او فكرية او فنية او ادبية. و لله فى خلقه عقد و به استعين.

مقدمة طويلة: تمرير الاحابيل

عندما شرعت فى هذا البحث لم اكن ادرك حقا و لا بصورة واضحة الى اى مكان فكري تنظيمي سيقودنى البحث. و كنت قد تعينت عليه بدافع النظر فى ماهية الليبراليين الجدد و ما حاولوه فى مواجهة مشروعنا–مشروع ارتياد الافاق فى بعض المنابر العربية و ما فعلوه ببعضنا–كصديقى نورى الجراح و آخرين انا منهم– تخصصا فينا. و كنت كلما توغلت فى البحث اخرج لاتمشى و احدث نفسى او اتصل بنورى–و قد عاصر هذا البحث منذ بدايته و يعرف الدافع الاصلى للشروع فيه–و انا في خشية مما اجد. و كنت اتذكر قول جاك ديفيز استاذى المشرف على مشروع الدكتوراه حين كنت اقول له انى خائفة مما كنت ارى عبر الدراسة و كيف لم يقل احدا

ذلك و هو بكل هذه البداهة؟" و كان جاك يرد على "لان احدا لم يكن يسير فى المنتزه محدثا نفسه".

الفصل الاول: كيف لا نرعوى ؟ هل يمكن كتابة تاريخنا دون ان نعيد قراءة تاريخ الغرب-الرأسمالية ؟ 1615

كيف تمرر الاحابيل تحت ابصارنا حتى اليوم؟ السقوط المدوى للاقتصاد الافتراضى Virtual Economy او اللا اقتصاد Non-economy المالى العالمى ؟

اذا كان من تجليات الذاكرة الفردية و الجمعية على الخصوص هى هى الولاء لسردية بعينها فكيف لا تتخثر الذاكرة و قد كرست سردية متخاتلة تكاذبة بوصفها تاريخ البشرية مرة؟و خرةى اخرى خصمت تلك السردية على ما عداها مثلما يلاحظ الناس بالنظر الى الاسرائيلية التى تخصم يوميا على السردية الفلطسينة؟ و مر اخرى حيث تخصم السردية الصهيونية على معظم ما عداها من السرديات العربية الاسلامية على الاقل ان لم يكن السردية الاوبية الغربية والامريكية معا؟

فقد قيضت السردية المتخاتلة المتكاذبة طواقم قيم و مفاهيم و جماعات دورها ترويج تلك السردية حتى بات غير الصهاينة سواء فى المجتمعات الغنيةاو المفقرة بلهاء مستهبلون تحاصر عقولهم و قلوبهم اواهام تباع يوميا بوصفها بضائع ثقافية فكرية تاريخية و حتى صحية. فغالبية الامريكان ليسوا مشغلولين بالارهاب و بلك ما يتهددهم و يثير فقلوبهم التطير من اعداه مجهولين بتربصون بهم الدوائر و انما و ايضا بصحتهم و بالخوف من الشيخوخة تلح عليهم الشركات الكيمائية بالعقاقير و الفيتامينات و مراهم اطالة الشباب فلا يبقى للامريكي من يومه بعد الشغل فى اكثر من وزظيفة حتى يملك تسديد فواتيره سوى ساعات يراقب فيها التلفاز الذى يغذى تلك الاوهام و هكذا فى حلقة مفرغة.

و كان اوتو فون بيزمارك قال ان الرب يرعى البلهاء و السكارى و الولايات المتحدة God takes care of fools, drunkards and the USA و اضيف متزلمي و مرتزقة مشروع القرن الامريكي الجديد او المشروع الصهيوني الجديد الى حين كما فى كل مرة. و قد بقى الاخيرون- فى تنويعتهم المحدثة-يتلفعون بعباءة ما بعد الحداثة و الليبرالية الجديدة ثم العقلانية الجديدة منذ الحرب العالمية الثانية بمغبة تكريس المشروع الصهيونى الجديد او ما يسمى مشروع القرن الامريكى الجديد او ما يزوق احيانا فيما يسمى الاستثنائوية الامريكية Exceptionalism .

و تعني الاستثنائوية التى تدعي الولايات المتحدة بها حق الهيا فى ان تجبر- كما ذكرنا فى مكان اخر- من عداها على تجرع مشائوع بعينها من اعلى متثملا فيما تطلق عليه أمريكا-الرأسمالية ما بعد الصناعية-المالية-الصهيونية العالمية-الحرية و الدمقرطة و تمكين المرأة و الحرب على الارهاب تخاتلا. و تقيض الاستثنائية بهذا الوصف لامريكا-الصهيونية العالمية-

انتحال القدرة و التعين على و مسئولية اعادة تشكيل العالم على شاكلة تقيض المراكمة واقسى الربح خصما على المدخرين و على منتجي الفائض الخ فى كل مكان.
ومع ذلك يثابر المحافظون الجدد و معظم اللبراليين الجدد على تعريف انفسهم–ضمنا–بانهم داروينيين يستمثلون فكرة الحلم الامريكى. وقد راحوا يعرفون انفسهم علنا بانهم معادين لما وصموه ببرنامج الكفالة الاجتماعية و الصرف العام غير الواقعى و غير القابل للاستمرار. و تقول الليبراية الجديدة ان الناس مجبولون على التنافس و الاستحواذ وحب الاقتناء و ليس على الغيرية. و كان فن الراب Rap الذي نشأ متزامنا مع الليبرالية الجديدة يطرح فكرة عن العالم بوصفه عالم الخديعة و عدم الثقة و الاستغلال و ان ذلك العالم كان يتماهى مع واقعية الرأسمالية الليبرالية الجديدة الا ان الراب و هيب هوب Rap and Hip hop كانا و كانهما يحتفلان بالجريمة و يحأران بان ليس ثمة فرق بين اباطرة المال و اللصوص او القراصنة الذين قيضوا شرط مراكمة هائلة بالنهب و لسلب تحت الوية جيوش قومية. و من المقيد تذكر ان فن الراب كان حريا بان يكون بمثابة الاسطورة المعادية للاسطورة الرأسمالية الصهيونية الامركة مشروع القرن الامريكي الجديد. فقد كان الراب يتغنى بوحشية وجهة نظر الليبرالية الجديدة لتفضحها اكثر من ان تحتفل بها[17].

المحافظون الجدد و ثورات اليسار الجمعى الشعبى Popular Left ***الماثلة:***

يتمثل المحافظون الجدد وتنويعات معاصرة عليهم كالليبراليين و العقلانيين الجدد فى كل مكان من العالم الاسلامي و العربى و فى اروبا الغربية و الشرقية. و تعبر تلك التنويعات عن نفسها في خطاب المحافظين الجدد و معظمهم يدين بالولاء للصهيونية العالمية خاصة فى مواجهة الاخيرة للشعوب العربية و الاسلامية الخ. و قياسا فان معظم الليبراليين و العقلانيين ليسوا سوى صهاينة بغض النظر عن عقائدهم. فالصهيونية ليست يهودية باطلاق وليس كل يهودى صهيوني. و ليس كل صهيونى يهودي. و قياسا فقد انخرط الليبراليون و العقلانيون الجدد فى خدمة المحافظين الجدد واليسوعوقراط فالصهيونية تساررا. و كان المحافظون الجدد اعلنوا انهم يساريين تروتسكيين ملوا اخفاق اليسار التقليدى و ادمانه على الخيبة فاستدعوا ثورة على اليمين التقليدي واليسار التقليدي معا.

و ازعم ان ثورة المحافظين الجدد حرية بان تكون على ما اسميه اليسار الجمعى Popular Left غير الممفصل قياسا على ما نشير اليه باليسار التقليدى اى الممفصل Articulate Left. , وكان الاخير قد عبر عن نفسه مرة فى اليشار التقليدي حتى الحرب العالمية الثانية و اليسار الجديد الذى ادعى انه طريق ثالث بين اليمين و اليسار التقليديين. الا انه عندما انكسر اليسار الممفصل او كسر نشأء يسار ثالث وليس طريق ثالث. و كان ذلك اليسار هو ما يمكن ان يشار اليه باليسار الجمعى الذى نشأء عشية و بعد الحرب العالمية الثانية لهول و ويل

الرأسمالية المالية و النخب فى كل مكان. وكانت طلائع مشاة المحافظين الجدد–امثال بيل كلينون لارئيس الامريكى رقم 42 و تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا عن حرب العمال من 1997– 2006 ومفكرين متخاتلين مثل الماركسى البريطانى انطوني جيدينجز Giddings. و الاخير منن ابرع من يغير الوان المعاطف. و ازعم ان الطريق الثالث كان قد مفصل فى مناخ سقوط المنظزمة الاشتراكية حتى يخايل للاشتراكيين السابقين فيزودهم بوسيلة للخروج من حرج خزلانهم المشين للماركسية و الاشتراكية التى كان فرانسيسن فوكوياما–احد اغوات الاستخبارت الامريكية المركزية–قد اعلن موتها ونعاها فسار معظم المفكرين والمثقفين فى كل مطا تقريبا وراء نعشها الذى كان فارغا. وازعم ان فوكوياما كان ينغى موت البرجوازية الصناعية خفية.

لم يلبث المحافظون الجدد قد نصبوا انفسهم مكان اليسار الممصفل الذى كنا نعرفه و راحوا يجأرون بانهم تروتسيكين و ثوار استباقا للثورات الشعبية التى كانت قد راحت تطل برأسها فى ثلاثنيات القرن العشرين مثلما فى ايطاليا حين احتل العمال المصانع وباتت الدولة المدافعة عن مصالح البرجوازية الصناعية و التى كان منوط بها اعادة انتاج المجتمع المعبر عن مصالح الاخير مهددة بالبوار. الا ان حركات شعبية لا منظمة حسب تعريف المحافظين الجدد و اسلافهم الباكرة لم تلبث ان راحت تنشا عشية الحرب العالمية الثانية و بعدها تباعا. و لعل الحرب العالمية الثانية كانت فيما كانت بمغبة فزع كل من الرأسمالية و الاشتراكية القومية من مثول الحركات الشعبية خارج الاحزاب التقليدية.

فرغم ان المحافظين الجدد قد تعينوا على تفريغ التنظيم الحزبي السياسى و الحركات المطلبية التى الفت استجابة للاحزاب المنظمة و ربما بسبب ذلك فقد نشأت حركات شعبية خارج كل من الاحزاب و الحركات المطلبية مما يلاحظه الناس اليوم اكثر من اي وقت مضى افى كل مكان. فمع شبكة المعلومات من جوجل Google و تويتر Twitter فقد باتت الاخيرتين اداه تنظيم كل من الثورات الشعبية التاريخية الموصوعية و الثورات المضادة مثل الثورات الملونة مما يلاحظه الناس فى كل مكان. ذلك ان قاطرات الدفع الالييكترونى Drive Engine "يسرت للناس تنظيم" انفسهم خارج الاحزاب السياسية التى عهدها المحافظون الجدد و عصفوا بها فلم تعد سوى محارة فارغة باعتقاد انهم يملكون بذلك ناصية الساحة السياسية و الايديولويجة التنظيمة جميعا باخصاء كل بديل تنظيمى و فكري معا.

المهم فقد كان المحافظون الجدد قد راحوا يدعون باكرا مفردات اليسار التقليدي الممقصل ذاك فاعادوا تعريفها تكاذبا بان حقنوا تلك المفردات بما هو مغاير لمحتواها التاريخى و الموضوعي. و لم يعد معدى من ان ينكر المحافظون الجدد و تنويهاتهم كل ما عدى المفردات–المعدلة الممفصلة المزوقة Euphemized تزويقا–على من عداهم. و كان المحافظون الجدد و حواريهم حريون بان يصادروا كل

محاولة لتعريف مفراداتهم على غيرهم تحت راية موت الايديولوجية فى حين ان لم يكن ثمة اكثر ايديولوجية من ايديولوجية السوق الاصولية التى تمأسس فوقها مشروع المحافظين الجدد.

و من المفيد تذكر ان المحافظين الجدد كانوا قد تمأسسوا فوق اقتصاد او لا اقتصاد السوق و ما كان قد سمى فى الثمانينات بالاورثوذوكسية الجديدة Neo-Economic Orthodoxy او اقتصاد دعه يعمل دعه يمر Laissez faire laissez passez او الفيريوقراط الجدد New Physiocrats و هو فورا و اختصارا ليس سوى تنويع على ما يمكن ان يعرف بالرأسمالية ما بعد الصناعية خصما على رأسمالية الانتاج السلعى بالضرورة و على البرجوازية الصناعية بالنتيجة–مما اعرفه فى السياق تباعا..

و عندما اعلن فرانسيس فوكوياما موت الايديولوجية فى مناخ سقوط الاشتراكية بصورة دائمة او مؤقتة حسبما تري(ين) راح معظم المفكرين و المثقفين العرب خاصة يحتفل بموت الايديولوجية الاشتراكية. و كان الليبراليون الجدد فى تنويعتهم الانجلو امريكية و هى المحافظين الجدد قد اخترقوا ادارة رونالد ريجان على نحو غير مسبوق و تعينوا فى ثمانينات القرن العشرين على كل من:

–اختراق المنظومة الاشتراكية بصورة غير مسبوقة.

–خلق شرط ازمات النمور الاسيوية ثم اليابان منذ تسعبينات القرن العشرين.

– احلال شرط مثول ما يشارف ازمة اسواق المال العالمية التى يلاحظها الناس فى كل مكان منذ صيف 2007 و تباعا.

المهم فورا كان من اهم قباطنة المحافظين الجدد فى الثمانينات اللورد أوليفر جولد سميث Oliver Smith ورئيس اركانه مايكل ميلكين Michael Milken. وحيث راح الاخيران يلحقان انفسهما بالادارة الامريكية 41 للرئيس ريجان خفية الا انه لم يكن وقتها ثمة من يعرف كثيرا عن ظاهرة المحافظين الجدد و لا عن اجندتهم و ان كان خطابهم قد راح ينتشر فيما يسمى بالريجانو اقتصاد–Regano-economics. و كانت الاخيرة تنويعة فطيرة بعد على الرأسمالية ما بعد الصناعية. ذلك انها لم تكن وقتها تجرؤ على النطق باسمها. هذا و قد راحت ظاهرتى المال الجديد و اصحاب المال الجديد–مما يراكم ببيع الاوهام و المال كسلعه خصما على المال القديم–اى المراكمة بالرأسمالية السلعية او–و بالمال الموروث تحتل مكان الاخيرة. و قد راح المال الجديد ينفى شرط احقية الاستقرار فى الارض بالاسبقية بين الاسر الامريكية القديمة و الارستقراطيات الاوربية الغربية الكلاسيكية لحساب اوليجاركيات مالية بائنة راحت تبتاع المناصب و الالقاب الارستقراطية و تجتاح كافة المراكز العليا فى كل مكان.

و كان اوليفر جولدسميث Oliver Goldsmith يشترى املاك الاسر الامريكية القديمة واصحاب المال القديم كما تعين على كسر عضلة الحركات المطلبية فى كل من الولايات المتحدة و بريطانيا و الاتحاد السوفيتى. و كان ميتكين يتعين على خلق شرط نشوء ظاهرة ما اسميه بالمال الجديد New Money خصما على المال القديم Old Money ببيع ما كان يسمى "اسهم القمامة" Junk shares

و هى اسهم وهمية ازعم انها تتويع باكر على الاسهم السامة Toxic shares التى خلق بيعها سفر تكوين الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007.

حزب الاوليجاركيات المالية و الكلام الذى لا يقول شيئا:

لا يؤسس الاوليجاريكون احزاب معلنة الا ان اوليجاريكين راحون يؤسسون احزاب معلنة منذ ثمانينات القرن العشرين. فقد اسس اوليفر جولدسميث حزب المملكة المتحدة المستقلة United Kingdom Independence Party-UKIP. وقد تعين حزب المملكة المتحدة المستقلة على مواجهة كل من منظمة الوحدة الاوربية و المنظومة الاشتراكية. و فد اخذ الاخير بنشأ صاعدا خصما على الاحزاب القديمة منذ اندلاع الازمة الراهنة و قد كفر الناس بالزعماء الحزبيين القدامى منذ عشية الازمة و مع فضائح و فساد الساسة بصورة غير قابلة للتستر عليها. و قد حولت تلك الفضائح الى ستار دخان يخفى وراءه الفضيحة الكبرى و هى نهب ثروات و اموال العالم لحساب جماعات بقيت غامضة فيما تعين خطابها على التعميش على الواقع حتى الان. فقد خرجت مثلا جماعات اوليجاركية و معها اموال هاربة من ايسلندا فى 2009 ومن اليونان 2010 مثلما كانت قد فعلت من الارجنتين ابان ازمة الاخيرة بداية 2001.

ولما كان الاعلان عن تلك الاحزاب–الاوليجاركية– لا يعنى شيئا طالما ان اللغة التى تستخدمها تزويق للواقع و لحقيقة تلك الاحزاب فقد غدى لزاما اكثر ما اي وقت مضى على تلك الاوليجاركيات كعهدها فى كل مرة اللياذ بقاموس و لغة و مفردات و مفهومات غير قابلة للتعريف و الا خسر اصحاب مثل ذلك الخطاب و اجندتهم كل شئ تقريبا. و عليه فقد بات على لغة الاوليجارك ان تؤدى واجباها فى تزويق الواقع و الحقيقة طائعة. و قياسا فقد اشيعت المفاهيم المنغلقة Close-ended على نفسها غير القابلة للتعريف اكثر ما شاعت فى لغة المال و لغة العولمة. و قد شاعت تلك اللغة و ملحقاتها من البراديجمات و الادعاءات "العلمية" فى كل مكان من اوربا الشرقية بداءة و فى التوسعات الاخرى بعدوى انتقال اجزاء ثقافية او جاهلية بمحض وسائل الاتصال التى كانت قد راحت تتسع مع شبكة المعلومات على نحو غير مسبوق.

و من المفيد تذكر ان مشاعر الفرد لا تتخثر فى المجتمعات المهزومة بالرأسمالية فى الهوامش و خدها جراء غياب اى سبيل الى التعبير عنها بصورة رصينة. ذلك انه ما ان تحورت المجتمعات الرأسمالية الغنية الى نظم تشارف التوتاليتانية و الشمولية على طريقة جورج اورويل فقد راحت النظم التوتاليتانية تتحكم فى فكر و ذهنية الفرد بتسطيح مفردات اللغة التى يستخدمها الفرد العادى وغير العادي عالبا و تكريس سوء الاستخدام Abuse اللغوي و التعبيرى اللا متناه خصما على القول والفكر العميق.

و قياسا حيث لا يملك الفرد التخلص من المفردات التى قد تضطهده او–و لا تعبر عنه فانه يبقى رهين لها. و تتدهور اللغة مع انحطاط الحضارة او الثقافة فيما ما تنفك لغة الشارع تحتل الثقافة.

و قياسا فقد تعينت الصحافة على مفاقمة انتشار استخدام الكليشيهات و غثاثة اللغة. هذا و يلاحظ كيف ان الرأسمالية–المالية على الخصوص– تعينت على مأسسة اللغة بادعائها واحتكارها عن طريق التلفاز و الصحاقة و الادب و قد باتت معظم الاخيرة مملوكة لرأس المال المالي, و قد باتت الاستخدامات الشائعة و المبتزلة تردد دون ان يتعين التعبير عن اطراف من الحياة اليومية للناس العاديين على التفريق بين الفاجعة و المصيبة و المهزلة و حادث الحركة البسيط.

هذا و لعل تنويعات على التطورات و الاحداث اعلاه يمكن التعرف عليها فى بقية المجتمعات الاوربية الغربية و الشرقية بمزيد من البحث. ذلك اننى لا ادعى التبحر بصورة كافية فى معظمها بقدر ما ادعى معرفة بريطانيا نسبيا و قد عشت بها ما يشارف 40 عاما عاصرت خلالها اهم الاحداث التى المت بها بعد الحرب العالمية الثانية. فقد عاصرت قيام و مثول امبرطوريات الكلام الذى لا يقول شيئا مثلما عاصرت نشوء ظاهرة الليبراليين العرب و المسلمين الجدد–بخاصة فى المنافى. وشهدت كيف يلتزم الاخيرون عقلانية من لا سبيل امامه الا سراط ما يأتيه من بين يديه و من امامه من طوفان سقط القول الذى قد يعلو باجنحة من الترديد اليومى. ذلك انه ان فتحت صنبور تدفق الاخير منه بائتا بائرا بلا احتشام.

و يعول الليبراليون–العرب–الجدد على ارتفاع نسبة الامية–التى قدرت صيف 2008 باكثر من 17 مليون فى المجتمعات العربية و الاسلامية–فى تمرير مقولات بمفردات خطاب المحافظين الجدد و قد تمأسس الاخير فوق لغة مائعة و القة فى وقت واحد. و فيما قد لا يدرك بعض الليبراليين العرب والعالم ثالثيين الجدد–بالقدر الكافى–مدى تخاتل مفرادات خطاب المحافظين الجدد فانهم يستقوون بمؤسسات الاخيرين و بسلطتهم على من عداهم بوصف ان تلك السلطة سلطة من اجل الخير و التقدم و الدمقرطة الخ تكاذبا بالطبع. و بالمقابل يوخذ صغار الباحثين و الشباب بتلك المفردات الالقة مما قد لا يقيض لمعظمهم فك مفصلته. و يعاد تدوير Recycle تلك المفردات مجددا فى ظاهرة الحديث الذى لا يزيد على الساقية التى بلا ماء كما فى كل مرة.

و من اشد ما يشوق المرء(أة) مشاهدة و سماع بعض الليبرايين الجدد اذ يبدون و كأنهم كائنات آلية مبرمجة او معدلة جينيا فى افضل الشروط و–او طلاب نجباء يسمعون مقرراتهم المدرسية فلا يجرؤون على الخروج عن السطر المسطور ناهيك عن النص Text الذى غالبا ما لا يفهمه معظمهم و لا حاجة لذلك عقلانيا. فالمهم تكرار المطلوب كالاسطوانة المشروخة. و قد يمارس بعضهم رياضة اكاديمية Academic Exercise و قد تكتفوا بمناهج بحث تخرص السنتهم و تصادر كل امكانية ان وجدت للابداع. اذ كيف يبدع اذن من تعين عليه السير فوق قطبان اكاديمية و مهنية التزاما بما يسمى الحيدة العلمية Intellectual neutrality و تفادى الاحكام القيمية Value free judgement اللتان تزودانه بالتخاتل المطلوب فى كل مرة و الا سقط من فوق سلك المخاتلة المشدود كونه مبرمج.

و يراوغ الباحث المحايد ذلك مقارنة مع التحييز الواعى مع موضوع البحث بحيث يتحد موضوع البحث و الباحث كما تقول ماريا ميز Maria Ames[18] فلا يقول شيئا ويتعين على نكران الحقيقة بحماس مدهش. و من الغريب المفيد تذكره فى وقت واحد هو ان الليبراليين الجدد عندما يستمثلون بعض طوائف او تنويعات الخوارج او المعتزلة او الاشاعرة مثلا يغفلون ان الاخيرين كانوا يحكمون من وراء الستار وكانوا صناع الملوك King Makers مثلهم مثل الاوليجاركيين المعاصرين كروبرت ميردوخ و ريتشار بيرل و بول وولفوفيتش و غيرهم ممن اذكره فى مكان اخر. و كان الخوارج و المعتزلة وتنويعاتهم حكموا الخلافة العباسية و اواخر ملوك الاندلس و صولا الى الخلافة العثمانية.

المحافظون الجدد وعدوانية سياسة امريكا الخارجية[19]

يقول البعض ان مفردة المحافظين المختصرة **Cons** وقد اردفت بها كلمة الجدد بالانجليزية اى **Neocons** تعنى اليهود **Neocons con is short for 'conservative' and neo is short for 'Jewish'** ويقول باري روبين Barry Rubinان المحافظين الجدد تزويق مستهين للعداء للسامية ذلك ان مفردة pejorative: the neoconservative label is used as an anti-Semitic المحافظين الجدد هى شفرة او استخدام متستر للاشارة الى اليهود. فقد كان المعادون للسامية قد اتهموا اليهود بانهم اودوا بالاعمال الكبرى(لعله يقصد القومية و الدولة القومية) فى القرن التاسع عشر و اخترقوا الشيوعية فى القرن العشرين. و يردف باري بان اللعبة او الخدعة اوالحركات الحالية تعبر عن نفسها فى ان تلك الجماعات هى نفسها التى تقف وراء التدخل خصما على المشاريع المتصلة بالحياة العامة لبعض الشعوب على مر الزمان و يؤكد باري ان الحركة الحالية التى قادها اليهود لم تكن لصالح الشعب الامريكى و انما من اجل مصلحة اليهود واسرائيل[20].

و يعرف المحافظون الجدد انفسهم بانهم اتباع فلسفة سياسية Political Philosophy وقد نشأت حركة المحافظين الجدد بهذا الوصف فى الولايات المتحدة و تدعى انها تساند قوة امريكا الاقتصادية و العسكرية من اجل نشر الليبرالية و الديمقراطية و حقوق الانسان فى المجتمعات الاخري. ويقول المحافظون الجدد انهم عكس المحافظين التقليديين Traditional Conservatives اذ يدعون انهم لا يرون غضاضة فى دولة الرفاهة فى حين يشجعون حرية السوق و فى نفس الوقت يدعون انهم لا يمانعون فى التدخل لحساب القضايا الاجتماعية و اكثر يحجمون عن ذكر تعالق حرية السوق و الازمة المالية الماثلة منذ نهاية العقد الاول للالفية الثالثة رغم سقوط نموذج التنمية الامريكي. فقد اعترف نبى او كبير عرابي الماليين اللان جرينسبان Alan Greenspan محافظ البنك الفيدرالى الامريكي بفشل اقتصاد حرية السوق التذي يتمأسس فوقه نموذج التنمية الامريكى. و قد وقف جدريسنبان الخميس 8

ابريله 2010 امام لجنة تحقيق حول دوره فى تكريس شروط التسونامى المالى اى الازمة المالية التى حاقت بالعالم اجمع منذ صيف 2007 و قد بقيت ماثلة حتى صيف 2010.

و كانت مفردة المحافظين الجدد قد استخدمت فى وقت ما على سبيل نقد للمنادين بالليبرالية الامريكية الحديثة American Modern Liberalism و لم يلبث المحافظون الجدد ان طوحوا الى اقسي اليمين حتى شارفوا التطرف فى توريطهم الادارات الامريكية بخاصة 41 و 43 فى سياسات مدمرة. و يذكرك المحافظون الجد في ذلك و خلافه بالخوارج السياسيين مع العباسيين و اواخر الاندلس الخ.

المهم فورا كان مايكل Michael Harrington هارينجتون الديمقراطي الاشتراكى الامريكي قد نحت مفردة المحافظ الجديد فى 1973. فى مجلة العصيان|Dissent Magazine . فى مقال بخصوص سياسات الرفاهة Welfare policies. ويقول أي جي ديون E.J. Dionne ان حركة المحافظين الجدد كانت مدفوعة ابان بزوغها بفكرة ان الليبرالية قد فشلت و لم تعد تدري الى اين هى سائرة او بما تتحدث به. و قد باتت مفردة المحافظين الجدد موضوع تغطية اعلامية متزايدة على عهد الادارة الامريكية 43 تحت جورج ووكر ربوش . و كان التركيز على تأثير المحافظين الجدد على سياسة امريكا الخارجية فيما يتصل خاصة بما سمى تعاليم بوش. Bush Doctrine مما كان قد بلغ مداه فى اجتياح العراق.

و كان ايرفين كريستول Kristol اول من ادعى المفردة و يعتبر مؤسس حركة المحافظين الجدد وقد كتب كريستول اراءه حول المحافظاتية الجديدة Neo-conservatism فى 1979 فى مقال بعنوان اعترافات محافظ جديد حقيقي "Confessions of a True, Self-Confessed Neoconservative."[1] لا ان افكاره كانت قد راحت منذ خمسينات القرن العشرين تتحور تباعا و بخاصة عندما اسس و حرر مجلة الانكونتر Encounter و كان نورمان بودهوريتس Norman Podhoretzبدوره من مصارد تلك الحركة و كان محرر الكومنتريCommentary من 1960 الى 1982 و كان يسمى نفسه محافظ جديد فى نيويورك تايمز مجازينNew York Times Magazine في مقال بعنوان هلع محافظ جديد جراء سياسة رونالد ريجان الخارجية. و قد اسس وليام كريستول ابن ايرفين كريستول مشروع القرن الامريكى الجديد. Project for the New American Century

معنى المحافظاتية Conservatism و تداعياتها:

لعله من المفبد تعريف مفردة المحافظين وجيزا ذلك ان معظمنا يحتفظ برأى مسبق فيهم و يعقد البعض ان التورى Tory و المحافظين شئ واحد. و من تنويعاتهم الجمهوريين الامريكان و الاحزاب المسيحية الاوربية. و يدعى المحافظون التعين على المحافظة–انتقائيا غالبا– وعلى الظواهر التى تعبر عنه. و قياس فانهم يعيدون انتاج المحتمع و الظواهر المواتية للمشروع المحافظ بانلظر الى مراحل تطور

التشكيلات و الطبقات الرأسمالية الحاكمة. و فى مشروع اعادة انتاج تلك و الظواهر و التشكيلات تتضطر تنويعات المحافظين الى تزويق تلك التشكيلات و الطواهر فتطلق عليها ما قد ييسر عمليات وراثة السلطة. و ازعم ان التزويق Euphemism و كان قد بدأ يتمثل فى الخطاب السياسي منذ القرن التاسع عشر على يدى المفكرين المحافظين المتأخرين. و ازعم ان التزويق تتويع على المجاز و ربما الكناية مما تعين عليه الخوارج و المعتزلة فى تمرير الكلام قبات الكلام يقول غير ما يعنيه تماما مثلما كان من قول المحكمة بين على و معاية بالبيعة و الاختياز فكشفهم علي واصفا اياها ب "قولة حق اريد بها باطل" مما اناقش بعضه ادناه

المهم فورا باتت معظم احزاب اليمين و اليسار رهينة للرأسمالية و بخاصة المالية فلم يعد يهم كثيرا يهم كثيرا أى "الحزبين الكبيرين" يصل الى السلطة. ذلك انه ما بين جورج ووكر بوش و باراك اوباما و بين تونى بلير و مارجريت ثاتشر و بين غردون براون و ديفيد كاميرون محض تفاضيل تحييدها لغة ممفصلة وخطاب مهمته تمرير السياسات المواتية للمراكمة المالية اكثر من اى شئ اخر خصما على اغلبيات المتنجين للفائض. و تتفاقم تلك الحالة تباعا كما يلاحظ الناس فى كل مكان مع انتشار الوعي و تناقص الموارد و تكريس الثورة فى ايد اقل فاقل و مع الازمات التى جائت لتبقى طويلا.

و يصدر المحافظون عن جملة مفكرين اهمهم اصحاب نظرية او سياسة اللاكمال او الخلل Politics of Imperfection. و كان معظمهم يؤمن بعدم كمال العامة و ينكر عليهم القدرة على الفهم. من مفكري المحافظانية ايضا دعاة التنوير مثل ريتشارد هوكر Hooker (1554–1600) و ديفيد هيوم (1711–1776) و منهم دعاة حالتجارة الحرة ادم سميث (1723–1790) ومنهم دعاة افضلية تقليض هوامش الدولة–او العكس احيانا حسب التصاريف و الظروف و مصلحة المحافظين بوصف الاخيرين اصحاب مصالح مالية غالبا فهم من كبار حملة الايهم و اعضاء مجالس ادارة البنوك و الشركات الكبرى الخ. و لا يرى المحافظون جدوى فى المجتمع المدنى فينعيونو على محاصرة فضاءه.

و منهم مفكري المحافظين الاوائل ن ادمون بيرك Burke(1729–1797) ومنهم الاميريكى فريدريك حايك Hayek (1899–1992). و يتصل المحافظون البريطانيون ببينجامين ديزرائيلي 1801–1881. فقد كان هو المسئول على عهد الملكة فيكتوريا عن انشاء و تكريس ظاهرة حزب المحافظين فى 1846 من قلب عباءة ما كان يسمى بالتورى Tory او–و الويجز او ذوى الباروكات Whigs كما كان من اهم الاباء الاوائل لحرية السوق. و قد تحولت حرية السوق الى عقيدة منذ حايك عبورا بديزرائيلى وصولا الى فريدمان الخ. ومن المهم تذكر ان ديرزائيلى الذى سيطر على السلطة كرويس وزراء على مدى اكثر من 3 عقود كان قد تعين على سن قوانين عديدة كانت حرية بان تقيض بداية نهاية البرجوازية الصناعية لحساب الرأسمالية ما بعد الصناعية.

و قد خرجت من افكار حايك و ديزرائيلى فكرة امبريالية ذوى الباروكات Whigs Imperialism و ان كانت اخيرة تعود اصلا الى كل من ادموند بيرك و هيوم وصولا الى ميلتون فريدمان فمارجريت ثاتشر و

ريجان. فقد تحولت الاحزاب المحافظة من المحافظة بالتعريف اعلاه الى الليبرالية الكلاسيكية الجديدة او الليبرالية الجديدة او ما بعد الليبرالية التى اطلقت العنان لحرية السوق–على يدي الاخيرين–بمعنى دعه يعم دعه يمر–اى ان افضل حكومة هى اقل حكومة– –و ذلك ابان الاستقرار حيث يعودون و يستدعون الدولة لانقازهم بان الازمات المنوالية. و كأنهم يرجعون قول الخوارج بالا حاجة للامة لخليقة فى زمان السلم. هذا و يضيف جوناثان داربشير Derbyshire ان كل من فريدمان و حايك وراء تحول .حزب المحافظين البريطاني مثلا نحو سياسة تدمير أهم المؤسسات المدنية البريطانية التاريخية على مر مسيرة ثابتة و مخططة تماما[21].

و فى تحوراتهم يجأر المحافظون انهم تقدميون و قياسا تدعى المحافظاتية اليوم انها باتت تقدمية[22]. ذلك ان الفراغ الذى خلفه انكسار النموذج ما بعد الليبرالى و لم يعد ثمة سبيل امام احزاب الطريق الثالث كحزب العمال الجديد و الحزب الامريكى الديمقراطي حتى ادارة بيل كلينتون. و يصدر هذا الادعاء عن فكرة ان المحافظين فى تكريسهم لبقاء المجتمع على ما هو عليه مع اعادة انتاج ما يصاب منه بالعطب على هيئة افضل يتعينون من ثم على الابقاء على المجتمع خال من المؤثرات الثورية الضارة بمصالح فئات بعينها. و يقولون انه كاما نبتت شجرة جديدة يانعة من بقايا شجرة سقطت فماتت فان المحافظين يعيدون غرس شجرة مماثلة بمعنى اعادة انتاج ما يرونه من مكونات المجتمع البالية فى هيئة جديدة في كل مرة. و من هنا جائت فكرة التقدمية الى المحافظاتية و الاحرى تزويق التقدمية بوصفها من طبع المحافظاتية اصدارا عن معظم المفكرين المحافظين الباكرين.

و طبعا لا يتجاوزون ذكر اى تفاضيل حول ما يخلفونهة ورائهم و ما يقضون عليه و ما يجددونه او حتى يختلقونها من ملامح المجتمع و غير ذلك مما اعرفه بالتحور او التشوه الذى يلحقونه بمكونات المجتمع او–و ما يطلقون عليه من المسميات ما ليس له منها اى صلة.

و ازعم ان مثل تلك اللغات تتستر على اختلاق و تلفيق ظواهر اجتماعية اقتصادية و احلالها مكان اخري مثلما يفعلون مع الحركات الاجتماعية الشعبية. فمثلا يخلقون حركات فكرية تنظيمية مزوقة مثل ما بعد الحداثة و النسوية المغالية. كما يتخفون على ما يفعلوه بالحركات العمالية و التنظيمات الشعبية بتكريس اسباب احباط شرط نشوء فنضوج الوعى الاجتماعى. و الاخطر ينكرون انهم كثيرا ما يقضون على مؤسسات بعينها من مؤسسات المحتمع قضاءا تحت شعارات باهرة و القة مثلما يتعينون على خصم الديمقراطية ما بعد الليبرالية–الدمقرطة و تنويعاتها بالخصم at the expense of على الديمقراطية التى نعرفها و التى ناضلت الشعوب من اجلها مئات السنين.

المحافظاتية فى مرآة خصومها

يستخدم من يسمون بالمحافظين الشاحبين Pale-conservatives و الديمقراطيين الليبراليتيين Libertarians مفردة المحافظين الجدد بذراية و يقفون من الاخيرين موقفا يشارف العداوة احيانا بخاصة فيما يتصل بارائهم حول سياسات امريكا الخارجية العنيفة. وينتقد اليسار المحافظين الجدد كونهم يشجعون سياسة امريكا الخارجية العدوانية ويجادلهم اليسار فيما يتصل بمثابرتهم على السياسات الاوحادية و تجاوز الاجماع الدولى عبر المنظمات الدولية مثل الامم المتحدة. و يرد المحافظون الجدد تكاذبا بانهم يتشاركون واليسار الاعتقاد فى فكرة ان الامن القومي يمكن تكريسه على افضل صورة عن طريق تفعيل الحرية والديمقراطية فى الخارج بوصف ان ذلك تكريس لنظرية السلام الديمقراطي The democratic Peace Theory a.

وتعنى تلك النظرية تشجيع الحركات الديمقراطية تخاتلا و تشترط المعونات الاجنبية و التدخل العسكري احيانا. و اجادل ان من اهم المنظمات المشبوهة التى تنشر و تكرس الديمقراطية المتخاتلة تلك او الدمقرطة بالاحرى على سبيل التمكين من اعلا الذى ذكرته فى مكان اخر–بيت الحرية House of Freedom. و يفصل الاخير ثورات ملونة على مقاس كل حالة Designer revolutions من الثورات الملونة من المخملية التى اودت بالجمهوريات الاشتراكية سابقا الى البرتقالية فى بعض دول القفقاز والزرقاء او البنفسجية فى العراق الى ثورة الازر فى لبنان وثورة الزنبقThe Tulip Revolution فى كارخيزيا و الثورة الخضراء فى ايران صبيحة اعلان نتائج انتخابات يوبيو 2009.

هذا و كان لخروج المحافظين الجدد على نهج و سياسات المحافظين التقليديين تأثيره على ضمان مساندة ما يسمى بالانظمة الصديقة للسياسات الامريكية عن طريق التجارة و العداء للشيوعية. فقد خصمت سياسة امريكا الخارجية العدوانية على الانظمة الديمقراطية القائمة وهددت باحتمالات عدم استقرار الاخيرة بل بالدفع بذلك بفعالية نشطة. و يقول بول بيرمان **Paul Berman** فى كتابه الارهاب و الليبرالية ان حرية الاخرين فيها ضمان لامننا. دعونا نكون فى صف الحرية من اجل الاخرين. الا ان الجمهوريين يناهضون مشروع اوباما للتأمين الصحي بما قدر ب 50 مليون امريكى –و فى زيادة–على انه معاد للحرية, و الحرية التى يشار اليها هى حرية شركات الكيماويات والاطباء و المحامين وغيرهم من اصحاب المصالح فى الابقاء على الاغلبيات حيث هى.

ذلك ان الحرية التى يتحدث عنها اؤلئك لا تعنى الحرية التى نعرفها و انما هي حرية اقليات خصما على اغلبيات منتجي الكفاف و الحياة فى كل مكان و قد فاق الاخيرون ما قدر بداية خريف 2009 مليار نسمة و لا يكسبون ان كسبوا سوى دولار فى اليوم. و ان عبر هذا الاستقطاب عن نفسه فمن شأنه ان يخلق شرط انتفاضات لا تبق و لا تذر. و قياسا فقد بات لزاما محاصرة تلك المجاميع بكل من قوانين الامن و محاربة الارهاب و بتدريب الشرطة على حرب عصابات المدن تحسبا لما هو ات و الى ذلك تلغيم اللغة فلا يستبان خطأ او فاحشة ترتكبها تلك الاقليات الغامضة من الاوليجاركيات العولمية و

حواريهم ومواليهم و خدامهم و ازلامهم من الليبراليين الجدد بحق الاغلبيات فى كل مكان. فما هى التنويعات الاكثر شيوعا لليبراليين الجدد؟

تنويعات الليبراليين الجدد Neo-liberal :

اجادل الا ينبغى وضع الليبراليين الجدد فى سلة واحدة او تكويمهم فى كومة واجدة. ذلك ان بعض جماعات الليبراليين الجدد تدعى انها خطت خطوة بعيدا ان الليبرالية الكلاسيكية فباتت تؤمن بالضرائب التصاعدية للتعويض عن عدم المساواة فى قدرة الافراد على التفاوض فى السوق على الاجور وغير ذلك و لكي توفر مكافئات ما بعد الخدمة و بعض السلع و الخدمات العامة الى اشكال التأمين الاجتماعى الاخرى. و يرى الاخيرون الى ذلك أن حق الملكية مشروط ببعض المصالح العامة و القيود فهو بهذا الوصف ليس مطلقا[23].

و يعبر الفكر الليبرالي عن فضاءات واسعة من الافكار والمعتقدات مما قد يستعصى تصالحه فيما بينه. فقد حمل الفكر الليبرالي فى احشائه تناقضات عديدة لم تحسم بعد. و ازعم ان الليبراليين الجدد قد يؤلفون تخاتلا–فى زمان الشدة التى حاقت بمجتمعات الاقتصاد ما بعد الصناعى– تنويع من الانقطاع على اسلافهم الليبرليين الكلاسيكيين. من ذلك ان بعض الليبراليين الجدد يزعم انه يؤمن بالضرائب التصاعدية و درجة من اعادة التوزيع الفارق Differential redistribution الا ان ذلك لا يخرج عن سياق شرطيات الرأسمالية المالية اكثر من اي شئ اخر و ليس باتجاه التخطيط المركزي او الموجه اشتراكيا مما قد يتضح فى لغة اليمين ويمين الوسط.

تواطؤ لغة اليمين و يمين الوسط :

اجادل ان اليمين و يمين الوسط يتفقان على مفهوم للتمكين سواء فرديا او جماعيا من اعلى. ذلك ان الاوليجاركيات التى يخدمها اليمين و يمين الوسط تستدعى مفاهيم اتصلت منذ نشوء الاوليجاركيات بارستقراطية علاقة الاوليجاركيات بالشعوب المحكومة. فالاوليجاركيات الارستقراطية وبخاصة المالية تمكن Empowers و تستعبد هى من تشاء و من تمصل دوره مؤقتا خصما على من عداه و تنفى شرط اى حراك خارج قوانين تحكمها هى فى المجتمع الذى تحكمه مباشرة او–و تتحكم فيه من وراء ستار حكام يسمسرون لحساب الاوليجاركيات كما يلاحظ الناس فى كل مكان بقليل من امعان النظر. و حيث تلحق النخب نفسها بالاوليجاركيات فانها تعيد انتاج طاقم قيم الاخيرة و علاقتها بالشعب. بل قد تزاود بعض جماعات النخب على الاوليجاركيات فى تنافس جماعاتها فيما بينها. فالنخب اما بدايات رخوة خديجة–بمعنى جنين غير مكتمل النمو–او–سفر تكوين ما بات يسمى منذ القرن الثامن عشر وحسب بالطبقات المتوسطة و قد اعرفها بالوسيطة فى مكان اخر. فالنخب بهذا الوصف تستدعى انماط سلوك و دوافع و تطلعات الطبقات الوسيطة.

وتبقى الاخيرة محتارة زائغة البصر بين التعلق باهداب الاوليجاركيات من ناحية و انتحال التعين على الدفاع عن مصالح الشعب من ناحية اخرى فى محاولتها تثمين نفسها وكأنها الاكثر احقية بالندية مع

الاوليجاركيين دون غيرها بين صفوف الشعب. و بالمقابل تستقطب النخب الشعب من وقت لاخر لزيادة عددها هى و تكريس قوة متخيلة فى الواقع فتقوده خصما على زعاماته الشعبية التاريخية الى متاهات سياسات غير معرفة. و تتضح صورة النخب الماثلة فى زعامات الاحزاب و قد اخصتها الاولجاركيات فجعلت الساسة محض مقاولين من الباطن مثل اسطوات عمال التراحيل. ذلك انه لم يبق للساسة كما يلاحظ الناس فى كل مكان سوى سوق الجماهير خلال الحملات الانتخابية من اجل قبول برامج لا تخدم الا قليلا سوى الاوليجاركيات. و لعل هذا الدور يفسر ما يشارف تماثل لغة اليمين و يمين الوسط فى المجتمعات الغنية و المفقرة على السواء.

دور المقاولين من الباطن فى سياقة الجماهير:

ازعم ان دور المقاولين المذكورين غالبا يعبر عن نفسه فى التحولات الحالة فى الخارطة الذهنية و معمار لغة الاحزاب بغض النظر عن الوانها الساسية. الساس. فثمة لغة مشتركة بين الاحزاب البريطانية مثلا كاعادة التوزيع مهما كان فارقا. و تستدعى مفاهيم اعادة التوزيع الفارقة تلك سياق الرأسمالية المالية و تصدر عن شروط الاخيرة–اى من اعلى خصما على الحركات الشعبية والتنظيم الشعبي. فاعادة التوزيع الفارق تلك لا تصدر بالنتيجة عن مفهوم الملكية الجماعية لوسائل الانتاج. و قياسا تخصم دمقرطة شعوب العوالم الثالثة و الرابعة و العصر حجرية من اعلى على الفكر و التنظيم الشعبين. ذلك ان اليمين ويمين الوسط–بل اليسار احيانا يتفقان على تمكين احاد الافراد من اعلى.

و يختلف اليمين و يمين الوسط حول الشكل الذى يتخذه ذلك التمكين و من يمكن من الفئات الاجتماعية. و يلاحظ بقليل من امعان النظر كيف تتحدث معظم ان لم يكن كافة الوان الطيف السياسى عن تمكين الفرد دون ذكر القدرة الفكرية و التنظيمية للعمل الشعبي و لا يتفق اى منهم حول تعريف المجتمع المدنى و لا على اعادة توزيع الثروة ابعد من رفع الضرائب و ما يسمى توسيع قاعدة الملكية الخاصة و ليس ملكية وسائل الانتاج. و يبقى الفرق بين اعادة التوزيع ماركسيا مما يتمأسس فوق الملكية الجماعية الاشتراكية لوسائل الانتاج من ناحية و توسيع قاعدة ملكية الاصول و العقار او تشارك رأس المال من ناحية اخرى فى ان الاولى لا تفرق بين الناس و ان الثانية ترهن العدالة الاجتماعية الاقتصادية بالملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج. ويتضح الفرق بالنظر الى ان االماركسية او الاشتراكية اوحتى الاقتصاد المخطط مركريا يصدر عن جماعية و اشتراكية الفكر والتنظيم فيما يصدر توسيع قاعدة الملكية الخاصة عن تفريد الفرد.

هذا و قد يتفق كل من اليمين و اليسار الجديدين من حيث ان الملكية الخاصة حق انسانى بوصفها الاساس المادي للفكر و التنظيم الراسمالي وحجر ذاوية الاخيرة, و قياسا لا يبق الجمع التعسفي بين نقيصين لا يلتقيان هما الملكية الخاصة و الاقتصاد المخطط او تدخل الدولة فى الاقتصاد مما يعبر عن نفسه فى التأميم او فى القطاع العام اشباه مسوهة لاقتصاد الصين والفيتنام. ذلك انه ربما لم يعد ثمة اقتصاد اشتراكى بحق سوى اشتراكية كوبا. فقد اخترقت الاستثماارات الاحنبية اقتصاد كيرالا. فقد راح

مفهوم الملكية الخاصة يتنزل بهذا الوصف فى فكر وتنظيم باتا ممفصلان بحيث يعبران عن نفسيهما–و لو تخاتلا و انتقائيا و مؤقتا–فى الجمع بين الاشتراكية و اقتصاد السوق. والواقع ان البنك المركزي و الدولة والساسة–وقد اجبروا على التستر على ما حاق بالاقتصاد الحقيقي و بالعمالة وبعجز الموازنة العامة و الدين العام–لم يلبثوا ان راحوا يصدرون عما قد يتشتبه و كأنه التأميم.

الا ان ذلك لم يكن سوى محاولة انقاذ اقتصاد الظل او اللا اقتصاد اى الرأسمالية المالية ليس و حسب بالابقاء على البنى التحتية للاخير بحقن لغة الاقتصاد الحقيقي بمزوقات مفهوماتية لا اكثر و انما تتعنين الاوليجاركيات و مفكريها على تكريس بنى فوقية تعصف بالحربات المدنية و الحركات الشعبية و المطلبية. و بالمقابل تتعين الرأسمالية المالية على خلق شرط اشفاء الاحباط العام بحروب على الارهاب تحت راية حماية المصالح الغربية. الا ان الرأسمالية المالية–فى حمايتها لنفسها–باتت تدأر بالحرب على الرعب Terror و ليس على الارهاب[24].

ليبراليون جدد وليبراليون جدد:

يتعاطى الفكر المسيحي و كذا ما يسمى العلمانى الليبرالية بتنويعاتها. و يعود مفهوم الليبرالي و المحافظ الى المسيحية الافانجلية الانجلوامريكية على الخصوص كما الى الادب السياسي. و لا يعنى ذلك ان الكاثوليكية لم تمنى بالتطير من الليبرالية و او لم تتطير من الحداثة. فقد ورثت المسيحية الغربية بشقيها الكاثوليكي و معظم طوائف البروتستانت من اعراب الشتات العداوة للمفقرين وللشعوب. و حيث نشأت الليبرالية فى احضان البرجوازية الصناعية فان الاخيرة ايضا مسئولة عن نشوء الطبقات العمالية و انشار الحركات الشعبية و التحريرية مما كان مقدرا يوما انه سيقضى على البرجوازية الصناعية لحساب الاشتراكية و خصما على طبقات الحكام و البابوات. .

وكان الفاتيكان قد اجبر على التبرؤ من الليبرالية منذ خمسينات القرن العشرين و لم ينفك الفاتيكان ان اعلن ذلك فى 1962 و قد عقد ما يسمى مجلس الفاتيكان الثانى الذى ضم و ما يبرح يضم البابوات منذ البابا جون بول الثالث عشر وصولا الى البابا الحالي بينديكت السادس عشر. و كان بول الثالث عشر–و له قصة ليس هذا مجالها–قد أعلن نيته على مراجعة موقف الكنيسة من صلب المسيح فى 1953 بعد محض مرور 3 اشهر على تعينه. ولعل الكنيسة الكاثوليكية كانت قد تورطت طويلا فيما يسمى الحداثة المجدفة Heresy Modernism و الليبرالية الانجيلية biblical literalism فراحت الكاثوليكية مثلا تعمل على التخلص من ادرانها[25]

المهم يتقابل مفهوما الليبرالي و المحافظ فى كل من المسيحية و السياسة. و حيث يعبر الاول عن نفسه بصورة تقدمية يختلف بهذا الوصف عن الثانى الذى يبقى موقفه تقليدى. و ما يبرح تيار محافظ و اخر ليبرالي يعبر عن نفسه فيما يسمى فى الكاثوليكية بالمدارسية الجديدة Neo-Modern Heresy . و الى ذلك فثمة ليبراليين افانجليين جدد New Liberal Evangalists و ليبراليين جدد Neo-Liberals سياسيا واجتماعيا. و لك ان تلاحظ(ي)

الفرق الطفيف جدا فى هجاء كلمة "جديد" هذه . و يؤكد الليبراليون الافانجليون على تطبيقات الليبرالية على العقيدة ويتطيرون من الليبرالية الكلاسيكية.

وتعود الاخيرة الى القرون الوسطى و ازدهار حركة الافكار بين اوربا الغربية و الاندلس. وقياسا كانت حركة الفكر الغربية التى الهمها العرب والمسلمون حرية بان تقلق الكنيسة.[26]. فقد كانت فلسفة ارسطو–حول الطبيعة مما كان يسع كل شئ بما فى ذلك لانسان بوصفه جزء من الطبيعة–و قد جاءت عن طريق الفلاسفة و المعلقين العرب و المسليمن ;ابن رشد و ابن سينا تثير تطير الكنيسة.

وبالمقابل فلعل الليبراليون الجدد سياسيا و اجتماعيا يصدرون عن التنوير الباكر و عن عقلانية القرن الثامن عشر القاحلة Sterile Rationalism كما اعرفها تباعا و فى بحث اخر. و تتمأسس الاخيرة فى تنويعتها ما بعد الحداثية على السوق و نموذج التنمية الذي حول الفرد الى الية لمضاعفة الربح بالاستلاكية المفرطة. فقد جعلت الرأسمالية من المواطن مستهلك وتصفه بذلك. و يدعى بعض المحافظين الجدد تكاذبا انهم يصدرون عن برنامج اقتصادى اجتماعى لا يرى بأسا فى اعادة التوزيع الا انه يشترط لذلك توسيع قاعدة و مفاهيم الملكية الخاصة فى الاصول و العقار و رأس المال الخ أى عن طريق الملكية الخاصة قياسا على اشتراكية ملكية وسائل الانتاج.

ذلك ان اكثر ما يتطير منه الليبراليون الجدد–بوصفهم رأسماليون ماليون–ملكية الدولة او القطاع العام و يصيبهم كل ما يشارف التأميم بالزعر كما يلاحظ فيما يجري تباعا بين باراك اوباما و الكونجرس بشان برنامج الرعاية الصحية MediCare و بشأن تقنين نشاط المصارف المالية. ذلك انه ان اضطر اوباما الجمعة 22 يناير 2009 اعلان انه بسبيل تقديم مشروع للكونجرس يمنع حجم و ممارسات التجارة بين المصارف التى تسببت فى الازمة الاقتصادية فقد اندلع غضب مكتوم من قبل المحافظين الجدد و اصحاب المصالح . ذلك انهم ان جأروا بالاحتجاج على المشروع افتضحت علاقتهم بشارع المال فى وقت فقد فيه الاخير كل مصداقية.

و يرفض اوباما الخلط بين الاعمال الموضوعية للمضارف و بين المضاربة باموال و مودعات اصحاب الاسهم و السندات و صناديق المعاشات اى مدحرات ما بعد الخدمة. و يترتب على ذلك كل من فصل نشاط تلك المصارف مما يعنى تقليض حجم مصارف عريقة مثل ساكس و ستنلي مورجان و امثالهما. و من المفيد تذكر ان المصارف المذكورية كانت قد تسبب فى الازمة الماثلة كما فى كل من اليونان و البرتغال و اسبانيا مثلما فى ازمة ثلاثينات القرن العشرين جميعا. و يتمثل دور تلك الكائينات فى الازمة المالية فى كل من تزوير دفاتر اليونان مثلا ثم فى اقراضها ما لم تكن تملك سداده وصولا الى المضاربة فيما يسمى بالاسهم السامة بارباح تفوق التصور.

وقياسا فيما يعلن اوباما الحرب على المصارف المذكورة فانه يدرك ان السخط الشعبى الذى راح يعبر عن نفسه فى سقوط مرشح الديمقراطيين فى دائرة لا فيجاس الخميس 21 يناير لاول مرة منذ نصف قرن فقد

كانت دائرة مساتشوستس مقفولة على الاخيرين بلا منازع لنصف قرن. و رغم ان رد فعل المصارف عبر عن نسفه فى حرب على اوباما تمثل فى هبوط اسعار الاسهم و السندات بليل. و ثد انداحت اعراض تلك الحرب عبر العالم. الا ان اوباما يرى تماما معنى المظاهرات اليومية التى تستهدف شارع المال. ذلك ان تلك المظاهرات و المواكب اليومية تهتف بخاصة امام جولدمان ساكس و ستانلى مورجان وغيرهما بان "المال لخلق العمالة و الصحة والتعليم و ليس لتعويض المصارف عن اخطائها و لا لمكافئة المضاربين".

و يعتبر ذلك الميل الشعبى نحو الاحتاج على تصرفات الحكومة فى الذهنية الامريكية تطور خطير و يكاد يكون غير مسبوق مما يهدد بامو لا تستحبها الادارة الامريكية و لا الموسسة السياسة او العسكرية جميعا ناهيك عن المصرفيين والاوليجاركيات المالية. و تشهد امريكا تحولات بنائية و حركية غير مسبوقة فيما تنخفض شعبية اوباما و لم ينقضي على رئاستة اكثر من عام واحد. و ريما جعل ذلك اوراما اول رئيس لا تستمر ئراسته لاكثر من دورة واحدة الا اذا قرر المحافظن الجدد تزويلا الانتخابات كما فعلوا مع فترة جورج ووكر بوش الثانية خصما على الاجور. و كان ذلك يبقى مشكوك فيه فاوباما قد لا يزيد على جسر اومعبر لجوزيف ليبرلمان او نظير له..

الليبراليون (الافانجليون) الجدد:

يختلف الافانجليون الليبراليون الجدد New Liberals بشقيهما من حيث تطبيق نظرتهم على المسيحية فيفترقان فى وجهتى نظرهما بالنظر الى كل من العقل و الرؤية Revelation او الايمان. و يعتبر الليبراليون الافانجليون الجدد نتاج حركة الافانجليين الانجلو امريكان و يؤمنون بان الانجيل يامر بالحفاظ على الثيولوجية الاورثوذوكسية Orthodox Theology. و يتبنى الافانجليون الليبراليون الجدد فكرة ان التناسب الثقافي او التواؤم مع الثقافة القائمة-بمعنى الثقافة التى نشرها الانجيليون او طوائف البروتستانت–من شأنه ان يشوه الليبرالية الكلاسيكية. ذلك انهم بقوا يجأرون بان التنوير و العقلانية قاما بغزو المسيحية فانتجا النظرية الليبرالية الكلاسيكية.

هذا و كان الليبراليون الحداثيون قد احلوا العقل تكاذبا مكان الرؤية Revalation حتى نهاية القرن التاسع عشر بغاية توسيع فضاءات تلك الثقافة, و كانوا قد رأؤا ان ذلك الفضاء كان حريا بان يجعل الرسالة المسيحية–الافانجلية دون غيرها–اكثر مدعاة للقبول لدى العقلية الحديثة و العلمية معا. و قياسا راحت محاولة الليبراليين الحداثين تهدف الى تشكيل "دين لكل الناس" A religion for all people عن طريق تقديم رسالة ثقافية مناسبة للكل تخاتلا فى حين كانت تلك الثقافة انتقائية بالضرورة و طبقية بالنتيجة..

و ازعم ان تلك الرسالة كانت معنية قبل كل شئ اخر بتكريس سواسية بين الافانجلية و اليهودية مما يسر نشوء المسيحية اليهودية بعد الفاتيكان الثاني الذى أعفى فيه البابا اليهود من دم المسيح. بداية ستينات القرن العشرين. وقياسا فقد بقى الافانجليون الليبراليون الجدد يعتقدون ان اختراق الفكر الثقافى

الحديث للعقيدة احدث اضرارا بليغة بالمسيحية. و لم يلبثوا ان احتفلوا بكافة الاسباب العملية التى راحت توكد–فى نظرهم–ان الليبرالية الكلاسيكة ماتت بحلول ما يسمى ما بعد الحداثة. فقد كانت الليبرالية الكلاسيكية قد فرضت خارطتها الذهنية على الكنيسة المسيحية. اما اليوم و مع حلول ما بعد الحداثة فان الليبرالية الكلاسيكية باتت كما يعتقدها المؤمنون بالانجيل المحافظ غير صائبة سياسيا Politically Incorrect و قد راحوا يجأرون بان لكل حقيقته. فلك حقيقتك و لى حقيقتى You have your truth and I have mine.[27] و يبقى الامر اقل تبسيطية بخاصة بالنظر الى الادب الليبرالي السياسي الاجتماعي.

الليبراليون الجدد Neo-liberals سياسيا و اجتماعيا

تلاحظ(ين) بمحض فرق فى الاسماء ان الفئتين من الليبراليين الجدد تختلفان باختلاف نقطة الانطلاق و الارتكاذ. و يعود من يطلق عليهم الليبراليين الجدد neo- Liberals الى حركة المحافظين الجدد خارج امريكا و هم اتباع المحافظين الجدد فى المجتمعات الاوربية الغربية والشرقية و المجتمعات النامية. و يتهم الليبراليون الجدد بهذا الوصف بانهم ليبراليون كلاسيكيون من قبل خصومهم. و قد خرج "الليبراليون الاقتصاديون السياسيون الجدد" Neo-liberals من عباءة الليبراليين الكلاسيكيين والفيزيوقراط Physiocrats و اصحاب مبدا دعه يعمل دعه يمر Laissez faire laissez passez., وما يبرح المحافظون الجدد و نصراؤهم و اتباعهم يصدرون عن المدارس المذكورة اعلاه حتى بعد مثول الازمة المالية غير المسبوقة منذ صيف 2007.

و يواجه باراك اوباما معارضة الكونجرس حيث يرى الجمهوريون ان اوباما يتصرف فى الاموال لحساب برامج يعتبرونها اشتراكية و منافية للروح لامريكية و مفهوم الحلم الامريكى و حرية الفرد فى الاختيار.

كما يرى الجمهوريون ان محاولة باراك أوباما دعوة السلطات الفيدرالية للتدخل و لو بالنصح اكثر منه سن القوانين المقيدة لحرية وول ستريت فى نهب الاموال يرون فى ذلك تقييد لحرية السوق. .و يلاحظ ذلك فى كيف ان باراك اوباما يجد صعوبة حتى 14 سبتمبر 2009 فى ان يطلب الى وول ستريت Wall Street–شارع المال الامريكى–ان يخفف من غلواء كل من:

–المكافائات الفاحشة التى ما ينفك مدراء المصارف المالية يمنحونها لانفسهم عشية او رغم افلاس المصارف مثلما بقي مصرف ميريل لينش Meryl Lynch يدفع لمدرائه والمصرف يتفاوض على عملية دمج مالي كبرى Merger مع بنك امريكا لانقاذ الاول من الافلاس و ما ينفك مصرف يو اس بء البريطانى يدفع مليار و ربع مليار استرلينى مكافأة لمدرائه فى ديسمير 09 و الا هدد الاخيرون بالاستقالة. وقد بلغ ما ضمن دافع الضريبة البريطاني المصارف به حتى بداية شتان 2009 850 مليار استرلينبى بواقع ما يتراوح بين 4 الى 5.5 الف استرلينى لكل اسرة بريطانية. فليس معروف بعد ما سيتكبده دافع الضريبة البريطانى حتى نهاية الازمة.

–استمرار بيع ما يسمى بالمنتجات المالية Financial products و تسمى ايضا المخترعات و الاختراعات و الابداعات المصرفية financial creations or inventions و تري(ن) كيف ان مفردة كالابداع تغدو محملة و ملغمة اذ لا تعنى شيئا سوى وسيلة من وسائل اثراء اصحاب المال خصما على من عداهم. و تتمثل تلك المنتجات اوالابداعات او المخترعات في الائتمان و بطاقات الائتمان البلاسيكية وصناديق الاستتمار المؤجل ببيع المال كسلعة فى شكل ديون الدول و الافراد و الجماعات مثل صناديق اموال ما بعد الخدمة(المعاشات) فى اسواق المضاربة مثلما يحدث فى المحاصيل و السلع الاستراتيجية الخ

اى أن محاولة تجنب كل ما كان قد تسبب فى الازمة التى لم يبرأ منها الاقتصاد العالمى منذ ان تقدم مصرف الاخوة ليهمان Lehman Brothers فى 16 سبتمبر 2008 بطلب اعلان افلاسه تبقى مثيرة للجدل. فقد أوقع افلاس مصرف الاخوة ليهمان تداعيات على طريقة تهاوي اوراق الدومينو. و قد اجتاحت تلك التداعيات اللامتناهية العالم قاطبة الا ما خلا الصين وكوبا و مقاطعة كيرالا ربما وبعض اقتصاديات دول نامية مما قد لا يصيب فى كثير او قليل سوى أهلها ممن بات كالشاة–و قد ذبحتها الرأسمالية المالية بالديون الخارجية و التجارة غير المتكافئة الخ–فلم يعد يضيرها سلخها. ذلك انه لم يكن قد بقى دول غير مدينة الا الصين و كوبا فحتى بعض دول الخليج مدينة للبنك الدولى. فالمديونية باتت شارطة لبقاء الحكام فى مواقعهم و الا استبدلتهم الاوليجاركيات المالية بعبيد اكثر طواعية. و تستدين بريطانيا مثلا حوالى 700 الف استرلينى كل دقيقة و قد استدانت 36 مليار استرلينى فى شهر اغسطس 2009 وحده.

فما هى تلك الجماعات الفاعلة فى حاضرنا المتسترة على الماضي و المستقبل؟ هل هى البوليباركية Polyarchy بوصفها تنويع شائع على الاوليجاركيات الارستقراطية المالية؟ ***ولعل تعريف البوليباريكية جائز فورا:***

البوليباركية Polyarchy و تداعياتها المروعة Shock & Owe

- تعنى البوليباركية نظاما للحكم تقوم فيه الدولة القومية على اقلية من 3 افراد او اكثر يحميها الدستور من الاغلبية بمعنى العامة الغوغاء. و قد استعارت امريكا المفهوم تباعا منذ جيمس ماديسون 1751–1836 رابع رئيس امريكى 1809–1817 وكان فيلسوفا و من الاباء المؤسسين للولايات المتحدة كما يعتبر ابو الدستور " the "Father of the Constitution. و تستدعي دول اخرى البوليباركية بتحريض امريكا و اصحاب المال و غالبا بترويع الاخيرين لتلك الدول وصولا الى الاجتياح العسكري باسم تغيير النظام. و كان روبرت داهل **Robert A. Dahl** و هو عضو جامعة هارفارد عرفها بانها اسلوب فى الحكم حيث يسيطر 3 افراد اواكثر[28].

وقد ادخل المفهوم فى العلوم السياسية الا ان امريكا كانت قد تعينت على تكريس البوليارکية تباعا. و تعود البوليارکية الى ماديسون وتعبر البوليارکية فى الدستور من حيث تعين اثرياء الامريكان على حراسة الثروة . و تختلف البوليارکية عن الديمقراطية التى يعتبر Rousseau, Tocqueville, Lincoln, Jefferson, من دعاتها فى ان البوليارکية قد تحرم بعض اقسام من الشعب من التصويت مثلا مثلما تفعل امريكا من بورتوريكا ن جوام و جزر الفيرجين الامريكية **US Virgin Islands** –و ازعم ان البوليارکية هى تعريف متستر للدمقرطة. ذلك ان الديمقراطية تقول فيما تقول مثلا بحق كافة افراد الشعب فى انتخاب المؤسسات التى تمثلهم فتغدو الاخيرة صاحبة السلطة عليهم. وكان القرن العشرين قد شهد بزوغ الكتل الجماهيرية المنظمة و نضوج حركاتها الشعبية ممثلة فى الاشتراكية والتنظيمات السينديكالية و المطلبية على الساحة السياسية و الاقتصادية تطالب بدور لها و بحقها فى الديمقراطية[29].

و قد حقنت تلك الحركات مفهوم الديمقراطية بغايات و استدعاءات جديدة. لم تلبث ان اصابت الرأسمالية العالمية و بخاصة الانجلوامريحية الانجلو ساكسونية بالتطير.

ولم تلبث الاخيرات ان تحورن تباعا و بصورة متسارعة نحو حكم الاقليات الاوليجارکية الثرية. و قياسا فحيث تحكم امريكا اقلية من اصحاب المال فان الاخيرين:

–يحرسون الثروة

–يتعين الدستور على حمايتهم من الاغلبية بوصفهم أقلية, و قد يلاحظ بعضنا ان شعار حماية الاقلية ضد الاغلية كان يمرر على انه حماية الاقليات الاثنية او العرقية.

مغبة البوليارکية **Polyarchy**

لا يلاحظ كيف ان ذلك الشعار يتساوق وربما يصدر عن اخر مفاده مناهضة ديكتاتورية الاغلبية مما يتغنى به بعض المثقفين البوليارکيين غفلة او سذاجة تشارف الخيانة او–و تواطئا. وتجعل الملامح الاقتصادية الاجتماعية لصيغة الحكم فى امريكا بهذا الوصف امريكا بوليارکية Polyarchy اى ان امريكا ليست ديمقراطية بالتعريف الذي ناضل الناس على مر التاريخ من اجل تكريسه و تحقيقه. و يلاحظ كيف تنعكس فكرة حراسة اثرياء القوم للثروة على فكرة الحزبين الكبيرين. فهما ليسا سوى انقسام داخل حزب واحد. و لا تزيد ديمراطية البوليارکية على انتخابات مرة كل 4 او 5 سنوات. فامر سيان و لا يهم اصلا.

ويلاحظ كيف بقى جورج ووكر بوش يجأر بيقين عنيد بتحول العراق الى ديمقراطية ما ان نجحت الادارة الاستعمارية في تلفيق فكرة اجراء انتخابات مفبركة مخترقة يسودها الفساد من كل جانب فى العراق وفى افغانستان. و تصر امريكا على اجراء انتخابات فى كل مكان و كأن الانتخابات منتهى الدمقرطة و الواقع انها كذلك فى الذهنية الانجلو امريكية و نظائرها المتخالفة معها. و يلاحظ الناس كيف ان الشعوب التى منيت بالدمقرطة و على رأسها امريكا نفسها كثيرا ما يصوت الناس فيها بلا وعي ضد

مصالحهم او ربما بوعيهم و هم يدركون ان لا شئ يتغير فقد تعودوا على ان شيئا لا يتغير و غالبا ما لا يجرؤن اولا يبالون بالاحرى بقول شئ. فلا فرق بين الحزبين الا قليلا.
بل غالبا ما يمتن الناخبون للمرشحين و القائمين على الحكومة ويدافعون عن الاخيرة وكانها والدولة– امريكا–صنوان. و عندما سرقت انتخابات 2000 اندلع غصب واسع بين بعض المثقفين بشأن الانتخابات المسروقة و فى نفس الوقت لم يكن الناس العاديين معنيين بذلك الامر اطلاقا.
و تصل اللامبالاة بعامة الامريكان ان غالبا ما لا يعلم معظمهم مما قد يصل الى 75% منهم –حتى عشية الانتخابات–بان هناك انتخابات. ذلك ان اى من القضايا الهامة لا تناقش ابان الحملات الانتخابية او فى اي وقت اخر. فالقضايا اتتى تهم الناس منل التجارة الحرة وبخاصة الشئون الاقتصادية العالمية–المزوقة فى مفردة العولمة التخاتلة تلك–و عدم الموازنة اى ديون امريكا و ضمان العمالة لا يناقش اى من ذلك فى حملات مرشحي الحزبين الانتخابية.
وقياسا غالبا ما لا يعنى ان تكون فى حزب او اخر شئ فلا فرق الا بقدر ما يكون هناك من انقاسامات داخل الانقسامات بشأن قضية ما مما يضعف القضية التى يدور حولها الانقسام. و لعل ذلك يذكرك ببعض ملامح نمط الانتاج الشرقى. ذلك ان الشعوب تبقى مبعدة عما يدور فى السماوات العليا للدائرة الصغيرة الداخيلة لشرائخ السلطة القائمة. و ازعم و كنت قد جادلت فى مكان اخر و بخث اخر ايضا ان الرأسماليةا المالية حرية بان تكرس–يوصفها نمط لا انتاج بالتعريف اعلاه–تكرس ما يشارف علاقات انتاج النمط الاسيوي او الشرقى مع تعديلات تخص طبيعة وسائل الانتاج المتقدمة بصورة غير مسبوقة و التى لا تغيير من علاقات الملكية و الانتاج الناكصة بوصف ان الرأسمالية المالية نكوص على البرجوازية الصناعية.

هل يتعالق مفهوم الاوليجاريية الارستقراطية و البولياركية و نمط الانتاج الاقطاعي الشرقي:

من المفيد تذكر ان مفردة الاوليجاركية تات من اللغة اليونانية و معناها اقلية و قد تكون حتى فردا الا انها تتميز عن الديكتاتورية بانها تعود الى اقلية ذات حسب او ثروة. و تعنى الاوليجاركية Oligarchy سلطة تتمأسس فوق جماعة صغيرة– بالنظرالى الاغلبيات المحكومة–من النخب[30]. وتتميز الاوليجاركية بالهيمنة على الثروة والسيطرة الفكرية و السلالية الاسراتية او ما يشارفها و بالسلطة العسكرية و الدينية. و كلمة اوليجاركية تعني فى اليونانية سلطة القلة the power of the few. و يجعل ذلك التعريف الاوليجاركية ارستقراطية و صفووية معا. و قد نجح المغول فى تأسيس أرستقراطية مغولية سابقة على الفتوحات. ولا يسع متامل تلك الظاهرة سوى ملاحظة ان المغول كانوا من اعراب اسيا مما يجعلهم–ما ان استقروا و قد خلفوا الترحل راءهم عكس اعراب الشتات الخزر و تتويعاتهم– الى النزوع الى خلق ارستقراطية. و لا يعنى ذلك ان كل ارستقراطية حرية بان تتحور الى اوليجاركية. فالاخيرة تعبير عن:

– طبيعة احبار و اسباط و اقماط و امراء و قضاة اعراب الشتات خاصة فالاخيرون لا يستقرون وان فعلوا فبالتنكل *By Default* و ترحل تذرعا*Expediently*.. و فياسا لا يملك العامة منهم و من شعوبهم ترف الاستقرار بالتنكل او الترحل تذرعا هكذا كلما ناسبهم و الاحرى ناسب اعتبارات المراكمة الربوية. و يؤلف واقع المراكمة المالية الربوية ضرورة عدم الجمع بين كافة طوائف و احزاب اعراب الشتات و بخاصة قواعد تلك الطواؤءف و الاحزاب و ان لم يمنع نفس الواقع المذكور من ان تعتنق شعوب و فواعد تلك الكيانات عقيدة فتدين بولاءات متفاوته لقادتهم كما فى الحركات الصهيونية. و الصهيونية اخر ليست دينا و انما عقيدة اقتصادية فقد يعتقها اى كان من كافة الديانات مما استطرد فيه فى مكان اخر .

– تعبن(مبنى للمجهول) اوليجاريات أعراب الشتات على التعبير عن نفسها بوصفها تمثل كافة اعراب الشتات و شعوبهم قاطبة في حين–و هذا هن المهم –ان ليس كافة اعراب الشتات اصحاب مصالح مماثلة لمصالح الاوليجايكيات المذكورة . و من المفيد التركيز و التنبيه على أعدم نسيان هذه الحقيقية الهامة طوال هذه الدراسة حتى لا يغدو القول انتقائي فغير تاريخي او موضوعي .

–اعراب الشتات المذكورين بهذا الوصف اصحاب رساميل تجارية و الاهم مالية استثمارية و الاخطر ربوية مما يجعل الاوليجاركية الصفووية ارستقراطية كونها تحتكر المراكمة ببيع المال كسلعة مما ترتهن معه شرائح عريضة من المجتمع المصيف من الحكام الى الفلاحين بخدمة ديونهم لتلك الحماعات فتتحكم الاخيرة بهم اذ تقف فوقهم بالنتيجة و فائقة عليهم فى نفس الوقت الذي تقف خارجهم بالضرورة .

–اوليجاركية هي اجرائيا عبارة عن حزب رأس المال المالى (الاجنبى بالضرورة بمعنى الذى يحتكره تجار لا ولاء لهم للسلطة القائمة و لا للحدود "القومية" او القبيلة او حدود الدولة المدينة– فى تنويع فطير على الشركات عابرة الحدود القومية) اي رأس المال الخاص (بالنتيجة) قياسا على رأس مال بيت المسلمين مثلا. و قد تمثلت تلك الرساميل و اصحابها في تنويعتها الاكثر تركيبا و مفصلة و تزويفا في نادي و حزب البندقية–كما ذكرنا تفصيلا فى مكان اخر–وصولا الى تنويعاتها الحداثية و اما بعد الحداثية اى العولمية المعاصرة .

–تعالق الاوليجاركيات و الصهيونية بوصف الاخيرة عقيدة مراكمة المال ببيعه كسلعة منذ تنويعات الاخيرة الفطيرة Pristine و الباكرة. ذلك ان ظاهرة لا تنشأ من فراغ و لا فجأة كعلامات المرور. فقد مهد فكر و تنظيم احبار و اسباط و اقماط و امراء و قضاة اعراب الشتات لتلك الظاهرة باكرا و تعينا عليها و كرساها حتى باتت ماثلة دون ان تعلن عن نفسها او تفصح عن اسمها فى اوربا منذ انقسام المسيحية الغربية فى القرن السادس عشر عبورا بالتنوير و وصولا الى القرن التاسع عشر وتباعا.

هذا و كانت اسر قوية تحكم الدول الاوليجالكية و كان ابناؤهم يخضعون لنوع من التلقين و الهيكلة بغاية تأهيلهم لوراثة سلطة الاوليجاركية. و قد عرفت الاوليجاركيات عبر التاريخ بالديكتاتورية وتعتمد الاوليجاركية فى وجودها بصورة كاملة على شعب خانع Servile مخضع تمام. و تلاحظ(ين) أن القوانين المقيدة للحريات بقيت تتزايد باكرا يوما عد يوم و قبل ان تسن امريكا قانون باتريوت PATROT صبيحة ضرب برجى منظمة التجارة العالمية الثلاثاء 11 سبتمبر 2001. و تلاحظ(ين) ايضا كيف ان المجتمع البريطاني من اكثر ان لم يكن اكثر المجتمعات الغربية الغنية اخضاعا للتعقب و المراقبة. و تتزايد القوانين المقيدة للحريات بذريعة مكافحة الارهاب الا انها ما تنفك تطبق تلك القوانين ضد من يضع صندوق قمامته فى المكان الخطأ او ما هو اهون من ذلك.

و تثابر الدولة رغم ديونها الهائلة والازمة المالية الراهنة على مشروع بطافات الهوية و يقدر بمليارات الاسترلينى. فالدولة تدرك انه بدون تطويع الافراد و الجماعات تباعا تحسبا لما هو ات فقد تصبح يوما لتجد نفسها كمثل الصيف و قد ضيعت اللبن. و الى ذلك فهناك كاميرا متلصصة Close Circuit TV(CCTV) لكل 4 افراد فى بريطانيا.

المهم فورا كان ارسطو اول من بادر باستخدام مفردة اوليجاكية بوصفها نظير لسلطة اقلية من الاثرياء فنحت لسلطة تلك الفئة مفردة البلوطاركية Plutocracy و لعل ارسطو كان حريا بان يكون اكثر حساسية لتلك الظاهرة و تنبها عليها كونه مرة كان غريبا و ليس اثينيا ومرة اخرى كان مفقرا. فقد كان ابوه صانع طوب.

هذا و كانت بعض مدن اليونان القديم الدول City States اوليجاركية. و من المفيد تذكر انه عندما تجتمع للاوليجاكيين الثروة و الامتياز العرقى فانها تغدو بهذا الوصف بلوتاركية [31] Plutarchy , و كانت فكرة الاوليجاريكية قد قيضت السلطة السياسية لاقليات كانت بدورها تدعى او ادعى انها ارستقراطية. و الارستقراطية هى سلطة الافضل و الاكثر تألقاً من حيث الملكات العقلية و الابداع الذهنى فالاوليجاركيات صفووية ارستقراطية مالية. و اجادل ان اعراب الشتات مفصلوا لانفسهم تبرير احقية فى الاوليجاركية فى البدئ حتى تمكنوا من المجتمعات المضيفة–المستقرة. فقد كان انتفاء شرط وجود ارستقراطية بين معظم المجتمعات المضيفة حريا بان ينكر عليهم ادعاء ذلك الى حين. و الواقع ان الطبقات الارستقراطية كانت قد اتصلت بالمجتمعات المستقرة التى بقى اعراب الشتات يذرونها طويلا اذ يقفون خارجها كونهم بدو بخاطرهم و تذرعا Expediently.

و مع ذلك فقد ادعى اعراب الشتات أرستقراطية تمثلت باكرا على عهد الامبراطورية الرومانية فى تنويع فصير مفارنة مع الارستقراطية الاوربية الاقطاييية البابوية و الملوكية فى القرون الوسطى و الارستقراطية

الكلاسيكية على عهد الامبراطوريات السابقة على البرجوازية الصناعية الاوبية الغربية . قد ادعى امثال الامير بين هور Ben Hoer مثلا الانتماء الى ارستقراطية–فطيرة كما عبرت تلك الارستقراطية عن نفسها فى نساء من اعراب الشتات بالزواج – كان الاخيرون قد برعوا فيما اسمه الهزيمة بالزواج–من امراء و ملوك المجتمعات المضيفة مثل استير زوجة سوروس و زوجة ملك خزاريا كما بات يوسف عضوا فى الارستقراطية الفرعونية و بات داوود ملكا على اخيش- ما بين الخليل و المجدل بوراثه حميه و سليمان بزواج بلقيس االخ و ما تنفك ارستقراطية اعراب الشتات االوليجاركية الصفووية المعاصرة تتمأسس فوق اليات مماثلة حتى اليوم. اما بالزواج او–و بشراء الالقاب الخ.

و تصدر الاقليات الاوليجاركية المالية الصفووية عن حزب البندقية–مما اناقشه فى مكان اخر– عن نموذج تنمية بعينه يكرس شرط اعادة انتاج الاوليجاركيات المذكورة خصما على اوليجاركيات المجتمعات المضيفة كما على عهد الامويين و بخاصة العباسيين الخ. و من المفيد ملاحظة ان مثول اوليجاركيات اعراب الشتات الصفووية فى المجتمع المضيف يخصم على ما عداها على مر التاريخ غير المكتوب. و فى تنوعها فان صفووية اوليجاركيات اعراب الشتات الصفووية عبرت عن نفسها بصورة ماثلة منذ حزب البندقية خصما على ارستقراطيات روما وصولا الى ارستقراطيات المدن الدول الايطالية غب سقوط الامبراطوية الرومانية فى حزب البندقية مثلا.

و قد اتصلت تلك التنويعات عبورا بصندوق النقد الدولى و شرطياته Conditionalities , فمنذ قيام مشروع البرتون وودز Britton Woods فى 1944 و عشية نهاية الحرب العالمية الثانية تعينت تلك الارستقراطية–و قد باتت مالية بامتياز–على احلال شرط تكريس نموذج التنمية الامريكي ما بعد الليبرالي او العولمة. و من المفيد تذكر ان صندوق النقد الدولى و البنك الدولي اليات كانت قد افرزها مشروع البريتون وودز بغاية توفير القروض للدول الاوربية –و غيرها فيما بعد–تيسيرا للمشاكل الاقتصادية للدول بعد الحرب العالمية الاولى. الا ان صندوق النقد الدولى لم ينفك ان بات قابلا للبوار فى سبعينات القرن العشرين بين الدول الاوربية الغربية الا انه لم يلبث ان اعاد اختراع نفسه ابان ثورة النفط و استدعى دولا مثل السعودية الى مجلس ادارته. و فى ثمانينات القرن العشرين فقد الصندوق دوره فلم يلبث ان تعين على استغلال ازمة النمور الاسيوية و فى تسعينات القرن العشرين بدأ يعانى نفس الازمة الدورية الا ان انهيار المعسكر الاشتراكى فى تسعنيات القرن العشرين منحه رئة صناعية اخرى و هكذا. و قد فقدت روسيا المرسلمة جراء اختراق الصندوق لسياساتها الاقتاصدية ما قدر بثلث النناتج الحلى الاجمالى الروسى قياسا على نظيره السوفيتى. ذلك ان دور الصندوق فى اقتصاد كافة الدول التى اقتحمها بفرض الديون الخارجية على اقتصادها كرس تفاقم تقلص اقتصاد تلك الدول وصولا

الى ادراك بعضها ما يشارف اقتصاد العصر الحجرى كما فى افريفيا و كما فى امريكا اللاتينة ما عبرت عنه ازمة الارجنتين المالية عام 2000.

و يحاول الصندوق ان يتسغل الازمة المالية الماثلة منذ 2007 لاختراع نفسه فيقدم قروض لليونان وايسلندا و البرتغال واسبانيا و بعض الجهوريات الاشتراكية السابقة تركيا. الا ان بعضها كمجموعة شانغهاي Shanghai Group كالصين و روسيا ترفض ربط نظامها بالدولار و يمانع بعضها الاخر فى التورط فى شرطيات الصندوق كما يرفض بعضها الاخر كتركيا الصندوق رفضا قاطعا. فقد بات واضحا كيف ان الصندوق يخلق اقليات اوليجاركية خصما على اغلبيات مفقرة لا حساب لها فى سياساته اللا اقتصادية. و اجادل ان تلك الاقليات الاولجاركية قد:

– تكرس علاقات انتاج اقطاعية شرقية

–تعيد انتاج علاقات انتاح اقطاعية غربية.

الاوليجاركيات و الاقطاع الغربى و الشرقى و المديونية:

ازعم ان الاوليجاركيات بقيت تعبر عن نفسها غالبا فى تنويع مالي تجارى Financial and Commercial variation على او تحوير للاقطاع الغربى Mutation of Western Feudalism و بخاصة الاقطاع الانجلوساكسونى و تنويعته الانجلوامريكية. ذلك ان الاخير تمأسس اكثر من غيره فوق انماط الاقطاع الغرب اوربى جراء طبيعة سلطة حكام غزاة فى اصلهم قياسا على الاقطاع الجالى Gallic اى الفرنسي و الايرلندي. ذلك ان فرنسا لم تتعرض منا لغزو خارجى على نحو كان من شأنه ان يحل حكام غرباء مكان الغال مما بقيت معه فرنسا تتصل بتاريخ اهلها الاصليين و انماط انتاج اتصلت بعلاقات اقتصادية اجتماعية تصدر عن قرابات بقى معها الاقطاع الفرنسي اقرب الى الاقطاع الشرقى الى وقت طويل,

و رغم ان ايرلندا تعرضت للاجتياح الانجلوساكسونى على مر السنين الا ان الايرلنديين الاصليين–الكاثوليك–بقوا قبال و عشارئر حتى اليوم فى الايرلنديتين ينتمون الى بعضهم بعلاقات قبلية و سلالية و بقرابات لم ينجح الاستعمار الانجلوساكسونى فى فصمها الا بقدر ما حاولت الجماعات الانجلوساكسونية البروتستانتية اختراقها و لو بقوة قانون المحتل للمختضعين للاخير. بل الذي حدث هو ان الجماعات المستجلبة لتحييد الاهالى الاصليين لم تنفك هى نفسها ان انتحلت علاقات عشرية تشارف القبلية فى مواجهة خصومها الذين بقوا غير قابلين للهزيمة على مر السنين.

المهم فورا فحيث يتمأسس الاقطاع الانجلوساكسونى على الارض و المديونية الريفية تتمأسس الاوليجاركيات على المال و التجارة ومديونية الافراد–الحضريين والريفيين جميعا– و الدولة-الخراجية بمغبة سلطة لاوليجاركيات–بالربا او الفائدة فى المحل الاول. فاقتصاد امريكا مثلا اقتصاد او لا اقتصاد مراب Usurer و يسمي اندرية جوندر فرانك Adrea Gonder Frank امريكا شيلوك وهو احد ابطال

مسرحية لشيطسبير بعنوان تاجر البندقية–لاحظ(ي) البندقية ام الاوليجاركيات الحديثة). و يعير شايلوك اميرا نيدقيا مالا بشرط انه ان عجز عن اعادته اخذه شايلوك منه فى شلك رطل من اللحم. ويأخذ شايلوك–امريكا–اعراب التشات–اليوم من اغلبيات الناس حياتهم مقابل ديون لم تقيض لهم و انما فرضتها الاوليجاركيات المالية على دولهم دون ان تكون تلك الدول راغبة فى الدين مثلما لم يكن المكتشفون راغبين فان ان يكشفوا و المدمقرطون راغبين فى ان يدمقرطوا. .

المهم فوقا تتمأسس الاقليات الاوليجاركية العولمية فوق تنويعات من الاقليات الاسراتية الاقطاعية فى الغرب الرأسمالى و فوق نظائرها الريعية والطائفية و القبلية كما فى الشرق الاوسط و فى جنوب شرقي اسيا و افريقيا مما يلاحظه الناس فى الاقليات الاسراتية المغربية و المصرية والاردنية و الباكستانية و في بانجلاديش و الفيليين و اندونيسيا وفى الاقليات الريعية فى السعودية و فى الاقليات الاسراتية الطائفية كما فى لبنان و السودان و القبيلة فى اليمن و فى نظائرها الافريقية.

تطير الاوليجاركيات المالية من القومية:

اجادل ان الصفوات اوالنخب الاوليجاريكية المالية الربوية و حلفائها و ازلامها تتعين فى كل مكان و زمان على تيسير انتشار نموذج تنموي بعينه تمفصل له براديجمات "معقلنة" Rationalized مزوقة Euphemized متكاذبة ثم ما تنفك تتخلى عن تلك البراديجما لحساب براديجمات مجددة لا تزيد على اعادة تزويق نفس النموذج فلا تتخلى تلك البراديجمات عنه اصلا الا بقدر ما تسميه بمسميات جديدة. بل قد تؤبلس براديجما موسمية لحساب اخرى كما فى كل مرة دون اي تغيير فى طبيعة نموذج الليبرالية الجديدة التنموى فى شئ الا بقدر ما تمنحه اسما جديدا من التحديث و المدينة Urbanization الى التصنيع Industrialization فاللحاق Caching- upو التنمية Development والاصلاح Reform الى الدمقرطة Democratization.

فقد غدت كل براديجما من تلك البراديجمات الفصلية بطيبعة منشأئها و دورها تطرح كسلعة لا تزيد على صابون الغسيل "اومو الجديد الاكثر بياضا". و اذا استهجن هذا الكلام و انكرت علميته فليس لك سوى ان تتذكر ان جماعات الاكاديميين و العلماء و الكتاب و المفكرين و الصحفيين و المصرفيين و الماليين و من تبعهم و اصحاب الصناعات الكيماوية ليسوا سوى تنويعات على بعضهم بل بمول بعضهم بعضا و يرفع بعضهم بعضا و قد احتكروا كل شئ بامتياز خدمة متفانية فى مصالحهم خصما علي من عداهم بلا زيادة او نقصان.

و من المفيد تذكر ان الليبرالية الجديدة بوصفها تنويع على الصهيونية ليست مشروعا فكريا وحسب. فالصهيونية مشروع توسعى استيطانى رأسمالي بامتياز. ذلك ان ما قد يبدو انه مشروع فكرى ليس سوى مقدمة المشروع الاقتصادى ما بعد الليبرالى–المالى بالاحرى–و تسويغ له.

فالليبرالية الجديدة كانت و ما تبرح تعبير عن سطوة اقليات صفووية مالية اوليجاركية تحمى مصالحها المادية عن طريق التعين على حماية ما تسميه عقيدتها او تدعى انه كذلك[32]: فقد: كانت تلك الصفوات وراء مشروع الدولة القومية–الامة–Nation state عقلانيا بالمعنى المزوق أى تخاتلا حتى اذا ما تحقق لها حلم الدولة العبرية القومية ابلست الدولة القومية. و لم يعد مسموحا بالقومية لسوى اسرائيل و امريكا. و كانت كل من القومية و الاثنية و الحق فى تقرير المصير قد استلب فلم يعد ما يشارف مشروع قومى يعبر عنه نفسه الا بقدر ما لا يزيد على ما هو مفرغ من المحتوى.

فقد تعينت الرأسمالية المذكورة على تجريم القومية الالمانية و اليابانية بعد الحرب العالمية الثانية على الاقل. و قد بات على الالمان–و اليابانيين و غيرهم تحريم اى تعبير عن القومية الا ما خلا ابان مباريات كرة القدم–حتى توحيد المانيا نسبيا. و قياسا لم يكن للالمان تمجيد المانيا و بقي الالمان مبكتون. فقد كانت المانيا قد ارتكتب فى الواقع خطيئة تكريس رأس المال الصناعى الخاص المميتة ونادت بالاشتراكية القومية اكثر من اى جريمة اخرى. و يمكن عقد قياس بين المانيا و العراق فقد ارتكبت العراق جريمة نشوء مجتمع لا يدين برأسمالية السوق و يكاد يشارف الاشتراكية القومية و لا يصدر عن الليبراية الجديدة بوصف ان الاولى تنويع على الاخيرة فلفقوا له تهمة امتلاك اسلحة الدمار الشامل مثلما لفقت لالمانيا تهمة "المحرقة"والنازية.

و ازعم ان تهمة النازية ليست سوى تزويقا لتهمة اقتراف جريمة تكريس برجوازية صناعية المانية. ذلك ان كلمة النازية ليست سوى الحروف الاولى Acronym من اسم حزب العمال الوطنى الاشتراكى الالمانى The National Socialist Workers Party وحسب و كان حزب العمال الاشتراكى لالمانى قد تأسس فى مينويخ بعد الحرب العالمية الاولى. و قد حرم دستور المانيا الغربية الحزب النازئ بعد الحرب العالمية الثانية.

و قياسا كان على الرأسمالية ما بعد الصناعية البازغة–الاورلجاكيات المالية–الربوية ان تتعين عقلانيا على الاطاحة بدولة–البرجوازية الصناعية–القومية و تؤبلس القومية. الا ان الرأسمالية المذكورة لا تأنف بعد ان اذرت بالدولة القومية من ان تتسول الدولة–و كان السوق و الخصخصة قد اخصيا الدولةا–لتضمن تلك الدولة كما ذكرنا أهم مؤسسات الاولى المالية كالمصارف و البنوك التجارية و الاستثمارية مثلما حدث منذ صيف 2007.

فلم يعد للدولة القومية او الدولة الامة دور ابعد من ضمان شرط المراكمة المعولمة بفرض شرط استرخاص العمل الحى Living Labour وسن التشريعات العمالة المواتية للاستمثارات الاجنبية المباشرة Foreign Direct Investments و رفع الحواجز و التعريفات الجمركية على المال الهارب و رفع الدعم عن السلع التموينة خصما على اعادة التوزيع مهما كان فارقا فعلى المنتجين الخ. فقد باتت الدولة الامة واحدة من دعائم العولمة حسب بعض المنظرين الغربيين. ذلك ان الدولة الامة باتت تعبر عن

انقضاء التراتبات الطبقية و نهاية مفهوم الطبقة والمجتمع منذ صبيحة المشروع الثانتشري الريجانى Regano-Thatcherism(نسبة الى مارجريت ثاتشر رئيسة وزراء المحافظين البريطانيين و رولاند ريجان رئيس الادارة الامريكية الجمهورية رقم 41).

فحيث كانت مارجريت ثاتشر- زعيمة اليمين الجديد فى العالم الغربى تجأر بان ليس ثمة ما يسمى بالمجتمع فان وريثها وليام هيج راح يبشر بحزب محافظين لكل الناس *A party for all people*. و لم يعدم تونى بلير– العمالى البريطاني الجديد–الطريق الثالث– ان راح يزاود على الاخير فى تنويع على نفس التخرساب بالقول بان "ذلك هو زمان تصالح المجتمع مع نفسه فى "امة" بلا حواجز". و لم يعد مفهوم الدولة القومية او الدولة الامة يزيد على سوى ما تقوم به الدولة خدمة للمراكمة و قد اضيف الى ذلك دورها فى ضمان المصارف الهالكة و حماية ظهر اصحاب المال الهارب الاوليجاركيين بالضرورة كما رأينا ابان ازمة اسواق المال منذ صيف 2007 و تباعا.

و قياسا لم يعد المشروع القومى–الوطنى يملك التعين على اعادة توزيع خدمات و سلع عامة و لا بات بيده حل مشكلة داخلية الا بتدخل خارجى مثلما يحدث فى باكستان و السودان و مصر و الصومال و لبنان و الفليبين و ما كان قد حدث باكرا فى الجزائر فى تسعينات القرن العشرين و فى اندونيسيا و فى ايران فى منتصف و نهاية خمسينات القرن العشرين وفى افريقيا تباعا. و كانت الرأسمالية ما بعد الصناعية–الاوليجاركيات المالية الربوية–حرية بان تخلق شرط تجاوز الحدود القومية بالضرورة و العصف بمفهوم القومية بالنتيجة و لو بمحض تكريس مفهوم الشركات عابرة القوميات او متعددة الجنسيات.

والواقع ان ليس ثمة تعدد جنسيات فاغلبية أصحاب مال تلك الشركات ليسوا سوى اعراب الشتات بجوازات مرور–سفر– من كل مكان الى كل مكان و امتيازات كعهدهم على مر السنين. فقد كان الخيبريون مثلا يترحلون بين ارجاء الخلافات الاسلامية و كانت لهم امتيازات كالإعفاءات الضريبية أو/و الضرائب المنخفضة[33]. فقد يعيش التاجر و الدارس و الرحال منهم الخ فى القرن الحادي عشر مثلا متنقلا ما بين مصر او بيزنطة او القدس فيحصل على تلك الامتيازات اينما حل تكون احيانا برسالة ضمان أو حماية من النبى (صلعم)[34]. ورغم ان تلك حالات لم تكن نادرة بل كانت شائعة الا انها بقيت غير مسجلة او غير متنبه عليها[35]. [36]

المهم حيث كانت الرأسمالية المالية قد خصمت على القطاع الصناعى فلم يعد الاخير بملك توظيف عمال بالقدر الكافى ليأتى بفائض انتاجهم و الضرائب المفروضة عليهم الى خزانة الدولة بما يوازن الناتج المحلى الاجمالى. فقد تحولت المصانع فى الشمال البريطانى مثلا الى مركبات تجارية Shopping complexes تغوى الناس بالاستهلاك حتى الموت. و قياسا ارتفع الدين العام البريطانى فى خريف 2008 الى 57% من الناتج المحلى الاجمالى و قد زاد على تريليار استرلينى مع صيف 2009.

الاوليجاركيات المالية و الحرب العالمية الثانية:

اجادل ان الاوليجاركيات المالية الربوية عابرة القارات كانت حرية بان تتكرس مجددا بهزيمة الدول الاوربية قاطبة فى الحرب العالمية الثانية لحساب الولايات المتحدة. ذلك ان الاخيرة لم تدخل الحرب العالمية الثانية حتى 1941 بتزويق معركة بيرل هاربر Pearl Harbour عقلانيا حسب جور فيدال[37]. فقد بفيت امريكا تقف عقلانيا على الجانب الآخر من المحيط الاطلسى–مثلما فعلت عقلانيا ابان العدوان الثلاثى على مصر بانتظار لحظة مناسبة للانخراط فى حرباها هى الخاصة بعيدة عن ساحة الحرب الاوربية فقد كانت حرب امريكا لصالحها هى و من اجل توسعات تخصها هى فى الطرف الاخر من العالم. ذلك انه عندما دخلت امريكا الحرب كان ذلك لحساب مصالحها هى على الجانب الآخر من الكرة الارضية فى اليابان و كوريا أكثر من أى شئ اخر. فقد كان ذلك:

– فى صالح الامريكا ان تدمر اوربا حتى تشارف الاخيرة الافلاس تمهيدا لوراثة الامبراطورية الفرنسية و الانجلوساكسونية على الخصوص. و كانت فرنسا قد خسرت معظم امتداداتها فيما خلى مستعمرات شمال افريقيا جراء الحروب النابليونية.

–فى صالح امريكا ارغام الدول الاوربية الغربية على مشروع مارشال و كانت اولى اهداف ذلك المشروع اعادة تشكيل اوربا على شاكلة امريكا و لحساب الاوليجاركيات المالية مجددا. و ازعم ان مشروع مارشال كان سفر تكوين تغيير النظام Regime change فى اوربا لحساب النموذج الامريكى للتنمية و تعالق حرية السوق و الازمة المالية الماثلة منذ نهاية العقد الاول للالفية الثالثة.

––لم تلبث امريكا ان أستقطبت دول الحلفاء بمشروع مارشال مقابل تصفية مستعمرات الاخيرات لحساب امريكا فى جنوب شرقى اسيا و الشرق الاقصى و الادنى و بمشروع ويلسون المتخاتل لحق تقرير المصير و لم يكن الاخير سوى ذريعة لتقسيم الامبراطوريات–راسمالية و سابقة على الرأسمالية–لحساب امريكا والاهم خلق شرط قيام دولة اسرائيل.

فقد كانت دول الحلفاء قد خرجت من الحرب بهزيمة تشارف هزيمة دول المحور لحساب امريكا مما قيص لامريكا انتحال الانتصار على المحور بحق وحقيق عقلانيا و موضوعيا معا رغم ان اعداد قتلى الاوربيين فاقت بمراحل نظائرها الامريكية. فقد دخل الجنود الامريكان باريس لتحريرها مع غيرهم و لم يكن جندى امريكي واحد قد قاتل المحور الا ما خلا اليابان وامتداداتها فى شبه جزيرة كوريا قبل ما يسمى تحرير باريس.

ومن الاحابيل الهوليوودية ان يكرس فيلم انقاذ العريف ريان Saving Private Ryan–تمثيل توم هانك–فرية قتال امريكا للمحور حيث ينتهى المشاهد بيقين ان امريكا هى التى قادت الحرب العالمية الثانية و انتصرت فى الجبهة الغربية[38].

–وحيث افقرت الحرب اوربا اثرت امريكا–الاوليجاركيات المالية الربوية–الرأسمالية ما بعد الصناعية–بما يقدر ب 450 الف طن من ذهب افريقيا و غير ذلك مثل هجرة العلماء الخ. فقد كانت تلك العمليات

قمينة بتكريس الثقافة السياسية و العسكرية الانجلوامريكية على نحو غير مسبوق, و لم ينفك ما يسمى بالامركة او العولمة أن تمأسس على تلك الثقافة مما خصم على الانجلوساكسونية لحساب سليلتها الانجلوامريكية.

–و كانت لامريكا–الرساميل المالية المتراكمة تباعا–أجندة تختلف مرات عن اجندة اوربا البرجوازية الصناعية مما يتمثل فى مقايضة تلك الرساميل للحلفاء على السلاح و الغذاء مقابل ذهب جنوب افريقيا. و لم تلبث امريكا ان اصبحت تملك 75% من ذهب العالم. و كانت اوربا قد استحوذت على ذهب امبراطوريات الازتيك و الانكا فى امريكا الجنوبية و كانت فى شكل مشغولات رائعة فى شكل حديقة حيوانات تمثل كافة انواع الاخيرة فاذابها الفاتحون الاسبان Conquistadores و قضوا علي قيمتها الجمالية.

و لم ينفك الذهب ان ترحل الى اوربا الغربية مما قيض للاخيرة بالذهب ثروات بلغت بها اوربا منذ 500 عاما مبلغا كبيرا من ثورة اوربا الغربية و لم تلبث الثرواة الاوربية الغربية–المانيا–النمسا–سيوسرا–بلجيكا وغيرها ان وصلت امريكا الشمالية بعد الحرب العالمية الثانية فى شكل مودعات و تحف فنية وماس و فضة و بخاصة ذهب اعراب شتات اوربا الغربية. و قد الف ذلك سفر تكوين البريتون وودز Briton Woods الذى تمأسس فوقه كل من البنك الدولى و صندوق النقد الدولي تباعا.

و لا غرابة ففى تحوله من مكان الى مكان عبر التاريخ يستقر الذهب لدى اقوى الكيانات السياسية العسكرية منذ فارس و وادي النيل الاسراتى Dynastic و بابل و يثرب و قرطاج و اليونان و روما والبندقية وامستردام و لندن و صولا الى نيويورك و ربما بيجين تباعا. و اجادل ان الذهب يتبع او يسبق اعراب الشتات حيثما رحلوا او الى حيثما حلوا. فقد:

–راحت أمريكا تتعين على اعادة انتاج دور جمهورية البندقية الحرة مجددا.

–و كانت الصفوات الاوليجاريكية المالية وحلفائهما و ازلامها وراء الليبرالية الجديدة حتى تقيض الليبرالية عقلانيا لتلك الصفوات فضاءا تعربد فيه داخل المجتمعات الاوريية الغربية و بخاصة بريطانيا و هولندا. و لم ترى تلك الصفوات باسا فى ان تتمتع بعض جماعات اخرى بمزايا الليبرالية الجديدة . فقد كانت سلطة الصفوات او–و الاوليجاكريات المالية قمينه بان تضمن لهم التحكم فيمن يمنح او يمنع من مزايا تلك الليبرالية الجديدة و ذلك بخلق:

– سماسرة نيابة عن الاوليجاكيات المالية العولمية فى تنويعة بعينها من الليبراليين الجدد و فى الساسة وقادة الاحزاب الذين باتوا سسلعة دوارة فى سوق نخاسة المال و مزيد منه

––خصوم خارجيين كذريعة لرفع ميزانية الدفاع الى مليارات الدولارات لمواجة الطالبان و القاعدة اللتان تغدوان وظيفيتان للمؤسسة العسكرية. فقد حلق النائب الامريكى تشارلز ويلسون جماعات الطالبان الاكثر تطرفا لمواجهة السوفيت باموال و سلاح الاستخبارات الامريكية الفائق[39].

–خصوم داخليين كالاسلام السياسي الذى كانت قد هيكلة معظم حركاته جينيا و خارجيين الطالبان و القاعدة و الشباب والارهاب الخ–للمجتمعات التى تستضيف الصفوات او–و الاوليجاركيت المالية تلك وتيسر قضايا انصرافية بامتياز للاستهلاك المحلي مثها مثل الدول النائمة.

الاوليجاركيات المالية و المسيحية–العلمانوية:اليهودية:

ازعم ان الاوليجاركيات المالية مفصلت تخاتلا مفهوم العلمانية منذ ايرازماس و المبدأ الانسانوى–الانتقائى لتحييد الكاثوليكية بغاية تيسير تخفى تلك الاوليجاركيات وراء ما يسمى بالعلمانية. و ازعم ان العلمانية تنويع على طواقم قيم بعض طوائف اعراب الشتات ممن يجدف و يقذف بحق انبياء و رسل الجنتايل Gentile أي كل من هو غير يهودي ويسمونهم الغويم–الاممين–المشركين بيهوا. وقياسا لا غرابة فى ان تدعى الاولجاركيات فصل الدين عن الدولة بصورة بائنة تكاذبا. ذلك ان اى من محاولات الانسانويين و العلمانويين لم تثب على مر السنين. وقد قيضت العلمانية المخاتلة تدمير العائلة وافساد الشباب بل حتى اطفال [40] المجتمعات الانسانية كافة في المقياس المدرج وموت الرب تباعا.

و قد قيض موت الرب المسيحي طبعا–و تتم محاولة ابلسة الاسلام و استباحه النبى صعلم–و ليس اى من ابنياء اواحبار اواسباط اوامراء اعراب الشتات. اي اختراق معظم طوائف كل من الكاثوليكية والبروتستانتية والاسلامية و الكونفيوشية و البوذية جميعا ان امكن. و قياسا فان ذلك الاختراق كان حريا بان ييسر حلول شرط المسيحية اليهودية. و حيث باتت المجتمعات الاوربية الغربية و الامريكية تباعا مسيحية يهودية فان واحدة من اهم خواص المسيحية الغربية اى المسيحية اليهودية تتمثل فى ان الاخيرة حرية بان تنادى بالحرية على طريقة الا بأس بالحرية سوى انها تجعل الناس احرار. كما تنادى الرأسمالية المالية و قد اصدرت عن المسيحية اليهودية بالاسواق الحرة و الدمقرطة و حتى بمشروع قومى افتراضى. الا ان ذلك المشروع لا يعنى من وراء ذلك سوى حرية الاسواق فى نهب من عدى اصحاب الرساميل و بخاصة المالية الجشعة. و لا تعنى القومية عند الاخيرة سوى تكريس قومية امريكا الاثينية و اسرائيل الاسبارطية_منذ ان قاد يشوع بنى اسرائيل من سيناء الى كنعان–خصما على من عدى أمريكا و اسرائيل. بل تجند الاثنان جيوش قومية من العبيد المقاتلين و الموعودين بالعتق لقاء البطاقة الخضراء فتخرج تلك الجيوش لمحاربة حركات قومية و تدمير اوطان و امم قومية بتهمة تعاطى مشاريع قومية.

و لا تعنى ليبرالية مشروع هاتين الدولتين و من يدور فى فلكهما اقتهارا وارتهانا بالرساميل الامريكية او–و عابرة القارات بالوصف اعلاه و تباعا سوى مشروعا ما بعد ليبرالي متكاذب ينكر الليبرالية و يؤبسلها بوصف ان ما بعد الليبرالية هى نهاية الليبرالية كما نعرفها. فمشروع ما بعد الليبرالية حرى بان يخصم على كل مشروع عداه. و من المفيد تذكر ان ما بعد الليبرالية اسبارطية معسكرة خصما على الليبرالية و كانت الاخيرة تصدر عن اثينا حتى قيام دولة اسرائيل و الامبراطورية البرجوازية الصناعية و ما بعد الصناعية بوصف الاخيرات اكثر الامبراطوريات عنفا و عدوانا فى التاريخ بعد نظيرتهن الرومانية.

الاوليجاركيات المالية و الليبرالية البرلمانية

الى ذلك لم تنفك تلك الصفوات ان راحت تعصف بالليبرالية البرلمانية التى نعرفها و تجرمها بعد ان قيضت الفضاءات الليبرالية البرلمانية التى نعرفها لتلك الصفوات ما كانت تسعى الى تحقيقه من عدم التساهل مع المفاهيم المعادية للسامية التى بقيت مستقرة فى مسام المجتمعات الغربية منذ سقوط الامبرطورية الرومانية حتى ما بين الحربين العالميتين.

– و قياسا راحت الصفوات الاوليجاريكية المالية و حلفائها و ازلامها تتعين عقلانيا على فلصفة مفهوم الديمقراطية و المشاركة الشعبية تباعا منذ اثينا على يدى سقراط و ارسطو عبورا بروما ابان عهد يوليوس قيصر الاسراتى و الخلافة الاموية و العباسية و بخاصة ابان عهد هارون الرشيد الاسراتى بدوره على يدى القاضى ابن ابى دؤاد

–لم يلبث الاوليجاركيون وحلفائهم ان حوروا مفهوم الديمقراطية منذ القرن الثامن عشر عبورا بالحرب العالمية الثانية وصولا الى مفهوم الدمقرطة منذ الادارة الامريكية 41 بخاصة الادارة 43.

–حيث تكرس الصفوات الاوليجاريكية المالية فيما بينها هى مفهوم العائلة و العلاقات العائلية و الاخلاق المحافظة هى الا انها تثابر على تكريس الاباحية فى المجتمعات المضيفة. و تعصف تلك الاوليجاركيات بالقيم الاخلاقية باسم ما بعد الحداثة و تنشر البورنوغرافيا بخاصة بين الشباب فى كل مكان. و ينتشر ادمان البورنوغرافيا فى مجتمعات ترتفع فيها نسبة من هم فوق الخمسين و المسنين ب تعبر حادثة قريبة عن ذلك فى بعض برامج هيئة الاذاعة البريطانية البى بى سى BBC تلك المؤسسة العريقة التى بقيت تعتبر صرحا شامخا و محترما فى انحاء العالم.

ذلك ان احد المذيعين قام بترك رسائل مخلة على هاتف احد ضيوف البرنامج فى 16 اكتوبر 2008 و اذيعت الرسائل على البرنامج المذكور فى 18 اكتوبر 2008 بعد ان مررته ادارة البى بى سىBBC المعينة سواء بقصد او اهمالا. و لم يلبث البرنامج ان خلق أسباب سخط شعبي واسع اتصل على مر اسابيع. فقد احتج الناس على ان بعضهم قد احتكر المؤسسة و راح يتحكم فى برامج البى بى سى مثلما يفعلون فى معظم ان لم يكن فى كافة مناح حياة الناس قاطبة.

و ليس عليك سوى ان تصغى الى اى محطة من محطات الاذاعة البريطانية فلا تجد بالكاد غيرهم مذيعين سوى من اعراب الشتات احداً.[41] ذلك انه لا تمر نصف ساعة دون ان تسمع عن المحرقة و الناجين منها و عن الاصحاح القديم و عن الشخصيات الهامة منهم من الفنانين و المفكرين و الاقتصاديين القضاة و المحامين و مصففى الشعر والطهاة و البهلوانات و مصممى الازياء و اهم لاعبى التنس و المخرجين السينمائيين و التليفيزيونين و المملثلين و الكوميديين و رسامي الكاريكاتير و الموسيقيين والمحللين السياسيين و المراسلين الصحفيين فى كل التخصصات فى انحاء العالم. و لايعنى ذلك انهم متجانسين ايديولوجيا و لا حتى سياسيا. الا انهم يبقون متضامنين يتحدون فيما بينهم امام اعدائهم.

و قياسا فحيث لا يكتب شئ و لا يذكرون طوال النهار و الليل باى حال و بكل حال الا ان ذلك التضامن و التوحد الغامض رغم الخلافات بين معظم طوائفهم تبق وراء سردية بكاءة لوامة على نحو "عقلانى–بالتعريف الاجرائى Operational definition الذى ادعيه و اكتب فيه–باستمرار[42]. و لعل البى بى سى BBC نموذج او مثال لاحتكار الصفوات الاوليجاريكية المالية لكل شئ تقريبا. و يتقاضى اكثر مقدمى البرامج منهم ابتذالا ملايين على اشاعة مفاهيم متسيبة بلا احتشام مثلما فعل بعض مقدمى البرامج المذكور اعلاه و يتقاضى احدهما فى شهر ما يفوق اجر فرد عادى فى عام[43]. و يرى البعض ان البى بى سى تتعين على مخاطبة الشباب و ان غير الاخيرن ليس سوى مسنين مفقرين لا يستهلكون فلا يعتد بهم–بمن فيهم الملكة–مما يجعلهم يستحقون استهانة بعض برامج البى بى بهم. و قد بات معظم اعضاء البى بى سى على صلف لا يغتفر اذ يرون انهم فوق النقد حيث يعيشون داخل المؤسسة و ليس فى المجتمع.

و يقول البعض ان البى بى سى تقع–جراء تصرفات تلك الجماعات–فى مغبة تغريب المجتمع اذ لا تخاطب المجتمع الا بما يروق لها هى. و لعله لولا الازمة المالية الخانقة والاحباط الذى اخذ بخناق الناس فضاقوا ذرعا بتلك النماذج المتحكمة فى حياتهم من كل جانب لما أندفع الناس للتعبير عن سخطهم مما ادى الى استقالات البعض و توقيف اخرين[44]. و قد راح الناس يتهمون مؤسسة البى بى سى جراء سلوك تلك الجماعة المتحكمة–و قد شارف القبالا فلم يكن احدا يجرؤ على نقدها–بممارسة نوع من النشر الذى يشارف التعذيب و الارهاب الفكريين الاخلاقيين ان صح التعبير. فقد بدأ الناس يفيقون من سكرة ما بعد الحداثة و من غيبوبة الاسواق الحرة و المشروع ما بعد الليبرالى جميعا.

و قياسا يبقى الحوار الدائر اليوم و بخاصة فى مناخ الازمة المالية غير المسبوقة فصلى متردد وانتقائي وغير واثق من نفسه . ذلك ان الحوار فى مناخ الازمة يعتمد على التطورات اللاحقة الحالة فى كل من الاقتصاد بالضرورة و السياسة بالنتيجة. الا ان بعض ملامح الافكار قد تقيض التعرف على مستقبل السياسة التي قد يتبعها من يطلقون على انفسهم التقدميين الجدد و قد راح المحافظون الجدد و الليبراليين الجدد يتدافعون نحو اطلاق صفة الليبرالية العالمية Universal Liberalism او الليبرالية الاممية Internationalist liberalism و حتى التقدميين الجدد Neo-Progressives على انفسهم تخاتلا بعدما تكشفت بوضوح تعالق صفة المحافظين الجدد و اسرائيل و دفاع معظمهم عن مصالح الاخيرة خصما على مصالح الولايات المتحدة نفسها.

فهل بارت تجارة المحافظين الجدد حقا؟

يعرف المحافظون و الليراليون والخوارج الجدد–و [قد افتضح أمرهم و بارت تجارتهم و سقط النموذج الامريكى للتنمية The American model of Development– ان الناس فى كل مكان باتوا:

– يدركون انه ان تصدق ادعاء تحرير العراق و دمقرطة الشرق الاوسط فانك تستحق قدرك . و اذ كنت تصدق الدمقرطة فصدق التنوير بمغبة ادمان الهوان المصفى والتخاتل [45] وان صدقت ادعاءات النهضة و التنوير و المبدأ الانسانوى و الاكشتافات الجغرافية و القدر الجلى و ارض الميعاد الخ فانت هالك– نظريا على الاقل–لا محالة.

–يدركون أن المشروع ما بعد الليبرالى لم ينشأ مع الحرب العالمية الثانية و حسب و انما نشأ مع المشروع الصهيونى باكرا منذ نهبت القسطنطينة–و ربما منذ اباطرة روما الجمهورية.

– سيدركون اكثر من اى وقت مضى بوضوح–كاف ربما–ما وراء المحافظين الجدد و فائض انتاج الاخيرين و من تلاميذهم الليبراليين الجدد وتنويعات الاخيرين–و قد راحوا يغييرون الوان المعاطف–مع سقوط نموذج التنمية الامريكي ما بعد الليبرالى صبيحة انهيار اسواق الائتمان العقارى الامريكى و ما انداح عنه تباعا من ذوبان النظام الرأسمالى المالى فى كل مكان و لو بعد حين.

–يدركون ان المحافظين الجدد و اعوانهم الليبراليين الجدد قد يسارعوا باطلاق اسم الليبرالية العالمية Liberal Universalism أوالاممية الليبرالية على مشروعهم القادم تكاذبا. ويدعون انهم محافظون تقدميون Progressive Conservatives. ومن المفيد تذكر ان الليبرالية العالمية ليست سوى مايسمى اليوم الاورثوذوكسية العالمية International Orthodoxy فى زلة لسان او جملة اعتراضية هنا و هناك الى حين تتمثل الرأسمالية فى هيئة كاملة مكملة من جديد خصما على ما عداها

–يدركون ان المحافظون الجدد و الليبراليين الجدد يتدافعون الى اطلاق صفة الليبراليين العالميين او الاممييين الليبراليين على انفسهم تخاتلا.

–يدركون أن الرأسمالية بقيت ترشو شعوب الدول الغنية منذ الحرب العالمية الثانية بمال المدينين المؤجل سداده خصما على من عدى الشعوب فى كل مكان و على مستقبل العالم كافة.

–يدركون ان المحافظين الجدد والليبراليين الجدد ما يبرحون يصدرون عن و يحاولون اعادة انتاج تنويعات بيت الحرية The House of Freedom بادراك او بسذاجة تشارف الخديعة بان تلك التنويعات كانت قد الفت أذرعا عضوية و صميمية للصهيونية العالمية مما افصله ادناه.

–يدركون ان المحافظين والجدد يستنكرون الاسلام و الحركات الاسلامية و قد وضعوها بلا انتقاء فى سلة واحدة فيما يدعون العلمانية و ينادون بها بتمويل مؤسسات مشبوهة و بمال امريكا و هى اكبر دولة مسيحية فى العالم و اكثر المجتمعات تدينا.

–يدركون ان تداعيات غزة خلقت شرط صمود ومقاومة استقطبت و ما تبرح تستقطب شعوبا و جماعات بصورة غير مسبوقة.

–يدركون ان تمترس المحافظين الجدد و حلفائهم هم خلف العداء للمشروع القومى و لحركة تحرير فلسطين–حماس و الاسلام جميعا تحت عباءة علمانية متكاذبة–و قد عجزوا عن او–و لم يرغبوا فى خلق بديل فيق ابلسوا المشروع القومى. ونفرق نحن بين المشروع القومى الذى ذلك

الذى يتهم بالفاشية و قد باتت القومية زائدة عن الحاجة ما ان نجحت اسرائيل فى خلق دولتها القومية.

و نفرق نحن بين القومية التى تتشرزم مكوناتها الى انفسامات اثنية يسهل على الرأسمالية ابتلاعها وبين تلك الحركة التى تجمع الناس على العدل و الحرية و السلام كما كانت بعض الكيانات الكبرى تفعل قبل حلول شرط الرأسمالية المالية النغلة تلك.

-نفهم جيدا ان هذا التمرتس ليس سوى تمترس خلف خندق اوليجاركيات مالية توسعية لا يجرؤ معظمهم على النطق باسمها الحقيقى.

الفصل الثاني: مغبة الازمة المالية المنوالية-المحرقة-و التوبة المتكاذبة استدعاءا لاعادة كتابة التاريخ مجددا:

من تمثلات الضيق النظري و المنهجي الذى ينتاب تنويعات اليمين بعد الازمة-المحرقة غير المعلنة الماثلة منذ نهاية العقد الاول للالفية الثالثة- ان راح ما يسمى باليمين الاجتماعاتى Communitarian Right مثلا يدعو الى التخلي و لو مؤقتا عن المادية حيث يرى بعضهم ان العلمانية هى جزء من المشكلة القائمة بين الاحزاب و بين المجمتع و الاقتصاد ومن ثم فيما يتصل بالصالح العام. و قياسا يدعو 3 من الاربع احزاب بريطانية مثلا الى مجتمع تسوده الاخلاق عن طريق اعادة غرس الاخلاق فى الافراد و تكريس العمل من اجل الصالح العام. ويرون ان ذلك من شأنه ان يدعو الى لتصالح ليس مع ما كان السوق قد غرسه من اخلاق فردية مادية وانما مع طواقم قيم جمعية. و بالمقابل لا يقول اليسار الاجتماعاتي Communitarian Left كثيرا بشأن الصالح العام الا بقدر ما تبقى مقولة اليسار فى هذا الشأن غامضة و حرية بان تبدوغير ليبرالية.

و كان حزب العمال البريطاني اقرب الى الليبراليين الجدد بالوصف اعلاه على عهد جيمس كير هاردي James Kei Hardie1856-1915- مؤسس حزب العمال واول قادته و كان الاخير ماركسيا اشتراكيا ليبراليا بالمعنى السابق على الليبرالية الجديدة. و يحتفظ حزب العمال البريطانى ببعض هذه الملامح حتى فى شكله "الجديد" على ايام توني بلير وغردون براون رئيسيه الاخرين على التوالي.

و تتفق الاحزاب البريطانية الاربع الكبرى مثلا على نقد الدولة الماثلة و ربما ينتقدون المفهوم المتعارف عليه حول الدولة الديمقراطية الاشتراكية. و يرى البعض ان اعادة تأسيس الدولة على مبدأ ما يسمى السيادة الجمعية تبقى مفردة غير معرفة تماما. ويؤيد الجمهوريون خلق مواطن على هدى التغيرات الدستورية المطلوبة لقيام دولة السيادة الجمعية تلك . و يرى اليمين المجتمعي Communitarian Right ان النظرية القائلة بسيادة الدول الحديثة بكاملها تثيرالجدل. ويفضل اليمين المذكور صيغة مجددة من نموذج دول القرون الوسطى او ما يسمى بدولة القرون الوسطى الجديدةٍ Neo-Medieval State مما يتمأسس فوق سلطة مجزأة Fragmented فى مواجهة و على نقيض نموذج الدولة الحديثة الموحدة.

و ازعم انه ان كانت اذا كانت الرأسمالية قاطبة وبخاصة الاوليجاركيات المالية سنتجو من الازمة الماثلة و ما يهدد بغيرها فانها لن تفعل الا باعادة انتاج دولة خراجية مما كان يناسب الاوليجاركيات المالية السابقة على الرأسمالية الصناعية على مر التاريخ المسكوت عنه او الذى لم يكتب بعد. وكانت الاوليجاركيات المالية قد اودت برأسمالية الارجنين فى 2001 حتى بات الارجنتينيون يقايضون محاصيل مقاطعة بمحاصيل مقاطعة اخرى. و قد اودت الاوليجاركيات المالية بالنظام الاشتراكي مما حور الاتحاد السوفيتى الى مجتمع الجمع و الالتقاط. فقد تسببت نفس الاوليجاركيات(باسماء اصحابها[46]) فى انهيار التجربة الاشتراكية و فى فشل التجربة البرجوازية الصناعية لحساب الرأسمالية الربوية المالية. سوى ان حركة المال اليوم قد افتضحت مع تجليات ثورة المعلومات.

و تجمع بعض الاحزاب البريطانية غب الازمة الاقتصادية على اهمية المجتمع المدنى قياسا على السوق والدولة ويتصل ذلك بمسألة اعادة هيكلة الدولة واشاعة الاخلاق بين المجتمع و يجعل بعضها تعالقا بين الاخيرة و نظرية الديمقراطية المشاركه..Associate Democracy الا ان معظمهم لا يتفق على مفهوم المجتمع المدني و لا على ما يتعين على المجتمع المدنى ان يسهم به فى كل من السياسة و المجتمع. ويرى اليسار ان المجتمع المدني يقيض بؤرة للتجنيد السياسي. و يجمع الكل على مسئولية المجتمع المدنى فى تحمل عبء توفير الكفالة الا ان اليسار مثلا يرى ان الدولة ينبغى ان تبقى بوصفها الممول الرئيسي للسلع و الخدمات العامة الا ان اليمين الاجتمعاتى لا يشعر بالراحة لهذا التعريف للدولة.

الدولة الخراجية الجديدة:

من المفيد تذكر ان الليبرلية و الحداثة كانتا قد نشأتا فى احضان البرجوازية الصناعية حتى نعى فرانسيس فوكوياما البرجوازية الصناعية. و كان معظمنا قد تصور ان فوكوياما كان ينعى الاشتراكية. و ليس ثمة فرق. ذلك انه حسب اللوحة الخماسية فقد لا تقيض اشتراكية بدون نشوء و نضح البرجوازية الصناعية التى تخرج من احشائها الطبقات العمالية التى ليس لديها ما تفقده سوى قيودها فتنتفض لتقيم دولة البروليتاريا. الا ان ماركس لم يكن ق رلآى الى:

-كيف يسرت التكنولوجيا العمل فبات العمل الصناعى كالعزف علا الموسيقى فيما استجلبت الرأسمالية عمالة رخيصة لا مسييسة لا مدربة للقيام بالاعمال الخطرة القذرة.

-كيف صدرت الرأسمالية العمالة الرخيصة ايضا الى الامتدادات

-كيف تعينت العلاقات المتروبوليتانية مع الامتدادات على نفى شرط ما كانت البرجوازية الصناعية قد ادعت خلقه من اشكال و لو مظهرية للدولة القومية و للمواطنة ما شجع الفرد القبلي-الجهوى الريفى على الحاق نفسه ولو وجيزا بالدولة مخلفا العلاقات القبلية و الجهوية.

فقد كان الاستعمار الكلاسيكي على عهد البرجوازية الصناعية قد اقام مؤسسات مظهرية لما لم يكن وجود له من القانون و الدساتير و تعليم اقليات حضرية الخ ادعاءا لان الاستعمار الكلاسيكي كان معنيا باقامة مجتمعات على شاكلة البرجوازية الصناعية او ناشئة نحو الاخيرة. و كانت القراءة المجتزأة لماركس قد

اغوت بدورها العوالم الثالثة بنظرية النشوء الصاعد فباتت تحلل واقعها على هدي ما لم يختبر بعد من تحورات الرأسمالية. فلم تكن التغييرات الخادعة التى قيضها الاستعمار و الزمن الضائع للبرجوازية الصناعية فى الواقع اكثر من تكريس مصالح الرأسمالية و هى تسلم نفسها لتنويعتها ما بعد الصناعية المابية تباعا.

ذلك ان الرأسمالية ما بعد الصناعية لم تنفك ان عصفت بالدولة القومية و بالدساتير التى توفرت بريطانيا على كتابة 500 منها عشية "خروجها" المتخاتل من مستعمراتها و قضت على المؤسسات و كرست شرط انتفاء التعليم و غيره من الخدمات و السلع العامة. و لم يلبث الفرد ان بات مستهلاكا او متجا للكفاف و ما هو ادنى منه بدلا من مواطن. و راحت اقليات حصرية تستهلك ثقافة الفمامة و الامركة تكريسا لشروط الربح و الفائد و المراكمة المالية لحساب الاقليات الاوليجاركية.

فحيث كان ماركس قد افترض ان الاقطاع الغربى وحده هو القابل للنشوء صعودا الى البرجوازية الصناعية التى ستنشأ بدورها صاعدة الى الاشتراكية قياسا على نمط الانتاج الشرقى او الاسيوى الرانى الى الماضى الذي يرفض التغيير الا ان الرأسمالية المالية تبدو و كأنها فاجأت مراحل تطور المجتمع بالوصف الماركسي لتنشأ صاعدة او ناكصة حسبما تري(ن) على قدر غير مسبوق من القوة و السطوة و الشراسة خصما على دولة البرجوازية الصناعية الحديثة.

و الى ذلك لم يكن متصورا ان ترشو الرأسمالية المالية الطبقات العاملة فى المجتمعات الغنية وجيزا ثم ما تنفك ان تكسر ظهر حركاتها المطلبية. بل لم يخطر ببال كثير من المفكرين ان دولة البرجوازية الصناعية قمينة بان تنكص جراء الرأسمالية المالية فتتحور الى تنويع على الدولة الخراجية المركزية بمغبة استقرار الربا فى مسام المجتمعات الغنية و المفقرة على السواء.

الدولة و الازمة المالية الراهنة:

يقول سنيوارت هوايت أن فكرة اعادة هيلكة الدولة تثير كثير من الجدل صبيحة الازمة المالية الراهنة و يأخذ عن فيليب بلوند Phillip Blond قوله ان نظرية سيادة الدولة باتت مدعاة للتساؤل. و يحبذ بلوند ما اسماه دولة القرون الوسطى الجديدة Neo-medieval model of fragmented sovereignty و تتمأسس الاخيرة فوق سيادة مجزأة تتقابل مع فكرة الدولة الحديثة التى تتوحد فيها السيادة الديمقراطية[47]. وحيث يضمن صندوق النقد الدولى و البنك الدولى استمرار اعادة انتاج ما يسمى بالنموذج الامريكى للتنمية طالما بقيت الدول مدينة للبنك الدولى فلعل صندوق النقد الدولى يتعين على خلق شرط نشوء او نكوص الدولة الحديثة الى دولة خراجية.

فالصندوق تنويع على المديونية المالية الربوية فى شكلها القديم و كان قد تمثل فى اقراض اباطرة روما مثل يوليوس قيصر و ارتهان بعض الملوك والسلاطين و صولا الى ما حاق بالخلافة العباسية و الاندلسية و العثمانية. فقد اخضعت الاوليجاركيات المالية الاخيرة للتقسيم باسم الدين العام Debt Publique بمغبة ديون حرب القرم جراء معاهدة برلين 1878م. و قد اوكلت مصارف الدول الاوربية

الكبرى لاعراب الشتات جمع الضرائب و الخراج فباتوا دولة داخل الخلاقة مما خلق شرط نكوص الخلافة العثمانية و كانت بسبيل ان تنشأ صاعدة الى البرجوازية الصناعية. و كانت اوربا الغربية تأخذ عن الخلافة العثمانية فكرا وتنظيما و فنونا.

لا ان تلك المصارف التى لم تكن سوى اوليجاريكيات مالية–مما لم يكن معظمنا يدري به بعد–و قد راحت تشارف السيطرة على اقتصاد العالم. مرة واحدة و الى الابد–كرست الربا فاستقر فى مسام المجتمع كفيروس الايدز. و لم ينفك اعراب الشتات ان راحو يرحلون ثرواتهم تباعا منذ ما بين الحربين من المانيا زيادة على ان الاخيرة كانت قد افقرت بمغبة ما سمى تعويضات الحرب العالمية الاولى صبيحة الحرب العالمية الاولي عمثلا.

اشاعة تسويغ ثقافة الخطأ: المحافظون التقدميون و اعادة انتاج خطاب الاوليجاركيات المالية:

أزعم ان الازمة الاقتصادية وقد طوحت بكثير من مفردات خطاب المحافظين الجدد و رصفائهم و خدامهم المزعنين–الليبراليين الجدد فى كل مكان–لم تنفك ان دفعت الاخيرين الى اعادة برمجة ذلك الخطاب سراعا و مفصلة مفهومات مجددة فورا. و كان ذلك السعى المتسرع حري بان يسد الطريق امام اى مبادرة من اليسار او ممن ليسوا مع المحافظين وسدنتهم وحتى الاشتراكيين والمناهضين للرأسمالية. وكان معظم الاخيرين ما قد بوغت بما صارت اليه الرأسمالية ما بعد الصناعية و قد فوجئوا مثلما حدث لهم مع سقوط حائط برلين و تقوض المشروع الاشتراكى بليل و هكذا.

و كان اؤلئك المباغتين على غير استعداد للاستجابة للوضع الجديد الذي خلقته الازمة المالية او الافادة من الفراغ الفكري والتنظيمى الذى نشأ جراء ذلك. وازعم ان مثل ذلك الاحساس بالمباغتة او–و العجز عن الاستجابة للوضع الجديد حرض و شجع غيرهم على المسارعة الى ملئ ذلك الفراغ الفكري المنهجي المفرداتى التنظيمى صبيحة الازمة تقريبا. و من مكونات الخطاب الجديد تسويغ مسببات الازمة و تهوين تداعياتها بل الدفاع عن مرتكبيها.

و يقول احد المدافعين عن الاورليجاركيين الماليين وعن حق المضاربين بالمال فى ان يخطئوا فيما يفعلون و يتركون.و قد راح احد اولئك المدافعين يدعون انهم محافظون تقدميون Progressive Conservatives–قائلا: "علينا ان نكون متسامحين معهم " يقصد اؤلئك الذين اخطاؤا عمدا او غفلة او غباءا فى حق الاقتصاد العالمى. و يقول جوليان باجينى Julian Baggini اصبح من الشائع تقديم نصيحة حول المساعدة الذاتية و ادارة الاعمال تقول بان اخطئ و اخطئ مرات[48]. فلم تعد الاخطاء حسنة او سيئة و لم تعد فضيلة او رذيلة. فقد اصبح كل شئ يعتمد على طبيعة الخطأ. ذلك ان نتيجة اى قرار يحتمل ان تكون لها تداعيات ايجابية او سلبية. دون ان يكون الفرد الذى أتخذ ذلك القرار قد اخطأ او اصاب.

ذلك ان المتنفذين و الاطباء و الساسة يتخذون قرارات يعتقدونها مؤسسة على افضل الاحكام الا ان ذلك لا يمنع من الخطأ. علينا ان نكون متسامحين مع مثل تلك الاخطاء لانه يتوجب علينا ان نشجع الناس

على اتخاذ القرارعلى ضوء افضل ما يتوفر من الادلة على نجاحه فيما نكون مستعدين لمساندتهم اذا فشلوا. فاصدار حكم غير ذلك سوف يكون غير منصف بل و مغاير لكل ما من شأنه ان يقود الي الاقدام و التوثب بل سينفى شرط تحقق المواهب. و تعنى مثل هذه الادعاءات ان المغامرة ام الاختراع فيما تهدد تلك الادعاءات بان ما عدى ذلك سوف يلحق بالمجتمع اضرارا كبيرة منها تعجيز المبدعين عن الابداع فيقولون مثلا ان اصدار احكام قاسية على من يفشل جراء مغامرة– اى مخاطرة Taking risks باموال غيرهم فى سوق المال و الاوراق و السندات–يؤدي بلا داع حقيقي الي انقطاع مسيرة التقدم. وبالمقابل يحرض هؤلاء الدولة على تقفيد حركة الفرد حتى باتت الاخيرة تسمى الدولة الدادة Nanny State.

بل يجأر اؤلئك المدافعين عن حرية حركة المضاربين فى المال المغامرين باموال غيرهم أكثر من اى شئ اخر ان ذريعة عدم تعريض الوضع الراهن فى المجتمع الى الاضطراب ينسى "أن الوضع الراهن مضطرب". و لا يذكر بالطبع من المسئول عن ذلك الاضطراب و هو يتخفى خلف ستار دخان ذلك الاضطراب. ومع ذلك يثابر خطاب التبرير و المراوغة على الجأر بان "الحكومات حول العالم اضطرت الى اتخاذ خطوات خطيرة فى محاولة اعادة الاستقرار الاقتصادي الاجتماعي. فقد تنجح بعض الحكومات و قد لا تنجح أخرى. سوى انه ليس ثمة خيار. فأن تقف الحكومات مكتوفة اليدين لا تعمل شيئا مثل شراء الاسهم السامة Toxic shares و ضمان المصارف الهالكة بمال دافع الضريبة الخ انما هو الفعل الذى يستحق التأثيم. و يردفون "فعندما ينقشع غبار هذه الازمة سوف نحمد لبعض الحكومات و البنوك المركزية مبادراتهم بل مغامرة اتخاذ قرار قد لا يسنده دليل على النجاح و قد نعود باللائمة على من فشل منهم" .

و يقول فلاسفة الوضع الجديد الذى لا سبيل الى الدفاع عنه "انه ينبغى فى جميع الاحوال ان نشجع مفهوم النضج فى تعريف ثقافة ارتكاب الخطاء. فمن المهم اللا تغدو فكرة ارتكاب الخطأ بلا معن. ذلك انه علينا ان نكون متسامحين مع الاخطاء المبررة و غير متسامحين مع الفشل غيرالمبرر يمعنى ان الفشل هو الا تغامر. بل يزيدون بان ينبغى تطوير خطاب و منطق ثقافة الخطأ. فيجأرون بان "مثل هذا الخطاب يحتاج لان يواجه رأسا و قبل كل شئ اؤلئك الذين يتعينون على وصم من يعترف بارتكاب خطأ بان ذلك الاعتراف علامة على الفشل" This rhetoric should address head on those who will claim that the admission of mistakes is a sign of weakness[4950]

و يذكر ذلك الدفاع ان المتنفذين الذين كانوا سببا فى ذلك الاضطراب لم يتوقفوا عن ان يملاؤا جيوبهم بالذهب و المال مجددا. بل الاخطر لعلهم يدركون جراء علمهم ببواطن امور ما صار وبمغبة تشجيع ثقافة الخطأ و الاحتفال بها ان الازمة الراهنة قد لا تكون الاخيرة طالما ان المسئولين عنها متستر عليهم. و قد يلاحظ الناس في كل مكان كيف ان معظم المحللين و السياسين يثابرون على التكتم على الاسباب

الحقيقة وراء الازمة مما يهدد يالشر كل الشر. ذلك ان كل شئ يذكر الا الاسباب الحقيقة للازمة. فلا يذكر فى تحليل و تبرير الازمة سوى تفاصيل التفاصيل. بل ما لا يؤلف سوى ما لا قيمة له فى تشخيص الحالة فلا يوصل الى علاجها.

و ازعم ان ما يذكر من ازمة الائتمان العقاري وتجاوزات صناديق الاستثمار و بطاقات الائتمان و مكافئات مدراء المصارف و الشركات الكبرى الخ لا يقدم و لا يؤخر فى التعرف على مسببات الازمة الموضوعية التاريخية و تعبر عن نفسها فى ظاهرة الاوليجاركيات المالية. واجادل ان الاوليجاركيات المالية تعبر عن نفسها كما كانت تفعل دائما منذ ان احتكرت بيع الخيول و العبيد ابان الامبراطورية الرومانية عبورا بشركات الهند الشرقية فى احتكارات Conglomerates فائقة. و ان ثقافة الاحتكار السائدة بين تلك الاوليجاركيات من شأنها ان تنفى شرط التنافس فى السوق رغم ان ذلك التنافس يعتبر واحد من اهم مبادئ السوق الحر او حرية السوق التى ينادي بها المحافظون الجدد و الليبراليون الجدد نيابة عن اسيادهم الاوليجاركيين.

ويبقى الامر و كأننا بسبيل ما نفول عنه عندنا فى السودان بان "عينك فى القيل و تطعن فى ظله" اى ما يشير اليه الانجليز ب"الفيل داخل الغرفة" The elephant in the room الذى لا يجرؤ على الاشارة الى وجوده بالغرفة احد و قياسا فان احدا لا يعرف اين ذهبت تلك الاموال الطائلة؟ و لا لمن؟ و يقدر المال الهارب Flight Capital او المهدر بما بين تريليار و 3 تريليارات دولار فى امريكا وحدها. و قد بلغ حاصل جمع التاتج القومى الاجمالى الايسلتدى وما يشارف ذلك من الناتج القومى الاجمالى اليوتانى. و كان المال الهارب قد دمر الاقتصاد الارجنتينى نهاية 2001 و بداية 2001 اى قبل فضائح اونرو بشهور وصولا الى احداث 11 سبتمبر 2001.

وحتى عندما يتجاسر بعض المحللين السياسيين و الاقتصاديين–المنفيين فى بيداء القنوات الموصومة من قبل الغرب مثل قناة بريس تى فى Press TV الايرانية مثلا–فى ساعة لا مباركة فان ما بقوله ذلك المتحاسر قد لا يزيد على التخمين وحسب بما قد يكون عليه مقدار تلك الاموال. و يقدر البعض تلك الاموال بما بين ترليار دولار و 3 ترليار دولار من المال الهارب. ويقول لك ذلك الى اي مدى نخضع للتضليل و للتعميش و التجهيل. فلادراك هول تلك المبالغ من المفيد تذكر ان تريليار واحد حري بان يقيض اقتصاد الهند فى عام كامل. و يقول لك ذلك الى اى مدى يبقى اثر الاهدارالمالي او المال الهارب مسكوت عنه كما يبق نشاط الاوليجاكيات المذكورة غامضا و مسربلا فى ظلمات التسارر و التستر و العقلانى. و فيما يلي محاولة وجيزة لتعريف عقلانية الظواهر الماثلة أجرائيا.

لماذا العقلانية الكلاسيكية و ما بعد الحداثية؟ ولماذا يتخاتل الخطاب العقلانى على الحقيقة الموضوعية؟

ازعم ان العقلانية التى تعينت تباعا على تعريفها اجرائيا تعبر عن نفسها احيانا فيما اشير اليه بالعقلانية القاحلة Sterile Rationalism بمعنى انها لا تدعى اعلاء العقل و اعماله و حسب وانما توقف

العقل فى الواقع على رأسه, واجادل ان ثمة فرق بين عقلانية من يملكون و عقلانية المفقرين ماديا. فعقلانية الاول تتعين على تزيين و توزيق الحقائق وصولا الى القضاء على مفهوم الحقيقة و الحق. و قياسا فان الاخيرين قمينان بان يخصما المدركات العادية للحقيقة والثحق كما يراهما اغلبيات المخضعين لسلطة الاوائل و لهيمنة لغتهم المتخاتلة بالضرورة و النتيجة. و اجادل مرة اخرى ان عقلانية السلطة و الحكام اصحاب المصالح الدينية و الدنيوية –و لا تختلف الاخيرتان كثيرا–كانت حرية بان تستقر في مسام المجتمع الاوربي الغربى مع المسيحية الغربية. و كانت الاخيرة حرية بدورها ان تتحور To mutate و قد اخترقت باكرا منذ بولص الرسول الى تنويعة على اليهودية وصولا الى المسيحية اليهودية وعبورا بالكالفينية او الاصلاح البروتستانتى الكالفينى التطهري الذى ازعم انه تنويع على خلق القرآن مما اناقشه تباعا:

و ازعم ان ذلك الاختراق كان محصلة حلول جماعات من اسميهم اعراب الشتات ممن يرفض الاستقرار الا بالتنكل By Default و يترحل(و امواله) فى كل مرة تذرعا Expediently .

–و اعرف الاستقرار بالولاء للارض و الاقوام التى عليها اى للمجتمعات التى يعيش اعراب الشتات بين ظهرانيها و قد استضافتهم على مر السنين.

و اجادل ان الترحال كان قد وفر و ما يبرح يوفر لاعراب الشتات جنيسيات عديدة و جوازات سفر متعددة و تبقى الهوية واحدة. و يقول السير رووناالد كوهين انه "من الضروري لليهود ان يكون لهم مستقر هو اسرائيل حتى اذا اختار اليهودي ان يزورها او يعيش فيها فان ذلك المستقر يبقى هاما لليهود. فاليهود ليسوا اكثر الناس شعبية فى العالم لذلك من الضرورى ان يكون لهم مكان يعودون اليه و ان تبقى اسرائيل قوية[51].و أجادل ان "خروج" اعراب الشتات من المجتمعات المضيفة كان قد تصاحب فيما بقى يزوق فى مفهوم مركب و معمش على حقيقته وهو مفهوم المحرقة Holocaust. و تعنى المحرقة موضوعيا "خروج" اصحاب المال برساميلهم و تحفهم و كافة ثرواتهم من المجتمع المضيف و قد خلفوا ورائهم عامة شعب من المفقرين منهم يواجهون السخط الشعبى الناتج عن خراب المجتمعات المضيفة منواليا على مر التاريخ غير المكتوب. و لا يحيق باصحاب الثرواة و اموال من اعراب الشتات فى اى مرة ضرر يذكر او ينسى. و يعود الاخيرون مجددا الى منوال الحلول او الاستقرار بالتنكل و "الخروج" المتذرع وهكذا دواليك فى عملية ترحل متصلة كانت قد يسرت ترحل أموال و ثراوات اعراب الشتات معهم او–و قبلهم من كل مكان الى كل مكان على مر الزمان. الا ان ذلك الترحال لم يقيض تعريفه الا بقدر ما زوق فى مفهوم المحرقة.

المحرقة ما بعد الليبرالية تعريفا اجرائيا:

ان ما يحدث غب انهيار اسواق المال بتفاصيله جميعا من هروب الرساميل و مشارفة اقتصاديات العالم للزوبان و التهديد بازمة اقتصادية حرية بان تتحول الى انكماش اقتصادي كل ذلك الى انتشار المديونية بين الدول و الافراد لا يزيد و لا يقل عن اعراض حالة ماثلة مثول شرط حلول المحرقة على مر التاريخ

المسكوت عنه. و الفرق هو أن مثول شرط حلول المحارق السابقة على الرأسمالية ما بعد الصناعية المالية الليبرالية الجديدة هو ان الاخير كرست شرط تحييد السخط الشعبى بل و سمج حكام المجتمعات المضيفة و تقادي مغبة تلك المحارق متمثلة فى عقاب المجتمعات المضيفة لاعراب الشتات اصحاب المال الهارب فى كل مرة.

فهل الازمة المالية تنويع على المحارق المنوالية المسكوت عنها؟ ام تمثلا للخروج.

اجادل تباعا أن الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007 و تباعا ليست سوى تنويعة مالية ما بعد صناعية على نظائر منوالية عبرت عن نفسها على مر التاريخ المسكوت عنه فيما اعرفه اجرائيا ب"محارق منوالية. واجادل ان لعل الازمة المالية الماثلة كانت حرية بان تؤلف شرط محرقة من تلك المحارق المتكاذبة الا ان الدول الغنية و قد ارتهنت بالديون لم تملك سوى ان تضمن اصحاب الاموال الهالكة. فلم تنفك الدولة ان اجبرت على "ضمان" الاعمال الهالكة جراء هجرة المال بعنف–ما اسميه رأس المال الهارب–و اناقشة فى مكان اخر ببعض التفصيل. و يلاحظ ان اوباما يسمي تلك المحارق باسمها. فقد راح يجأر فى الاسابيع الاخير من يوليو 2009 و يعد مرور 6 اشهر على توليه السلطة معلنا انه "اطفأ الحريق الذى تمثله الازمة". و قال "كان يجب ان نبدأ باطفاء الحريق" و كرر "اعتقد اننا ابتعدنا عن الهاوية اعتقد اننا اطفانا الحريق".[52]

ذلك انه حيث كان اصحاب الرساميل الضيفة المترحلة من الاوليجاركيات الفطيرة الى نظائرها المفسفسطة قد اخترقوا السلطة السياسية و التنفيدية و التشريعية فى مناويل لا متناهية الا نهم فى تنويعتهم ما بعد الصناعية قد احتكروا و تعينوا على كسر ظهر التفكير و التنظيم الشعبى مما لم يعه معه ثمة سبيل الى التعبير بصورة من الصورة القديمة عن السخط الشعبى غير المنظم واعرفه باليسار الممفصل تلقائيا.ويطلق عليه خصوم الشعب الغوغاء الدهماء العامة ذراية. و قياسا لم يعد ثمة سوى خروج الناس الى الشوارع فى احتجاجات و مواكب و مسيرات الخ. و يعبر السخط عن نفسه فى ثورات ديجتالية و اليبكترونية اكثر منه انتفاضات كاملة تطالب بخروج اعراب الشتات او–و تقتص ممن يبقى منهم من عامة الشعب الاعرابى المذكور مثلما حدث فى المانيا النازية مما قد افصله وحيزا ادناه و فى غيرها من قبل دون ان يدخل التاريخ المكتوب بصورة لافتة.

1–***حصار الشعوب استباقا للسخط القادم على الخروج:***

وبالمقابل لم يعد لشعوب المجتمعات الغنية و المفقرة معا اكثر من الخروج الى شارع تزيد اعداد الشرطة المدججة بالسلاح فيه أعدادهم هم او–و يبدعون ما يسمى الانتفاضات الاليكترونية Electronic Uprisings. و قد لاحظ الناس فى كل مكان كيف وصلت السلطات الامريكية مئات ملايين الرسائل الاليكترونية–الايميلات و الفاكسات والرسائل الهاتفية ابان الاسبوعين اللاحقين لانهيار اسواق الائتمان العقارى فى صيف 2007 و تباعا.

هذا فيما قد تصل اللامبالاة بعامة الامريكان ان غالبا ما لا يعلم معظمهم–مما قد يصل الى 75%و منهم –حتى عشية الانتخابات–بان هناك انتخابات الا ان شعوب العوالم الثالثة بقيت–رغم بؤسها الموصوف– وربما بسببه–لوقت طويل مسيسية جراء تعالق الخبر و السياسة. و تدرك الرأسمالية قدرة تلك الشعوب–على بؤسها–على اقلاق شأن المراكمة وفضح ادعاءات الاخيرة للديمقراطية و الحرية. و قياسا تتعرى امريكا–و حلفاؤها– فى العراق و افغانسنان و غزة و اليمن تباعا. و قياسا يتفاقم بؤس تلك الشعوب حتى لا يبقى فيها رمق لتأمل حالها فتغيب فيما ورائيات–ميتافيزقيات–هربا من واقع لا يطاق. و مع ذلك ينتاب

3–عقلانية البحث عن مستعمرات فضائية بدلا من معالجة مشاكل البيئة:

و مع ذلك تكابر الاوليجاركيات بانه مهما كانت الانتفاضات فانها لن تغيير كثيرا. فاعضاء الاوليجاركيات المالية العولمية التى تعينت على خراب الكون بكل صورة قمينون بان يفعلوا اى شئ للحفاظ على سلطتهم و ثرواتهم و عبيدهم على طريقة شمسون اي ‘‘نفسى و بعدى الطوفان’’. و حيث تعمل الاوليجاريكيات المذكورة على ضوء اجندة قيامية فان خراب الكون لا يهمها. و ليس غريبا ان تكون الحروب الماثلة حروب ابادة او محارق بالمعنى المزوق يروح ضحيتها من المدنيين خسائر موزاية فى المجتمعات المفقرة بين المسلمين و العرب مثلا اكثر مما يقضى من الجنود.

و تدمر مدن اثرية و قرى قديمة مثلما فى العراق و افعانستان حيث سويت اعرق المدن بالارض او–و جعل منها مثل مدن بابل قواعد عسكرية او نهبت نهبا خصما على تاريخ وحضارة تلك الاقوام بغاية تدمير الدليل الباقى على خطل سردية اعراب الشتات التى لا تزيد على اقتباس ما اقامه غيرهم من الحضارات او–و اداعائها اصلا. و كان الغرب يعل ذلك منذ ان دمرت روما قرطاح و كانت الاولى عبارة عن بضعة اكواخ من الطين و القش و قرطاج ام الحضارا. و و بقيت قرطاح تحترف 3 سنات بعد هزيمة روما لها و لم يبق منها ما يدل عى شئ وهى التى كانت ام حضارات غرب المتوسط.

و تنتج امريكا جنودا اليكترونيين يقومون مقام الجنود من البشر مثلما تطير اليات حربية بلا قبطان لتدمير حضارات سبقتها بالاف السنين فتخلق شرط التغيير المناخي من كثرة التلوث البيئى جراء الحروب و السلاح غير المجرب من قبل. و بالمقابل تقسر الاوليجاركيات المالية العولمية الدول الغنية على البحث فى امور الفضاء بغاية مبيتة ل "الخروج" من كوكب الارض الملوث الهالك عشية محرقة غير مسبوقة حسب اجندتهم هم الى كوكب اخر. فصناعة الفضاء. فان يترك اؤلئك المحظوظين الارض و ماعليها تصرف مليارات الدولارات على صناعةالفضاء واكتشاف كواكب جديدة صالحة للحياة البشرية بدلا من صرفها على معالجة مشاكل الارض و التغيير المناخى. بل يكرس كل شرط لاحلال خراب الارض و لعل الخروج الى الفضاء تعريف جديد لارض الميعاد اوعودة المسيح. و ليس غريبا ان يملك بعضهم حصصا فى بعص تلك الاكوان.

و قياسا فقد لا يبق ما بين الان و المحرقة الاخيرة هناك سوى ان يخرج على الناس فرد غريب عجيب ارتقى في زمن قياسى لا يزيد على 3 اعوام على الاكثر الى مرتبة زعامة العالم و هو الذى يبقى مع ذلك غير قابل للتصديق حتى انه هو نفسه لا يكاد يصدرق نفسه فيعد الناس بالتغيير فى لحظة يكون الناس فيها قابلين للغواية مستهدفين نفسيا لتصديق اي شئ و قد باتت المحارق الكونية تتهددهم جراء رأس المال الهارب من كل مكان الى كل مكان والتغيير المناخي. فقد كان الناس قد مروا بما لم يكن قابلا للتصديق و بات اى شئ افضل مما كانوا عليه وقد وجدوا انفسهم مقبلين لا محالة على ازمات لا يعرف احد سوى اصحاب تلك الرساميل من اعضاء الاوليجاركيات مداها.

و كانت الازمة الراهنة–صيف 2007 و تباعا–حرية بان تخلق سابقة مثول شرط حلول المحرقة. الا ان المحرقة الماثلة محرقة ما بعد ليبرالية بهذا الوصف. و رغم ان المحرقة ما بعد الليبرالية تنويع على نظيرات سابقة الا انها نادرا ما باتت تعبر عن نفسها فى "الخروج" المنوالى العنيف لاصحاب الرساميل غب الفقاعة المنوالية المذكورة كما فى كل مرة.

4–تعريف عولمى اجرائى ل "الخروج" الرأسمالي ما بعد الصناعى–المالي؛

كان الخروج كما اذكر فى مكان اخر هو خروج احبار و اسباط و قضاة و تجار اعراب الشتات فى كل مرة عشية ازمة يختلقونها هم. و يخرج المستثمرون العولميون عشية الازمة فى كل مرة كما فعل المستثمر العالمي بيل براودر Bill Browder من روسيا فى 2006 و من دبي فى 2008. فقد كان قد حط فى روسيا فى 1996 مع انتشار ظاهرة المؤسسات الخربة المفلسة جراء ما سمى بالبروسترويكا و رسملة الاتحاد السوفيتى بغاية خلق روسيا الفيدرالية. و قد قيض اقتصاد روسيا المرسملة بفوضى الخصخصة اللا محتشمة للمستثمرين العالميين و للاوليجاركيات الروسية التى حلقت حول جثة اقتصاد الاتحاد السوفيتى كالغربان رساميل هائلة[56].

و يقول بيل برويدر انه رغم المشاكل التى واجهته مع شرطة و مافيات الاوليجاركيين الروس الا ان نسبة ما راكمه من اموال بلغ 25 مرة رأس ماله الذى كان قد أستثمر بداءة فى روسيا. و لم يلبث بوريدر ان ترحل بماله الى الخليج الذى وجده مقارنة مع مناخ روسيا عبارة عن نزهة بديعة. الا انه لم يلبث ان رحل عن دبي عشية حلول ازمة الائتمان العقارى الى لاقتصادات التى تملك فائض موازنة وشرط النمو الاقتصادي مثل الصين والهند و البرازيل و اندونسيا و قد عافت نفسه ارض نيويورك و مدينة لندن المالية City of London اللتان باتتا كالرمال المتحركة. على انه من المفيد تذكر انه حيث كان المال كان بان يتركز فى امريكا و فى مدينة لندن و ان يتمأسس فوق الدولار و بدرجة ما عن الاسترلينى الا ان الانهيارات المالية ابان ازمة العشرية الاولى للقرن الواحد و العشرين لم تنفك ان نشرت القمامة المالية السامة Financial Toxic Waste التى زوقت فما يسمى ب"الاسهم السامة Toxic Stocks and shares" حول العالم اجمع دون انتقاء تقريبا.

وو قياسا يغدو الخروج اليوم خروج المصرفيين او التهديد بالخروج اذا لم يحصلوا على مكافئات بمليارات دافع الضريبة كما فى شتاء عام 2009 و لم تزل الازمة ماثلة. فقد استقر الامر للاوليجاكيات المذكورة فى كل مكان و قد ملكوا مقاليد سلطة العالم و قبضوا على مفاصل الثروة –ولو الى حين–و على الاعلام و كتابة التاريخ الرسمي بخاصة ممت قيض لهم سيادة العالم فباتو سادة العاليم of the world Masters او سادة الكون Masters of the Universe . و كان اعراب الشتات يكتبون ما يكتبون و معظم الناس حولهم بما فى ذلك ملوكهم امي فلم يكن يضيرهم كتابة اساطير و المبالغة فى الارقام و الاحداث لحسابتهم هم و خصما على من عداهم بل العكس.

و ما يبرح اعراب الشتات يتعاملون مع مجتمعات مضيفة معظمها بقى اميا و مستغفلا بشأن امور المال فالكل امى بما فى ذلك محافظو البنوك المركزية الغربية و غير العربية و قد اعترف مليفين كينج محافظ البنك المركزي الانجليزي بانه لا يفهم كيف وقعت الازمة و لا كان بملك ازائها تصورا يحمي الاقتصاد البريطانى من ثم. فاعراب اشتيات هم الذين يكتبون النص و يعلقون عليه و بحللونه و يصلون الى النتائج التى تناسب سرديتهم فهم الاقتصاديين و الاكاديميين و المستشارين و المراسلين و المعلقين و المفسرين الا ما خلا قلة لايسمع لها صوتا و ان سمع فتحت حر سيف الترويع و مغبة فقدان الرزق و التشريد و اغتيال الشخصية. و فيما يلي تعريف وجيز لمفهوم سادة العالم او سادة الكون:

5–تعريف اولي لمفهوم سادة العالم او سادة الكون

هم اصحاب صناعة السلاح و صناعة الفضاء والصناعات الكيماوية و صناعة الغذاء وصناعية النفط و تجارة الماس و كافة الصناعات التعدينية بخاصة فى اليورانيوم و النحاس و غيرها من المواد الاستراتيجية و والقائمين على المؤسسات المالية الكبرى واصحاب المصارف و المؤسسات الفانونية الكبرى Law Firms و المحاسبين Auditors. وتقوم جماعات بعينها بتبرير و ترشيد و تسويغ ممارسات تلك الصناعات و اشباهها منها المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد و اليسوعرقراط و الافانجليين الامريكان المتطرفين و العلماء و الاكاديميين و الصحفيين و اعضاء ما يسمى بالمنظمات الشبيهه بالمنظمات غير الحكومية الكواكنجوز QUANGOs ممن اعرفهم فى مكان اخرو غيرهم من الموالين للمشروع امريكى الجديد.

وتجد ان الحكومات غالبا ما تكون على علاقة محارمية مع تلك الصناعات. و يفسر لك كيف ان الحكومة البريطانية مثلا تتساهل بل تشجع احيانا تعاطي الخمور بمد الساعات التى تفتح فيها الخمارات بصورة متواترة. ذلك ان الحزانة تفرض على الخمور ضرائب عالية مرة لان شرب الخمر–و الحرب على الارهاب–يلهى الناس عن همومهم و عن الحكومة. وبالمقابل يموت اكثرمن 40 الف نسمة كل عام جراء حوادث مرور يتورط فيها مخمورين و يكلف الادمان و الشرب الحكومة 45 مليار استرلينى كل عام لعلاج الامراض الناتجة عن شرب الخمر. ونفس الشئ بقال عن الصناعات الكيماوية و صناعة الغذاء.

وتدخل صناعة الكيماويات فى صناعة بصناعة الغذاء و السوبرماركيتات خصما على منتجى المواد الغذائية. كما ترتبط صناعة الكيماويات بانتاج كل من وسائل النقل وصناعة الورق و النسيج و مستحضرات التجميل مما يقيض لها التحكم فى المودة و فى اختيارات الناس لما يلبسون و يركبون و ما يكونون عليه من هيئة جمالية او غير ذلك حسب هوى صناعة الازياء و مصففى الشعر و التجميل. و كلما ربحت صناعة العقار و الادوية و قياس فان تدخل الصناعات الكيماوية فى صناعة الغذاء ينشر امراضا بعينها بين الناس و هكذا وكان كافة هذه الصناعات متورطة فى تكبيد اناس صحتهم وحياتهم و الدولة اموالا طائلة فى غير طائل سوى ارباح هائلة لتلك الصناعات و المرشدين المبررين و المسوغين لنشاطها معا.

6-المحارق و استدعاء تاريخ افتراضى و تكريس مراحل تطور افتراضية بدورها.

تدرك الثقافة الحضارة الغربية–او لا تدرك سيان–انها فائض انتاج ما سبقها والاخطر انها تتعين على خصم وجودها على سابقاتها او–و تدعي نسبة الى الاخيرات انتقائيا. و قياسا فقد بات كل ما عدي الثقافة الغربية الرأسمالية ما بعد الصناعية على الخصوص محصلة محارق فكرية و ثقافية و تنظيمية الحقت بكل ما عدى الغرب الرأسمالية فى تنويعات لا متناهية من الخسارة و الخسران و الازعان و اللا شيئية الممعنة جاءا على "خروج" افتراضى فى كل مرة. فما ان احتكر الغرب–الرأسمالية كتابة التاريخ تباعا فقد راحت الرأسمالية تتعين لوقت طويل على احتكار العلم و تعيد انتاجه بحيث يخدم المصالح الرأسمالية دون سواها.

و يلاحظ المتأمل كيف يتحذث علماء الغرب بلا تردد او حتى شك علمى–و هم دعاة الشك العلمى–انا اشك اذا فانا موجود على الاقل ناهيك عن انتحال ادعاء انهم حجة فيما يقولون–يتحدثون عن مئات ملايين السنين الشمسية والقمرية و بدايات الكون و الخليقة و النشوء والارتقاء. و حيث يثابرون على التعين على ذلك فان احدا لا ينازعهم فيما يقولون و لا بجرؤ معظم من عداهم على نقدهم. فقد باتت ساحة العلم و المعرفة مقفولة على العلماء و المفكرين و المؤرخيون الكتاب و الصحفيين و المراسلين الغربيين دون من عداهم.

ذلك ان اؤلئك العلماء والمفكرين و المثقفين و الاكاديميين و المستاشرين و الخبراء و الصحفيين و حتى المراسلين الصحفيين حجة و مرجعا فى كل ما يقولون. و فيسمع مراسل الاذاعة البريطانية عن ظهران يقدم تقريرا عما يحدث فى طهران الاثنين 22 ديسمبر 2009 صبيحة موت متنظرى من لندن ينفس الثقة و الاعتداد و الصلافة التى تقدم بها صورا للاحداث فى طهران تبثها الهواتب النقالة و غيرها من المبتكرات الديجتالية الاليكترونية مما قد يكون مختلقا او ملفقا رقميا تلفيقا و كانه الحقيقة المطلقة. و يطرح معظم هؤلاء المفكرين المثقفين ؤ الاكاديمين الخ الرأسمالية الليبرالية الجديد وكأنها لا تقهر. Indestructible

7-كيف تكرس الرأسمالية المالية عدم استقرارها هى بنيويا:

و رغم عدم استقرار الرأسمالية الكامن فى بنيتها اى البنيوي الا ان معظم المثقفين و المفكرين و الاكاديميين الخ وهم يثابرون على ما يطرحونه متجاهلين كون عرض عدم استقرار الرأسمالية البنيوي لم يذهب بل ان ذلك العرض قد تفاقم مع حلول الرأسمالية المالية و ادمان اقتصاد الولايات المتحدة و بريطانيا و غيرهما للديون الخارجية غير القابلة للاستمرار. و قياسا ما لم يلبث الليبراليون الجدد ان تعينوا على تزيوق سياسة التدخل التى كان توني بلير–رئيس وزيرا بريطانيا السابق و ربيب المحافظين الجدد–قد جأر بها فى كلمته فى 1999 فى شيكاغو حول ساسة العرب الخارجية. فقد تعينت الليبرالية الجددة على مبدأ استخدام القوة العسكرية لنشر الديمقراطية.

ذلك ان المثقفين و المفكرين و الاكاديميين الامريكان و البريطانيين و بعض الاوربيين بقوا يتخيلون ان النموذج التاريخى الطبيعى الذى يتحقق هو ذلك الذى يقود الى نسخة او تنويعة مستمثلة من المجتمع الغربي تماما مثلما كان فرانسيس فوكوياما قد تنبأ منذ 20 عاما. و هكذا عاشت امريكا و الغرب مرحلة اقتصاد افتراضى تمأسس فوق احبولة ان تحقق احدى غايات دمقرطة العراق و سفوط صدام وتغيير النظام من شأنها ان توفر عائد نفط يمول الحرب كما بنخفض سعر النفظ من شأنه ان يخلق شرط ازدهار Boom الاقتصاد الامريكى الخ. الا ان االذى حدث لم يكن سوى ان تكبدت الامريكان ديونا b قبل لها بها بعد ان كان بوش قد تسلم من كلينتون فائض فى الموازنة.

و لم تلبث امريكا ان منيت بحلول شرط نهايتها, ولم تكن امريكا تصور ان نهايتها محتملة طالما بقيت الازمة تحيق بالهوامش مثل تايلاند و المدن الدول الاسيوية فى تسعنيات القرن العشرين و فى الارجنتين مع بداية الالفية الثالثة. الا ان الازمة كانت بسبيل ان تحيق بامريكا ما ان راح النظام المالي الامريكى يتحور لينفجر فى نفسه To implode تباعا. ذلك ان امريكا كانت قد وصلت مرحلة فاصلة و راحت تبيع الاساس المادى للانتاج السلعي فلم تلبث ان وجدت امريكا نفسها فى قلب نوع من الرأسمالية المالية التى كانت بدورها مفلسة[57].

ومع ذلك و رغم ان مكانة الولايات المتحدة كانت اخذة بالافول–مما كان بول كينيدي قد تنبأ به منذ 1987–الا ان جورج ووكر ر بوش كان–جراء محدوديته الذهينة–عاجزا عن ادراك ناهيك عن تصديق فكرة افول The waning of امريكا والغرب عموما لحساب الشرق–الصين. بل الاخيرون يتعاطون احتفالية لا محتشمة بشأن قوة امريكا العسكرية و الاقتصادية. وكان اندري جوندر فرانك قد تنبأ باكرا منذ ثمانينات القرن العشرين بانقضاء زمان النموذج الغربى لحساب الصين. ذلك ان نموذج الدولة الغربية يغدو تباعا واحد وحسب من نماذج عدة. فما ينفك الناس ان يبدعوا نماذج تناسلهم و تدل علي مجتمعاتهم و مراحل تطورها الخ. الا اؤلئك العلماء والمفكرين و المؤرخين و الكتاب الخ بقوا ملحقين بالرأسمالية تمولهم الرأسمالية فبقى الادب و الفكر و الخبر و تحليله و توقيته رهين بادواة الاتصال والاعلام الملحقة بالرأسمالية والتى تحتكرها الرأسمالية مما يلاحظه الناس فى كل مكان.

هل انفطمت الرأسمالية من علاقات الملكية و الانتاح والعمل العبودى عسكرة العمل؟:

و مع ذلك فلم تنفظم الرأسمالية من علاقات الملكية الاقطاعية و علاقات العمل القنى و حتى العبودى اليونانى و الرومانى حتى اليوم. كما لم تنفظم الرأسمالية المذكورة من عسكرية المجتمعات الكلاسيكية و لا من العلاقات المثلية الاسبارطية. ان اكبر دليل على اتصال الاقطاع على افضل–ان لم يكن الرق– بالشروط الرأسمالية ان لم يكن تعالقهما بالمراكمة المالية. ذلك ان الارستقراطية الاوربية–البريطانية–الاسرة المالكة مثلا–بقيت تراكم ثرواتها اللامتناهية بعلاقات العمل الاقطاعى و علاقات الملكية الاقطاعية. و ما تبرح الاخيرة و غيرها من اعضاء الارستقراطية ما بعد الحداثية–الميروتقراطية المحدثة قياسا على الارستقراطية الكلاسيكية–تراكم بالرأسمالية المالية مما كرس الاحتفال بثقافة الثراء و بثقافة ابلسة المفقرين.

و تدعى الملكة مرة انها واحدة من الناس العاديين ومرة تقف على رأس اقوى واغنى مؤسستين هما العرش و الكنيسة بوصفها هى الملكة و المحافظ الاكبر للكنيسة Supreme Governor. و كان ما يسمى بالاقتصاد السوق الحر قد حول الناس الى عبيد و ارقاء و مستهلكين فى المقياس المدرج بدلا من موطنين, و يبقى البريطانيون رعايا و ليس مواطنين. والى ذلك لا تدفع تلك الارستقارطية ضرائبا بل يبقى بعض اعضاء مجلس اللوردات معفى من الضرائب بوصف بعضهم غير مقيم وكأن مبدأ لا ضرائب بدون تمثيل No taxation without representation يسمح بالعكس حيث يحتل بعض اعضاء تلك الارستقراطية المحدثة مجلس اللوردات و يتبرأون من مواطنة بريطانيا و لا يدفعون ضرائبا.

و ازعم ان ذلك من شأنه ان يعنى ان ان تنويعة من علاقات الانتاج الاقطاعى او القنى سمه ما شئت(ي) ما برحت ماثلة فى الرأسمالية بتنويعاتها وصولا الى تنويعتها ما بعد الصناعية و بخاصة المالية النهابة فى:

أ–حالة مستعمرات بريطاينا الباقية بعد او ما يسمى الاقاليم البريطانية فيما وراء البحار British overseas territories و تشمل اسرتاليا و نيوزيلندا و الجزء البرطانيى من كنادا.

ب–حالة مستعمرات اصغر مثل بيليز Belize , فى امريكا الوسطى و كانت تسمى هوندوراس البريطانية و جزر بيرنزي Jersey و جينرنبى Guernsey G و ايل اوف مانIsle of Man و –ج–الجزر الواقعة فيما يسمى القناة الانجليزية ما بين بريطانيا شرقا وفرنسا غربا وغيرها. و يملك التوأمين السير ديفيد David والسير فريدريك باركليز Fredrick Barclays صاحبى اكبر الفنادق مثل الرتز Ritz مثلا 20% من جزيرة صارك Sark و جزيرة بريكو Brechou بالقرب من صارك.الواقعتان فى القناة الانجليزية. و يملكان من ثم عدد من اهم الصحف من التليغراف و السكوتسمان Scotsman و الديلى ميل Daily Male الخ

و يدير الاخوين التوأمان الجزيريتين كاقطاعيتين و يعينون النواب و يفصلونهم و ينشئون المشاريع الكبرى تماما كمثل سيد او حاكم خراجى. و لا يدفع الاخوين ضرائبا كونهما يقيمان–فى قصر قوطى بقلاعه و مطار صغير لطائرتهم الخاصة–خارج النطاق الضريبى القانوني off Shore البريطانى. و عند اول

محاولة من جانب اهالى جزيرة صارك للتصويت لفرد غير مرشح الاخوة باركليز سحب الاخيران الخميس 11 ديسمبر 2008 اموالهما و اوقفا العمل فى المشاريع الجارية فى الجزيرة و اغلقت جراء ذلك معظم الاعمال و الفنادق على نزلائها و وفرت اعداد كبيرة من العاملين. فقد كان الاخوان باركليز قد قررا الرحيل الى جزير بريكومخلفين جزيرة صار ورائهم عقابا للاهالى. و قال الاخوان باركليز انهما سوف يعفيان عن اى ناخب و يعيدانه الى عمله ان صوت لمرشحهما وسحب صوته من المرشح الاخر. و فى تصريح لممثلهما قالا انهما غير راضيين عن أهالى صارك كونهم لا يوافقون على طريقتهما هما فى ادارة الجزيرة. و ما يبرح الاخوين يمنحان و يمنعان فى جزيرتهما و فى صارك.

د–و فى المرتفعات الاسكوتلندية Scottish Highlands ما تبرح علاقات الملكية الاقطاعية سائدة بين ملاك اراض متغيبين Absentee landlords و الفلاحين الاسكتلنديين. و يثابر الاخيرون على محاولة تغيير تلك العلاقات عبر المحاكم البريطانية حتى اليوم مما اذكره ادناه. و من المفيد تذكر ان الاراضى الزراعية و العقارية ما تبرح ملكا للاسر القديمة من اصحاب الاراضى القدامى او من ورثهم من اصحاب المال الجديد. و قياسا فقد بقي الفلاحون يفلحون اراض حكر تتراوح عقود حكرها ما بين 30 الى 50 عاما. و تستغل تلك السر القديمة ومن وريثها من اصحاب الا راضى المحدثين الفجوات القانونية الموجودة فى قانون الاراضي الزراعية فى حرمان من بفلحون الارض من امتلاكها حتى اليوم. اى ان بريطانيا ما برحت اقطاعية بمحض الملكية الخاصة للاسر القديمة و وريثتهم من الاسر الاقطاعية الجديدة بلا امل فى اصلاح زراعى يذكر بعد.

هاء–وهناك حالة جزيرة انتيجوا فى الكاريبى و السير اللان ستانفوردSir Alan Stanford البيليونير التكساسى الانجلو أمريكى الذى يكاد يكون حاكم الجزيرة و الجزر المجاورة, و تتخصص الجزيرة فى تجارة مئات ملايين الدولارات من المخدرات وغسل الاموال. و يدعى ان تلك الجزر و قد وفرت ما يسمى بمرافئ او ملاذ ضرائبى Tax Havens اى ملاذ للمتهربين من الضرائب فتلك الملاذات هى التى قيضت ما يسمى بالاختراعات المالية Financial inventions والاخيرة عبارة عن الاساليب المالية التى تسببت فى الفقاعات و فى السندات السامة الخ. و قد تمأسست تلك الاقطاعات المذكورة على تسييب القانون او تفصيله على مقاس المضاربين و النهابين و قطاع طرق المال و مراكمة المال غير المحروسة و على مقاومة الاخيرين لاى حراسة قانون او رقابة مالية ان وجدت اصلا مما اتضح مع الازمة المالية الراهنة منذ صيف 2007.

و لا يعرف احد صاحب اموال الجزيرة لان الحاكم بأمره السير اللان ستانفورد Alan Stanford المتهم بتبديد 8 مليارات من الدولارات من اموال صغار حملة الاسهم و المدخرين الخ نجح فى التستر على معاملاته 15 عاما. و قيضت له علاقاته الاقطاعية القبلية الاوليجاركية القبالية بالاحرى بالمسئولين عن ملاحقته قبل ان تبدأ الاستخبارات الامريكية الفيرالية FBI فى توجيه اى تهمة له الاسبوع الثالث من

فبراير 2009 كل ما فعل و ما ترك. و كان اللان ستانفود قد منح لقب سير sir "مقابل خدماته للمصارف".

و كذا حالة مادوف Madoff البيليونير الذى بدد اكثر من 50 مليار دولار من اموال دافع الضريبة الامريكى بسوء التصرف او–وبالفساد رغم ان الشك بقى يلاحق معاملات ذلك الرجل لوقت طويل الا ان علاقات قبلية اقطاعية قبالية اوليجاركية كانت تجمعه و بعض المسئولين عن المراقبة و المحاسبة و هكذا.

و قد افتضح تفاقم دور اللوبى الذى يعمل من اجل تغيير القوانين لصالح بصورة غير مسبوقة عندما اعترف ستفين بايرز Steven Byers وزير المواصلات السابق فى حكومة العمال–الذى كان قد وزع رشالة اليكترونية صبيحة 11 سبتمبر 2001 تقول بان "اليوم هوا فضل يوم لتسريب الاخبار السيئة This is the best day to leak bad news" . و كان ستيفين بايرز يتفاخر بانه يغيير القوانين مقابل اجر معلوم. و قد نشرت صحيفة الصندای تايمز واذاعت القناة الرابعة الاثنين 22 مارس ما كان احد الصحفين قد حصل عليه نتيجة استدراج ستيفين بايرز للتصريح بنشاطه فى لوبى التأثير على الوزراء من اجل تغيير سياسة الحكومة و فى تعديل القوانين لصالح اصحاب المال. و قال بايرز انه كالتاكسي Like a cab يقوم بتوصيل الزبون الى غايته مقابل الاجرة. و يتقاضى عضو لوبيات التأثير على القوانين وسياسة الحكومة القائمة لصالح اصحاب المال 5 الاف استرلينى فى اليوم اى ما يعادل معاش متقاعد فى العام.

ان تغيير القوانين خصما على دافع الضريبة و المستهلك غير قانوني و ان نشاط اعضاء البرلمان والوزراء السابقين لحساب اصحاب المال والاعمال الكبرى و السوبرماركتات مثل تيسكو يؤكد ان دافع الضريبة لا يرغب فى ان يستغل الوزراء و اعضاء البرلمان الذين يتقاضون مرتباتهم و يحصلون على امتيازاتهم بمال دافع الضريبة لغير مصلحة دافع الضريبة والمستهلك. و قد اعترف ستيفين بايرز بانه اثر على لورد بيتر ماندیلسون وزير العمل و الاعمال ليغيير المعلومات التى يفرض وضعها على المنتجات الغذائية لصالح المستهلك. و قد تورط وزراء سابقين ووزراء حاليين فى حزب العمال الجديد و هم ستيفين بايرز و باتريشيا هيويت Patricia Hewitt وزير الصحة سابقا و لورد بيتر ماندليلسون وزير العمل و الاعمال و جيف هونJeff Hoon وزير الدفاع السابق فى حكومة حزب العمال الجديد فى هذه التجاوزات التى باتت معلنة اكثر من اى وقت مضى. وبالمقابل يعدل عمدة نيويرك–العاصمة المالية ومقر وول ستريت بوصف نيويورك يثرب الخامسة–يعدل القانون حتى يحصل على فترة ثالثة او رابعة لعمادة مدينة ضالعة فى الازمة بتاريخها و ذرايتها بووشنجنون العاصمة الادارية.

وكان الناس قد واجهوا العجز عن مواجهة ما يصار اليه امرهم على يدى اعراب الشتات جراء القوانين التى تشكم اى فكر او تنظيم معارض للاخيرين بكبت غضيهم مرة و بالتحايل على كشف المستور لاول مرة منذ وقد طويل مرة اخرى. و باختصار فالقانون و البنى الفوقية كما قال ماركس مرة لا تصدر عن

ابعد من مصالح الاقوياء كثيرا و لا تتمأسس سوى على حماية مصالحهم مع بعد الرتوش من بعض الجمل الاعتراضية ليس اكثر لصالح من عداهم. و هذا بدوره يحتم مثابرة اللغة على التخاتل و الا افتضح الامر بصورة غير قابلة للاحتمال. ويخلق افتضاح التستر على حماية مصالح الاقوياء الاثرياء شرط السخط الشعبى وصولا الى الحروب الاهلية مما يتطير منه اصحاب المصالح على مر التاريخ. و يدرك الاخيرون ان الحروب كانت دائما بين من يملكون و الذين لا يملكون. و يبقى على الاخيرين عند حافة الكفاف و شفا الموت جوعا دون ايصالهم الى التضور تماما الا اذا كانوا عامة و شعوب العولم الثالثة و الربعة و العصر حجرية من تلك التراكمات العددية التى لا وجوه لها و الزائدة عن الحاجة.

عقلانية ارتهان الرأسمالية لحاضر و ماضى الشعوب و قدرتها على الفكر و التنظيم:

من عقلانية الرأسمالية التعين على ما هو فى الواقع تخاتلا و كلما لزم. ذلك انه قد يبدو ان الرأسمالية تزعن لما يشارف التجديف بالرأسمالية–و بخاصة رأسمالية السوق و حرية الاقتصاد الى الخ. الا انه حيث يبدو ان سياسات حل الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007 و تباعا تقدم على سياسات من شأنها التناقض مع حرية الاقتصاد و السوق الخ الا ان ذلك ليس سوى تحايل تاريخى جديد لانقاذ الرأسمالية. فما قد يبدو من ازعان الرأسمالية–لما يشارف الكفر بما تدعى الرأسمالية انه من مبادئها–و كانه هزيمة للرأسمالية المالية على الخصوص– ان ذلك الازعان البادى ليس سوى تيسير لاعادة انتاج الرأسمالية المالية مجددا فى تنويع على نفسها. و افصل تلك الاحابيل فى مكان اخر بوصفها تنويع على عقلانية التخاتل على التاريخ و الحقيقة.

ويلاحظ الناس فى كل مكان ارتهان الكل دولا و صناعات و افراد بالمديونية مما يدفع الاخيرين– اختصارا–الى مزيد من الدين–فى عمليات مركبة–الى مزيد من الارتهان. و ييسر ذلك الارتهان دخول صندوق النقد الدولى والبنك الدولى مجددا فى معادلة توفير "حل" للازمة الاقتصادية غير المسبوقة– ليكرسا بمزيد من الديون الخارجية والديون العامة و ديون الدولة–نموذج التنمية الرأسمالية الامريكية– مشروع الليبرالية الجديدة–خصما على الحلول البديلة ان وجدت. ذلك ان كل حل بديل للرأسمالية المالية يتعين على ارتهان حاضر الشعوب بالمديونية و ماضيها بسردية الرأسمالية المالية التى تصدر عن متخاتلات مؤرخين مأجورين لاصحاب المال.

واجادل ان الرأسمالية المالية تنتحل كنظيرتها البرجوازية الصناعية رعاية وتمثيل القانون و الطبيعة والمسرح و الفن و الانسان المطلق. فليس ثمة فى عرف الرأسمالية ما بعد الصناعية بروليتاري او برجوازي صناعي او نظيرهما المشوه فى الامتدادات و لا موطن فى دولة قومية. فقد بات مستقل الشعوب رهينا بالمراكمة المالية و بالمديونية و بسردية الرأسمالية المالية مما ينفى شرط ابداع الشعوب فى خلق فكر و تنظيم يدلان عليها و يقيضان لها هوية منفصلة عن هوية اصحاب المال.

و ازعم :

–ان الرأسمالية كانت قد ادركت انه بارتهان حاضر الشعوب ترتهن الرأسمالية كل من ماضي الشعوب و مستقبلها جميعا خصما على فكرها و قدرتها على التنظيم وعلى هويتها.

–أن الرأسمالية تبتخس الشعوب بالمثابرة على تكريس صورة لشعوب تدعوا للذراية–كمثل ما يفعل بتصوير اوضاع الافارقة جراء الحروب و ما يحيق بالفسلطينين على المعابر. و تترسخ صورة شعوب غير غربية على الاقل–مثلما كانت الرأسمالية ترسخ صورة العبيد و الطبقات العمالية الاوربية نفسها– بوصفها دون الادمية تستحق من ثم قدرها. ذلك ان تلك الصورة تيسر ادعاءا ماكرا مضمرا مفاده ان تلك الشعوب لا شعور لها. فهى لا تشعر بالالم من ثم لا يضيرها ما يحيق بها كونها أدنى من الحيوان.

و اجادل ان ذلك السيناريو يؤلف قمة العقلانية بامتياز. و تدرك تلك العقلانية ان تنويعتها من الحقيقة لا تصمد لما تستغرقه طرفة عين وعليه لا تسمح تلك العقلانية ببارقة من بديل و لو للحظة. فالعقلانية ان امعنت النظر كما يقال محورية للمجتمعات المتحضرة و لكنها تتستر على جرائم تلك المجتمعات بكل الوسائل. وتتواطأ الاكاديميا و الاعلام و الادب و الفن على المسكوت عنه و تكرسه بحذق يدعو للاعجاب,

تعالق السيطرة على الماضى و الذاكرة و الهوية و اللغة:

يقول جورج اورويل فى روايته بعنوان 1984 "من يملك الحاضر يملك المستقبل". واقول ان استخدامنا غير الملهم للغة يسلمنا للوقوع فى عبودية العقل العرب و ريما عقول اغلبيات الناس العرديين فى الغرب نفسه الاكاذيب و انصاف الحقائق الرأسمالية الغربية. و تدرك الصفوات الاوليجاركية–المالية منها خاصة–أن السيطرة على الماضى تقيض السيطرة على الحاضر و من ثم المستقبل. و قياسا تتعالق تلك السيطرة و سيطرة اللغة على الذهن و الخاطر. و يردد الليبراليون الجدد و العقلانيون الجدد اسطوانة مشروخة بما يتعين عليه اسيادهم اعراب الشتات. و قياسا يغدو كل ما هو مطلوب التحكم فى الذاكرة و الغاءها بمفصلة اللغة.

و تغدو بمفصلة اللعة مفهومات كالحضارة الانسانية–قياسا على مفاهيم حضارة اعراب الشتات–بربرية والحرية عبودية و السلام حرب أو–و العكس و ضحايا الحروب المدنيين خسائر موازية Collateral damage و التعذيب يسمى عزفا فائقا (ربما على اجساد الضحايا) Extra-ordinary Rendition و الرصاص المتهور الذى لا يرعوي فى قتل كل من هو امامه بلا روية نيران صديقة Friendly fire .

و قياسا حيث خرجت أمريكا و بريطانيا فى مهمة نبيلة لتحرير الشعب العراقى من الطغيان فان حلف الاطلنطى طوق نجاة العالم الحر و الدمقرطة فى مواجهة الارهاب. فما يسمى بيت الحرية The House of Freedom ليس سوى احد اذرع الصهيونية العالمية متمثلة فى تنويعات نظرية و منهجية و تنظيمية مثل الربيبة الليبرالية الجديدة.

و ازعم ان ما بعد الليبرالية و الصهيونية–و الاخيرة تنويع مشوه او تشويه ليهودية بعض طوائف اليهود او جعلت بحيث تبدو كذلك حتى يسهل العصف بكل من ينتقدها بتهمة العداء للسامية– ان الليبرالية و

الصهيونية بهذا الوصف تتعالقان من حيث انهما تزويق للراسمالية التى قال فيها ماركس ما معناه انه ما لم تنته سيطرة اليهودي الرأسمالي على التاريخ فان مصير البشرية مدان الى الابد[58]. و قياسا تغدو الليبرالية الجديدة تنويع متسر على الصهيونية العالمية الجديدة. و سواء كان معظم الليبراليين الجدد و العقلانيين الجدد يدرك او لا يدرك ان المشروع الليبرالى و كذا مشروع الليبرالية الاممية او الدولية الذى يلمع نفسه تباعا يصب فى مشروع الصهيونية الجديدة ام لا.الا ان الواقع هو ان خطاب الليبرالية الجديد بقى يصدر عن الخطاب الصهيونى و يكرس اجندته من حيث تعالق الصهيونية العالمية و الرأسمالية ما بعد الصناعية المالية التى تراكم بالنهب خصما على كل مشروع بديل.

فقد نهبت الدول الغربية و لم يكن لاي منها ثروات طبيعية تذكر–حتى يكون لها من القوة فتستدعي قولة ادام سميث بان قوة الامم تقاس بما لديها من المعادن النفيسة–سرقت دول مثل انجلترا ولم يكن لها سوى الفحم وبعض الصفيح فى مقاطعة ويلز و هولندا و لم يكن لديها سوى طواحين الهواء و فرنسا و ايطاليا و قبلها البرتغال و اسبانيا ثروات الجنوب على مدى ال 500 عام الماضية و تباعا. و قد بقيت "الدول الغربية الغنية" تثابر على انها كذلك بانتحال ثروات من عداها حتى صدقت–باحبولة القدر الجلى او القسمة البائنة Manifest Destiny*–انها كذلك. و حيث اجادل انه لولا النهب لما بقى للغرب شيئا و قد نهب الغرب و ينهب ما على الارض و فى باطنها و ما فى عقول غيرها وتاريخهم جميعا فان اي بديل لمشروع الرأسمالية ما بعد الصناعية–المالية –اليسوعقرطي محكوم عليه بالصمت,او–و بالموت.*

و فى المقابل تتعين الرأسمالية المذكورة على انتاج و اخراج مزوقات موسمية لمفرداتها نفسها كلما اوشكت الاخير ان تفتضح. و تنتج وتخرج الرأسمالية المالية مووقة جديدة غب الازمة المالية غير المسبوقة و التى تمثلت منذ صيف 2007 تباعا. و قياسا يتعالق ما يسمى "الليبرالية العالمية" Universal Liberalism او الاممية–و هذه مزوقات جديدة لانقاذ الخطاب الرأسمالي المالي المتهالك و قد بار النموذج الامريكي للتنمية–و نظيرات الليبرالية الجديدة و سابقاتها. فقد كانت الاخيرة جميعا و ما تبرح حرية بالا تقبل الحوار و لا الجدل و ترفض كل بديل. و قد كان الحوار و ما يبرح لا يزيد على منولوج فى غياب الطرف الاخر فى اى حوار. و يلاحظ ذلك اكثر ما يلاحظ فى ازمنة الاستقطاب العنيف لشرائح السلطة و محاسيبهم و حواريهم سواء كان الاخيرون تروتسكيين او معتزلة وتنويعاتهم على مر الزمان. و يخصم المنولوج الفكري والتنظيمى على من عدى الاخيرين فى كل زمان و مكان على مر التاريخ المسكوت عنه بالضرورة و النتيجة.

و قياسا يغوي بيت الحرية مثقفى العرب و المسلمين كما اغوى مثقفى الجمهوريات الاشتراكية السابقة باكرا بتنظيم و تهيئة انفسهم استعدادا لوراثة السلطة خصما على كل من الحكام و الشعوب الاوربية الشرقية. فقد بات المثقفون الليبراليون الجدد فى كل مكان يخصمون بعنف على نظائرهم الملتزمين جانب القضايا المفصلية و على الشعوب بامتياز. وكان الليبراليون الجدد–قد تصدوا بمعرفة و تمويل بيت الحرية–لتنظيم انفسهم فى ثورات ملونة يتم اخراجها على الطريقة الهوليوودية بالالوان الطبيعية فى

العواصم و ليس اى مكان اخر. فالعواصم العربية التى باتت مشوهة بالاعلانات النيون و الدعاية للعولمة و سلعها و نواديها و مواخيرها لا علاقة لها بغالبيات الريف او البادية و لا بالمنتجين للحياة و الكفاف و الثروة جميعا.

فقد كانت العواصم العربية قد باتت بالوصف اعلاه و تباعا منذ الثورة الخضراء Green Revolution (و هى شي اخر غير ثورة ايران الخضراء صبيحية اعلان انتخابات 13 يونيو 2009) فى خمسينات القرن العشرين و تباعا عبورا بما يسمى اجماع ووشنجتون Washington Consensus غيتوهات لملايين المقتلعين و تنويعاتهم . و يتمأسس اجماع ووشينجتون فوق ديون التكييف الهيكل و سياسات التكييف الهيكلى Structural Adjustment تكريسا لنموذج التنمية ما بعد الليبرالي -The post liberal American Model of Development ويعبر الاخير عن نفسه فى اقتصاد السوق و الخصخصة و بيع القطاع العام فى المزاد العلنى تيسيرا لرسملة اقتصاد كل مجتمع فى اى مكان.

و تعبر تنويعات الغيتو تلك عن نفسها فى خصام العواصم البائن مع غيرها من المدن و البلدات و القرى و مضارب البدو و الاعراب–وهم قوم اخر غير اعراب الشتات–فى كل مكان. و لعل تأمل العلاقة التناسبية بين اللغة و تعين الاوليجاركيين على مصادرة قدرة الحركات الشعبية على التعبير فى كل مرة قمين باستدعاء محورية اللغة.

محورية اللغة لليبراليين الجددة والتطير من الحركات الشعبية:

تدرك الرأسمالية فى تنويعتها المالية و كانت قد ادركت باكرا منذ الثلث الاول من القرن الرابع عشر ان الحركات الشعبية هى اشد المناشط الانسانية اصالة لغة و فكرا و تنظيما و محصلة. فالرأسمالية تدرك بهذا الوصف أن كل عمل اصيل هو بطبعه ثورى لانه ينعش عقول الناس بكل من قدرته على تنظيم الناس و خلق شرط ابداعاتهم معبر عنها فى ادب مواجهة الرأسمالية بتويعاتها. و حيث تعينت بعض طوائف اليهود عقلانيا على اعادة مفصلة اللغاة الاوربية لتعبر عن تجربتهم و تسجل ذاكرتهم هم و تكرس هويتهم هم اكثر من غيرهم فقد خصمت تلك للغة الممفصلة عقلانيا على اللغاة الاوربية و الانجليزية الانجليزية بالضرورة و الانجليزية الامريكبة بالنتيجة و على تجارب غيرهم من اوربيي المجتمعات التى استضافتهم. و كان فلاسفتهم و مفكروهم و اكادميوهم و كتابهم و ادباؤهم و شعراؤهم وبخاصة اقتصاديوهم قد آلوا على انفسهم باكرا ومنذ هبوطهم شواطئ اوربا ان يخترقوا لغاة و اساليب تعبير الاوربيين باخيلة و انماط تفكير و قيم تخصهم هم خصما على معمار لغاة و الخارطة الذهنية لمن عداهم. و هكذا باتت اللغاة الاوربية الغربية وصولا الى الانجليزية الانجليزية و وريثتها الانجليزية الامريكية و ربما بعض اللغاة الاوربية الشرقية عقلانيا تعبير عن اوطان و ذاكرة و تاريخ بعض طوائف اليهود اكثر ممن عداهم. و من هنا يغدو منفى المثقف العربى و المسلم فى الغرب منفيين منقى فى المكان و اللغة بحالها كما هى و منفي فى اللغة بما اخترقها و ما اعاد تشكيلها و معمارها مما لا تفلت

منه خارطة–المتحدث بها–الذهنية الا ما ندر ان حدث. و لا يعصم الاخير سوى اجادته للغته الام و حبه لها و فخره بها و تكريسه لقيمها الذهنية و الثقافية و النفسية.

و لعل امعان النظر في محورية اللغة و الذاكرة–من حيث أن الاخيرة–كما يقول احد احبار اعراب الشتات الاحد 28 يناير 2008– فى ذكرى محرقة اربعينات القرن العشرين–قد لا تغيير اللغة الماضى الا انها ربما غيرت الحاضر. و ازعم ان من يشغل بالحاضر الماثل وحده ينسى(مبنى للمجهول) ماضيه و يضيع و هذا هو المطلوب.

و كانت العبرية مثلا قد بقيت لغة الاقلية رغم الترجمات القديمة تحرم على العامة مما تعين على "سجن النص–الذى ينبغى ان يكون شعبيا– فى لغة الاقلية"[59]. و مع ذلك كان الخروج عن التوراة و التلمود و بقى تجديفا يقاومه اسباط و احبار بعض طوائف اليهود حتى بعد ظهور موسى مينديليس الالمانى فى القرن الثامن عشر. و كانت التوراة كتبت فى القرن الثالث قبل الميلاد تحت حكم بطليموس الثالث فى الوقت نفسه الذى الفت فيه الاعمال الهومرية الملحمية او السرية" اى انه ان كانت مصر مهد التوراة الا انها لم تكن مصدر الام اليهود و لا خروجهم. و لم يثبت النص العبري للتوراة حتى القرنين التاسع و العاشر الميلاديين. فاللغة العبرية الحديثة اختراع املاه اليعازر بن يهووه الذى نشر ما بين 1910–22 نص سياسي "طلبته الصهيونية العالمية و خصصته لايجاد نوع من الاسبيرانتو ليهود العالم الموعودين بالهجرة الى فلسطين. انه اداة سياسية"[60].

وبالمقابل تجد الليبراليين الجدد و الاوليجاركيين مشغولون–الى الشغل باللغة و احتكارها–بكل من الذكرى و بالماثل العاجل جميعا. و غالبا ما تعيد الصفوات الاوليجاركية المالية كتابة سرديتها كما فى كل مرة خصما على سرديات من عداها فيما يكتبون الاصحاح القديم كما فى كل مرة ايضا حسب المقاس و الطلب. و قياسا يرفضون اصدار النص الاصلى او اى طبعة نهائية على الاطلاق. و لا يزيد الاخيرون سوى ان يكرسوا ما تعينت الرأسمالية على تكريسه على مر مئات السنين فى كل مكان فى المقياس المدرج بين الطبقات العاملة و شعوب المستعمرات. و تدرك الرأسمالية يقينا ان اللغة قد تمتلك تغيير المستقبل لو ترك لنا تعريف مفرداتها و نحتنا نحن مفردات تخصنا.

و قياسا فلعل ذلك الخاطر و تأمله حري بان يقيض للمثقفين و المفكرين العرب الايمان بقدرتهم على الابداع فى الحاضر و فى الواقع. ذلك ان الابداع هو امتلاك الفرد شئ لا ينازعه فيه أحد. و الابداع هو الايمان بشئ و جعله يحدث لكون المبدع على استعداد لدفع ثمن المثابرة على الخلق يقينا فى محصلة ذلك الخلق.فالمبدع تدفعه عاطفة و الرغبة فى تغيير العالم او–و ذاته–الى الافضل بادراك بصير و متفائل بامكانية ذلك لان المبدع حري بامتلاك معرفة من أين يأت الابداع و الى اين يذهب–ليغيير المبدع العالم او نفسه ان امكن.

سفر تكوين مشروع الليبرالية الجديدة:

ندرك بامعان النظر ان مشروع الليبرالية الجديدة كان–مثله مثل الصهيونية–قد بدأ باكرا بوصفه مشروع سياسى ايديولوجى يتمسح بازيال و يتلفع بعباء العقيدة و الدين. قد يعبر ذلك المشروع عن نفسه منذ يوسف و يعقوب و قصته مع اخيه ثيو Theo و ابناء يعقوب و قصتهم مع الملك حمور و موسى و قصته مع يشوع و داوود و قصته مع مملكة حميه اخيش ما بين الخليل و المجدل و سليمان و قصته مع ممالك نسائه الخ الى بن جوريون و وصولا الى ريتشارد بيرل– Richard Perle المعروف باميرالظلام–بوصفه عراب المحافظين الجدد.

ومن المفيد تذكر ان معظم ابطال تلك السرديات المتخاتلة يبقى قابلا للجدل فموسى مثلا مشكوك فى وجوده اصلا. فقد أثبت بعض المؤرخيين ان موسى لم يكتب حتى الاناجيل الخمس الاول–الا ان تلك السرديات لا تزيد على تنويع باكر على قصة الخوارج السياسيين ونظائرهم, وتتمثل تلك السرديات فيما تتمثل فى قصة قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد مع ابن حنبل و كل من خرج عن طاعة امراء مؤمنين مغيبين. و اجادل ان قصة نظائر للاخيرة تتمثل بدورها فى قصة الطوائف الخارجة على سلطة الكنيسة الكاثوليكية فى القرن السادس عشر. و يعبر ذلك عن نفسه اكثر ما يعبر فيما يسمى بحركة الاصلاح الدينى و فى حركة الاصلاح المضادة وصولا الى قصة المحافظين الجدد و لليبراليين الجدد. اومن يمكن ان يعرفوا بالننويريين الجدد.

و من المفيد تذكر ان الاصلاح الدينى كان يعبر عن صراع الطوائف العاصية والخارجة على الكاثوليكية. و ان النهضة كانت رد فعل الكنيسة على الاصلاح الدينى. و قياسا فقد كان التنوير او الانوار رد فعل مضاد على النهضة المسيحية الكاثوليكية التى تمثلت فى ازدهار الفنون و المعمار و السرديات الفردية لكبار اثرياء اوربا بخاصة البندقية. و من ثم فليست تلك الاحداث تراتبات متصلة تراجيكتوريا Trajectory اى فى سياق افقى متصل. وقياسا اجادل ان الاصلاح الدينى كان دافع ما يسمى النهضة و كان "المبدأ الانسانوى" رد فعل متستر على النهضة.

ومن المفيد تذكر ان النهضة الباكرة Early Renaissance[61] تعاصرت وعشية سقوط غرناطة. و لعل الاصلاح الدينى كان سفر تكوين المبدأ الانسانوي. و كان ديزيديرياس ايرازماس Desiderius Erasmus–1466–1536 سيد الانسانويين الهراطقة– بجأر بانه مسيحى و يحض الناس على نسيان الرب. و حيث يخلط بعضنا بين حقيقة ان النهضة و التنوير تداعيات متواترة لمشروع واحد فانه من المفيد تذكر أن النهضة و التنوير تقفان احداهما فى مواجهة الاخرى و قد تخاصمتا فى تمثلات بائنة.

1- التنوير و الاصلاح الدينى و الليبراليون الجدد

ان لم يلبث ما يسمى التنوير او الانوار Enlightenment–بعد ما فعل الاصلاح الدينى فعله مما اناقشه باستفاضة ادناه–ان راح يصدر مجددا عن مواجهة الكنيسة الكاثوليكية بوصفها معادية للتقدم

تكاذبا. و قياسا فقد تعين التنوير على القول بالاخذ عما يسمى ب"العلمانية" مما لم يخرج عن تنويع على المبدأ الانسانوى Humanism. فالعلمانية الغربية لا تصدر عن الفلسفة اليونانية و لا الرومانية و لا على عصر العقل و انما تصدر عن الكنيسة المسيحية الغربية. ذلك ايرازماس لم يورث المبدأ الانسانوي سوى ما لم يزد على المراهنة على التنوير. و كان الاخير محض رد فعل دينى–بروتستانتى– تقوده الطوائف العاصية للبابوية–على الكاثوليكية مما خلق صرحا مسيحيا عقيديا اشد جهادية من البابوية. و قياسا يدعى كثيرون ان تعالق الكنيسة الافانجلية الانجلوساكسونية مثلا والقانون والحرية يبقى تعبير عن المجتمع المتحضر. و يقولون ان الكنيسة تمنح المجتمع البريطانى قدرته على التسامح والحرية و على القوانين المسيحية مما يؤثر على الدستور لان المسيحيين يتعينون فيرغبون فى قوانين مسيحية مثلما يطمح المسلمون للقوانين الاسلامية[62].

و ما يبرح الفاتيكان يناهض استدعاء اليونان و روما و التنوير بوصفها–حسب العلمانيين او من عدى الفاتيكان–سفر تكوين الهوية الاوربية. فاوربا العلمانية بهذا الوصفت تدعى ان كل شئ ما بين ماركوس اوريليوس و فولتير عبارة عن تخلف و تطير مخالف للعلم Backwardness and Superstition. و قد وصم البابا بنيديكت السادس عشر ما جاء فى مقدمة دستور المجموعة الاوربية–من ان أوربا تدين لليونان و روما و للتنوير باصولها دون ذكر للمسيحية فى تاريخ اوربا–بالكفر[63].

هذا و ما ينفك معظم المفكرين الليبراليين الجدد من العرب يرهن الديمقراطية الغربية و الليبرالية بما يسمى التنوير او الانوار بوصف الاولى وليدة النهضة و الثانية وليدة التنوير. و الواقع ان عصر التنوير او الانوار لم يقيض تأمله بصورة عميقه فلم يكن معظمنا راغب فى ذلك وقد ادمن معظمنا المصطلحات الجاهزة كما الوجبات الجاهزة. ذلك ان التنوير كان رد على النهضة و ليس تراتبا عليها او تسلسلا عنها. و حيث صدق معطمنا ما قاله التنويريون عن انفسهم كما نفعل دائما على الرغم من تجربة العراق و خطاب المحافظين الجدد الرسمى بشأن احداث العراق من اسلحة الدمار الشامل الى الاتفاقية الامنية–فلم تخرج معظم فرضيات معظمنا–ان ملك ان يفترض شيئا–عن الوصول الى محصلات مفكر بها سلفا Pre-conceived و من ثم مشوهة و غير قابلة للتطوير و النماء على ارض الواقع.

هذا و لم يلاحظ معظنا ان صراعا كان قد نشب منذ البدئ ايان النهضة و التنوير و لم يحسم فى الواقع حتى اليوم. كما ان اى من النهضة و التنوير لم يكن حالة مصمتة أى متجانسة فقد كانت النهضة تنويعات على نفسها فى الزمكان. فمنها ما تحور الى ما لم يعد يشبه حالته الاولى مما اذكره فى مكان اخر. و كذا كان التنوير تنويعات ليست بالضرورة متجانسة فى كل مكان كما لم يكن التنوير معاد فى بعض الاحوال للكنيسة. و كان التنويريون الفرنسيون ينقسمون الى انصار باسكال و انصار روسو. وكان باسكال يرى ان الانسان مدان الى الابد. و كان فولتير يقول ان المعجزات ليست سوى خرافات. و قياسا كان روسو يرى ان الانسان قابل للاصلاح و الخلاص.

و لم يكن التنوير يتصل دائما بما سمى عصر العقل فى مواجهة العقيدة او الكنيسية. فقد كان التنوير الاسكتلندي مثلا خليطا من العقل و الايمان. و كان عصر التنوير قد اتصل فى ايرلندا بالكاثوليكية فى مواجهة الانجليز الانيليجيين الوحدويين الذين يتحدرون اما سلاليا او فكريا و تنظيميا من انجلترا و الكنيسة الانجلية الانجليزية. فقد كان بالايرليندين الكاثوليك و هم سكان البلاد الاصليين خشبة من الانجليز و سلالتهم من الايرلنديين المتحدرين من الانجليز و الموالين للشعب الانجليزي. وعندما صدر اصل الانواع لتشارلز داروين اختزل فى مزوقات لم يقصدها داروين الا انه اعتبر حسما للجدل بين العقل و الايمان لمصلحة الاول.

هذا و لم يلاحظ معظمنا ان الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية و الطوائف العاصية للبابوية كان صراعا بين المدن الدول الايطالية–بين روما من ناحية و البندقية يثرب الثانية و نابولى و فلورنسا من ناحية اخرى. و كانت البابوية اشد رأفة بالمجدفين فى محاكم التفتيش من الذين اخذوا بايديهم القانون و راحوا ينكلون بخصومهم[64].

و كان البابوية–الكاثوليكية الرومانية Roman Catholic Papacy–تتمثل بوصفها خصم راح بعض طوائف اعراب الشتات والتنويرين يناصبونها العداء منذ خروج الاخيرين من الامبراطورية الرومانية حتى سقوط الاخيرة جراء تحريم الامبراطورية للربا. وكانت الكاثوليكية قد اخذت تحريم الربا عن الامبراطورية الرومانية حتى القرن السابع عشر. و كانت البندقية و نابولى وخاصة الاولى قد اشرعت سفر تكوين اليات الرأسمالية المالية وصولا الى صندوق النقد الدولى مهندس نموذج التنمية ما بعد الليبرالى. و كان ال ماديتشى سادة من يسر فى القرن السادس عشر خلق شرط تكريس رأس المال المالى وتصدير الملوك والملكات الاوربيين الى عروش اوربا الغربية. هذا فيما لجأ المرابون الى البندقية التى سمحت لهم بالنشاط بحرية و ما تبرح أحيائهم باقية بالبندقية حتى اليوم. و قياسا فقد كان الصراع صراعا اقتصاديا اكثر منه صراع فكرى او ثقافى. و كانت الصليبية الاولى خاصة قد الهمت أوربا الغربية المعمار و بخاصة معمار الكنائس. فقد اخذوا عن المساجد و المآذن بالذات الطربال او القوس الذى يعلو البرج The Spire. كما اخذ الاوربيون عن المساجد و الفن الاسلامى النقوش التى تستدعى العالم الاخر. الا انه حيث تستلهم النقوش الاسلامية الجنة و صور النعيم الوارف و الامواه و الزهور و الشخصيات الملائكية و الشعر فقد راحت الكاثوليكية تستدعى جهنم و العذاب و تروع المؤمنين بمغبة الكفر و الزندقة. فقد كانت حركة بناء الكنائس و المحاريب و زوايا التعبد و الشواهد الدينية الحجرية الاخرى قد نشطت على عهد ما يسمى النهضة.

و كان الفاتيكان و التجار و المرابين وراء تلك المبانى التاريخية, الا انه حيث كان الفاتيكان يتعين على الكنائس الشاهقة ارهابا للكفرة فقد كان التجار و المرابون ينشئون الزوايا و الشواهد

الدينية و التماثيل للتكفير عن ارتكاب خطيئة الربا و كان عقابه جهنم فى الكاثولكية حتى القرن السابع عشر.

كيف تعالقت النهضة بالبابوية و الاندلس:

من المفيد تذكر ان النهضة بابوية و كانت بابوية و قد تظهرت فى الفنون الكنسية و المعمار المهجن بين العربى الاسلا مي و الباروكى و نشأت ظاهرة رعاية البابوات و الكرادلة للمفكرين وكبار العلماء و بخاصة اشهر الفنانين. و كان الاول يأوون الاخيرين و يحتضنونهم ويرعونهم و على رأسهم ليوناردو دى ماديتشى و مايكل انجلو و حتى كارافاجيو و جاللليليو جاليلى و جوردانو برونو. و ذلك رغم الاساطير الشائعة حول مناصبة البابوية للعلماء و الفنانين العداء وصولا الى قتلهم. فليست المسألة و لم تكن يوما بهذه التبسيطية ابدا. و لم يكن الصراع بين الدين و العلم بقدر ما كان بين الكنسية والسفارديم الاتين من الاندلس أو كما كان الصراع بين الكنيسة المسيحية الغربية و بين الاسلام و بخاصة العلوم و اللغة العربية.

ففيما كان العلم الغربى مطارد من قبل المسيحية الغربية وكانت الاخيرة تتعقب العلماء و كان معظم الاخيرين رجالا كانت علوم الحضارة الاسلامية نتاج كافة الاديان والاثنيات و كانت مفتوحة للرجال و النساء و لا يتدخل العقيدة و لا الدين فيها الا بقدر ما يناقش الاسلام مثلا من قبل طوائف متأخرة من اشباه المحافظين الجدد على اواخر الخلافات الاسلامية. و قد عبر الصراع بين المسيحية الغربية و الحضارة الاسلامية عن نفسه فى تطير الكنيسة من تعين العلماء و الفنانين الغربيين على الاخذ عن العلم و المعرفة الاندلسية و تعلم اللغة العربية و تكلمها. وقياسا فقد راحت المسيحية الغربية تعاقب العلماء والمفكرين و الفنانين الا ان ذلك لم يمنع ان يتصل تعلم العربية بغاية تحصيل المعرفة الاسلامية حتى القرن السابع عشر, فقد بقيت الجامعات الغربية تدرس العربية الى جانب اللاتينية و الفرنسية و الانجليزية حتى القرن السابع عسر.

و من المفيد تذكر ان رعاية الكنيسة للفنانين كانت حرية بان تكرس اخيلة و صورا للمسيحية و تعيد خلق Reinvent تفاصيل ومنها تكريس الصليب كرمز للعذاب. و لم تكن تلك الاخيلة و لا تلك الصور موجودة بتلك الصورة الدراماتيكية فى المسيحية الباكرة. كما الفت حركة رعاية الفنون عن طريق الرسومات واللوحات الشهيرة و التماثيل أحداث مثل صراع داوود و جالوط لمصلحة المسيحية الغربية و بداية المسيحية اليهودية متضمنة بلا تصريح معلن فى الخطاب المسيحى الغربي. و بالمقابل راح التنويريون–و كان معظمهم ان لم يكن كلهم بروتستانتى معاد للبابوية–يأخذون عن كل المهاجرين من الاندلس فعن الاندلس و المفكرين العرب و المسلمين مثل ابن رشد و ابن سينا و غيرهما–دون ان يقروا بالطبع للاخيرين بما اخذوه عنهم.

و قياسا فلم يكن دور التنويرين تكريس الديمقراطية الا بقدر ما كانوا يحرضون العامة على استباحة الدين واماكن العبادة و الايقونات–الكاثوليكية–فيما يسمى بحركة الاصلاح الدينى التى دمرت اديرة و كنائس

ونصب الكاثوليك كما فى انجلترا غب سقوط غرناطة على عهد الملك هنرى الثامن و اليزابيث الاولى و صولا الى تشارلز الثانى على غرار ما يفعل الليبراليون الجدد بالكنيسة الانجيلية الانجليزية و بالكنيسة الكاثوليكية على عهد المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد. ذلك ان حركات مسيحية مشبوهة راحت تنشط فى تدمير الكاثوليكية الغربية فانتشرت حركات تحطيم المحاريب و التماثيل الكاثوليكية الغربية على عهد هنري الثامن 1491–1547 ثم اليزابيث الأولى1533–1603– الى تشالز الثانى1630–85. فقد اتسم الاصلاح الدينى بالعنف ضد الكاثوليكية تحت راية البروتسانتية و طوائفها المتعددة.

فقد راح "المؤمنون"–بالبروتستانتية–و معناها العصاة او–والمعارضين–مدنيين و جنود يدمرون رموز الكاثوليك فى كل مكان فى أوربا وصولا الى اعدام رجال الدين و قادة الكاثوليك و اقامة المذابح لهم و المقدس و تشككوا فى تنزيل الانجيل و ما اذ كان منزلا او كتبه بشر غير منزهين عن الخطأ فانكروا ان الانجيل كلام لله فى تنويع على خلق القرآن و على ما فعل المتعزلة مع خصومهم. و كان جنود الملك تشارلز الثانى يحطمون الكنائس الكاثوليكية و يتعقبون الكاثوليك و يعقدون حلقات العقاب العلنى فى الميادين العامة حيث يحرق "الكفرة" على الملأ باشتراك الجماهير.

و قياسا فلعل بعض طوائف الخوارج كانت تنويع باكر على الطوائف الخارجة على الكاثوليكية من حيث حض الناس على عهد الخلافة العباسية الرشيدية على القضاء على كل ما عدى القول بان القرأن مخلوق و تعقب الخصوم مثل احمد ابن حنبل و تكفيرهم وربما استباحة دمهم.

و أزعم ان محصلة التنوير تشارف محصلة حركة الخوارج السياسيين من حيث ان كلاهما ادعى تحرير العقل من الدين و زعم بدمقرطة الخطاب الا انه لم يلبث ان حرم على من عداه اى خطاب بديل. و ازعم ان كلاهما كان متطرفا من حيث ان ذلك التطرف كان مدعاة لمصادرة اى جدل و الحق فى الاختلاف معهم و كانت مغبة الاختلاف معهم تلقى بصاحبها تحت طائلة تهمة التجديف و الهرطقة و التكفير[65].

فرغم ان الخوارج كانوا ربما أول من زوق ما يشارف الحلم الامريكى حين قالوا بان من حق كل فرد بغض النظر عن لونه او طبقته ان يطمح فى احتلال منصب الخلافة الا انهم كانوا يجرمون من عداهم.

التنوير و الطواف العاصية للبابوية:

المهم لم يعدم التنوير ان راح يصدر عن فكر وتنظيم و روح الطوائف العاصية للبابوية مما يتمثل اكثر ما يتمثل فى فكر و تنظيم الديمقراطية فى العالم الجديد على يدى جماعات المهاجرين من الحجاج و الاباء الاوائل للولايات المتحدة. و قياسا فان اصدر التنويريون و اباءهم عن الطوائف العاصية للبابوية عن الخوارج السياسيين و اصدر كلاهما عن ارسطو الخ فقد اتصل سفر تكوين كل من الاخيرين بالديمقراطية الاثينية–الافلاطونية–اليوتوبية–الصفووية و بخاصة على اواخر ايام اثنيا. و كانت الاخيرة قد منيت بالعصاب فى مناخ حروبها مع اسبارتا و ماسيدونيا. و لا يعبر عن كافة تلك المواصفات اللا ديمقراطية او العجز الصارخ فى الموازنة الديمقراطية Democratic Deficit اكثر من نموذج اسرائيل. ففى حين تدعي اسرائيل الديمقراطية فهى فى الواقع تدوس على المفهوم بتعريفه الموضوعي و ليس

المزوق تاريخيا فتخنق انفاسه تماما. و بالنظر الى احتلال فلسطين و العصف بالفلسطينين وبالنظر الى عرب 1948 داخل اسرائيل فان مقولة موشى ديان فى 1957 لا مزيد عليها فقد قال ديان ليس لدينا ما نعطيه لهم (يقصد الفلسطينيين). عليهم ان يعيشوا كالكلاب. و سوف نرى ما يحدث" We have nothing to give them. They will live like dogs and let us see what happens ويتضح تعريف المفهوم الاسرائيلى للديمقراطية فى تعقب كل مقاومة و خلاف بين الاسرائيليين انفسهم بذريعة حماية اسرائيل لنفسها ضد الارهاب[66].

و اجادل ان تكريس نخبوية السلطة و مصادرة الديمقراطية الشعبية كان حريا بان يتصل و ربما كان محصلة الفكر الخزري الذى تعين على بداياته المسكوت عنها امثال سقراط الخزري باصله و فصله من ناحية. كما لم يكن غريبا من ناحية اخرى ان يكون أرسطو صفووي.فمرة لان ارسطو كان ينتمئ الى اسرة اراستقراطية بمهنة ابيه. و كان ابوه طبيب فيليب ملك مقدونيا و بامه المقدونية الارستقراطية من ثالثة. و مرة فليس ما يمنع ان يكون كل من سقراط و ارسطو صفوويان بل الاحرى ان يغدوان اكثر صفووية من الاثينيين. فقد كانا غريبين فى اثنيا مما قد يدفعهما الى المزاودة على الاثنيين انفسهم مثلما يفعل الغرباء فى المجتمع المضيف مما يلاحظه الناس فى معظم مفكري و كتاب المنافى و اكبر مثال عليهم سلمان رشدى و تنويعاته التى يلاحظها الناس فيما اعرفه بالعبيد المعتقين و المقاتلين و الربالبي البلاطين.

و اجادل ايضا ان تكريس نخبوية السلطة و مصادرة الديمقراطية الشعبية كان محصلة الفكر الاسلامي الخوارجى و المعتزلي السياسى و تداعياته على الفكر التنويرى الغربى. و بالرغم مما يلاحظ من تمثلات الديمقراطية على عهد التنويرين–و يصدر بعضهم تخاتلا عن الاصلاح الدينى والاصلاح الدينى المضاد– الا ان الدعوة للديمقراطية كانت قد تمثلت حقيقة فى اطلاق العنان للعامة من أتباع الطوائف العاصية–البروتستانت–برامجاتيا تسيرا لخلق حركة شعبية مشبوهة اى ثورة مضادة كانت حرية بان تواجه الفاتيكان و الكاثوليكية. فقد سمح للعامة بالتهجم على دور العبادة و الرموز الكاثوليكية تحت راية ما سمى بحركة الاصلاح الدينى Reformation و قد ترتب على ما سمي الاصلاح الديني الذى تعينت عليه جماعات خارجة على مؤسسية العقيدة الكالثوليكية ان راحت الاخيرة بدورها تتعين على اصلاح للبابوية و الكنيسية الكاثوليكية. و سرعان ما تعين الاصلاحينون الخارجين على الكنيسة على ما يسمى بالتنوير. و ازعم ان التنوير بروتيستانتى انجيلي انجلو ساكسونى على الخصوص. و لعل الاخير كان تنويعا باكرا على تدمير دور العبادة و رموز الحضارة العراقية تحت راية التحرير و الدمقرطة. و ان قال قائل ان الديمقراطية الغربية ومن لف لفها مثل اسرائيل سائدة بين الشعوب تلك المجتمعات فليتأمل كيف:

–ان الديمقراطية الليبرالية و ما بعد الليبرالية قد لا تزيد على تنويع على ديمقراطية اثنيا و اسبارطا فهي قاصرة على الرجال الاحرار الاثرياء

–ان الديمقراطية الليبرالية و بخاصة ما بعد الليبرالية لا تعنى اكثر من حكم اقلية موالية للغرب– للرأسمالية–للنموذج الامريكي للتنمية–واغلبيات مقهورة مستلبة الا ما خلا الاقتراع كل 4 او5 سنوات على ان تأت الى السلطة بمن ترضاه الرأسمالية المالية. فتلك هى اسطورة الديمقراطية الغربية التى تخصم على و تعبر عن نفسها فى الواقع المعمش عليها بوصفها خسران الناس العاديين لحساب اصحال المال.

–الديمقراطية قاصرة على جماعات دون غيرها على غرار اسبارطا مثلما فى اسرائيل و حتى اليهود الاسرائيليين فان انتقائية عرقية اثنية تحول دون غير الاشكناذي و التمتع بما يسمى الديمقراطية.

–أن الشعوب تقصر (مبنى للمجهول)على تعاطى الخطاب الرأسمالي قسرا وصولا الى الازعان لشراء الاسهم السامة Toxic Shares و ضمان الاسهم الهالكة الخ–و يخسر الفرد العادى مرات:

– مرة كمدخر

– و مرة كمساهم في صناديق ما بعد الخدمة–او المعاشات

–ومرة ثالثة بوصفه عامل يفقد فرص العمل مع انتشار اثار الازمة و اغلاق المصانع المفلسة و مع تفاقم تقلص القطاع الصناعى السلعى مما بات اقل من 15% من الناتج المحلى الاجمالى فى بريطانيا اكثر الدول الاوربية الغربية تصنيعا.

الباب الثاني: فرضيات قابلة للاثبات:

اذا كانت عقلانية الليبرالين الجدد المتخاتلة لا تعجبك

فانت لا عقلانى متخلف

اذ كان لا يعجبك غلواء المشروع ما بعد الليبرالى فتذكر انه قد يفارق الحياة غير مأسوف عليه تباعا او الاحرى قد يغير الوان المعاطف مؤقتا على يدى اوباما.

الفصل الاول : لماذا يكره الليبراليون الجدد الليبرالية البرلمانية فيؤبلسونها؟

من المفيد تذكر انه فى كل مرة تذكر فيها الليرالية الجديدة فانها تذكر فى سياق هذه الدراسة بوصفها تزويق للرأسمالية المالية الربوية التى حولت اقتصاد معظم المجتمعات المضيفة الى لا اقتصاد او اقتصاد افتراضى Virtual Economy يكريس الربا–اى يبيع المال كسلعة. و لا يعنى الربا كما لم يعن منذ الاف السنين سوي عائد صاحب المال من بيع المال كسلعة وهو ما تقوم به الرأسمالية المالية اليوم سوى ان المرابى ليس بالضرورة دائما صاحب مال و انما مضارب فى اسواق المال نيابة عن صاحب المال أو الاوليجاركي. و يخلق الاقتصاد الافتراضي اسواق المال و قطاع الائتمان فيما يقيض للاوليجاركى امتلاك ادواة الاعلام فيبقى على اغلبيات الناس العاديين و منتجين الاقتصاد الحقيقي مخدوعين باقصائهم عن حقيقة ما يجري الا بعدما يقع الفأس فى الرأس كما يقولون.

ذلك انه حيث يغدو حجم الاقتصاد الافتراضى اى قطاع المال 10 مرات حجم الاقتصاد الحقيقي Real Economy فان الربا و الائتمان يستقران فى مسام كافة المجتمعات المضيفة لتلك الرساميل بالضرورة ففى مسام العولمة بالنتيجة. و قد خصمت عولمة ذلك الاقتصاد الافتراضى على الاقتصاد الحقيقى Real Economy فى كل مكان.

و لعل مشروع الليبرالية الجديد حري بان يموت ميتة غير طبيعية كما فى كل مرة ليعود فى ملابس الامبراطور المجددة كما مرة اخرى. فالليبرالية الجديدة تنويع على الصهيونية و ليس ضروريا ان تكون يهودى لتكون ليبرالى جديد و ليس كل ليبرالى جديد مدرك بالضرورة لذلك. ومن المفيد تذكر ان الاباء الاوائل للصهيونية الباكرة كان يدعى العلمانية فيما كانوا يوظفون الدين كما في معظم الحركات البروتستانتية مطية للصهيونية و فى خدمته. و قد اعلن زعماء صهيونية القرن التاسع عشر صراحة انهم علمانيين حيث كانت الكنيسة قد فقدت سيطرتها و قضي على شوكة الكاثوليكية و طوعت البروتستانتية تماما فراحت تتحور نحو المسيحية اليهودية. و يكفى تذكر نموذج بن جوؤيون كبير الصهاينة في تطويع العقيدة لصالح مشروعه مما اناقشه ادناه.

و لعل اقسى نتاج مشروع بن جوريون يتمثل فى المستوطنيين الاسرائيليين من المهاجرين الاقتصاديين غير اليهود خاصة ممن يجأر بارض الميعاد. و يشارف مشروع مشروع الصهاينة بانواعهم مشروع الحجاج و المهاجرين الى العالم الجديد تحت راية ما يسمى بالقسمة و القدر الجلى Manifest Destiny و حق الفتح Right of Conquest وغير ذلك مما اجادل انه تنويع على ارض الميعاد و اعيد تعريفه ادناه. و يعرف بينجامين نتنياهو الاثنين 15 يونيو 2009 المستوطنين–فى دفاعه عن بناء السمتوطنات كشرط لقبول مبدأ قيام دولة فلسطينية– بانهم رواد الصهيونية الصدوقين اصحاب المبادئ وبانهم ليسوا اعداء السلام. و’طبعا لا يذكر سلام من؟

المهم فورا من المفيد تذكر ان الليبرالية الجديدة بوصفها تنويع على الصهيونية ليست مشروعا فكريا وحسب. فالصهيونية مشروع توسعى استيطانى رأسمالي بامتياز. ذلك ان ما قد يبدو انه مشروع فكرى ليس سوى مقدمة المشروع الاقتصادى ما بعد الليبرالى–المالى بالاحرى–و تسويغ له. فالليبرالية الجديدة كانت و ما تبرح تعبير عن سطوة اقليات صفووية مالية اوليجاركية تحمى مصالحها المادية عن طريق التعين على حماية ما تسميه عقيدتها او تدعى انه كذلك.

مفهوم الاوليجاريية وارستقراطية الشركات متعددة الجنسيات:

من المفيد تذكر ان مفردة الاوليجاركية تات من اللغة اليونانية و معناها اقلية و قد تكون حتى فردا الا انها تتميز عن الديكتاتورية بانها تعود الى اقلية ذات حسب او ثروة. و كانت فكرة الاوليجاريكية قد قيضت السلطة السياسية لاقليات كانت بدورها تدعى او ادعى انها ارستقراطية.

و الارستقراطية هى سلطة الافضل و الاكثر تألقاً من حيث الملكات العقلية و الابداع الذهنى فالاوليجاركيات صفووية مما سنعود الى اصله ادناه. و قد فضل اعراب الشتات الاوليجاركية فى البدء حتى تمكنوا من المجتمعات المضيفة–المستقرة. فقد كان انتفاء شرط وجود ارستقراطية بينهم حريا بان ينكر عليهم ادعاء ذلك الى حين. ذلك ان الارستقراطية كانت قد اتصلت بالمجتمعات المستقرة التى بقى اعراب الشتات يذدرونها طويلا كونهم بدو بالتذرع او بخاطرهم تذرعا Expedientaly.

و تصدر الاقليات الاوليجاركية المالية الصفووية عن حزب البندقية–مما اناقشه فى مكان اخر– وصولا الى صندوق النقد الدولى الذى تتعين شرطياته منذ قيام مشروع البرتون وودز Britton Woods فى 1944 و عشية نهاية الحرب العالمية الثانية على احلال شرط تكريس نموذج التنمية الامريكي ما بعد الليبرالي او العولمة.

وازعم ان الاوليجاركيات تنويع مالي تجارى Financial and Commercial variation على او تحوير للاقطاع الغربى Mutation of Western Feudalism. فحيث يتمأسس الاخير على الارض و المديونية الريفية تتمأسس الاوليجاركيات على المال و التجارة ومديونية الافراد– الحضريين والريفيين جميعا– و الدولة بالربا او الفائدة فى المحل الاول.

و تتمأسس تلك الاقليات الاوليجاركة العولمية فوق تنويعات من الاقليات الاسراتية الاقطاعية فى الغرب الرأسمالى و فوق نظائرها الريعية والطائفية و القبلية كما فى الشرق الاوسط و فى جنوب شرقي اسيا و افريقيا مما يلاحظه الناس فى الاقليات الاسراتية المغربية و المصرية والاردنية و الباكستانية و في بانجلاديش و الفيليين و اندونيسيا وفى الاقليات الريعية فى السعودية و فى الاقليات الاسراتية الطائفية كما فى لبنان و السودان و القبيلة فى اليمن و فى نظائرها الافريقية.

و تتعين الصفوات الاوليجاريكية المالية الربوية و حلفائها و ازلامها فى كل مكان و زمان على تيسير انتشار نموذج تنموي بعينه تمفصل له براديجمات "معقلنة" مزوقة متكاذبة ثم ما تنفك تتخلى عن تلك البراديجما براديجمات مجددة لا تزيد على اعادة تزويق نفس النمموجدون التخلى عنه اصلا الا بقدر ما تسميه بمسيمايت جديدة. بل قد تؤبلس براديجما موسمية لحساب اخرى كما فى كل مرة دون اي تغيير فى طبيعة نموذج الليبرالية الجديدة التنموى فى شئ الا بقدر ما تمنحه اسما جديدا من التصنيع فاللحاق و التنمية والاصلاح الى الدمقرطة:

1–فقد كانت تلك الصفوات وراء مشروع الدولة القومية–الامة–Nation state عقلانيا بالمعنى المزوق أى تخاتلا حتى اذا ما تحقق لها حلم الدولة العبرية القومية ابلست الدولة القومية. و لم يعد مسموحا بالقومية لسوى اسرائيل و امريكا. فحيث كانت كل من القومية و الاثنية و الحق فى تقرير المصير قد استلب فلم يعد ما يشارف مشروع قومى يعبر عنه نفسه الا بقدر ما لا يزيد على ما هو مفرغ من المحتوى. فلم يعد للدولة القومية او الدولة الامة دور ابعد من ضمان شرط

المراكمة المعولمة بفرض شرط استرخاص العمل الحى و رفع الدعم عن السلع التموينة و رفع الحواجز و التعريفات الجركية على المال الهارب. فقد باتت الدولة الامة واحدة من دعائم العولمة حسب بعض المنظرين الغربيين. ذلك ان الدولة الامة باتت تعبر عن انقضاء التراتبات الطبقية و نهاية مفهوم الطبقة والمجتمع منذ صبيحة المشروع الثانتشري الريجانى(نسبة الى مارجريت ثاتشر رئيسة وزراء المحافظين البريطانيين و رولاند يجان رئيس الادارة الامريكية الجمهوري رقم 41).

فحيث كانت مارجريت ثاتشر– زعيمة اليمين الجديد فى العالم الغربى تجأر بان ليس ثمة ما يسمى بالمجتمع فان وريثها وليام هيج راح يبشر بحزب محافظين لكل الناس *A party for all people*. و لم يعدم تونى بلير– العمالى البريطاني الجديد–الطريق الثالث– ان راح تيزاود على الاخير فى تنويع على نفس التخرساب بالقول بان "ذلك هو زمان تصالح المجتمع مع نفسه فى "امة" بلا حواجز". و لم يعد مفهوم الدولة القومية او الدولة الامة يزيد على سوى ما تقوم به خدمة للمراكمة و قد اضيف الى ذلك دورها فى ضمان المصارف الهالكة و حماية ظهر اصحاب المال الهارب كما رأينا ابان ازمة اسواق المال منذ صيف 2007 الى 209 و تباعا. .

و قياسا لم يعد المشروع القومى–الوطنى يملك التعين على اعادة توزيع خدمات و سلع عامة و لا بات بيده حل مشكلة داخلية الا بتدخل خارجى مثلما يحدث فى باكستان و السودان و مصر و الصومال و لبنان و الفليبين و ما كان قد حدث باكرا فى الجزائر فى تسعينات القرن العشرين و فى اندونيسيا و فى ايران فى منتصف و نهاية خمسينات القرن العشرين وفى افريقيا تباعا. و كانت الرأسمالية ما بعد الصناعية–الاوليجاركيات المالية الربوية–حرية بان تخلق شرط تجاوز الحدود القومية بالضرورة و العصف بمفهوم القومية بالنتيجة و لو بمحض تكريس مفهوم الشركات عابرة القوميات او متعددة الجنسيات. والواقع ليس ثمة تعدد جنسيات فاغلبية أصحاب مال تلك الشركات ليسوا سوى اعراب الشتات بجوازات مرور–سفر– من كل مكان الى كل مكان كعهدهم على مر السنين.

المهم فورا فقد تعينت الرأسمالية المذكورة على تجريم القومية الالمانية و اليابانية بعد الحرب العالمية الثانية على الاقل. و قد بات على الالمان–و اليابانيين و غيرهم تحريم اى تعبير عن القومية الا ما خلا ابان مباريات كرة القدم–حتى توحيد المانيا نسبيا. و قياسا لم يكن للالمان تمجيد المانيا و بقي الالمان مبكتون. فقد كانت المانيا قد ارتكتب فى الواقع خطيئة تكريس رأس المال الصناعى الخاص المميتة ونادت بالاشتراكية القومية اكثر من اى جريمة اخرى. و يمكن عقد قياس بين المانيا و العراق فقد ارتكبت العراق جريمة نشوء مجتمع غير غربى لا يدين برأسمالية السوق و يكاد يشارف الاشتراكية القومية فلفقد له تهمة امتلاك اسلحة الدمار الشامل مثلما لفقت لالمانيا تهمة "المحرقة".

و ازعم ان تهمة النازية ليست سوى تزويقا لتهمة اقتراف جريمة تكريس برجوازية صناعية المانية. ذلك ان كلمة النازية ليست سوى الحروف الاولى Acronym من اسم حزب العمال الوطنى الاشتراكى الالمانى

The National Socialist Workers Party وحسب و كان حزب العمال الاشتراكى لالمانى قد تأسس فى مينويخ بعد الحرب العالمية الاولى. و قد حرم دستور المانيا الغربية الحزب بعد الحرب العالمية الثانية.

2–و اجادل ان الاوليجاركيات المالية الربوية عابرة القارات كانت حرية بان تتكرس مجددا بهزيمة الدول الاوربية قاطبة فى الحرب العالمية الثانية لحساب الولايات المتحدة. ذلك ان الاخيرة لم تدخل الحرب العالمية الثانية حتى 1941 بتزويق معركة بيرل هاربر عقلانيا حسب جور فيدال[67]. فقد بفيت امريكا تقف عقلانيا على الجانب الآخر من المحيط الاطلسى–مثلما فعلت عقلانيا ابان العدوان الثلاثى على مصر بانتظار لحظة مناسبة للانخراط فى حرب بعيدة عن ساحة الحرب الاوربية فقد كانت حرب امريكا لصالحها هى و من اجل توسعات تخصها هى فى الطرف الاخر من العالم. ذلك انه عندما دخلت امريكا الحرب كان ذلك لحساب مصالحها هى على الجانب الآخر من الكرة الارضية فى اليابان و كوريا أكثر من أى شئ اخر.

–و كانت لامريكا–الرساميل المالية المتراكمة تباعا–أجندة تخلتف مرات عن اجندة اوربا البرجوازية الصناعية مما يتمثل فى مقايضة تلك الرساميل للحلفاء على السلاح و الغذاء مقابل ذهب جنوب افريقيا. و لم تلبث امريكا ان اصبحت تملك 75% من ذهب العالم. و كانت اوربا قد استحوذت على ذهب امبراطوريات الازتيك و الانكا فى امريكا الجنوبية و كانت فى شكل مشغولات رائعة تمثل حديقة حيوانات تمثل كافة انواع الاخيرة فاذابها الفاتحون الاسبان Conquistadores و قضوا علي قيمتها الجمالية. و لم ينفك الذهب ان ترحل الى اوربا الغربية مما قيض للاخيرة بالذهب ثروات بلغت بها اوربا منذ 500 عاما مبلغا كبيرا من الثراء. و لا غرابة ففى تحوله من مكان الى مكان عبر التاريخ يستقر الذهب لدى اقوى الكيانات السياسية العسكرية منذ فارس و وادي النيل الاسراتى Dynastic و بابل و قرطاج و اليونان و روما والبندقية وامستردام و لندن و صولا الى نيويورك و ربما بيجين تباعا. و اجادل ان الذهب يتبغ او يسبق اعراب الشتات حيثما رحلوا او الى حيثما حلوا.

–كان فى صالح الامريكا مرة ثالثة ان تدمر اوربا حتى تشارف الاخيرة الافلاس تمهيدا لوراثة الامبراطورية الفرنسية و الانجلوساكسونية على الخصوص. و كانت فرنسا قد فقدت معظم امتداداتها فيما خلى مستعمرات شمال افريقيا جراء الحروب النابليونية.

–كما كان فى صالح امريكا مرة رابعة ارغام الدول الاوربية الغربية على مشروع مارشال و كانت اولى اهداف ذلك المشروع اعادة تشكيل اوربا على شاكلة امريكا و لحساب الاوليجاركيات المالية مجددا. و ازعم ان مشروع مارشال كان سفر تكوين تغيير النظام Regime change فى اوربا لحساب النموذج الامريكى للتنمية.

––لم تلبث امريكا ان أستقطبت دول الحلفاء بمشروع مارشال مقابل تصفية مستعمرات الاخيرات لحساب امريكا فى جنوب شرقى اسيا و الشرق الاقصى و الادنى.

– فقد كانت دول الحلفاء قد خرجت من الحرب بهزيمة تشارف هزيمة دول المحور لحساب امريكا مما قيص لامريكا مرة خامسة انتحال ادعاء الانتصار على المحور بحق وحقيق عقلانيا و موضوعيا معا رغم ان اعداد قتلى الاوربيين فاقت بمراحل نظائرها الامريكية. فقد دخل الجنود الامريكان باريس لتحريرها مع غيرهم و لم يكن جندى امريكي واحد قد قاتل المحور قبل ما يسمى تحرير باريس.

ومن الاحابيل الهوليوودية ان يكرس فيلم انقاذ العريف ريان Saving Private Ryan–تمثيل توم هانك–فرية قتال امريكا للمحور حيث ينتهى المشاهد بيقين ان امريكا هى التى قادت الحرب العالمية الثانية و انتصرت فى الجبهة الغربية[68].

–وحيث افقرت الحرب اوربا اثرت امريكا–الاوليجاركيات المالية الربوية–الرأسمالية ما بعد الصناعية–بما يقدر ب 450 الف طن من ذهب افريقيا و غير ذلك مثل هجرة العلماء الخ. فقد كانت تلك العمليات قمينة بتكريس الثقافة السياسية و العسكرية الانجلوامريكية على نحو غير مسبوق, و لم ينفك ما يسمى بالامركة او العولمة أن تمأسس على تلك الثقافة مما خصم على الانجلوساكسونية لحساب سليلتها الانجلوامريكية.

–كانت امريكا مرة سادسة تتعين على اعادة انتاج دور جمهورية البندقية الحرة مجددا.

3–و قياسا كان على الرأسمالية ما بعد الصناعية البازغة–الاورلجاكيات المالية–الربوية ان تتعين عقلانيا على الاطاحة بدولة–البرجوازية الصناعية–القومية و تؤبلس القومية. الا ان الرأسمالية المذكورة لا تأنف بعد ان اذرت بالدولة القومية من ان تتسول الدولة لتضمن الاخيرة كما ذكرنا أهم مؤسسات الاولى المالية كالمصارف و البنوك التجارية و الاستثمارية مثلما حدث منذ صيف 2007 الى خريف 2008 و تباعا.

4–و كانت الصفوات الاوليجاريكية المالية وحلفائهما و ازلامها وراء الليبرالية الجديدة حتى تقيض الليبرالية عقلانيا لتلك الصفوات فضاءا رحبا للحركة فى المجتمعات الاوربية الغربية و بخاصة بريطانيا و هولندا. و لم ترى تلك الصفوات باسا فى ان تتمتع بعض جماعات اخرى بمزايا الليبرالية الجديدة . فقد كانت سلطة الصفوات او–و الاوليجاكريات المالية قمينه بان تضمن لهم التحكم فيمن يمنح او يمنع من مزايا تلك الليبرالية الجديدة و ذلك بخلق:

أ–سماسرة ينابة عن الاوليجاكيات تمثلوا فى الليبراليين الجدد و فى الساسة وقادة الاحزاب اللى باتت اجيرة فى سوق نخاسة المال و مزيد منه

–خصوم داخليين و خاريجيين للمجتمعات التى تستضيف الصفوات او–و الاوليجاركيت المالية تلك.

و مع ذلك لم تنفك تلك الصفوات ان راحت تعصف بالليبرالية البرلمانية التى نعرفها و تجرمها بعد ان قيضت الفضاءات الليبرالية البرلمانية التى نعرفها لتلك الصفوات ما كانت تسعى الى تحقيقه من عدم التساهل مع المفاهيم المعادية للسامية التى بقيت مستقرة فى مسام المجتمعات الغربية منذ سقوط الامبرطورية الروماينة حتى ما بين الحربين العالميتين.

5- و قياسا راحت الصفوات الاوليجاريكية المالية و حلفائها و ازلامها تتعين عقلانيا على فلصفة مفهوم الديمقراطية و المشاركة الشعبية تباعا منذ اليونان على يدى سقراط و ارسطو عبورا بروما ابان عهد يوليوس قيصر الاسراتى و الخلافة الاموية و العباسية و بخاصة ابان عهد هارون الرشيد الاسراتى بدوره على يدى قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد.

6-لم يلبث الاوليجاركيون وحلفائهم ان حوروا مفهوم الديمقراطية منذ القرن الثامن عشر عبورا بالحرب العالمية الثانية وصولا الى مفهوم الدمقرطة منذ الادارة الامريكية 41 حتى الادارة 43.

7- مفصلت الاوليجاركيات مفهوم العلمانية منذ ايرازماس و المبدأ الانسانوى-الانتقائى مرة لتحييد الكاثوليكية بغاية تيسير تخفى تلك الاوليجاركيات وراء ما يسمى بالعلمانية. و تدعى الاخيرة فصل الدين عن الدولة بصورة بائنة مما لم تثبته اى من محاولات الانسانويين و العلمانويين على مر السنين و مما اعود اليه فى مكان اخر. وقد قيضت العلمانية المخاتلة تدمير العائلة فالمجتمعات الانسانية كافة في المقياس المدرج وموت الرب تباعا.

8-حيث تكرس الصفوات الاوليجاريكية المالية فيما بينها هى مفهوم العائلة و العلاقات العائلية و الاخلاق المحافظة هى الا انها تثابر على تكريس الاباحية فى المجتمعات المضيفة. و تعصف تلك الاوليجاركيات بالقيم الاخلاقية باسم ما بعد الحداثة و تنشر البورنوغرافيا بخاصة بين الشباب فى كل مكان. و ينتشر ادمان البورنوغرافيا فى مجتمعات ترتفع فيها نسبة من هم فوق الخمسين و المسنين بمال دافع الضريبة. و تعبر حادثة بعينها عن ذلك فى بعض برامج هيئة الاذاعة البريطانية البى بى سى BBC تلك المؤسسة العريقة التى بقيت تعتبر صرحا شامخا و محترما فى انحاء العالم. فقد قام احد المذيعين بترك رسائل صوتية مخلة على هاتف احد ضيوف البرنامج فى 16 اكتوبر 2008 و اذيعت الرسائل على البرنامج المذكور فى 18 اكتوبر 2008 بعد ان مررته ادارة البى بى سى المعينة. و قد خلق البرنامج سخطا شعبية على مر اسابيع. حيث احتج الناس على ان البعض قد احتكر المؤسسة و راح يتحكم فى برامج البى بى سى مثلما يفعل ذلك البعض فى معظم ان لم يكن فى كافة مناح حياة الناس قاطبة. فليس عليك سوى ان تصغى الى اى محطة من محطات الاذاعة البريطانية فلا تجد اكثر من المذيعين من اعراب الشتات احداً.[69]

لا تمر نصف ساعة دون ان تسمع عن المحرقة و الناجين منها و عن الاصحاح القديم و عن الشخصيات الهامة منهم من الفنانين و المفكرين و الاقتصاديين القضاة و المحامين و مصففى الشعر و مصممى الازياء و اهم لاعبى التنس و المخرجين السينمائيين و التليفيزيونين و المملثلين و الكوميديين و رسامي الكاريكاتير و الموسيقيين والمحللين السياسيين و المراسلين الصحفيين فى كل التخصصات فى انحاء العالم. و لايعنى ذلك انهم متجانسون ايديولوجياو لا حتى سياسيا. الانهم يبقون متضامنين يتحدون فيما بينهم امام اعدائهم. و قياسا فحيث لا يكتب شئ و لا يذكرون طوال النهار و الليل باى حال و بكل

حال الا ان ذلك التضامن و التوحد الغامض رغم الخلافات بين معظم طوائفهم تبق وراء اتلك السردية البكاءة اللوامة على نحو عقلانى بامتياز[70].

و لعل البى بى سى نموذج او مثال لاحتكار الصفوات الاوليجاريكية المالية لكل شئ تقريبا. و يتقاضى اكثر مقدمى البرامج منهم ابتذالا ملايين على اشاعة مفاهيم متسيبة بلا احتشام مثلما فعل بعض مقدمى البرامج المذكور اعلاه و يتقاضى احدهما فى شهر ما يفوق اجر فرد عادى فى عام[71]. و يرى البعض ان البى بى سى تتعين على مخاطبة الشباب و ان غير الاخيرن ليس سوى مسنين لا يعتد بهم–بمن فيهم الملكة–مما يجعلهم يستحقون استهانة بعض برامج البى بى بهم. و قد بات معظم اعضاء البى بى سى على صلف لا يغتفر اذ يرون انهم فوق النقد حيث يعيشون داخل المؤسسة و ليس فى المجتمع.

و يقول البعض ان البى بى سى تقع–جراء تصرفات تلك الجماعات–فى مغبة تغريب المجتمع اذ لا تخاطب المجتمع الا بما يروق لها هى. و لعله لولا الازمة المالية الخانقة والاحباط الذى اخذ بخناق الناس فضاقوا ذرعا بتلك النماذج المتحكمة فى حياتهم من كل جانب لما أندفع الناس للتعبير عن سخطهم مما ادى الى استقالات البعض و توقيف اخرين[72]. و قد راح الناس يتهمون مؤسسة البى بى سى جراء سلوك تلك الجماعة المتحكمة–و قد شارف القبالا فلم يكن احدا يجرؤ على نقدها–بممارسة نوع من النشر الذى يشارف التعذيب و الارهاب الفكريين الاخلاقيين ان صح التعبير. فقد بدأ الناس يفيقون من سكرة ما بعد الحداثة و من غيبوبة الاسواق الحرة و المشروع ما بعد الليبرالى جميعا.

9–كانت الصفوات الاوليجاريكيات المالية قد خلقت شرط مراكمة رأس المال الخاص حتى راكموا فى القرن السادس عشر الى التاسع عشر رساميل خاصة قيضت منذ ما بين الحربين على الاقل لهم السيطرة على سوق المال.

10–كانت رساميلهم محصلة نشاط لا اقتصادى او اقتصاد افتراضى Virtual Economy تمأسس فوق السلع الاستراتيجية بايجار رساميل النفط و الماس و الذهب و الفضة أو رأسمال ريع او ايجار تلك السلع الاستراتيجية و بيع المال كسلعة.

11–لم تلبث الرأسمالية المالية ان قضت على شرط مراكمة رأس المال السلعى الخاص لحساب رأس المال المالى عابر القوميات–تخاتلا. فمعظم الاخير مالهم هم بقدر ما يتفرقون هم انفسهم يتبدونون كطبعهم بين قوميات العالم من الشعوب المستقرة فى كافة القارات سواء غربية او شرقية حيث الشعوب المستقرة المذكورة كانت قد استضافتهم على مر التاريخ و ما تبرح تستضيفهم تباعا.

و حيث باتت المجتمعات الاوربية الغربية و الامريكية تباعا مسيحية يهودية فان واحدة من اهم خواص المسيحية الغربية اى المسيحية اليهودية تتمثل فى ان الاخيرة حرية بان تنادى بالحرية على طريقة الا بأس بالحرية سوى انها تجعل الناس احرار. كما تنادى الرأسمالية المالية و قد اصدرت عن المسيحية اليهودية بالاسواق الحرة و الدمقرطة و حتى بمشروع قومى افتراضى. الا ان ذلك المشروع لا يعنى من وراء ذلك سوى حرية الاسواق فى نهب من عدى اصحاب الرساميل و بخاصة المالية الجشعة. و لا

تعنى القومية عند الاخيرة سوى تكريس قومية امريكا الاثينية و اسرائيل الاسبارطية_منذ ان تولى يشوع قيادة بنى اسرائيل من سيناء الى كنعان–خصما على من عدى أمريكا و اسرائيل.

بل تجند الاثنان جيوش قومية و من العبيد المقاتلين و الموعودين بالعتق لقاء البطاقة الخضراء فتخرج تلك الجيوش لمحاربة حركات قومية و تدمير اوطان و امم قومية بتهمة تعاطى مشاريع قومية. و لا تعنى ليبرالية مشروع هاتين الدولتين و من يدور فى فلكهما اقتهارا وارتهانا بالرساميل الامريكية او–و عابرة القارات بالوصف اعلاه و تباعا سوى مشروعا ما بعد ليبرالي متكاذب ينكر الليبرالية و يؤبسلها بوصف ان ما بعد الليبرالية هى نهاية الليبرالية كما نعرفها. فمشروع ما بعد الليبرالية حرى بان يخصم على كل مشروع عداه. و من المفيد تذكر ان ما بعد الليبرالية اسبارطية معسكرة خصما على الليبرالية و كانت الاولى تصدر عن اثينا. المهم حيث كانت الرأسمالية المالية قد خصمت على القطاع الصناعى فلم يعد الاخير بملك توظيف عمال بالقدر الكافى ليأتى افائض نتاجهم و الضرائب التى تفرض عليهم الى الخزانة بما يوازن الناتج المحلى الاجمالى. فقد تحولت المصانع فى الشمال البريطانى الى مركبات تجارية تغوى الناس بالاستهلاك حتى الموت. و قياسا ارتفع الدين العام البريطانى فى خريف 2008 الى 57% من الناتج المحلى الاجمالى و يتوقع ان يصل تريليار استرلينى مع بداية 2009.

12–تفعل الرأسمالية المالية كل ما من شأنه احباط شرط نضوج الوعى الحقيقى باستباق السخط الشعبى فى كل مرة يوشك الاخير ان يتفجر لصالح الشعوب و خصما على الرأسمالية و بخاصة تنويعتها المالية. و يلاحظ كيف راحت الحكومات الغربية تدفع تريليارات الدولارت فى شراء الاسهم السامة وضمان المصارف الهالكة و ضخ المال فى السوق بغاية استمرار السيولة الخ. و تكاد الرأسمالية تقترف ما يشارف السياسات الاشتراكية باعادة توزيع أنصبة من المال العام على المهددين بفقدان العقار و محاولة ضمان العمالة–من خشية تداعيات العطالة المتزايدة–و مساعدة الاسر و الاعمال الصغيرة و اقراض الصناعات مثل صناعة السيارات حتى لا تسرح العاملين. فقد دفعت حكومة باراك اوباما 3 مليار دولار فيما يسمى . Cash for Bankers و معناها مبادلة السيارات القديمة بسيارات عطوفة بيئيا او صديقة بيئيا Environmentally Friendly

و كان السخط الشعبى غب انهيار اعمال شركة اينرون و انهيار سوق الاسهم فى بداية 2001 قد انذر باندلاع انتفاضات شعبية مثلما يلاحظ الناس على مر التاريخ و مثلما حدث فى الارجنتين فى 2001 صبحة انهيار المصارف. و لعل تلك التداعيات كانت وراء تلفيق احداث 11 الثلاثاء سبتمبر 2001. و لم تكن احداث 11 سبتمبر لتخلق ذريعة للتوسع الامريكى و لا لضرب الحركات التحررية و انما كان الثلاثاء المشئوم حريا يستبق السخط الشعبى القادم لا محالة جراء الازمات المالية المنظمة و تداعيات التغيير المناخى.

و ازعم ان احداث الثلاثاء 11 سبتمبر تعينت على خلق شرط اشاعة الانظمة الامنية التى تتعقب الحركات الشعبية فى كل مكان. و قد شرعت كل من امريكا و بريطانيا فى تدريب قوات الشرطة على

حرب عصابات المدن. هذا و قد خلق قانون باتريوت PATRIOT المشئوم بدوره مناخ ترويع الناس بحجة محاربة الارهاب. فقد كانت الرأسمالية و بقيت تستبق السخط الشعبى و تعد له عدتها مسبقا بالقضاء على كل و اى معارضة لمشروع اعراب الشتات مشروع القرن الامريكي الجديد. و الاهم تعد الرأسمالية لنشوء "طبقة"–فى حد ذاتها من عناصر محبطة مفقرة مضيعة تجندها فى قوات لامن والجيش بعد العمل على حل و شرزمة قوات الامن و القوات النظامية الوطنية او–و تستبدلها بقوات اخرى مدربة على مواجهة الشعوب بالعنف و على العصف بهم بوصفهم غرماء. و كانت الرأسمالية ق تعينت على خلق طبقة العسكر فى ستينات العرن العشرين. و كان الاستعمار قد حاول خلق شئ مماثل بما اسماه البوليس الكونستابل constabulary Police و تغنى الاستعمار البريطاني بقدرة الاخير التحديثية للاهالي Constabulary Police has a great civilizing mission. و السؤال يبقى لماذا تثابر امريكا على سياسة تدريب قوات نظامية و قوات امن من جديد و تعمل على حل القوات النظامية و قوات الامن الوطنية أو اعادة تدريب الاخيرة و تكوينها كما يلاحظ الناس؟

و اجالدل ان الرأسمالية تدرك من تجارتها التاريخية و منوالية "المحارق" و "الخروج" انها مستهدفة كلما غالت فى المراكمة و بخاصة المالية خصما على المدخرين و ارباب المعاشات و صغار حملة الاسهم و منتجى الفائض و العمل الحي. و تدرك ايضا انها مستهدفة للانهيارات الدورية بجريرتها هى و تدبيرها المتقصد. و تدرك الرأسمالية ان واحدة من تلك الانهيارات قمينة بدفع الاغلبيات الشعبية يوما فى كل مكان الى سخط لا بشفيه سوى ثورة لا تبق و لا تذر. واخشة ما تخشاه الرأسمالية ان تؤدى تلك الثورة الى الاشتراكية.

13–وقياسا تقوم الرأسمالية المالية نيابة عن السلطة القائمة بكل من:

–احلال ما من شأنه ان يتمثل فى اعادة توزيع بل الى ما يصفه كثيرون بمشارفة الاشتراكية. و بيدى لا بيد عمر

–احلال خطاب مخدر للحواس يكاد يقول بالاشتراكلية فى جمل اعتراضية او–و تتخلل ذلك الخطاب فخاخ تجوز على الجماهير فى حين ان تلك الفخاخ هى في الواقع تعبير عن تكريس الرأسمالية فى مرحلة لاحقة اكيدة

–وصول ساسة غير اعتياديين الى سدة السلطة مثل اوباما و–أو تعين الساسة القائمين على تعديل خطابهم–دون تغيير اجندتهم الخفية–بحيث تغوى الجماهير الساخطة خصما على قدرة الشهب على تنظيم انفسها.

–احباط التنظيم الشعبى الذى من شأنه التعبير عن السخط الشعبى مما قد لا يترك شيئا فى طريقه.

فحين كانت طبقة الحكام و حلفائهم و ازلامهم تنتظر حتى يندلع السخط او–و كان الاخير يفاجأها فقد باتت الاولى تتعين على استباق الاخير فاحباطه قبل ان يندلع. و تقوم امريكا بتدريب الشرطة على حرب العصابات الحضرية Guerrilla Urban warfare بغاية استباق الحركات الشعبية القادمة لا محالة

جراء استقطاب المجتمع. و ما تنفك أمريكا الى ذلك وتصدر قوات مكافحة الشغب فى تنويعات مثل افركوم Africom. والاخيرة تنويع على قوات حلف اطلنطى و تتعين على مساعدة الحكومات التى تشارف الهلاك او المتهالكة Failed States فانقاذها امام احتمال انتصار ثورات شعبية مثلما فى جمهورية الكونغو و افغانستان و اليمن و عيرها من النول الافريقية والعربية.

و تفرض بريطانيا على كل طالب جواز سفر اعتبارا من 010 2 استخراج بطاقة هوية و تعنى الاخيرة تزويد الدولة بمعلومات شخصية خاصة و دقيقه عن الفرد. و تودع الدولة تلك المعلومات فى قاعدة معلومات وطنية National Data Base كما تلزمه بتزويدها بكل ما يستجد عن احواله و الا فقد جواز سفرهفبدلا من ان تملك جواز سفر فان جواز السفر سوف يملكك[73]. فقد باتت الرأسمالية المالية فى زعر مما قد بترتب على الازمة المالية منذ صيف 2007 الى خريف 2008 و تباعا. ذلك ان ما يترتب على تلك الازمة من شأنه ان يخلق شرط "محرقة" بالتعريف الاجرائى فى مكان اخر. و قياسا تستدعى الرأسمالية المالية تداعيات الازمة مما يجعل الرأسمالية المالية تحاول التمأسس فوق تجارب الرأسمالية بتويعاتها الطويلة مع الشعوب على مر التاريخ المسكوت عنه خاصة.

ذلك ان ما قد يترتب على الازمة المالية منذ صيف 2007 الى خريف 2008 و تباعا حري بان يلهم الرأسمالية متمأسسا فوق تجارب الاخيرة الطويلة مع الشعوب على مر التاريخ المسكوت عنه خاصة. و الى ذلك فقد باتت الرأسمالية المالية تملك السلطة العليا فى العالم على مقدرات العالم. و ترتهن الراسمالية المالية الدول بالدين العام و أقتصاد بات يتمأسس فوق الديون و بارتهان الشباب منذ الدراسة الجامعية عبورا بغواية الافراد العاديين بالعقار المرهون لشركات العقار و الانفاق والاستهلاك ومزيد منه–تنشيطا للاقتصاد و اللا اقتصاد بالديون الفردية الخاصة. فقد أجبرت الدول على الاستدانة بما يسمى الائتمان جراء واشينجتون و فرض سياسات التكييف الهيكلى Structural Adjustment Policies(SAP) و ديون التكييف الهيكلى Structural Adjustment Loans(SAL) بغاية احلال شرط اقتصاد السوق. ولعله من المفيد الاشارة ابجازا الى اجماع ووشينجتونWashington Consensus و التكييف الهيكلي Structural Adjustment.:

اجماع ووشينجتون:

نحت جون ويليامسون John Williamson مفردة اجماع وشينجتون فى 1989 بغاية تعريف طاقم من 10 سياسات اقتصادية ينبغى ان تتوفر فيما اسماه حزمة الاصلاح النموذجى لانقاذ وتطوير المجتمعات النامية الموبوءة بالكارثة الاقتصادية.الناجمة عن ازمة الثمانينات. و يتمأسس النموذج فوق انشطة مراكز بحث ومؤسسات مالية تكرس سياسات تابعة لووشينجتون دي سي. و من اهم تلك المراكز او المؤسسات المالية صندوق النقد الدولى و البنك الدولي و وزارة المالية الامريكية. وقد بات المفهوم يستخدم بصورة واسعة كتعبير عن اصولية السوق Market Fundamentalism. و قد ووجه المفهوم

بالنقد من قبل امثال جورج سوروس وجوزيف ستيجلتز الحائز على جائزة نوبيل و اخرين مساسة امريكا اللاتنين و الاقتصاديين الهراطقة Hetrodox economists. و قد تعالق المفهوم ,الليبرالية الجديدة. كما استدعى المفهوم حوارا عاما حول توسيع دور وحرية السوق و فرض قيود على الدولة و تأثير الولايات المتحدة على المجتمعات الاخرى مما ازعم انه لم ينفك ان كرس مفهوم استثنائوية Exceptionalism الولايات المتحدة.

و تعنى استثنائية الولايات المتحدة ان تترك الولايات المتحدة و شأنها من ناحية و من ناحية اخرى فان الولايات المتحدة بهذا الوصف تملك خواص تجعلها اقدر من غيرها على تشكيل العالم على شاكلتها هى. و من الطبيعي ان الولايات المحدة راحت تجأر من وفتها مرة بالاستقلال و الحيدة وصولا الى الحمائية Protectionismو مرة اخرى تنتحل الحق فى تشكيل العالم على شاكلتها. و ليس ثمة مصادرة على مطلوب مثل تلك الفردية من ان العالم غير قابل لان يتشكل على شاكلة مجتمع يستحوذ على و يستهلك 25% من موارد العالم. ذلك ان عالما بهذا الوصف غير قابل للتحقق لانه لا يسع البشرية بكاملها.

سياسات و ديون التكييف الهيلكى:

عبرت سياسات و ديون التكييف الهيكلى عن نفسها فى كل من ديون و سياسات و سياسات التكييف الهيكلى, قد تعينت الاخيرة على خلق شرط تكريس نموذج التنمية الامريكى ما بعد الليبرالي -The post liberal American Model of Development . ويعبر الاخير عن نفسه فى اقتصاد السوق و الخصخصة و بيع القطاع العام فى المزاد العلنى تيسيرا لرسملة اقتصاد كل مجتمع فى اى مكان. و قد ترتب على التكييف الهيكلى ان الدول الافريقية مثلا و كانت بسبيل النشوء فى العشرين عاما حتى عشية الاستقلال ان راحت تنكص تباعا فى الثلاين عاما اللاحقة علي الاستقلال السياسى بمغبة احلال سياسات التكييف الهيكلى Structural Adjustment Policies(SAP) و ديون التكييف الهيكلى Structural Adjustment Loans(SAL).

فقد كلف التكييف الهيكلى وديونه افريقيا وحدها 2755 مليار دولار اى ما يعادل 35 مرة قيمة مارشال. ويعبر هروب الرساميل فى شكل خدمة ديون التكيف الهيكلى–التى يتعين على فرضها و مراقية تصديرها رساميل خالصة Net Capital و الا اوقعت عقوبة فقدان المصداقية على الدول العاجرة عن السداد– يعبر عن نفسه فى المجتمعات المفقرة ابان الازمة الاقتصادية الراهنة فى ان الفرد يفقد حياته و حياة بعض ابناءه فى حين ان مغية الازمة قد تفقد الفرد فى المجتمعات الغنية عمله او عقاره وحسب. و من المفد تذكر ان البنك الدولى و صندق ا لنقد الدولي اللذان ارتهنا الدول المذكرة بتلك الديون هما مصارف مهمتها تحقيق الفائدة و اكبر عائد على الاموال المستدانة لحساب حلمة اسهم البنك الدولي و حماية المستثمرين من الماليين و الاوليجاركيين.

اجماع ووشينجتون و التكييف الهيكلى و ادمان العالم الديون بلا شفاء:

كانت سياسات و ديون التكييف الهيكلى–و قد أسقط العالم من يومها فى وهدة الاقتصاد المتمأسس فوق الديون–لم تبقى معها سبيل الى اى مشروع خاص او عام بدون اللجوء الى الاستدانة. فقد باتت الاستدانة كالادمان الذى لا شفاء منه الا فى مصحة يقوم عليها صندوق النقد الدولى و البنك الدولى فمزيد من الديون الخارجية للدول قاطبة بغاية تكريس النموذج الامريكى للتنمية ما بعد الليبرالية. هذا و حيث كان الافراد قد دفعوا بعد الحرب العالمية الثانية الى امتلاك العقار بالرهن او الائتمان فقد بات معظم الناس رهناء الائتمان مدى الحياة. و لم يلبثوا ان اوهموا ان لهم ان يعيشوا فوق طافتهم بالديون الفردية تحت شعار اشترى او استهلك اليوم و ادفع اجلا. هذا ما ينفك حيتان الائتمان اى المرابين يستدرجون المفقرين اكثر من غيرهم للاستدانة تحت ضعط حالةلاخيرين المالية المتفاقمة.و ترتفع نسبة الفائدة على مثل تلك الديون بما قدر ب 100% من قيمة الدين.[74].

و قياسا كان ازدهار الدول الرأسمالية و بخاصة امريكا و ملحقاتها على مدى الخميسن عاما الماضية فى درجات المقياس وظيفة الديون الخارجية. فقد تمأسس الازدهار المفترض او الافتراضى فوق الحصول على الاقرار الذاتى الفورى Instant Gratification خصما على المستقبل و ما هو أت و على من عدى المجتمعات الصناعية الغنية بل على الاجيال الغربية القادمة.

فقد انتشرت ثقافة الائتمان و الصرف بلا روية و صولا الى الافلاس الفردى و الجمعى. و حيث ان الرأسمالية المالية هى التى توفر للدولة القروض فان الدولة مرغمة على ضمان المؤسسات المالية و المصارف الهالكة و على اقراض الصناعات مثل صناعة السيارات حتى توفر الاخيرة العمالة تفاديا لارتفاع نسب العطالة بصورة تهدد الاستقرار الاجتماعى الاقتصادى. فالرأسمالية المالية هى التى تخلق الازمة بهروب الاموال و المضاربة المستهترة بالمودعات المالية لدى المصارف الخ–و هى التى تعود وحدها–فهى وحدها التى تملك المال–فتوفر القروض للدولة بغاية "حل الازمة" باعادة ارتهان الدولة مجددا. و هكذا فى حلقة جهنمية مفرغة.

و كانت الدولة هى التى تضمن الدائينين دائما فهى مسئولة عن اخراج الاقتصاد من الازمة فى كل مرة و الا انهارت الدولة او–و اندلع السخط الشعبى. و حيث كان الدائنون يحجرون على هوامش حركة الدولة لحساب هوامش حركتهم هم الا انهم ما ينفكون يشجعون ابان الازمة توسيع هوامش الدولة حتى تتعين الدولة على خلق شرط انقاذ الدائنين بتأميم المصارف الهالكة وشراء الاسهم السامة و خلق العمالة و توفير الخدمات والسلع العامة احباطا لانتشار السخط العام. و كان الحاكم الاسراتى المركزى السلطان الفرعون و من هو فى مكانة الدولة يوزع الغلال ابان الازمات من الصوامع الملكية أو–و صوامع الكهنة–و يضمن الحاكم المركزى سعرا عادلا للذرة فى السوق. و كانت تلك الفترات المنوالية تعبر عن نفسها فى نوع من اعادة التوزيع الاشتراكى و لو كان فارقا. وازعم ان الحاكم الاسراتي كان اكثر رحمة كونه يدعى انه من انصاف الهة و انه حام الرعية من الكوارث و الانواء و كونه اب الرعية و مرة ثالثة

لانه ينتسب للاخيرين بقرابات مفبركة. و قياسا فان حكام هذا الزمان غرباء و شداذ افاق و غالبا اعراب شتات لا علاقة لهم بالمجتمع المضيف.

14- الواقع ان محاولة استباق الرأسمالية المالية للسخط الشعبى بهذا الوصف قد تبدو و كأنه تنويع على الاشتراكية. فاذا كان ما يتم يفوح برائحة و يمشى و يشبه الاشتراكية فهو اشتراكية مهما راوغت الرأسمالية المالية. فاعادة التوزيع وانتقائية حقن القطاع العام و الاعمال الصغيرة الخ بالمال العام هي خصائص اشتراكية رغم انف الرأسمالية فى محاولة انقاذ الرأسمالية المالية. ذلك انه لا معدى-حسب وضع الاشياء-من استدعاء تنويع متردد و مستح و معتذر لما شارف اعادة التوزيع او حتى اشتراكية ملكية بعض وسائل الانتاج. الا ان الفرق بين الاشتراكية التى تعبر عن نشوء على البرجوازية الصناعية و بين اعادة توزيع يشارف الاشتراكية ترتهنه الرأسمالية المالية يمثل فرقا فرق مركبا غامضا و غير واضح للكثيرين وهو:

- ان الاشتراكية الموضوعية هى ملكية الدولة ممثلة للشعب لوسائل الانتاج

-و ان اشتراكية المكرهة و قد ارتهنتها الرأسمالية المالية بديون الدولة و الديون الفردية شئ اخر.

-ان الرأسمالية المالية الماثلة غبد الازمة المالية الاخيرة هى التى تملك ادواة الانتاج و المنتجين و الدولة جميعا فى المحصلة النهائية.

على اننى ازعم ان ذلك التنويع من الاشتراكية المخاتلة:

أ- قد ينقذ الرأسمالية المالية مؤقتا او-و يضعها فى غرفة العناية المركزة الى حين.

ب-و ان تلك الاشتراكية المتكاذبة لا تفعل سوى ان تؤجل السخط الشعبى الى حين.فما علاقة كل ذلك بالاطر الفكرية والبراديجمات Paradigms و بمفردات اللغة التى ترتهن كل مشروع بديل لمشروع الليبراليين الجدد و اسلافهم على مر التاريخ؟

قياسات لا متناهية:

اجادل ان وضعا بهذا الوصف يستلزم مفردات متكاذبة و قد زاغ بصر الساسة و الاقتصاد-و لم يعد الاخير يعنى النمو اللامتناه مما بقى الساسة يبشرون به منذ الحرب العالمية الثانية. فقد باتت الازمة ماثلة و ليس ثمة من يملك شئ ازائه اكثر من محاولة درئ خطر السخط الشعبى الخ. وأزعم ان يمكن عقد قياسات متعددة على المفاهيم الواردة اعلاه و نظائرها العديدة بدورها, و كانت تلك الفاهيم قد وظفت فى براديجمات باكرة لتسويغ مشروع الصفوات الاوليجاريكية المالية عبورا بمفهومات و خطاب الخوارج و تنويعاتهم الاسلامية العربية الخارجة على الخلافة و الامامة. و كان خطاب الخوارج السياسيين و نظائرهم و تنويعاتهم قد اخترق الخلافة و الامامة و ارتهناهما.

و قياسا فقد كان مشروع الصفوات الاوليجاريكية المالية بدوره-او "انموذج التنمية" الاوليجاركية-قد أخترق الكاثوليكية الغربية باكرا. و يمفصل الاوليجاركيون و يفلصفون-من الفالصو اى المعدن او الشئ الرخيص وهى مفردة انحتها هنا و ترجع تنغيم نظيرة انجليزية هى Falsify-ما أعرفه بالنظائر الخوارجية

او تنويعات من الخوارج السياسية الغربية. و تتنوع الاخيرة فى الطوائف الخارجة على الكاثوليكية من الانسانويين او أصحاب المبدأ الانسانوى و التنويرين وصولا الى الحداثيين وما بعد الحداثيين و التنمويين و النسووقراط و اليسوعوقراط و الليبراليين الجدد الخ مما اتناول بعضه تباعا. و فى ذلك يلا فوتنى ان استدعى قولة ماركس فى البرومير الثامن عشر حول ما قد يعنى تحور تنويعات الشئ على نسفه بحيث يغدو تشوها اكثر منه اعادة انتاج كاملة. فحيث كان هيجل قد جأر مشيرا الى مثول بونابارت الثالث بعد نابليون بونابارت بان ثمة احداث و شخصيات تاريخية تظهر مرتان الا ان ماركس اضاف فى البرومير الثامن عشر بشأن انقلاب نابليون بونابارت على الثورة الفرنسية ان الاحداث و الشخصيات التاريخية قد تظهر حقا مرتان الا انها تظهر فى المرة الاولى بوصفها فاجعة وفي الثانية بوصفها مهزلة[75].

ا 1-كيف تسوغ البراديجمات و السرديات المتخاتلة مشروع الصفوات الاوليجاريكية المالية و تنويعاتهم العقلانية المتكاذبة:

حتى يتعين كل مشروع من المشاريع المذكورة اعلاه و غيرها مما اتعرض لبعضه تباعا على تمرير ممارساته بيسر فقد مفصلت الصفوات الاوليجاريكية المالية ومفكروها و مثقفوها براديجمات موسمية تسوغ ذلك المشروع بالضرورة و نحتوا بالضرورة والنتيجة معا مفردات تخص ذلك المشروع و تدل عليه. و كانوا الى ذلك و ما يبرحون يجندون مشاة و عرفاء و حتى جنرالات يتعينون متساررين متواطئين غالبا- اذ لا يجرؤون على الافصاح عن مشروعهم علنا-على تكريس الخطاب و يتبنون الاجندة و يدافعون عن المشروع نيابة عن اصحاب المشروع و المنتفعين الاول به. فالاخيرون هم اصحاب المصالح الخاصة Special Interest Groups التى تقف فوق و وراء و امام كل من تلك المشاريع و تكرسها الى حين و فى كل مرة كما يلاحظ الناس فى كل مكان.

و بالمقابل تجد نفسك تبارزهم و هم يتواطئون و يتكأكون عليك و هم يتساررون و كانهم تنويع على القبالا وهى جماعات كتومة متساررة معروفة تاريخيا مما قد اعود الى تعريفه فى مكان اخر. و اعزو الميل القبالى الكتوم المتسارر الى اعراب الشتات. فالاخيرون لا يفصحون عن هويتهم و قد يعتنقون مظهريا عقائد و هم يبطنون عقيدتهم فلا يجهرون بها وهذا هو ديدنهم فى كل شئ. و يفسر ماركس و ابراهام ليون Abraham Leon وجون روز John Rose و اخرون هذه المسألة فى ان ديدن الصفوات الاوليجاريكية المالية و حلفائهم و خدامهم حرى بان يبق متخف تحت ادعاءات و ادعاءات مضادة لا تزيد على تزويق الحقيقية. و يقول ماركس ان تحرير الفرد من عقيدة الرأسمالية الربوية حرى بان يحرر البشرية قاطبة. الا ان الصفوات الاوليجاركية المالية تستقطب اعداد متزايدة تباعا حتى تكاد السردية الانجلوساكسونية و الانجلو امريكية على الاقل-و قد احلتا مكان التاريخ الموضوعى-تغدوان رديفان لسردية اعراب الشتات. بل ان الاخيرة اصبحت باكرا سفر تكوينهما خصما على تاريخ البشرية.

2- كيف تخفف السردية المعقلنة Rationalised Narrative و مفرداتها المزوقة من وقع الاحداث

تعبر بعض البراديجمات عن نفسها فى تنويع على السردية مثلما تعبر براديجما قيام دولة اسرائيل عن نفسها فى سردية من الاصحاح القديم حيث حولت اسرائيل و المستوطنون–كما يقول مايكل روزين–"الرب الى وكليل عقار". وبالمقابل يحاول هذا البحث قراءة التاريخ بطريقة مختلفة بغاية ايجاد بديل للسردية المذكورة و تنويعاتها. فحيث يصدر المستطنون الاسرائيليون عن الاصحاح القديم الذى تعاد كتابيته فى كل مرة فان الرب يتحدث الى جورج ووكر بوش كما تحدث الى الاباء الاوائل و الى بعض رؤساء الجمهورية الامريكية من قبله.

و قياسا فلعل تعريف مفدرة السردية من وجهة نظر البحث تفيد فى قياس السردية الانجلوساكسونية و الانجلو امريكية و سردية اعراب الشتات بوصف ان الاول عقلانيتان و ريديفتان للاخيرة. و اجادل ان كتابة التاريخ كسردية بقي من شأنه ان يهون عقلانيا من امر الاحداث التاريخية او غير التاريخية خاصة ان شئت(ي). ذلك ان السردية التى هى عبارة عن عقلنة التاريخ–من شأنها من ثم ان تخفف على القارئ وقع احداث تاريخية بعينها. و قد تشمل احداث تلك السردية تاريخ البشرية بكامله فتستقطبه فى احداث تم تخفيف وقعها على القارئ او السامع حتى التلفيق فتكريس تلك السردية خصما على و دون سواها مما يجعل ما عدى تلك الاحداث مخففة الوقع عقلانيا–اى تجعل التاريخ الموضوعى–محض شرح على متون تلك السردية. فغالبا ما تلجأ السردية المعقلنة بطبعها الى طريقة معينة تكتب بها الاحدات عقلانيا على نحو سردى. و يبعد هذا الاسلوب السردى لتلك الاحداث المكرسة عقلانيا القارئ عما يحدث حيث تعطيه الاخيرة الاحساس بالراحة بشأن ما يحدث. و تخلق مثل تلك الر احة اللامباة و من ثم تنفى شرط نشوء الوعى الفردى و الجمعى معا. و تتعين السردية بهذا الوصف على:

– دفع الفرد لان يباعد ما بينه و–او بين بعض الاحداث ويتماهى مع بعضها.

– و تجبر تلك السردية الفرد على سلوك معين مهما كانت المؤسسات التى تحيط به فاسدة مشوهة او تشارف الحطام. ويعرض أى انحراف عن تلك السردية الفرد للتبكيت و ربما للعقاب الاجتماعى اكثر منه القانونى و قد يصل العقاب الى تطبيق القانون الوضعى الذى يضعه اصحاب تلك السردية نفسها على الفرد ما ان تسول للاخير نفسه بمواجه فساد المؤسسات و تشهوهها.

و بالمقابل فان التحليل يكثف كتابة السردية الموضوعية او التاريخ الموضوعى بالاحرى. و قد بقيت السردية المعقلنة تحل نفسها مكان التاريخ الموضوعى فلا تترك فضاءا لها فى كل مرة فلا تقيض كتابة غيرها كما فى كل مرة. و قياسا فان السردية تنتحل صفة التاريخ دون ان تسمح للاخير بالتعبير عن نفسه–و قد كثفها التحليل Intensified by analysis– فغدت السردية بهذ الوصف بمثابة التاريخ, و بالتالى يستحيل مع سردية بهذا الوصف على القارئ او السامع الفرز بين التاريخ و السردية. و فى نفس الوقت تهون مثل تلك السردية على القارئ ما يسرد عليه بان تترك له ان يباعد ما بين نفسه و بين احداث التاريخ الموضوعية مثل فظائع الاستعمار و الاحتلال باطلاق مسميات مزوقة على تلك الاحداث ك "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" والنهضة والتنوير و حق الفتح Right of Conquest و القدر

الجلى Manifest Destiny والدمقرطة و التحرير الخ. و اكثر تكريس الموقات ميثولوجيا أو ادراك متخيل بان الحتلال خير للشعوب المحتلة مثلما يزين الاكتشاف على انه مدينة وخلق شرط نشوء جديد للشعوب المكتشفة. و قياسا يغدو خروج المحتل و كانه قمين بان يؤدى الى انهيارات وبل انه حري بان يلقى باالمجتمع المحتل فى بحر من الدماء رغم استحالة كسب المحتل لعقول و قلوب المجتمع المحتل مهما وزع جنود الاحتلال من حلوى على الاطفال.

و قياسا قد يغدو التاريخ الموضوعى للاحداث الماثلة و الفظائع لا سبيل الى اخفائها حرية بان تكون مزعجة–فينذر القارئ بان ما هو بسبيل قراءته و المشاهد بان ما سوف يراه فورا قد بكدره فيمنح فرصة تفادئ قراءة ما بدى له و يعجل باغلاق التليفزيون وهو الذى ادمن افلام العنف و حتى العاب العنف. و عليه فان التاريخ الموضوعى حريا بان يرهق القارئ او المستمع فيغدو ذلك التاريخ باعثا على الاهتمام بهموم العالم وهو ما لا يرغب فيه المكتشفون و المحتلون و الغزاة باى حال. فالاحداث التاريخية العنيفة لا تبعث على التراخى ابدا و من ثم فهى أبعث على خلق الوعى الفردى و الجمعى.

و ازعم ان تلك السرديات حرية بان تمفصل براديجمات و خطاب و مفردات تخصها خصما على نظريات و خطاب و مفردات التاريخ الموضوعى للبشرية. و يلاحظ الناس بامعان النظر كيف تتعالق البراديجمات و السرديات المتكاذبة.

3–البراديجمات الغربية المتكاذبة و استحالة البحث فى امور الشرق بالتماس ***By Contagion***:

تعبر الرأسمالية المالية خاصة عن نفسها فى براديحمات و مشارع فصلية كالتنموية و ما بعد الحداثة و النسووقراطية و الليبراليين الجدد و الصهيونية عبورا بنظائر باكرة مثل المتعزلية و البروتستانتية.

و أزعم ان السردية العقلانية المذكورة اعلاه حرية بان تسوغ تدوير الافكار المتكاذبة نفسها فى كل مرة مما ييسر مفصلة Articulation براديجمات منوالية بدورها لا تزيد سوى ان تعيد انتاج اطرا فكرية موسمية متخاتلة فى كل مرة, و اجادل ان كل من البراديجمات الغربية و السردية الانجلوساكسونية و الانجلو امريكية على الاقل و رديفتها و سفر تكوينها سردية اعراب الشتات:

–تتعين على تخدير حس الفرد بالواقع عبورا بفلصفة التاريخ

– تصدر عن استراتيجية لا يستقيم بحث فى امور الغرب نفسه معها

–لا يسقيم بالنتيجة البحث فى امور من عدى الغرب

–الا يملك البحث التعين على الوصول الى محصلات موضوعية.

ذلك انه فى غياب التعرف على الغايات الحقيقية وراء تلك السرديات وصولا الى فك مفصلتها Disarticulating itو تعريف مفرداتها اجرائيا فان بحثا او مشروعا فكريا غير غربى حري بالا يصل الى محصلات تذكر او تنسى. ذلك مثل ذلك البحث يتضورة بطبعه لمكونات موضوعية لمفصلة فرضية او جملة افكار او اسئلة تؤدى بدورها الى طرح اسئلة من شأنها ان تؤدى الى اجابات او تشير الى اجابات تقود الى نتيجة. بمعنى اخر اجادل أن اى بحث او مشروع فكرى لا يبدأ بجملة افكار جيدة

قمين بان لا يصل الى محصلة مفيدة بصورة تذكر او تنسى. فكيف يصل باحث او بحث الى جملة افكار جيدة من شأنها ان تصل الى محصلة مفيدة بصورة تذكر و هو مواجه بالبراديجمات الفصلية والسرديات المتخاتلة ومفرداتهما المتكاذبة؟

ازعم ان استراتيجية السردية المعقلنة المذكورة اعلاه و قد تلفعت وتتلفع بعباءة خطاب متخاتل بالضرورة فانها حرية بان تكرس أجندة متكاذبة بالنتيجة. و تنطلق جماعات بعينها على مر التاريخ من قضاة واحبار و ملوك الزمان الى المحافظين و الليبراليين الجدد تكرس ذلك الخطاب. و تطرح و تفرض اجندة تلك الجماعات سردية اعراب الشتات متخفية وراء السردية الانجلوساكسونية الانجلوامريكية. و تجعل المقولة الاخيرة البحث فى امورنا وعرا و يكاد يمشى على حبل مشدود. ذلك ان هذا البحث يجد نفسه مخنوق بخلفية ايديولوجية كثيفة ذات ادعاءات و ادعاءات مضادة فى اطار نظرى مسفسط Mystified و مفلصف–من الفاصو–falsified يعاد انتاجه بصورة اكثر سفسطة و فلصفة مرة بعد اخرى منذ بدء التاريخ المكتوب و المسكوت عنه.

و قياسا يتطلب موضوع هذا البحث و تحليل الادلة عليه الحذر و للقارئ اعتبار ان هذه المحاولة–المتوحدة لا محالة–قد لا تزيد على مشروع عمل Work in progress او هدف نظرى بسبيل الانجاز تباعا. و أجادل ان من اهم اهداف البحث فى تنويعات بعض المثقفين و المفكرين الليبراليين الجدد محاولة تأمل و تعريف وراثة جماعات هى بدورها تنويع على المحافظين الجدد لخطاب قديم مجدد على مر التاريخ. و ازعم ان معظم التنويعات الماثلة–و بى ولع لا يشفى بالتنويعات كما ترون–ليست سوى تنويع على اسلاف حرصوا على تمرير نفس الخطاب بمفردات مختلفة الا انها لا تعنى–من وراء المزوقات Euphemisms المتكاذبة–سوى نفس الشئ او محض تحوير Mutation له فى كل مرة.

و لعل التحورات الحالة فى الرأسمالية المالية الربوية او الفائقة Super Capitalism منذ صيف 2007 الى خريف 2008 و تباعا قد تقدم مثالا على قدرة مشروع اعراب الشتات–بوصفه لا اقتصاد او اقتصاد افتراضى يعبر عن نفسه فى الرأسمالية المالية المذكورة اعلاه و تباعا–على ابداع مفردات لغة لا علاقة لها بالواقع فى وصف الواقع لمصلحتها وخصما على الحقيقة. و قياسا فخطاب الجماعات المذكورة حري بان يتستر على اجندة بقيت تكرس شرط تنويعات سابقة على الرأسمالية اجادل انها حرية بان تعبر عن نفسها فى درجات المقياس المدرج Scale of Gradation فى تنويعات على الاقطاع ورواسب اقطاعية فى كل مكان.

و اجادل ان فهم مزوقات خطاب و اجندة المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد و نظائرهم السابقة يستحيل دون فك مفصلة مفرداته. و لا تستوى تلك المفردات خارج سياق نشوء و تطور الرأسمالية بتنويعاتها و بخاصة المالية الربوية التى بقيت تبيع المال كسلعة–الربا–الفائدة بوصف الاخيرة تزويق للربا–على مر التاريخ المكتوب و المسكوت عنه. ذلك انه رغم تطور وسائل الانتاج و ادعاء تعقيب او

مرحلة Periodizing تاريخ البشرية بوصفها صاعدة ناشئة فى مراحل اللوحة الخماسية او غيرها الا ان مراحل تطور المجتمع لا تزيد على مراحل افتراضية و من ثم فانها تصدر عن فرضية تبقى متخاتلة.
و كان اهم ما شاقنى بشأن تلك الحالة ما يكرره معظم المؤرخين الغربيين سواء ليبراليين او ماركسيولوجيين و يتبعهم و يزاود عليهم بعض المؤرخين العرب و المسلمين حول ان الشرق اسن و انه ناكص و ران الى الماضي مطرق فيما بين قدميه دون ان يتعين مع ذلك معظمهم على مر سنوات طوال تصل قرون–على تفسير كاف لهذه الظاهرة التى تبدو مزمنة. فكل ما قد يحدث غالبا هو طرح السؤال كحجر يلقى به فى الظلام. و كان ما نبهنى على تلك الحالة المزمنة و المتستر عليها من وراء احابيل نظرية و اقتصادية اجتماعية ما كتبه بعض المؤرخين العرب دون الوصول الى محصلة مقتعة تماما. و قد بدى معظم اؤلئك المؤرخين و كأنه يحجم عن ذكر الحقيقة اكثر من الجهل بها. و لعل ذلك يعود الى شدة ترويع الارهاب الفكرى والابتزاز الذى تمارسه السردية المذكورة. فقد قال كتاب كبار مثل فاضل الانصارى و يوسف العشى و احمد كريم "ان المنطقة العربية الاسلامية مثلا قد تميزت–"بمشتركات خصوصية جغرافية–تاريخية انعكست بقوة على مسار الاحداث" [76]. و لم يفسر بعضهم ذلك المسار للاحداث بالقدر الكافى. و رآى اخرون ان احداثا ومؤثرات بعينها خصمت على الوفرة الملحوظة و الموضوعية لتلك االمنطقة و على مشتركات خصوصية جغرافية تاريخية كانت حرية بان تقيض لتلك المنطقة تطورا ملحوظا.

و قال سمير امين فى ندوة بدكار او القاهرة لا اذكر نظمهتها جمعية العلماء السياسيين الافارقة فى نهاية الثمانينات تقريبا ما معناه ان عجز الخلافات الاسلامية عن النشوء منذ القرن الثالث عشر يعود الى كونها لم تخلق شرط ثورة زراعية. و قال اخرون ان ما تميزت به المنطقة كعهدها حتى الان ثروات سطحية و جوفية الخ الا ان ذلك اغرى و ما يبرح يغرى بها اقواما غير موصوفين. "و رغم ان المنطقة العربية الفت مصدر وفرة طبيعية هائلة الا ان ل "الشرق الاوسط" و الجزيرة العربية لم يتح لها التطور "بوتيرة صاعدة مستمرة"[77]. ومايبرح لعاب القوى الامبريالية يسيل للشرق الوسط موقعا و ثروات ومناخ و سبل مواصلات مائية و غير ذلك.فقد كانت بريطانيا و بعدها امريكا مصممتان على السطو على الشرق الاوسط. و كانت امريكا قد راحت تقول منذ 1945 ان الشرق الاوسط هو من اهم الجوائز فى التاريخ بوصفه مستودع اكثر الثروات الاستراتيجية اهمية و فى موقع استراتيجي لا يضاهي جعرافيا
المهم فورا فرغم و ربما بسبب ان المنطقة شهدت عصور ازدهار غير مسبوقة و توالت عليها عهود ذهبية كما ابان العهد العباسى الاسراتى على ايام الرشيد و المأمون الخ وكما ابان عصر الاندلس الذهبى بدوره الا ان ان بعض المؤخين يشير من بعيد جدا–الى افعال و امور غامضة و غير قابلة للنطق باسم مرتكبيها–فى محاولة تفسير تلك الافعال و الامور المتكتم عليها وعلى دورها فى الفضاء على شرط نشوء تلك المجتمعات صاعدة. ويقول احمد كريم ان "تلك الافعال فعلها آخرون فابحثوا عنهم ايها

المؤرخون"78. و ازعم ان تلك الاقوام كانت من اعراب الشتات و تنويعاتهم التى مابرحت مغامرة غازية مترحلة كما فى كل مرة.

4- ***فلماذا هذا الموقف من بعض المؤرخين العرب؟***

بقيت اتأمل الى ذلك مقولة ان المجتمع ناشئ صاعد فلم البث ان لاحظت ان الذى ينشأ صاعدا هو جماعات و شرائح الحكام وحلفائهم المتستر على هويتهم خصما على المحكومين. و مهما كان المحكومون فانهم يبقون فى الظلام لا يجرؤ كثيرون على النطق بما يحيق بهم. و يلاحظ الناس كيف يتجاوزهم نظائر و اسلاف الليبراليين الجدد تاريخيا و يفعل الاخيرون المثل تقصدا عقلانيا.

و ازعم ان معظم اهم الاحداث التى حلت بالمنطقة العربية و الاسلامية كغيرها-بل و اهم الاحداث التى مرت بأوربا الغربية نفسها-قد بقيت و قد عمش عليها لحساب أقليات غير معرفة و جماعات مصالح Special Interest Groups مخاتلة. فقد أوقفت الاخيرات نفسها فوق و علت مصالحها خصما على غيرها مما أنتج بالضرورة سردية Narrative اسقطت منها السردية الشعبية-البديلة-على نحو شبه كامل و ما تبرح. و يعد التضليل المثابر المتصل على السردية الشعبية و تجاوز انجازات و انتصارات و تطلعات الشعوب-الحركات الشعبية-و يهيئ التضليل الشعوب للسيرورة لتنويعات من الهزيمة وصولا الى ما يشارف العبودية ما تبرح يتمثل تباعا فى تحول الشعوب-دافع الضريبة صغار حملة الاسهم الفلاحين الخ الى :

- اضاح بشرية فى محاريب المراكمة مثلما ابان ازمة انهيارمصارف الائتمان فى الولايات المتحدة ما بين صيف 2007 الى خريف 2008 و تباعا و ما عداها بالتماس و الارتهان. ذلك ان الحكومة تقرض المصارف المالية والتجارية الهالكة من مال دافع الضريبة لتقوم من وهدتها لتعود فتعير الفرد ماله بفائدة تحددها تلك المصارف مثلما يفعل مصرف نورثارن روك الذى ذكرناه فى مكان اخر-و قد افلس فى خريف 2007. وليس ذلك سوى تنويع على ما كان الاقطاعى يفعله اذ يستولى على المحاصيل التى ينتجها الاقنان ليعود فيبيعها لهم بسعر يحدده هو. و يرتفع سعر تلك السلع فى اوقات الشدة.

-اقنان او عبيد سواء بالالوان الطبيعية او باسمال بالية او رهناء للديون الفردية لدى مصارف و شركات الائتمان كما كانوا دائما قد ارتهنوا بالمديونية الريفية-الشيل عندنا فى السودان مثلا-منذ يوسف وموسى و تنويعاتهم على مر الزمان.

5-التعريفات الاجرائية و ضرورية ايقاف البحث على قدميه:

من اهم ما يسعى اليه البحث تقصى بعض التعريفات الاجرائية التى تقف وراء التعريفات المطلقة لتلفيق التحولات الاجتماعية الاقتصادية والتاريخ قاطبة. ذلك ان مفردات خطاب جماعات بقيت

متسارزة و مشبوهة على مر السنين ترفض التعريف و تؤبلس محاولة البديل و تتهم كل من يحاول البديل بالكفر بحق الرأسمالية المالية–و بخاصة الربوية الفائقة فتثابر على مصادرة ما عداها.

6–و ترتيبا على ما تقدم تبقى فرضية هذا البحث بسيطة للغاية وهى:

–ان العالم تحكمه و كانت قد بقيت تحكمه اقلية اوليجاركية منذ سقوط الامبراطورية الرومانية على الاقل ان لم يكن منذ المجتمعات الكلاسيكية كاليونان و باستثناء قرطاح.

–ان تلك الاقلية تؤمن بان القوة هى للاثرياء. و ان القوة بدورها تقيض خلق شرط المراكمة المالية على الخصوص و احتكار تجارة و اكتناز المعادن النفسية من الماس و الذهب و الفضة و البلاتين و السلع الاستراتيجية كالنفظ و السعى الى احتكار الماء.

–يحتاج ذلك السيناريو دائما الى عدو خارجى و–أو داخلى. و تؤلف الطبقات العاملة و الشعوب قاطبة فى كل مكان تؤلف ذلك العدو دائما.

–غالبا ما يختلق عدو اخر كالاسلام منذ الصلبيات ثم البابوية لحساب التنوير و المبدأ الانسانوى و البروتستانتية لحساب الرأسمالية المالية الربوية الغربية. و كانت اسبانيا الكاثوليكية قد باتت عدو اوربا الغربيةو بخاصة انجلترا الاليزابيثية و الكنيسة الكاثوليكية من بعد لوقت طويل. و لم يلبث الاسلام و الثقافية الاندلسية و اللغة العربيةان باتت العدو الازلى مجددا. و بعد سقوط الاندلس و تفتيته ثم القضاء على الخلافة العثمانية و تحويرها الى صورة مشوهة على نفسها فى شكل تركيا كمال اتاتورك باتت النازية عدو الغرب و لم تنفك الاشتراكية ممثلة فى الاتحاد السوفيتى–و قد اطلق عليها جمهورية الشيطان ان باتت الغريم[79]. و هكذا باتت كافة تلك التنويعات تباعا الخصم الخارجى لاعراب الشتات و حلفائهم و الغرب و الرأسمالية. و بعد سقوط الاشتراكية بصورة دائمة أو مؤقتة حسبما تري(ن) كان لزاما اختلاق عدو جديد فاصطنعت حادثة ضرب برجى التجارة العالمية و نشأت ظاهرة ترويع الناس بمغبة الارهاب الماثلة. و تختلق الرأسمالية الطالبان و القاعدة حتى ترصد مليارات الدولارات لميزانية الدفاع عن امن الولايات المتحدة و كذا تفعل بريطانيا و غيرها.

–تتحور الحكومات الغربية الى سمسارة نيابة عن الاقليات الاوليجاركية العولمية التى تتحكم فى مقدرات العالم وتوظف الدولة فى خدمة غاياتها

– سخرت تلك لاقليات الساسة سماسرة بدرهم فى مشروعها و قد تحول االاخيرون الى عبيد معتقين و مقاتلين و رهائن بلاطية و محظيات ملكلية.

–و قد اذرت تلك الاقليات بالدولة و جأرت بان اقل دولة هى افضل دولة

– طوعت الاقليات الاوليجاريكيات العولمية المالية الحكومات و الاعلام و الفن و السينما و المسرح والقانون الخ شارطا لبقاء تلك الاقليات و خدامها يتويعاتهم كافة. فقد بات الاخيرون فى خشية من مغبة ارهاب اصحاب الرساميل المالية الماثلة لمن عداهم

ا–تثير نشرات الاخبار والاعلام كافة يوميا و بصورة او اخرى اهمية رأس المال المالى فى خلق الثروة و العمالة حتى لا ينسى الناس ما يتهددهم–رغم و بسبب ما يتهددهم حقيقة من غلواء الرأسمالية المالية.

–انه كيما يعمش ذلك السيناريو تسوق تلك الاقلية غيرها من مفكرين و اكاديميين و مثقفين و صحفيين و فنانين الخ للتعين على مفصلة خطاب و تزويق اجندة بمفردات القة تقول ما لا تعنى.

–يمأسس ذلك الخطاب بمفرداته الالقة و تلك الاجندة فوق مدلسات من الابداع و التخاتل حيث غالبا ما ينطلى ذلك الخطاب على الاغلبيات المنتجة للفائض و التى تعيد انتاج المجتمع و معظم المفكرين والمثقفين فى كل مكان.

–ان ذلك الخطاب و اجندته يوظفان كل من الالحاح على الذهن و الخاطر و يقصيان و يحرمان اى بديل مرة و يروعان كل من يتجاسر على محاولة خلق بديل وصولا الى اتهامه بالتجديف بحق ما يسمى الصواب السياسي و النظرية التآمرية والعداء للسامية او–و الارهاب.

–تتضح هيمنة تلك الاقليات الاوليجاركية فى تداعيات انهيار سوق الائتمان العقارى الامريكى و نظائره من المصارف الائتمانية و التجارية المالية ابان ما سمى باكبر ازمة مالية فى تاريخ البشرية منذ صيف 2007 الى 2008 و تباعا.

–و قد تحولت امريكا الاحبولة من اكبر قوة على حل المشكلات الى المشكلة نفسها. فقد وجدت امريكا نفسها تتخلف–فى ايجاد حل لازمة اسواق المال و السندات السامة Toxic Stocks *التى كانت هى قد خلقتها بانهيار سوق الائتمان العقارى الامريكى–عن حكومات اخرى فى ايجاد الحل. فقد بات الحل فى تأميم المصارف بقوة الدولة و مال دافع الضريبة. و قد لجأت المصارف و اسواق المال الى الدولة.*

و كانت المصارف و اسواق المال من وول ستريت Wall Street *الى مدينة لندن المالية* City of London *و قد بقيت تذرى بالدولة. فقد باتت الدولة و كأنها مضيفة لتلك الكيانات التى تقف خارج الاقتصاد و المجتمع و خصما عليه. و ازعم ان كافة مدن المال القديمة و نظيراتها المعاصرة تنويع على يثرب الجزيرة العربية بوصف ان الاخيرة هى يثرب الاولى. و يجعل ذلك روما يثرب الثانية تتلوها البندقية يثرب الثالثة و لندن يثرب الرابعة ونيويورك يثرب الخامسة و انتويرب يثرب السادسة.*

و يلاحظ ذلك فى ذراية نيويورك بووشينجتون و منافسة الاولى الاخيرة على مركز السلطة الافتراضية اكثر منها الحقيقية مثلما كانت المدينة–يثرب تضمر لمكة ذراية لم تنفك بعض طوائف المسلمين ان عبرت عنها فى تدمير رموز المسلمين و شواهدهم الحجرية الا ما خلا الكعبة و الاخيرة سابقة على الاسلام. المهم فورا فرغم ان نيويورك تتعين على تكريس سلطة وضعية او–و دينية, و تتناسب ووشينجتون و حماية اصحاب المصالح و مصالحهم فان نيويورك تدفع بنظائر و تنويعات المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد الى سدة السلطة المدنية و العسكرية بانواعها الى الهيمنة على الفكر و الاعلام و السينما و الفن.

وكانت الاخيرات قد قيضت روافدا تكريس لغة المال و الماليين و المصرفيين و مدن المال و الثروة و النجاح و نماذج الشخصية الناجحة و الاهم محورية خلق الثروة المالية خصما على الثروة الاقتصادية.

7–استعصاء لغة مدينة لندن–يثرب الثالثة–على الفهم تقصدا:

يرى الاقتصاديون الكلاسيكون اى الذين يصدرون عن تكريس المال فى ايد اقل فاقل و المراكمة ببيع المال كسلعة ان مدن المال مثل مدينة لندن City of London وول ستريت Wall Street و نظائرهما هى التى تخلق الثروة. و لا يقولون:

–ثروة من

–و لا كيف تخلق الثورة و خصما على من

–و لماذا تخلق الثروة فى شكل رأس مال مالى اى اقتصاد افتراضي او لا اقتصاد Virtual Economy or non-economy

– لا يذكرون ان تلك الثروة تخصم على الاقتصاد الحقيقى والمنتجين

وتعتبر لندن مدينة المال بوصفها اكبر مدينة فى العالم من نوعها معقل حكماء المال قاطبة. كانت مدينة لندن قد تحولت باكرا الى معبد تحكمه جماعة من الكهنة ممن يتحدث لغة تشارف اللاتنية المالية Financial Latin.

وحيث لا يذكر كهنة معابد المال من الاقتصاديين الكلاسيكيي الجدد و الفيزيوقراط الجدد نيابة عن اصحاب المال أن المال اصبح صناعة تخدم نفسها و كأنها خارج الاقتصاد و ليس خادم الاقتصاد فقد ادخل فى روع الناس ان مدينة المال لا تستقيم بدون حكمة كهنتها. و قياسا فبدون تلك الحكمة ينهار الاقتصاد و معه الحضارة الانسانية قاطبة. فقد كرست لغة المال و ما يسمى اختراعاته التى لا يجيدها سوى ا صحاب المال. و يقول الاقتصاديون الكلاسيكيون الجدد ان من منوايل نمو الفقاعة Bubble و انفقاع تلك الفقاعة تعبير عما يسمى الازدهار و الكساد Boom and Bust وان ذلك من طبع الاقتصاد فلا مفر.

و لا يقولون ان تلك الاعراض تعود الى المراكمة بالمال و ان ذلك ليس سوى تنويع على اصابة الاقتصاد بالسرطان المميت غالبا. و مع ذلك يخرج اصحاب المال و المصرفيون من تلك الازمات الدورية فى كل مرة :

-رابحين

-ينتجون ما يسمى الاختراعات المالية Financial Inventions

وتقيض لهم الاخيرة القدرة على اللف حول اى قوانين قد تضعها الدول تحرزا من مغبة الازمات تلك. و من اهم تلك المخترعات مفردات التخاتل و لغة التحايل على صغار حملة الاسهم و على المدخرين و على اعضاء صناديق التقاعد و اولا و قبل كل شئ تخصم تلك القدرة على كافة منتجي الكفاف و الحياة فى كل مكان. و مع ذلك ينكر الاقتصاديون الكلاسكيون ان تلك الاختراعات هى تعبير عن القدرات التحايلية لرأس المال المالي على اعادة انتاج نفسه و تحايله على القوانين التى غالبا ما يسنها اؤلئك الماليون والمصرفيون انفسهم او-و الساسة المرتهنين بهم. الا ان الماليين والمصرفيين ما ينفكون يجدون نفس القوانين مع مرور الوقت و الاختراعات العبقرية مقيدة وكلما قيض نشوء الوعى الشعبى مجددا على ما يحيق بالاقتصاد الحقيقى فيغيرون من تلك المفردات مجددا.

و فى الوقت الذى يقول فيه الكل ان الرأسمالية تحتضر او على الاقل تعانى مشاكلا غير مسبوقة الا ان الرأسماليين ما ينفكون يروحون ينتعشون و يشكلون جماعة مسيطرة على المصارف مجددا بوصفهم اكثر من غيرهم معرفة بشئون المال و المصارف. و بقي المصرفيون و الماليون و سماسرة صناعة المال و الاقتصاديون الكلاسيكيون- ممن اعرفهم فى مكان اخر- الى ذلك يملكون اللغة اكثر من غيرهم فيتحتكرونها[80] كما يجيدون الاداء. بالمقابل يبقى غيرهم مجرد من كل ملكة لمواجهة الازمة. بل ان الرأسماليين الذين تسببوا فى الازمة راحوا يكيلون اللوم لغيرهم و يدعون انهم هم كانوا غيريين و كرماء حين اقرضوا أؤلئك الذين لم يكونوا يملكون مقابلا لضمان الديون. و الواقع ان الرأسماليين كانوا يدركون:

-انهم يملكون تجزئة الديون الرديئة و بيعها بارباح هائلة لغيرهم

-وانهم و هذا هو الاهم كانوا حريون بالا يتحمولوا مغبة و لا تبعة أو خسارة جراء مغامراتهم المالية او ما يسمونه الاختراعات المالية العبقرية تلك.

الفصل الثاني: يفوح برائحة التأميم يقف و يمشى كالتأميم الا ان احدا لا يجرؤ على النطق باسمه:

يقول بعض المحللين ان "التاميم او سمه ما شئت(ي) ينذر على الاقل فيما ينذر بنهاية الانموذج الامريكى للتنمية ان لم يبشر بحلول شرط نهاية المشروع الامريكى الصهيونى او الليبرالي الجديد. و كانت مثل تلك الاحداث حرية بان تشعل على مر التاريخ غير المكتوب ما بقى يزوق

فى مفردة "المحارق". فقد كانت رساميل الاقليات الاوليجاركية تملك الهروب من كل مكان الى كل فى كل مرة عشية اندلاع الازمة و قد خلق هروب تلك الرساميل ما اعرف فى كتاب الاسلام السياسى و رأس المال الهارب(1992) مفهوم رأس المال الهارب Flight Capital و منه اموال خليجية هائلة و غير مسبوقة و صولا الى الازمة.

ذلك ان التنويعة الرأسمالية ما بعد الصناعية كانت قد تعينت على كل من استقطاب كل الية للسلطة والقوة و هيمنت عليها بصورة غير مسبوقة مرة واحدة فيما يبدو و الى الابد من ناحية. ومن ناحية اخرى لم يعد ثمة سبيل امام احد غير تلك الاقليات عمل شئ بشأن شئ ولو الى حين. و لعل تخاتل التاريخ الغربى على الحقيقة الموضوعية ينقشع مع ثورة المعلومات. والمهم فورا فحيث يذهب المال العام لضمان تلك المصارف خصما على الاقتصاد الحقيقى– صناعة السيارات فى ديترويت مثلا–و على خلق فرص العمل من ثم و على المفقرين فقد قضى على الحلم الامريكى–و لم يكن سوى مشروعا فاشيا–نحبه جراء الازمة المالية التى خلفت ما قدر فى خريف 2009 ب 1.2 مليار نسمة من المفقرين و الجياع فى العالم . و تهدد ازمة انهيار اسواق المال بصورة غير مسبوقة باندلاع السخط الشعبى اى نشوء شرط المحرقة كما فى كل مرة. فقد خصمت خسائر المصارف المالية عالميا على الشعب الامريكى و غيره من الشعوب فى كل مكان.

ذلك ان امريكا لم يعد لديها بعد ما سمى باكبر ازمة فى تاريخ البشرية ما ترشو به الشعب الامريكى كما فعل روزفيلت فى 1929 بل العكس فانها تلجأ الى الشعب الامريكي كى يضمن المصارف الهالكة و شراء ما يسمى بالديون الاسهم و السندات السامة Toxic Shares & Toxic Stocksتسويغا لفكرة ان الشعب يمتلك اسهما فى تلك الثروات الوهمية مثلما فعلت بريطانيا و غيرهما مع دول بكاملها مثل الدول النفطية الخليجية. و كانت الديون السامة نتيجة توفير الدين لمن ليس لديهم مكافئ يضمن دفع الدين الا ما خلا عقارهم مثلا. و لما كانت الاخيرة قد ارتفعت اسعارها بصورة فلكية متقصدة فقد راح اصحاب العقار يستدينون بضمانة عقاراتهم مما كان يصدر عن مفهوم الدين الذى لا يقابله مكافئ يوازى قيمة الدين اى ما يسمى بالانجليزية Sub-prime . و الاخير فى الواقع الموضوعى تزويق لما هو عبارة عما هو اقل من ضمان الدين. و قد رفعت تلك الصفقات:

– نسبة القدرة على الاستهلاك بين المواطنين

–و رفعت اسعار الاسهم و السندات فى سوق المال الى اسعار خيالية بدورها

–مما خلق ما يسمى بفقاعة العقار.

و لما انهارت اسواق الائتمان العقارى انفجرت الفقاعة كما فى كل مرة. و كان مفهوم الدين لمن ليس لديه ضامن او مكافئ او مواز Collateral مقابل لدينه Sub-prime lending و عندما نشأ المفهوم

لاول مرة فى 1967 كان مفهوما محترما. ومع نهاية رئاسة جورج بوش الاب فى ثمانينات القرن العشرين اكتسب المفهوم سمعة سيئة.

المهم يلاحظ الناس فى كل مكان كيف ان السخط الشعبى يندلع فى كل مرة تنفجر فيها الفقاعة من فقاعة الدوت كوم الى فقاعة اغراق السوق بالعملات وصولا الى فقاعة العقار. و تستدعى امريكا و غيرها مغبة ذلك السخط. و كان السخط الشعبى قد اندلع غب الازمة الاقتصادية الكبرى فى ثلاثينات القرن العشرين. و قد جاء روزفيلت بالصفقة الجديدة New Deal استباقا للسخط الشعبى برشوة الشعب باعادة انتاج و تأميم بعض وسائل الانتاج و المصانع. على انه اذا كان روزفلت قد جاء بالصفقة الجديدة عندما اندلع السخط الشعبى غب الازمة الاقتصادية الكبرى فى ثلاثينات القرن العشرين استباقا للسخط الشعبى الا ان امريكا لم يعد لديها ما ترشو به الشعب الامريكى بل العكس.

فامريكا تلجأ الى الشعب الامريكي كى يضمن المصارف الهالكة و شراء ما يسمى بالاسهم و السندات السامة. وقياسا تستبق امريكا اندلاع السخط الشعبى غب انفحار فقاعة سوق العقار بصورة غير مسبوقة بتدابير بوليسية. فامريكا لا تستبق اندلاع السخط الشعبى بالرشوة و انما راحت بالمقابل تدرب الجنود على مواجهة انتفاضات محلية محتملة. ذلك انها تدرك ان السخط الشعبى فى هذه المرة ليس وحسب جراء الازمة وحدها. فقد اتسعت الهوة بين الاثرياء الذين يزدادون ثراء من وراء احبولة ان ثروات الاخيرين حرية بان تخلق الرخاء و العمالة و بين المفقرين اللذن يزادون فقرا. ففى امريكا احياء و مدن وقرى تشارف العالم الثالث و يقف المفقرون صفوفا تصل اكثر من ميلين للحصول على طعام صدقة امام ما يسمى مطابخ الحساء Soup Kitchens[81].

نهاية نموذج التنمية الامريكى:

رغم ان معظم الدول الغربية باتت تملك–غب ازمة اسواق الائتمان–بمال دافع الضريبة ما يشارف 60% من اسهم و سندات و ارصدة اهم و اكبر المصارف الا ان ما يشبه و يفوح برائحة التأميم و يبدو تاميما بقى غير مذكور. ذلك ان احد لا يجرؤ على النطق باسمه بوصفه كذلك او كمثول لموت النموذج الامريكى للتنمية The American Model of Development تلك المفردة المشبوهة–ناهيك عن ان يعرفه كتنويع على الاشتراكية. فليس واردا تسمية هذا الشئ المخيف–التأميم–باسمه حتى لا يقيض ان يملك الشعب–ذلك المفهوم المؤبلس بدوره–ان يملك الشعب بماله كدافع ضريبة و صاحب المال العام تلك المصارف المالية التى قد تندرج تحت تصنيف وسائل الانتاج او اللا انتاج سمها ما شئت(ي).

فليس واردا تسمية هذا الشئ المخيف–التأميم–باسمه حتى لا يقيض ان يملك الشعب–ذلك المفهوم المؤبلس بدوره–ان يملك الشعب بماله كدافع ضريبة و صاحب المال العام تلك المصارف المالية التى قد تندرج تحت تصنيف وسائل الانتاج او اللا انتاج سمها ما شئت(ي).

و تزوق امريكا تأميم المصارف السامة–كما باتت تعرف فى ادب الازمة الاخيرة غير المسبوقة–غب انهيار المصارف المالية و التجارية و تزوق بريطانيا التاميم على انه محض اعادة رسملة المصارف Re-capitalization كون التأميم تجديف بحق الرأسمالية. و الوقع ان تلك التسمية وراءها ما ورءها. فان لم يطلق على التأميم اسمه الحقيقى فان ذلك يجعل اعادة رسملة او خصخصة المؤسسات المؤممة يسيرا. و قد رغبت الحكومات الغربية بريطانيا و امريكا مثلا عن تسيمة التأميم باسمه لانهكاكانتا معنيتان باعدة المصارف الى ماكاهنت عليه اى خصخصتها بصورة متسرعة و فطيرة و كأنها تعيد الوضع الى ما كان عليه قبل الازمة اى ما أن يسترخى السوق وتذهب الازمة مثلما يلمح اليه تباعا منذ اواخر يونيو 2009 بالنسبة لمصرف ثورثارن روك Northern Rock الذى كان اول مصرف هلك. وتزوق الرأسمالية ما بعد الصناعية او المالية الماثلة بمغبة الازمة بمفردات جديدة او مجددة–معناها الاقتراضى المحافظاتيه Conservativism و يطلق على الاقتصاد بالمال عن طريق طباعة الاوراق النقدية–بلا رصيد–انعاشا للاقتصاد تكاذبا–التيسير الكمى Quantitive Easing الخ من اجل خلق السيولة فى اسواق تكاد تجف الخ بدلا من رفع الضرائب مما تفعله الصين مثلا تحت نفس الظروف.

و قد ضمنت الحكومة الامريكية المصارف الهالكة ب 700 مليار دولار و ضمنت بريطانيا مصارفها الهالكة ب 400 مليار استرلينى و ابتاعت اسهم فروع المصارف الامريكية الهالكة ببريطانيا مثل نورثارن روك Northern Rock. و خفضت البنوك الاوربية المركزية كافة–مزعنة–سعر الفائدة بنسب متفاوتة انقاذا لاقتصاد العالم بجاه الرأسمالية الهالكة. و قد طلع غردون براون رئيس وزراء بريطانيا على الناس الاربعاء 8 سبتمبر 2008 معلنا ان المصارف هامة بصورة حيوية لحياة الناس.

و يكرس مثل ذلك القول الاعتقاد فى ان الاقتصاد و اللا اقتصاد صنوان او متلازمان و ان لا سبيل الى حياة اقتصادية بل لا سبيل الى استمرارا ما يسمى بالحضارة الغربية بدون الرساميل المالية التى تخترق الاقتصاد بالربا او الفائدة او سمه ما شئت. و لا يذكر احد ان حضارات الصين و الهند و في فارس و وادى النيل و قرطاج وصولا الى الحضارات العربية الاسلامية المشرقية و المغربية حتى الاندلس كانت تزاول التجارة و تتبادل و تخلق مجتمعات عامرة بالحركة الاقتصادية و الثقافية بدون المصارف المالية الربوية غالبا حتى اخترقها الاخير فاودى ذلك الاختراق بها تباعا مما اناقشه فى الجزء الاول من بحث بعنوان من بابل الى الاندلس.

و من المفيد تذكر ان اعتماد الاقتصاد الغربى و ملحقاته المزعنة بالطبع على الخدمات المالية لم يعد يقلق الدولة بل ان الحكومة تعلن اعتمادها على الدين العام و هى تبتسم. و كانت غواية الناس العاديين طويلا بالمديونية الفردية مثلما كان الحال مع المديونية الريفية على مر التاريخ قد خلقت شرط قبول

المصارف و اصحاب المال من ورائها بوصف انها قدر محتوم. و قياسا بات شراء الاسهم–السامة– بالمال العام انقاذا للاقتصاد حريا بان يعود على عامة الناس بالمنفعة. فقد كان اصحاب المال–و قد راحوا يديرون الاقتصاد الامريكى و البريطانى كما يدار كازينو–يجأرون بان المغامرة من الصالح العام Taking risks is for the public good. و لا يكفى دفاع الحكومات عن رأس المال المالى بل:

– تشعل الحكومات الحروب من اجل تكريس شرط مراكمة الرأسمالية المالية فى كل مكان بلا حواجز او حدود.

–و تبرز فتنتشر ظواهر لم تكن معروفة او كانت خافية مخفية منذ سقوط الامبراطورية الرومانية كظاهرة الجيوش المخصخصة مثل بلاك ووترز Black Water وساند لاين Sandline و غيرهما.

فقد قيض المرتزقة سواء مدنيين كالمحافظين الجدد و الليبراليين الجدد و العقلانيين الجدد او العسكريين مثل الجواسيس الجدد من متنفذى الاستخبارات المركزية الامريكية CIA و المكتب الفيدرالى الامريكىFBI و الاستخبارات البريطانية المحلية MI5 و الدولية MI6 و الكى جى بى KGB السابقين بعد سقوط حائط برلين و نهاية الحرب الباردة افتراضيا.

هل تؤدى الليبرالية الجديدة الى الماركسية؟

يقول المحافظون الجدد انهم تروسيكيين و انهم هم اليسار الذى ينبغى التطلع اليه لاجاث الثورة التى اخفق اليسار التقلديى فى اتياتها. فهم اللذين تعينوا على خلق شرط الثورة– و لا يقولون اى ثورة وهى ثورة مضادة بالتاز. و ان ثورة المحافظين الجدد خليقة بتثوير علمة يالتطور مرة واحدة الى الابد. و يسرق المحافظون الجدد و ينتحل زراريهم الليبراليون الجدد المفردات اليسارية الثورية الالقة و قد اختطفوا خطاب ليسار ن الفكر الاشتراكي بل الماركسية بغاية احراقها جميعا مرة. و مرة اخرى حتى يتسنى لهم استقطاب الناس حتى اكثرهم ذكاء فى خطابهم الذى يستحيل ان يختلف معهم فيه احد. على انه من المقيد تذكر انه رغم ذكاء و احائبيل خطاب و مفردات المحافظين الجدد الا ان الناس باتت اذكي بكثير و اكثر احاطة بالاحابيل اللامتناهية الى تلح عليهم بها ادواة الاتصال التى يحتكر معظمها محافظون جدد و صهاينة بامتياز.

هذا فحيث تسببت اجندة المحافظين الجدد فى خلق شرط ازمات عبرت عن نفسها في انهيارات كبرى كادت–لولا تدخل الدول–تحل شرط انتفاضات كبرى بدورها. و لعل الازمات التى يتعين على خلق شرط نشوئها من اسميهم الخوارج او المعتزلة السياسين الجدد حرية بان تحقق شرط قيام الاشتراكية رغم ان الرأسمالية المالية كانت قد تعينت منذ 1980 وتباعا على كسر ظهر الحركات المطلبية فى الدول الغنية قاطبة بترحيل العمالة من الاخيرة الى الدول النامية و المفقرة وراء تخفيض تكلفة الانتاج خصما على اجور العمال و تنظيماتهم النقابية, و كانت مغبة الرأسمالية المالية العولمية قد تمثلت فى البرازيل فى ثمانينات القرن العشرين و فى جنوب شرقى

اسيا فى تسعينات القرن العشرن فى الارجنتين مع مطلع الالفية الثالثة و فى كافة العالم فى العقد الاول من الالفية الثالثة فى التعبير عن ازمة حقيقة و متلاحقة منقطعة النظير.
و كانت ازمة الثلاثينات نذير بالتطويح اما الى اليسار كما فى استكندنافيا أو الى اليمين كما فى امريكا–مع فترة وجيزة من تنويع على ما قد يشارف اعادة التوزيع باقتسام فتاة الثروة بالاحرى فى صفقة روزفيلت الجديدة The New Deal. و قياسا يلاحظ بعض المحللين ان كتاب ماركس "راس المال" بات الاكثر مبيعا فى المانيا و حتى فى امريكا و ان الناس يعودون الى نبؤة ماركس فى ان الرأسمالية لا بد ان تمر بسلسة من الازمات تنتهى احداها حتما بالرأسمالية الى حتفها.
ذلك ان ثيولوجية حرية السوق و حرية الاقتصاد و تقليص الدولة الى وكيل من الدرجة الثالثة نيابة عن رأس المال المالى على الخصوص كان حرية بان توقع الرأسمالية فى ازمة قد تبقى طويلا.

فقد صعد ما اسميه الاقتصاد افتراضى Virtual Economy او ذلك الذى لا ينتج شيئا او اللا اقتصاد بالاحرى خصما على الاقتصاد الحقيقىReal Economy . و قد تقلص الاخير و سرحت اعداد متزايدة من العمال الصناعيين المهرة و ذوى الياقات البيضاء جميعا و انخفض الانتاج السلعى تباعا. و لم تلبث الدولة ان غدت الدائن الاول–فيما يرتفع الدين العام وتصبح الدولة مدينة للاوليجاركيات المالية فى دائرة جهنمية مفرغة. و لا معدى من ان تغدو الدولة المخدم الاول مما يعود فى دورة كاملة الى تكريس القطاع العام خصما على القطاع الخاص جراء هروب المال من كل مكان الى كل مكان وراء اقتصاد افتراضى.
و يترتب على تلك الدورة ما يشارف التأميم و الاشتراكية عبر فترة شديدة الاضطراب. و كانت الدولة قد باتت ضامنا لسوق عمل موات لاصحاب العمل و لصالح رأس المال–و قد حول الاخيرون الاقتصاد الى اقتصاد يتمأسس فوق الائتمان و الدين حتى لم يبق لدى احد سوى أصحاب المال والاثرياء و غيرهم من بعض اعضاء الطبقات المسماة متوسطة او وسيطة–فلسا و عقارا. وقياسا فليس غريبا ان يقول احد الامريكان ممن يعيشون فى بريطانيا ان امريكا قد اخذت تدرب الجنود على مواجهة انتفاضات محلية. و يقول انه فيما يتصل بسياسة امريكا الخارجية فان امريكا تحتاج للمال لضمان الحلفاء و رشوة الخصوم من اجل تمرير سياستها الخارجية. و اقلو انه قد يكون قد بقى لديها ما ترشو به احدا سوى معسول كلام باراك اوباما و استسامته الاخاذة.
واجادل ان ذلك قد لا يزيد على تنويع على عشية سقوط الامبراطوريات منذ البابلية و الفارسية و الرومانية الخ. فالامبراطورية الامريكية ما تنفك تتفجر فى نفسها و غالبا ما تتداعى من الداخل قبل ان يدوى انهيارها بصورة معلنة على الملأ.

-فكيف يبدو ان تلك الاقليات الاورليجاركية نجحت فى استعباد تلك الشعوب مجددا وبصورة شبه معلنة؟

-كيف اجبرت الرأسمالية المالية الشعوب-منتج الفائض و دافع الضريبة-على ضمان المصارف المالية-بدون فائدة-ليعود اصحاب الرساميل الهاربة فيعيرون دافع الضريبة والدولة المال مجددا بسعر فائدة فائق مرة اخرى؟

-كيف ارتهن كل من منتج الفائض و دافع الضريبة و الدولة بالاستدانة منذ بدئ التاريخ؟

-كيف تذرى الرأسمالية ما بعد الصناعية-الرأسمالية المالية بالشعوب ثم تعود فتلوذ بها مثلما يفعل حكام العوالم السفلية بالشعوب ثم يعودون-ما ان يحيق بهم امر- فليذون بالشعوب فيستأجرونها فى مواكب و مسيرات تهتف لهم امام كاميرات الاعلام؟

-و هل شعوب المجتمعات التى تستصيف تلك الاقليات الاوليجاركية و رساميلها-رغم الذراية و الافقار المنظم-حرية بفعل شئ؟

حمولة اللغة الملغمة:فى البدئ كان الشرح على المتون لازما :

يتعين هذا البحث على افتراض ان العرب و المسلمين يواجهون مع هيمنة العولمة-الرأسمالية ما بعد الصناعية المالية و لغتها و ثقافتها جميعا ما واجهه اليهود فى القرن الثامن عشر حين خرج معظمهم من الغيتو او-و هاجر من اوربا الشرقية الى الغربية ليجد ان اللغات الاوربية محملة بالتحذب الضمنى ضده و التحامل عليه. و لعل تزويق اللغة التى تتهم و تصم اليهود كان حريا بان يمهد لما يسمى بالحل الاخير Final Solution.-ومعناها ابادة اليهود فى قاموس المسيحية الصهونية. و قياسا يواجه العرب و المسلمون عمليات مشابهة جراء تزويق اللغة الانجليزية الامريكية على الخصوص بالكلام و فى وصف و تحليل قضاياهم و فى مواجهتهم و ضدهم و التحامل عليهم و فى تمرير الافكار و الاراء الكارهه للعرب و المسلمين. ذلك ان للافكار و اللغة و مفرداتها دور فى صناعة سياسة ما و تمريرها. فان ضرب حصار فكري عام على الناس بشأن كينونة المسلمين و العرب مستهدفين لغواية العنف لا يستحقون سوى العنف جزاءا فان الناس حرية بان تعتاد على ما يجرى متصورين انه طبيعى. فمثل ذلك المشروع حري بان درج فى خانة السردية المضادة او سردية الخصم. و قياسا فحيث بات تجريم المسلمين و الاسلام شبه ماثل بالنسبة للمسلمين فقد راح اوباما ينفى تهمة انصار جون ماكين-المرشح الجمهوري لرئاسة الجمهورية فى انتخابات نوفمبر 2008- انه مسلم كون الاسلام جريمة.

و كانت فكرة ان اليهود و الغجر و المثليين ليسوا بشرا و ان السوفيت برابرة فهم اقوام بسبيل تدمير الحضارة الاوربية و الالمانية على الخصوص حرية بان تسهل قتل عامة اليهود-

وتذكر(ي) ان غالبية اليهود اللذين راحو ضحية كافة المحارق السابقة-فليست المحرقة النازية هى الوحيدة-كانوا من عامة اليهود-و الغجر. و كانت نفس اللغة تسوغ الحرب ضد السوفيت

منذ ما بين الحربين رغم تحالف ستالين و الغرب ضد النازية. و كان الشباب و الطلاب الالمان يعرضون لدفعات عالية من التلقين و غسل الامخاخ مثلما يعرض الناس اليوم لدفعات عالية من التلقين ضد الاسلام و المسلمين. و حيث كان الالمان يضعون معسكرات الاعتقال بعيدا خارج المدن فلا تتصل الاخيرة بهم سوى بشبكة من السكك الحديدية فان الامريكان يجعلون معسكرات التعذيب خارج امريكا سواء فى جانتانامو– خارج كوبا–و خارج اى مكان يخضع للقانون الدولى او–و فى بلاد تقبل استجواب المتهمين بالارهاب فى سجونها.

وكان اهم كتاب اليهود و فلاسفتهم مثل كافكا و بروست وفرويد و من بعدهما جورج شتاينر فوكود و دريدا و قد لاحظوا حمولة اللغة بالتحذب ضد اليهود. و كان اعراب الشتات و احبارهم و اقماطهم و اهم ساستهم امثال هيرتزيل و بن جوريون و اشر ها عام منبها على حمولة اللغة و المفردات. و بالمقابل ليس للعرب والمسلمين كتاب كبار يتعرفون على و يكشفون ذلك التزويق.

و كان سارتر يقول باكرا بالنسبة للافريقى فى المستعمرات البرتغالية و الفرنسية و الانجليزية إن سياسة التعليم تفرض على الإفريقي التخلي عن لغته، وهي إذ تفعل، لا تقضي على شخصيته ومقوماته وحسب، وإنما تنهكه أيضا بتمثل معاني هي حسب تركيبه الذهني غريبة ولا تحتمل ما يعنيه بالدقة الكافية، وهي ترغمه في ذلك على التفكير بلغة هي ليست لغته. و لغة الأوروبي تظل بسبب او الاحرى لكونها الأداة الوحيدة للتعبير لدى الإفريقي، تظل لغة المستعمر مجرد وسيلة تقريبية بعيدة بدرجة من الدرجات عن المعنى الدقيق المراد التعبير عنه. وهو–أي الإفريقي–بسبب ذلك في حالة صراع دائم مع وضعية وعرة "ذلك أن الصفات النوعية لمجتمع من المجتمعات–كما يقول سارتر في مقدمة أورفيوس الأسود لتنطبق بالضبط على تراكيب غير قابلة للترجمة للغة التي يتكلم بها". أن السود بسبب هذه الوضعية "يجدون أنفسهم كعلماء القرن السادس عشر يتفاهمون باللاتينية"، ويكتشفون أنهم في أرض "مليئة بالفخاخ" التي نصبها لهم الرجل الأبيض. و يقول فرانز فانون ان المستعمر أعد نفسه ليكون وسيطاً إلى الأبد فهو حاضر هناك حتى في أكثر الاجتماعات سرية للتآمر عليه. ف"الأسود مضطر لاستعمال الكلمات التي فرضها المستعمر في وصفه. فلغة المستعمر هي اللغة الوحيدة التي يملك الافريقى ولا شيء غيرها، وهو إذ يفعل يتهم نفسه، و اقول ان العربى او الافريقى يشير إلى نفسه "بالملون وبالأسود" قبل أن يجد فرصة لتعديل الأوصاف بزمن طويل ناهيك عن التعين على ابداع يخصه.

و قياسا يتعاطى بعض العرب و المسلمين التزويق و ينكب معظمهم على اعادة انتاجه فى رياضة اكاديمية بترجمته حرفيا و قاموسيا خارج السياق و فى عتمة التربص بهم و اتهامهم و تعقبهم فكريا و تنظيميا الى لغاتهم دون تحفظ او تردد, و لعل بعضهم غير واع على مغبة تلك اللغة و الاحتمال الكبير لتعالقها بعمليات قد تتصل فى نفس طويل بحل نهائى Final

Solution–ومعناها نفس الحل النهائي الذى يقال ان النازي حاولة فى ابادة اليهود–بالنسبة للعرب على الاقل ان لم يكن للمسلمين فى كل مكان. و لا يخفى ما تنويه الرأسمالية المالية اذ يتواتر غسل الامخاح و حتى القول التنبؤى فى اشكال مختلفة من المزاح و الكاريكاتير و الكوميديا[82].

يثابر الغرب منذ اكثر من 500 عام على الالحاح على خطر الاعداد الزائدة و على ما يسميه حمولة الارض. و تجأر اسرائيل علنا بالخشية مما تسميه القنبلة الديمغرافية. و فى سياق السيناريو اعلاه فقد بث فيديو على يوتيوب youTube فى الاسبوع الثانى من اغسطس 2009 مبالغات درامية حول اعداد المسلمين فى اوربا. و تشير وكالات الانباء الا ان الفيديو شوهد خلال الاسبوع الاول من نشره 10 مليون مرة. و يقول الفيديو المذكور ان المسلمين حسب قول مسئول المانى سوف يغلبون الاوربيين حيث ستكون غالبية سكان اوربا من المسلمين خلال عقود قليلة. و تقول احصاءات تصاحبها موسيقى درامية تنذر بالسر حسب الفيديو ان العائلة الفرنسة تنجب 1.8 طفلا فى المتوسط و ان المرأة المسلمة تنجب 8.1 طفلا فى المتوسط. و يقول الفيديو ان نصف المواليد المسلمين الجدد سيصير خلال ال 15 عاما المقبلة نصف سكان اوربا. و مع ذلك فان الدول التى ترسل اكبر عدد من المهاجرين الى فرنسا مثلا وهى الجزائر والمغرب يبلغ معدل الخصوبة فيها 2.38 وفقا لاحصائيات الامم المتحدة لعام 2008. الا ان الاحصاءات او مقاطع الواردة فى الفيديو لا تذكر مصدر معلوماتها تقصدا فى اثارة الرعب بين الاوربيين من خطر الوجود المسلم. و يعنى مثل ذلك التطير تكريس فكرة التمهيد للتخلص من الاعداد الزائدة عن الحاحة ممن جعل الاعلام من اهم مهامه الا تكون لها وجوه. فهى اما اعداد بلا وجوه او–و ارقام غير محسوبة. و يقول قائد القوات فى البريطانية فى افغانستان صباح الاحد 16 اغسطس "انه رغم خسائرنا فان خسائر العدو لا تقل عن 100 عن كل واحد منا". و يجأر غردون براون رئيس الوزراء البريطاني الاحد 16 اغسطس و قد فاق عدد قتلى بريطانيا من الجنود مع اجتياح جنوب هيلماند "ان تضحيات جنودنا الجيلة هى مقابل جعل بريطانيا امنة و العالم امن". فقد يصرحون بشئ من الحقيقة انما اما فى الساعات غير المباركة او–و فى سياق مغشوس, و بالطبع و فى جميع الاحوال لا تحسب خسائرنا نحن. لا تحسب الخسائر بين المدنيين الافغان بين اعداد ذلك العدو–اى الطالبان او القاعدة. وبالمقابل فيما يتهم اصحاب الارض و الثروات و الحضارات بالارهاب لانهم يدافعون عن ارضهم و عن حضارتهم و عن ثرواتهم و عن سلطتهم عليها لا تحارب قوات الارهاب المقنن سوى من اجل السلطة و الثروة و النفط و الماء الخ.

و يعلن كيسينجر وزير الخارجة الامريكية الاسبق الاسبوع الثالث من اكتوبر 2008 صراحة– رغم ما سرقته امريكا من المال الخليجى علنا–أن ثروات النفط الخليجية هى خطأ فاحش بحق حركة المال الطبيعية–اى من الجنوب الى الشمال. و ان كل ما عدى ذلك شاذ و غير طبيعي و ينبغى وضع حد له[83]. و لا يزيد كيسينجر سوى ان يعيد انتاج الذهنية الغربية و الامريكية على

الخصوص و لكن بدون تزويق يذكر هذه المرة و قد الم به و بغيره سعار ادراك ان الارض لم تعد تكفينا جميعا. فحمولة الارض بالاستهلاك الماثل–و تستهلك امريكا ما يحتاج 3 كراة ارضية–فحمولة الارض لا ينبغى الا تزيد على مليار و نصف. و قياسا فثمة اعداد زائدة ممن لا وجوه لهم ينبغى التخلص منهم بالقضاء على مقدراتهم جميعا.

و يجتمع اثرياء العالم ليشكلوا مستقبل البشرية من حيث السكان فى مايو 2009. فقد اجتمع ديفيد روكفيلور جونيور David Rockefeller Junior و جورج سوسروس George Soros و وارين بافيتWarren Buffit و تيد تيرنرTed Turner و بيل جيتس Bill Gates سرا بجامعة ركفيلور بنيويورك لمناقشة تداعيات الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007. و قد وصل اجتماعهم الى انه ينبغى العمل على شكم سرعة تزايد السكان حول عالم المفقرين و تطوير قطاعات التعليم و الصحة في المجتمعات الغينة[84]. و فد راح ساسة المجتمعات الغنية يجأرون متطيرين من نشوء الصين و الهند و البرازيل و غيرها من العوالم المسماة نامية او ثالثة. و يقول البعض أن اسعار المواد الغذايية ترتفع جراء ظهور طبقات وسيطة فى اسيا تتعين على استهلاك نفس المواد وتجأر انجيلا ميركيل المستشار الالمانى محتجة "انهم باتوا يأكلون وجبتين بدلا من واحدة".

و يقول المدافعون عن استمرار اسلوب حياة الغرب واثرياء العالم ان التغيير المناخي ناتج عن الزيادة فى رعي البقر جراء الزيادة غير المسبوقة فى الاعداد التى باتت ل تأكل اللحم. فالبقر مسئول عن نسبة عالية من الانبعاث الحراري جراء كثرة ضراطه. و لا يذكر هؤلاء ازالة الاشجار و تدمير الغابت المطرية و الاستوائية لاقامة مزارع ابقار لصناعة الماكدونالد بل لانشاء ملاعب جولف و مسابح ومنتجعات لاثرياء العالم خصما على من عداهم.

قراءة التاريخ بصورة مختلفة تعرفا على حمولات الكلام الكثيفة:

يحاول هذا البحث فيما يحاول قراءة التاريخ–كما قلت–بصورة مختلفة و لكنه لا يسرد الاحداث فى تسلسلها التاريخي اى كرونوليجيا, ذلك ان اكثر ما يتعين عليه هو على تعريف مفردات متعالقة منذ اثينا الارسطية عبورا ب "الاكتشافات الجغرافية الكبرى"–و المشروع الصهيونى رربما الصليبيات حتى مشروع القرن الامريكى الجديد و مشروع الشرق الاوسط الكبير و الدمقرطة و تغيير النظام الخ فى تعالق تلك الاحداث و تطور او نكوص الرأسمالية الغربية الى ما يمكن تعريفه بالرأسمالية المالية الفائقة Super Capitalism. وقد باتت تلك المفهومات و غيرها مما اناقشه فى مكان اخر أهم و اخطر اليات المراكمة بالاستحواذ غير المسبوق لمقدرات كافة الشعوب فى المقياس المدرج.

و يحاول البحث التوفر على قاموس–جزئى–لمفاهيم الاستحواذ من اسفل–أى من وجهة نظر المخضعين للاستحواذ المعقلن.

النظر و التحليل من اسفل اجرائيا:

احاول قراءة التاريخ بغاية ايقاف ايقاف يعض الاحداث على قدميها. و لعل ذلك ييسر اعادة تعريف المفهومات و نحت مفردات بديلة اجرئيا Operationally ومفصلة اطر فكرية او ما يسمى البراديجما "من اسفل" اى من وجهة نظر المخضعين لتداعيات التاريخ الغربى–الرأسمالي–الرسمى و لمناهج البحث التى تخص الغرب–الرأسمالية و تدافع عن تكرس مصالحها. و تتطلب قراءة التاريخ او اعادة تعريف المفهومات اجرائيا الخ من اسفل من الباحث التماهى مع موضوع الدراسة علميا مرة و اخلاقيا او– ومعنويا مرة اخرى. ذلك اننى–وقد درست مناهج البحث طوال حياتى الاكاديمية فى عدة بلاد و ببضعة لغاة–ادرك كيف ان البحث فى امور المهزومين و المفقرين والفئات المستلبة والمرأة من قبل المنتصرين وخدامهم من قبل بعض الاكاديميين المغربين والنسووقراط معظمهم من الطبقات الوسيطة و المتوسطة–قد لا يزيد على تحصيل حاصل Foregone Conclusion . فالوضع الطبقى للباحث سواء من العالم الاول او الثالث او الرابع او العصر حجري حري بان يأت بمحصلات قد لا تزيد و لا تقل فى الغالب عما هو "متوقع" Expected او مسبقPre-conceived الخ.

وللنظر من اسفل الى بعدين احدهما علمى او تطبيقى والاخر اخلاقى:

–البعد العلمى او التطبيقى: و تقع الاهمية العلمية للبحث فى انه رغم سفسطة ادواة االبحث الكمية الا ان معظم المادة التى تجمع عن طريق تلك الادواة حرية بان تغدو قليلة او حتى عديمة الفائدة جراء طبيعة البحث التراتبية مما يجعل من العملية كلها مصادرة على مطلوب النتيجة. ذلك ان طبيعة البحث التراتبية تلك من شأنها ان تخلق الشك بين موضوع البحث او المفحوصين كما يسميهم بعض علماء الاجتماع. ذلك ان موضع البحث او الفحوصين يشعرون بانهم يستجوبون اكثر مما يشاركون فى البحث. و يتمثل ذلك الشك اكثر ما يتمثل عندما يجرى البحث على المرأة او على فئات مستضعفة او مفقرة من قبل شرائح اجتماعية عليا.و قد لوحظ ان المادة ا لمجموعة غالبا ما تعبر عن انماط السلوك المتوقعة expected Behaviour اكثر منها انماط السلوط الحقيقية للمفحوصين.

لعل هذه المحاولة قد تملك و لو نسبيا مواجهة قاموس الاستحواذ وصولا الى فضح تزويقاته مرة و احدة و الى الابد. وتتعين على ذلك بنحت و اعادة تعريف مفردات بعنيها و بتعريفات اجرائية. فقد كان قاموس الاستحواذ قد كرس لغة الاستحواذ لوقت طويل و قد هيمن ذلك القاموس على اللغة و الفكر و الخاطر على مر 500 عام على الاقل. و من تدعيات تلك اللغة ما لحق بالفكر و الخاطر جراء احبولة ما يسمى بالنهضة و بالتنوير Enlightenment والفسلفة الانسانية Humanism او المبدأ الانسانوي و بخاصة تعالق النهضة و التنوير بثنائيات لامتناهية جراء ما يسمى بالاكتشافات الجغرافية الكبرى و المشروع الصهيونى. و قد شهدت تلك الاحداث و كثير مما سبقها سفر تكوين معظم المزوقات الماثلة.

و قد جادلت واجادل انه بغير التعرف على و تعريف مفردات قاموس الاستحواذ العقلانى الغربى الرأسمالى العرقى العنصرى للظواهر التى يفرز بعضها فكرا و تنظيميا يستحيل استبصار فادراك مغبة المشاريع التى تطرح علينا منذ "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" و "التنوير" و "المبدأ الانسانوى" وصولا الى مشروع القرن الامريكى–الصهيونى–الجديد ودمقرطة العالم و تشكيله على شاكلة امريكا تكاذبا وصولا الى مشروع الشرق الاوسط الكبير و الاخدود الافريقى العظيم.

و حيث اقترح قراءة هذا البحث بوصفه قاموس مفردات نحتت من اجل قراءة التاريخ بصورة مختلفة فعليه:

– قد يتكرر ذكر بعض الوقائع مرة لان بعض الاحداث قد تستخدم كمادة خام لتحليل واقعة.

–و مرة اخرى قد تستخدم اكثر من واقعة فى سياق يختلف او فى تعالق مع امر اخر.

–و مرة ثالث ربما تعين البحث على وضع حدث او ظاهرة فى سياق بعينه.

–ومرة رابعة قد تتكرر واقعة او تفصيل لاستكمال صورة المفهوم المبتغى تعريفه.

الا اننى حاولت مع ذلك قدر الممكن ان اجعل تلك المفهومات متراتبة بصور منطقية و سردية معا. فالقاموس هنا لا يعنى معجما للكلمات و انما هو صيغة تكوينية او شكل سردى Format و موضوعى معا قصد منه التعرف على و تعريف مفردات الاستحواذ الفكرى و التنظيمى و المادى ومغبته على كتابة تاريخ الانسانية عامة و على كتابة او فلصفة تاريخ العرب و المسلمين و غيرهم من المستحوذ على اقدارهم على الخصوص جميعا. هذا و حيث يعرف البحث المفردات اجرائيا Operational definitions مخلفا التعريفات المجردة و المطلقة جانبا فانه يطمح احيانا الى نحت مفردات بديله تخص مادة البحث.

و قياسا أجادل كما اكون قد ذكرت فى مكان اخر ان ممفصلات قاموس الاستحواذ اللاحق للاكتشافات الجغرافية الكبرى و تباعا كان قد تألف وما يبرح يتألف من فظائع الاستعمار و لغة القوة و السلطة. و بالمقابل كان على ذلك القاموس ان يتحايل على manipulate الحقيقة الموضوعية التى هى حقوق الشعوب باجتزاي الاخيرة بين سياسات فرق تسد و تمزيق القبائل و الجماعات الى تقسيم الحدود فيما يشارف القنابل الزمنية او الموقوتة باحتمالات مايلة لحروب اهلية كان المستعمرون قد وقتوا اندلاعها, وقد قيضت تلك الممارسات و السياسات بشعارات القة مشوقة فى كلمات تعنى كل منها عكس منطوقها. و قياسا على ذلك و من زاوية تناول او وجهة نظر المحكومين اى اغلبيات المنتجين للحياة و الكفاف يبقى الغزاة و الحكام و المستعمرون و الصفوات الاوليجاريكية المالية وحلفائهم فى كل مكان و زمان بحاجة الى لغة تبريرية ذرائعية بالضرورة و عقلانية بالنتيجة. و تعبر كلمات تلك اللغة و استخداماتها عن نفسها فى تنويعات ميثولوجيا السلطة منذ السبع سنين العجاف. و تستبدل الحرب بالحرب على الارهاب وتخريب امة بناء امة Nation Building! و الاستنطاق–بتعريض المتهم بالارهاب بالماء

البارد و الكهرباء– تلطيف الجو او البيئة Adjusting the Environment و هكذا فى دوامة العصف المنظم بمن عدى اصحاب المصالح بتكريس قاموس فوضى الكلمات المدلسة.

و قياسا فليس ثمة سبيبل الى تحليل الواقع الموضوعى و الوصول الى محصلات تقود الى حل مشكلات العالم و مشاكل اغلبيات المنتجين للحياة و الكفاف من الخسائر الموازية للعولمة بسوى تعرية الكلمات من لحمها و شحمها المفهوماتى حتى العظام قبل ان تغدو صالحة للاستخدام بسلامة كافية. لهذا يمكن فهم كيف و لماذا يهتم رجل مثل كاسترو بالكلمة جيداو دائما و يجيد استخدام الكلمة كونه يدرك ان الكلمة سلاح و هو يعرف ذلك جيدا.

الفصل الثالث :عقلانية خصصة الربح و تأميم الخسارة والديون السامة:هل العقلانية الجديدة وظيفة رأسمالية تراكم بالنهب Accumulation by Pillage

1-تزويق خصخصة الربح و تأميم الخسارة:

ازعم قياسا ان الغرب–الرأسمالية كان حريا بان تعيش كذبة كبرى هى التاريخ غير المكتوب والمسكوت عنه للمراكمة المالية و ان كافة الجماعات و الافراد المرتهنة بالرأسمالية يتنويعاتها تتواطأ على السكوت على تلك الكذبة و تطوع كل شئ من اجل ان تمررها صباحا مساء. و عليه فمن المفيد جدا التذكر دائما ان التاريخ المكتوب يرتهن باحداث بعينها و ان تلك الاحداث المزوقة غالبا ما تحتل مكان الحقيقة الكاملة و تخصم عليها. وبالمقابل تغدو الحقيقة ضحية و ثمن تكريس تلك المزوقات مما تستعصى معه كتابة التاريخ الموضوعى و بخاصة تاريخ من عدى الحكام و حلفائهم. و ليس اكثر فضحا لتسارر الاخيرين على الاحداث و كتابة التاريخ لصالحهم خصما على من عداهم من احبولة اسلحة الدمار الشامل زيادة على ما تترى احداثه ابان الازمة المالية التى تتمثل منذ صيف 2007 و تباعا[85].

وازعم ان الاستعمار الكلاسيكي وصولا الى الرأسمالية المالية و مشاريع الاستباق الدفاعى أو"حملة تحرير العراق" أو الدمقرطة او–و مشروع الشرق الأوسط الكبير ليست سوى مفهومات و سيناريوهات حرية بان تتناقض مع نفسها على نحو فاضح. ذلك ان اى منها يجد نفسه فى محنة القول بشئ و فعل نقيضه فى التوسعات الرأسمالية مثلما يفعل غالبا فى المستعمرات الداخلية للمتروبوليتان الخ.

و اجادل ان تلك السيناريوهات لا تقتصر على التوسعات وحدها فثمة تنويعات تتعين عليها الرأسمالية ما بعد الصناعية و بخاصة المالية فى المجتمعات الغنية وبخاصة الانجلو امريكية الانجلو ساكسونية اكثر من غيرها بمغبة تكريس المشروع الصهيونى الجديد او ما يسمى مشروع القرن الامريكى الجديد او ما يزوق احيانا فيما يسمى الاستثنائية الامريكية Exceptionalism . و تعني الاستثنائية وجيزا ان الولايات المتحدة تملك الحق الالهى فى ان تجلب ما تسميه الحرية و الديمقراطية تخاتلا لبقية البشرية قسرا. و تقيض الاستثنائية بهذا الوصف لامريكا ادعاء اعادة تشكيل العالم–ليس على شاكلتها كما تزعم تزويقا للفردات المتخاتلة انما–على الشاكلة التي تقيض المراكمة واقسى الربح خصما على المدخرين و على منتجي الفائض الخ فى كل مكان.

و اجادل ان امريكا استدعت مفهوم الاستثنائوية من عشرتها الطويلة و اعراب الشتات ممن كان قد راح يعيد تشكيل العالم على ما ينسابه خصما على من عداه. واجادل ان الاستثنائوية تشارف مشروع مارشال على الاقل و ربما كانت تنويعا عليه. فقد تعين مشروع مارشال على اعادة تشكيل اوربا بعد الحرب العالمية الثانية وصولا الى ربط و اخضاع اقتصادها بخاصة بريطانيا و تليها فرنسا و المانيا فى درجات المقياس فيما بات يسمى نموذج التنمية الامريكي تباعا. و قد ارتهنت الامبراطوريات الاوربية الغربية–البرجوازية الصناعية–التى صفيت لحساب الامبراطوية الامريكية –الرأسمالية المالية البازغة تباعا–بالبنك الدولى و صندوق النقد ثم بمنظمة التجارة العالمية.

و هكذا جرت الدول الاوربية الغربية و امتدادات امريكا وراء الاخيرة فى عجلة او طاحونة انتاج و اعادة انتاج الرأسمالية المالية. و قد ازدهرت الاخيرة بصورة غير مسبوقة ثم لم تنفك ان راحت تتدعى امام اعيننا تباعا ما بين ثمانينات القرن العشرين الى العقد الاول من الالفية الثالثة. و تعني الاستثنائوية Exceptionalism ان الولايات المتحدة تملك الحق الالهى فى ان تجلب ما تسميه الحرية و الديمقراطية لبقية البشرية قسرا. و لا يعنى ذلك سوى التخاتل على حقيقة ان تلك الشعارات تخفى نظام الهيمنة التى اطلق عليها مارتين لوثر كينج قبل اعتياله بقليل ""اكبر دليل على العنف فى العالم". و يخفى نشر الحرية و الديمقراطية فى العالم فكرة ان التوسع الامريكى مقدر من عند الرب.

و قياسا فقد كان الانجليز قد بسطوا نفوذهم العنيف على العالم بوصف ان ذلك النفوذ و التوسع الذى يفترضونه كان غاية التقدم الطبيعى للجنتلمان المسيحي الذى يحمل عبء مدينة و حضرنة الاهالى"[86]. و يتعين من ثم على فلاسفة القرن الامريكى الجديد ليس و حسب التوفر على وصف اكبر جريمتين فى التاريخ الحديث فيتنام و العراق على نحو يراجع الحقائق و ينقحها to expunge وانما يخرج هاتين الجريمتين الى الناس فى صورة مبرأة من الفجر و العيب. و قياسا فان تلك الخارطة الذهنية و معمار لغتها حرية بان تتجازو الحقيقة اصلا بعدم ذكر الحقيقة اطلافا.

فتاريخ امريكا تارخ بلا ذاكرة كما يقول جون بيلجر عن تايم ماجازين Time Magazine نهاية القرن العشرين. فمثل ذلك التاريخ الذى بلا ذاكرة يحصر امريكان في نوع من الحاضر البدائى. فالامريكان ضعيفو الذاكرة فيما يفعلونه بغيرهم قياسا على قوة ذاكرتهم فيما يتصل بما يفعله غيرهم بهم مثلهم مثل او لعلهم تعملوا من بعض طوائف اليهود. ذلك ان الاعلام و هوليوود و المؤرخون القدامى و الجدد بكرسون انتقائية الذاكرة الامريكية. وكان هنري لوس Henry Luce مؤسس مجلة تايم Time وهو الذى كان قد نحت مفردة القرن الامريكى الجديد فى 1941 قال "ان القرن الامريكى هو انتصار اجتماعى و سياسى و ثقافى على الانسانية بامتلاك الحق فى "ان تفرض على العالم اجمع ثقل الهيمنة الامريكية كاملا من اجل اى غاية نراها مناسبة و باى وسيلة نراها نحن مناسبة ايضا. فخيلاء امريكا المجيدة وقف على الولايات المتحدة".

ورغم ما يبدو من نعومة كلام باراك اوباما و تحايله على ان يحكى سردية مغايرة لسردية المحافظين الجدد الا ان باراك اوباما مثلا تعيت على ما يشير اليه بارى جراي ب"خطة اوباما لنهب امريكا[87]. أي بتسليم امر الاقتصاد الامريكى و العالمي بالتماس لسوق المال و الماليين ممن يعيد انتاج سيناريو نهب الاقتصاد الامريكى بمعرفة الادارة 44 بمستشاريها و محاميها و مجلسي النواب رغم ان الاخيران تتحكم فيهما اغلبية ديمقراطية.

2-سفر تكوين ثقافة مكافئات المصرفيين الفاحشة و الحرائق المالية:

تفترض ثقافة مكأفئات Bonus culture المصرفيين فى عز الازمة ان الربح يعود الى موهبة المصرفيين و ليس لرأس المال الموظف مصرفيا. و قياسا يغدو المال المتصرف فيه من حق المصرفي بوصفه الفاعل الاول فى عملية المراكمة بغض النظر عمن كانت تلك المراكمة لحسابه الا بقدر ما تضمن لحساب المصرفي. فحملة الاسهم و خاصة صغارهم ليسوا هو اصحاب المال رغم انهم هم اصحابه فى الواقع الا بقدر ما يضحى بمودعاتهم و سعر اسهمهم و كذا مال دافع الضريبة لتعويض المصارف الهالكة جراء مغامرات المصرفيين اصحاب المواهب غير المسبوقة فى احلال شرط المحارق المالية خصما على من عداهم هم. فالارباح تعود على المصرفيين و اخسارة من نصبف صغار حملة الاسهم و دافع الضريبة الذان يضمنان المصارف و يجبران على شراء الاسهم السامة.

و تعبر الخسارة عن نفسها فى الكوارث غير الطبيعية أى التى من صنع الانسان و الطبيعية وفى الاوبئة و الفياضانات و التحاريق و التصحر و المجاعات الى جانت هروب رأس المال باشكاله من المجتمعات المضيفة للرأسمالية المالية بتنويعاتها الفطيرة الى ما بعد الصناعية. و كان موسي قد خرج بقومه و معه ذهب المسلمين و خرج ابناء يعقوب بالاسلاب من مدينة حمور و العماليق"[88] على مدينة حبرون-الخليل-و العناقيين و عناب و جبل يهوذا و اورشيم "عبر الاردن غربا و شرقا". و نهب داوود ملك جازر و ملك زبير. و قد وصف "خروج" اعراب الشتات من تلك المدن و الممالك بعد تدميرها او تحريمها بما زوق باكرا ب "المحارق".

هل الازمة المالية تنويع على المحارق المنوالية المسكوت عنها؟

أزعم ان الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007 و تباعا ليست سوى تنويعة مالية ما بعد صناعية على نظائر منوالية عبرت عن نفسها على مر التاريخ المسكوت عنه فيما اعرفه اجرائيا ب"محارق منوالية" فى كل مرة. واجادل ان لعل الازمة المالية الماثلة كانت حرية بان تؤلف شرط محرقة من تلك المحارق المتكاذبة الا ان الدول الغنية و قد ارتهنت بالديون لم تملك سوى ان تضمن اصحاب الاموال الهالكة. فلم تنفك الدولة ان اجبرت على "ضمان" الاعمال الهالكة جراء هجرة المال بعنف-ما اسميه رأس المال الهارب-و اناقشة بعد. و يلاحظ ان اوباما يسمي تلك المحارق باسمها. فقد راح يجأر فى الاسابيع الاخير من يوليو 2009 و يعد مرور 6 اشهر على توليه السلطة معلنا انه "اطفأ الحريق الذى تمثله

الازمة". و قال "كان يجب ان نبدأ باطفاء الحريق" و كرر "اعتقد اننا ابتعدنا عن الهاوية اعتقد اننا اطفانا الحريق".[89]

و يجادل هذا البحث فرضية تترى عبر التاريخ المسكوت عنه خاصة و هى أن اللغة كان عليها ان تفضى الى تبرئة الصفوات الاوليجاريكية بانواعها منذ بدء التاريخ من مغبة وجود الاخيرة – الاوليجاركيات–اصلا فى المجتمعات المضيفة. ذلك ان تلك الصفوات الاوليجاريكية المالية تربح سواء انهار اقتصاد المجتمع المضيف او ربح مؤقتا الامر الذى ينبغى التستر عليه و الا اندلعت الانتفاضات الشعبية كما فى كل مرة على مر التاريخ ما ان ينكشف امر تلك الصفوات النهابة. و يربح الاخير دائما كما تربح بصورة دورية على نحو فاحش يستحيل التستر عليه. فالاقتصاد المضيف ما ينفك ان ينهار اذ يمنى بعد الرخاء الوجيز بما يسمى فى لغة الاقتصاد المالى المعاصرة خاصة ب"الفقاعة" Bubble . وتنفجر الفقاعة مع هروب رساميل الاوليجاريكيات الصفووية تلك فى كل مرة منذ موسى حتى ريتشارد فلود Richard Fluid رئيس مجموعة مصارف الاخوة ليهمان Lehman brothers group–الذى انهار منتصف سبتمبر 2008 و نظائره.

و اجادل ان انفجار كل فقاعة كان يعبر عن نفسه عبر التاريخ فى هروب الرساميل عشية اندلاع الازمة حيث يخرج اعيان اعراب الشتات و حلفائهم بثرواتهم تاركين عامة الشعوب بما فيهم شعوب اعراب الشتات ورائهم يتدبرون او لا يملكون تدبر امرهم. وكانت رساميل الاوليجاركيات الصففوية من اعراب الشتات محصلة حقن الاقتصاد المضيف بالربا مما كان و ما يبرح يخلق شرط تخثر و تشوه الاقتصاد فى كل مكان. و كان نشاط تلك الجماعات لا يزيد على تكريس تنويعة باكرة ما تنفك تعبر عن نفسها فى تنويعات معاصرة من اللا اقتصاد بمعنى ان تلك التنويعة من الرأسمالية الربوية كانت تتم خارجا و وراء و تبقى فائقة على الاقتصاد المضيف–بمعنى انها تغدو رأسمالية فائقة على ما عداها–مما يسهل معه هجرة رساميل اصحابها باكرا فيما اسميه برأس المال الهارب Flight Capitalو حتى قبل هجرتهم هم. و قد عبر رأس المال الهارب عن نفسه فى كافة المجتمعات التى استضافت تلك الجماعات الربوية. و قد تعينت الاخيرة على خلق اوليجاركيات مالية صفووية فى المجتمعات المضيفة على مر التاريخ.

و كان غلواء الصفوات الاوليجاريكية المالية وحلفائها يؤلف وما يبرح يؤلف فضاء هيمنة الاخيرين العقلانية على مقدرات العالم قاطبة= بمالهم المبدون–منذ العالم القديم الى العالم الجديد–كالرأسمالية المالية الفائقة–من كل مكان الى كل مكان. و يتحور Mutates الاقتصاد العالمى بهذا الوصف و اقتصاد كافة المجتمعات بمعنى يتشوه امام اعيننا كل صباح الى لا اقتصاد او ما يمكن تعريفه باللا أقتصاد الذى يغلب عليه المكون المالى Highly financialized على نحو ماثل و بلا فرار خصما على الاقتصاد الحقيقي أو الاقتصاد الذى يقود فيه القطاع الخاص فى افضل الاحوال القطاع العام the private Sector leads and overtakes the public sector و يكاد الاول يقضى على الثاني لحساب اقتصاد افتراضى اى رأس المال المالى[90].

ورغم ان رأس المال المذكور يناصب القطاع العام العداء و يتربص به الدوائر و يؤبلسه بان يحرم على الدولة التدخل فى الاخير لصالح المنتجين و المدخرين الصغار و حتى المستهلكين الا ان تنويعة اللا اقتصاد تلك تبقى على القطاع العام من اجل ان يقوم–دوريا و بصورة موقوتة كما فى كل مرة–بانقاذ القطاع الخاص كلما المت بالاخير ملمة من تلك الملمات الدورية بدورها. و الاحرى يبقى على القطاع العام كيما ينقذ المصارف الهالكة و يشترى الاسهم و السندات الوهمية او ما بات يسمى بالاسهم السامة اى ينقذ رأس المال المالي بحقن الاخير بما يشارف الاشتراكية دون ان يجرؤ احد على النطق باسم الاخيرة. ذلك ان القطاع العام يمتص ازمات القطاع الخاص و بخاصة قطاع المال بتلك المكونات الاشتراكية بامتياز بوصف ان تلك المكونات لا تقل عن تأميم المصارف الهالكة. فكلما اصابت الرأسمالية المالية ازمة هرعت الاخيرة الى الدولة–و قد ارغمت الاخيرة على ضمان رأس المال المالى بمال دافع الضريبة و غصبا عنه و ارغاما–من اجل انقاذ رأس المال المالى.

و تقوم امريكا اكبر و اهم دولة رأسمالية فى التاريخ و اكثرها ثراء بتأميم الديون الرديئة خصما على دافع الضريبة الامريكى و على المدخرين و على ارباب المعاشات و على العاملين و المنتجين جميعا طوال الاسبوع الثالث من سبتمبر 2008. و يقول الشيخ الامريكى تشارلز سومر Charles Summer الجمعة 19 سبتمبر 2008 ان الكونجرس يقوم بانشاء وكالة مثل تلك التى انشات فى 1989 لشراء الاسهم البائرة التى انخفضت اسعارها و ادت الى انهيار المصارف و المؤسسات المالية الامريكية التى تواجه الافلاس او تتعرض للافلاس تباعا.

فقد تعين على دافع الضريبة الامريكى اوالاحرى ارغم على شراء الاسهم المذكورة بغض النظر عن قيمتها الحقيقية او المستقبلية زيادة على ازعان الدولة لشرط توفير السيولة فى الاسواق بالمال العام فى مشروع انقاذ رأس المال المالى الشرس. و يقوم الكونجرس– بشقيه الديمقراطى و الجمهوري و يعمره بالنتيجة شيوخ و نواب موالين للرأسمالية –و تسيطر عليه بالضرورة جماعات اللوبى الرأسمالية–بانقاذ تلك العناصر التى تتسبب فى ذوبان الاقتصاد بصورة دورية. و يخرج مدراء و كبار حملة الاسهم من كل ذلك رابحين مثلما فعل ريتشار فلود Richard Fluid رئيس مجموعة مصارف الاخوة ليهام Lehman Brothers group الذى يملك قصرين و ضيعة فى ثلاث ولايات امريكية و طائرة خاصة وعدد من السيارات الليموزين. و قد تقاضى ريتشارد فلود صبيحة انهيار المصرف المذكور ما قدر بربع مليار دولارو منح ريتشارد فلود Richard Fluid رئيس مجموعة مصارف الاخوة ليهمان–الذى انهارمنتصف سبتمبر 2008 و جر معه انهيارات متسارعة فى كل مكان–منح نفسه ما قدر ب 485 مليون دولار مقابل مدة خدمة 7 سنوات فى ادارة المصرف. وقياسا منح مدير مصرف هبروز Hbros—اوالاخوان هاء–و قد افلس منتصف الاسبوع الثالث من سبتمبر 2008 و كان المدير المذكور يدير ازدا Azda احد اكبر 4 سوبرماركيتات فى بريطانيا–منح نفسه مليونى سهم فى مصرف هبروز Hbros الجديد الذى

تمخض عن وشوك افلاسه دمج الاخير و بنك باركليز الخميس 18 سبتمبر 2008. فاصحاب رأس المال المالى يربحون فى كل الحالات:

-حالة ارتفاع اسعار الاسهم

-و حالة كساد سوق المال حتى الافلاس.

-ومرة ثالثة يبقون هم وحدهم القادرين على شراء الاسهم البائرة فى السوق بانتظا ارتفاع اسعارها مجددا و هكذا فى دورات فيزيقية.

فان انخضت اسعار الاسهم فى الوقت الذى يصيب الناس فيه الزعر من السوق والاملاق لا يبقى من يملك شراء الاسهم سوى الرأسماليين الماليين غالبا مثلما حدث فى روسيا المرسملة و فى الجمهوريات الاشتراكية سابقا مما خلق الاوليجاركيات الروسية الشهيرة[91]. هذا و قد سجلت الاموال-الرأسمالية المالية الفائقة-معدلات هائلة من الدول الاشتراكية كالاتحاد السوفيتى وجورجيا و المجر غب سقوط الاخير وفى غيرها مثل انجلترا و امريكا واسرائيل ناهيك عن الاستحواذ على ثروات الدول النفطية او-و ابتزاز دول النفط يوميا و قد جأر وزير الخارجة الامريكية الاسبق الاسبوع الثالث من اكتوبر 2008 صراحة-رغم ما سرقته امريكا من المال الخليجى علنا-"أن ثروات النفط الخليجية هى خطأ فاحش بحق حركة المال الطبيعية-أى من الجنوب الى الشمال. فكل ما عدى ذلك شاذ و غير طبيعي و ينبغى وضع حد له"[92].

وقد نهب الشمال رساميل مماثلة من النمور الاسيوية و البرازيل و بخاصة الارجنتين. و قد افلست الارجنتين جراء الرساميل الهاربة Flight Capital عشية 2001 حتى شارفت اقتصاد الجمع و الالتقاط مما كتبت فيه لالصحف اللندنية وقتها.

و حيث تتعين الرأسمالية المالية على خصخصة الربح و تأميم الخسارة الا ان الرأسمالية ما تبرح-و هى جاثية فوق ركبتيها-تملى شروطها هى و الاهم لغلتها على خطاب الازمة. و تكاد بعض فصائل الطير و النبات بل و البشر تنقرض و الثقافات تقوض تباعا و العالم يشارف الهلاك مرة واحدة و الى الابد فيما تثرى اوليجاركيات من الاقليات الصفووية خصما على من عداها. فما هو سفر تكوين تلك الاقليات لمن عداها؟

الفصل الرابع : التطير العقلاني من تكاثر البشرية غير الصفووية :

قال ارسطو بوحشية الانسان و تأصل الشر فيه و قصد بذلك الفرد من غير اعضاء الصفوة الاوليجاركية. و ليس غريبا ان تتعالق الاوليجاركية و الصفووية و الارسطية مما بقى كامنا فى مسام المجتمعات الاوربية الغربية و غير الغربية. فهل ثمة اتصال لا منقطع بين تلك الجماعات؟ و كيف؟ يقود البحث عن تفسير نشأة الجماعات الصفووية العقلانية بتويعاتها السياسية المالية-الاوليجاركية- فيما يقود الى التعرف على ميل الاخيرة الى الخروج على مؤسسة السلطة عقلانيا و بصورة دورية و عصيان السلطة باسم السلطة فى تنويع على الانقلابات البلاطية و الانقلابات المضادة المنوالية بدورها. و قد يقاس عصيان تلك الصفوات بما لاحظته فى دراسة اخرى من تعين الربابى البلاطيين منذ يوسف و

داوود و قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد و تنويعات العبيد المعتقين و المحظيات الملكيات على الانقلابات البلاطية و الانقلابات المضادة. و ثمة نظائر عربية اسلامية افترضت ان بينها صلة و بين الصفوات المذكورة فى الفكر الذى يكون قد جمعهم فى اليونان و الخزر. وازعم ان أرسطو وقف بالنسبة لفكر تلك الجماعات اكثر من غيره من المفكرين الاثينين فيما قد يؤلف اتصال بلا نقطاع بين تلك الجماعات. و قياس فقد كرس تماس اتكالية مثقفى العوالم الثالثة و الرابعة و العصر حجرية على العالم الاول و على فكر ارسطو فى العالم العربى و الاسلامى تلك الاتكالية حتى اليوم و بخاصة اليوم. و اجادل ان تلك الاتكالية غير الانتقائية كانت حرية بان تكرس شرط استقرار الفلسفة اليونانية بصورة انتقائية و ملفقة و بلا وعى مجددا. و يعود اتصال تلك الجماعات الى:

1-عقلانية خير من مثل بالبشر:

اجادل ان تاريخ العقلانية يحفل باصول اوليجاريكية. و قد اتصلت تلك الصفوات باسماء بعينها منذ وادى النيل الاسراتى و اليونان الى الغرب عبورا بالخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية وصولا الى التركة الانجلوساكونية و الانجلو امريكية بسمسرة اعراب الشتات و اسرائيل من يوسف الى بن جوريون. و حتى اتعين على التعرض لتلك الجماعات تفصيرا ادناه فثمة بن جوريون بالوصف ادناه و يوسف من قبله. و يمثل الاتية اسماؤهم من الاوليجاركيين المحدثين نسبيا بعض اشهر الصفوات العقلانية البلاطية خير تمثيل بوصفهم اعنف من اوقع بالشعوب اشد الوان التشريد و التسفير والتجويع وصولا الى العبودية تعبيرا نموذجيا عن كراهية الشعوب و على الاستهذاء بعامة الناس و اليأس من صلاح البشر حتى الذراية .Cynics

وهم مثلا و ليس حصرا على التوالى التاريخى مستشار هنرى الثامن فى امور الجنس و فيرناندو لوبيز مستشار اليزابيث الاولى و بينجامين ديزرائيلى مستشار الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا-و صديق روثستشايلد-اكبر مصرفى مالى اوربى-الحميم وكان الاخير صديق حميم بدوره لسيسيل رودس صاحب مشروع السكة الحديد من للقاهرة الى مدينة الكاب. و منهم ايضا توماس كروميل الشخصية الغامضة غير معروفة الاصل. و كان توماس كروميل مستشار الملك 1485-1540 هنري المثامن فى الجنس و فى كل شئ .و قد عمل توماس كروميل قبل ان يرقى بسرعة فائقة و غامضة الى مصاف اكبر رجالات العرش الانجليزي مع اسرة مالية فى فلورنسا و فى سوق النسيج فى هولندا و كان على صلة باحد البابوات و كان يجيد عدة لغاة منها اللاتينية و الايطالية و الفرنسية.

و لم يلبث ان بات من اهم رواد ما سمي بالاصلاح الدينى-المضاد-اى انفصال انجلترا عن الفاتيكان. فقد كان وراء انقسام المسيحية الغربية و صولا الى قيام الكنيسة الانجيلية التى كرست تأثر المسيحية الغربية بتداعيات عداوة الكاثوليكية حتى اليوم. و من تلك الشخصيات المريبة و المؤثرة فى التاريخ غير المكتوب ميخائيل نوسترداميس اكبر صوفيي بل سيد الصوفيين اليهود و كان مستشار كاثرين دى

ماديتشى ملكة فرنسا و ام الملك فليب التاسع ومنهم جريجورى بوتمكين مستشار وعشيق ياكاترينا العظيمة و كبير وزرائها و قد خطط مصير روسيا الحديثة نسبيا وصولا الى الثورة البلشفية و ربما تباعا.
و هناك اليستير كامبيل Alistair Campbel مستشار تونى بلير الذى يسر تزييف ملف اسلحة الدمارالشامل وبيتر ماندیلسون قبله وغيرهما ممن لفق حزب العمال الجديد خصما على اجندة و خطاب كل من مايكل فوت و نيل كينوك و جون سميث–اخر زعماء حزب العمال القديم. و قد ورث تونى بلير الذى تحور حزب العمال القديم على يديه الى حزب العمال الجديد و الطريق الثالث الخ جون سميث. و كان ماندیلسون عراب تونى الذى صنع بلير بداءة و زين له مخادعة غردون براون حتى يتنازل الاخير له مؤقتا عن زعامة حزب العمال–حتى بات الحزب جديدا على يدى مستشاري تونى بلير المذكورين. ولم يلبث ماندیلسون ان بات اقرب المقربين الى غردون بليل.
وقد وقف بيتر ماندیلسون–وزير الاعمال بوزارة غردون براون رئيس وزراء بريطانيا–ابان فضائح تجاوزات البرلمانيين المالية–بداية صيف 2009– بمثالة بينجامين ديزرائيلى رئيس وزاراء بريطانيا للملكة فيكتوريا.
و لعل بيتر ماندیسلون–الذى وصفه الرئيس الفرنسى نيكولاس ساركوزى بانه مسئول عن موت طفل افريقى كل 3 ثوان–تنويع على قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد. و قد بقى ماندیسلون عراب حزب العمال الجديد ومخطط و مستشار و نصيح زعماء الحزب على مر اكثر من 20 عاما من نيل كينوك و جون سميث و تونى بلير و غردون براون و هم زعماء حزب العمال منذ سبعينات القرن العشرين حتى العشرية الاولى للالفية الثالثة على التوالى.
و تصف الصحافة البريطانية و غيرها السبت 4 اكتوبر 2008 بيتر ماندیلسون ب "امير الظلام"–او اميرة الظلام كونه مثلى–و قد دعاه غردون بروان غريمه اللدود–اقتهارا– للاشتراك مجددا فى وزارة حزب العمال التى اعاد الاخير تشكيلها فى سبتمبر 2008 ابان الازمة الاقتصادية الطاحنة. و قد وصف ديفيد ماكدونالد ماندیلسون بانه اسوأ ما يحدث لحزب العمال لانه يستدعى اشد ما فى حزب العمال الجديد تعفنا و نكوصا على حزب العمال القديم.
و ثمة كيث جوزيف مستشار مارجريت ثاتشر المفضل. و كان وغيره قد تعينوا عى خلق شرط تحور حزب المحافظين البريطانيين من اليمين التقليدى الى اليمين الجديد او ما بعد التقليدى اى ما يسمى بالثاتشرية و تقرن بالرجانية–نسبة الى رولاند ريجان– فيما يسمى بالرجانوثاتشريزم -Regano Thatcherism– وصولا الى تحور الحزب الى محافظ جديد. و ثمة كل من مارتين ميلكين و اوليفر جولدسميث مستشارى ريجان الذى شارك مارجريت ثاتشر المبادرة الواضحة بمشروع الاقتصاد الحر و الاسواق الحرة. وكان ريجان يجأر تكاذبا بان الاسواق الحرة تخلق الاقوام الحرة. و كان ميلكين و جولدسميث وراء ازمة الاسهم القمامية Junk Stokes فى منتصف ثمانينات القرن العشرين مما ادى الى فقاعة هائلة وصولا الى ازمة مماثلة لازمة اسواق الائتان العقارى.

و هناك بالطبع ريتشارد بيرل Richard Perle كبير عرابى المحافظين الجدد–و امير الظلام الامريكى بحق. ورغم دورالمحافظين الجدد فى الازمة الماثلة منذ صيف 2007 و تباعا فلم يسمع لريتشار بيرل صواتا ابان او بعد اسابيع من ازمة اسواق الائتمان و تداعيات ذلك على المشروع ما بعد الليبرالى و خيبة امريكا المدوية فى العراق مما لا ينفع فيه اتهام باكستان و سوريا و ايران بما يحيق بقوات التحالف فى العراق و افغانستان. و كان ريتشار بيرل قد جأر علنا انه صفق امام التلفزيون و هو يتابع مشاهد سقوط تمثال صدام حسين فى ميدان الفردوس و انه فتح زجاجة شامبانيا مع اصدقائه.

و ثمة ديك تشينى نائب بوش الابن الذى يرى ان موت اكثر من مليون عراقى ثمن يستحق دفعه من اجل دمقرطة العراق. و لا غرابة فقد كلف تنصير سكان العالم الجديد حتى الموت مئات الالاف من الاخيرين ان لم يكن ملايين انقاذا لارواح سكان العالم الجديد تخاتلا. و ثمة الى هؤلاء مادلين اولبرايت وزيرة خارجية بيل كلينتون التى جأرت ان موت نصف مليون طفل عراقى ثمن يستحق دفعه استمرارا لحصار العراق 20 عاما من اجل تحرير العراق و ان "تدمير العقول العراقية اهم من ضرب العراق بالقنابل الذرية". فقد قالت بالحرف الواحد "ماذا نستطيع ان نفعل مع العراق غير تدمير عقوله التي لا تستطيع القنابل الذرية ان تدمرها.

2–مغبة الركون الى مقولات الصفوات الاوليجاركية:

اجادل ان لم يعد ثمة سبيل الى الركون الى مقولات الرأسمالية التى يعمل لحسابها اؤلئك العرابيين على مر السنين و لا الى السردية التى يصدرون عنها. و كانت الرأسمالية الانجلو ساكسونية و الانجلوامريكية قد بقيتا تصدران عن تلك السردية اللوامة البكاءة مرة و المتكاذبة مرة اخرى والارهابية بقوة السلاح مرة ثالثة منذ 500 عام على الاقل ان لم يكن منذ سقوط الامبراطورية الرومانية المقدسة الى الالفية الثالثة و تباعا. و كانت تلك القرون الخمس قد اعقبت و صاحبت و اتصلت بعمليات استحواذ مادى و غير مادى هائلين مهولين و مراكمة رساميل هاربة من كل مكان الى كل مكان خصما عقلانيا على البابوية الكاثوليكية و على الخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية جميعا. و ما تنفك تلك الرساميل تخصم على العرب و المسلمين و كانت قد خصمت على ثروات المنظومة الاشتراكية بدورها منذ منتصف ثمانيات القرن العشرين.

3– ***بعض اوليجاركيات اسفارديم و الاشكنازي***

ازعم ان سفر تكوين تلك المراكمة فى صيغتها المحدثة نسبيا يعود الى هجرة اثرياء السفارديم من الاندلس برساميلهم و ثرواتهم الى المدن الايطالية و بخاصة البندقية و نابولى و الى هولندا و انجلترا. و كانت البندقية قد تعينت على خلق كل من هولندا و انجلترا بوصفهما تنويعات اوربية شمالية على البندقية. و قد راحت هولندا ن انجلترا تتعينان قبل غيرهما على انشاء المصارف. و لم تفك ثروة الاشكنازى الاتية من اوربا الشرقية ان كرست هيمنة بعض اعراب الشتات على عالم المال و الاعمال و التجارة حيث كانت الجالية اليهودية فى امستردام الاوربية يثرب الثالثة

قد تخصصت فى استيراد السلع الاستراتيجية و الاحجار الكريمة و مولت تجارة الرقيق العبر اطلسية–من و الى المستعمرات و تعيد تحويلها فتصدرها الى اوربا مجددا.

و كانت تلك التجارة تصدر عن المصارف اليهودية فى امستردام و قد اتسع نفوذها فوصل الى فرانكفورت وباريس و انتويرب–بوصف ان انتويرب يثرب السادسة–و بروكسيل و فيينا و لندن[93].

و يعبر رأس مال اعراب الشتات المادى و غير المادى عن نفسه فى انجلترا تباعا فى سيرورة انجلترا اورشليم الثانية. وقياسا لم تلبث امريكا ان باتت اسرائيل الطبعة الثانية. ذلك ان امريكا باتت امة التجارة الى صناعة السلع و الماركات المسجلة. و تخلق تلك الماركات المسجلة و تباع فى امريكا و خارجها و ان نزعت عن امريكا التجارة انتزعت روحها.

و كان السفارديم كما ذكرنا اعلاه قد قاموا بدور فريد فى مناشط متعددة فى اروبا الغربية و الشرق الاوسط فى كل من التجارة البحرية و التوسع المالى الاوربى فى الشرق الاوسط منذ 1492 و اقول حتى قبل سقوط بيزنطة للعثامنيين فى 6 ابريل–نيسان–1453 حتى القرن الثامن عشر[94]. و اجادل ان السفارديم لم ينفكوا ان غدوا ارستقراطية اليهود فى اوربا الغربية حتى حلول اثريائء الاشكناذى فى القرن الثامن و التاسع عشر. و كان السفارديم اكثر تسامحا دينيا قياسا على الاشكنازى الذين انتمى معظمهم من ارستقراطية روسيا القيصرية على عهد ياكاترينا العظمى على عهد جريجوري بوتمكين مستشار ياكاترينا الاول و المفضل و عشيقها معا فحاكم روسيا بالتنكل *By Default*.

قياسا على تنويعات اليهود اليونانيين والارمن و السفاديم و المزراحى–و هم اقليات بعض طوائف اليهود البغداديين والمصريين و الاندلسيين–لان يهود معظم ان لم يكن كاقة يهود جورجيا و لاتفيا و روسيا و الصين و الهند و ايران و ربما أفغانستان قد يعودون الى اعراب الشتات الخزر. و يعتقد انهم القبيلة المقفودة او الثالثة عشر. و ينسب اليهم الاشكنازى و يعرفون كما ذكرنا فى مكان اخر بالميل الى العمل داخل عائلات نفطية او عائلات التجارة فى الماس مثل العائلات الاوربية الشرقية و الاسيوية و عائلات شبه الجزيرة الهندية مما اناقشه فى مكان اخر. و من عائلات الاشكنازيم الروس مثلا نوبيل*Nobel* و سولومون*Solomon* و سولومون و صمويل و ماركوس الابٍ *Samuel, the Elder* صمويل ماركوس الابن *Samuel the son* جابلونسكى *Jablonski* و ستراوسٍ *Straus* و شيل *Shell* و روثتشايلد *Rothschild* روبسبيير المال *The Robespierre of Finance*.

وكان معظمهم قد احتكر الصناعات البترولية حول البحرين الاسود و قزوين فى 1883 فيما سمى بشركة *Benito* و قياسا اطلق على الاخوان نوبيل *Nobel* اسم "ملوك بترول باكو" *The Oil Kings of Baku*. هذا و يقول بعض المؤرخين ان يهود المشرق العربى و ما حواليه من بغداد و القاهرة و تاكسيلا و هلالات و دندرة الى بيكلين و شانجيان و القسطنطينة وغيرها من امتدادات الخلافة الاسلامية–الفوا شبكات تجارية *Entrepreneurial Networks* واسعة بصورة غير مسبوقة ابان الخلافات الاسلامية و تباعا. فان كان بعضهم قد تعين على مراكمة رساميل على مر 800 عام على الاقل داخل الخلافات

الاسلامية فقد كانوا حريون الى ذلك بان يجدوا تباعا سبيلا غير مسبوق للثراء و مراكمة رساميل على مر 400 غب سقوط الخلافات الاسلامية المشرقية[95].

و بالمقابل ظهرت جماعات ارستقراطية من بين عامة شعوب اليهود فى الجمهوريات الاشتراكية السابقة و منطقة القفقاز و نهر الفولجا و روسيا ممن كان يعضه يمتهن الفلاحة كما فى حالة الفلاح البولدنيا[96] و هى دراسة حول الاخير فى الولايات المتحدة بعد هجرة اليهود من اوربا الشرقية غب الحرب العالمية الثانية. و قد عوض الاخيرون عن شعورهم بالنقص حيال نظائرهم الغربية بادعاءات عرقية فراحوا ينتحلون صفة الاوربى فراحوا يزاودون على السفارديم الذين ينسب اليهم الاختلاط بالعرب والمسلمين حتى انتحال اسمائهم بل بعض اتجاهاتهم العقائيدية حتى اتهم بعضهم باعناق الاسلام. فقد عايش السفارديم العرب و المسلمين 800 عام فى الاندلس فبات بعضهم اقرب الى العرب و المسلمين من حيث كل من اسمائهم و تفكيرهم كما الحال مع امثال موسى الميموني الذين اتهمه اليهود بانه مسلم متستر على اسلامه.

و مع ذلك لا يضير بعض اليهود السفارديم ومعظم الاشكنازى ان ينتحل الصهاينة حضارة الاندلس حتى كادوا يدعونها فيعلنون ذلك تباعا مما بلاحظه المؤرخ و الباحث و المراقب. ذلك ان سردية تنشأ تباعا فى جما اعتراضية و فى سير ذاتية تنتحل فيا جماعات و افراد فلسفة و فنون و موسيقى و اغانى الاندلس من قبل كافة بعض الجماعات اليهودية التى تعيد كتابة تاريخها كما فى كل مرة مثلما تجعى اسرائيل تاريخ و فنون و ووصفات الطعام الفلسطينة ونظائر من الشرق الاوسط.

من المهم التفريق بين السفارديم وهم يهود جزيرة ايبيريا و يعرفون باليهود الغربيين مقارنة مع الاشكنازى و هم اليهود الشرقيين و قد جاء الاخيرون الى اوربا الغربية من منطقى القفاز و نهر الفولجا شرق و وسط اوربا وبين الميزراحى وهم يهود الشرق الاوسط عموما. كما ينبغى التفريق بين اثرياء احبار و اسباط و قضاة و تجار اعراب الشتات من السفارديم و من يسمى ب"اللادينو" *Ladino* وهم اليهود الذين تنصروا ابان العصف بغير الكاثوليك الاسبان على عهد فيردناند و ايزابيلا(اوف كاستيل) *Isabella of Castile* ملكى قشطلة. كما ينبغى الى ذلك التفريق بين اثرياء و احبار و اسباط و تجار و قضاة تلك الجماعات و شعوبهم بصورة واضحة حتى لا يلتبس القول باختزاله تقصدا فيما قد يوصل الى تهمة العداء للسامية. فهذه المجادلة تاريخية و اقتصادية بموضوعية البحث عن الحقيقة وراء احداث بعينها قدر الممكن فكريا و تنظيميا.

و المهم فورا فقد راح اثرياء اليهود بهذا الوصف يواجهون خصومهم–كونهم اوليجاركيات مالية كعهدهم– بسطوة المال و قدراتهم التنظيمية المتمأسسة على المال. و قد واجه الرأسماليون الاوليجاركيون السفارديم و حلفائهم من الطوائف المنشقة على البابوية روما البابوية. و كانت البابوية قد راحت تصدر عن الريبة فى اليهود و تحريم الربا. ذلك أن الكاثوليكية لم تكن مع ذلك تتعقب العلماء–ابان محاكم التفتيش و ما سبقها و ما تلاها–لنظرياتهم التى قد تهدد الكنيسة و لا لاتصالهم بالعلماء و العلوم العربية الاسلامية

وحسب. و انما و الاهم كانت البالبوية تتعقب العلماء لولاءهم لجمهورية البندقية الحرة. فقد كانت الاخيرة قد تعينت على مناصبة الكاثوليكية العداء. و لعله من هنا نشأ مفهوم كل من ملك الشمال و الجنوب و كون الكاثوليكية بقيت جنوبية و العلماء الاوربيين الغربيين شماليون اغلبهم من هولندا و انجلترا عبورا بالبندقية اصلا (رغم ان الاخيرة جنوبية حسب التصنيف القسري الاجتزائي ذاك).

و كان اثرياء أعراب الشتات راكموا بتجارة المحاصيل فى توسعات الامبراطورية الرومانية و تجارة الرقيق و ايجار السفن فالفوا اوليجاركيات هاجرت عشية سقوط الامبراطورية الرومانية الى صقلية و بخاصة الى البندقية. و فقد هاجر السفارديم من شبه الجزيرة الايبيرية الى اوربا الشمالية. و كان الاخيرون يتطلعون فى هجرتهم هذه المرة الى الشمال الاوربى. و لا يعنى الشمال والجنوب تعريفا جغرافيا. فتلك المفهومات تزويق لامور غامضة و ابعد من الظاهر و كأنها ما قد يعبر عنه باختلاف اللوص(بفتح و شد اللام و فتح الواو) Parallax View او ما يسمى مخادعة النظر تقصدا من حيث ادعاء اختلاف موقع الشئ اذا ما نظر اليه من اتجاهين مختلفين.

و يقول بيتر ديفيدسون Peter Davidson فى كتابه فكرة الشمال The Idea of the North ان الشمال هو نقطة البدئ و هو الذى نؤقلم به انفسنا على المخاطر المشتهاة و هو الوجهة التى يتخذها المغامرون و الفضوليون و الجسورون و النازعون نحو التحدي طوال التاريخ. و يبقى الشمال حسب بيتر ديفيدسون الغاية و ليس المكان. ان الشمال فكرة متحورة و متباعدة. و ان الكل يحمل الشمال داخله و بين جاونحه. و عندما يقول انسان انه راحل الى الشمال فانه يعنى انه ذاهب الى حيث العناء و المشقة الواعدان مع ذلك..و بالمقابل فالجنوب يوحى باللهو و التسلية و الراحة و النوافير والعطر و شجر الليمون. ويضيف ديفيدسون انه رغم صعوبة تضنيف الجهات الاصلية من حيث النوع الا ان الشمال يبقى مذكر و الجنوب مؤنث[97].

المهم فورا ازعم ان ما حاق بالبابوية فى القرن الخامس و السادس عشرجراء هجرة السفارديم و اموالهم و غير ذلك من العوامل مما اذكر تباعا تنويع باكر على ما يحيق بالكاثوليكة منذ سقوط الامبراطورية الرومانية المقدسة على الاقل حتى اليوم. و لعل ذلك بدوره تنويع باكر على ما حاق ايضا و يحيق بالاسلام تباعا. فما هو سفر تكوين اوليجاركيات البندقية؟

–هل جمهوية البندقية تنويع عقلانى باكر على دولة اسرائيل؟

كانت جمهورية البندقية تعبيرا عن بعض طوائف اعراب الشتات و قد تمأسسوا بوصفهم اوليجاركيات صفووية فوق رأسمالية مالية تراكم بالربا خصما على الفاتيكان و حركة النهضة الايطالية. و ينبغى تذكر ان البندقية كانت بازغة منذ سقوط الامبراطورية الرومانية بمعنى انها كانت كما ذكرنا فى مكان اخر دولة مدينة مستقلة زاهرة اقتصاديا و ماليا و فكريا و تنظيميا قبل و ابان و بعد سقوط كل من الخلافة العثمانية و الاندلس. و ازعم ان البندقية كانت حرية بان توفر–بمال اعراب الشتات و قد تمأسسوا فوق الفكر و التنظيم الاوليجاركى–تنويع باكر على دولة اسرائيل و ربما بروفة Trial باكرة لها. فقد كان يهود

البندقية يهاجرون من البندقية الى كل مكان و يعودون الى البندقية بيسر[98]. و قد تمثل ذلك اليسر فى الحالة القانونية لغير المسيحين و العلماء و التجار و كافة معارضي البابوية ابان ما سمى بعصر النهضة.

و كانت الحالة القانونية المواتية تلك و يسر حركة التجار اليهود ظيفة توفر الاوليجاريكية المذكورة على تيسير حركة التجارة و بيع المال و الربا من ثم تيسير حركة اعراب الشتات. وقياسا لم يكن تعقب الساحرات والعلماء وبخاصة المتأثر منهم بالاندلس و المهاجر من الاندلس قد انتشر فى اوربا الغربية بعد فيما خلا البندقية بنوع ما. و كانت البندقية فى القرن الخامس و الساس عشر مدينة دولة City-State او جمهورية اوليجاركية مسيحية افتراضيا و فى عداء مع روما و الفاتيكان خاصة و كانت البندقية مدينة بوليسية و كانت الى ذلك مدينة داعرة و تكفى قراءة سيرة كازانوفا التى تصور الحياة فى البندقية فى القرن السادس عشر. ومن المقيد تذكر انه فيما اخذت البندقية عن الاندلس فانها عادت و حقنت الاندلس بعناصر تنظيمية على الخصوص و سياسية و ثقافية ومالية تعيينا.

ومن المفيد تذكر ايضا ان اثر الثقافة و العلوم الاسلامية لم يكن يأت الغرب من الاندلس وحده فقد كانت اوربا قد اقامت دوقيات فى الشام باسم حماية الاماكن المقدسة و العذراء–و قد باتت الاخيرة بيضاء كالحليب و الثلج وكذا ابنها المسيح–من تدنيس الاقوام البربرية الوثنية المتوحشة. و كان من الصليبيين الجاسوس و المغامر و النهاب. و لعل كل ذلك قد طور اساليب المخاتلة فى المعاملات كما اثراها بمزيد من التجريب. و لعل اهم ما ينبغى تذكره هو ما صدرته البندقية الى الاندلس و اخذته عن الاندلس كالترجمة و هو المضاربة و الائتمان و بيع و شراء المال كسلعة.

و ازعم ان حركة المضاربة و الائتمان كانت حرية بان ترهن الممالك الاندلسية فى تنويع باكر على ما يلاحظه الناس اليوم فى كل مكان و ان ذلك كان حريا بان يقف وراء انهيار الممالك الاندلسية واحدة تلو الاخرى بالديون الخارجية. و الا من اين جاءت رساميل السفارديم التى هاجروا بها الى هولندا و انجلترا و سويسرا كما فعلوا مع المدن الدول الايطالية مثل البندقية و نابولى باكرا؟ و كيف تعينوا و خلفائهم من الطوائف المنشقة على روما على مواجهة البابوية؟ و قياسا فمن اين تاتى رساميل الخزر الاشكنازى عشية سقوط الخلاقة العباسية؟ و من اين جاء مال اعراب الشتات غب سقوط المنظومة الاشتراكية؟ ومن اين جاء مال اعراب الشتات عشية سقوط الامبراطورية الامريكية؟ ولعله واردا عقد قياس مع تلك التنويعات و ما كان الصليبيون قد عادوا به–باجتياح القسطنطينه 1250 مثلا و القدس و غيرهما–على الغرب. فقد راكم الغرب جراء الصليبيات اجزاء ثقافية و فكرية و تنظيمية زيادة على الثروات ناهيك عن الاستحواذ على ثروات العالم الجديد. و كان اعراب الشتات قد وقفوا ممولين للصليبيات و تجتار خيول. و كانت الخيول اداة حرب لا مثيل لها وكأنها الدبابة ابراهام 8 و الا لما عنف ريتشارد قلب الاسد حين فقد حصانه "اليكم مملكتى مقابل حصان" My Kingdom for a horse. و قد تكرس منذ الصليبيات

دور الرأسمالية المالية و تجارة السلع الاستراتيجية و استقر الربا فى مسام الاقتصاد الاوربى الغربى خاصة.

كل ما تقر به الرأسمالة حقيقى و غيره لا طائل تحته:

بات كل ما لا تقر به الرأسمالية الغربية ليس حقيقيا و كل ما تدعيه عين الحقيقة. و كان احد استاذي المشرفين ماركسى وعبقرى مشهور و الاخر اقل من عادى و قد بقى يعانى نفسيا و اكاديميا جراء فشله فى الحصول على درجة الدكتوراه. و كان كلاهما يعلم–بكسر و شد اللام–على ما اقول مما لا يعلمانه بعلامة استفهام حمراء فى افضل الشروط او يشطبهانه. فما لا تعلمه ***الاكاديميا الغربية غير*** صحيح. و الواقع ان كل ما تنكره الاخيرة غير موجود و غير صحيح تماما مثلما يبقى كل ما لم تكتشفه اوربا الغربية مجهول غير موجود حتى تكتشفه هى فيغدو موجودا. وازعم ان ذلك ما حدث و يحدث بالنسبة لليونان كونه اوربا الغربية. فاتصال الفلسفة اليونانية في اوربا الغربية بوصف الفلسفة اليونانية "اكتشاف" اوربى غربى كان بوكالة البندقية. فهل يمكن التستر على ذلك الاستحواذ بسوى قاموس عقلانى بالضرورة يتخاتل على الواقع و الحقيقة بالنتيجة؟

الفصل الاول :تعالق تاريخ اليونان الملفق و العقلانية الكلاسيكية:

حيث اجادل ان "الخروج" المذكور اعلاه و تباعا كان دائما يزوق فيما يسمى بالمحرقة بوصفها منوالية على مر التاريخ المسكوت عنه ازعم ان تزويق التاريخ تعالق والعقلانية. ذلك ان:.

–العقلانية بدأت باختراق اعراب الشتات و بخاصة الخزر منهم للتاريخ المكتوب و للاديان منذ يوسف عبورا بشمسون الجبار و بولص الرسول وعبد الله ابن سبأ و تباعا. و افرق بين تنويعات الاعراب فى مكان اخر. الا انه ربما كان مفيدا ملاحظة مراحل التطور المفبركة الافتراضية التالية:

– لم يكن ثمة سبيل امام اوربا الغربية فيما بين فارس و وادى النيل الاسراتى و قرطاج سوى ان تمفصل يونان لم يكن موجودا بهذ الاسم مرة.

–ومرة اخرى لم يكن اليونان يملك ادعاء اصالة فكرية لم يأخذها فلاسفته ومفكريه عن شبه القارة الهندية و فارس و وادى النيل الاسراتى و بخاصة قرطاج.

–و أزعم ان الغرب كان عليه ان يسقط ادعاءاته و فانتازيا كل ما لم يكن للغرب بنسبة ما رغب العرب ان ينسب اليه فصاغ الغرب يونان لم يكن. و قد اخترع اليونان ليغطى على وادى النيل الاسراتى او–و ليبسر انكار ابداع الاخير. و اخترعت روما لتفعل المثل بقرطاح. والواقع فلم يكن ثمة شئ اسمه اليونان. فقد كان ثمة مدنا دول تزيد على الالف دولة و كان اهمها اثينا و اسبراتا و كورينثيا كانت فى حروب فيما بينها اما طروادة فكانت فى اسيا في تركية.

–و حتى ان كان ثمة يونان بهذا الوصف فلم يكن لليونان ان يكون على الشاكلة التى صورتها اوربا الغربية عليه فهو الدولة المدينة و حسب. فلم يكن ثمة فى الواقع و لا تاريخيا ما يقيض تلك الصورة التى صورتها اوربا الغربية هى لنفسها.

– كان على اوربا الغربية ان تدعى ان اليونان كان مهد ما يسمى "الحضارة الاوربية". و تستدعى اوربا فيما تستدعى كل من اليونان و روما. و لم تكن الاخيرة سوى تنويع حرفى على قرطاج. فقد علمت قرطاج روما كل شئ تقريبا فيما ادعت روما قانون حامورابى الفارسى.

– ان اليونان يقف فى الذاكرة الغربية باثر رجعى فى صيغ من الفانتازيا و عصاب تسلط الافكار والافعال اللا تاريخية على نحو غير مسبوق. فلو لم تكن فارس و وادى النيل الاسراتى ما كان اليونان. الا من اين جائت الهة اليونان نصف الفارسية و نصف البدوية المترحلة جراء اختراق الرواسب الخزرية؟ ولو لم تكن قرطاج ما كانت روما. و لو لم يكن الاندلس ما كانت الاكتشافات الجغرافية الكبري و لا التنويرو لو لم تكن الخلافة العثمانية لما كان اماديوس ولفجانج موزار. و لو لم تكن حضارة مغول شبه القارة الهندية لما كانت الامبراطورية البريطانية التى لا تغيب عنها الشمس.

اليونان مستعمرة وادي نيلية:

تنسب اوربا الغربية ثم الغرب تباعا الى اليونان ما ليس له فضاءا و تاريخا. و فى مثل تلك الفانتزايا يغدو اليونان غير ما هو تماما فى حين ان المدن الدول اليونانية كانت من ولاة وادي النيل الشمالي. و كانت مدنا مثل طيبة قد قامت على غرار ما نشأت المدن الامريكية الشملية باسماء من العالم المتقدم على ارض السكان الاصليين. فلم تكن طيب اليونانية سوى طيبة وادى النيل الجنوبى اى ما يسمى اليوم الاقصر. و من الدلائل على تبعية اليونان لمصر ان ارسل امنحاتب الثالث ابنه امنحاتب الرابع– اخناتون–الى اليونان بوصفعها مستعمرة–مثلما كان حريا بان يفعل فيرسل امنحاتب الرابع الى فلسطين او النوبا. فقد كان تقليد ارسال الامراء الى قصور الحلفاء و العملاء ثقافة معروفة في ذلك الوقت مثلما كانت ثقافة التزاوج بين ملوك وملكات السلطة المركزية الوادي نيلية و اعضاء الاسر الامارتية التابعة. الا ان اوربا الغربية–الغرب:

1) يدعى الغرب ان ثمة يونان. و لم يكن ثمة يونان بل اكثر من 1000 مدينة دولة او قرية و كانت اشهرها اسبارطا و اثنيا و كوريبنثيا و يضيوفون الى تلك الدول طروادة التركية وتقع فى اسيا الصغرى.
2) و ان اليونان كان يشمل اقاليم حافة بحر ايجا و انه يضم الاسكندرية. و يكاد تاريخ اليونان الملفق يدعى وادى النيل الاسراتى الشمالي منه بمغبة البطالمة–لحفاد الاسكندر المقدونى و لم يكن بالطبع يونانيا بل كانت مقدونيا فى حرب مع اثنيا ن استمعمرت ما يسمى باليونان من بعد.
3) يزعم البعض ان التوراة ترجمت الى اليونانية فى الاسكندرية ثم الى اللاتينية وهذا خطل و تكاذب بين. فلم تترجم التوراه الا بعد ذلك بكثير مما اذكره فى مكان اخر و ادلل عليه تفصيلا فى بحث اخر.
4) راح بعض المؤرخين المعاصرين يتدافعون نحو احتكار تاريخ الانسانية بضم مناطق من العالم لبعض القوميات فى سرديات تنتحل الحضارات الانسانية خصما على اصحابها. و يقول احدهم

على صدر نشرة اخبار صباحية باكرة ان الاسكندرية كانت يونانية كون الاسكندر هو الذى انشأءها او–و اطلق عليها اسمه. و لا يذكر ان الاسكندر بات وادي نيلى و اعتنق ديانات وادى النيل و دفن فى احدي واحات صحراءه الشماليه الغربية وكان يجأر على فراش الموت بما كان فراعنة وادي النيل يجأرون به "من الالهة اتيت و الى الالهة اعود".

5) الاهم ان احدا من اؤلئك المؤرخين المرتزقة لا يذكر أن الاسكندر مقدوني و ان مقدونيا كانت فى حرب مع اليونان حتى اجتاحتها بالكامل كما ذكرت تفصيلا فى مكان اخر و ان احفاده البطالمة الذين حكموا الدلتا منذ الاسرة 31 ليسوا يطالمة و ليسوا ويونانيين الا بتماس جوار مقدونيا و اثنيا و اسبارتا. فلم تزد اليونان عن المدن الدول التى نعرف منها اثنين و يضاف اليها ثالثة–طروادة–وهى فى الواقع تركية.

6) لم يات ما قيل انه اتى من اليونان من اليونان. ذلك ان ما يسمى التراث و الفلسفة و الحكمة اليوناييية حاء من اليونان ليي قولا دقيقا و الاحرى ان التراث و الفلسقة والحكمة جاءت من منطقة بحر ايجا. فقد كانت منطقة بحر ايجا اقدم و يدلل على ذلك معبد اخيل Achilles الذى يقع فى جزيرة اجينا Agene عبر بحر ايجا و تبعد عن اثينا اقدم من البارثينون Parthenon. هذا و ازعم ان اليونان كان وظيفة حروب فارس على المدن الدول اليونانية بما فى ذلك طروادة التى لم تكن يونانية و انما تركية. و كانت فارس قد انتصرت على اليونان. و كانت اثينا خاصة مستعمرة من مستعمرات وادى النيل الاسراتي Dynastic Nile Valley.

ومن المفيد تذكر اننى استخدم مفردة وادي النيل الاسراتى وليس مصر. ذلك ان الاسم Egypt جاء من اليونانية ثم باللاتنية فالانجليزية متأخرا فقد الصق هيرودوت ذلك الاسم بصورة لئيمة بوادي النيل الشمالى خصما على الحضارة الافريقية الوادي نيلية. وحيث لم يتعاصر هيرودوت و "الخروج" من مصر فلم يكن ربما ثمة سوى بل الارجح ان لم يكن سوى ميصراما حسب كمال صليبى[99]. و لعل لاعراب الشتات تأثير فى ذلك حتى يقيض لهم لعنة وداي النيل او–و ادعائه مثلما يفعلون مع ثقافات و حضارات من عداهم انتقائيا. فلم يخرج اعراب الشتات من مصر و انما خرجوا من ميصراما[100].

هذا و قد تعين التاريخ الغربى الرسمي او المغربن Westernized على تجاهل وادى النيل الاسراتى او–وثابر على ان يغمطه مثلما تخاتل هيرودوت كبير مؤرخي الغرب الكلاسيكى على تاريخ وادى النيل و فارس و قرطاج جميعا.

و تجاهل هيرودوت و اليونان واوربا على وادى النيل الاسراتى مهد حضارات حوض المتوسط او–و بيض Whitened وادى النيل الاسراتى. ففيما خلا الاسرة 18 فقد اسقط الغرب كل ما عدى الاسرة 31 فيسر وجود البطالمة و بيض الجضارة الوادي نيلية تيسيرا لالحاقها بالغرب الابيض خصما على اصول وادى النيل الاسراتى الجنوبي الافريقي. و تجاهل اليونان حضارات حوض النيل الجنوبى او–و ادعاها. وقياسا شوه هيردوت تاريخ فارس و كان يحقد على فارس التى اوته لما هاجر فى وجه الاضطهاد

الاثيني, و كانت فارس سفر تكوين القانون الذى ادعته روما و راحت اوربا تفاخر به العالم المجهل تجهيلا. وقياسا تعين الغرب على اغفال قرطاج ام الديمقراطيات الكلاسيكية وكان دستور قرطاج الانموذج الذى اخذت عنه اليونان و كان ارسطو يعتبره افضل الدساتير.

لماذا كل ذلك و كيف؟

ان المدن اليونانية اقرب الى مناطق الخزر و كان الاخيرون اما يقيمون عند حواف تلك المدن او–و يجتاحونها دوريا كما ذكر غيرنا من المؤرخين من قبل دون ان يسمى الاخيرون الخزر باسمهم مما افصله فى مكان اخر. الا انه من المفيد فورا الزعم بان وجود الخزر كان حريا بان يكرس الرق و النمط الاقطاعى الشرقي فى افضل الشروط ان لم يكن الرق فى كافة مراحل تطور المجتمع. المهم فورا و الى ذلك من المفيد تذكر ان بيزنطة قد كانت قد باتت كما ذكرنا فى مكان اخر امبراطورية تابعة لللخزر و قد هودوها بكاملها مما افصله تباعا. و قياسا يغدو اليونان بهذا الوصف تنويع على و تزويق للنشاط الخزري المسكوت عنه على مر التاريخ غير المكتوب. ذلك انه كان على العقلانية الرأسمالية بتنويعاتها اى التاريخ الغربى الملفق او السردية الغربية–سردية اعراب الشتات المتخاتلة و قد هيمنت تباعا على الاخيرة ان:

– تزوق مراحل انتاج فتكرسها بوصفها تطور و نشوء على بعضها صاعدة الى ما لا نهاية.

–تزوق مراحل انتاج المجتمع الاقتصادي الليبرالى سواء فى اللوحة الخماسية الماركسية او تنويعتها الجديدة.

–تعيد انتاج الاقطاع بتنويعاته الغربية و الشرقية او الاسيوية

–تتكتم على سفر تكوين المراكمة الرأسمالية و تداعياتها و مغبة تلك التداعيات بوصف ان ما عدى ذلك التكتم حريا بان يفضح اصحاب المال وخدامهم.

كيف انكشف المستور حين احرجت اليونان التاريخ و المراكمة؟

قد بات الغرب يتطير من اليونان اليوم جراء كل من:

–ما تراه الرأسمالية ما بعد الصناعية المالية سوء ادارة للاقتصاد

–انتشار السخط ا لشعبي مجددا و كان تاريخ اليونان الحديث قد عرف بالانتفاضات الشعبية حتى سبعينات القرن العشرين. امن معروف ان اليمين فى امريكا على الخصوص قد بات مصابا بالبرانويا جراء تصاعد السخط الشعبى فى كل مكان.

–صعود اليسار الى السلطة فى شكل احكومة بباندريوس الحالية

و يقض اليونان بهذا الوصف مضجع كبار أعضاء المجموعة الاوربية مرات:\

. مرة من حيث ان اليونان لا ينبغى ان ينتمى المجموعة اصلا. و يا سبحان الله. مع ذلك فان محاولة اخراج اليونان من المجموعةعقابا له على تجاوزاته التى لا تغفر قد يودي بلااقتصاد

الاوربى. ويقول البعض ان–اخرج اليونان او خروجها من المجموعة سيكون اشد وبالا على الاقتصاد العالمي من افلاس مجموعة الاخوة ليهمان مما ذكرنا في مكان اخر.

–ومرة لان اليونان قد ارتكب خطيئة ترك ديونه العامة تتراكم فتصل ابعد من النسبة المسموح بها من قبل المجموعة. فدين اليونان بلغ 414 مليار يورو منتصف ديسمير 2009. وهواكبر دين للدولة اليونانية فى تاريخها الحديث و يقدر بما يفوق 117% من الناتج القومى الاجمالى Gross National Product.

–و مرة ثالثة جراء عجز المسئولين عن استباق السخط الشعبى اليونانى الذى ما انفك ان اندلع فى 13 ديسمبر 2008. و قد اجج مقتل الطالب اندرياس جريجوروبولوس ` Gregoropoulos ذلك السخط مجددا. فقد كان مقتل الطالب ذى ال 15 عاما بواسطة الشرطة الشرارة التى ازداد بها ستعار لاسخط مجددا ليهدد بانهيار القانون.

–جمهورية البندقية وعقلانية الفلسفة اليونانية:

حيث يدعى ان البندقية ساهمت فى ترجمة الفلسلفة اليونانية خاصة الا انه ربما كان مفيدا تأمل تعالق البندقية و الاندلس و ما اذ كان ذلك التعالق قد اثر فى انتقائية الترجمة و من ترجم من فلاسفة اليونان مثل ارسطو–الى لم يترك شيئا مكتوب و انما تعين افلاطون و زينوفين على تسجيل الحوارات بوصفهما اكثر من عرف ارسطو–و من أهمل من الفلاسفة الاثينيين. و هل كانت تلك الانتقائية عقلانية بهذا الوصف؟ و لماذا الانحياز الى ارسطو والفلاسفة الصفوويين ممن ناصب العامة–الغوغاء–الدهماء–الشعوب–الذراية و العداء؟ و كيف لا يلفت نظر معظمنا ان المفكرين والفلاسفة الغربيين لم يتوقفوا عن ان ينهلوا العلم و المعرفة من الخلافات المشرقية و الاندلس حتى بعد سقوطها و لو لكونهم كانوا يتعرفون على الفكر اليونانى باللغة العربية و يقراؤون الفكر الاسلامى الانسانى فى اوج ازدهاره و اكثره تقدما باللغة العربية. فلم يكن معظم العلماء الغربيين يجيد اليونانية رغم ادعاءات لاحقة لاحد القساوسة وهو البابا الاسكندر الخامس Alexander V –و كان من اصل يونانى–بانه درس اليونانية فى 1409 للطلاب الايطاليين فترجموا الفلسفة اليونانية الى اللاتينية.

فقد كانت العربية لغة عالمية بالضرورة و لغة العلم والمعرفة بالنتيجة حتى القرن الخامس و السادس عشر بل ربما حتى منتصف الخلافة العثمانية. فكيف غدى المثقفون و المفكرون العرب و المسلمون من الانكسار الفكرى حتى فضل بعضهم التزلم للفكر الغربى دون مبادرة تذكر او تنسى؟ و كيف لم يتبين معظمهم دور بعض المعتزلة والخوارج السياسيين و تنويعاتهم فيما ال اليه مصير االخلافة الاموية و الخلافة العباسية و دور نظائرهم فيما حاق بالممالك الاندلسية و بالخلافة العثمانية تباعا؟ و كيف لم يجد معظمنا فى قلبه ادراك القياس بين طوائف البروتستانتية المتطرفة فى رفض الالتزام بمؤسسية العقيدة Religious Establishment و الشعائر والايقونات و غيرها من مراسيمية العبادة المسيحية الغربية وموقف المعتزلة فى القرن الثامن الهجرى و الخوارج فى القرن السابع الهجرى من قضايا و مسائل

أسلامية مماثلة؟ وعليه ما هى العلاقة بين الارسطيين و الرواقيين و الخوارج و المعتزلة والبروتستانت و بخاصة البيوريتانيين اى التطهريين والنونكونفورميست Non-conformists اى اللا ملتزمين بمؤسسية العقيدة–الكاثوليكية الغربية؟ و هل يمكن جمع كافة غير الملتزمين بالعقيدة فى كومة واحدة و كان فلاسفة مثل باروخ سبينوزا 1632–1677 –و قد أتهم بالالحاد و كفره احبار يهود هولندا–يضع القرآن والكتاب المقدس جنبا الى جنب فوق رف واحد؟

و مع ذلك يتشارك الاخيرون جميعا كما ذكر فى مكان اخر لا تسامحهم فى منح من عداهم فضاءات و يخصمون حريتهم او ليبراليتهم على من عداهم باسم الليبرالية. ذلك أن ليبرالية الليبراليين الجدد و نظائرهم السابقة عليهم كانت قد عبرت عن نفسها على مر تاريخهم فى نكران حرية التعبير على من عداهم باسم حرية التعبير. فكيف سوغت عقلانية الاخيرين حقهم هم فى حرية التعبير دون سواهم؟

الباب الثالث: تنويعات الخوارج و المعتزلة السياسيين

– تنويعات الافانجليين الانجلوا امريكان و حزب البندقية:

من المفيد تذكر ان هذا البحث لا يجمع تنويعات العقلانيين من المعتزلة و الخواج السياسيين الليبراليين الجدد في كومة واحدة و لا يكوم كل منها منفردة فى كومة واحدة كذلك, فما بين الحلاج و ابن رشد و بين ابن سينا و الجاحظ ثمة ما قد يجمع و يطرح الا ان ثمة ما لا سبيل الى جمعهم مثلا و. قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد و تحاول هذه المجادلة تأمل تنويعات و تحورات ظاهرة او مناويل انتحال بعض المثقفين والمفكرين العرب والمسلمين عقلانية ليبرالية جديدة. فقد تلفع معظم الليبراليين الجدد و العقلانيين الجدد غالبا بعباءة العقيدة ما بعد الرأسمالية–المالية غالبا دون وعى غالبا او تغافلا يشارف الخديعة أو– ادعى علمانية متخاتلة والعكس صحيح. و ازعم ان العقلانية كانت قد تلفعت بايديولوجية سياسية أحيانا كثيرة و بعباءة علمانوية تخاتلا.

و كانت تنويعات ذلك الادعاء غالبا ما تجأر بالدفاع عن حرية التعبير فيما يصادر معظمها حرية من عداه على طريقة الا بأس بالحرية سوى انها تجعل الناس احرارا. و ينخرط معظم الليبراليين الجدد و نظائرهم فى مشاريع و يؤسسون مراكز بحوث لدراسة و الدفاع عن الديمقراطية–و الاحرى الدمقرطة دون الجرؤ على النطق بالفرق–البائن و كونه بين السماء و الارض– بين الاثنين صراحة. و يدرك معظمهم ان الفرق بين الديمقراطية و الدمقرطة هو ان الاولى حصاد تجارب نضالية شعبية طويلة على مر التاريخ و ان الثانية منزلة عقلانيا و تخاتلا من شرفات الليبراليين الجدد و هم يطلون على الشعوب من عل دون ان يختلطوا بهم و لا يقدمون على اشراكهم فى عمليات الدمقرطة بل يكرسون شرط استلاب الشعوب بتغييبها تطيرا منها كونها غير قابلة للرشوة وتستعصى على الانكسار.

اما ما يحث بعضهم الخطى نحو خلق شرط حلوله فهو تكريس الدمقرطة من فوهة البندقية او–و من فوق الدبابة ابراهام 8. و يتسائل احد معارفى القدامى–و لا ارى ان اذكر اسمه حتى لا احرجه–يتسأل بصدق برئ او ربما غافلا عن اجندة الليبراليين الجدد و قد حيره ما رآه يتكرر امام عينيه عاما بعد عام

""كيف يمكن خلق ديمقراطية بدون الشعوب؟" فمن هم اؤلئك الليبراليين العقلانيين الجدد ممن راح بعضه يعتنق عقيدة اعادة تشكيل العالم و التشكيك فى عقيدة من عداه و ربما تعين على تشويهها؟

أزعم ان ظاهرة ما يتمثل اليوم فيما يسمى بالليبراليين الجدد تعود الى و تتصل باماكن وأزمنة سحيقة و تعيد انتاج نفسها على مر التاريخ المكتوب والمسكوت عنه منذ ابناء يعقوب حتى اليسوعقراط. على انها فى تراتبها التاريخى الكرونولوجي فان المادة الخام لهذه السردية قد تبدأ باكرا قبل الهند و قبل وجهة نظر معات الكونية Ma'at World View فى وادى النيل الاسراتى. و لعلها اتصلت بالصوفيين الكلاسيكيين و الفلاسفة اليونانيين اكثر من غيرهم . و ازعم ان عصيان الخوارج و المعتزلة السياسيين لمؤسسية العقيدة السائدة جاء المسيحية عن طريق الخارجين على مؤسسية العقيدة الاسلامية عبر المتكلمين و تنويعاتهم بوصفهم سفر تكوين تنويعات الخوارج و المعتزلة و نظائرهم. و اجادل ان بعض الخوارج السياسيين او المسييسين عقلن الخطاب فزوقه Euphemised their discourse فى اجندة عقيدية او دينية اسلامية. وسوف يلاحظ كيف ان العقلانية او العقلنة و التزويق يسيران يد فى يد و الا لم تستقم العقلنة بوصفها براجماتية التحايل على طرح و تكريس ما هو غالبا غير قابل للنطق باسمه.

وقياسا استخدم مفردة العقلانية كظاهرة فى هذا البحث لمصلحة الجدل بوصفها تصدر عن الصوفيين الكلاسيكيين والفلاسفة اليونان من سقراط و بخاصة ارسطو عبورا ب "المتكلمون" تباعا. و لعل المتكلمون و نظائرهم من اهل الكلام كانوا قد اتصلوا بفكرة اعتماد ما يسمى بالعقليات فى تقرير العقيدة كالكلابية و الاشاعرة–و قد تاب معظم الاخيرين على عهد المتأخرين منهم فعاد الى السنة نادما على مغالاته–و الماتريدية و الجهمية و المعتزلة و بتزويق الكلام و رفض الحوار. و لعل سفر تكوين تصويغ الكلامٍ Spin اى العلاقات العامة باجادة الخطابة يعود الى الصوفيين اليونان. فقد قال جورجياس احد زعماء Gorgias الصوفيين اليونانيين "ان النصر يذهب الى الذي يتحدث بصورة افضل" Victory goes to him who speaks better. بل ربما عادت الطريقة التى تعمل بها الديمقراطية الليبرالية الغربية الى الصوفيين اليونان.

و لعل المتكلمون اقدر من وظف باكرا تدوير الكلام Cycling و التزويق Euphemism و المجاز Spinحيث اتصل الكلام عندهم بالمجاز والتزويق. و يستخدم المتكلمون و نظائرهم المجاز او ما اسميه احيانا تزويق الكلام حتى يقول الكلام ما لا يعنى الكلام اصلا او لا يقول شيئا. و قياسا لا يصل الكلام الى معن محدد او مفهوم بل يرفض التعريف ناهيك عن المجادلة.

و ازعم ان مثل ذلك المشروع يتحايل على ذكر الحقيقة كونها غير قابلة للافصاح عنها. و قياسا يبقى مشروع المتكلمين السياسيين و نظائرهم مثله مثل مشروع المحافظين الجدد و الاصحاح القديم غير معرف بصورة تذكر اوتنسى بل يرفض التعريف و قد تستر وراء مزوقات لا متناهية و كالدستور غير المكتوب يفتح فضاءا على المراوغة و على اعادة ترتيب الاحداث و اعادة انتاج المشروع حسب الطلب فى كل مرة. و تغدو مفردات ذلك المشروع تعبير عن منهج بحثى متخاتل و الاحرى لا منهج بامتياز.

فمفردات مثل ذلك المشروع هى لا ممنهجه بالنتيجة. فاستخدام تعريفات بعينها دون غيرها لا يوفر سوى المفهومات التى تستدعى التكاذب فى التعبير عن الواقع مما ينجح الكلاميون غالبا فى تحويره فى التعبير عن واقع لا يزيد على واقع افتراضى Virtual Reality.

و يقول المتكلمون فى المجاز ان " كل اسم هو اما شائع او غريب او مجاز اوحيلة او مختلق او مطول او موجز او معدل". و يكررون ان "المجاز نقل اسم يدل على شئ الى شئ اخر و النقل يتم اما من جنس الى نوع او من نوع الى جنيس او من نوع الى نوع. او بحسب التمثيل ... و من جنس الى نوع ما.. و تكون المثاله هنا فى "توقفت سفينتى لان الارساء ضرب من التوقف.."[101] و ازعم ان تحورات المجاز بهذا الوصف اوسع شيوعا اليوم فيما يزوق المجاز بدوره فى مفهوم او لا مفهوم العلاقات العامة و تدوير الكلام و فى نسج الكلام SPIN و غير ذلك مما يشارف عادة سقط القول الذى قد يعلو اما باجنحة من الترديد بالالحاح على على الذهن و الخاطر يزاحم القول الحق و يطرده الى بيداء اللا اقرار.

وكان رودريارد كيبلينج Kipling شاعر الاستعمار الاول و سيد العقلانيين المحدثين قال ما معناه "ان ترداد نصف الحقيقة او انصاف الاكاذيب على الناس بالتكرار حري بالا يترك فضاءا لبديل للحقيقة الكاملة. و لعل المجاز او الكلام المزوق ينفى اى بديل للمعنى المطلوب تكريسه و يطارد ما عداه و يتهمه بالنظرية التآمرية مثل تحريم تعريف الارهاب و القول بان حرب الصدمة و الهول Shock and Owe من شانها كسب عقول و قلوب العراقيين و ان اجنياح العراق تحرير و ان تدمير العراق دمقرطة و التعذيب عزف خارق للعادة Extra Ordinary Rendition.

و الاخطر بقيت الاكاديميا الغربية تحرم تحليل الواقع من وجهة نظر الاقتصاد و قد بات التحليل الطبقى و تأمل مفردة المجتمع كفر بحق الفكر ما بعد اللبرالى. و كان ذلك الحظر الاكاديمي–و قد بدأ مع نهاية القرن الثامن عشر و المبدأ الانسانوية و التنوير وصولا الى الستينات و تباعا ان لم يكن باكر قد أوقع فى احابيله بعض كبار مفكرينا مثل ادوارد سعيد الذى كرس مقولات ثقافية لتحليل ظاهرة الاستعمار فى تثملات الاخير فى الاكزوتية او الاستشراقية. و حيث كان الحكام و اصحاب المال–الرأسماليون–و ما تبرح يكتبون التاريخ فلا الطبقة العاملة ولا دافع الضريبة يكتب التاريخ. و قياسا تنحت الرأسمالية مفرادات اللغة و تسيطر على معمار اللغة و ترتهن الخارطة الذهنية للمتحدث بلغتها هى التى تغودو بهذا الوصف حقلا من الالغام.

و يلاحظ كيف ان الرأسمالية المالية المنهزمة تمفصل تباعا مزوقات جديدة لوصف تأميم السندات والمصارف السامة Toxic or Lethal stock banks. فقد بات التأميم يعرف فى ادب الازمة غير المسبوقة–غب انهيار المصارف المالية و التجارية–فى مفردة "المحافظاتية Conservativism رغم أن المعنى الحقيقى لشراء الدولة للمصارف بالمال العام اى بمال دافع الضريبة ليس شئ اخر غير التأميم. و لما كان الاخير تجديف بحق الرأسمالية بتنويعاتها و بخاصة ما بعد الصناعية المالية فلا تعدم بريطانيا

ان تزوق تاميم المصارف الهالكة بمفردة اعادة رسملة المصارف Re-capitalization او اعادة تزويدها بالمال الخ يمعنى تيسيرا لخصخصتها مجددا.

المهم اجادل ان لعل المتكلمون يؤلفون سفر تكوين النظائر الحديثة عربيا و اسلاميا. و حيث ازعم ان الليبرالين الجدد و نظائرهم المحدثة و رعاتهم المحافظين الجدد تنويع على الخوارج السياسيين الا اننى لا اكوم الخوارج السياسيين فى كومة واحدة مثلما لا اكوم المثقفين الليبراليين العرب او غير العرب بدورهم فى كومة واحدة.

و ازعم ان كبار الخوارج كان قد تأثر بالصوفيين الكلاسيكيين و فلاسفة اليونان كسقراط–الذى يدعى هذا البحث انه خزرى– وبخاصة أرسطو المتحدر مما بات سفر تكوين جمهورية الخزر. و كانت الاخيرة قد خصمت على مقدونيا التى اجتاحت اليونان تباعا منذ عهد الملك امينتاس الثانى Amyntas الذى حكم مقدونيا ما بين 393(أو 389) الى 369 قبل الميلاد–وصولا الى استعمار اليونان بالكامل. و قياسا فاكل من سقراط و ارسطو ليسا اثينيين. فالاول يستحيل ن يكون كذلك فابيه صانع طوب و هى مهنة الطبقات الدنيا من غير اليونانيين. فاليوناني الحر لا يمتهن مهنا يدوية. اما ارسطو فهو مقدونى من اصول تشارف الارستقراطية المقدونية من جهة امه و كان ابوه طبيب الملك فيليب الثاني كما سنرى. و قد عاصر كل من سقرط و ارسطو حروب اثينا و اسبارطا و عهد الملك المقدونى فيليب الذى وصل العرش فى 360 ق م و بات ارسطو صديق الملك فيليب و مربى الاسكندر الاكبر. و كان الخزر يعيشون فى اليونان و لم تنفك ان باتت للخزر كما ذكرت فى مكان اخر جمهورية باسمهم[102].

و اجادل ان بعض العصاة من الخزر و اعراب الشتات المشهود لهم كان يشايع او–و كان ممن اخترق المسيحية الغربية و ربما الشرقية–مثلما كانت تنويعات باكرة من الاخيرين قد اخترقت السلطة الدينية و العلمانية الاموية و العباسية المشرقية ثم المغربية تباعا معا. و ربما كانت التنويعات اللاحقة بدورها مثل المسيحية اليهودية واليسوعوقراط و المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد و العقلانيين الجدد و النسووقراط ممن يدعى العلمانية و بعض نظائرهم الاسلاموية تتصل بالسردية نفسها. فقد كرس احفاد الخزر و أعراب الشتات اختراق المجتمعات التى استضافت و تستضيف تنويعات الخزر و اعراب الشتات وبخاصة الصفوات الاوليجاركية المالية وقد تعين على الاولى الازعان للاخيرة جراء اقتدار تلك الصفوات المادى المالى و الفكرى والتنظيمى. فقد كانوا قد راكموا تلك الاموال و الافكار و ما يبرحون يراكمونها كوظيفة لتجارتهم بين ظهراني شعوب العالم منذ ميصراما الى امريكا و خصما على شعوب تلك المجتمعات.

وربما كان مفيدا تذكر ان اوربا القديمة لم تكن تعرف حدودا للعالم ابعد من شواطئ المتوسط الشرقية. و ربما كانت اقصى حدود عرفها الاوربيوين الغربيون باكرا فارس شرقا و وادى النيل الاسراتى جنوبا. فقد كانت الاولى قد دخلت فى حروب مع اسبارطا و اثنيا. و كان اليونان العصاة يلجأؤون الى فارس فى وجه الاضطهاد الفكرى و من بين الاخيرين هيرودوت وفيثاغوراس ابو الارقام الكبير المولود فى القرن

السادس قبل الميلاد بجزيرة ساموس فى اسيا الصغرى. و كان ابوه تاجرا فينيقيا. و كانت فارس تعينت على عهد حمورابى 282 ق.م. الحاكم القائد الفارسى العظيم و سيد القانون على ما يشارف حماية حقوق الانسان. و كانت أوآخر سنوات عهد حمورابى قد اتسمت بهجرات عظيمة سجلها الاصحاح القديم- انتقائيا-على اساس عرقى أو اثنى و بالتالى تمييزى تفريقى.

الا ان حمورابى 282 ق.م. وضع من المواثيق التى تعلقت بشئون المهاجرين و غير الفارسيين و الفارسيين فى 1786 قبل الميلاد ما شجع على تجاوز التمييز اليونانى. و كانت تلك القوانين تحدد حقوق و واجبات السكان و المهاجرين فكان أول من جاء بقانون حقوق الانسان بهذ الوصف فى التاريخ بامتياز مما يسر للعصاة و المتمردين فكريا و المعارضين لحكوماتهم امثال اليونانيين اللجوء الى فارس. و رغم ان هيرودوت لجأ الى فارس الا ان التاريخ الذى تعين هيرودوت على كتابته كان حريا بان يستعير عنصرية اليونان-اثينا-و اسبارتا فى تصنيف الناس بين يونانيين احرار و من عداهم عبيدا و اماء و برابرة.

و قد عرف اليونان وادى النيل الاسراتى فقد هاجر الدارسون اليونان ليحصلوا العلم و المعرفة بمدن وادى النيل الاسراتى الشمالى الخارجية و الداخلية. الا ان اليونان المستعمرة الوادى نيلية الاسراتية تتجاهل عقلانيا وادى النيل الاسراتى او-و تغمطه بتخاتل كبير مؤرخيها هيرودوت الذى كان يحقد على فارس و قرطاج و وادى النيل. و قد اغفل الغرب قرطاج ام الديمقراطيات الكلاسيكية وكان دستور قرطاج الانموذج الذى اخذت عنه اليونان و كان ارسطو يعتبره افضل الدساتير, و يتجاهل الغرب وادى النيل الاسراتى مهد حضارات حوض المتوسط او-و يبيض وادى النيل الاسراتى. ففيما خلا الاسرة 18 فقد قضت العقلانية الغربية ان يغفل وادى النيل الاسراتى حتى الاسرة 31 يقيض تبييض وادى النيل الاسراتى الشمالى خصما على وادى النيل الاسراتى الجنوبى-الافريقى-تسويغا لابادة شعوب افريقيا لاحقا.

الخزر و عقلنة اختراق نمط الانتاج الغربى:

كان الخزر قد عاصروا تلك المرحلة من تاريخ اسبارطا و اثينا و حروبهما بذلك الوصف فكانوا حريون بان يستدعوا اخيلة و شعائر و صيغ ذهنية مبدونة بل و الهة بدوية تشارف الالهة الهيلينية التى تترحل بين الجبال و الاوردية و السماء و البحر و ما تحت الارض مما اناقشه فى دراسة اخرى. و ازعم ان تلك الذهنية و اؤلئك الالهة اتصلوا و قد باتوا يتصلون بذهنية الهجرة و بالعمل المنقول و بالعبودية-المنقولة مما تحدر الى الاقطاع الغربى و تكرس فيما ما يدعى انه تطور او نشوء على الاقطاع فى مرحلة الرأسمالية و بخاصة ما بعد الصناعية-المالية. على اننى وكنت قد جادلت ان الاقطاع الغربى ليس سوى تنويع على النمط العبودى اعود فاضيف ان اقتران ذهنية المهاجر و المبدون و المترحل من كل مكان الى كل مكان كانت قد اصابت الاقطاع الغربى.

فقد اخترق اعراب الشتات كل من الاقطاع الغربى و الشرقى حيث كان الشرق من الجزيرة العربية الى القفقاز و ما وراءه و العالم الجديد مرعاهم و مسيلهم و مسارح تجارتهم و نشاطهم المالى منذ

الامبراطورية الرومانية الى العالم الجديد. هذا و اتعين على بعض ملامح مراكمة اعراب الشتات–الخزر– المادية و غير المادية و قد جمعت معظمها من جمل اعتراضية او–و شرح متون نصوص متسارة متسترة على تلك الظواهر على مر الاف السنين. فمن تداعيات نشاط الخزر التجارى رواسب تجارة الرقيق مع أوربا الغربية فى السلاف–شعوب اوربا الشرقية. فقد تاخمت حدود الاخيرين الامبراطورية الرومانية الشرقية عبورا ببيزنطة. و كان الخزر حريون بان يأخذوا سبايا فى حروبهم القبلية مع قبائل ما بين منطقة القفار و نهر الفولجا و يسترقونهم فيبيوعونهم.

و ازعم ان استرقاق من عدى الخزر كان قد قيض للخزر كل من مراكمة عظيمة الى اقامة ما يسمى جمهورية الخزر مما قد نشير اليه فى مكان اخر. و اجادل ان غارات اعراب الشتات على الشعوب السلافية كانت حرية بان تقيض على مر مئات السنين ظاهرة او مفهوم الرق الغربى المنقول–مرة مع صاحب العبيد و مرة مع ارض الاقطاعي الاوربي الغربى. و ازعم ان ذلك كان وراء نشوء معظم تنويعات الاقطاع الغربى بالوصف ادناه و غيره مما يفرق مؤسسيا بين الاخير و الاقطاع الشرقى.

عقلانية تكران الابداع على غير الغربى:هل الف الخزر الية نشوء الخوارج السياسيين خصما على من عداهم مرة واحدة و الى الابد؟

اتأمل قياسا على ما ذكر اعلاه و تباعا تعالق ظواهر تطور الخزر و توسع الخلافة العباسية و تداعيات ذلك التعالق طويلا لاجادل نشوء ظاهرة الخوارج و تنويعاتهم. و فى محاولة سرد و تحليل تلك التطورات فى تسلسل تاريخى محض فقد يجد الباحث صعوبة منطقية مما يتبينه القارئ فورا فى السياق و فى الشروح على المتون. و قياسا فحيث يتعين البحث على تناول ظاهرة الخروج او العصيان المسيحي و تنويعاته المحدثة عبورا بسفر تكوينه فى الاسلام ممثلا فى عصياة الخلاقة و الامامة الا ان مقابلة تمثلات العقلانية المعاصرة تبدو ملحة و ماثلة و جامعة مما يدفع البحث باتجاه تناولها قبل غيرها اثباتا ناجزا لبعض اهم فرضيات المجادلة.

و تتناول المجادلة التالية الظواهر التى تتعين على ملاحظتها و تحليلها بكل من تعدد المناهج Multi disciplinary approach النظرية و التحليلية. كما تحاول الى ذلك مقابلة الظاهرة–بقدرما تقيض المادة الخام –من وجهة نظر الاقتصاد السياسى. على ان اهم ما تتعين عليه هذه المجادلة هو تجاوز التخصص الضيق الذى يأخذ "عقلانيا" و تقصدا بتلابيب الواقع و الحقيقة. و تتأمل المجادلة الظاهرة و تحاول تحليلها فى سياقاتها الافقية و الرأسية و لا تحجم عن ان تجعل اسقاطات على بعض الظواهر المعاصرة على نظائر ممعنة فى القدم. و العكس. و تحاول المجادلة مضاهات المعاصر و الماثل بتنويعات عليه على مر التاريخ. كما لا تحجم عن الاستطراد فى التجريد و التحليل الفكرى و التعريف الاجرائى للمفاهيم متخللة السردية الاصلية بامل عدم لمساس بتسلس الاوقائع و الافكار.

وقياسا فعلنى لعلى بحاجة الى تحذير او تنبيه بعض القراء–مثما يحذر الاعلام الغربى الافراد الغربيين مرهفي الحس الذين تشعل الحروب باسمهم و توقع المجاذر اضاح لمصالحهم و من اجل قدرتهم على

الاستهلاك و مزيد منه–حين يهم بعرض صور قد تزعج المشاهد الغربى. و لعل بعض الاخيرين ممن يكون قد تعود على التخصص الضيق و اكاديميا و عمليات التأريخ المحاصرة بمناهج البحث الغربية و بخاصة الانجلو امريكية الانجلو امريكية التى تتآمر على الواقع و الحقيقة قد ينزعج للخروج عن الصف المفهوماتى أو المسطرة الفكرية العقيدية. ذلك ان الاخيرة تتعين على فصفصة كل واقعة بحد ذاتها على طريقة التخصص فى التشريح الطبى. و انبه من علق عليه الا يفهم الا على الطريقة المعهودة أن هذا البحث لا يحفل كثيرا بمناهج بحث البرجوازية الصناعية و لا بمناهج و براديجمات الرأسمالية ما بعد الصناعية–المالية خاصة و فوق كل شئ. فكل ما يرجوه البحث تفسير و التحليل و فضح غايات تلك المناهج. ذلك ان الاخيرة تتقصد النيل من وضوح الرؤية و التعميش على الواقع بمزوقات لا متناهية Endless euphemisms. و كان الاول قد كتف البحث عن الحقيقة و شوه الواقع جراء اكاديميا تشارف تعليم الخلاوى و ترداد ما قاله الاولون بلا تفكير او مبادرة. و لم تلبث الحكايات و البحث الفهلوى ان اطقا العنان للفوضى الفكرية و التنظيمية جراء كل من تسارع الاحداث و ثورة المعلومات. و قياسا فان "منهج" هذه الدراسة–و لم يعنى بالالتزام بمؤسسية العقيدة الاكاديمية الانجلو ساكسونية انجلوامريكية البرجوازية الصناعية و ما بعدها–لعل هذا المنهج حري بان يكون اكثر اخلاصا لمادة البحث. ذلك ان الالتزام بحق و جانب الواقع فى ان يوصف كما هو قدر الامكان و بمفردات تخصه مما تقتضيه الامانة العلمية. و عليه فلعل منهج هذه الدراسة حري بان يزعج كل من تعود على مناهج بحث الاكاديميا الغربية المذكورة التى درجنا على تجويدها و اثبات الباع فى حرفتها باحتفالية طافحة و بسذاجة تشارف خديعة واقعنا نحن قبل اى شئ مما اراه خيانة للحقيقة بامتياز.

وكنت قد شرعت فى البحث فى موضوع هذا الكتاب منذ اقل من عام و قد تعينت عليه ليل نهار. و كنت كالعادة فى خشية من فرضياتى غالبا. و كان اهمها البحث فى و تحليل ظاهرة الليبراليين الجدد و نظائرهم السابقة عليهم فى تنويعاتها المسيحية و الاسلامية و قياساتها من وجهة نظر الاقتصاد السياسى. و قد وجدنى متوحده فى البحث بصورة شبه كاملة. فلم اعثر على مرجع–رغم مثابرتى–و اعترف اننى لم احصل على بعض مما تمنيت ان اطلع عليه مباشرة مثل كتابات الياس مرقص–فلم اعثر على مرجع يشير الى ما هممت بقوله فى هذا البحث. الا ان ربك رب الخير. فقد داهمت العالم أزمة اسواق الائتمان العقارى. و لم يعد مع تلك الازمة سبيل الى التسارر.

فقد فضحت تلك الازمة الرأسمالية المالية–اى ما بعد الصناعية–المستور فى كل مكان و زمان ان امعنا النظر قليلا. ذلك ان ورقة توت المشروع ما بعد الليبرالي–الذى كانت الرأسمالية المالية تتخفى وراءه بمفردات متكاذبة متخاتلة على نحو غير مسبوق–لم تلبث ان سقطت. و ادرك جيدا ان الليبراليين الجدد حريون بان يدافعوا عن حياتهم و مستقبلهم ما بعد الليبرالى فى دفاعهم عن مصالحهم المادية مثلما يفعل اعراب الشتات على مر التاريخ. و يدافع الاخيرون عن اجندنهم ومشروعهم دفاعا عن مصاحهم الاقتصادية الاجتماعية. و ما ينفك الاخيرون يسوغون ما حدث ابان ايلول 2008 الاسود فى محانلة

انقاذ براديجما النموذج الامريكي للتنمية. و رغم ان كل من البراديجما كاطار فكرى لتحليل واقع غير قبال للاتقاط كونه متخاتل بلا حدود أو النموذج الامريكي للتنمية, و ربما زاود بعضهم على اسيادهم بالاصرار على ان النموذج التنموى الامريكى ما يبرح قابل للحياة. فسوف يستدعى معظهم قولة حق اريد بها باطل. و لن يتطرق–اى منهم الى ما حاق بالبيئة و لا بما يحيق بالمفقرين جراء الازمة التى جائت لتبقى طويلا الا بقدر ما يتسارعون و يتدافعون نحو صناعة ما يسمى التكنولوجيا الخضراء ليتربحوا كعادتهم مجددا من الكوارث التى يخلقوتها هم.

عقلانية تكران الابداع على غير الغربى:

هل يخشى العرب افتضاح تخاتله جراء نضوج وعي غير الغربى فاستشراف الاخير تلك المخاتلة؟ جادلت في اكثر من مكان ان الغرب و كانت اوربا الغربية من قبل مدركة اللا تاريخ لها. و ان كل ما تاريخ الغرب هو من منهوبات التاريخ و العلوم و الفنون و الثروات الا ما خلا ما فبركه من مشوهات كالتاريخ الذى ليس له و انما ادعاه باكرا و حرم كتابة اى تاريخ بديل و كالعلوم التى تتعين على ابادة البشر و الفن ما بعد الحداثى الخ. و قياسا كان على الغرب عمل كل ما من شأنه التستر على ذلك النهب. و قياسا غدى كل من يتنبه على حقيقة حريا بان يواجه بعقاب يتفاوت بين الاغفال و التجاهل الى الابادة مرورا بمحاولة سرقة ابداع كل من هو غير غربى.

و قياسا فان يرمق هذا البحث تداعيات العولمة مستدعيا نظائر باكرة عليها فى تنويعات الظواهر الماثلة و الباكرة فانه قد يتعين على التطرق لبعض ملامح العولمة فى تشابكها و تحولاتها و مثولها و لذوجة لغتها و تخاتل مفرداتها و وشوك افولها و مراوغة ظواهرها مع ذلك للواقع و الحقيقة جميعا[103]. فالعولمة الماثلة ليست فريدة و لا ابطالها غير مسبوقين. و ليس هذا بحديث اثارة يراد به اشاعة نوع من تفعيل او تنشيط الادرينالين- Adrenaline – و انما المراد هو التنبه على امر شديد الخطورة منها ما يتبدى فى تنويعة شديدة المكر والتخفى وراء العلم والكشف عن حقائق "جديدة" رغم انفضاح المستور–و بسببه–من فوق تلك الهضبة التاريخية العظيمة التى هى زماننا متسارع الاحداث لاهث النفس.

فحرية المعلومات و وفرة المعلومات و فوضى المعلومات تسمح فيما تسمح باعادة كتابة حقائق "تاريخية" ما بعد حداثية فى عمليات تشويه و "مسخرة" كل شئ. ذللك ان هذا هو زمان يحتفل فيه بتفاخر ما بعد حداثي ب "ان زوجا من الاحذية البالية لا يقل اهمية عن شيكسبير[104] و ان فتيات البهار" Spice Girls يقفن رمزا لتمكين المرأة. على ماذا؟ وقد بات اهم مشروع او ظاهرة سوسيولوجية فى الالفية الثالثة هو ارهاب الالهة حتى تذعن الالهة فلا تتهم بالعزلة و التخلف. و بالمقابل يدعى سادة الكون الاوليجاركيون الالوهية[105]. بالمقابل يصدر الغرب–الرأسمالية ما بعد الصناعية الاوليجاركيات المالية اوهاما تنموية و علاقات عمل عبودية بالالوان الطبيعية و باثمال بالية. فكيف يقيض تحليل الواقع بمناهج متكاذبة؟

–عقلانية ما بعد الحداثة و ابتذال الفكر والتنظيم:

قد يكون من الجائز تقديم هذه المجادلة بعرض اراء المفكرين و الفلاسفة الغربيين حول العقلانية والعلمانية اما على ما جرى عليه التقليد المنهجي "المعتبر" او–و توكيدا للباع الاكاديمى من حيث تسميع التعريف المطلق او المجرد للمفردة و او من باب رؤيتى لهذه المسألة–بوصفها لزوم ما لا يلزم. و لكنى اذ اترك عرض اراء الفلاسفة و المفكرين المعهودين مؤقتا لمن يرغب فى الاطلاع عليها اشير عليهم بموقع اليكترونى او موقعين للعودة اليهما ان ارادوا[106].

لماذا العقلانية الكلاسيكية و ما بعد الحداثية؟

ازعم انه:

ما بين فارس و وادى النيل الاسراتى و قرطاج لم يكن ثمة سبيل امام اوربا الغربية سوى ان تمفصل يونان لم يكن موجودا بهذ الاسم مرة, ومرة اخرى لم يكن يملك اداعاء اصالة فكرية لم يأخذها فلاسفته ومفكريه عن فارس و وادى النيل الاسراتى و بخاصة قرطاح. فقد كان على اوربا الغربية ان تدعى ان اليونان كان مهد ما يسمى "الحضارة الاوربية". و تستدعى الاخيرة فيما تستدعى كل من اليونان و روما. و لم تكن الاخيرة سوى تنويع حرفى على قرطاج. فقد علمت الاخيرة روما كل شئ تقريبا فيما ادعت روما قانون حامورابى الفارسى.

وبالمقابل فقد كان على العقلانية الرأسمالية بتنويعاتها و بخاصة ما بعد الصناعية ان تزوق سفر تكوين المراكمة الرأسمالية و تداعياتها على مر مئات السنين من خشية مغبتها على من عدى اصحاب المال.

و اجادل ان منهجية هذه المجادلة فى تحليل الظواهر التى تتعين عليها حرية بان تبقى بطبعها معبر عنها خارج زمان السردية(الرأسمالية) الغربية. ذلك ان الاخيرة لا تذكر تلك الظواهر ان ذكرت سوى كشرح على متونها هى او فى جملة اعتراضية فى افضل الشروط و قد صادرت كل ابداع فى سواها. و اكرر هذا الزعم و بى خشية من اثارة الملالة و لكن هذه الحقيقة باتت أهم من ان تغفل.

–هل أبقى سبيل الى الابداع؟

ان كان الغرب– و قد ادعى العلم و كرس فكرة ان العلم معقود عليه دون سواء– فقد راح الغرب يفلصف to falsify الداروينية بغاية "اثبات" فرضيات لم يقل بها داروين اصلا. ومع ذلك فقد راح الفكر الدارويني الملفق او المعقلن–وقد بات نخاع و عصب العقل الغربى سواء محافظ–ليبرالى او ماركسيولوجى–راح ذلك الفكر يستنكر على غير الغربى كل ما قد يدحض نظرية "لنشوء" و"الارتقاء" فالبقاء للاصلح باثر رجعى او بعدى.

و تلاحظ(ين) ذلك الميل الدارويني فى الفكر الاجتماعي فى ادام سميث–ثروة الامم و فى اقرار الاخير محفا بان التجار و المصرفيين هم مهندسو السياسة فى المجتمع –و فى ماركس-النمط الشرقى– حيث اختزلت البشرية فى الاقوياء خصما على أهم طروحات اولئك المفكرين الذين لم يقصدوا فى تلك الاطروحات شيئا من ذلك مثلما تري(ن) فى مكان اخر[107]. فحتى تنويعات ما هو غير غربي–انسانى–مما قد تنتجه الثقافات غير الغربية–اما يدعى او يسرق فى افضل

الاحوال او يباد فى مناويل للتطهير الاثنى و الثقافى و الاقتصادى, و تسقط علي التنويعات اللاغربية–مما هو بسبيل انّ ينضحّ فيغدو مغربنا بالقدر الكافى–تسقط علي هذه التنويعات مفهومات تصمها بعدم النضج, و قياسا فان التنويعات غير الغربية التى بسبيلها الى النضج موضوعيا تغدو مستهدفة للاستهانة. ذلك ان عدم النضج المفترض فى غير الغربى يقيض الاستانهة بالاخيراو–و تشويهه او اجهاضه كالاجنة الخديجة-بشد الدال وكسرها–فى افضل الاحوال.

ابادة العلماء العرب تكريسا لمخاتلة ما بعد الليبراليين الفكرية:

لا تخفى الليبرالية الجديدة كنظيراتها السابقة خشيتها من العلماء العرب و المسلمين الشرفاء ومن نشوء علم عربى مهم او بديل متين مجددا. و كانت الامبريالية الثانية–من منتصف لقرن الرابع عشر حتى سقوط غرناطة قد راحت تدعى القادة الافذاذ والعلماء المسملين او–و تغيير اسمائهم بحيث يستحيل احيانا التعرف عليها او–و تخفيها تماما. و كان البند الثالث فى قائمة الشروط التى طالبت أمريكا بها العراق عشية الاجتياح العظيم هو تسليم العلماء العراقيين. و قالت مادلين اولبرايبت–وزيرة الخارجية الامريكية فى الادارة 42 تحت رئاسة بيل كلينتون بالحرف الواحد "ماذا نستطيع ان نفعل مع العراق غير تدمير عقوله التي لا تستطيع القنابل الذرية ان تدمرها فتدمير العقول العراقية اهم من ضرب القنابل".

ولذلك كان اول ما فعلته امريكا حين اجتاحت العراق هو ضرب المؤسسات العلمية والبحثية والمدارس والجامعات واحراق المكتبات والتراث العراقي الذي اصابه النهب والسلب و فقد العراق 5500 عالم عراقي منذ الغزو الانجلو امريكي مارس 2003 . و قد تم اغتيال معظم العلماء العراقيين و بالمقابل استوعب من بقى من علماء العراق مصيره المحتم فهاجر من استطاع الى شرق اسيا وشرق اوربا. و يقول الدكتور نور الدين الربيعي -الامين العام لاتحاد المجالس النوعية للابحاث العلمية ,ورئيس اكاديمية البحث واحد ابرز العلماء العراقيين في مجال التكنولوجيا النووية- فى تصريح لصحيفة البديل المصرية "ان التقدم التقني للعراق كان احد اسباب الغزو العراقي الغاشم ... و "ان الغزو الامريكي للعراق كان يهدف الى تدمير مستقبل العراق باغتيال العلماء واحراق المجلدات العلمية في مراكز الابحاث التي تشكل خلاصة الابحاث العلمية التي انفق عليها اكثر من 10 مليارات دولار وان ٪80 من العاملين في الجامعات استهدفوا للاغتيال. و يحمل اكثر من نصف القتلى لقب استاذ واستاذ مساعد و٪ 62 من العلماء المغتالين يحملون درجات الدكتوراه وثلثهم مختص بالعلوم والطب" و كان اكثر من نصف الاغتيالات وقع بحق اساتذة جامعة بغداد , تلتها البصرة , ثم الموصل , والجامعة المستنصرية[108]. و بالمقابل تتعين امريكا و حلفائها على احتضان و رعاية "مثقفين" و "مفكرين" مجازا عرب و مسلمين و ترفيعهم حتى تقيض لهم الشهرة و الرواج خصما على من عداهم حتى صدق اؤلئك الافراد انهم مثقفين و مفكرين حقا.

البدائل الخائبة لعلماء العرب الشرفاء:

تتعين امريكا و نظائرها العولمية على انشاء مراكز و ملتقيات وعقد منتديات وندوات و تنصب مفكرين و مفكربات نسووقراطيات بالضرورة لمناقشة قضايا العرب و المسلمين–نساءا و رجالا واطفالا–المفصلية من الفقر الى الدمقرطة نيابة عن اصحابها بعد تفريغها من محتواها. و تتعين العولمة على مناقشة تلك القضايا فى فنادق الخمس نجوم و–و فى افخم المقار المؤسسية. و حيث كان معظم المثقفين العرب والمسلمين قد جوع حتى الموت الفكرى و التنظيمى من اى سلطة فان اى سلطة تقيض للمثقف او المفكر غير الغربى–حتى لو كانت سلطة ادارة جلسة–فانه يتمعشق بصورة تثير الشفقة فى كل دقيقة من الجلسة و يطيل و يصول و يجول و يعيد انتاج ديكتاتورية التسلط السلطوى الرسمى فى جلسة واحدة.

و كانت الاستخبارات الغربية قد ادركت كيف ان معظم العرب و المسلمين يتعامل مع المنابر من مراكز بحوث و مجلات و منتديات و ملتقيات كما يتعامل حكامهم مع الدولة \السلطة والثروة بوصفها ملكية خاصة. و قياسا مولت الاستخبارات لكل جماعة او حتى فرد منهم منتدى او–و ملتقى او قناة فضائية او جريدة او فصلية او الاهم مركز ابحاث تعويضا لؤلئك الافراد و الجماعات عن استلاب معظمهم المزمن.

و لا بأس من ان يكون مركز البحوث ل"ألدراسات الاستراتيجية" بمعنى تجاوز التكتيكى و الحاضر الى مستقبل ممفصل سلفا باجندة الاستراتيجية الرأسمالية. و لا تقل اجندة وخطاب الرأسمالية–المالية خاصة–عن تكريس عمليات الاستحواذ لحساب أقليات عولمية و حواري الاخيرة خصما على من عداهم. حيث انهم ما ان خصصت تلك المنابر فقد بات واردا بالنتيجة ان يغدو كل من ليس مع "منطلقات" تلك المنابل هو عدو مديرها مما يشخصن القضايا.

و لا يعيد ذلك ما يوصم به نمط الانتاج الشرقى تكاذبا من أنه جامد اسن و انما يخلق شرط تخشب اطراف الدراسات و يجعلها تنويع على الاحزاب السياسية التى تناصبها الاولى العداء باسم الديمقراطية او الدمقرطة بالاحرى. ذلك ان شخصنة مفهوم الفكر و القيادة و مفهوم التنظيم يجعل تلك المراكز الخ عاجزة عن التطور والتقدم ناهيك عن القدرة على اى فكر تنبؤى. و كنت قد اتهمت بعض تلك الكائنات بانيميا الفكر التنبؤي مرة. ذلك انه فيما تمنع تلك المراكز و نظائرها الضوء عن الشباب و تدخل فى تنافس مع الاخيرين و فى صراع فيما بينها الا انها تجتمع على كل من عداها فتصادر الحوار و البدائل والاخطر تبرع فى الحديث الى نفسها و تطرب لسماع صوتها هى. فكل رأى لمن عدى تلك الكائنات–برآي تلك الكائنات–مضيعة للوقت. و فى كل ما تقدم–و غيره مما اذكر فى مكان اخر–يبقى كل ما تفرزه مناشط تلك الكائنات هو تكريس قاموس الاستحواذ لحساب اسيادها و ارباب نعمتها بعد ان كانت تلك الكائنات قد تضورت طويلا الى كل من السلطة و"المصارى".

التخاتل المفهوماتى:

قياسا لا ينبغى تجاوز اخطر ممفصلات قاموس الاستحواذ حيث الفت فظائع الاستعمار لغة القوة و السلطة و التخاتل المفهوماتى Conceptual Deception خصما على حقوق الشعوب باجتزائها بين سياسات فرق تسد و تمزيق القبائل و الجماعات الى تقسيم الحدود فيما يشارف القنابل الزمنية او الموقوتة تهيئة لخلق شرط حروب اهلية بقى المستعمرون يوقتون تفجرها. و أزعم ان تلك الممارسات و السياسات لم تكن لتقيض عقلانى بسوى شعارات كما المنى و الرجاء و الامل المنشود. و بكلمات تعنى عكس منطوقها تماما. و ما تبرح السياسات الاستعمارية تقيض بالمخاتلة نفسها لتلقيق مخططات مماثلة مع تنويع المفردات. بل لم يعد ثمة حاجة لتبرير الاستعمار و حسب و قد رفض الغرب ادانة ما اوقعه الاستعمار بالشعوب المستعمرة و انما ينادى بتمجيد الاستعمار على غرار ما قاله بعض الماركسيولوجيين يوما استدعاءا لما جأر به ماركس–ربما بغير قصد–عندما احتلت ايطاليا ليبيا. ذلك ان الاستعمار بهذا الوصف بداية نهاية مجتمع جامد راكد غير قابل للتغيير بسوى عامل خارجى مزلزل.

و قياسا على ذلك يدرك المحكومون اى اغلبيات المنتجين للحياة و الكفاف بان الغزاة و الحكام و المستعمرين و اعراب الشتات[109] وحلفائهم يحتاجون فى كل مكان و زمان لغة تبريرية ذرائعية بالضرورة ف"عقلانية" بالنتيجة. و تعبر كلمات تلك اللغة و استخداماتها عن نفسها فى تنويعات ميثولوجيا السلطة منذ السبع سنين العجاف–و قد باتت سبعون عاما–فقد قامت و سقطت معظم الدول و الامبراطوريات من الامبراطورية النمساوية الى المنظومة السوفيتية عبورا بالبرجوازية الصناعية فى 70 او 75 عاما.

وتستبدل الحرب الباردة بالحرب على الارهاب و هكذا فى دوامة العصف المنظم بمن عدى اصحاب المصالح ليس وحسب فى فوضى مفردات مدلسة وانما بما اسميه الكلمات الحصون–الكلمات الباستيل–المنيعة التى ترفض فك مفصلتها.

و بالمقابل فقد باتت ملكة اغلبيات الناس اللغوية ضعيفة حتى الامية فى الوقت الذى تستخدم الكلمات للتكاذب على الناس و جرهم الى ممارسات زيفت بالكلمات الالقة لا اكثر مما ينطلى على الناس احيانا كثيرة قبل ان يفيق بعضهم من فعل سحر وشعوذة خطاب الرأسمالية ما بعد الصناعية. و يدفع الناس فى المحصلة النهائية ثمن ذلك التدليس كما فى كل مرة فى حروب و توسعات الاخيرة و فى تبديد موارد و افلاس مصارف و ضياع مدخرات ارباب المعاشات و صغار حملة الاسهم الخ. و تردد الكلمات صباح مساء مما يندس بلا هوادة بين اسطر او حوار الاخبار و التعليق على الاخبار و الاعلانات و المسرح و المسلسلات التلفزيونية او التمثيليات الاذاعية بانواع المخاتلة.

و تدرك الرأسمالية العرقية العنصرية–كما يقول ستيفين بينكر Steven Pinker فى كتابة المادة التى يصنع منها الفكر The Stuff of Thought– أن الكلمات هى نافذة على عقل الفرد و اقول على روحه معا. ذلك ان الانسان يعيش على الكلمات و نستخدم الكلمات لنعبر عنا كافراد و مجامبع و اقوام وعن حياتنا و ما نراه حولنا و عن عواطفنا و الافكار الاساسية التى تتشاركها البشرية من مفاهيم المادة و الفضاء و الزمن. الا ان اللغة المخاتلة تستخدم فى صيغة الماضى لتعبر عن حقائق وكأنها معلومة و

مفهومة بلا تغيير و انها لا متناهية. وتستخدم تلك اللغة فى المضارع او الماضى–لايهم–للتعبير عن احداث لا يزيد عمرها عن 3 دقائق. و يستخدم مفهوم الزمن الرأسمالى مفهوم الزمن المسيحى الغربى و كأنه قابل لان يسترسل او يمكن مطه الى ما لانهاية[110].

فقد بقى الزمن المسيحي الغربى خطيا Linear يتصل من الخلق و نزول ادم و حواء الى الارض الى مركب نوح الى يوم القيامة اليسوعقراطى عبورا ب"النهضة"و المبدأ الانسانوى تخاتلا. فقد كانت النهضة بابوية و المبدأ الانسانوي تزويق لانقلاب تقلانى على النهضة العليا. فقد تعين المبدأ الانسانوى على عالم افتراضي خيالى فى اذهان مفكرين راحوا يفضلون ابراج عاجية على الحياة بين الناس. و قد صوغت الممفصلات المذكورة اعلاه ما يسمى ب"الكتشافات الجغرافية الكبرى"–كون الاخيرة كانت سبيل اوربا الغربية الى التوسع والتقدم فالازدهار–خصما على من عداها من شعوب الارض. و قد اتصل الزمن الرأسمالى–المعلمن Secularized–من العلمنة غير مسبوقة- من "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" عبورا ب "المبدأ الانسانوي" Humanism و "النهضة" Renaissance و "التنوير" Enlightenment و "العقلانية" Rationalism و صولا الى تمثلات مشروع القرن الامريكى الصهيونى القيامى بدوره.

و بالمقابل بقيت رحلة افكار الغرب متصلة و سفر تكوين الغرب الفكرى باليونان الملفق و المسكوت عن حقيقته الموضوعية حتى عالم التغيير المناخى الذى ينذر بكارثية محققة بدوره. و كانت السيناريوهات الملفقة حول مراحل تطور البشرية–البيضاء بالطبع–قد ادخلت فى روع الغرب–الرأسمالية بتويعاتها وصولا الى الرأسمالية ما بعد الصناعية-ان التطور صاعدا ناشئا الى اعلى على نحو خطى. فان هلت الالفية الثالثة فان العالم قد خطى قدما متطورا على القرن العشرين. و كان الغرب والدولة الغنية خاصة قد اعتاد على مدى ال 200 عام الماضية على ما يسمى النمو Growth. و يتغنون بالنمو و يغوون به العوالم السفلية دون ان يقولوا نمو من؟ و قد راح الغرب يأخذ مفهوم وتوقعات النمو قضية مقطوع بها. هذا بصرف النظر عن ثمن ذلك النمو و من يدفع الثمن بما فى ذلك بعض الفئات السكانية فى المجتمعات الغنية نفسها و مؤكدا كافة شعوب من عدى الغرب فى المقياس المدرج. فالنمو ليس سوى نمو الطبقات صاحبة المصالح فى المراكمة خصما على At the expense of من عداها و قياسا يغدو النمو للاخيرين بمثابلة النمو السرطانى ليس الا.

ذلك ان انهيار الاسواق ما ينفك يدحض معظم التوقعات بما فيها توقعات الفئات التى تقع فى منتصف السلم ناهيك عن توقعات اغلبيات المنتحين. فلم تعد ادعاءات الاسواق تملك أو ترغب بالاحرى فى تحمل مسئولية ان يستمر الغرب و العالم بتلك الصورة. و تدرك الرأسمالية–و المالية بالذات–اليوم اكثر من اى وقت مضى انها ليست محقة فى تصور تطورها هى و صعودها الافتراضى الى اعلى الا قياسا على واقع افتراضى لا يمكن ادراكه سوى بحساب معدلات الربح و المراكمة الرأسمالية المالية و ثراء اقليات معولمة دون من عداها و خصما على من عداها. و قياسا فان ذلك لا يعنى ان التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية و الطبقات او حتى انماط الانتاج–الرأسمالية الصناعية السلعية مثلا–فى حالة صعود الى

اعلى باى شكل من الاشكال الا بقدر ما تتركز الرأسمالية الضناعية بهذا الوصف فى بؤر متروبوليتانية و بين صناعات بعينها مثل صناعة السلاح. بل العكس. فليس صحيحا ان ثمة تعالق طردى تناسبى بين تطور وسائل الانتاج و تطور علاقات الانتاج ولا بين ما يسمى "النمو" الاقتصادى العالمى و "تقدم" البشرية الا بقدر ما تعرف تلك البشرية انتقائيا بوصفها بيضاء نقية عرقيا.

و أجادل ان الغربيين حريون بان يكتبوا التاريخ–عقلانيا بالوصف اعلاه و تباعا–فى فراغ الكون فلا شئ قبل تاريخ الغرب و لا شئ بعده الا بقدر ما يكون ما عدى تاريخ الغرب شرح على متون تاريخ الغرب– ان كان او–و الاحرى عصور مظلمة Dark Ages. و عندما تصدر السردية الغربية موضوعيا عن تاريخ غزاة و مستوطنين و مغامرين و متآمرين و اوليجاركيين–و معظمهم ان لم يكن كلهم اعرابى مترحل متبدون–بالضرورة–فان كتابة تاريخ موضوعى للحقائق يستحيل. و قياسا يغدو التاريخ الرسمى لتلك الجماعات مزوقا يعمش عقلانيا على الحقيقة بالنتيجة. و تختلق تلك السردية بالضرورة مفهوماتها و مفرداتها و صيغها الذهنية و معمار لغتها جميعا.

و اجادل ان الغربيين يكتبون التاريخ–على غرار ما يفعل اعراب الشتات–عقلانيا فى فراغ الكون فلا شئ قبل تاريخ الغرب–اعراب الشتات–و لا شئ بعده. و يكرس الغرب–اعراب الشتات–مفرداتهم و مفاهيمهم خصما على اى مفردة و مفهوم و فى مواجهة اى مفردة او اى مفهوم.

ذلك ان مفردات الغرب–اعراب الشتات–و مفاهيمهم تعبير عن ذهينة تتعين على تصوير الوافع واقع الغرب–اعراب الشتات–بصورة افتراضية اكثر منها موضوعية فى غياب المجادلة و المراجعة كما تختلق سردية اجتياح العراق الرسمية و الاصرار عليها فى وجه اى تقرير او سجل عداها. و يتم ذلك بالحاح على الذهن و الخاطر الشعبى فى كل مكان و فى تغييب و غياب اى واقع عدى وقائع تلك السردية الملفقة على طريقة الرأسمالية–المالية–الفائقة و خصما على ذهنية و واقع من عداها. فكيف نستعير نحن لغة تذرى بنا و تخاتل عند ذكرنا و تجود مفردات للحط منا بل الاخطر تتقول بنهايتنا؟

و مع ذلك فمن المشوق تأمل كيف يحتفل العالم الشعبى و غير الرسمى بالعراق ويستمثل العراق–ان صح التعبير–فى كل مكان كون اجتياح العراق بات رمز استقطاب العالم بين خندقى الباطل الامريكي و صحيح الحركات الشعبية المعادية للسياسة الخارجية الامريكية و النموذج الامريكى التنموى. فقد راحت العراق تؤلف بورة Focus استقطاب الناس فى مواجهة الرأسمالية المالية الفائقة وتكرس ضرورية Essentialism التضامن الشعبى فى كل مكان فى مواجهتها.

و اذ تحاول هذه المجادلة فيما تحاول تفكيك و اعادة قراءة مفردات السردية الغربية و نظيرتها سردية اعراب الشتات من اسفل فانها تحاول اعادة تعريفها و وصولا الى تأسيسية مفهوماتية تخصها فايقاف تلك المفاهيم على قدميها.

ضرورية تعالق العقلانية و المخاتلة:

تتمأسس حرية التعبير لدى الليبراليين الجدد و اسلافهم فوق خلق ما يشارف خندقى باطل بتكريس ما لا يقل او يزيد على قولة حق اريد بها باطل. و ذلكم هو احد تعريفات العقلانية. و من تعريفات العقلانية فى هذه المجادلة ان يقال سرا ما لا يلزم او يستحيل اعلانه او–و قول ما يحتمل اكثر من تأويل تكاذبا فيطرح كل تأويل حسب الحاجة و اللزوم و المخاتلة. و يلاحظ الناس فى كل مكان كيف باتت تلك المخاتلة رخيصة. و العقلانية مثلا ان تهدد الادارة الامريكية 43 الحكومة العراقية سرا فى صيف 2007 باسقاط حكومة المالكى اذا لم توافق الاخيرة على توقيع اتفاقية النفط. وتعلن الادارة المذكورة فى نفس الوقت ثقتها فى حكومة العراق المنتخبة "انتخابا ديمقراطيا حرا" وتجأر بان دولة العراق ذات سيادة و لحكومته ان تقرر ب"استقلال عن اى جهة غير ارادة الشعب العراقى".

والعقلانية ان يجأر الرئيس الفرنسى نيكولاس ساركوزى فى كابول الثلاثاء 19 اغسطس 2008 ان وجود قوات الاطلنطى فى افغانستان لبناء الاخيرة و فوق كل شئ "حماية لنا و لمستقبل ابنائنا". و العقلانية ان يجأر جوردون براون رئيس وزراء بريطانيا الخميس 21 اغسطس 2008 ان ما يقوم به جنود التحالف فى افغانستان هو فى سبيل الحرية و التقدم فى العالم. و يقصد بالحرية و التقدم حرية حركة و تقدم رأس المال المالى و شرط مراكمة الاخيرعقلانيا.

والعقلانية ان يعطى جنود الاحتلال عقاقير تقضى على الضمير و الوعى فتحولهم الى الآت آدمية للقتل Killing Machines و كأنهم اموات تحركهم اعمال سحرية Zombifying the soldiers leaving them without conscience و اجادل فيما اجادل تباعا أن يغدو البشر عقلانيا بنظر الليبراليين و العقلانيين الجدد كمثل ما لدى اسلافهم من قبلهم محض تراكمات عددية لا وجوه لها. و العقلانية ان تتغالط الاطراف غير المعنية حول احصاءات قتلى تلك التراكمات العددية من المدنيين–و العسكريين– من الاهالى فى حروب غصب الاخيرون عليها. والعقلانية الا يسمع للاطراف المعنية–الضحايا من المدنيين فى كل مكان و كل صباح صوت. و العقلانية ان يثابر الاعلام البريطانى بانواعه اياما على مقارنة تسليم جثمانى جنديين اسرائليين من لبنان مثلا الى اسرائيل و تعرض صور احزان ذويهما باستطراد مع عودة 5 اسرى لبنانيين جراء الحرب الاسرائيلية اللبنانية صيف 2006 دون ذكر 199 جتمان لبنانى من اسرائيل و لا احزان ذوى الاخيرين.

و تؤلف اخبار تلك الضحايا المعقلنة قصص نشرات الاخبار وصورها التى ينبه المشاهدون على كونها قد تكدرهم او– لا تزيد الاخبار على تكريس اكزوتية الاخر بانتقائية السرديات المثيرة و المشوقة للمشاهد و المستمع او القارئ. فقد احتل الاعلام الغربى مكان المستشرقين. ذلك ان الواقائع اليومية تكون قد عقمت و الصور قد حررت رقميا Digitally Edited و قد طهرت الصور و الاخبار من كل ما ينبئ بما سال من دماء الا ما خلا حذاء قديم والاغلب نعال قديمة ممزقة سلفا و قبل الانفجار عائمة فى بركة صغيرة من دم مغسول بماء وبزيت امتزجا بتراب جانب الطريق.

و العقلانية ان يقتل جنود الاحتلال و يعتقلون و يعذبون الاف العراقيين بدون مراجعة و تنتقى تكاذبا حادثة ضرب بهاء سعيد العراقى حتى الموت ليحقق فيها تدليلا على عدالة قوات الاحتلال. ومع ذلك تسقط التهمة–بعد التحقيق الملفق غالبا لعدم توفر الادلة الكافية عقلانيا–عن قائد الكتيبة فى البصرة و يستقيل. و رغم ان الضابط المذكور اقر بمسئوليته الا انه يبرر عقلانيا ماحدث بانه كان يقود كتيبة قوامها 600 جندى وحسب كان عليها حفظ الامن بامكانات قليلة جدا و هو يواجه مدينة–البصرة–تعداد سكانها 1.5 مليون نسمة. و يخرج الضابط الرفيع على الناس يدافع عقلانيا عن نفسه فى الصحف و التلفيزيون و الاذاعات فيما يبقى لوالد بهاء سعيد تربية حفيديه بعد ان قضت امهما بالسرطان.

و لا يفى ذلك الضابط الرفيع بوعد قطعه لوالد بهاء سعيد بان يوصل التحقيق الى مداه لمعرفة الجناة و معاقبتهم. اذ لا يصل التحقيق الى شئ. الا ان ذلك الضابط الرفيع يكتب قصته و قد بات نجما و تغدو قصته من ثم من الاكثر مبيعا فيشتهر و يثرى و لا يسأل احدا اذ لا يجرؤ احد على السؤال المبدأئي "ما الذى ذهب باؤلئك الجنود الى العراق"؟ و لا يذكر كونهم يوطدون مجددا مواقع اقدامهم فى الشرق الاوسط "الكبير" تحت رايات عقلانية اخرى.

والعقلانية ان تأسف القوات الامريكية فى العراق–و لم تعتذر طبعا فللاعتذار مغبة الاقرار بتعويض ما للضحية–تأسفت على مقتل 9 اطفال و 6 نساء الخميس 11 اكتوبر 2007 فى معركة مع "العصاة" الذين قتل منهم 19. و يجأر المسئول العسكرى عقلانيا بان مقتل المدنيين نتيجة لا مبالاة العصاة الارهابيين بارواح المدنيين. ذلك ان الارهابيين و كافة خصوم الغرب حريون بان يجعلوا المدنيين حزاما بشريا بينهم و بين القذائف الامريكية او فى مواجهة قوات الاحتلال كونهم لا مبالون بالحياة اصلا.

فالعقلانية ان يزعم ان الخسائر الموازية بجريرة ماليشيات الصدر او السنة او الطالبان كونهم ينطلقوم من و يحتمون بمناطق اهلة بالسكان المدنيين.

و العقلانية ان يقتل الاطفال و النساء فى حضن مقر الامم المتحدة بقانا مرتان و ان يذبح اكثر من 8 الاف ولد و رجل فى سيبرنيتسا و توزلا تحت حماية القوات النوريجية. و العقلانية ان يمنع السلاح عن البوسنيين حتى لا تغدو يوغسلاقيا كما قال دوجلاس هيرد وزير الخارجية المحافظ السابق "ارض قتال او ارض معركة متكافئة A level killing field . و العقلانية ان تجأر مادلين اولبرايت بان العقول العراقية لا سبيل الى القضاء عليها بالقنابل و انما بغزو العراق كاملا و حسب. فاسقاط النظام العراقى واشاعة الفوضى المهيكلة الو المنظمة فى كامل المنطقة يستحق ان يدفع موت نصف مليون طفل عراقى ثمنا له.

و حيث يقام نصب تذكارى للجندى المجهول البريطاني مثلا[111] لا يعرف عدد الفلسطينين من ضحايا الاحتلال الاسرائيلى ناهيك عن قتلى المسملين فى كل مكان[112]. و قياسا فمقتل محض 160 الف بريطاني على مر حروب و عشرات السنين منذ 1948 ضحية الحروب من حرب السويس الى حربى العراق و افغانستان عبورا بحروب جنوب شرقى اسيا– كوريا و كمبوديا و الفيتنام–الى الفولكلاند و

البوسنة و ضحايا الارهاب–ان عدد قتلى بريطانيا على مر 60 عاما لايدانى خسائر العراقيين الموازية فى أشهر. فالعقلانية الا يحصى عدد قتلى العراقيين بايدي قوات الاحتلال اذ ترفض الاخيرة احصاء ضحاياها و تجأر انها لا تقعل We do not do body count. فاعداد العراقيين "ثمنا يستحق دفعه" لتحرير و دمقرطة العراق.

وغالبا ما يقدر عدد الضحايا اليوميين من المدنيين العراقين و الافغان تقديرا احصائيا تقريبيا معقلنا. و تتغالط الجهات العسكرية و المنطمات الاهلية و غير الحكوبية حول اعداد ضحايا غزو العراق ناهيك عن الجرحى و المعوقين جراء انعدام الامن و اعداد المقتلعين و المهاجرين داخل و خارج اوطانهم.

والعقلانية ان يصرح مسئول عسكرى الجمعة 12 اكتوبر 2007 بان غاية انسحاب القوات البريطانية من البصرة تسليم العراقيين مقاليد سلطة بلادهم–و قد يتم بصورة كاملة فى 16 ديسمبر 2007 اى بعد ما يشارف 5 سنوات من الاحتلال.

والعلاقلانية ان يجار ذلك المسئول بان "ليس للبريطانيين الذهاب الى بلاد الغير و فرض انفسهم و طريقتهم" على اصحاب تلك البلاد. فكل ما هناك فان البريطانيين يتعينون على مساعدة العراقيين على حكم انفسهم بانفسهم. و كأن العراقيين لم يعرفوا حكم انفسهم قبل الاحتلال ناهيك عن انهم حكموا انفسهم منذ الاف السنين دون "مساعدة" الغرب.

العقلانية ان تدعى امريكا انها فى العراق بقرار من الامم المتحدة و انها تحتاج قرار من الحكومة القائمة لمد فترة الانتداب التى حددتها الامم المتحدة لبقاء القوات الامريكية فى العراق. و العقلانية ان تجأر امريكا بانها غير مسئولة عن التغيير المناخى لان الصين و الهند لم توقعا على اتفاقية كيوتو و تنسى ان امريكا لم توقع على الاخيرة. و العقلانية ان تجأر امريكا بان قوانيتها تحرم التعذيب و تنكر امريكا القيام بتعذيب المعتقلين بتهمة الارهاب فامريكا لم ترتكب شيئا من ذلك الا 3 مرات.

فهل يلاحظ بعضكم كيف تستخدم هذه المفردة اللعينة فى تزويق ذرائع التدخل اللامتناهى فى شئون كل من عدى الغرب؟

و اموت و بى شئ من كلمة "مساعدة" غير الغربى ليغدو حداثيا بل ادميا اصلا.

و يؤكد ذلك لدى ان التعريف العقلانى بالمعنى التنويرى ما بعد الحداثى العولمى للدمقرطة هو مساواة الناس بالارض فى الملهاة الفاجعة المسماة الشرق الاوسط الكبير اى القضاء على العرب و المسلمين قدر الممكن.

عقلانية الاستشراق الاعلامى الرأسمالي الغربى و اقطاعوية Feudalising ***التخصصات المعقلنة:***

يتخصص معظم الصحفيين الغربيين–مثلهم مثل الاكاديميين الليبراليين والماركسيولوجيين الغربيين–فى جزئية من جزئيات أوصاف و ملامح الشعوب الغريمة و كان تلك الشعوب و جزئيات حياتها و ثقافاتها اقطاعات. فلكل من اؤلئك الصحفيين و الاكاديميين والنسووقراط و التنمويين Develop mentalists الخ اقطاعية "مذربة" مسيجة او الاحرى حواشات اقطاعية لا يقترب منها سواهم. و من المفيد تذكر

اهمية مفهوم الاقطاع فى مشروع السيطرة. فالاقطاعية صغيرة و حجم سكانها قليل و تسمح بالتجريب و اعادة التجريب خارج السيطرة السياسية و الدينية للمجتمع المضيف مما اخذه الاكاديميون و معظمهم من اعراب الشتات و ربابيهم عن اعراب الشتات. و ازعم ان للاخيرين ولع بالاقطاع و قد كرسوه فى اوربا رغم كافة الادعاءات و نقلوه الى العالم الجديد فى تنويعة مجددة اشرت اليها بنمط اللا انتاج الشمال امريكي.

المهم يتعين الاكاديميون المذكورون على فلصفة[113]–من الفالصو أى المعدن او الشئ او الفكرة المسترخصة–بتبديل و تحوير المعنى الواقعى لكل شئ. فالاكادميين و الصحفيين الخ يتعنيون على عقلنة الحديث عن الحقيقة بلغة ممعنة فى العقلنة حتى غدت اللغة–و قد باتت حقلا من الالغام–فاضحة و غير قابلة للتصديق. و كان غموض اللغة و تكاذبها قد بات اكثر تمثلا من ان يتصل التستر عليه. وقد تخصص المراسلون بانواعهم من السياسيين و الحربيين والاقتصاديين الخ فينا, و من الصحفيين اللذين تخصصوا فينا فرانك جاردنر–وقد زاد حقه فى التخصص فينا مجددا و بلا منازع كونه غدى قعيدا برصاصة متطرف سعودى او احد اعضاء القاعدة و لا يهم فكل عربى و مسلم ارهابى او عضو فى القاعدة او الطالبان. و لم يعد جاردنر خبيرا فى الشرق الاوسط وحسب و انما بات مؤسسة قائمة بذاتها بل سلطة authority فى سبر غور الحالة النفسية و الذهنية الشرق الاوسطية[114]. و ما ارخص التخصص فينا.

و يقول جاردنر غب انسحاب القوات البريطانية من قصر البصرة بان السردية العربية و الا سلامية لا تميل وحسب الى و انما تتعين على المثابرة على القول بان كل مواجهة بين العرب و المسلمين و الغرب–امريكا و بريطانيا على الخصوص–تدفع الغرب الى تعديل موقفه من بعض القضايا العربية و ان ذلك التعديل يعبر–من وجهة نظر العرب والمسلمين–عن نفسه بوصفه هزيمة للغرب. وكأن جاردنز فى عقلنة الكلام على هذا النحو السخيف يستكثر ضمنا على العرب و المسلمين اى انتصار مهما كان حتى لو كان دفع الغرب–الرأسمالية المالية الى تعديل موقفها من قضايا العرب و المسلمين تاكتيكا.

و كانت الصحف العربية قد خرجت بدورها صبيحة انسحاب القوات البريطانية الاثنين 2 سبتمبر 2007–اى بعد 4 سنوات من الاحتلال من قصر البصرة الى منطقة مطار بغداد–طلعت الصحف على الناس بادعاء ان انسحاب القوات البريطانية انتصار للمقاومة. و يقول جاردنر أن رصاصة واحدة لم يتم تبادلها ابان ذلك الانسحاب فمن اين جاءت فكرة انتصار المقاومة؟ و تساعد مزاودة مسئول عراقى كبير جاردنر على الاستطراد جازما بدوره بان السردية العربية و المسلمة كانت قد زعمت بان انسحاب اسرائيل فى 2002 من جنوب لبنان انتصار للبنان و ان العرب يدعون ان محصلة حرب لبنان فى صيف 2006 هى هزيمة لاسرائيل و انتصار لحزب الله.

و من المفيد ملاحظه انه حين يراوغ الغرب و يخادع نفسه ليخدع الاخر عقلانيا فكأنه يرمى من عداه بدائه هو و هذه خصوصية يتميز بها الغرب تعبر عن تنويع على العقلانية مرة بعد اخرى. و تنسج

الاسطورة غالبا من حالة مخادعة النفس و الاخر فيعيش ناسج الاسطورة فى المخادعة حتى يصدقها. فيجأر الرئيس الامريكى جورج ووكر بوش و هو فى طريقه الى بيكين لحضور افتتاح دورة الاوليمپياد الثامنة "ان على الزعماء الصينيين الثقة بالشعب و اطلاق الحريات فهذا افضل وسيلة للحكم". و كأنه هو يعمل بتلك النصيحة.

و يعول الغرب–الرأسمالية المالية على اتساع فضاء حركتها الفكرية والاعلامية و هيمنتها على ادواة الاتصال و علو صوتها و قدرتها على الالحاح على الذهن والخاطر العربيين و الاسلاميين و قد انهك معظم الاخيرين بالحاح ترداد سقط القول على ارواح معظمهم. و يتعلم بعض العرب و المسلمين و بخاصة الليبراليين الجدد بدورهم خداع النفس أو–العقلانية الغربية, و يكاد بعضهم يجيد لغة الخديعة و خداع من عداه. فيقول مسئول عربى مهم متسولا بقاء الامريكان فى بلده "ان انسحاب القوات البريطانية من البصرة هكذا باكرا قد تكون له مترتبات كارثية".[115]

و يدرك ذلك المسئول جيدا ان تلك القوات كانت باكرا–و قبل ان يشتد اشتعال صراعات الفصائل الشيعية فى جنوب العراق–كانت قد تمترست باكرا وراء اسوار قصر البصرة لا تغادره. فتلك القوات فى العراق بامر امريكا و من اجل حفظ ماء وجه امريكا و بريطانيا بالمرة[116]. و يدخل المسئول المذكور فى مزاودة على مايكل جاكسون رئيس الاركان السابق للقوات البريطانية فى العراق الذى أكد فى مذكراته المسلسلة فى التايمز اللندنية متزامنه مع انسحاب القوات المذكورة منذ نهاية اغسطس 2007 و تباعا "ان القوات البريطانية انهزمت فى العراق".

و يقول مسئول عسكرى بريطانى اخر ان كل ما كانت القوات البريطانية تملك فعله هو المحافظة على ارواح الجنود البريطايين و حمايتهم داخل الثكنات المحصنة من هجمات الارهابين. الا ان مسئول عربى اخر يجزم بان ذلك "ليس صحيحا. و ان قوات الاحتلال كانت تقوم على اقرار الامن و الاستقرار وان القوات البريطانية سلمت مسئولية أمن البصرة لقوات محلية". و لا يقول ذلك المسئول ان القوات الاجنبية فى العراق باتت لحماية الحكومة التى تقيم فى المنطقة الخضراء من خشية كافة الفصائل الرافضة للاحتلال[117].

وتجأر الادارة الامريكية 43 مثابرة على هراء معقلن فيقول بوش الابن بنصر القوات الامريكية على المقاومة العراقية و تحسن الاوضاع الامنية في حين انه يمهد للانسحاب على رؤوس الاشهاد الا ما خلا القوات التى ستبقى لحراسة اكبر قاعدة امريكية فى العالم. و عندما تكتب سردية العراق فلن تؤلف الذرائع و الاكاذيب التى قادت لاجتياح العراق قضية هامة و انما ما شعر به السياسيون و الاداريون داخل اسوار قلعة الحزام الاخضر بين انقاض قصور صدام حسين فى بغداد. وسوف يغدو وجودهم عقلانيا بين تهديد القاعدة و المقاومة و الماليشيات العراقية السنية و الشيعية و كأنهم ضحايا عنف بربرى. [118] فهكذا كتبت سردية الصليبيات و غيرها من حروب الغرب "العادلة".

و سوف تكتب السردية الغربية و قد عقلنت من وجهة نظر الادارة الامريكية 43 و 44 المحافظين الجدد و ربما الليبراليين الجدد و ما باتو يطلقون على انفسهم المحفطاتيين بدورهم خصما على السردية الموضوعية ناهيك عن السردية العراقية–العربية المسلمة. فالناس تعرض عليهم سرديات هوليوودية تحتفل بانتصار قوات المارينز على المقاومة–لى الارهاب–فى كل مكان مثل انتصار الكاوبوى على "الهندى الاحمر" . تعرض السردية الرسمية لجرائم الحرب و الابادة كونها احتفال الرأسمالية بالحلم الامريكي فى خرافة رحلة الفرد من الاثمال الى الثراء From Rags to Riches و النهايات السعيدة,

و قياسا يخفت الحديث تباعا عن كيف ان 90% من الامريكان كانوا يمولون حلمهم الامريكى بالديون بمغبة الافلاس الماثل و الدمار كما ابان الازمة الاقتصادية او اللااقتصادية المالية منذ صيف 2007؟

كما يخفت الحديث ان كان عمن لا يملكون الاستدانة و عن كارثة نيواورليانز. ولا يسرد شئ يذكر حول جشع الرأسمالية و الاستغلال و عقلانية انصاف الحقائق و الاكاذيب اللامتناهية و لا يسمع بهزيمة امريكا فى كل مكان فى اى مكان. فالسردية الرسمية لا تقل او تزيد عن رواية هوليوودية بالالوان الطبيعية نظيفة معقمة من كل شر. و بعد الشر و بعيد.

فيروس العنة النفسية و العقلانية ما بعد الحداثية :

لا ترى العين الغربية سوى ما باتت مهيئة لرؤيته وما تتوقعه. و اذ يزين الغرب ما هو قمين بالا يزيد على ما هو غير عقلانى–اى ما هو نقيض العقلانى بالمعنى الحرفى لكلمة عقلانى–فقد بات ما هو غير عقلانى غربيا عقلانى و كل ما عداه لا عقلانى.

العقلانية و الجنون و الشرف:

يغدو اللاعقلاني بالوصف اعلاه و تباعا حريا بان يتهم بالجنون. فكل من يخالف مواضات العقلانيين الرأسمالية–الاستعمارية–مجنون. ذلك انك ان تخالف عقيدة الرأسمالية–و الرأسمالية معبر عنها ى مصالحها و توسعاتها–عقيدة–انما تخالف تعاليم الرب فانت مجدف مخبول. فقد اتهم نيرون قنصل روما بالجنون و كاليجولا بالجنون و اتهم القاض ابن ابي دوود أحمد ابن نصر بن مالك بالكفر و بان به عاهة او بعقله تغيير اى بالجنون على ابام المتوكل الاولى و اتهم جومو كينياتا بالجنون و كان ثوار الماوماو يتهمون بالجنونو اتهم جان بيير اريستيد زعيم هايتى بالجنون و اتهمت الاميرة ديانا بالجنون واتهم الرئيس الليبي معمر القذافى بالجنون حتى رضوا عنه نسبيا و يتهم هيو شافييز رئيس فينيزويلا بالجنون ويتهم غردون براون بالجنون.

و ليس ذلك وحسب بل ان رؤسا كثيرة كانت قد طارت جراء ما اعتقده القائمون على امرالعباد عصيانا مثلما حدث على ايام العباسيين من المأمون الى بداية عهد المتوكل. و من المفيد ملاحظة ان العصاة نساءا و رجالا يتهمون فى المجتمعات الاقطاعية الشرقية فى شرفهم الشخصى. فالشرف بخاصة شرف المرأة يعود الى مفهوم الملكية الخاصة فى العائلة و الزوجة و الابناء مما كانت اوربا الغربية ق انفطمنت منه منذ القرن التاسع عشر. و تبقى المرأة في المجتمعات غير الرأسمالية ما بعد الصناعية ملكا لرجل ما

من بين ذويها و اصهارها كابيها او اخيها او زوجها او ابنها اوحتى شقيق زوجها ان توفى الاخير. كما تتمركز ملكية المطلفة للمرأة في كثير من المجتمعات بوصفها حفظة التراث و تعبير عن شرف جميع الرجال والامة رغم ان انقضاء زمان الاعتزاز بالشرف الاقطاعى الا ان مفهوم الشرف فى المرأة ما يبحر يصدر عن مفهومه الاقطاعي.

و تصدر عقلانية الغرب بهذا الوصف و تحديدا عن لا عقلانية الرأسمالية و عجز الاخيرة عن مواجهة نفسها ناهيك عن ترك حقيقتها مفتوحة على كوى النظر و الفكر بالاستبصار و التأمل و التحليل بذهنية حاضرة لم يغيبها التعميش و بعين بصيرة لم يعمى عليها الحاح الصيغ المخاتلة.

ولعله من المفيد تذكر ان تاريخ الحكام و التاريخ الملفق و التاريخ المزوق و النسوية المغالية و مابعد الحداثة كانت قد عصفت بالرجال الحقيقيين و النساء الحقيقيات و قد راحت منذ ستينات القرن العشرين على الاقل تتاجر فى فائض عمل النساء الحقيقيات و الاطفال و فى اجسادهم. و بالمقابل راحت نفس الجماعتت تنحت ى جدران صلابة معظم الرجال فى كل مكان واصابت بعضهم بالعنة الفكرية و النفسية و اخصت بعضهم فعلا. و لم يعد للاخيرين لتوكيد ذواتهم سوى الاعتقاد فى اهمية افتراضية تتمأسس فوق السمسرة فى تسويق مشروع القرن الامريكى الجديد و تفرعاته من مشروع الشرق الاوسط الكبير و الاخدود الافريقى العظيم فى مواجهة خصوم اسيادهم.

و يدعى مفهوم الاخدود الافريقى زيمبابوى–عبورا بحضرموت و اثيوبيا و وادى النيل الاسراتى الجنوبى كما تم انتحال وادى النيل الاسراتى الشمالى باكرا. و لم يكن ثمة ما يمكن ان يمثله هؤلاء المتزلمين فكريا سوى الازعان أنسحاقا و خنوعا امام الشعوب العربية والمسلمة و الانسانية جمعاء. و قد خلقت مجاميع اولئك المتزلمين فكريا و تنظيميا و ماديا تنويع ما بعد حداثى على الاوليجاريكيات الصفووية التى استقطبت الناس بين صفوات و عوام غوغاء من تراكمات عددية لا وجوه لها.

عقلانية استقطاب العالم بين عامة دهماء و صفوويات اوليجاركية :

كان استقطاب العالم قد تمثل باكرا فعبر عن نفسه فى تواجه النهضة و التنوير و الكاثوليكية و البروتستانتية. وازعم ان البروتستانتية و طوائفها الانجيلية و الافانجلية–بمعنى البيوريتانية اى المتطرفة و التبشيرية– على الخصوص–كانت قد تعاصرت و نشوء الامبراطورية البريطانية وصولا الى نظيرتها الامريكية تباعا. و اجادل ان تلك التطورات تعالقت بدورها و النشوء المتسارع لرأس المال المالى و المضاربة فى اسعار السلع الاكزوتية و الطرائفية بما فى ذلك تجارة الرقيق وفى المواد الخام من العوالم القديمة و الجديدة معا.

و قياسا فقد تساوقت البروتستانتية و الرأسمالية التى نعرفها منذ القرن الخامس عشر على الاقل ان لم يكن منذ اجتياح القدس فى 15 يوليو 1099. فمتى استقطب العالم بين صفوات اوليجاركية مالية عقلانية راحت تشارف العولمية تباعا و بين من عدى الاخيرين فى كل مكان؟ و ما هى تنويعات اؤلئك اللذين

تعينوا عقلانيا على تكريس ذلك الاستقطاب على مر السنين؟ وهل يمكن الحديث عن العقلانية و التنوير الغربيين دون ارجاعهما الى اصولهما الاقتصادية الاجتماعية وبخاصة التاريخية الموضوعية؟

ابدأ بالتعرف على مفردات العقلانية الجديدة و اعود بها تباعا الى سفر تكوين العقلانية "الكلاسيكية" و نظائرها؟

-اتعرف على العقلانية الجديدة من مفرداتها التى تقول عكس ما تعنى تماما حيث كانت تنويعات العقلايين قد تعينت على مر تاريخها و قد ابدعت قولة الحق التى اريد بها دائما باطل.

-اتعرف على من اشير اليهم ب "المتكلمون الجدد" او-و الخوارج الجدد و تنويعاتهم الليبرالية الجديدة و العقلانية الجديدة من خطابهم و من اجندتم و من تسترهم عليها مثلما يتستر اعراب الشتات واسلافهم على خطابهم و اجندتهم و يتساررون حول مشروعهم.

و الاخطر يتعين الاخيرون على الجأر بالدمقرطة و بالليبرالية الجديدة-او ما بعد الليبرالية بالاحرى-مما لا يعنى سوى ليبرالية لا تتسع لمن عداهم. و يشهر الليبراليون و العقلانيون الجدد سيف النظرية التآمرية فى وجه كل من يختلف معهم مثلما يشهر اسلافهم المحافظون الجدد و اعراب الشتات تهمة العداء للسامية فى وجه كل من ينتقد اسرائيل و سياسة الادارة الامريكة رقم 43. و قد تعين الابتزاز الفكرى و الذهنى لمن غير حلفاء الغرب-الرأسمالية المالية-من الشعوب عامة بما فى ذلك شعوب المجتمعات الغنية نفسها-كما رأينا فى احبولة حزمة او مشروع انقاذ سوق المال الامريكى خصما على الشارع الامريكى بمعنى دافعى الضريبة و صغار حملة الاسهم واصحاب مدخرات ما بعد الخدمة و المعاشات فى الاسبوع الاخير من سبتمبر 2008.

و تتعين تلك المشاريع المشبوهة على مر التاريخ على السيطرة على الشعوب بغاية اختراقها تيسيرا للقضاء على ذاكرتها و تلغيم ذاكرتها و تشويه تاريخها. و لك(ي) ان تلاحظ(ى) اننى اضع معظم المفردات الواردة اعلاه و تباعا من الاكتشافات الجغرافية الكبرى" و"المبدأ الانسانى" و "التنوير" ومعظم المفهومات المتعالقة و بخاصة ما اعرفه بوصفه مفردات قاموس الاستحواذ-مما يعقلن النهب و السلب الفكري و المادى-اضعها بين اهلة او هلالين.

و افعل ذلك لسبب ان تلك المفردات لم تكن مثلها مثل معظم المفردات التى راحت تترى منذ نهاية القرن الخامس عشر و تباعا-سوى مزوقات Euphemisms ليس الا. ولولا اننى اخشى ان اشق على القارئ لوضعت كافة مفردات الخطاب و التاريخ الغربي بين اهلة. ذلك ان تزويق الكلام من شأنه ان يستقطب اللغة فى مفردات الافتراضى اكثر منه الموضوعى الحقيقى مما يستدعى مدلسات لا فكاك منها.

ما بعد الحداثة و عقلانية تحور المفهومات و الظواهر:

كانت مفاهيم الحداثة او العصرنة قد اخلت مكانها لمفاهيم ما يسمى بما بعد الحداثة اى نهاية الاولى تماما ان امعنا النظر, و انتهت او انهيت الليبرالية لحساب ما بعد الليبرالية اوما يسمى بالليبرالية الجديدة تخاتلا. ذلك ان كل من الحداثة و الليبرالية باتتا-و قد انقضى زمان البرجوازية الصناعية التى الفت

الاساس المادى لهما–زائدتين عن الحاجة. و قد تحورت كافة المفاهيم و قد ابقى عليها منغلقة على نفسها و قد حرم التعريف الاجرائى خاصة على نحو بات فهم اى مفردة حتى على طريقة لا بأس بالحرية سوى انها تجعل الناس احرارا غير محتمل على الاطلاق بخاصة غب التحولات و التحورات و تراتب شرائح او طبقات Layer or Strata التعريف او اللا تعريف بالاحرى فوق بعضها مما خلق فوضى مفهوماتية و تنظيمية غير مسبوقة. و لعله من المفيد تعريف مفردة التنويعات التى استخدمها بصورة كثيفة و تعالقها او–و مقارنة مع التحور:

–تنويعات Variations الظواهر: وتعبر التنويعات عن نفسها اجرائيا فيما يحل مكان مراحل تطور الظواهر الاجتماعية الاقتصادية–التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية –انماط الانتاج– بالصورة الميكانيكية التى يتخيلها معظمنا فى اللوحة الخماسية. ذلك ان معظمنا يدعى ان مراحل تطور المجتمع تتم بمرور الزمان Passage of time او حتى بتطوروسائل انتاج غير مسبوقة. و ينتج التنوع المتصل للظاهرة حالة التحور وهى امر اخر غير التنوع. ذلك ان التنويع قد يبقى على كثير او قليل من ملامح الظاهرة قياسا على التحور الذى يشوه الظاهرة مثلما يحدث بالنظر الى الرأسمالية فى تنويعاتها من الميركانتالية عبورا بالبرجوازية الصغيرة الى الصناعية. و قياسا فان الرأسمالية ما بعد الصناعية تغدو تحورا اى تشوها للرأسمالية فى تنويعاتها المذكورة اعلاه.

–تحور الظاهرة Mutation of the phenomenon بمعنى تشكل الظاهرة و اعادة تشكلها فى الزمكان أى رأسيا بمرور الزمن وافقيا فى المكان. والفرق بين التحور والتنويع هو ان الاخير ينتج شرط تشوه الظاهرة قياسا على التحور الذى يصدر عن الاعوجاجات والاخطاء فى الظاهرة المتحورة مما اعرفه تباعا. فكيف يعبر التحور على ارض الواقع الاجتماعى الاقتصادي عن نفسه اجرائيا على مر التاريخ المكتوب و المسكوت عنه فغير المكتوب؟

تمرحل الظواهر و تحورها و نكوصها:

تتمرحل الظواهر عبر عمليات ذاتية و موضوعية و قد تتطور صاعدة و لو وجيزا و غالبا ما تتحور الظواهر عشية نكوصها. وأعرف التحور Mutation اجرائيا Operationally بوصفه تعبيرعن التغيير فى الظاهرة او نكوص الظاهرة. و الاحرى فان التحور عبارة عن اخطاء و تشوهات و اعوجاج فى الظاهرة او الكائن جراء اعادة انتاج الظاهرة لنفسها فى الزمكان خارج شروط تخصها موضوعيا و ذاتيا. و يحدث التحور بهذا الوصف بدوره تغييرات و ينتج ما يشارف التنوع و التعدد الا ان ذلك التنوع و التعدد غير قابل لاعادة انتاج نفسه. فالتحور مركب و يوجد كما فى الاخطاء اللغوية و فى التفريع عن الكلمات. و يمكن ملاحظة ذلك فى الاستنساخ فان تلد عنزة نفسها تشيخ العنزة الوليدة وتموت بعد عمر قصير بصورة غير طبيعية. و تلاحظ تلك ظاهرة فى عمليات التحول الحالة فى سياق التعديل الجينى. ذلك ان النبات المعدل جينيا لا ينبت بذورا يعاد بها انتاجه هو و انما ينتج ببذور معدلة بدورها كما ان

النبات المعدل جينيا يقتل ما حوله من طفيليبات يتوقف عليها تكافل الحيوان و النبات و الكائنات الطبيعية.

و التحور نوع من استنساخ الظاهرة لنفسها و تكرار صيغهتا بتعديل ناشئ او ناكص حسب المناخ و الظروف و البيئة و الزمان و المكان حيث تحل بالظاهرة اعوجاجات و تحولات و اخطاء. و التحور الظواهرى اكثر اهمية و خطورة من حيث تغدو للشئ المتحور حياة تخصه قائمة بذاتها حتى ليمكن ان يتم الخطأ فى فهم ما حدث للشئ او الظاهرة فيظن ان ما هو ماثل شئ اخر جديد و ليس الشئ نفسه متحورا فى تنويع مشوه على نفسه. و تؤلف عمليات التحور المادة الخام للتمرحل او التحقب نشوءا و تطورا الا انه– وهذا هو المهم–فان التحور يبقى غالبا مادة النكوص.

فرغم ان التحور مادة التمرحل الخام او الاستنساخ الا ان التمرحل لا يتم ناشئا صاعدا الى ما لا نهاية. فقد يحدث العكس فى حالة تحور شئ او ظاهرة الخ. وكثيرا ما يدعى بعض المؤرخين ان ما تحور هو نشوء مثلما يدعى مؤرخو الرأسمالية من انها نشوء على الاقطاع وان الاخير نشوء على الاقتصاد العبودى. كما يدعى الاخيرون ان الرأسمالية ما بعد الصناعية–فى تنويعها المالي على الخصوص–نشوء على البرجوازية الصناعية. و ينتشر هذا النوع من التحليل فى العلوم الاجتماعية و فى الاقتصاد غالبا و فى التاريخ على الخصوص. وكثيرا ما دفع مثل ذلك الادعاء او الظن الذى ليس فى محله بعض المفكرين و الكتاب الى تصوير الظاهرة عقلانيا على ما هى ليست عليه سواء غفلة او–و تقصدا مما يضرب فى صميم التحليل الاجتماعى والمحصلات التى يفرزها مثل ذلك التحليل و قد تمأسس التحليل فوق ما يشارف الباطل.

الفصل الثاني :االخزر اليونان و الافانجليون الانجلوامريكان و الخوارج:

تبحث المجادلة التالية فى تنويعات الخزر اليونان الى الافانجلية الانجلوامريكية او المسيحية الغربية اليهودية بافتراض ان الخزر اسلاف الخوارج عربا و مسلمين وغير ذلك. و تتأمل هذه المجادلة فيما تتأمل مفهوم و تنويعات الخوارج السياسين اكثر من غيرهم. و قد تعاصر الاخيرون و خزر القفقاز و وادى نهر الفولجا الخ مما تاخم حدود الخلافة العباسية. و قد تعالقت تداعيات تلك المتاخمة و مصير الاخيرة جراء غزوات و حروب و اختراق الخزر للخلافة الاموية بخاصة العباسية تباعا. و قياسا تدعى المجادلة ان تلك التنويعات جميعا حرية بان تؤلف سفر تكوين ما يسمى عقلانية و عقلانيي ما يسمى ب "المبدأ الانسانوى" و "التنوير" وصولا الى نظائرهم العقلانيين الجدد و الليبراليين الجدد.

لا يؤرخ هذا البحث لاى من تلك الظواهر الا بقدر ما يحاول تحليلها:

من المفيد الاشارة هنا الى ان هذا البحث لا يؤرخ لاى من الظواهر التى يتناولها الا بقدر ما يستدعى خلفياتها بغاية اعادة تعريفها اجرائيا. و كذلك لا يؤرخ البحث للطوائف او الشخصيات المذكورة ادناه الا بقدر ما يتعين على تبيان التداعيات التى تعينت تلك الطوائف و الشخصيات على تفعيل احداث بعينها فى الزمكان بغاية تحليلها. و فى نفس الوقت الذى يعنى فيه البحث بالقياسات التى يمكن ان تعقد بين

تلك الطوائف و الحركات سواء عربية اسلامية او نظائرها الغربية الا ان البحث لا يسترسل فى سيرة الخوارج ولا المعتزلة و لا فى سيرة نظائرهم العربية و الاسلامية و غير الاسلامية مثل ظاهرة الطوائف اليهودية الاصلاحية على يدى موسى الميمونى وموسى مينديليس. و كذا الحال بدوره بالنسبة للطوائف المسيحية الغربية التى اعقد القياسات معها بقدر ما يتوفر البحث وجيزا على بعض ملامح تلك الطوائف و الحركات. هذا و قد يتعين البحث مع ذلك احيانا على الافاضة فى احوال تلك الطوائف فقط بالقدر الكافى لتحليل ملامحها و الوصول الى نتائج الفرضيات المقترحة بشأنها لا اكثر.

و يصدر أهم تلك الفرضيات عن استدعاء المناخ الذى نشأت فيه العقلانية الاسلامية ونظيراتها الغربية و السياق التاريخى الذى اثر فيها و اثرت فيه وصولا الى عقلانية ما بعد الحداثيين و الليبراليين و العقلانيين الجدد و نظائرهم تباعا مما بات بعضه يسمى الواقعيين بعد الازمة المالية الماثلة منض صيف 2007. و لعل ثنائيات رجال الدين والمفكرين تذكرنا بما كان قد بات سائدا فى الخلافات الاسلامية التى تأثرت بها الكنيسة المسيحية الغربية. و لعل كلاهما تأثر بالفكر و التنظيم اللذان كان اعراب الشتات قد وفدوا بهما او–و صدروهما من بيداء ما بين القفقاز و نهر الفولجا الى الامبراطروية الرومانية والى بيزنطة فالى الخلافات الاسلامية المشرقية وبخاصة الخلافة العباسية على العهد الرشيدى الاسراتى ثم المغربية و بخاصة الاندلس عودا الى الغرب الاوربى مجددا فالى هولندا و انجلترا تباعا.

و ربما كان واردا عقد قياسات بين المدارس الفكرية و الطوائف التى نشأت فى تلك الخلافات باكرا من انقسام المسلمين بين سنة و شيعة و انقسام الاخيرين بين تنويعات من خوارج و من عداهم و الانقسامات التى نشأت فى الكنيسة المسيحية الغربية على التوالى. و كان انقسام الكنيسة الكاثوليكية الغربية الى طوائف متحاربة يناصب بعضها العداء لوقت طويل و ربما حتى اليوم كما ذكرنا فى مكان اخر قد تساوق و سقوط غرناطة و قمة ازدرهار الامبراطورية العثمانية. و كانت علمانية الاتراك تثير كما نذكر فى مكان اخر زعر الكنيسة المسيحية الغربية فيما كان اثر الاندلس على نحو لا ينمحى قد بقى يدفع اوربا الغربية عقلانيا الى تلفيق تاريخها نكرانا لذلك الاثر الباقى باطلاق عقلانى عليها.

الخوارج و البرتستانت و نظرية العداء للسامية التآمرية :

من المفيد الاشارة هنا و الآن الى أن الخوارج و نظائرهم ممن يهتم هذا البحث بهم أكثر من غيرهم هم– كما ذكرت فى مكان اخر–تنويعات الخوارج السياسية اكثر منها الدينية. فقد كان الخوارج و المعتزلة السياسيين خاصة قد تعينوا عقلانيا على قيادة حركات سياسة زوقت Euphemised فى قضايا دينية و عبر بعضها عن نفسه فى حركات شارفت الحركات و الانتفاضات الشعبية المشبوهة مما احاول قياسه على الثورات الملونة التى يلاحظها الناس فى كل مكان. هذا و من المفيد تذكر ان تلك التنويعة كانت و بقيت مشبوهة او–و تحورت على تنويعات اخرى بالضرورة و استباقا للحركات الشعبية التاريخية بالنتيجة. واعرف تلك التنويعات المتحورة المسيسة اكثر منها دينية بالجماعات العقلانية القاحلة.

واستخدم مفردة الخوارج و المعتزلة احيانا بالتناوب فيما يتصل ببعض القضايا مثل تصنيف مفهومات متجانسة Generic بحث يشمل التعريف السبئيين و المتكلمين و الاشاعرة- الاوائل اكثر من المتأخرين منهم-و الاباضية و غيرهم. و يلاحظ ان بعض المؤرخين لا يفرق بين الخوارج و الاباضية مثلا. ويقول عز الدين عمر موسى فى احوال الممالك و الامبراطوريات الاسلامية فى افريقيا الغربية التى اعقب يعضها سقوت دولة الخوارج فى الاندلس هضا قاما فرقيا لغربة بأن "الناظر الى الاحداث العامة ... من تطور دولة سنغى يجدها لا تختلف فى شئ عن تلك الملامح العام التى تجسدت فى عص سنى على حتى ان ذلك الناظر ليظن ان فترة على ما هى الا تمهيدا لعصر الاسكيا الممتد من 898\ 1493 الى نهاية الغزو السعدى فى 999 هجرية\1591.ميلادية و لعل استثناء اوحيد ما ذهب اليه السعدى فى تاريخه من ان سنى على كام خريجيا....الا اذا حاول سنى على الرجع الى مذهب الاباضية بعد انتصار السنة فى القرن الخامس عشر الميلادى -الحادى عشر الهجرى"[119]

المهم فورا فالبحث ليس معنى بتاريخ اى من تلك الطوائف ولا اتوقف طويلا عند وصفها وتحليلها الا بقدر ما أحاول عقد قياسات على نظائر أخرى. المهم تعبر مفردة الخوارج هنا غالبا عن اقليات صفووية و احيانا اوليجاركية بالنتيجة و تصدر عن اجماع الاقليات الصفووية بوصفها اغلبيات سياسية مالية- اقتصادية. لعل تلك الخصائص تجمع الخوارج مع البرتستاتت. فالمفهومين متعالقين وقد يصدران عن اصل واحد مما اناقشه تباعا. و فى نفس الوقت تخصم مكانتهم و امتيازاتهم بوصفهم اقليات صففوية و احيانا اوليجاركية على الاغلبيات تحت لواء معاداة المحافظة و الجمود تكاذبا. فكلاهما يوظف "الثورة" لصالحه هو و خصما على من عداه مما ازعم انه يصدر عن الثورة المضادة للمفهوم الشعبى التاريخي للثورة هذا الوصف. وقياسا فان مثل ذلك الميل المتاصل و المسكوت عنه و المتسارر عليه لدى تلك الاقليات الصفووية يقلب معادلة السعى نحو حرية التعبير فوق رأسها.

و يذكرك ذلك بتنويعات فكهة و ساخرة او كالكوميديا الفاجعة حقا مثل ما يسمى الحزب الوطنى و اللذين لا يفقهون شيئا The Know Nothing Family, و يقول احد اعضاء جماعة أمريكية كانت تسمى نفسها الذين لا يفقهون شيئا "اجادل الديمقراطية بعنف ان كانت تعنى ان اى شخص صالح لان يساهم فى السلطة او من حقه تقرير مصير الحكام ان اليوم الذى يغدو فيه من حق العامة الاشتراك فى العملية الديمقراطية هو يوم يختفى كل معيار لاقدار الناس المحترمين. و لا اتصور ان يأتى يوم لا يفرق فيه بين الناس و يغدو من حق اى كان بغض النظر عن عقله و ذكاءه و قدراته النفسية التساوى فى الديمقراطية. انه ان جاء ذلك اليوم فانا غير معني بديمقراطية كهذه و انى لبرئ من مثل تلك الديمقراطية الى الابد". و كأن اعضاء اسرة اللذن لا يفقهوم شيئا و امثالهم صفوويين علنا و بلا ادنى احتشام. و الواقع هو انهم من اللذين ينكرون فكرة ان يصير اوباما رئيسا لامريكا!!

المهم فورا كان احتكار الايمان قد اوصل الخوارج الى يقين بانهم ملكوا ناصية الصواب و حدهم خصما على كل من عداهم فحق لهم معاقبة كل من يخالفهم بتهمة الكفر اوالهرطقة و ربما بالاعدام المدنى و البدنى معا فى اسوأئها.

كما اشير الى تلك المفهومات بوصفها كانت و بقيت سبيل بعض تلك الجماعات الى دولبة و تحوير و تغيير المجمتع المعين بالتلاعب Manipulate بخصائص المجتمع لمصلحتها هى.

و تتمثل خصائص المجتمع فى الجماعات والطبقات و الظواهر مثل الحكام و المحكومين و تلك التى تقف فى طريق اجندة كل من الخوارج والبروتستانت بتنويعاتهم فى الزمكان مثل الشعوب و الحركات الشعبية. و اشير الى تنويعات الخوارج منذ عبد الله ابن سبأ الى المحافظين الجدد او من جماعة خلق القرآن الى العلمانيين الجدد. و ينطبق نفس الشئ على الطوائف المسيحية الغربية الخارجة عن طاعة الكنيسة الكالثوليكية الغربية . فاستخدم مفردة البروتستانت بوصفها تمثلا عقلانيا بالضرورة للطوائف المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية و خصما على الاخيرة و تباعا. و كانت الطوائف المنشقة على الكاثوليكية–مثلها مثل الخوارج–قد جعلت من يقينها بمبادئها و ارائها بحيث لا يسمح لاحد بمخالفتها و الا اتهم بالتجديف و التآمر.

و قد عبرت الطوائف الرافضة لمؤسسية العقيدة المسيحية الغربية عن نفسها فى البيوريتانين وصولا الى الافانجليين الانجو امريكان فاليسوعوقراط. كما عبرت عن نفسها بصورة متساوقة فى التنويعات العلمانية تكاذبا على الاولى من داوود و الاوليجاركيين الباكرين و فرسان المعبد او التمبلار Templar و ما يسمى بالاليميناتى Eliminate. والاخيرة مفردة نشأت ابان ما يسمى ب"التنوير" فى القرن الثامن عشر لتعنى الصفوات الفكرية الممتازة من الفلاسفة و المبدعين–فى العالم الغربى بالطبع. و يأتى من تلك المفردة تخريج يشير الى او–و يعرف الانتليجينسيا فيصلها باليمين التقليدى واليمين الجديد وصولا الى المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد و بالصفوات العسكرية العقلانية الجديدة و قوات الجيوش المخصخصة مثل بلاك ووترز Black Waters و جماعات الجواسيس الجدد و عملاء السى اي ايه CIA و الاف بى اى FBI و كى جى بى KGB السابقين مما بات للايجار فى كل مكان[120]

و يؤلف الاخيرون رديف للمحافظين الجدد و مشاتهم فيتقدمون الصفوف فى تعقب الخصوم و القضاء على كل من يختلف مع المحافظين الجدد و الليبرالريين الجدد و لو بالاعدام المدنى. و قد اصبح بالامكان استئجار اؤلئك الجواسيس بعد ان سرحت اعداد مهنم افتراضيا مع تخفيض ميزانيات الدفاع و التسلح تكاذبا بعد سقوط حائط برلين. و قد بات بامكان اى مؤسسة من شركة او مصرف بحجم معتبر سواء فى نيويورك او لندن او موسكو او برلين او باريس عمان و الرياض و القاهرة وغيرهن استئجار عملاء سابقين من الاستخبارات المركزية الامريكيةCIA او من المكتب الفيرالى الامريكى FBI او من قسم الخدمات السرية SIS منذ الحرب الاهلية اليمنية يقيادة الكولونيل جيم جونسون عشية انسحاب بريطاينا من شرق القنال حراء انتصار القوات المصرية فى الثورة اليمنية. و كان قسم الخدمات السرية

البريطانى من مخلفات الحرب العالمية الثانية و كان تشيرتشيل قد تعين على تجنيد عملاء محترفين من المرتزقة فى صفوف قوات الحلفاء فى مواجهة المحور.

و قد ورثت معظم الانظمة الديكتاتورية المتسترة و البوليسية تنويعات محدثة مثل الاستخبارات البريطانية المحلية MI6 او الدولية MI5 او ال كى جى بى KGB ذلك ان الجواسيس السابقين يضعون اليوم خبرتهم فى خدمة الشركات متعددة الجنسيات و المصارف و المصالح الحكومية و الاوليجاركيين الجدد و ينقبون عن فضائح خصومهم و يتعينون على نشر غسيلهم القذر. و يقوم اؤلئك الجواسيس بالتصنت على الصحفيين و على المقاومين للعولمة و حتى على الموظفين. و تتخصص تلك المنظمات و مراكز التجسس فى تعقب المحرضن والعصاة واستباق احتمالات التمرد و الاضطرابات المدنية و الارهاب و دواعى عدم الاستقرار الاقتصادى و المهتمين بالبيئة.

و تعمل مراكز الجواسيس و العملاء تلك فى حماية تكنولوجيا المعلومات حول العالم على مدى 24 ساعة فى اليوم 7 ايام فى الاسبوع. فكما كانت قوات الامن التابعة للدولة قد تعينت سابقا على ادارة حرب طبقية منذ عشرينا حتى تسعينات القرن العشرين بعمليات اختراق كبرى فى ايطاليا و بريطانيا و غيرهما فان اؤلئك الجواسيس والعملاء يعملون اليوم على اختراق جماعات و تنظيمات الاحتجاج الشعبية عن طريق بلوغ عضوية كل منها و الحصول على ثقة جماعات و منظمات مثل جماعات الخضر و المعاديين للتسلح النووى والحركات المعادية للعولمة و المناهضة لتجارة السلاح و المنادية بالسلام الخ[121].

و قياسا يخترق بعض الليبراليين و العقلانيين الجدد صفوف المناضلين من اجل التحرر الوطنى و اصحاب الفكر القومى المعادى للعولمة و الرأسمالية ما بعد الصناعية. و يهاجم المحافظون الجدد و الليراليين الجدد كل من يختلف معهم على سبيل أن الهجوم اقوى وسائل الدفاع فيتهمون كل من يختلف معهم بتعاطى النظرية التامرية و التطرف و العداء للسامية و كانهم تنويع على الخوارج ممن احتكر تفسير القرأن و وصم كل من يرونه هم متساهلا فى تطبيق تعاليمه بالهرطقة فيستحق العقاب و مآله جهم و بئيس المصير. و تتشارك تلك الجماعات خليط مشبوه من كل من العلمانية المتخاتلة والتدين المتكاذب.

العقلانية القاحلة والرأسمالية المالية الفائقة:

تتعالق تنويعات العقلانية اعلاه فى الفكر و التنظيم الاسلاميين و نظائرهما الغربية و العكس صحيح فيما اعرفه بالعقلانية القاحلة Arid Rational . و تحاول المجادلة تبين سفر تكوين تلك العقلانية فى التاريخ المكتوب و المسكوت عنه قدر الممكن. و يجادل البحث ان الفكر والسلوك الغربى الرأسمالى عقلانى يسوغ ما تراه الرأسمالية صوابا خصما على ما عدا الفكر الرأسمالي.

و ازعم ان العقلانية القاحلة و الرأسمالية الغربية تتعالقان من حيث ان العقلانية القاحلة كانت حرية بان تتماسس فوق تنويعات الرأسمالية الفطيرة من الربوية الى الميركنتالية الى البرجوازية الصناعية حتى

الرأسمالية ما بعد الصناعية المالية على الخصوص. و حيث كانت الاخيرة تتمأسس فوق الربا اكثر من الربح فى التبادل السلعى فقد كانت الى ذلك متبدونة بطبيعتها مما يفاقم عقلانيتها و نفعيتهما معا. و لعل هاتبين الخصوصيتين ترجعان الى سعى الرأسمالية المبدونة بهذا الوصف الى التحايل على المستقرين بخاصة منتجى الفائض.

و يتمثل ذلك واضحا للعيان فى مغبة انهيار اسواق الائتمان العقارى فى امريكا و انديا‌حها فى كل مكان. فقد بلغت قيمة خسائر المصارف المالية و الشركات العقارية ما يعادل ميزانية بريطانيا مرتين. و لا تضمن الحكومة الامريكية الاثنين 8 اغسطس شركتى فانى ماى Fanny Mae و فريدى ماك Freddy Mac مثلا بمئات مليارات الدولارات من دافع الضريبة الامريكى وحسب و انما لا تمس ارباح كبار حملة الاسهم الاجانب و الا ساءت سمعة سوق المال الامريكى مما يطرد المستثمرين.

كمياء العقلانية القاحلة Sterile Rationalism ***و تخاتل الرأسمالية الفائقة المفهوماتى:***

اجادل ان اعراب الشتات بقوا منذ بدئ التاريخ هم التجار و الصيارفة وباتوا فلاسفة الاقتصاد و منظروه. و كان ماركس قال ما معناه "ان اردت التعرف على الرأسمالي فابحث عن اليهودى". و قد تحور اعراب الشتات تباعا مع نشوء او نكوص الرأسمالية تباعا الى رأسمالية تراكم بالنهب و السلب المعلن احيانا– بمعنى راسمالية مالية تتجاوز ما عداها من تنويعات الرأسمالية. و تقف الاخيرة على رأس التجربة الرأسمالية والاقتصاد الرأسمالي فى كل مكان و زمان و تخصم على الاخيرات و اى مشروع غير رأسمالي معا من الاقتصاد المخطط الى الاشتراكية. و لعل فى ذلك تفسير منطقى و تاريخي و جدلى لما حل بالتجربة الاشتراكية فى المنظومة الاشتراكية الاوربية الشرقية منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية وصولا الى سقوط حائط برلين.

المهم فورا هو ان اعضاء تلك الاوليجاركيات و معظمهم ممن اعرفه باعراب الشتات باتوا تباعا او تحوروا الى اخصائيين فى الاقتصاد و المال و هم اصحاب او مدراء اكبر المؤسسات المالية و هم المستثمرون و كبار حملة الاسهم و هم المستشارين و الخبراء والمحاسبين و النقاد المتخصصين فى دراسة و تقديم التقارير حول و التنبؤ بنمو اوكساد الاقتصاد وبتقلبات اسواق المال و السندات الخ. و قد بقى معظمنا غافل عن هذا الواقع و مغيب عن الاسهام فى نشاطه الا بقدر ما يتطفل اثرياؤنا على اسواق المال و المضاربة فيه لا اكثر[122].

و سوف اتناول الاحابيل اعلاه و غيرها مما يتصل بالرأسمالية المالية الفائقة فى مكان اخر الا انه يبقى ما هو غير قابل للمغالطة هو ان الرأسماليين الماليين يخربون الاقتصاد ثم يطالبون الدول بترميم ما خربوه و ضمان ارباحهم بثمن ذلك الخراب معا و قد ارتهنوا اقتصاد اكبر و اقوى الدول بلا فكاك. ذلك ان تلك الرأسمالية المالية الربوية بالضرورة شارطة لتشويه الاقتصاد فى كل مكان بالنتيجة. و تفرز

عمليات تكريس تلك الرأسمالية لغة تخصها و تنفرد بعقلانية قاحلة لا متناهية مما ينداح الى بقية قاموس اللغة اليومى فى كل مكان.

و ازعم ان الرأسمالية لم تنفطم من طبيعتها الربوية و لا من خصائصها المتبدونة الا وجيزا عشية القرن العشرين و ذلك بقدر ما كانت البرجوازية الصناعية و رأس المال الوطنى قد قيضا شرط الانتاج السلعى. الا ان تلك الفترة الوجيزة حيثت تمثلت البروجوازية الصناعية لم تقضى على شراهة الرأسمالية المالية فى المراكمة بالربح الفاحش و بالفائدة. وعليه لم تنفك الرأسمالية الصناعية ان نكصت الى تنويعتها الربوية الفطيرة مجددا.

و ازعم ان التستر على اباحية اساليب المراكمة بالفائدة و بيع المال كسلعة بالنتيجة اكثر منها بالربح وخصما على العمل الحى و اعادة التوزيع مهما كان فارقا يستحيل استمرارها بدون ما اسميه العقلانية القاحلة. بمعنى ان مشروع المراكمة بالفائدة و بيع المال كسلعة حريان بان تصدرا بالضرورة عن العقلانية الفاحلة التى اعرفها تباعا[123]. المهم فورا ان الرأسمالية المالية بهذا الوصف و تباعا تري فى مفردة اعادة التوزيع مساس بصميم الرأسمالية المالية على الخصوص بل تجده تجديف بحق النموذج الرأسمالي الحق. و تتهم سارة بالين المرشحة لمنصب نائب رئيس المجمهورية الامريكية الجمهوري فى انتخابات نوفمبر 2008 باراك اوباما مرشح الديمقراطيين لرئاسة الجمهورية بالقول باعادة التوزيع فتصمه بالتالى بالاشتراكية. و مع ذلك يتكرر القول بان حل ازمة انهيار اسواق المال فى العودة الى الماكنيزية تزويقا لما قد يبدو انه ممارسة اشتراكية.

و الكينزية تعود الى جون ماينارد كينز -John Maynard Keynes-1883-1946 الاقتصادى البريطانى الذى نادى بتدخل الدولة فى الاقتصاد تفاديا لتداعيات ازمات الرأسمالية الدورية و نادى بشكل من اعادة التوزيع لمواجهة ايديولوجية التطبيع او–و حربة السوق غير المقيد باى قيد. و قد اتهمه اليمين التقليدى بالاشتراكية و اتهم البسار التقليدي بدوره ماكينزى بانه لم يكن اشتراكيا بالقدر الكافى. ذلك الامريكان–الحمهوريين خصوصا–يرفضون اي تدخل للدولة فى حياتهم حتى لو كان مشروع كفالة مثل مشروع هيلاري كلينتون فى ثمانينات القرن العشرين وصولا الى مشروع اوباما المتخاتل الذى يسلم ذقن الدولة لمصالح للصناعات الكيماوية و لعصابات كبارالمحامين

و المهم فورا فان الذى يبقى فوق كل شئ هو ان العقلانية القاحلة Sterile Rationalism تصدر عن استلاب ثروات و مقدرات المخضعين للنظام الرأسمالى العالمى–مشروع القرن الامريكى الصهيونى الجديد–و على فائض و خالص العمل الحى Living labour فى كل مكان تمييزا له عن العمل التاريخى Historic labour أى الآلة. و قياسا لا سبيل الى اعادة التوزيع. فاعادة التوزيع مصادرة على مطلوب مفهوم الرأسمالية الفائقة خاصة.

عقلانية تعالق العقيدة والسياسة:

ازعم انه ان اثارت بعض الطوائف المسيحية الغربية –و الاسلامية– و الاديان غير المسيحية الغربية قلق و تطير امريكا الا ان امريكا تدرك اهمية العلاقة بين العقيدة و السياسة. و يقول جورج اللاسكى اليهودى و قد تنصر فبات من اشد المقربين لبوش "أن فصل الدين عن الدولة خطأ يشارف الاثم". و كانت امريكا تعينت منذ الحرب العالمية الثانية و تباعا على تطويع و تبديل و سيست فاعادت هندسة ما لم يناسبها من الطوائف المسيحية الغربية كالكاثوليكية فى امريكا اللاتينية و الكونفيوشية فى اليابان و جنوب شرقى اسيا و اخترقت الاسلام فى الشرق الاوسط بتنويعات من الاسلام السياسى و ما تنفك تعيد تعديل الاخيرة و كذا الاسلام جميعا بحجة انه لا متغير جامد تقليدى نصى نقلى.

و لا تنتهى القياسات التى احاول مجادلتها ادناه فيقول الرب لبوش ان المسلمين و المسيحيين غير الافانجاليين و ان غير المسيحيين يتربصون بامريكا الدوائر فى كل مكان فتنذر امريكا نفسها لرسالة تنصير أو–و اصلاح عقائد من عدى الافانجاليين المتطرفين اوغير المسيحيين الصهاينة من الكاثوليك و الانجليين والمسلمين واليوذيين والهندوس و غيرهم. وتطالب امريكا بعدم تدريس آيات قرآنية بعينها و اعادة تفسير ايات اخرى و تدعو الى تحريم المدارس القرأنية و الخلاوى و قد بات هاجسها فى اسيا الوسطى المدارس القرآنية–وتنادى بمنع تدريس قيم بعينها. و تحرم امريكا فتصادر جماعات بعينها و تخلق جماعات بديلة من النساء والشباب و قد اغوتهم "عذوبة الثقافة الامريكية" لتنشيط حملة دمقرطة واسعة بين الشعوب العربية و الاسلامية مما لا يزيد على التبشير بتنويعة من المسيحية الغربية المؤسلمة او الاسلام المنصر. فان بقى المسلمون غير قابلين للتنصير سهل الصاق تهمة العداء للرب بهم. و لعل كثرة اعداد المسلمين وراء ضغينة الاوليجاركيين عليهم او كراهيتها لهم. و ازعم ان القيامة بالنسبة للصفوات الاوليجاركية هى افناء الشعوب من الاعداد الزائدة عن الحاجة. و تعنى القيامة لشعوب الارض بالمقابل نهاية تلك الاليجاركيات الاجرامية.

و يبقى السؤال موجه الى الغرب كيف يجرم و يؤبلس كل من لا يتفق مع الغرب؟

من المفيد التنبيه على اننى اقصد بالغرب–المسيحية الغربية –الرأسمالية الغربية المالية الفائقة–فى كل مرة استخدم مفردة الغرب. و كان الغرب و ما يبرح نقيض خصومه فالغرب خير و ديمقراطى و انسانى الخ. والرأسمالية من ثم افضل نظام افتصادى و لا مفر من الاقرار بذلك و لا معنى من التشكى من الرأسمالية مثلما لا معنى من التشكى من حالة الطقس و لا خيار. و كانت أمريكا مثلا –فى نظر المتطرفين امثال الان ادجار هوفر مدير الاستخبارات المركزية الامريكية فى خمسينات القرن العشرين–و الرأسمالية و المسيحية الغربية ممثلتان للرب فتعبير عن كل ما هو خير و متقدم و انسانى و جدير بالحماية من كل شئ و اى شئ فى مواجهة الاتحاد السوفتيى الذى هو شر و تخلف و وحشية و يستحق ان يسحق فهو تجسيد للشيطان نفسه. و كان ادجار اللان هوفر يعتقد انه هو نفسه قوة فوق امريكا نفسها اى ممثلا لقوى خارقة و كانه تنويع على بن جوريون. وكان ادجار اللان هوفر Edgar Alan Hover و قد اخذ يتحكم فى اى امريكى يشتبه هو به او–و يختلف معه او مع المافيا– بالابتزاز وتهمة الخيانة

العظمى و الشيوعية و موجات المكارثية. و كان ادجرا اللان هوفر مع ذلك مجدف و مثلى. كان ادجار اللان هوفر و قد شاخ يلبس فستانا احمر عار الصدر و بيده الانجيل يقرأ منه و امامه مثليين يمارسون اللواط لمتعته المنحرفة[124]. و قد اوقعه ذلك تحت رحمة الماقيا التى راحت تبتذه فتحكمت فيه من ثم تحكمت المافيا فى امريكا لسنوات طوال.

و قياسا ينطبق الشئ نفسه من حيث عداوة ادجار اللان هوفر لكل من يختلف معه على المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد بشأن كل من يختلف معهم. فدون الاختلاف معهم تهمة القومية اى الفاشية بوصف الاخيرة باتت تمثلا للتخلف و البربرية و التآمر عليهم. فكيف يتامر كل فرد مفرد عليهم؟ فالتآمر لا يتم باقل من شخصين و بالمقابل يتأمر المحافظون الجدد و الليبراليين الجدد مجتمعين على من عداهم و لهم اسم و عنوان و مراكز بحوث عظيمة برساميل هائلة للتآمر على من عداهم؟

هل حقا يستعصى كل بديل للعقلانية الجديدة:

ازعم ان الغرب و المسيحية الغربية عن عقلانية يونانية بقى ما يبرح يصدر عن اصحاح القديم محورا كما فى كل مرة حتى لم يبق من اصله الاول ما يدل عليه الا بقدر ما يخدم المشروع اليسوعوقراطى. و قياسا فقد بقيت رحلة افكار الغرب العلمانى متصلة بسفر تكوين الغرب الفكرى باليونان الملفق و المسكوت عن حقيقته الموضوعية و بالتوراة حتى عالم التغيير المناخى الذى ينذر بكارثية محققة بدوره. و أجادل انه حيث يتماثل الغرب و الرأسمالية فان كل من الغرب و الرأسمالية تدعيان الا بديل لهما. ويكتب تاريخ الغرب فى افضل الشروط فى سياق و تحقيقا للمقولات التوراتية. و كل ما عدى تاريخ الغرب عصورا مظلمة. وحيث لا يستدعى معظم المؤرخين الغربيين اى تاريخ أو حتى حدث خارج السياقات المغربنة من اليونان الى "التنوير" و تباعا فان التاريخ الرسمى او الاحرى ما بات يشارف السردية الرسمية حرى بان يبقى غير قابل للاتساق التحليلى و قد اصيب بفيروس الفراغات غير القابلة بدورها لان تفسر ناهيك عن ان تردم. و كأن تلك السردية تعانى من عجز تحليلى و الاحرى تفسيرى للاحداث التى تتعين هذه السردية على ترددها ناهيك عن تلك التى عليها تتستر.

وقد بقيت ثمة سردية رسمية و سردية عاصية Subversive Narrative تحاول تباعا التعبير عن نفسها باقلام مؤرخين يحاولون التعويض عن الغياب او التغييب المريع لتاريخ الاولى من قبل خصوم الكنيسة الكاثوليكية الغربية منذ الامبراطورية الرومانية. الا ان كلى السرديتين تقعان فى فخ اهمال التاريخ الموضوعى للبشرية جراء انتقائية كل منهما. فالاولى تتمأسس فوق بشرية انتقائية والثانية تصدر عن كمياء ذهنية انتقائية مما يشوه بدروه معمار لغة السردية البديلة. و الواقع ان كلاهما يصدر عن الاصحاح القديم. الا ان واحدتهما تصدر عن اصحاح قديم مجدد فى كل مرة و الاخرى ما تبرح– رغم اقرارها بفساد المسيحية الغربية على يدى اوليجاركيات العصر الكلاسيكى–ما تبرح تصدر عن الاصحاح القديم كما وجدته الكنيسة الغربية صبيحة هبوط بولص الرسول شواطئ الاوسط الغربية

وكان الاخير يحاخامى متطرف يسمى شاؤول غير اسمه فاندس بين حواري عيسي ابن مريم بغاية اختراق حركة الاخيرين فحولها من ثورة الى حركة قيامية ينتظر في االمسيحيون –واليهود–الفرج بعودة المسيح. و كانت المسيحية الغربية قد شوهت باكرا ابان او–و عشية سقوط الامبراطورية الرومانية اذ يجزم بعض المتخصصين ان الاخيرة سقطت قبل ان تنصر. وحيث لا يرى معظم المؤرخين الغربيين بتنويعاتهم المتقصدة للتعميش العقلانى على التاريخ و تلك التى تصدر عن حسن نية فى سعيها الى اعادة كتابة التاريخ لا يرون الى الحقيقة.

و قياسا فان ما يصل اليه معظمنا قد لا يزيد على ممفصلات لا تقول كثيرا. وأزعم أن معظم المؤرخين الغربيين حريون بالا يصلوا–فى مناخ الريبة الذى يفوح بها المجتمع المضبف للاوليجاركيات الحاكمة–الى تعريف واضح أو محصلات واضحة للسردية البديلة. فيما كان المفكرون و المؤرخون المعارضين لتلك الاوليجاكيات امثل مالرو و شيكسبير و غيرهم مرغمين على مسايرة ما هو كائن فان نشوء فكر مستنير مستبصر للواقع يبقى امرا مشكوك فيه. ذلك ان اللغة الانجليزية مثلا كانت قد باتت مسيحية و ما تبرح. فكل تعبير و كل اخيلة و كل تداعيات ذهنية تصدر عن معمار لغة و خارطة ذهنية كانت المسيحية الغربية قد استقرت فى مسامها. و ما ان خلفت الاخيرة مكانها للرأسمالية او–ربما ما ان تزاوجتا عقلانيا و تعينتا على التستر عقلانيا على الاخيرة فقد بات معمار اللغة و الخاطر و الوجدان و المشية و قصة الشعر و الحب و الاقتناء و التعبير بكل اشكاله بلغة المسيحية الغربية الرأسمالية او الرأسمالية المتنصرة الاشد عقلانية بما لا يقاس.

و قياسا اجادل ان اتهام الطوائف البروتستانتية باختراق المسيحية الغربية مجددا لا يتعين على امعان النظر فى المناخ الفكرى و التنظيمى الذى صاحب نشوء الاخيرة فى القرن الرابع والخامس الى السادس عشر.

التنويرية الجديدة و شروقة العقل اللا غربى:

كان الغرب–الرأسمالية الصناعية و ما بعد الصناعية و قد بنى ثروة أممه من المعادن النفيسة و الثقافات المدعاة من كل مكان. ويمارس الغرب–الرأسمالية ما بعد الصناعية مجددا عمليه نهب معاصرة مثلها كمثل عمليات ابادة و انتحال واستعارة ثقافات و نهب ثروات شعوب بكاملها منذ "الكشوفات" الكبرى فيما يسمى ب"النهضة" و "التنوير" كما ذكر فى كان اخر. و اذ استلب الغرب– البرجوازية الصناعية وما بعدها الشعوب ثرواتها و مقدراتها الشارطة للنمو و"التحديث" و التقدم ما يلبث الغرب–الرأسمالية ما بعد الصناعية تصم شعوبا–منهوبة مدعاة ثرواتها و ثقافاتها و قد انكرت الاخيرة عليها–بالبربرية وعدم التحضر و بالتخلف و العجز عن "النمو"فتسهل العمليات العقلية لأبلستها Demonisation و العمليات الفعلية لبربرتها Barbarisation فيما يفرز العجز العصاب فى تنويعات اطراق المنهوبين والمستلبين و قد كرس تخلفهم الذاتى على غرار النمط الشرقى الرانى الى الوراء "الجامد" غير القابل

للتغير بطبعة الشرقوى بل الرافض للتطور. و لا يقول لنا كيف ان اليابان صعد من النمط الشرقى الى ثانى اكبر اقتصاد فى العالم فى 30 عاما بعد الحرب العالمية الثانية؟

وقياسا يكرس الغرب– الرأسمالية ما بعد الصناعية مقولاتها غير المثبة على انها "ادلة علميه" على ميل تلك الشعوب–المتأصل فيها–حول الاطراق و النظر الى الخلف و الى الداخل وفق اطر فكرية – "براديجمات" Paradigms و نظريات–عنصرية–ثقافية عرقية مسبقة–او حتى ليبرالية او ماركسية.

و ازعم ان اطر فكر و براديجمات و نظريات الغرب–الرأسمالية ما بعد الصناعية الثقافية الاقتصادية السياسية الاثنية فاشية بوصفها تطورية نشوئية وعنصرية انتقائية اجتزائية Reductive و جاهزة ناجزة منغلقة على نفسها و كانها سجينة اسرار لا تجرؤ على البوح بها و الا طوفان السخط الفردى و الجمعى.

و يحلل واقع غير الغربى فى غياب الاسهام اللاغربى–ما خلا ما ينتجه و يعيد انتاجه التلاميذ النجباء فيلحق احادهم بمركب نوح. فاللحاق بمركب نوح ترميز للتعميد و الخلاص. و يستنسخ التلاميذ النجباء فيسمع- بشد الميم- التلاميذ النجباء مقرراتهم المدرسية بلا احتشام محزن كساقية بلا ماء.

ذلك ان الغرب–الرأسمالية بتويعاتها و الملحقون بمركب نوح العقلانى هم وحدهم من يملك القدرة على فيبرع فى مفصلة و وصف غير الغربى ما قبل الصناعى و تحليل مراحل تطور اللاغربى بمسلمات الرأسمالية النظرية. و يسمح الى ذلك لتلاميذ المدارس الفكرية الغربية النجباء بالادلاء بدلوهم فى تحليل الواقع غير الغربى بمفردات قد لا يفهمه بعضهم و غالبا ما تستغلق عليهم بطبيعتها المنغلقة على نفسها فى رياضة اكاديمية على افضل الشروط.

و حيث يكرس اقتهار المرغمين على الاستنساخ و تسميع المقررات المدرسية بالمحاصرة الفكرية و التنظيمية–وقد امتنع عليهم الالهام بالنتيجة–الاحباط و عدم الثقة بالنفس بل الشك فى الذات فيعاد انتاج:

– شروقة الذهن اللاغربى الناظر الى الوراء و الى الماضى اكثر منه الى الحاضر ناهيك عن المستقبل.

–انتاج و اعادة انتاج الفكر و التنظيم الغربى الرأسمالي البروجوازي الصناعي و ما بعد الصناعى على التوالى.

و لا ينتج مثل دلك الذهن سوى تكررا لما يكون بلا زيادة خشية لعنة الالهة وارهاب الكهنة و بطش الملوك و بخاصة غصب اباطرة الاعلام و النشر و زيوع الصيت. و يتم الى ذلك و به غالبا اقصاء من يتجاسر بالتجديد و الابداع اقصاءا منظما الا ما ندر–توكيدا و تصويغا لعميلة متصلة لأبلسه اللاغربى- والغريم الداخلى, فغاية العمليات الاخيرة عقلانيا و كانت دائما تيسير و تبرير عمليات ابادة غير الغربى ثقافيا و عرقيا و ان امكن بدنيا منذ عصر "التنوير" على الاقل. و يترتب على كل من المناخ الفكرى الملحاح والممارسات والتطبيقات التى تحقق " نبوءات الغرب" والاستباق–محكم التفعيل–لمصير اللاغربى–تحقيق النبوئة لنفسها-Self fulfilling prophecy بوصفها فى الواقع مصادرة ناجزة على المطلوب. فكيف يتلهف معظمنا على اسماء مفكريهم و علمائهم و ما يقولونه عنا حتى بعد ان يعتذر

بعض انبيائهم مثل فرانسيس فوكوياما عن موت الايديولوجية و التاريخ عنها؟ بل و كيف نأخذ عنهم و قد باتوا يتواقحون علينا و على تاريخنا بل ينكرون علينا ادميتنا؟

لا يقصد الغرب بالبشرية سوى الاقوام النقية:

يتحدث الغرب عن البشرية و الانسانية و لا يقصد غير صفوة او اقلية من أنبياء وامراء و ملوك و قضاة يعبرون الزمان و المسافات بلا حدود كما الكواكب السيارة فى فضاء كون لا يعمره بشر سواهم. و ازعم ان تلك التنويعات من الصفوات المقدسة كانت حرية بان تشارف نجوم السينما و كرة القدم فقد اصطنعت تلك الصفوات لنفسها ما اسميه النجوموقراطية Celebetocracy و قد بات النجوم ابطال و انبياء عصر ما بعد الحداثة يتحركون بين الافلاك خصما على من عداهم. و تصنع امريكا المشاهير. و يحفل الاصحاح القديم بالشخصيات الشهيرة و لولاها لما تذكرنا اسفار العهد القديم فمعظم الاخيرة باسمائهم. و كان المسيح نفسه قد بات نجما مشهورا يستهى الناس و تستقطب جلساته و خطبه الناس فيتبعونه او يتسقون اخباره حيثما ذهب. فما ان صنع المسيحي معجزة ان معجزتين حتى بات نجما و قام الى ذلك بما يشارف تلهية الناس Entertain them. انظر(ى) سفر القديس مرقص.

و يغدو كل من عدى النجوم فى مرتبة الكائنات الدنيا بل ان غير الغربيين من البشر أدنى من الحيوان و غير ذلك مما يقوله ارسطو او ما قول(مبنى للمجهول) به ارسطو اكثر الفلاسفة الاثينيين قربى الى قلوب الغربيين و بخاصة المدارس الفكرية التنظيمية الاوليجاركية و نظائرها الغربية و غير الغربية تباعا. و قد ذكرنا مغبة الاوليجاركية فى حركة المال و التجارة و الاقتصاد و ينبغى تذكر اثرها فى المساهمة فى ترجمة الفلسفة اليونانية تباعا.

و اجادل ان تأمل حال العرب و المسلمين و العالم يستدعى قياسا التساؤل فى كيف يواجه العرب والمسلمون الغرب الرأسمالية المسيحية الغربية البروتستانتية الافانجيلية الانجلو امريكية على الخصوص ولا يعرف معظمهم عنها كثيرا؟ بل لا يعرف عتها سوى ما تقوله هى عن نفسها وما يترجم من فكرها و ثقافتها ترجمة رديئة. و ازعم ان افضل الترجمات لا تتجاوز ملامسة سطح المقصود غالبا. ذلك نه لا يمكن ترجمة كلمة بكلمة من اى لغلة لاخرى دائما وقد تحتاج ترجمة من اصلا الى لعدة اكثر من كلمة و ربما كلمات. ويضاف الى ذلك مجال و بيئة و تقاليد الكلام حين قيل و كيف قيل لماذا قيل؟ و ليس ثمة ما يمنع من افتراض ان مفهوم الترجمة نفسه يصدر عن استحباب ما ينبغى ترجمته. فليس ثمة من يترجم ما لا يناسب مفاهيمه و قيمه مرة. ومرة اخرى فان الترجمة غالبا ما تحمل و لو شئ من نفس المترجم ان لم يكن بعض تحذباته حتى ولو بدون قصد او ترتيب. و تتعين امريكا اليوم على مراكز بحوث لترجمة الادب الغربى انتقائيا. و كانت حركة الترجمة قد سبقت ما سمى بالنهضة فى ثلاثينات القرن العشرين فى مصر مثلا. و ربما تعينت حركة الترجمة المشبوهة تلك على خلق تنويعة مشوهة على "نهضة" اوربا المريبة بدورها. و يقول المثل الايطالى المترجم خائن The translator is a traitor.

كيف اذن يصدق العرب والمسلمون الغرب بلا انتقائية بل ينخرطون فى الوفاء لمقولات الغرب–الرأسمالية–حتى الموت؟ كيف يخدع العرب و المسلمون بان طبيعة ما يسمى بالحضارة الغربية هى محصلة ثقافة او اجزاء ثقافية ذات خصوصية غربية خالصة مخصلة و ان ما عداها مغاير و لا سبيل امامه الى النشوء؟ و كيف بات معظمنا يومن بلا شك بان العقل الغربى لا يوازيه شئ لانه علمانى لا يطاله الدين و لا العاطفة فى شئ؟ و كيف لا يعرف معظمنا عنا الا ما يقوله الغرب عنا؟

هل بقي وادى النيل الاسراتى معقم من كل صلة باليونان حقا؟ كيف يتأتى الا يملك الوادى نيليين الابحار شمالا ابدا؟ و هل يعبر التوالى الحضارى الثقافى عن نفسه كما علامات المرور اخضر كهرمانى احمر حقا؟ الا يترك منوال ثقافى رواسب فى المنوال اللاحق ابد؟ الم يتساوق انقسام الكنيسة الكاثوليكية الغربية الى طوائف متحاربة يناصب بعضها العداء لوقت طويل و ربما حتى اليوم كما ذكرنا فى مكان اخر و سقوط غرناطة و قمة ازدرهار الامبراطورية العثمانية؟ الم تثر علمانية الاتراك العثمانيين يوما زعر الكنيسة المسيحية الغربية فيما كان اثر الاندلس على

الغرب على نحو لا ينمحى قد بقى يدفع الاخير الى تلفيق تاريخه نكرانا لذلك الاثر الباقى؟

و كيف لا يتساءل معظمنا ان كان لنزوح يهود الاندلس من مثقفين و مفكرين و تجار و لاجئين سياسيين و اقتصاديين الى المدن الدول الايطالية على الاقل مع الانهيارات المتتالية لمدن الاندلس اثر فى سقوط غرناطة؟ كيف باتت البندقية و فلورنسا اقوى الدول عسكريا؟ و كيف قيض ان تكون هاتين الجمهوريتين اول من انشأ مصارف فى اوربا؟ و كيف باتت اسبانيا اكبر قوة بحرية بليل هكذا نهاية القرن الخامس عشر؟ هل انقضى اثر الاندلس فى الغرب ما ان سقطت غرناطة حقا كما تحب المسيحية الغربية–الرأسمالية–الغرب ان يخدعنا نحن و ننخدع؟ و هل ينتهى زمان العرب و المسلمين بسقوط بغداد المعاصرة حقا؟

تعالق البندقية و غرناطة و مناويل هروب الرساميل:

أجادل انه فيما قد يدرك كثيرون تعالق هجرة اجزاء ثقافية من المعمار و تنسيق الحدائق و النوافير و الميادين و الموسيقى و الوان الطعام من الاندلس الى المدن الدول الايطالية منذ القرن الثالث و الرابع عشر الا ان معظمنا لم يتأمل ظاهرة هروب رساميل اندلسيةأالى البندقية وفلورنسا فلم يقيض لتلك الظاهرة دراسة بصورة كافية او اطلاقا بعد. و أزعم ان هروب احبار و قضاة و تجار اليهود من الاندلس–اسبانيا و البرتغال–الى ايطاليا كان وراء نشوء اول المصارف التى نعرفها. و كانت البندقية و فلورنسا قد تمأسستا فوق كل من الرساميل الهاربة باكرا من الامبراطورية الرومانية و من تجارة التوابل و بخاصة من الربا. فقد نشأت اهم الاسر الايطالية و حتى البابوية م وراء الربا خاصة.

و كانت اسرة ماديتشى مثلا و قد تعينت على تصدير البابوات الى الفاتيكان و الملوك و الملكات الى عروش أوربا الغربية ترعى ما يسمى بالنهضة و الفنانين و بناء الكنائس و المحاريب و زوايا التعبد

الخاصة–و تشارف الاخيرة الخلاوى و الاضرحة–و كان اثرياء المدينة و تجارها ينفقون فى تزينها بالمنقوشات و لوحات أهم الفنانين ما لا يقدر من الاموال .

و كان بناء الكنائس و المحاريب تكفير عن المراكمة بالربا الذى جعلته الكاثوليكية سبيل الفرد الى جهنم و بئس المصير. و حيث كان المرابون يبتاعون الخلاص بالتكفير عن طريق بناء تلك الكنائس و المحاريب و زوايا التعبد الخ فقد باتت الفنون و اللوحات و التماثيل من التخف التى تزين تلك المعابد التى بنيت تكفيرا عن المراكمة بالربا باتت بدورها مالا وعملة اهم من المال السايل. فقد راح الفن الذي نشدت به تلك الفئة التكفير يغدو بدوره أهم عملة Art as currency. و ما ينفك الفن يمثل اهم عملة فى زمان يمكن ان تبتخص فيه العملات و قد بات المال يباع كسلعة تخض للمصاربة فى السوق.

وقياسا أزعم ان هروب احبار و اسباط و تجار اعراب الشتات من الاندلس الى اورب الغربية و بخاصة الى هولندا و انجلترا كان له دور حتى لو كان نسبيا فى "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" و فى النهضة و فى التوسع فى شبه القارة الهندية و فى التنوير. و قد ترتب على حلول راس المال –الرأسمالية المالية الفائقة من الاندلس الى هولندا و انجلترا ان نشأت بنوك اورب الغربية كما نعرفها فى هولندا و فى انجلنرا تباعا. و كان اول بنك نشأ فى انجلترا ابان الحرب الاهلية. و كانت البنوك الانجليزية عبارة عن ماحيلات صياغة الذهب و قد تحول الصاغة الى تنويعة على البنوك حيث كان الناس يلجأون اليهم لحفظ اموالهم و مجوهراتهم وذهبهم ابان الحروب. و لم تلبث تلك التجربة التى كانت تبدو موقوتة بالحرب ان تحولت الى بنوك كما يعرفها الناس اليوم.

ذلك ان حركة الائتمان كانت حرية بان تبدأ من يومها و بات اصحاب تلك البنوك مضاربين ما ان غدت الاخيرة مصارف تبيع المال بالفائدة التى تصل نسب عاليا جدا احيانا. لم تلبث المصارف ان راحت تمول المشاريع الكبرى التى كانت الدولة تمولها من قبل كما باتت المصارف تعير الدولة مالا للحروب و غير ذلك مما كرس ارتهان الدولة من يومها لتلك المصارف. و لعل ما يسمى بالقانون الذهبى للاستثمار فى الدولة The Golden Rule of state borrowing و بخاصة التعين على تقديم الدعم المالى للدولة كان وراء نشأت فكرة الدين العام. فالدين العام وظيفة لنشوء الاوليجاريكات المالية الكبرى منذ بداية التاريخ المكتوب. و يلاحظ كيف ان اعلى رساميل "مستثمرة" فى الولايات المتحدة هى الرساميل الهولندية ثم الرساميل البريطانية–منذ ان رفعت مارجريت ثاتشر رئيسة الوزراء البريطانية المحافظة سقف تصدير رأس المال ما ان وصلت الى السلطة نهاية سبعينات الفرن العشرن.و تاتى اليابان بعدهما.

هذا و كان ويليام الفاتح سمح بحلول يهود البرتغال و اسبانيا فى هولندا عشية سقوط غرناطة. و كان كريستوفر كولومبوس الاندلسى البرتغالى قد عرف بانه كان يخالط علماءء الفلك والمفكرين العرب فى موانئ البرتغال. و كان كولومبوس يحمل فى حوذتة عندما ابحر الى جانب الانجيل–لاحظ(ى) الانجيل– نسخة عربية من "نزهة المشتاق فى ذكر الامصار و الاقطار و البلدان" للمؤرخ العربى الاشهر محمد بن

عبد العزيز الشريف الادريسى 1201. و كان كتاب نزهة المشتاق يشتمل على خارجة العالم و قد استغرق الادريسى فى جمعها و اعدادها و رسمها اكثر من 15 عاما[125].

و كان لاكتشاف المغناطيسا و انتاج البوصلة أهمية كبرى ابان الجغرافية الكبرى. و كان بعض المختصين قد جمع معلومات عملية عن البوصلة فى القرن السادس الهجرى بالحديث الى البحارة البرتغاليين–ممن كان قد تعين على الاستحواذ على علوم العرب و المسلمين. وكان البحارة الاوربيون الغربيون الشماليون يتجولون بين الموانئ التى يحط عندها اؤلئك البحارة البرتغاليين فى طريقهم من الشرق. و كانت المسيحية الغربية تبحث عن نظرية علمية كاثوليكية تقول بان الارض منبسطة و ليست كروية و أن الشمس تدور حول الارض و ليس العكس خلافا لما كان كوبيرنيكوس و جاليليو يقولان. وكانت الكنيسة تتطير من العلماء كونهم مثل جاللليليو جاللليلى و جوردانوا برونو و معظم علماء تلك الفترة لم يكونوا اوفياء للبابوية. و كان ذلك يتم فى مناخ "النهضة" التى تعينت عليها البابوية متساوقة مع اصولية دينية تتستر خلف شعار النهضة.

و اجادل ان الكاثوليكية الغربية كانت قد تشوهت باكرا فقد باتت تشارف طائفة يهودية او تنويعة مسيسة من المسيحية. و ازعم أن الكاثوليكية الغربية ما انفكت ان خرجت عن طوع بعض طوائف اليهود الهراطفة و عن الرأسمالية فراحت تناصب اليهود العداء و تخشى على العامة–الدهماء من اليهودة كما يلاحظ فى القرن الثالث عشر. و لم تلبث الكاثوليكية التى كانت معنية بتنصير العامة بصورة غير كافية و احيانا اطلاقا ان راحت تحرم الربا. كما خرجت بعض طوائف الخوارج و نظائرهم على بعض الصحابة و امراء المؤمنين مثلما خرجت تنويعات الاسلام السياسى عن حظيرة الولاء لكل من الاسلام الرسمى و الرأسمالية. قد بات من ثم من العقلانية تدمير الكاثوليكية و احلال نظائر مسيسة معقلنة بالقدر الكافى مكانها.

ويمكن القول بامعان النظر بان مفكرى تلك المرحلة الاوربية الغربية و قد تعينوا على مناصبة الكاثوليكية الغربية العداء كانوا حريون بان يؤلفوا–من كابيرنيكوس و جاليليو عبورا بتوماس بيكون وصولا الى تنويريي القرن الثامن و التاسع عشر العقلانيين الكلاسيكيين–سفر تكوين المحافظين الجدد و تنويعاتهم المعدلة جينيا من الليبراليين الجدد و العقلانيين الجدد مما تحاول هذه المجادلة اثبات بعضه كاحدى فرضيات البحث تباعا. فما هو التعريف الموضوعى للعقلانية المتخاتلة؟

هل العقلانية القاحلة و ظيفة الرأسمالية الفائقة؟ Is Sterile Rationalism a function of Super Capitalism?

أزعم ان بعض الاكاديميين الغربيين والعرب و المسلمين بقي يتخبط فى ظلام نكران اصل الفكر اليونانى اما عمى او تخاتلا قرون حتى اشعلت ثورة المعلومات ضوءا كان احيانا جاهرا بالقدر الكافى على حقائق ماثلة. و كان ضمير الشرفاء قد اضاء بدوره اركان الحقيقة التى بقيت معمش عليها عقلانيا طويلا وهى

ان الفكر اليونانى لم يكن غربيا و لم تكن اليونان غربية الا بقدر ما يزعم ان اسرائيل اوربية او غربية و تجمل اسرائيل فى النشرات الجوية و فى مسابقات الاغنية اوربية Euro-Song او فى غيرها.
و بالمقابل نفى كل ما عدى اليونان من على شواطئ المتوسط من وادى النيل الاسراتى الشمالى و الجنوبى بالتماس و قرطاج الشمال افريقية و ابناء عمومتها الفينيقيين الخ. فقد كرست عقلانيا فكرة ان وادى النيل الاسراتى الشمالى لم يكن يملك القدرة على الابحار لا شرقا و لا شمالا حتى فى اهدأ البحار مياها. ذلك ان البحر المتوسط لا يزيد على بركة كبيرة. و الى ذلك و رغم ان وادى النيل الاسراتى الشمالى و الجنوبى كانا قد وصلا فلسطين شرقا و القرن الافريقى جنوبا و كانا قادرين على بناء قوارب كبرى الا انه يدعى عقلانيا اى تكاذبا ان مركب الشمس التى تقع فى حضن الاهرام لم تكن لسوى حمل الفرعون الى السماء. ذلك اننا تركناهم يكتبون لنا تاريخنا حتى يتيسر لهم التستر على تكاذب تاريخيهم. فاى ختل و اى تخاتل؟

وقياسا فمن الحقائق الماثلة تعالق حركة النهضة و التنوير بحركات المتكلمين و الخوارج و غير ذلك على سبيل المثال مما أتناوله تباعا. و تحاول هذه المجادلة التعين على التعرف على و تعريف الليبراليين الجدد بوصفهم احفاد المتكلمين. والمتكلمون سفر تكوين الخوارج. واجادل ان بعض الاخيرين السياسيين و ربما العقائديين سفر تكوين الطوائف المنشقة على الكنيسة الكاثوليكية و صولا الى البروتستانتية المغالية فى تنويعتها الافانجلية الانجلو امريكية او اليسوعقراط.

كيف لا يتجزع مفهوم العقلانية عن مفردة العقل؟

تحاول هذه المناقشة فيما تحاول مجادلة مفهوم العقلانية و العقلنة و التبرير فلكون كل من تلك المفردات–و ان اصدرت عن جزع لغوى واحد–تبدو قريبة من مفردة اومفهوم العقل. الا ان مفردة العقلانية ما تنفك تتجزع Trunkate عن شجرة اصلية الى تفرعات لا تنتمى احيانا الى مفردة العقل. و بالمقابل قد تتصل مفردة التبرير بمفهوم العقلانية. وكذا تتصل مفردة الذرائعية والبراجماتية اى النفعية بالتبرير ومن ثم بالعقلانية اجرائيا. و قياسا تغدو تجزعات شجرة مفهوم العقل و العقلانية حرية بان تتصل يتعريفات قد تختلف فى تنويعاتها. و يظهر ذلك التجزع فى الانجليزية حيث ان مفردة عقل بالانجليزية Brain or Intellect لا تتصل بمفردة عقلانية Rationalism بصلة لغوية الا بقدر ما تنسب الى عمليات عقلية.
و تتصل تفريعات من الفكر النشوئى بالعقلانية الا اننى ازعم ان ذلك تدبير لا يرتكز على اساس منطقى على الاقل. فتصور ان النشوئية العقلانية–بمعنى انها تأتى من التعقل و تدبير الامور–تتصل بطافة الكائنات الحية العقلية او الذهنية لا تفسر لنا صلة الميكروبات التى تعيش داخل الانسان مما لا يملك الانسان الحياة بدون العقل. فالميكروبات طفيلية انانية و من ثم "عقلانية الا انها تبقى بلا عقل. انما الاحرى بالغريزة و هذه ملاحظة هامة جدا.

فكيف سوغت عقلانية الرأسمالية مشاريعها التوسعية و تكريس شرط المراكمة بالفائدة اكثر منها بالربح و اجتاحت العالم بقوة المال و مزيد منه متمأسسة فكريا و تنظيميا فوق حيوش العقلانيين بتنويعاتهم و كيف قد انطلت الرأسمالية و سردية اعراب الشتات بهذا الوصف على الافراد و المجاميع طويلا ليس فى العوالم العربية و انما فى الغرب نفسه؟

عقلانية الرقابة الديجتالية و تنميط العقل البشرى:

يروى جون بيلجر John Pilger المحلل السياسى و الكاتب فى مجلة نيوستيتسمان الاسبوعية ما يشارف المزحة الا انها فى الواقع ليست سوى تعبير عن الكوميديا الفاجعة. و يقول جون بيلجر ان امريكان التقى بهم فى زياره له بامريكا ذكروا له كيف ان وفدا روسيا استضافوه ايام الحرب الباردة كان مندهشا لما شاهد وفد من انضباط الامريكان وهم يرددون وجهات نظر مشابهة. و لما سأل الروس مضيفيهم "كيف تملكون تحقيق ذلك و نحن نقيم معسكرات اعتقال و يتجسس الكى جى بى على الناس و يحرض الجيران على بعضهم و نقيم المذابح؟" فرد امريكى من المضيفين:

"الامر فى غاية البساطة. عليك الا تترك للفرد سبيلا الى وجهة نظر مخالفة كما لا نترك له فضاء خارج السعى لتسديد فواتيره. و الفرد الامريكى مكبل بالديون من رهن عقاره الى سيارته و كل ما يملك". ان الفرد الامريكي مرهون لمكان ما او مؤسسة ما او لجماعة ما او لمصرف و قد جعل بحيث يفعل كل ما من شأنه–فيما خلى استخراج رخصة قيادة سيارته و دفع ضرائبه–التى تتفاقم تباعا على المفقرين لحساب الموسرين–يفعل الفرد كل ما من شانه ان تتركه الدولة و شأنه فيتركها و شأنها. و قد بات الامريكى على يقين من ان تلك هي وسيلته للتحرر من الدولة و يطلق على تلك الاحبولة الماثلة تحرير الفرد. و بالمقابل يقاوم الامريكان–الحمهوريون خصوصا–اي تدخل للدولة فى حياتهم حتى لو كان مشروع كفالة مثل مشروع هيلاري كلينتون فى ثمانينات القرن العشرين وصولا الى مشروع اوباما المتخاتل الذى يسلم ذقن الدولة لمصالح للصناعاتت الكيماوية و لعصابات كبارالمحامين.

هذا وفيما تفرد عمليات تحوير الفرد الى مستهلك حتى الموت بالنتيجة فان تلك العمليات تتعين بالضرورة على عقلنه و تكرس العقلانية الطافحة فى نخاع الفرد حتى لا يرى سوى مصلحته الملتبسة بالتزويق و التشويه و لو فى اخر قطعة من حلوى النعناع كما يقول اعلان متلفذ لتلك السلعة. Do you love someone enough to give them your last Polo?

وحيث لا تعنى الرأسمالية بالفرد الا اذا كان مستهلكا و مبذرا لمال لا يملكه حتى الاملاق فانها تهتم وحسب بالفرد و المجاميع فى المجتمعات الغربية باخضاعهم للرقابة الديجيتالية و بجواسيس الفضاء على نحو غير مسبوق. و الفرد مراقب فى كل ما يفعل الفرد او يترك و متلصص عليه الى ذلك بالكاميرات اليكترونية Close Circuit TV(CCTV) على الطريق وعند النواصى و فى مداخل وداخل الماحلات التجارية والمصارف والمراحيض العامة و كلما سحب الفرد مالا و كلما أستخدم بطاقة ائتمان او ابتاع بطاقة قطار او حافلة او طائرة و كلما ملأ بطاقة هاتف نقال

او تحدث على هاتف نقال او جلس على مقهى او مطعم او ارتاد مسرحا او سينما او شاهد برنامجا تلفزيونيا او طلب كتابا او صرف روشتة دواء او حلل بوله او دمه او قص شعره, و يلاحق الفرد كلما دفع قيمة ملابس او بقاله الاسبوع أو ثمن بترول سيارته او نظافتها او تبرع لمؤسسة خيرية.

و يراقب الفرد كلما فعل او ترك شيئا: كلما عطس او اصيب بالامساك او الزكام فان رقما ينزل على حاسوب جهنمى بتفاصيل لا تخدم السوق والتسويق ومزيد منه و حسب وانما توضع تحت تصرف الامن و الدولة :الاخ الاكبر.و يحتم قانون باتريوت PATRIOT على كل مكتبة او جامعة او اى مؤسسة امريكية رسمية او مدنبة او شعبية تقيد قوائم و معلومات بتفصيل التفصيل حول كل من يتعامل معها باى صورة من الصور. يعنى قانون باتريوت توحيد و تقوية امريكا بواسطة توفير الوسائل المناسبة للتصدى للارهاب و صده Uniting and Strengthening America by Appropriate tools required to intercept and obstruct terrorism Act . هذا و قد بدأتت تلك الكميرات توضع بين تلاميذ المدارس منذ سن السابعة. و يتحايل اصحاب تلك البرامج بالقول بان الكاميرات توضع فقط فى المراحيض لمنع الاطفال من تخريب المراحيض. و يقول اخرون ان تلك الكاميرات وضعت خصيصا لتهيئة الاطفال منذ سن صغيرة لفكرة انهم مراقبين.

و لعل مفهوم "الاخ الاكبر فى وراية 1984 لجورج اوريل" Orwellian Big Brother الذى كان قد علق فى رقبة الاتحاد السوفيتي كدالة على الستالينية و الستار الحديدي رجع فغدى معلق فى رقبة الرأسمالية نفسها وبخاصة ما بعد الصناعية–الامركة–الكوننة. ذلك ان الاخيرة لم يبقى لها ورقة توت تغطى بها عريها الماثل رغم و ربما بسبب ان فصائل من "الطبقات" الوسيطة النغلة هى التى كانت قد راحت تتعين على تيسير وراثة الرأسمالية ما بعد الصناعية العسرة من البرجوازية الصناعية. و تحاصر كل من تلك الجماعات النغلة و اسيادها المعولمين كل من عداهم باصولية شروط عولمة وجودها و بقائها فى سلطة سمسارة. فكيف حاصرت تلك الجماعات و سادتها من عداها؟

كيف يتعالق العقل و المجتمع؟ وكيف بدأ عصر الشخصية او الانا المفرغة من العاطفة–اللا عاطفة–الانصباط فى الصف و الاستهلاك حتى الموت؟ وهل تعين اعراب الشتات على تكريس تنويعات من عقلانية بن جوريون و بولص الرسول؟ من الذى يتعين او ما هى الجهة التى تتعين على:

–تفريغ الوعاء المسمى شخصية من كل شئ؟

–توفير النماذج المنمطة للعالم الذاتى والخارجى. ويقولون هم انفسهم ان المسي نفسه كان قد نمط stereotyped حين صنف الفاريسيين فاسماهم الشريرين. و قياسا ينمط المسيحيون الغربيون من عداهم فبات المسلمون شريرين و اليهود شريرين و الكل شرير اللاهم.

؟–تصنيف الناس و الاشياء فوضعها فى خانة الحسنات و السيئات الخلقية او ميزات الرقى العرقى وسمات الانحطاط والقبح الجمال.

عقلانية تفريغ الشخصية من تلقائيتها نفيا للهوية:

تتعين عقلانية العولمة و كانت الرأسمالية قد تعينت باكرا –على تنمط الافراد بتفريغ ذواكرهم من كل مايخصهم بالضرورة و ما يدل عليهم بالنتيجة. وما تنفك النظريات النفسية و الاجتماعية ما بعد الحداثية تجأر–بعد ان ثابرت على الزعم بان ليس ثمة شئ اسمه المجتمع و ان ليس ثمة طبقات و ابلست الاخيرات فابقيت فى عداد اللامساسات–تجأر الرأسمالية ما بعد الصناعية–المالية–بان ليس ثمة ما يسمى بالشخصية و انما هناك وعاء يحمل معارف و خيارات و نماذج منمطة من المعلومات حول الذات و الاخرين. و ان تلك النماذج المنمطة Stereo-Type للعالم الذاتى و الخارجى هى التى تخلق ما اسيمه التلقائية المعقلنة Rational spontaneity او التلقئية العقلانية Spontaneous rationalityفى التعامل مع الناس و الاشياء فى العالم الخارجى على الخصوص. و تؤكد تلك النظريات على اهمية تكريس تلقائية معقلنة لدى الفرد المفرد. و الاخيرة شئ اخر غير العقلانية المفكر فيها كاسلوب حياة و تبصر بالامور لغاية معرفة محددة. ذلك ان التلقائية المعقلنة تسهل الحياة. و لمفهوم التلقائية العولمى ذاك ابعاد خطيرة ليس اخطرها سلب الفرد تلقائيته الفطرية بغاية احلال تلقائية بنبغى ان تخضع للعقلنة بحبث تتقبل ما يلقى عليها بلا مجادلة. و يسهل بتلك التلقائية الايحاء و استلاب ارادة الفرد امام غواية السوق وكل ما يناسب مصالح اصحاب المال وصولا الى تدمير المجتمع و خلق العداوة بين الاجيال و نشر الاباحية بانواعها الخ.

و من المهم قياسا التوقف عند التلقائية المعقلنة تلك بوصف انها ليست تلقائية فطرية و انما هى تلقائية برمجة العقل على التلقى بمناويل القبول و الرفض اللذان يشارفان الميكانيكية العقلية او اللا عاطفية. و كان ذلك التلقى اتصل باكرا باستدعاء تنويعة بعينها من مفهوم "العقلانية" ثم "العقلانية الحديثة". و اجادل ان العقلنة المفرغة من العاطفة لم تنفك ان باتت تنويع على البراجماتية و على مفهوم دارج للبيوريتانية–التطهرية بمعنى تنويع على التطرف– كان قد تحدر عن الحجاج و رفقاء سفرهم من الغرباء المهاجرين الى العالم الجديد و رجال الحدود Frontiers men–و هو مفهوم ادعى انه يصدر عن الفكر الاسبارطى لرسم الحدود و توسيعها و حراستها بالسلاح اكثر منها بالقوانين المرعية–الى و المغامرين و المكتشفين و المبشرين وصولا الى نظائرهم ما بعد الحداثية من الجيوش المخصخصة و قوات الحراسة المرتزقة مثل سانت لاين و لبلاك ووترز مما قد ناقش بعد.

و ازعم ان العقل الغربى و غير الغربى بالتماس كان قد درب على جعل قائمة بحسنات و سيئات و رقى و تدنى و رفعة وانحطاط و جمال و قبح ما يصادفه من الناس و الاشياء فيقرر العقل او النفس او الشخصية على اساس حاصل طرح الثانية من الاولى بمعنى ان الاسود مثلا هو تعبير عما هو ليس موجود لانه ليس ابيض او ليس ابيض. و العكس صحيح فالابيض موجود ملئ العين و السمع لان كل

شئ يعبر عنه و يعود اليه فهو خير قياسا على الاسود الى يبفى–استدلالا او استقراءا–مغيب و شرير. و تبقى تلك الثنائية مطلقة لا تقبل المجادلة حتى اليوم رغم اوباما و كولين باول و كونداليسا رايس و غيرهم و ربما بسبب ذلك. و يقول بعض الناخبين حول رأيهم فى المرشحين الجمهوري و الديمقراطي ان الواحد منهم لا يتصور اوباما جاره و يرتاد نفس الحان. و لعل تلك الثنائية تفسر كيف ان الامريكى لا يفهم و لا يرغب فى فهم شئ مثير للجدل معقد او مركب و انما كل ما يريده حلولا سهلة لانعقد المسائل. و كأن الامريكان تنويع على الاثنيين فى القرن الخامس و الرابع قبل الميلاد. فقد كان الاخيرون يرغبون عن جدل سقراط و ارسطو و يعرضون عن كل ما يدفعهم الى المبالاة و كان الاثينيون كما ذكرنا فى مكان اخر محبطين و لا وقت لديهم للتعاطى مع القضايا بيسر ناهيك عن الاسترسال فى الجدل. و ربما كان الاثينيون حريون بان يكونوا أكثر ميلا الى الرواقيين و الصوفيين الكلاسيكيين. و لعل امريكا فى حربها على العراق و افغانستان–و قد راحت تجتاج باكستان و تنوى المثل بايران و السودان الخ–لعلها تشارف اثينا فى حربها المستطيلة مع اسبارتا.

المهم بالعود الى الثنائية المطلقة بين الابيض و الاسود تلك كقد كان بعض مفكرى حركة الاتحاد يقولون على عهد ماديسون ان لاصحاب العبيد فى الولايات الجنوبية اعتبار كل عبد بمثاية 3 اخماس رجل استرضاءا لاصحاب العبيد حتى يرفعوا اعدادهم فى الولايات الجنوبية. الا ان الولايات الشمالية احتجت قائلة كيف يكون العبد على اى نسبة بالرجل الابيض فهو ليس بشر و هو ليس عقار ايضا. و عليه فان كان عقار فان كل من يملك عقار يستحق ان يحسب عقاره لحساب الاعداد التى ياتى بها الى ووشنجتون عند تقدير اعتبارات الاتحاد فى 1787. و يلاحظ ان من شروط الاقتراع و الترشيح ان يكون الفرد رجلا ابيض يملك عقارا.

و لعل ذلك قد يفسر كيف ان علاقة الفرد العقلانى بهذا الوصف بغيره من الناس و و الاشياء محصلة عملية ذهنية لا واعية عقلانيا و لا تقربها العاطفة من بين يديها و لا من خلفها. فاللا عقلانية و اللا عاطفية تملى على الفرد ما يفعل و ما يترك بلا تردد و كأنه الة او–و على غرار ما يدرب الجنود لقتال الخصوم مما يؤلف المفهوم المعقلن للعلمانية خصما على التلقائية و الفطرية.

تشكل قدرات العقل و المجتمع:

ربما كان مفيدا البدئ بمحاولة تعريفات اجرائية لمزيد من اهم مفردات او مصطلحات العقلانية كالعقل–الدولة–المجتمع الخ. و تحاول الدراسة تناول بعض تلك المفردات–من اسفل–فى السياق التاريخى للمفاهيم المحورية للدراسة. و لعل التعريفات المحافظة لبعض تلك المفردات قد تقيض الوصول الى نقيص او الى تنويع اقل محافظة عليها فيما يلى:

–لا يستخدم هذا البحث مفردة او مفهوم العقل العربى تحديدا بالتعريف التشريحى الجينى الذي يستخدمه به بعض المفكرين والمثقفين العرب من حيث ان العقل العربى محمول على القصور بطبيعته او مجعول

للتخلف جينيا عن العقل الغربى او تشريحيا على طريقة ما يسمى النظرية العنصرية العلمية Scientific Racism او–و نظرية اليوجينية الامريكية American Eugenics[126].

و كان باروخ سبينوزا 1632–1677 يقول بان العقل قوة شاملة جامعة و ليست خصوصية ادمية. و يقول البعض ان العقل الفردى–اى كمياء الذهن اكثر منه المفهوم التشريحي للعقل او المكون العضوى للمخ بهذا الوصف– أن العقل الفردى كان عبر التاريخ البشرى قد اخذ يتشكل او تتألف مكوناته باساليب متغايرة و مختلفة من مجتمع الى اخر. فكمياء العقل الفردى تستجيب الى و تكون علاقات و وظائف تصدر عن المجتمع الذى ينتمى اليه الفرد. ذلك ان العقل الفردى بهذا الوصف مرآة او انطباعا لذلك المجتمع بالذات. ويبقى مثل ذلك الادعاء شئ و حقيقة ان العقل الانسانى لا يحقق قدراته كاملة و لا يشكل الحياة التى تخصه و تناسبه سوى عبر المجتمع شئ اخر.

و ازعم ان القدرات العقلية ليست ذهنية او فكرية مطلقة و انما هى بيولوجية صحية ايضا و بقدر ما يملك الفرد من مقومات الجسم السليم بالتغذية و العناية و الرعاية الصحية. و كنت قد شاركت كمشرف على ابحاث سوسيولوجية على سكان العاصمة السودانية المثلثة و بورت سودان عن شركة مافيت لتخطيط مدينة الخرطوم و بورتسودان فى دراسة اثنوموغرافية أى دراسة السمات البدنية و الصحية لعينات من اطفال الاحياء الفقيرة فى السودان بجامعة روما. كما شاركت عن كلية التربية فى جامعة ادواردو موندلانى بموزانبيق مع وزارة الصحة الموزنبيقية فى دراسة على اطفال المدارس الابتدائية الى الثانوية المختلطة بين ابناء الموزنبيقيين البيض و الموزانبيقيين السود و الملونين على مدى عام كامل.

و كانت النتيجة فى الحالتين ان الاطفال المفقرين الذين يعيشون رهناء الاحياء المفقرة البعيدة يعجزون نسبيا عن التحصيل بصورة جيدة مقارنة مع أقرانهم من الاحياء الافضل اقتصاديا و اجتماعيا. وكان الاطفال الافقر الى ذلك اقل طولا و انحف بكثير من نظائرهم الموثرين و كان الاخيرون غالبا من البيض او–و الملونين انغال الاول. و قياسا كان الاطفال الموزنبيقيين البيض حريون بان يملكوا القدرة على التحصيل دراسيا بصورة افضل من نظائرهم السود. و كان بين السود اللذين ينتمون الى الطبقات الوسيطة او اللذين على حافة الاخيرة و يسكنون بالقرب من المدارس يملكون التحصيل بصورة افضل من السود المفقرين اللذين تبعد سكناهم عن المدارس. وابدى الاطفال الذين يسافرون مسافات طويلة الى المدرسة كل صباح على امعاء خاوية عدم قدرة على التركيز اثناء الدرس و لا يتعينون من ثم على تحصيل جيد و تقع درجاتهم فى اسفل قائمة النتائج الدراسية[127].

ولا توضع تلك الاعتبارات غالبا عند تصميم كل من اختبارات الذكاء ناهيك عن المقررات المدرسية. و لا توضع فى الحساب عند منح الدرجات او–واصدار الاحكام على المفقرين و وصمهم بعدم القدرة العقلية او بضعفها وصولا حتى اليوم الى اتهامهم بالتخلف العقلى. و كان احد اساتذة علم النفس ممن عمل بافريقيا قال ان معدلات ذكاء الافارقة اقل من نظائرهم البيض و انهم يكتبون عند ركن ورقة الامتحان و بخط صغير لا يقرأ. و قد دمغ الاخير سكان قارة بكاملها بالغباء و بالتقتير فى استخدام ورق

الكتابة بصورة مخلة. فما هى علاقة المجتمع الذى يعيش فيه القرد بقدرات الفرد العقلية و القدرة على التعلم فالتحصيل و الابداع؟

العقل والدولة و المجتمع:

يقول بعض المتخصصين فى دراسة المخ–اكثر منه دراسة العقل– ان الفرد ولد بطاقم قيم و تتصل تلك القيم بالمحيط الذى يوجد فيه الفرد اى فرد من الخبرة الجمعية المنظمة كالحب ابتداءا من الحب الامومى الى الحب الرومانسى والموسيقى والفن. ومن وظائف المخ الحصول على المعرفة. و يحصل المخ على تلك المعرفة مثلما تحصل اوراق الشجر على لونها بضوء الشمس او عدمه. وبالمقابل فان العقل محصلة تلك القيم التى يولد بها الفرد و تأثيرحاصل جمع العقل الجمعى و الدولة بوصفها مصفاة عقلنة الافكار الجمعية فى شكل قوانين و براديجمات للسلطة و الفن و المسرح و الانسان المطلق مثلما فعلت البروجوازية الصناعية اكثر من غيرها على حد قول بارثيز [128] Barthes.

و يقول بعض الفلاسفة ان العقل الجمعى مؤلف من مجموع عقول الافراد المكونين للمجتمع. و يقولون ان الدولة حرية بان تغدو حاصل جمع تلك العقول او قد تعبر عن العقل الجمعى انتقائيا بالنتيجة بمعنى طبقيا بالضرورة.

و بما ان العقل الجمعى مؤتمم اومذرر او مجزأ نوويا او فى جزئيات نووية atomized بين الافراد المكونين للمجتمع فان الدولة بوصف انها قد تؤلف او تسعى لان تؤلف او تدعى بانها تؤلف حاصل جمع تلك الجزئيات فان الدولة تغدو او تدعى انها تمثلا لكافة الجزئيات و بالتالى للمجتمع. وقياسا اذا كان المجتمع وحدة شاملة جامعة تعبر بدورها عن نفسها بصورة متنوعة عبر حياة الافراد المكونين للمجتمع فان المجتمع حري بان يشتمل pervades العقول الفردية.

ولعله وارد –بمعنى اخر–القول بانه قد يكون حقيقيا و الامر كذلك انه ان يوجد الانسان فان الدولة تكون قد اوجدت نفسها و كانها تفعل ذلك بنفسها. على ان هذا المعنى الفلسفى الارسطى الهيجلى ربما اكثر منه الجدلى المادى التاريخى للدولة قد يصدر عن مفهوم مثل "ان الدولة ظاهرة طبيعية" او انها تنامى– اى تطور ذاتى–او ثورة. او قد يصدر مفهوم الدولة عن ان الانسان اصلا لا يتحقق ضمنا بدون او خارج الدولة". ذلك ان "الدولة" حسب هذه الفلسفة "سابقة على الافراد". وهنا ينبغى التوقف عند مقولة قد تتبدى و كأنها كل الحقيقة فى حين انها بعض من الحقيقة المتصلة بكينونة الدولة بالنظر الى الافراد والمجتمع. ذلك ان الطروحات تختلف اختلافا عاليا و واسعا حول ما اذا كانت الدولة سابقة على الافراد. و بدون الدخول فى تفاصيل ايهما اسبق يحق التنبه على طبيعة الدولة من حيث اى دولة تلك التى يتم الحديث عنها؟

فالماركسية تقول بان الدولة لا تنشأ الا اذا تعين للافراد المؤلفين لجماعة ما ان ينفرزوا بين مالكين و غير مالكين. فما ان تنشأ الملكية الخاصة–او الجماعية التى تدعى او تملك الوكالة عن المجتمع فى تقسيم الثروة مما يناط بفئة اجتماعية اقتصادية ممتازة من بين جماعات محتمعية فان فكرة الدولة بوصفها

منظمة لعلاقات الملكية ومن ثم علاقات الانتاج تبدأ بالنشوء. و تقول الماركسية ان زوال الدولة–كونها تعبير عن و تكريس لمصالح طبقة خصما على طبقة اخرى–يبشر بالاشتراكية كمرحلة متقدمة على البرجوازية الصناعية و من شأنها التمهيد للاشتراكية وصولا الى الشيوعية(افتراضا).

ومن المفيد تذكر انه حين كادت الدولة البرجوازية الصناعية الايطالية توشك على الافول لحساب الطبقة العاملة الايطالية لم تلبث اوربا ان هبت عن بكرة ابيها لاعادة انتاج دولة رأس المال خصما على البروليتاريا و سجن ثم نفى جرامشى–وقد بشر بذلك الفجر الذى لم يقيض له الانبلاج بصورة ساطعة– الى الاتحاد السوفيتى. و قياسا يقول المفهوم الفلسفى المحض–الذى لنا ان نأخذ به او لا نأخذ به–ان الدولة تخلق صلة و تعلقا لدى الفرد تغدو اقوى من صله الفرد او تعلقه–اللاواعى او الواعى–باسرته. فذلك التعلق خليق بان يبدو او يغدو اقوى و ابعد من صلة الفرد و تعلقه بالاسرة او الشراكة الجمعية . ذلك ان ليس ثمة سلطة اخرى تعلو على سلطة الدولة على الفرد. و كأن ذلك التعريف يلغى تاريخ الغرب السابق على الرأسمالية بكامله الغاءا.

هذا و قد بات هذا المفهوم بائرا ما ان بترت علاقة الفرد بالدولة فلم يعد للفرد صلة بالدولة الا ما خلا دفع ضرائبه و قد راح الفرد يفعل كل ما فى وسعه حتى تتركه الدولة و شأنه مثلما فى الولايات المتحدة وبريطانيا حيثما قلصت الرساميل المالية ما بعد الصناعية فضاءات الدولة و حركتها و سيادتها. و لم تعد تلك الرساميل تترك للدولة التدخل لمصلحة اى جهه سوى مصلحة الرساميل عابرة الحدود و توفير شرط حركة المال و المراكمة الرأسمالية ما بعد الصناعية. و كانت "شرطييات رأس المال المذكور فرض ما سمي ب"الطبيع" Liberalisation و معناه رفع كافة القوانين المقيدة لحرك المال و توفير الامتيازات للرساميل الاجنبية او ما يسمى بالاستثمارات الخارجية خصما على رأس المال الوطنى و رفع الدعم على السلع و الخدمات العامة و تقييد حركة ماعداه و كسر ظهر الحركات المطلبية الخ. و قد اطلق على التطبيع بعد ان انكسر السر صفة التحديث Modernisationو مفاده كل ما ذكر اعلاه زيادة على توفير العمال بغاية تخفيض سعر تكلفة السلعة.

و لم ينفك دور الدولة ان بات حماية اصحاب المال من مغبة مغامرتهم المدمرة للاقتصاد غالبا. و نرى ذلك فيما نرى فى كيف تضمن الدولة–البنك المركزى الوطنى–المصارف المشرفة على الافلاس نهاية صيف الى خريف 2007 جراء ما يسمى بازمة سوق الائتمان العقارى. و اذا لم تفعل الدولة ذلك –كما اتهمت دولة ايسلاندا بانها دولة ارهابية. فكيف باتت الدولة خادمة بعد أن كانت ملهمة ومصدر كينونة الفرد و المجاميع المؤلفة للدولة فى علاقة جدلية مبدعة–مبنى للمجهول–بتلك الكلانية Totality الاجتماعية. فهل تبقى الدولة–اكثر ابداعا من أى فرد و أى جماعة مكونة لها؟ و من الذى ورث مكان الدولة فراح يدعى ابداعات من عداه؟ من الذى تعين على نفى تلك الابداعات خارج الزمان و المكان واوقع باصحابها الاصليين غالبا عقوبة تشارف الحكم بالاعدام المدنى؟

الدولة و نفعية الاولبجالاكبات الصفووبة:

ازعم ان الدولة تستقطب–نيابة عن الطبقات الحاكمة–الابداعات الفردية و بخاصة الشعبية حتى تبقى الدولة على قدرتها التى هى تعبير عن وحاصل جمع القدرات المجتمعية فى الزمكان. و اجادل ثساشا أن الدولة كانت حرية بان تتعين على احتكار فتدعى الحق فى ان تنسب الى نفسها و تستعير انتقائيا بالطبع و تستغل لصالحها كل ابداع فردى او شعبى و تدعيه و تفيد منه انتقائيا بالطبع و تضيف به عقلانيا الى قدراتها الابداعية لحساب جماعات بعنها و خصما على جماعات اخرى فى المقياس المدرج. وكان الافراد و الجماعات–المؤلفة للدولة او تلك الكيانات التى باتت تفوق الدولة و تتجاوزها مثل الشركات عابرة الجنسيات قد تعنيت على السيطرة على الابداعات الفردية و الجميعة و احتكارها–أو–و تحريم تلك الابداعات على اصحابها. فقد تعين المحافظون الجدد و الليبراليون الجدد و تنويعات من الاسلام السياسى مثلا على انتحال و ادعاء ابداعات الناس التنظيمية و ملامح من ابداعاتهم الفكرية ثم لم ينفكوا ان حرموها عقلانيا على اصحابها مثلما تفعل الشركات عابرة الجنسيات بالحكمة الشعبية من الفنون و الطب البلدى و البذور و غيره مما راكم معرفته مجاميع الناس العاديين فى كل مكان على مر الاف السنين.

وتقول تقارير حديثة ان الافارقة فقدوا كغيرهم من معظم سكان العوالم الثالثة و الرابعة و العصر حجرية خبرتهم الشعبية جراء العون الغذائى و التصحر و النزوح العنيف و الايدز فلم يعد الفولكلور ينتقل من اب الى ابن و من ام الى ابنة و لم يعد الصغار يعرفون ما يفعلون لعضة الثعبان او لثغة العقرب و لا نوع النبات الذى ينبت فى الصيف او فى الربيع و لا كيف يقلبون التربة دون ان يفسدوا الحياة التى بالارض. و هكذا ترك الافريقيون بلا حكمة شعبية تعصمهم مما كان قد عصم ابائهم و اسلافهم على مر الاف السنين. و تعود الشركات عابرة الجنيسات فتحرم ما بقى للشعوب من الفنون الشعبية و البذور المعدة بخبرة تلك الشعوب الخ و تبيعها لهم مغلفة معلبة باسعار باهظة. و تتعين تلك الكيانات الفائقة على الدولة و على المجاميع المحكومة على شراء ابداعات اخرى لتدمرها عقلانيا ايضا و ذلك لاستباق استخدام مخترعيها لها فلا يقيض لهم شرط نضوج الوعى وصولا الى النشوء صاعدين تنظيما و فكريا الى تنويعة اعلى على انفسهم. ذلك ان مثل تلك الاختراعات قد تعبر عن نفسها يوصفها زائدة عن حاجة المراكمة الرأسمالية عقلانيا لان من شأنها ان تتناقض و شرط المراكمة الرأسمالية و العكس صحيح. فكل ما يتناقض و شرط المراكمة الرأسمالية زائد عن حاجة الاخيرة عقلانيا كما يتناقض كل ما هو زائد عن حاجة المراكمة الرأسمالية و مصالح الاوليجاركيات البيضاء خاصة.

و قياسا و حتى يتسنى للدولة او من بمقام الدولة من الصفوات الاوليجاريكية مرة او–و من الدول المانحة هذا الحصاد الفردى والجمعى من الابداع فانه يتعين عليها ان تبقى و تحافظ على شروط القدرة المبدعة فى و المبدعة بما حولها مما ينتجه الافراد والجماعات من داخل شرائح الدولة نفسها و من دونها و من خارجها. و قد تتعين الدولة او من يقوم مقامها من الاورليجاكريات المذكورة على ارساء تقاليد تربوية تحرم على العامة الخلق الابداع وتتمنعه او–و تصارد الدولة والاوبيجاركيات الابداعات الفردية و

الجمعية. فليس واردا ان يترك للناس هامشا للابداع حتى لا يستقوون بابداعاتهم على الدولة و الاوليجاركيات.

عقلانية ألاخذ عن المبدعين و مصادرة الابداع:

لعله من المفيد تذكر انه رغم تحكم الدولة و الاوليجاريكيات فى الابداع و من يبدع و من تصادر امكاناته الابداعية بالتضور و الترويع و نفى شرط الابداع اصلا بين من لا تستحب الدولة و الاوليجاركيات الا ان الدول و الاوليجاركيات تبقى مع ذلك و تحافظ على تجدد و تنوع شرط الابداع الفردى و الجمعى حتى تأخذ عن الاخير. فالابداع الفردى و الجمعى يوفر للدولة او من بمقام الدولة كالصفوات الاوليجاريكية ان تعيد انتاج نفسها بتلك القدرات الجماعيه و الفردية. و من المفيد ملاحظة كيف ما تنفك الدولة ان تدعى تلك الابداعات انتقائيا و عقلانيا بالطبع خصما على المبدعين من الشرائح الدنيا و على حكمتهم الشعبية مما كانوا قد راكموا على مر الاف السنين. و تدرك الطبقات الحاكمة ان قدرات الشعوب الابداعية محصلة الحركات الشعبية التى تشعلها الشعوب فى مناويل دورية مما لا يكاد يقيض له النجاح.

ولا تصادر الطبقات الحاكمة تلك الحركات عقلانيا للحفاظ على مصالحها و مكانتها و امتيازاتها هى وحسب و انما لان الطبقات الحاكمة كانت و بقيت تدرك على مر التاريخ أن الحركات و الثورات الشعبية قمينة بان تخلق شرط نضوج ابداعات شعبية اكبر واوسع. و قياسا فلا ينبغى ان يقيض للحركات الشعبية النجاح فلا تجتاح كل شئ فى طريقها ابدا.

و يلاحظ ان الدولة تعود احيانا فتقتسم اقتدارها الذى تكون قد ادعته بكامل الابداعات الشعبية والفردية مع بعض الافراد ممن يكونون شرائحها و تشكيلاتها و بعض اعضاء الدوائر الخارجية لدائرة السلطة الداخلية الضيقة. فقدره الدولة على تقاسم الابداع مع الشرائح المذكورة–من نصراءها و حلفائها و الاوليجاريكيات المنتفعة بها–تعود فتاخذ بدورها عن هؤلاء الافراد والشرائح و التشكيلات مما يغنى و يضاعف من قوة الدولة–و من يقوم مقامها بصورة غير معلنة من الاوليجاركيات–مما يقيض علو الاخيرة على غيرها من الافراد والجماعات بالنتيجة. و كانت الصفوات الاوليجاركية قد تعينت على مر التاريخ على استلاب تلك المجاميع كرها فيها و تربصا بها.

و يلاحظ الناس على مر التاريخ ان الصفووات الاوليجاركية كانت قد اسقطت على العامة والدهماء صفة القصور عن الابداع. بل ازعم ان الاوليجاركية من شأنها ان تصادر امكانات وشرط ابداع غير اعضاءها او–و تدعي ابداعات من عداها ما ان تظهر مواهب ابداعية بين افراد او مجاميع الناس العاديين. و اجادل ان توفير شرط ابداعات الناس العاديين كان حريا من وجهة نظر الصفوات الاوليجاركية ان يكشف المستور و المسكوت عنه دائما. و بالمقابل تقيض مصادرة ابداعات كل من عدى الصفوات الاوليجاريكية نكريس قصور تلك التراكمات العددية فهى قاصرة بل معوقة ذهنيا فزائدة عن الحاجة. فقد بقى اوليجاريكيو البندقية مثلا يكرسون احبولة ان "الرب يختار من يخلع عليه رحمته و

رضاه عشوائيا و من ثم فان من لا يستحق فجزاه النقمة و عدم رضى الرب". فالرب يخسف بغير المبدع اسفل سافلين. و قد اخذت البروتستانتية–التى هى نتاج البندقية–و تنويعاتها المعاصرة–بتلك الاحابيل و كرستها بدورها حتى اليوم.

و تتعين الدولة بالضرورة على تحييد كل ما من شأنه ان ينال من الطبيعة التى قررتها لنفسها او الاحرى قررها اصحاب المصالح المعبر عنها فى تلك الدولة و بخاصة الصفوات الاوليجاركية. هذا و قد بقيت الدولة–و الصفوات الاوليجاركية–تأخذ عن معارضيها ولو لمحض استباق نضوج وعى المعارضة او القضاء على زعاماتها– و تنسب ابداعاتهم لشرائح السلطة القائمة–للدولة–اى لخصوم تلك المعارضة سواء كانت فردية او شعبية. و الى ذلك فقد كان الملوك و الامراء و الصفوات الاوليجاريكية تستقطب خصومها–عقلانيا او–و تستميل من ينتقدونها على مر التاريخ او–و تقضى عليهم بالاعدام المدنى او البدنى كما يلا حظ الناس فى كل مكان و زمان.

ومع ذلك وربما بسببه تبقى الدولة–من تلك الجماعات المعارضة من الشعوب المحكومة و بها –تبقى الدولة بهذا الوصف تعبير عن عملية فهى ليست موجودا مسمطا ناجزا. اى ان الدولة هى عملية process فى متصل continuum رائح غاد بين كينونتها هى–بغض النظر عن طبيعة هذه الكينونة –و بين الافراد والجماعات المؤلفة و الخاضعة و المعارضة او المقاومة لها. و كأن الدولة كما ذكرنا شارطة بهذا الوصف لحياة الانسان. ذلك ان حياة الانسان وفقا لمقولة ما لا تتأتى و لا تكون ماهى عليه و لا تحقق حياة الفرد سوى من خلال و حياة الدولة نفسها او من يقوم مقام الدولة او يؤدى دورها من ثم.

على انه من المفيد فورا تذكر ان معظم الحقائق المذكورة اعلاه بشأن الدولة و المجتمع و الصفوات الاوليجاركية وغيرها من شرائح السلطة بهذا الوصف تبقى–عقلانيا–مسكوت عنها. فتعريف الدولة و شرائح السلطة و بخاصة الاوليجاركيات الصفووية بقيت متستر عليها وراء اساطير تنسج حول مفهوم السلطة و سفر تكوينها حتى ان بعض تنويعات الاخيرة كانت و بقيت لوقت طويل تنسب منذ ازمنة سحيقة الى الرب و الالهة و الكواكب و الاقمار و الشموش خصما على المحكومين و الشعوب و معارضة السلطة القائمة.

على ان الرأسمالية ما بعد الصناعية و قد راحت تعصف بالمقدسات و تطيح بكل ما هو جليل و مبجل فى حياة الفرد لم تلبث ان اوهمت الفرد الغربى عقلانيا اى مخاتلة بانه هو محور الكون و راحت تحرره من كل شئ بما فى ذلك الولاء لنفسه ذاتها. ولعل عصر الانا كوظيفة ينشأ تباعا بين عامة غوغاء دهماء انجلترا مثلا جراء موت الوطنية و الرب و بوار مفهومات الوطن و القومية و الوفاء و الاسرة الخ. و قد اعتبرت الاخيرة امراض متوطنة فى الفرد ينبغى التخلص منها تحريرا للفرد من الذاكرة و من كل ما يسوقه الى الرنو الى الماضى و الذكريات الخ حتى يتكيف مع مجتمع الفرص و الخيارات تكاذبا و يتفرغ للاستهلاك فانعاش الاقتصاد و عبادة السوق و المال و السعى الى نجاح موهوم و الى الشهرة. و ينبغي

تذكر ان تلك الاحبولة تصدر عن اسطورة تفريد الفرد و الحرية الفردية التى لا تزيد عن جحيم الحياة و الموت وحيدا الا بقدر ما تزدحم حياته بمقتوات لا قيمة لها حيث يغدو لكل شئ ثمن و لا قيمة لشئ.

عقلانية مضاهات تطور الحكام و نكوص المحكومين:

يميل التحليل الاجتماعى الاقتصادي العقلانى غالبا الى المضاهات بين تطور الحكام و الصفوات السلطوية و تطور المجتمع بدون تحليل نكوص المحكومين الا بقدر ما ينسب ذلك النكوص الى قصور المحكومين. و يصادر مثل ذلك التحليل على مطلوب حقيقة التمايز طبقى وعلى شرط تطور الطبقات المحكومة. ذلك ان حقيقة نمو الطبقات الحاكمة و الصفوات السلطوية يخصم على شرط نمو المحكومين. فنمو الاول بثمن تخلف المحكومين. و يمكن عقد قياس بين تطور الحكام و الصفوات السلطوية قياسا على تخلف المحكومين بتطور المجتمعات الصناعية الغنية و جمود المجتمعات المسماة نامية. و لا يلاحظ او ربما يتغافل مثل ذلك التحليل عن كون الطبقات الحاكمة و الصفوات السلطوية تكاد فى المجتمعات المفقرة تشارف بل يصبو معظمها و يتماهى مع و غالبا ما يمكن مضاهاته–فى سياق الرأسمالية ما بعد الصناعية–العولمة–على الخصوص–مع نظائر فى المجتمعات الغنية من حكام الاخيرة و طبقاتها المتوسطة.

و أجادل ان اكثر ما يدلل على تلك المشارفة هو وصول اقليات عولمية فى كل مكان الى سدة السلطة خصما على المحكومين فى المقياس المدرج فى كل مكان. و قياسا ربما امكن الزعم بان ثمة اكثر من تحولات مرحلية فى كل نمط انتاج و تعبر عن نفسها بهذا الوصف. و بمعنى اخر ربما كان ما ينسب الى مراحل الانتاج من تطور و نشوء قد لا يزيد عن تطور وسائل الانتاج و نمو الطبقات الحاكمة و الصفوات العولمية بالنتيجة. ذلك ان الاخيرين يمأسسون انفسهم عقلانيا فوق نتاج او محصلة تقدم وسائل الانتاج معبر عنها فى مزيد من الربح و الفائدة خصما على العمل الحى.

واجادل تباعا ان الاخير كان قد تدهور ويتدهور تباعا اقتصاديا فى تناسب عكسى مع تطور وسائل الانتاج. ذلك ان مرحلة التطور الاقتصادية الاجتماعية قد لا تزيد غالبا عن "تحور" Mutate مرحلة تطور على نفسها لا اكثر. و مما قد يؤكد ذلك انه كلما تقدمت وسائل الانتاج كلما تدنت علاقات الانتاج و الملكية مما يتمثل اكثر ما يتمثل فى الرأسمالية ما بعد الصناعية –العولمة. و ربما كان مفيدا تأمل أنماط الانتاج المذكورة فى اللوحة الماركسية الخماسية بوصفها قد لا تزيد عن سجل تاريخ تطور و نشوء الطبقات الحاكمة من سادة العبيد الى اقطاعيين وصولا الى رأسماليين. و لا يتغير ذلك التاريخ الا عندما تنضج الطبقة العاملة لتطيح بالرأسمالية مما لم يحدث بعد.

و يبقى المحكومون طبقا لذلك عبيد بمسميات مختلفة و بالالوان الطبيعة او باثمال بالية ما بين اقنان الى حرفيين فعمال مهرة أو غير مهرة سابقين على العمال الصناعيين أو من العمال الصناعيين وصولا الى ما يشارف القنانة الصناعية و العبودية ما بعد الصناعية او العولمية. واجادل ان قسمات الاسترقاق حرية بان تبقى متمثلة بهذا الوصف فى بعد عبودى أو قنى راسبا عنيدا فى مراحل الانتاج قاطبة الا ما خلا

الاشتراكية التى لم يقيض لشروطها النضوج بصورة كافية يوما. و قد استقطب العمل الحى فى امتدادات المحأور المتربوليتانية الصناعية طويلا فى صفوف العمل العبودى القنى الخ. و لم ينفك ذلك الاستقطاب ان شمل عمل المرأة فى البيت و خارجه باسم تمكين المرأة "مساواتها" بالرجل. فما هو سفر تكوين الابقاء عل المحكومين هكذا على مر التاريخ؟ وكيف يتأتى خلق شرط الابقائ على المحكومين مفقرين فى المقياس المدرج؟

-عقلانية التراتب و كراهية البشر و ابلسة الشعوب:

اجادل أن سفر تكوين ميل الرأسمالية الى توريط الناس العاديين الفلاحين العامة الدهماء فيما يوردهم موارد الافلاس والدمار بالمديونية الريفية و الحروب و التعين على خلق شرط افلاسهم مجددا بالسوبرماريكتات التى احتكرت تجارة الجملة فى السلع الزراعية خصما على منتجيها وقضت المنافسة فى تجارة تلك السلع وعلى البقالين الصغار الخ ليس سوى تمثلا لانتشار عرض على الاقل من اعراض عقلانية اليأس من صلاح البشر و كراهية الشعوب Sinicism بين اعراب الشتات و تنويعاتهم وصولا الى الرأسماليين الماليين ما بعد الصناعيين و الصهاينة الجدد. و تبلغ قمة كراهية الصهيونية للشعوب فى مقت الصهيونية للاشتراكية و كل شكل من اشكال اعادة التوزيع. ذلك ان الصهاينة يرون ان كل من عداهم دونهم لا يستحق من ثم سوى التنكيل و العقاب على كونه ما هو عليه و قياسا لا حق له فى حصة من اعادة توزيع مهما كان التوزيع فارقا.

و يشعل الصهاينة الشعوب بانفسها بالمديونية و بترويع الشعوب باشاعة الخوف بينها و اشاعة الحروب و اثارة الشائعات ولا يعدم بعضهم نشر الاوبئة–الغريبة غير القابلة للتعرف على اصلها و لا على ما تحمله من ميكروبات او فيروسات مما لا قبل للانسان به. فقد لا يملك لانسان مناعة ازائها مثل انفوينزا الخنازير التى يقول بعض المحللين الثلاثاء 28 ابريل 2009 انه من المحتمل ان تكون من صنع الانسان Man made[129]. و يترك الصهاينة للحكومات ان تواجه شعوبها لتتعين على سحقها فى المقياس المددرج كلما رفعت الشعوب رأسها لتفكر لنفسها او تنظم نفسها. الا ان الحكومات و حتى الاولجاريكيات الرأسمالية المالية تحتاج الشعوب لانتاج الفائض و اعادة انتاج المجتمع مما يقيض المراكمة بالربح و الربا بالمديونية.

و اجادل أن سفر تكوين الميل الرأسمالي لحض الناس على الاستدانة و توريطهم فيما يوردهم مورد الافلاس و الدمار ليس سوى تمثلا لانتشار عرض من اعراض ما يشارف كراهية البشر بين اعراب الشتات مما اصاب الغربيين بفيروس المديونية المهلكة. و ازعم ان كراهية البشر تصدرعن عقلانية ممعنة متأصلة لا تزيد او تقل عن المخاتلة بقول انصاف الحقائق فى افضل الشروط كون ذلك من التقوى و من ايمان اعراب الشتات. فلهم ان يكذبوا على اى كان الا بعضهم باى لغة سوى لغتهم هم. كما اكون قد ذكرت فى مكان اخر.

و يلاحظ الناس فى كل مكان كيف ان اعراض أو الاصابة بفيروس عقلانية الرأسمالية ما بعد الصناعة–العولمة–كونه عدوى من أعراب الشتات–يتمثل فى اكثر صوره تعبيرا فى لا مبالاة اعراب الشتات بما يحيق بالبشر بل العكس يشوق بعضهم ايصال الانسانية (غير البيضاء تكتيكيا على الاكثر) الى العبودية فحافة التهلكة. و تفتضح كراهية الرأسمالية المالية للبشر فى طبيعة رأس المال الربوى و فى حقيقة رأسماليين يراكمون بلا رأس مال تنويعا على و كونهم احفاد اعراب الشتات.

و فى علاقة جدلية شديدة التركيب بهذا الوصف يسعى الحكام و حلفائهم الى قمع الشعوب فيما تنزع الاخيرة الى الانعتاق على مر التاريخ. و تجد السلطة القائمة و حلفائها نفسها مدفوعة فى منواويل تكرارية الى تسول عون الشعوب على ضوائقها المالية و أزماتها العسكرية مثلما فى الولايات المتحدة ابان ازمة انهيار اسواق الائتمان العقارى ما بين صيف 2007 و خريف 2008 وتباعا. فقد راحت الادارة الامريكية 43 و الحكومة البريطانية و معظم الحكومات اوربية تتسول الشعوب ان تضمن المصارف الهالكة. و تشترى الحكومات بمال دافع الضريبة–المفقر جراء الازمة و قبلها و تباعا–والذى تذرى به الحكومات فى المقياس المدرج و الاوليجاركيات المالية باطلاق–تشترى ما يسمى الاسهم و السندات السامة و الديون الهالكة. وقد زوقت مخاتلة الشعوب بوعود غير قابلة للتحقق اقتصاديا بلغة القة برع و يبرع فيها حلفاء تلك الحكومات و سدنتهم على مر التاريخ. و يحكم مثل ذلك السيناريو شرط استعباد الشعوب مجددا فى كل مكان.

وكان احبار و اسباط اعراب الشتات و ما يبرحون اشد كرها لعامة شعوب المجتمعات التى تستضيفهم و يتاجرون و يتبادلون معها او–و يجاورونها كما لم يكونوا يستحبون شعوبهم منذ ان طلب موسى من يهوا ان يمنحه شعبا افضل من بنى اسرائيل. وحيث يذكر ان انبيائهم و احبارهم اسباطهم و قضاتهم خرجوا و معهم عامة شعوبهم مثلما فعل موسى الافتراضى عند الخروج الافتراضي من مصر اوميصرما يبالغ فى اعداد ذلك الشعب. فيقال انهم كانوا 600 الف رجل. فاذا كان عدد الرجال اللذين خرجوا من مصر مع موسى 600 الف رجل فان ذلك يعنى ان اللذين خرجوا مع موسى بعائلاتهم 4 ملاينن اسرائيلي. ذلك ان اجفاد موسى و غيره من انبياء الاصحاح القديم عن استعداء و المقايضة ليهم مثلما يفعلون حتى اليوم ان لزم و كلما لزم. وتفعل بضا لحكومات العربةالمثل حيت تبالغ فاعداد السكان وراء قروض صنوق النقد الدولي.

تنويعات يونانية على كراهية الشعوب

لعل اعراب الشتات اخذوا عن او اثروا فى اليونان. و كانت افكار ارسطو قد سوغت النمط العبودى و الربا. و كان ارسطو يرفض فكرة ان الله خلق الانسان على شاكلته و ان لكل انسان روح لان ما عدى ذلك من شأنه ان يقف عائقا فى سبيل التمايز بين الناس فينتفى من ثم حلول شرط العبودية. و تتعين العبودية على خلق شرط سيرورة العبد قابلا للاستغناء عنه طالما لم يبق فيه رمق فيما تسوغ العبودية انهاكه حتى الموت فتلك هى مهمته. فالعبد محض الة بشرية بالكاد. وحيث قال ارسطو بالربا مما من

شانه خلق شرط انتاج و اعادة انتاج العبودية فقد كان الربا حريا بان يدفع الناس للاعتماد على المال بدلا من التعامل فيما بينهم بالانتاج السلعى و التوزيع و التبادل واعادة الانتاج. فالربا يخصم على العلاقات الانسانية.

وكان الاوليجاركيون الاثنيون يقولون ان حروب طروادة من شأنها ازاحة حمولة البشرية الزائدة من فوق صدر امنا الارض. و كان الاثينيون يخشون مغبة التكنولوجيا من حيث انها قد تيسر حراك العامة. و كان الرومان يحرمون على الحرفيين الصغار و العامة تطوير ادواتهم حتى لا يؤدى ذلك الى حراكهم الى اعلى. و قد تمأسست اوليجاركيات–"علمانية" افتراضا–فى البندقية على مقولات اخذت بالرق المنقول والربا و تمأسست فوقهما. وحيث تتعين الاوليجاركية على تكريس المراكمة بالربا و بخالص العمل العبودى المنقول لا يعرف الاوليجاركيون عن الثروة سوى انها ممثلة للمال و فيه. فالاوليجاركية تتوجس من الانتاج السلعى و قياسا فان تدهور قطاع الانتاج السلعى ان انتهى الى الجمود فان تطور التقنية حرى بان ينتفى بدوره او–يصدر الانتاج السلعى عقلانيا الى الهوامش بعلاقات عمل عبودية كما فى الهند و الصين و الفليبين والبرازيل و فى مناطق التجارة الحرة(Free trade Zones(FTZs و مناطق ضمان او التحكم فى الجودة الصناعية الكويز QUIZ فى معظم المجتمعات العربية.

ذلك ان الاوليجاركية تتعين على الابقاء على العمل الحى فى مصاف الرق و قد بقى الرق كامنا فى مسام المجتمعات المضيفة لاعراب الشتات على مر العصور رغم اللوحة الخماسية. فان نشأت المجتمعات الغربية من العبودية الى ما يسمى بالاقطاع الغربى قياسا على الاقطاع الشرقى لم يزد القن على رقيق منقول مع الارض بدلا من ان ينقل مع سيد او صاحب العبد.

وازعم ان الاوليجاركية تعينت على تكريس الرق فى كافة انماط الانتاج بتنويع الرق و القنانة على بعضهما وصولا الى المجتمعات الصناعية فقد كان الرق بتنويعاته:

–اما يصدر الى امتدادات المجتمعات الصناعية بما يسمى تقسيم العمل الدولى. و اجادل ان تقسيم العمل الدولى ليس سوى تنويع على القنانة و تكريس الاقطاع حتى نهاية البرجوازية الصناعية. و قياس بات تقسيم العمل الدولى تنويع مجدد على الرق فيما بقيت نظريات التطور الاجتماعى تدعى ان مراحل تطور المحتمع تصدر عن نشوء المجتمع صاعدا فى اللوحة الماركسية الخماسية الذى صادرت الرأسمالية المالية و اقتصاد السوق على مطلوبه أو –و فيما يسمى نموذج التنمية الامريكى الذى يخادلع المجتمعات المسماة نامية منذ الحرب ا لعالمية الثانية.

–هذا و قد غدت القنانة بالالوان الطبيعية فى المتروبوليتانات نفسها تصدر عن الانتاج السلعى بالتعنيت conveyor belt أو–و بالقطعة المجتزأة من السلعة–فلم تلبث ان باتت تشارف العبودية على سير الانتاج المتحرك اى بالوقت و الحركة مما عبر عنه شارلى شابلين فى فيلمه تدفق الذهب Gold Rush .

–القنانة التكنولويجية فيما اسميه انتاج الكوخ الاليكترونى Electronic Cottage Production. و هو قياس على انتاج الكوخ الاقطاعى السابق على البرجوازية الصناعية مع استخدام وسائل انتاج متقدمة.
فقد ابدعت الرأسمالية ما بعد الصناعية–المالية–اى ما يمكن تعريفه بالرأسمالية الفائقة Super Capitalism او رأسمالية الفقاعات Bubbles; Capitalism بالاحرى حين حولت المال من ذيل المراكمة الصناعية الى مقدمة المراكمة المالبة و تفوقا على ما عدى رأس المال السلعى و مزيد منه. فحيث كان المال يمول عمليات الانتاج السلعى فقد بات يراكم خصما على الاخير.
و قياسا فبركت الرأسمالية الفائقة بهذا الوصف علاقات انتاج تشارف القنانة والعبودية حيث خلقت شرط انتفال المصنع و الانتاج اسلعى وتصدير العمل Out sourcing والى الخارج المفقر مما يفاقم افقار الاخير او–و يخلق بؤرا معزولة من العمل الماهر خصما على غالبية العمالة فى تلك الممجتمعات. و قد تركت عمليات تصدير فرص العمل خارجا المجتمعات الغنية التخصص فى صناعة الخدمات فيما يشارف تنويع مجدد على تقسيم العمل الدولى. و تتلفت المجتمعات الغنية اليوم و بعد انهيار اسواق الائتمان العقارى و ما تبعه من ازمة المصارف الاستثمارية و سوق المال فى امريكا و ما عداها بالتماس ترك تلك الدول تتلفت باحثة عن الانتاج و الاقتصاد الحقيقى الذى كان يعصمها قبل ان تتخصص فى الخدمات و بيع المال كسلعة دون ان يتج سلعة واحدة.
هذا و قد ادى تخصص المجتمعات الغنية فى صناعة الخدمات بالتقدم العلمى مطبقا على وسائل الانتاج الى نشوء ظاهرة ما اسميه انتاج الكوخ الاليكترونى Electronic Cottage Industry. و قد اعاد انتاج الكوخ الاليكترونى تنويع على القنانة التكنولوجية بعلاقات انتاج اواحادية لا رب عمل لها. فالفرد و هو هنا رب عمله متفردا فى بيداء وحدته الانتاجية فلا علاقة له برب عمل و لا بالدولة الا بقدر ما تراقبه الاخيرة و تضبط حركاته و تستلب فائض عمله ضرائبا. فلماذا تتطير الرأسمالية المالية بتنويعاتها من العمل الحى Living Labour ؟ و ماهو سفر تكوين تسويغ استلاب العمل الحر حتى الابادة؟

1–عقلانية التنوير و كراهية الشعوب:

كان ما يسمى بالاليميناطي Eliminate –وهو تعبير نشأء ابان ما يسمى ب"التنوير". و يأتى من الفعل ينور - To illuminate–قد انتشر فى القرن الثامن عشر. و تعنى مفردة اليميناطى الصفوات الفكرية الممتازة من الفلاسفة و المبدعين الذين تضيئ عقولهم العالم الغربى بالطبع. والاليميناطى مفهوم من طبعه افتراض او خلق شرط خصم مثوله–مثله مثل شرط مثول طبقة الشعب–على من عدى الصفوويين–اى على العامة الدهماء الغوغاء و احيانا الغويم تضيمنا كون العامة ضعاف الايمان و يشارفون الكفر بالهة الاليميناطى الصفووية مثلهم. و يأتى من مفردة الاليميناطى تخريج يشير الى او–و يعرف الانتليجينسيا دون اعلان ذلك–كونها–مثلها مثل "طبقة الشعب"–اكبر كاره للشعوب. فهى طبقة تعينت منذ بدئ التاريخ على الاستهذاء بعامة الناس و اليأس من صلاح البشر حتى الذراية Cynics

فكلاهما– الانتليجينسيا و "طبقة الشعب"–تملكان غالبا اخفاء ذرايتهما للشعوب رغم و بسبب كون الشعوب مصدر الثروة مرة و مرة لان الشعوب ما تنفك تطالب منواليا باحقيتها فى عدالة توزيعية و فى الثروة و السلطة على مر التاريخ. الا ان الانتليجينسيا–و لم يكن واردا يوما ان تملك بالضرورة او تغدو صاحبة رأس مال مالى قياسا على "طبقة الشعب" صاحبة رأس المال الربوى المعتبر على مر التاريخ فان الانتليجينسيا تبقى اكثر تسارا على ما تخفى بل قد تدعى تمثيل الشعوب الا انها فى طويتها تتستر على الاستهذاء بالشعوب و يأس من صلاحها بوصف ان الانتلجينسا تويع على كارهى البشر بل قد يتخرج معظمهم من اكاديميات االرأسمالية و الاوليجاركيات الصفووية. و تبادل الشعوب بدورها الانتليجينسا و بخاصة الصفوات البلاطية منها الكراهية. فقد بقى مفهوم الانتلجينسيا يستدعى بدوره كراهية اعضاء الطبقات الحاكمة المعلنة و ريبة الطبقات الشعبية الكامنة فى كل من التاريخ الرسمى و المسكوت عنه في الذاكرة الجمعية الانجلوساكسونية ووريثتها الانجلو امريكية على الخصوص. و تعبر تلك الكراهية عن نفسها رأسيا فى ثنائيات لا متناهية تستقطب الاخيرين و الشعوب فى تنويعات افقية واسعة.

2–الاليموناطى Illuminate ***و عقلنة ثنائيات البداوة الزراعة:***

اجادل تباعا أن اعراب الشتات كانوا حريون على مر التاريخ ووصولا الى احفادهم من الاليميناطى التنويريين تكاذبا بان يكرسوا عقلنة ثنائيات البداوة \الزراعة –الزراعة \ الصناعة– الريف \الحضر فى تنويعات لا متناهة من بدائى \متقدم– تقليدى\ حضارى– عقلانى راشد\ لا عقلانى لم يفطم من الطفولة–رجل امرأة الخ. و قد راح ما اعرفه بالثنائيات التنويرية يستقطب الناس فى كل مكان الى ما لا نهاية. و اجادل ان كراهية اعراب الشتات تقف وراء كراهية اغلبيات المنتجين من الفلاحين قبل غيرهم. فالفلاحين يؤلفون كما ذكرنا فى مكان اخر تلك الجماعات غير القابلة للرشوة و هم–فى مجاميعهم التاريخية–اقرب تعريف لمفردة الشعب اكثر من غيرهم. على انه من المفيد تذكر ان كل من امريكا و المجموعة الاوربية تتعين على ما يشارف رشوة الفلاحين خصما على شعوب المجتمعات المفقرة.

وقياسا يبلغ دعم الفلاح الامريكى مثلا بما قدر ب 8 دولار يوميا مقابل كل بقرة و يبلغ مجموع دعم الفلاحين الاوربيين 53 مليار استرلينى سنويا حتى لا ينتجوا الغذاء مرة. و يؤلف اللوبى الفلاحى مرة اخرى قوة لا يستهان بها فى فرنسا مثلا فهى مجتمع كاثوليكى زراعى بامتياز مما يدفع الاحزاب كما فى بولندا مثلا الى محاولة ضمان أصواتهم.

تنويعات من العقلانيين كارهى الشعوب :

كان مستشار هنرى الثامن أحد اهم الاوليجاركيين و لوبيز مراب و عميل مزدوج و مستشار الملكة الاليزابيث الاولى وكان نوسترادااميس مشعوذ يدعى الصوفية و قراءة الطالع. الواقع انه كان يعلن اجندة اعراب الشتات على الملأ فى شكل نبوءات تبدو خرافية. و ازعم انه كان يعيد انتاج سفر الرؤية و ما

ينذر به خصوم يهوا من فوضى و عقاب. وكان نوسترادميس يتحكم فى كاثرين دى ماديتشى والدة فيليب التاسع ملك فرنسا و عاصر مذبحة سانت بارثولوميو التى راح ضحيتها الجيزويت الموالين للكنيسة الكاثوليكية.

و كان ميخاييل بوتمكين عشيق ياكترينا الثانية والحاكم الفعلى لروسيا و قد خلق بوتمكين اوليجاركية اقطاعية خاصة بملاك الاراضى و المستثمرين فى نفط بحر قزوين مما ما تبرح تداعياته باقية حتى اليوم فى روسيا المرسملة و فى العالم قاطبة. و بالمقابل قضى بوتميكن على ثورة الفلاحين (الموجيك) بعنف غير مسبوق حتى لم يبق بعد نهاية عهد ياكاترينا فى روسيا فلاح غير مسترق. وقد تعين الاخيرون وهم من اعراب الشتات قاطبة على العصف بالعامة و بالفلاحين على الخصوص.

وتتمثل عبودية اغلبيات الناس العاديين و اقطاعية ملاك الاراضى الخاصة اليوم فى اوليجاريكات المصارف التجارية و المالية التى تتحكم بمصائر الناس فى تنويعات الاقتلاع و فقدان العقار فى كل مكان. و لعل كبير اساقفة الكنيسة الانجيلية الانجلوساكسونية الدكتور روان ويليامز كان حريا بان يلمح الى ما فعله يوسف بوصفه نظير هنرى بولسون وزير خزانة جورج ووكر بوش فى الادارة الامريكية 43. وكان الاول أحد اهم الصفوات البلاطية الباكرة و ربما سيد الاوليجاركيين المحدثين و يمثل يوسف تنويعة باكرة على الاوليجاركيات الكلاسيكية. كان روان ويليامز حريا بان بملح فى تصريحه حول ما حاق بصغار حملة الاسهم و ارباب المعاشات و المدخرين الصغار جراء سقوط مصرف نورثارن روك Northern Rock المالى التجارى فى نهاية صيف و خريف 2007 حتى شتاء 2008 و تباعا الى يوسف و كأنه يتحدث بولسون. و للعرب و المسلمين تجربة باكرة نسبيا فى سوق المناخ الكويتى و فى بخاصة بنك التجارة و الائتمان العربى BCCI وصولا الى سرقة رساميل النفطيين الخليجيين نهارا جهارا.

المهم انخفضت اسعار الاسهم فى اسواق المال مساء الخميس 9 اغسطس 2007 الى اقل من النصف ثم اقل فاقل تباعا جراء انتشار الخشية عبر الاطلسية من فساد عقود الديون التى تهدد بعدم السداد.و قد دفع ذلك الدولة الى ضمان بعض مدخرات صغار حملة الاسهم فى تاكتيك غير مسبوق مما قد "ينذر" بتأميم المصرف. وكان ذلك المنوال قد عبر عن نفسه منذ قديم الزمان. فحين كانت المحاصيل تسقط ابان السبع سنين العجاف او لا يبقى للمنتج من دخله ما يقيم اوده بعد ان يدفع ديونه الريفية لا يبقى للمنتجين سوى الازعان لعبودية الحاجة الى الطعام الذى لم يكن يقيض بسوى ما فى صوامع غلال الفرعون.

وكان روان ويلبيامز كبير اساقفة الكنيسة الانجيلية الانجلوسلاكسونية قد بقى يلمح مرارا الى ما تفعله اسواق الائتمان العقارى و المال من استعباد اغلبيات الناس العاديين بغوايتهم بالاستدانه فيما اسميه بالمديونية الريفية–و نسميه عندنا فى السودان الشيل–و قد تحدر منذ قديم الزمان الى اقتصاد الريف فى

مجتمعات النمط الشرقى. و كان اعراب الستات قد جاوروا و تعاملوا و تاجرون على مر الزمان مع تلك المجتعمات بوصفهم اصحاب الرساميل الفطيرة بقوا اصحاب الرساميل التى نعرفها تباعا. وقد بقى اهم ما اغوت الرأسمالية الناس به على مر التاريخ هو الاستدانة مقابل الحصاد او –و مقابل سلع استهلاكية لا ينتجها الفلاحون و –أوبرهن ما لديهم من اصول و ممتلكات و عقار.

و قد قيضت ملكية العقار ارتهان الناس بالربا على سعر العقار و بسعر الفائدة. الا ان الرجل– الانجليزى–قد اقنع تكاذبا بعد الحرب العالمية الثانية بان البيت هو قلعته. وكان الفرد قد اقنع مججا بان عقاره ا وبيته مصدر ثروته و رمز وجاهته. و قد راح الفرد من ثم يستدين على بيته او عقاره فيرهنه مجددا فى كل مرة ليستهلك بلا روية من ناحية. و قد بات العقار من ناحية اخرى مصدر استهلاك عظيم للفرد فى مجتمع الرأسمالية حيث تراكم الاخيرة خصما على المستهلك و المنتج معا.و كان ما يسمى ديمقراطية امتلاك العقار قد كرس فى نهاية السبيعنات. فقد كان البريطانيون مفقرين على نحو موصوف مما عبر عنه كتاب و رواة القرن التاسع عشر امثال تشارلز ديكينز فى رواياته الشهيرة مثل اوليفر تويست و نيكولاسن نيكلبى الخ.

وهذا و لم يقيض للبريطانيين شئ من الرفاهة حتى سبعينات القرن العشرين. و كانت مارجريت ثاتشر قد جأرت بما اسمته عقلانيا و مخاتلة بالديمقراكية الشعبية. و مفادها "ان كل فرد ينبغى ان يملك بيتا". و لم يلبث ذلك البيت ان راح يؤلف طوقا فى عنق كل مالك عقار. فقد ارتهن اصحاب العقار لاسواق الائتمان العقارى. ذلك انه ما ان منيت اسواق العقار منذ 1990 الى ازمة صيف 2007 فقد خسر الناس عقارهم مقابل الديون التى تراكمت بمغبة غواية الناس على الاستدانة مما قد يعبر عن تنويع على المديونية الريفية الازلية على مر الاف السنين.

المهم كان كبير اساقفة كانتيربرى حريا بان يحجم –من خشية أعراب الشتات–عن عقد قياس ماثل بين ما تمارسه اسواق الائتمان العقارى و ما حاق بالشعب المصرى و اليهودى جميعا كما ذكرنا فى مكان اخر على يدى يوسف الولد العبرى الوحيد بمصر (انظري) Wheeler,W.:1957:The History of Israel:Its Facts and Factors:Gerald Duckworth &Co. Ltd. London:P:156.. و كان الاول يشارف وزير خزانة العزيز. فقد قايض يوسف عامة الشعبين على الخبز ببيع ابقارهم ثم ببيع اراضيهم الى ان اجبرهم على العمل على اراضهيم السابقة لحساب تجار الماشية و اعراب الشتات. و كأن ويوسف تنويعا باكرا على كيسينجر وزير الخارجية الامريكي الاسبق حين جأر فى 1965 بانه " ان تملك امريكا قنبلة الذاء فذلك ان هو امضى من امتلاك القنبلة النووية".

–كراهية البشرية و حمولة الارض:

تعنى مفردة كراهية هنا و تباعا كما لاحظتم الاستهذاء بعامة الناس و اليأس من صلاح البشر حتى الذراية Cynics. و قد كرست الصفوات الاوليجاركية كل من الذراية بالشعوب و مفهوم الديمقراطية الانتقائية. و ازعم ان ما قد يتبدى و كأنه ديمقراطية شعبية فى بعض المجتمعات

الغربية المضيفة لرساميل من اعرفهم باعراب الشتات ليس سوى بثمن افقار كل من عدى الشعوب الغربية فى المقياس المدرج. و تتعين الديمقراطية الغربية على رشوة الشعوب الغربية الغنية مثلما كانت روما تفعل مع العامة. فقد كان القياصرة و الاباطرة يرشون العامة ابان اوقات الشدة. فقد رشى يوليوس قيصر العامة عشية انقلاب الشيوخ عليه و لم يجديه ذلك فقد اغتيل بعدها بايام فى 15 مارس 37 ميلادية The ides of March.

وكانت رشوة شعوب المجتمعات الغنية و ما تبرح تخلق شرط تواطؤ معظم شعوب و مفكري و مثقفي و صحفيي و اعلام و فن ومسرح و قوانين الغرب الخ على من عدى الغرب بدرجات المقياس. ذلك ان الغرب يدرك و كان قد ادرك باكرا ان العالم لا يسع بشرية غير انتقائية فراحت الديمقراطية الغربية تتمأسس فوق أسرار جماعية عظيمة يستحيل البوح بها. و تصدر تلك الاسرار عن الاجماع على ان مصلحة الغربيين فى التستر على القضاء على الاعدد الزائدة من الاغلبيات غير الغربية التى لا وجوه لها مما اسميه الذراية بالعامة–من المفقرين فى كل مكان.

هذا و من المفيد تذكر أن تلك الاوليجاركيات المالية كانت قد خلقت شرط ذلك الاجماع بالقضاء على مفهوم التمايز الطبقى و الصراع الطبقى و من ثم باتت الثورة كلمة قذرة. و ما ان كرست تلك الذهنية حتى ضمنت الاوليجاركيات المالية توجيه السخط الى ما عداها و الى غير الغربيين من شعوب غير الغربيين من العامة على الخصوص. و قد غدت الذراية بالعامة تصدر عن تكريس مفهوم عبء العامة و الدهماء.

و كان فلاسفتهم و مفكروهم قد قدروا أقسى حمولة الارض من البشر ب3 مليارات نسمة[130]. و كان جياماريا اورليس المولود فى 1713 اول من روج اسطورة "حمولة الارض" Earth Carrying capacity[131] فيما يتصل باعداد البشر و محدودية تلك حمولة الارض. و لم يلبث توماس روبرت مالتوس توماس روبر مالتوس–1766–1834ان اخذ من بعد نظرية السكان عن جياماريا اورتيس Giammaria Ortes البندقى. و قد اخذ كافة من اسميهم المحارقيين Geneticists او القائلين والعاملين على تكريس المحارق Genocide المنوالية و تعقيم المفقرين و تشجيع الاجهاض والتسفير و خلق شرط الارض التى بلا صاحب و الموت الرحيم وصولا الى النازية و الفاشية عن جياماريا اورتيس. فقد كان اعراب الشتات يتعينون على محارق مشهودة فى خصومه بامر الرب مم يحفل به الاصحاح القديم.

المهم بات ادم سميث 1723–90 و توماس روبرت مالتوس–1766–1834–أهم اتباع اورتيس. وكان ادم سميث–صاحب المؤلف الموسوم بعنوان "فى تأمل اسباب ثروة الامم 1776 An Enquire into the Reasons behind the Wealth of Nations–و كان متخصصا فى الاقتصاد السياسى قد تعين على تكريس مفهوم حرية التجارة. و الى ذلك فقد كرس ادم سميث مفهوم الاقتصاد الحر و تداعيات

ذلك من تقسيم العمل و وظائف أقتصاد السوق و الاثار الدولية لفلسفة "دعه يعمل دعه يمر" Laissez faire laissez passez مما يجعله من الاباء الاوائل لفلسفة التجارة الحرة والاوثوذوكسية الاقتصادية الجديدة مما تتمثل تطبيقاته فيما يسمى بالريجانوثاتشرية Regano-Thatcherism و تصدر عن معاداة القطاع العام و القول بخصخصة كل شئ.

و من اهم ما اورثه ادم سميث للرأسمالية الانجلوساكسونية و نظائرها الحق الالهى للتجارة الحرة فى الوقوف خارج القانون و بات المساس بذلك الحق الالهى من شأنه ان يعرض الدولة نفسها الى التهلكة.

و بالمقابل حيث كرس مالتوس بدوره مقولة ان الاوبئة و الحروب ضرورية لحفظ التوازن بين الموارد وانتاج الطعام و اعداد البشر فقد كرس مالتوس من ثم مفهوم اقسى حمولة الارض مجددا. فقد قال مالتوس و ادم سميث ان ينبغى التخلص من الجوعى و المفقرين. و كان مالتوس و ادم سميث يقولان بان على المفقرين ان يتبنوا اقتصاد السوق الحر.

فلو خصخصت ايرلندا مثلا لما منيت بمجاعة منتصف القرن التاسع عشر حيث راح اكثر من مليون جوعا من الايرلنديين الكاثوليك. و قال مالتوس و ادم سميث منذ 1850 بترك الجياع للطبيعة او–و يعلموا كيف يعتنون بانفسهم و ان يقلعوا عن ممارسة الجنس حتى لا يتكاثروا. فتكاثرهم هو تجديف بحق البشرية.

و فى 1860 الى 1890 راح البعض يتنبه على ان المفقرين ليسوا مذنبين الا ان ذلك البعض لم يفعل شيئا. و كانت المجاعة فى الهند حيث مات 20 مليون–فى اقل من عقد من الزمان–أى نصف سكان الجزر البريطانية و كذا مجاعة البطاطا فى ايرلندا فيما بين 1845 و 1850 قد نبهت بعض الانجليز على ما يحدث فى امتداداتهم سواء فى امتداداتهم الامبريالية او فى مستعمراتهم الداخلية. فلم تلبث المجاعات ان اثارت الناس و كانت الفوتوغرافيا قد اخترعت. و قد مهدت الاخيلة التى راحت الكاميرا تنقلها للناس للمطالبة فى 1840 بدولة الرفاهة فى بريطانيا التى ينبغى ان تؤدب المفقرين بمعنى تصلح اعوجاجاتهم الاخلاقية. و بقى 60% من الناس يعاني حتى خمسينات القرن العشرين من سوء التغذية[132].

-كراهية البشرية و الاوليجاركيات اليوتوبية:

ازعم ان سفر تكوين معظم المجاعات الكارثية و المحارق المنوالية المنتشرة قد يعود الى ما اسميه عقلانية القضاء على الاعداد الزائدة عن الحاجة. و قياسا فان نفس العقلانية تعبر عن نفسها فى يوتوبيا انتقائية فتبقى على انصاف الموتى من اثرياء و طبقات الغربيين و اعراب الشتات المتوسطة على قيد الحياة انتقائيا بميزانيات صحية باهظة. و تقضى نفس العقلانية على الاطفال والشباب الغربيين و غير الغربيين فى حروب بمليارات الدولارات و باوبئة وكوارث طبيعية او الاحرى غير طبيعية.

و تتمثل كراهية البشر بالوصف اعلاه و تياعا الى ذلك فى كيف ان تلك الحروب تتقصد قتل الاطفال. فكل طفل هو عائلة محتملة–كما قالت جولدا مائير–تصيب فؤاد اعراب الشتات فى صميم افئدتهم بغم

مقيم. و تتمثل المالتوسية الجديدة و اسلافها من نظريات كراهية البشرية و اليأس من صلاحها و الاستهذاء بها و تمنى موتها بالتخلص من التراكمات العددية التى لا وجوه لها فى اجندة المحافظين الجدد اللذين يحرضون تباعا على اشعال حروب متزايدة بابناء غيرهم. هذا و الا شارفت الارض حدود حمولتها جراء تكاثر البشر–مالتوسيا– بمعدلات رياضية فيما ينتج الطعام بمعدلات حسابية. و يقول ديفيد بيمينتال David Pimentel الاستاذ بجامعة كورنيلCornel University وهو من المالتوسيين او العقلانيين الجدد أن حمولة الارض اقل من 2 مليار و ان على الامم المتحدة قسر الناس على توفير شرط ما يسميه اعداد السكان القسوى Optimum Human Population بالقضاء على الاعداد الزائدة من البشر.

و من المفيد تذكر ان الفكر او السيناريوهات اليوتوبية كانت دائما تصدر عن التعامل الانتقائى مع البشرية فى افضل الشروط ان لم تسوغ العنصرية. و كان العالم العنصرى فرانسيس جالتون و هو ابن عم تشارلز داروين يحلم ب" يوتوبيا مجتمع كامل" فراح جولتون يعيد انتاج النظريات العنصرية اليونانية و قد اصدر عن عنصرية افلاطون فى الجمهورية او المدينة الفاضلة و افكار ارسطو الصفووية. و قد اهل سعى جالتون الى ذلك الحلم للقب "افلاطون الفيكتورى". و كان جالتون قد اسسس مركز بحوث باسم مركز اليوجينيتكس *Eugenetics* اى دراسة أو علم الجينات وهو شئ اخر غير الجينوم *GENUM* كون الاول يصدر عن فرضية عنصرية مسبقة و معلنة وما يبرح الثانى يتستر على نواياه وراء بنوك الجينات البشرية و غيرها.

و اجادل أن اليوتوبيا تنويع مزوق على الاوليجاركية Utopia is a euphemised variation on the concept of Oligarchy. و ازعم ان كراهية البشر تصدر عن عقلانية ممعنة متأصلة لا تملك–و قد كرست مفهوم الاستهذاء بالبشر و اليأس من صلاحهم–سوى ان تخاتل بقول انصاف الحقائق فى افضل الشروط . و قد بات ذلك التخاتل من التقوى و من ايمان اعراب الشتات وحلفائهم الليبراليين الجدد و اسلافهم من تنويعات المعتزلة و الخوارج و احفاد الاخيرين من اعضاء بعض طوائف البروتستانتية مما افصله فى مكان اخر.

و يلاحظ الناس فى كل مكان ان اعراض أو الاصابة بفيروس عقلانية الرأسمالية ما بعد الصناعية–العولمة–يتمثل فى اكثر صوره تعبيرا فى استهانة اعراب الشتات بما يحيق بالبشر بل العكس يشوق بعضهم ايصال الانسانية (غير البيضاء طبعا) الى حافة الخراب. و تفتضح كراهية الرأسمالية المالية للبشر فى طبيعة رأس المال الربوى و فى حقيقة رأسماليين يراكمون بلا رأس مال تنويعا على و لكونهم احفاد اعراب الشتات. فمن هم اعراب الشتات؟

عقلانية شعب الله المختار و يوتوبيا الاقليات الانتقائية:

بقيت الكيانات البشرية المعروقة تسمي المحكومين عامة و دهماء و غوغاء حتى نشأت المدن الدول الاوربية الغربية وصولا الى الدولة القومية, و قياسا بات العامة رعايا ثم مواطنين. و نشأت فكرة او مفهوم الشعب مع نشوء الدولة القومية. فلم يكن ثمة مفهوم بهذا الوصف شائعا قبلها, فما ان نشأ مفهوم الدولة القومية و مفهوم الشعب حتى راحت الدول تتبارى فى نسبة نفسها الى الاقوام الراقية الممتازة مزايدة على بعضها. و قد ظهر مفهوم شعب الله المختار فى منتصف القرن التاسع عشر و انتحلته جملة امم بل انتخله المهاجرون الى العالم الجديد فى الامريكتين و بخاصة الشمالية و استراليا و الى افريقيا مثل الافريكانر. و ازعم ان تلك الجماعات ما انفكت ان اعادت كتابة سردية خصها باثر رجعى نسبت نفسها لليونان و تواريخ توراتية قديمة.

لم يلبث اليهود الاشكناذي المهاجرين من اوربا الشرقية الى الغربية ان اطلقوا على انسفهم بدورهم صفة شعب الله المختال بل احنكروا الصفة خصما على من عداهم. و من المقيد تذكر ان بعض قبائل اليهود الخزر و الاشكناز هم اشهر اعراب الشتات وقياسا يحتزؤون الاخيرين–حراء ما قد يبدو من حضرنتهم Urbanism–فى شعب الله المختار. و ما ان فعل الاخيرون ذلك حتى لم يبق ثمة "شعب الله المختار".سواهم الا بقدر ما قد يصطنع من تنويعات علهيم. و عليه يتدافع من عداهم نحو تصنيف نفسه فى تنويعات على شعب الله المختار. ذلك انه ما ان لا يبقى سوى شعب الله المختار (اليهودي) يشجع الشعب الامريكى–تخاتلا–على تعاطى فانتازيا جماعية تكرس لدى معظمه فكرة الانتخاب الالهى. و يخرج الالمان بمفهوم الاقوام الاراية النقية الخ.

و تنشأ فى نفس الوقت فكرة ارض الميعاد التى لم توجد قبل القرن الثامن عشر.و فيما تتمحور الذهنية الاعرابية حول آوحادية القضية–ارض الميعاد–تصدر الذهنية الامريكية عن فرض خطاب الهيمنة الامريكية على عالم يشارف التحلل جراء السياسة الخارجية الامريكية. و قد كرست تلك الذهنية مطالب الأقليات خصما على الصراع الطبقى فى المجتمعات التى استضافت الاعراب أو–و على الصراع الطبقى العالمى فالثورة العالمية. و قد استقطب العالم بين آوحادية قضية أرض الميعاد و تفريغ الارض ممن عليها وصولا الى الارض التى بلا صاحب و بين الثورة العالمية المضادة و الثورات الشعبية العالمية. و كانت ميثلولوجيا القرن العشرين اتفقت على تنويعتين لليوتوبيا. فقد أدى التعيير الجمعى عن الحلم الشيوعي الى الاعتقاد فى الجنة على الارض من ناحية و نشأت بالمقابل ميثولوجيا الحلم الامريكى اليوتوبى من ناحية اخرى. الا ان اى منهما لم يحالفه الصواب بل خاب كلاهما و ان كنت ما برحت اعشم فى الاشتراكية بعد.

التغيير و الثورة من اجل الاشتراكية:

بقيت كافة الادارات الامريكية تجأر "ان ما هو مفيد لجنرال موتورز مفيد لامريكا". وتشارف جنرال اليكتريك الخراب, و تصلي جماعات المسيحين الافانجليين بحرارة من اجل الفرج بعد ان اوشكت جنرال موتورز على اعلان افلاسها قبل ان يضمنها باراك اوباما ب 31 مليار دولار و

100 مليار اخري مقابل تشغيل الاف العمال. و مع ذلك يقول المحللون ان شيئا لن ينقذ جنرال موتور و ان كل ما يحدث الان هو شراء الوقت.

ولا يقول احد أن المستفيد هم كبار حملة الاسهم و اصحاب المال الذين يقفون وراء جنرال موتورز. و بالمقابل يثابر المصلون على الامل فى نجاة فرص العمالة و لم يبق لهم سوى ان يتفائلوا. و تثابر ادارة اوباما على النفخ فى نار الامل و العشم بين مئات الاف الامريكان المعرضين للتبطل على نحو غير مسبوق مما يهدد بسخط شعبى غير مسبوق بدوره. و تخشى كل حكومة غربية و غير غربية اندلاع تلك الحركات الشعبية العارمة و تستعد لها و قد تستبقها. و تلاحظ ارهاصات واضحة فى فرنسا منذ بداية عام 2009 و قد استقطب الناس من الطبقات المتوسطة بل من الطبقات العليا الى العمال و الفلاحين و الطلاب على الخصوص فى حركة معادية للرأسمالية علنا. بل تنادى تلك الجماعات التى تتجانس لاول مرة منذ صيف 1968 بكل من الاشتراكية و ترفع راية ما قد يغدو الثورة الفرنسية الثانية على مؤسسات الرأسمالية التى باتت تسيطر على حياة الناس و تستهين بهم بلا تحفظ. و لعل الانتفاضات الشعبية الماثلة القادمية جرا ء الازمة المالية تدور حول السيطرة على حياة الناس العاديين.

و يقف السخط الشعبى الفرنسى فى مقدمة تلك الانتفاضات المحتملة حتى ليقال ان ثمة خطر من احتمال ثورة تفوق ثورة الكلاب لعام 1968[133]. و قد نشأت احزاب تعبر عن تلك الحركات حتي ليمكن القول بانه حيث اذرت الرأسمالية بالاحزاب كما نعرفها فحولتها الى ادواة لمراكمة رأس المال والفائدة و اقسى الفائدة و تسليع او تبضيع المال حتى بات يباع و يشترى كسلعة الى خصما الانتاج و اعادة الانتاج و على العمل الحي فى كل مكان فان الناس ما ينكون يخلقون احزابا جديدة تخصهم و تدل عليهم.

و يلاحظ الناس فى كل مكان ان الاحزاب التى كانت تمثل الوان الطيف السياسي باتت كما قال خرتشوف مرة–عندما سئل وهو فى زيارة بحضور دورة للامم المتحدة– و كان ذلك ابان حملة انتخابية فى الستينات–اي الحزبين يرجو له الفوز قال خروتسوف ان الحزبين الامريكيين ليسا سوى فردتى حذاء.

هذا و قد خرج الشباب خصوصا الى تنظيمات باتت تسمى ب"تمظيمات الشارع" From the street خصما على المعارضات التقليدية يتنويعاتها و على احزاب الحكومة جميعا قد باتت جميعها من بعضها. و ازعم ان الاوليجاكيات العولمية من اصحال المال العولمى كانت قد نجحت منذ الحرب العالمية الثانية فى اخصاء الاحزاب تباعا بخلق شرط ازعانها بوكالة اباطرة الاعلام الذين يؤلفون تنويعة من تلك الاوليجاريكيات العولمية. و قد ساهمت الحزاب بطاوعية الرقيق فى عملية تسوية الارض تحت اقدام الحزبيين. و تدعو هاريت هارمان–رئيسة مجلس العموم يوم 17 مايو 2009– ان على الاحزاب "ان تبنى ثقة متبادلة بينها". و يقول جون بيلجر ان الديمقراطية البرطانية دمرت حيث تحورت الاحزاب الى

تنويعة على بعضها معتنقة ايويولجية وحيدة هى ايديولوحية دولة الاعمال British democracy has been destroyed as the parties have emerged into a single-ideology business state. و قياسا تعين اباكرة الاعلام المرقد على جعل غير المعقول و غير المقبول و الفاحش عادى و مقبول بل يحتفل به normal and celebrated .[134]

وبالمقابل فقد اعادت حركات الشارع تلك لكلمة الثورة رونقها فلم تعد كلمة قذرة. و قياسا لم تعد الحركات الشعبية تروعها التهم التى تطلقها الرأسمالية على خصومها. ذلك ان كافة قوى و ابداعات المجتمع(الفرنسي مثلا) باتت تصب فى الاتحاه الصائب وهو تغيير الاوضاع القائمة بحق لصالح اغلبيات الناس العاديين من المنتجين و اصحاب المصالح الوطنية حقا, فقد بات مفهوم التغيير مخضع لعمليات تجميل ا–و بات محض حديث متخاتل حول التغيير.

الباب الثالث: اسئلة و فرضيات

الفصل الاول :اعادة تعريف بعض ممفصلات قاموس الاستحواذ العولمى العقلانى اجرائيا

Operational definitions:

حاولت فى فصل سابق تعريف بعض المفردات العقلانية و تنويعاتها و تعالقها و فيما يلى احاول فك مفصلة قاموس الاستحواذ العولمى العقلانى و تعريف بعض اهم مفرداته اجرائيا. و اجادل مرارا أن التنوير و المبدأ الانسانوى لم يزيدا على خلق شرط اعادة انتاج الفكر و التنظيم الاستعمارى التوسعى الافقى و العنصرى النوعى الرأسى المعادى لكل ما هو غير غربى و للمرأة العادية–الحقيقية–تمييزا لها عن النسووقراط–و للرجل العادى–الحقيقى تمييزا له عن الرجل الجديد New Man–و الطفل. و قد تعالق ذلك الفكر و التنظيم و مفردات قاموس ترفض ما عداها, و قد راحت لغة التنوير تصدر عن تنويعة مراوغة من فلسفة العقلنة و قد انتجت الاخيرة خطابا من شأنه ارغامك على فعل ما لا ترغب فيه و قد سلبت ارادتك او كادت بالالحاح عليك بسقط القول و قد تعين تجويع الناس و تضورهم على دفعهم الى التلهف على فتاة الخبز و الفكر. و قد يعود انتشار ظاهرة الليبراليين العرب و المسلمين الجدد الى هذا التضور مرة و نرة اخرى الى الطلعات التى لا سبيل الى تحققها او–و سلوانها.

بل تسوغ عقلانية الاستحواذ فظائع الرأسمالية بالتعتيم عليها او–و تبريرها تباعا تحت رايات مقدسة منذ الصليبيات حتى حرب الخليج الثالثة و الرابعة رغم و ربما جراء الخطاب القيامى. ذلك ان الرأسمالية بتنويعاتها تعقلن "حقائق" واسرار و ترتكب فظائع مجددة بحق المفقرين الغربيين انفسهم وغير الأوربيين كل صباح[135].

و قد اعتادت الرأسمالية المالية الفائقة و من ورائها الساسة و معظم الاكاديميين والصحفيين الغربيين و غيرهم بالتماس و معظمهم مأجور على ادمان عدم الامانة جراء كثرة ما تعاطوا مما يسمى غزل الكلام Spin او –العلاقات العامة . و تعني الاخيرة ان التكاذب يغدو ديدن الفرد العقلانى. فثمة تعالق بين

ظاهرة العلاثات العامة و التستر و انحسار الديمقراطية. فكلما انحسرت الاخيرة كلما تفاقعم التكتم كلما تسترقالاقات ذلك ان الفكر الرأسمالي خلق عادة نكران و عدم الاقرار بالخطأ طويلا فاما انكر الخطأ او حمله من عداه أو جأر بان الخطأ كان لامور خارجة عن ارداته.

و قياسا روع الناس فلم يبق لهم حول على ما يواجهونه الا بمغبة الوقوع فى تهمة كراهية الامريكان تحت شعار من ليس معى فهو عدوى او–و مقاومة المشروع الامريكى–الصهيونى الجديد أو–و معاداة "الحضارة" و القيم الغربية او التجديف بالصواب السياسى Political Correctness. و قد بات زوج قديم من الاحذية–على قول اللان فينكيلكروت Alain Finkielkraut: 1988 احد سادة العقلانيين ما بعد الحداثيين و سيد الليبراليين الجدد يساوى اعمال شكسبير. بل قد تتهم بكبيرة الكبائر وهى العداء للسامية. ذلك انه حيث كانت مفردات "التنوير العقلانية" تجرم ما عداها فقد راحت مفردات التنوير العقلانية الجديدة تجرم البدائل تحت سياط ما يسمى تخاتلا "الحيدة العلمية" Scientific neutrality و تفادى الاحكام القيمية Value Free judgments و وجهة النظر المتوازنة Balanced view.

و يتضح ذلك اكثر ما يتضح فى رفض البى بى سي السبت 24 يناير 2009 اذاعة او–و نشر اعلان يناشد الناس بالتبرع لاغاثة غزة بحجة ان ذلك ينال من بسمعة المؤسسة بين المشاهدين و المستمعين بوصفها مؤسسة محايدة. و كانت الحيدة و تفادى الحكام العلمية قد الفت و ما تبرح تؤلف احبولة منهجية a methodological trap مما تتستر وراؤه تهمة العداء للسامية كونهما جلادى كل فكر و تنظيم بديل للرأسمالية ما بعد الصناعية –مشروع القرن الامريكى الجديد–العولمة الخ.

الاستعاضة باسئلة محورية عن الفرضيات:

من المفيد تذكر انه ما ان احتكرت الرأسمالية ما بعد الصناعية على الخصوص المفردات حتى راحت تشنق قاموس من عداها بلغة غير قابلة للتعريف. فالاكاديميا الغربية تغتصب الفكر و التنظيم البديلين باستقطابهما فى خناق اللا ابداع المتصل وصولا الى فقدان عادة الابداع. فالابداع تعريفا اجرائيا هو ان يقيض للعقل القدرة على الربط بين فئات ذهنية فتذويب كل منها اما فى الاخرى او–و بحيث تغدو احداها او–و مجموعها فئة ذهنية فكرية تحليلية جديدة. فذلك الربط بين الفئات الذهنية التحليلية حرى بخلق شرط افكار جديدة فى كل مرة. الا ان الاستقطاب المذكور اعلاه يكرس احباط المكرهين على العجز عن الابداع فى امورهم فعدم الابداع فيها بارغامهم على التلقى ساغرين. ففى زمان يحاصر الناس فيه الاحباط و الخوف و الترويع و تسود جماعات باطنية من صفواة غامضة Esoteric من المفكرين و العلماء و الدينيين المتحرشين بالبشر يدفع الفرد الى الخضوع الى ما لا حول له عليه و ما لايرغب فى اتيانه معا. و تتواجه تلك الجماعات الغامضة ممن يدعى و يحكتر "ابداعا" مرغم بدوره على القصور عن الابداع.

و فيما تتدلع الصراعات حول اداعاءات متضاربة تبدع تلك الجماعات الغامضة بالمقابل اكثر ما تبدع تطوير تكنولوجيا الحرب الساخنة. و ازعم ان مال اعراب الشتات كان غالبا وراء الصراعات الاوربية

الغربية منذ صراعات الاخيرة الداخلية و بخاصة صراعات اسبانيا الكاثوليكية مع الاندلس. الا ان اعراب الشتات ما ينفكون يبدعون ادواة الحرب تأجيجا لمزيد من الصراعات تباعا. فقد كان اعراب الشتات قد ادركوا باكرا ان توفر شرط المراكمة بين المستقرين تعبر عن نفسها افضل ما تفعل باستقطاب Polarisation المستقرين تحقيقا لشرط اندلاع حروب اهلية بين المستقرين و اعراب الشتات بوكالة بعض اعوان اعراب الشتات من المستقرين. و قد بات قتل او–و استلاب و تجريم كل من عدى اعراب الشتات و اعوانهم تنويع على استلاب كل من عدى ما بعد الحداثيين و الليبراليين الجدد و المحافظين الجدد بجريرتهم مرة.

و يفسر الاستقطاب مرة اخرى قصور الثقافة الغربية الرأسمالية بتنويعاتها عن انتاج منوال جديد للمراكمة سوى مناويل اعراب الشتات. فمن نهاية الاقطاع الغربى على الاقل عبورا ب"النهضة" و "التنوير" فالبرجوازية الصناعية الى ما بعد الصناعية–العولمة–الكوكلة Cocalisation–من الكوكاكولا–و المكدنة Macdonalisation–من الماكدونالد–الامركة الخ على الخصوص لم يزد الغرب و اعراب الشتات عن اعادة انتاج نفس النسخة من الاستقطاب بمزوقات جديدة وحسب فى كل مرة. ويلاحظ الناس فى كل مكان كيف راحت الامركة الخ تشنق نفسها بقاموس عقلانى مجدد يتكلم بمفردات لا تقول شئيا و هى ندور حول نفسها و كأنها تلاحق ذيلها هى مما يعبر عن نفسه فى تنويعة مجددة و حسب من العقلانية المنوالية بامتياز.

النهضة و مغبة عداوة التنوير و العلم للكاثوليكية:

حيث تزعم هذه الدراسة كما ذكرنا فى مكان اخر أن العقلانية اساس الفكر و السلوك الغربى الرأسمالى فان تلك العقلانية تصدر عن الرأسمالية ما بعد الصناعية المالية على الخصوص. و قد تمأسست الاخيرة فوق التستر على اباحية اساليب المراكمة بالفائدة و بيع المال كسلعة اكثر منها بالربح واعادة التوزيع مهما كان التوزيع فارقا. فاعادة التوزيع متمثلة فى السلع و الخدمات مثل التعليم و العلاج و السكن بتوفير فرص العمل تعبر عن نفسها فى الانتاج السلعى. و يتمأسس الاخير تبسيطا فوق–اعادة التوزيع التبادل الاستهلاك الانتاج عائدا الى نفسه مرة اخرى production-distribution-exchange-consumption- production going back to it anew.

الا ان العقلانية المذكورة تصدر فوق كل شئ عن استلاب ثروات و مقدرات المخضعين للنظام الرأسمالى العالمى العولمة مشروع القرن الامريكى الصهيونى الجديد و على فائض و خالص العمل الحى فى كل مكان. فتراكم شركة واحدة من اشهر شركات صناعة و بيع الملابس والازياء العالمية(جاب GAP) ما قدر فى 27 اكتوبر 2007 ب 3 مليارات استرلينى سنويا من عمالة الاطفال فى شبه القارة الهندية مثلا. و قد تمثلت العقلانية بالوصف اعلاه و تباعا اكثر ما تمثلت فى الفكر و التنظيم الانجلوساكسونى و وريثه الانجلو امريكى كون الاول كان قد استوعب باكرا و قبل غيره من المجتمعات الاوربية الغربية فى

فكر و تنظيم او فوضى فكر وتنظيم اعراب الشتات المهيكلة او المنظمة Structured or Organised Chaos . و أزعم ان كمياء الفوضى المذكورة انتجت مفهومين مختلفين للنهضة و التنوير.

صراع العلمانية و العقيدة وكمياء العقلانية:

كانت النهضة الاوربية الغربية و بخاصة فى موطنها الاول فى جنوبى اوربا قد تأثرت بالاندلس و غيرها من الفضاءات الاسلامية. و ثمة التنوير الذى تعين عليه اوليجاكيو بعض المدن الدول الايطالية مثل البندقية و فلورنسا. و قياسا فان ثمة كما ذكرنا فى مكان اخر "النهضة" و "التنوير" اللذان تعينت عليهم اوربا احدهما بريادة البابوية و الثاني بريادة اوليجاركييى جمهورية البندقية الحرة فى مواجة النهضة البابوية. و قد انخرط فى كل منهما جماعتين متقابلتين و قد تخندقت كل منها فى مواجهة الاخرى بعنف و عصاب منقطعي النظير. وقد تمأسست تنويعة من النهضة يشار اليها بالنهضة الحديثة او العليا على الانسانوية فراحت تصدر عما يسمى الاصلاح الدينى Reformation .

ويقول التاريخ الرسمى للاصلاح الدينى و قد بدأ فى القرن 16 انه كان محاولة لاصلاح الكنيسة الكاثوليكية. الا ان الاخير لم يزد فى معظمه على احبولة تماثل احبولة التحديث Modernisation و اصلاح الشرق الاوسط الكبير الخ. فقد تعين لاصلاح الدينى على حركة معادية للكاثوليكية باتت تعرف بالحركة البروتستانتية فى مواجهة الكنيسة الكاثوليكية التى راحت بدورها تتعين على حركة اصلاح دينى مضادة Counter-Reformation فى مواجهة الطوائف العاصية و الخارجة على الكاثوليكية.و كان من جراء حركة الاصلاح الدينى المضادة ان ازدهرت الفنون الكنسية و المعمار و حركات احسان الموثرين مثلما فى نابولى و النبدقية.

فقد تعينت البابوية على رعاية الفنون و حركة اقامة الشواهد الحجرية و بناء الكنائس و الكاتدرائيات الكبرى الخ و قام اثرياء المدن الدول الايطالية و الجنوب اوربية ببناء الاصرحة الشهيرة و المقامات.

و بالمقابل انتشرت البروتستانتية فى شمال غرب اوربا و راحت الطوائف المعادية للبابوية تتهم الكنيسة و المؤسسة الدينية والسياسية بكل من الثراء الفاحش و التراتب المركزى Rigid Hierarchy و الجمود و التخلف والبعد عن بساطة المسيحية. و كانت النهضة–وكانت ايطالية اكثر منها اى شئ اوربى اخر–قد عرفت بعصر تعقب العلماء واحراق الساحرات جراء المؤامرات و المكائد التى ساقتها جمهورية البندقية ضد المدن الدول الايطالية الاخرى و غيرها. فقد كان معظم العلماء و الفلاسفة معاد للبابوية.

ومن المفيد تذكر ان بعض تنويعات طرق صوفية يهودية كانت قد ظهرت فى القرن الرابع عشر و الخامس عشر فى اوربا الشرقية و اوربا الجنوبية والشمالية و بخاصة غب سقوط ممالك الاندلس وقد انتشرت البغضاء الدينية و تعقب الغرماء وزاعت محاكم التفتيش. و كانت الاخيرة انتشرت منذ القرن الثانى عشر و بعثت مجددا فى القرن السادس عشر جراء طوفان المهاجرين من اسبانيا و البرتغال عشية سقوط غرناطة. و كان بعض المهاجرين الى البندقية فى طريقهم من البرتغال فى 1540 قد تنصر و بقى مع ذلك "يجهل التعاليم المسيحية". و قد "اتضح ان معظمهم لايعرف معنى ابانا الذى فى السماوات"

والقت السلطات القبض عليهم الا أن محاكم التفتيش و كانت تصدر عن قوانين ولوائح أقل عنفا من نشاط الكاثوليك المتطرفين الهيستيرى–مما اندلع متساوقا مع تعقب المفكرين و الكتاب و الساحرات. فقد كانت الكنيسة تنتهج "سياسة متسامحة مع المسيحيين الجدد أى بعض طوائف اليهود الذين أعتنقوا المسيحية الغربية و كذلك بعض طوائف اليهود السفارديم[136]. و ينبغى التفريق بين اثرياء و احبار و اسباط و قضاة و تجار اعراب الشتات من السفارديم و من يسمى ب"اللادينو". والاخيرون هم اليهود الذين تنصروا ابان العصف بغير الكاثوليك الاسبان على عهد فيردناند و ايزبيلا اوف كاستيل. و ازعم ان اللادينو كانوا من عامة اليهود. و كان يهود اسبانيا–اللادينو–هاجروا بعد طردهم الى هولندا و البلقان و اليونان و قد عانوا اكثر من غيرهم بخاصة من المحرقة و تعاون بعض الاشكنازى مع النازى.

خصومة الكاثوليكية والعلم:

كان الاوربيون محبطون يتطيرون من كل شئ وأى شئ فى تنويع على حال العرب و المسلمين اليوم و حال اليونان ابان حروب اثنيا و اسبارطا من قبلهم. فقد كانت اوربا محاصرة بالاسلام من الشرق و الغرب و الجنوب. و كان الاسلام مركز الحضارة فى العالم. و أزعم ان نشوء النهضة كان قد تعاصر و حصار اوربا الجنوب غربي و الغربية بالاسلام. و كان العلم الغربى بدوره قام فى مناخ خصومة معلنة بين الكاثوليكية و العلم. و اجادل ان العلم الغربى غدا "علما انتقائيا" و باتت الانتقائية واحدة من ملامح المعرفة الغربية. و قد نشاء كل من النهضة و العلم الغربيين فى مناخ الاحباط و التطيير. و كان ذلك حريا بان يدفع الاوربيين الغربيين الى اجتزاء التاريخ و الحقائق لصالحهم هم و خصما على من عداهم من يومها و الى وقت طويل و ربما حتى اليوم بقرينة مثول الخطاب الليبرالى الجديد باجندة المحافظين الجدد.

و قياسا فقد وقف البيوريناليون ازاء الكاثوليكية موقف الخصم و راح البيوريتانيون–التطهريون المتطرفون بطبعهم يدعون–فى خصومتهم مع الكاثوليكية–انهم علمانيين تكاذبا.

و قد نشأ صراع بين هوبر و بين الرجال الذين خالفوه و كان ذلك بداية العلم التجريبى. وكانت ثمة رجال بافكار دينية شرسة و كان هناك ذوى القبعات البيضاء(النبلاء الملائكيين) و القبعات السوداء (الاشرار) و قد تواجه الايمان و العقل و التجديف(بالعقل) و الشر. و قد انتشرت ظاهرة مقاهى الثرثرة فى لندن و انتقلت الى المدن الكبرى– التى تبدو و كأنها تنويع على الصحافة الشعبية و ربما على الانترنيت. و كان كروموبل قد اغلق المسارح. و كان الناس يختلقون كلمات و كان شيكسبير معاد لكل ما هو مناف لتاريخية الاحداث او لزمانه Anti-anacronistic. و فى وقت كانت فيه الالواح التيكتونية Techtonic plates(ان صح التعبير) الفكرية و التنظيمية تتحرك بعنف منذرة بزلازل اجتماعية كان الناس يقفون محيرون فيما يفعلون. الا الناس ما ينفكون يضمرون الرغبة فى العيش فى مستقل افضل ايضا.

و لم يكن العلم قد تقدم فقد كانت تلك الفترة السابقة على نيوتون و كان مبلغ معرفة اغلب الناس بالعالم تقل عما يعرف طفل فى الخامسة عشر اليوم من مشاهدة الكومبيوتر فى ليلة واحدة. و كانت اللغة الانجليزية فى القرن السابع عشر تختلف عنها اليوم. و كان ينبغى لفهمها العودة الى الانجيل والى شيكسبير. البرلمانيين و الحفارين. و كان اتجاه البرلمان يسارى اجمالا. و لم يكن اوليفر كروموبل ذلك الديكتاتور الطاغية الذى تصفه كتب التاريخ الرسمى. و كان عليه عمل شئ بصدد حكومة البلاد و كان قد عقد صلحا مع الرب و كان الرب قد اعطاه العرش–السلطة بالاحرى–و لم يكن لاحد ان يأخدها منه. و كان يتحدث الى الرب و كان الرب قد تحدث اليه و كان يرسل له علامات و كان كروموبل ينتظر اشارة من الرب و كان الرب يقول له بان يذهب الى الحرب او لا يفعل و ان يقابل الايرلنديين و يهادن الاسكتلنديين. فقد كان المناخ مناخ تدين أعمي و يظهر فيه الشيطان فى تلك الفترة للناس جنبا الى جنب مع الرب فياخذا بخناق المؤمنين حتى يقيض الرب اشارة و دليل منه انقاذا لروح المؤمن منهم. و كان قد اعاد كروموبل اليهود الى انجلترا و لم يكن له خصومة مع الكاثوليك و كان يخشى العصيان الايرلندى. و كان اوليفر كروموبل سيد البيورتانيين قد انشأ معظم مجموعة الجميعات الطبية و العلمية التى ما انفكت ان باتت بعد انهيار الجمهورية جمعيات ملكية الخ. و يجأر العلم اليوم باهمية البحوث على التلقيح الصناعى و الاستنساخ و التعديل الجينى و على الخلايا الجزعية الى التجريب على زرع خلايا حيوانية فى نظيرتها الادمية بانتحال محاولة الوصول الى علاج لامراض مثل الزاهيمر و الباركينسونز الخ فيما تعارض الكاثوليكية تلك التجارب. و تتهم الكنيسة الكاثوليكة بالبربرية و التخلف بل بعدم الشفقة حين وقف الكاثوليك موفقا حازما من قضية خلط النطف او الخلايا الآدمية و الحيوانية أى خلق نطف مهجنة باسم العلم. يخلق فرانكيشتاين قريب فى حين يجأر العلم ان ذلك من شأنه تخفيف الام البشرية. ها ها ها.

المهم كان رجال الدين الكاثوليك–فيما خلى الاساقفة و الكرادلة–يتحدرون غالبا حتى القرن السابع عشر من طبقات دنيا و تنتشر بينهم الامية و الجهل و بالمقابل كان اغلب علماء و مفكري اوربا الغربية بروتستانت من طبقات أعلى و لو بتعليمهم و قدرتهم على التفرغ للعلم. و كانت تلك القدرة تعود الى رعاية بعض امراء اقطاع اوربا و ملوكها لهم كيدا فى الكنيسة. و لعل سفر تكوين ما سمى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر تباعا بالطبقات المتوسطة كان قد وجد له جذورا فى تلك الفترة بين العلماء و المفكرين المذكورين. و قد لعب الاخيرون دورا ما يبرح يدل على معظمهم و ربما كان بدره نذير بما يقوم عليه و به الليبراليون الجدد.

ومن المفيد تذكر ان الصراع الكاثوليكى \ البروتستانتى–كان بين طائفتين على الاقل–و بين طبقتين و بين العلم و الجهل. وكان الصراع الى ذلك بين شمال برتستانتى–و كان معظم المفكرين من الشمال–و جنوب كاثوليكى مما يكون قد تمأسس عليه ما يزوق بصراع ملكى الشمال و الجنوب. و قد راح المبشرون–و كان اغلبهم من شذاذ افاق الكاثوليك كالجزويت و الكويكرز فى بداية عهدهم–ينتشرون–

مثلهم مثل المغامرين فى رحاب الكرة الارضية فيما بقى المفكرون رهناء مصادرة و تعقب الكنيسة مثلما حدث لجليلو جاليلى و جوردانو برونى و غيرهما.
و لعل ثنائيات رجال الدين و المفكرين تذكرنا بما كان قد بات سائدا فى الخلافات الاسلامية التى تأثرت بها الكنيسة المسيحية الغربية. و لعل كلاهما تأثر بالفكر و التنظيم اللذان كان اعراب الشتات قد وفدوا بهما او–و صدروهما من بيداء ما بين القفقاز و نهر الفولجا الى الامبراطروية الرومانية فالى الخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية و بخاصة الاندلس عودا الى الغرب مجددا الى هولندا و بريطانيا تباعا.
و ربما كان واردا عقد قياسات بين المدارس الفكرية و الطوائف التى نشأت فى تلك الخلافات باكرا من انقسام المسلمين بين سنة و شيعة و انقسام الاخيرين بين معتزلة و خوارج و الانقسامات التى نشأت فى الكنيسة المسيحية الغربية على التوالى مما اناقشه بقدر من التفصيل ادناه.

عقلانية تعالق النهضة و المبدأ او الفكر الانسانوي و امتناعهما على التعريف: تعالق النهضة و الدمقرطة والموسيقى:

بقى مفهوم النهضة مسمطا غير خاضع للتعريف. وليس غريبا فقد بقيت معظم مفهومات تلك الفترة من تاريخ اوربا مسمطة و ممنوع تعريفها مثلما تمنع أمريكا تعريف الارهاب. و يثير مفهوم النهضة و ما يبرح الجدل Controversial. و كانت النهضة و"الفكر الانسانى" Humanism و الاحرى المبدأ الانسانوى Humanist Tradition قد تداخلا و تعاقبا. فان كانت النهضة الدنيا و الوسطى قد عبرتا عن نفسيهما منذ القرن الثانى عشر الا ان الاخيرة و الركر الانسانوية و التنوير تعاصرا– مع اختراع المطبعة–حتى التاسع عشر. بل يقول بعض المؤرخين الغربيين ان النهضة عبرت عن نفسها فى القرن التاسع و قد نشرها الموسيقيون فى تجوالهم مما خلق مناخ توحيد الموسيقى الاوربية وصولا الى الاوبرا. و هذا غير صحيح الا بقدر ما اخذ الغربيون عن الخلافة العثمانية موسيقى المارشات العسكرية و تأثر اماديوس وولفجانج موتزارت بالموسيقى العثمانية و بالاندلس. ويلاحظ ذلك التأثر مثلا فى اوبرا فيجارو حيث ترجع نهايتها "لافاندانجو" تنويت Notation موسقي على تلاوة الفاتحة.
و ازعم ان فكرة الموسيقيين المتجولين جاءت من كل من الاندلس و الخلافة العثمانية.
و قد يعود الطابع الشعبى لتلك الموسيقى الى انها كانت من نشاط فئات شعبية قياسا على موسيقى الخلاقة العثمانية التى ربما كانت بلاطية. و قد عرف سلاطين العثمانيين بحبهم للموسيقى و اجادة بعضهم للعزف على الالات مثلما كانوا يجيدون العلوم و الفنون الاخرى. و ربما عادت صفووية الاوبرا الاوربية الى التقليد البلاطى العثمانى. و لعل الباحثون العرب و المسلمون يتوفرون على تقصى المزيد من تفاصيل هذه الاحداث بصورة اعمق. على انه من المفيد تذكر ان الموسيقى سيست باكرا و كان لها اثر بعيد فى كسب و خسران المعارك من الحرب العالمية الاولى وابان النازى وصولا الى ستالين جراد حيث كانت سيمفونية شيستاكوفيتس تثير التطير و الخوف فى قلوب الجنود الالمان.

عقلانية تعريف النهضة و القرون الوسطى و التنوير نفعيا:

كانت النهضة كما ذكرنا فى مكان اخر قد اتصلت بالكنيسة فيما كان معظم المفكرين الثيولوجيين قد بادر بالمبدأ الانسانوى مثل ايرازماس او–و تاثر به مثل زوينجلى Zwingli و توماس مور ومارتين لوثر التنويري و كالفين. وكانت مفردة النهضة قد ظهرت لاول مرة فى 1550 على يدى جورجيو فيسارى Gorgio Visari–1511-1574 ثم على يدى مارساكيو براوندىلسينى و ثالثا على يدى مايكل انجلو[137]. و كان موطن النهضة الاول البندقية و فلورنسا ولم تلبث النهضة ان نشرت فى القرن 15 الى بقية ايطاليا ثم بقية اوربا فالى فرنسا و غيرها. و كانت النهضة الفرنسية محصلة غزو تشارلز الثامن لايطاليا للبندقية على الخصوص مما نذكر فى مكان اخر.

المهم كان تشارلز الثامن ملك فرنسا قد اخذ معه كنوزا و تحفا فنية وفنانين منهم ليوناردو دافينشى عائدا الى فرنسا. وراحت فرنسا تشيد قصورا بازخة و مكلفة لتضم الفنون النهضوية الايطالية و قد اندفعت فرنسا الى انتحال النهضة دون سواها. المهم كانت النهضة قد انتشرت فى القرن الخامس عشر بصورة واسعة و سريعة فى بقية اوربا. و يتحدث المؤرخون فى القرن العشرين عن النهضة الايطالية و الشمالية Northern Renaissance حيث هاجرت النهضة شمالا من ايطاليا فبات ثمة نهضة انجليزية و المانية و فرنسية و هولندية و بولندية ومجرية و اسبانية. وحيث انتشرت روح العصر من فرنسا الى هولندا و المانيا واسكندنافيا و اخيرا الى انجلترا فى القرن السادس عشر فقد تعالق المبدأ الانسانوى بصورة لصيقة مع الطوائف البروتستانتية و الحركات الدينية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية.

و يقول معظم المؤرخين ان النهضة الفت فراقا بائنا مع بربرية الفن القوطى. و قال المؤرخ الفرنسى جولز ميشيتيل **Jules Michitel**–1798–1874– أن النهضة تتصل فى الخاطر الغربى او السردية الغربية المتخاتلة عقلانيا بكل من كولومبوس–لاحظى كولومبوس القرصان المغامر–الى كوبيرنيكاس و جاللیليو[138].و يصدر بعض محللى النهضة عن مفهومات مثل النهضة العليا و السفلى [139]. و ربما قصد الاخيرون بالنهضة العليا تلك التى اتصلت بالفن الكنسى سواء لوحات و معمار او موسيقى و مؤلفات و مخطوطات باللاتنية. فالنهضة العليا **High Renaissance** حرية بان تكون صفووية و من اجل قلة تملك المشاركة فى النشاط النهضوى و تقتنى التحف و حتى زيارة الكاتدرائيات الكبرى. فقد كانت الاخيرة محرمة على العامة وكان معظمهم ما يبرح و ثنى و أمى و بقى لوفت طويل. و قياسا فلعل ما يسمى بالنهضة السفلى **Low Renaissance** تزويقا لبداية التنوير. و يدعى البعض ان علمانيي تلك الفترة راحوا يكرهون الموسيقيين على تاليف موسيقى عمالية.

وقياسا فقد حرض مارتين لوثر التنويري الفلاحين الالمان فى منتصف القرن السادس عشر على الثورة من اجل المساواة و لم يحصل الاخيرين على اكثر من قبض الريح. هذا و قد زعم بعض المؤرخين ان النهضة السفلى الفت شرط فراق الفن و التعبير الادبى و غيره عن نظيره الكنسى من الرسومات المسيحية الغربية حول الجنة و النار و صلب المسيح و العشاء الاخير ورسوم العذراء والمسيح الطفل و

قد بييضا فصارا شقراوين بعيون زرقاء ولا يشبهان حتى الايطاليين انفسهم. فليست شعوب المتوسط شقراء او حتى بيضاء بالمفهوم الانجلوساكسونى أو الآرى بالمعنى الحرفى. فهم سمر مؤكدا. والعذراء سمراء و عيسى يتيم فقير و لاجئ اقتصادي و سياسي حتى جاء الفيكتوريون فبيضوا العذراء و ابنها و اضافوا الجليد للمزود

المهم بدات الرسوم الكنسية حسية تنتشر معبرة عن نهضة اخرى لافراد عاديين و اقل من ذلك. و كانت تلك النهضة و ما افرزته من رسوم و ادب و فلسفة تحض على رؤية العالم ليس من وجهة نظر الكنيسة و انما رؤية العالم على ما هو عليه و على الواقع كما هو عنيف وعدوانى و متنافس و شديد التركيب. وكأن كارافاجيو اهم من عبر عن تلك الذهنية تنويع باكر على الفن الحديث او ما بعد الحداثى الا ما خلا ان الاخير اكثر ابتذالا و سوقية امعانا فى ما بعد الحداثة. المهم لعل رسومات كارفاجيو Caravaggio كانت اقرب الى عنف المدن الدول الايطالية و حتى المدن الفرنسية مما افصله ادناه.

و بالمقابل كان عالم النهضة العليا–او التنوير المتستر بعد– أبيض و اسود– ايمان وكفر–صواب و خطأ–ثواب و عقاب–فى ثنائيات لعلها ألفت سفر تكوين ما اعرفه ب" الثنائييات التنويرية" تباعا. و يقول نقاد محدثون للنهضة أن معظم السلبيات التى احاطت بالفترة الوسيطة من عصر النهضة كالفقر والاضطهاد الدينى والسياسى مثلا تفاقمت ابان النهضة العليا و قد شهدت الاخيرة الفكر و الممارسات الميكيافيللية و الحروب الدينية و البابوات الفاسدين وتعقب العلماء و احراق الساحرات فى القرن 16. و لم يكن معظم من عاصر النهضة يرى فيها ذلك "العصر الذهبى" الذى خلعه عليها القرن 19.

و قياسا يدعى بعض المؤرخين و جود نهضة فى القرن 9 و اخرون يقولون بنهضة فى القرن 12–وكان الاخيران عصور مظلمة او عصور وسطى بمعنى لا تتصل باوربا الغربية. و قال اخرون ان ثمة نهضة فى القرن 19 و يجادل غيرهم ان ثمة نهضة عليا تسويغا للتعميش على النهضة البابوية تحت عنواهن "العصور الوسطى". و كانت النهضة سادت فترة قصيرة من ما يسمى "العصور الوسطى". و لا تعنى مفردة العصور الوسطى سوى تزويق تعين عليه التنويريون حتى يسقطوا مراحل كاملة من تاريخ اوربا خصما على الكاثوليكية ليلحقوا تاريخ اوربا الغربية و الانجلوساكسونية على الخصوص بما يسمى العصر الكلاسيكى اى بسقراط و ارسطو و افلاطون خصما على مفكرى و فلاسفة النهضة البابوية.

هذا و من المفيد تذكر ان القرن اوسطين Mediaeval لم يكونوا يتعرفون على انفسهم بوصفهم كذلك. فقد كانت التسمية باثر رجعى. و مع ذلك يستخدم معظم الكتاب العرب المفردة فى وصف عصور عربية اسلامية بلا تحفظ و لا امعان النظر الى ما تعنية المفردة من ابتخاس لزمن الاحداث المنسوبة لتلك الفترة. و قد تساوقت "العصور الوسطى" و مؤآمرات سياسية حول البابوية مما تمخض عما يسمى "الانقسام الغربى" Western Schism بمعنى انقسام الكنيسة الغربية على نفسها. و كان ثلاث رجال ادعوا البابوية فى وقت واحد حتى حل الاشكال فى 1414. و فى القرن الخامس عشر انحسرت سلطة البابا و مع ذلك فقد بقيت البابوية تهيمن على السلطة العليا الخاصة بالمسائل الاكليروسية فى 1511.

الا ان تهمة الفساد و المحسوبية بقيت تلاحق البابوية خاصة البابا اسكندر السادس الذى انجب 4 ابناء سفاح و راح يزوجهم زيجات مصلحة على رؤوس الاشهاد. و بقى ايرازماس و لوثر يتعينان على نقد الكنيسة بخاصة حول بيع صكوك الغفران فى 1517 مما ادى فى المحصلة النهائية الى حركة اصلاح دينى مضادة لحركة الاصلاح الدينى البروتستانتية مما كان خصوم الكاثوليكية قد تعين عليه. و قال ميشيتيل ان التنوير كان انقطاع عن القرون الوسطى و عن الفن القوطى. فقد كان الفن القوطى–مثل أهله و تاريخه و سرديته الخاصة بقوط كل من شبه الجزيرة الايطالية و نظيرتها الايبيرية–كان الفن القومى حريا بان يكون نابيا و مسخ فاحش Bizarre & Monstrous مقارنة مع ما يسمى "النهضة الديمقراطية" او ديمقراطية النهضة[140].

و لعل مثل ذلك المفهوم يعود الى ما بعد اكتشاف المطبعة حيث قيضت الاخيرة انتشار افكار التنويرن سبيا. الا ان ذلك لا يعنى ان تلك افكار شاعت بين اغلبيات الناس العاديين فقد بقيت الامية ماثلة لوقت طويل حتى بين الملوك انفسهم. و قد انكر بعض المؤرخين ان النهضة كانت حركة لها بداية ومنتصف و نهاية. و قالوا انها كانت اقرب الى شبكة علاقات استقطبت مرة و فرقت مرة شخصيات و جماعات استجابوا للحركة بصور مختلفة فى ازمنة متفاوتة و اماكن متفرقة. و كانت تلك الشبكة تجمع و تفرق تلك الشخصيات و الجماعات حول ثقافات متصارعة فلم تكن تجمعهم ثقافة واحدة.

ذلك ان النهضة–حسب احفاد التنويرين–لم تتصل بزمان واحد و لا بفترة واحدة او مكان واحد مما قد يغدو من شأنه ان يخلق شرط توحيد "النهضويين" ان كان ثمة تعبير بهذا الوصف. و أقول ذلك حتى يتعين البحث على الوصول الى تفسير كيف ان كتاب التنوير كانوا حريون بان يزينوا تلك الحركات و يخلعون عليها ما ليس لها مثلما يحدث فى كل زمان و مكان و بخاصة فى تغييب و غياب اى بديل او خصم يذكر او ينسى. فلم يكن ثمة بديل و لم تسجل سردية اى من خندقى النهضة و التنوير غيرهما اى ما قد يؤلف ما يسمى بالمصدر المحايد.

ذلك ان خصوم الطرفين كانوا مجعولين للاستلاب و النفى و ربما للابادة. و الفرق بين النهضة و التنوير و ما بعد الحداثة و الليبرالية الجديدة و غيرهما من المابعدويات و نظائرها السابقة ان ما بعد الحداثة و الليبرالية الجديدة تكتب بدورها تاريخها فى مناخ يدعى دمقرطة مزوقة اكثر منها موضوعية و تسوغ حروبا استباقة نبيلة لتحرير برابرة جدد. و قياسا فقد اتهم و اضطهد المفكرون الامريكان اللذين ناقشوا احداث الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 و غيرهم ممن شكك فى النوايا الحقيقية وراء الحرب على العراق. و ما يبرج كل من يخالف الامركة مجعول لما يشارف الحكم بالاعدام المدنى[141].

المهم فورا من المفيد تذكر ان النهضة كان لها خصوم و اعداء الداء فى التنويرين كما اذكر فى مكان اخر و ان التنوير يبقى بدوره مفهوم قابل للجدل. و اجادل انه لم يكن ثمة شرط ممكن التحقق لتوحيد من يسمى بالنهضوين فقد كان الاخيرون يواجهون بهجمات الطوائف المنشقة على الكاثلويكية و من قبل التنويرين الباكرين بخاصة تنويريى جمهورية البندقية الحرة كما ذكرنا فى مكان اخر. و اجادل أن ما حاق

بالبابوية فى القرن الخامس و السادس عشر تنويع باكر على ما يحيق بها بالكاثوليكية حتى اليوم, و ازعم ان الاخير تنويع باكر على ما يحيق بالاسلام ايضا.

قياسات بين النهضة و التنوير و انصرافية ما بعد الحداثة العقلانية:

حيث كانت النهضة كاثوليكية فقد بات الفن النهضوى كاثوليكى. و كان تواجه كل من الفن الكنسى و الفن التنويرى قد عبر عن نفسه فى لوحات دافينشى حيث احتلت الجيوكاندا مكان العذراء. وقد تسترت سرديات مخفية وراء لوجات دافينسى و غيره تعبر عن امرو لم يكن الفنانون و الكتاب يجرؤون على النطق بها مثلما كان الامر على عهد اليزابيث الاولى كما ذكرنا فى مكان اخر. وقياسا كان كارافاجيو- Caravaggio 1571–1610– الرسام الايطالى و ابو فن الباروك Baroque اشتهر برسم لوحات للموت العنيف و الرؤوس المقطوعة و التعذيب.

و كانت رسومات كارافاجيو تعتبر مبتذلة و مخلة ومقرفة و كان يستخدم عاهرات معروفات كموديلات لرسم العذراء و تجرأ فرسم العذراء تموت فيما كانت العصور الوسطى المتقدمة تؤمن بان العذراء صعدت فى جوقة من الملائكة الى السماء. وحيث كان كارافاجيو يذرى بالمقدسات كان يمجد بالمقابل العنف و المثلية و الجريمة خفية او علنا فى تنويع باكر على ما يسمى الفن ما بعد الحداثى. فلعل كارفاجيو الذى راح يعربد فنيا واجتماعيا ابان النهضة الباكرة كان تنويعا باكرا على اندى وورهول -Warhal-1928-1978 و ديميان هيرست 1965- Hurstالذى باع بقرة مخللة ب 11 مليون دولار فى نفس اليوم الذى انهارت فيه مجموعة مصارف ليهنام العالمية نذيرا بسونامى الانهيارات المالية العظيمة.

و يلاحظ ان فنونا بعينها تزدهر ابان الازمات الاقتصادية الاجتماعية فقد شاعت رواية جاتسبى العظيم The Great Gatsbyلمؤلفها سكوت فيتجيرالد و قد صجدر فى 1925 و تصور بذخ و جدى و اباحية العلاقات و تسوغ لا جدوى العلاقات بين اثرياء ازمة الثلاثينات. فقد ازدهرت امريكا اقتصاديا عشية الازمة الاقتصادية الكبرى و نشأ اثرياء جدد الى جانب القدامى امثال حولدمان ساكس ستانلى Goldman Sack و جي بى مورجان J.P.Morgan و امثالهما ممن كان وراء الازمة كما هو الحال فى الازمة الماثلة منذ صيف 2007 . و قد عبرت ظاهرة نشوء تلك الحماعات وقد راحت تسيطر على الاقتصاد و المال بصورة غير مسبوقةعن نفسها جراء تجارة السوق السوداء فى الخمور التى كان التعديل 18 من الدستور الامريكى قد حرمها و انتشرت المادية و حب المال و الجريمة.

و قياسا راجت رواية الجنس و المدينة Sex and the City لمؤلفتها كانداس بوشنيل Candace Bushnell مع انفجار فقاعة تجارة التوت كوم فى 1997. وتدور مشاهد المسلل التليفيزيونى فى نيويورك–و الا فاى مدينة تلك التى تحتمل مشاهد تلك الرواية التى بلا احداث فى الواقع. فليس ثمة حبكة و لا بداية او نهاية الا بقدر ما تكرر مشاهد اربعة شابات لا يغير من امرهن اكثر من تغيير الملابس من ازياء باهرة بصورة صاعقة و تغيير الوان شعورهن. و تزوق. الرواية حرية المرأة العزباء فى حياة 4 نساء ناجحات فيما يبدو اقتصاديا و خائيات اجتماعيا.

و ازعم ان مشروع النسوية المغالية و كراهية الرجل الانسان و استغلال الرجل الحيوان بلا جدوى و لا اشباع فى تنويع الى التسوق زيادة على مظاهر التسوق و اقتناء الاحذية و الملابس باهظة الثمن و قضاء الوقت فى الحانات وبين اسرة رجال او الحنس السريع كلاطعام السريق فى المصاعد او فى اى مكان وراء خيبتهن فقد اخلت بهن النسووقراطية لتنتهى كل منهن محسورة بطريقة او اخرى.

المهم يتهم فن النهضة الكلاسيكى بالوقوف وراء مناصبة مدارس الفن الحداثية العداء و السبب وراء عداوة كل منهما للاخر. و حين مهدت المدرسة التكعيبية و المدرسة الانطباعية للوصول الى الفن ما بعد الحداثى تمأسس الاخير فوق منتجات "فنية" تغدو فيها صورة للعذراء من روث الفيلة و خروف مخلل فى الاثير و سرير غير مرتب وحوله احفضة حيض الفنانة و ربما اشياء اخرى اكثر اباحية و جمجمة مرصعة بالماس اخر صيحات الفن ما بعد الحداثى و اشدها تعبيرا عن عقلانية انصرافيته بل استهلاكية تذري بكل قيم جمالية وقد وصمها الصواب السياسي بالتحييز الليبرالي.

و قد تبرع ديميان هيرست احد كبار الفنانين ما بعد الحداثيين بلوحة عبارة عن شاسة مغطاة بذباب ميت لمتحف التيت موديرن Tate Modern و هو متحف القن البريطانى الحداثى و الاحرى ما بعد الحداثى الخميس 13 ديسمبر 2007. و شكل الفنان ما بعد الحداثى روبرت راشينبيرج Robert Rachenberg قطعة فنية من عنزة مصبرة كان قد عثر عليها فى احد ماحيلات العاديات فعاد بها الى بينه ثم خرج مرة اخرى و وجد اطار سيارة قديم فى القمامة فعاد به ليضعه حول عنق العنزة.

و يقول النقاد انها من ادهش ما انتج الفن ما بعد الحداثى من تعبير رمزى عن الجنس. و يقول الفنان المذكور بتواضع زائف انه لم يقصد شيئا من ذلك. و تباع مثل تلك "القطع الفنية" التى تبعث على القرف بمئات ملايين الدولارات. ذلك ان تلك "المنتجات الفنية" تغدو تعبير مروع عن الفن ما بعد الحداثى. فالفن الحداثى اتصال لمشروع تنويرى غايته النيل من النهضة و من و كل ما يدل عليها وصولا الى النكاية بالكاثوليكية. و قياسا تتعين ما بعد الحداثة على التمثيل بكل ما بقى من ذوق و احساس بالجمال.

و يبقى ديميان هيرست من أهم عرابي الفن مابعد الحديث و يطلق عليهم شباب الفن البريطانى الحديث The Young British Artists مما ذكرت جانبا منه فى مكان اخر. و كانت اسعار لوحات الفنانين الحداثيين فان جوخ و جوجان و مونية قد تضاعفت مع ازمة نهاية القرن التاسع عشر. كان نفس اشئ قد حدث بالنسبة لماتيس و للتكعيبين مثل بيكاسو. و قياسا بات سعر لوحات كالينوتو 3 مرات عشية الازمة الاقتصادية الكبرى. فقد ازدهرت سوق اعمال الفن الحديث بوصف ان شراء اللوحات و القطع الفنية بملايين الدولارات استثمارا مضمونا. و قد بات الفن ما بعد الحداثى بدوره ايقونة ما بعد الحداثة و الثروة العولمية. و يغوى سوق التحف المذكورة هواة الفن ممن يملك اقتناء تلك "التحف" من روسيا و الصين و اليابان و الهند و بعض البلاد النفطية العربية و غيرهم من محدثى النعمة مثل مليارديرات النفط الروسى و الاوكرانى و غيرهم من اوليجاركيات ما بعد سقوط المنظومة الاشتراكية و نظائرهم الغربية. و تغدو ثرواتا لاخيرين تنويع على مكتنزى الذهب و الماس و المضاربين فى المحاصيل الغذائية.

و يتساءل الناس اين تذهب الثروة التى تراكم جراء ارتفاع اسعار النفط و افلاس المصارف؟ لعلها تذهب الى شراء لوحة للعذراء بروث الفيلة. ذلك ان ليس ثمة حدود لتشويه و ابلسة و مسخرة مقدسات الناس و قيمهم و معتقداتهم و تقاليدهم و ثقافاتهم تيسيرا للقضاء على هويتهم. و بالمقابل لا يطال اى من ذلك مقدسات و قيم و معتقدات و تقاليد و ثقافة و هوية اعراب الشتات و الا قامت الدنيا و لم تقعد. و ازعم ان مثل تلك الثنائيات الابليسية–بين تقديس قيم اعراب الشتات و الذراية بقيم الجنتايل الغويم الاممين كانت قد وجدت سفر تكوينها باكرا و ربما قبل سقوط الامبراطورية الرومانية الى نسيج المجتمعات المضيفة و ذاكرة من عدى اعراب الشتات الجمعية. و كانت غاية ابلسة الاولى هو النيل من الكاثوليكية الغربية منذ بولص الرسول الى المثلي يوجين روبينسون الذى نصب كبير اساقفة كاتدرائية هامبشير الامريكية فى 2003 و المثلية مارى جلاسبول Glasspool اول مثلية نصبت كبير اساقفة كاتدرائية لاس فيجاس الاسبوع الثاني من ديسمبر 2009 و غيرهم.

تعالق التنوير و النهضة بالتنكل By Default:

يفضل معظم المؤرخين الماركسيين وصف النهضة من حيث تمثلاتها المادية حيث كانت التغييرات فى الفن و الادب و لفلسفة جزاء من الاتجاه الاقتصادى العام لذلك الزمن غير المعرف تماما. فقد رآى المؤرخون الماركسيون ان ذلك الاتجاه انتج شرط نهاية النمط الاقطاعى و يزوغ الطبقة البرجوازية. و من المفيد تذكر ان الاقطاع لم ينته يومئذ و لوقت طويل ولم يكن واردا بزوغ طبقة برجوازية فى القرن السادس عشر الا بقدر ما يتعين الماركسيوليوجيون على اجتزاء ما يسمى مراحل تطور المجتمع فى حركة علامات المرور كل واحدة تخلف الاخرى و لا تترك سابقتها اثر على الاطلاق مما هو ليس من طبع الظواهر الاقتصادية الاجتماعية.

و يفضل المؤرخون اليوم وصف تلك الفترة بالحداثة الباكرة Early Modern times. وينبغى تذكر تحذب كل من غير الكاثوليك و من يسمى بالعلمانيين و الاحرى عقلانية الاخيرين مرة . و مرة أخرى لا يسع المؤرخ غير الغربى التساؤل عقلانية نكران دول الثقافة العربية فى النهضة حتى منذ القرن التاسع ناهيك عن بزوع الخلاقات المشرقية. و مرة ثالثة يمكن التساؤل عما اقحم اسم كولومبوس بين المفكرين الا بقدر ما اتصل اسمه ب"الاكتشافات الجغرافية الكبرى" مما يعود مجددا الى فكرة اتصال النهضة بالاندلس كما ذكرنا فى مكان اخر.

و مع كل ما تقدم و ما لم اتوفر على تفصيله بصورة اوسع لا يتعين معظم المؤرخين العرب و المسلمين على تعريف مفهوم النهضة و اذا فعلوا فبقدر يتصورها معظهم "عصر ذهبى للادب و الفكر و الفن" عليهم محاكاته و اعادة انتاجه فى كل مرة تمنى فيه الحركة الفكرية العربية بنكسة او جمود.

و يستخدم المثقفون العرب هذه المفردة بصورة مختزلة على نحو يثير العجب و يتصورنها و كانها فترة طويلة متصلة فيتحدثون عن "عصر النهضة". فلم يحاول معظمنا التعرف تلك المفردة و لا على السياق

الذى نشأت فيه كظاهرة لها تنويعات فنية و ادبية معمارية ناهيك عن تنويعاتها فى الزمكان ولا كون النهضة كانت مبادرة دينية من الكنيسة الكاثوليكية الغربية قصيرة الاجل حقا.

هذا كما لم يلاحظ بعضم المؤرخين و المثقفين العرب ان المبدأ الانسانوى كان بدوره قد نشأ على يدى رجال دين و فلاسفة ثيولوجيين. و لعل بعض العرب يضاهى فى ذلك دون قصد خصوم النهضة.

فبعض العرب لا يتعمق فى تعريف النهضة او المبدأ الانسانوى و لا يلقى بالا لسياقهما التاريخى و التنظيمى–ان عرفها العرب ففهمها و حللها. و قياسا يتعين خصوم الكاثوليكية على منوالية العصف بالنهضة منذ سقوط الامبراطورية الرومانية التى سقطت قبل ان تنصر روما.

وبالمقابل من المفيد تذكر انه و ان كان التنوير بروتستانتى فثمة تنوير المانى و فرنسى و جنوب اوربى و غير ذلك. و قياسا فثمة تنوير كاثوليكي. و كان التنوير الفرنسى قد الهم الثورة الفرنسية مما تمثل فى مفهوم الاخاء. ذلك ان شعار الثورة الفرنسية الحرية المساواة و الاخاء يصعب ان يصدر عن فكر بروتسانتي. فمفهوم الاخاء يصدر عن مبدأ التساوى بين الناس بالمعنى الموضوعى و ليس العقلانى المتخاتل. فالاخاء يستقطب الشعوب قياسا على مفهوم المساواة بين الممتازين خصما على المستلبين و على مفهوم الحرية التفريدية خصما على التراكمات العددية لمن لا وجوه لهم مما يبقى مضمرا فى الفكر الرأسمالي البروتستانتى بالضرورة. ذلك ان مفهوم المساواة الرأسمالى ما بعد الصناعي مثله مثل نظائره السابقة يصدر عن ادعاء تفادى الضرر الذى يهدد الصالح العام جراء المساواة. فالمساواة تعنى مساواة الاقوياء الاغنياء خصما على من عداهم.

المهم فقد تصاحب التنوير و تجارة الرقيق و العبودية المنقولة أى ما بين الدول الاوربية فيمن عداهم من السوام و من وصم بانه دون البشر. و كان جيمس ايرفينج تاجر الرقيق بين افريقيا و العالم الجديد يشير فى رسائله و مذكراته فى 1786 الى حمولته من الرقيق بالدواب السوداء المزعجة. و من العجيب انه عندما سبى و قد تحطمت سفينته على شواطئ المغرب راح يجأر مخاطبا القنصل الانجليزى انه هو جيمس ايرفينج الانجليزي يستحق من روح الانسانية السائدة ما يستحقه انجليزى فى بلاده.

و لم يكن العبيد وحدهم و غير الغربيين يسامون الوان المهانة فقد كان الافقار غير المسبوق للجماهير الريفية قد ساق الاخيرين الى ما يشارف العبودية المنقولة المسماة اقطاع غرب اروبى رغم و ربما بسبب ما يسمى بالثورة الصناعية. فقد اكتظت المراكز الصناعية بالنارحين بعنف من الريف جراء تدمير اقتصاد الكوخ الى تلك المركز الصناعية الجديدة و لم تكن الاخيرة تسع الجماهير النازحة بعنف مما وصفه امثال تشارلز دكينز فى القرن التاسع عشر و جورج اورويل فى كتابه التقريرى الصادر فى نهاية ثلاثينات القرن العشرين حول الافقار الموصوف للطبقات العمالية فى الشمال الانجليزي بعنوان The Road to Wigan Pier:1937:Pensuin books:. وحيث هجرت تلك الجماهير عنوة من قراها انتشر ما هو اسوا من علاقات العمل العبودى الخ بين عمال الصناعات السلعية الجديدة.

صراع العلمانية و العقيدة وكمياء العقلانية:

كانت النهضة الاوربية الغربية و بخاصة فى موطنها الاول فى جنوبى اوربا قد تأثرت بالاندلس و غيرها من الفضاءات الاسلامية. و ثمة التنوير الذى تعين عليه اوليجاكيو بعض المدن الدول الايطالية مثل البندقية و فلورنسا. و قياسا فان ثمة كما ذكرنا فى مكان اخر "النهضة" و "التنوير" اللذان تعينت عليهم اوربا احدهما بريادة البابوية و الثاني بريادة اوليجاركييى جمهورية البندقية الحرة فى مواجة النهضة البابوية. و قد انخرط فى كل منهما جماعتين متقابلتين و قد تخندقت كل منها فى مواجهة الاخرى بعنف و عصاب منقطعي النظير. وقد تمأسست تنويعة من النهضة يشار اليها بالنهضة الحديثة او العليا على الانسانوية فراحت تصدر عما يسمى الاصلاح الدينى Reformation .

ويقول التاريخ الرسمى للاصلاح الدينى و قد بدأ فى القرن 16 انه كان محاولة لاصلاح الكنيسة الكاثوليكية. الا ان الاخير لم يزد فى معظمه على احبولة تماثل احبولة التحديث Modernisation و اصلاح الشرق الاوسط الكبير الخ. فقد تعين لاصلاح الدينى على حركة معادية للكاثوليكية باتت تعرف بالحركة البروتستانتية فى مواجهة الكنيسة الكاثوليكية التى راحت بدورها تتعين على حركة اصلاح دينى مضادة Counter-Reformation فى مواجهة الطوائف العاصية و الخارجة على الكاثوليكية.و كان من جراء حركة الاصلاح الدينى المضادة ان ازدهرت الفنون الكنسية و المعمار و حركات احسان الموثرين مثلما فى نابولى و النبدقية.

فقد تعينت البابوية على رعاية الفنون و حركة اقامة الشواهد الحجرية و بناء الكنائس و الكاتدرائيات الكبرى الخ و قام اثرياء المدن الدول الايطالية و الجنوب اوربية ببناء الاصرحة الشهيرة و المقامات.

و بالمقابل انتشرت البروتستانتية فى شمال غرب اوربا و راحت الطوائف المعادية للبابوية تتهم الكنيسة و المؤسسة الدينية والسياسية بكل من الثراء الفاحش و التراتب المركزى Rigid Hierarchy و الجمود و التخلف والبعد عن بساطة المسيحية. و كانت النهضة–وكانت ايطالية اكثر منها اى شئ اوربى اخر–قد عرفت بعصر تعقب العلماء واحراق الساحرات جراء المؤامرات و المكائد التى ساقتها جمهورية البندقية ضد المدن الدول الايطالية الاخرى و غيرها. فقد كان معظم العلماء و الفلاسفة معاد للبابوية.

ومن المفيد تذكر ان بعض تنويعات طرق صوفية يهودية كانت قد ظهرت فى القرن الرابع عشر و الخامس عشر فى اوربا الشرقية و اوربا الجنوبية والشمالية و بخاصة غب سقوط ممالك الاندلس وقد انتشرت البغضاء الدينية و تعقب الغرماء وزاعت محاكم التفتيش. و كانت الاخيرة انتشرت منذ القرن الثانى عشر و بعثت مجددا فى القرن السادس عشر جراء طوفان المهاجرين من اسبانيا و البرتغال عشية سقوط غرناطة. و كان بعض المهاجرين الى البندقية فى طريقهم من البرتغال فى 1540 قد تنصر و بقى مع ذلك "يجهل التعاليم المسيحية". و قد "اتضح ان معظمهم لايعرف معنى ابانا الذى فى السماوات" والقت السلطات القبض عليهم الا أن محاكم التفتيش و كانت تصدر عن قوانين ولوائح أقل عنفا من نشاط الكاثوليك المتطرفين الهيستيرى–مما اندلع متساوقا مع تعقب المفكرين و الكتاب و الساحرات.

فقد كانت الكنيسة تنتهج "سياسة متسامحة مع المسيحيين الجدد أى بعض طوائف اليهود الذين أعتنقوا المسيحية الغربية و كذلك بعض طوائف اليهود السفارديم[142]. و ينبغى التفريق بين اثرياء و احبار و اسباط و قضاة و تجار اعراب الشتات من السفارديم و من يسمى ب"اللادينو". والاخيرون هم اليهود الذين تنصروا ابان العصف بغير الكاثوليك الاسبان على عهد فيردناند و ايزبيلا اوف كاستيل. و ازعم ان اللادينو كانوا من عامة اليهود. و كان يهود اسبانيا–اللادينو–هاجروا بعد طردهم الى هولندا و البلقان و اليونان و قد عانوا اكثر من غيرهم بخاصة من المحرقة و تعاون بعض الاشكنازى مع النازى.

خصومة الكاثوليكية والعلم:

كان الاوربيون محبطون يتطيرون من كل شئ وأى شئ فى تنويع على حال العرب و المسلمين اليوم و حال اليونان ابان حروب اثنيا و اسبارطا من قبلهم. فقد كانت اوربا محاصرة بالاسلام من الشرق و الغرب و الجنوب. و كان الاسلام مركز الحضارة فى العالم. و أزعم ان نشوء النهضة كان قد تعاصر و حصار اوربا الجنوب غربي و الغربية بالاسلام. و كان العلم الغربى بدوره قام فى مناخ خصومة معلنة بين الكاثوليكية و العلم. و اجادل ان العلم الغربى غدا "علما انتقائيا" و باتت الانتقائية واحدة من ملامح المعرفة الغربية. و قد نشاء كل من النهضة و العلم الغربيين فى مناخ الاحباط و التطيير. و كان ذلك حريا بان يدفع الاوربيين الغربيين الى اجتزاء التاريخ و الحقائق لصالحهم هم و خصما على من عداهم من يومها و الى وقت طويل و ربما حتى اليوم بقرينة مثول الخطاب الليبرالى الجديد باجندة المحافظين الجدد.

و قياسا فقد وقف البيوريناليون ازاء الكاثوليكية موقف الخصم و راح البيوريتانيون–التطهريون المتطرفون بطبعهم يدعون–فى خصومتهم مع الكاثوليكية–انهم علمانيين تكاذبا.

و قد نشأ صراع بين هوبر و بين الرجال الذين خالفوه و كان ذلك بداية العلم التجريبى. وكانت ثمة رجال بافكار دينية شرسة و كان هناك ذوى القبعات البيضاء(النبلاء الملائكيين) و القبعات السوداء (الاشرار) و قد تواجه الايمان و العقل و التجديف(بالعقل) و الشر. و قد انتشرت ظاهرة مقاهى الثرثرة فى لندن و انتقلت الى المدن الكبرى– التى تبدو و كأنها تنويع على الصحافة الشعبية و ربما على الانترنيت. و كان كروموبل قد اغلق المسارح. و كان الناس يختلقون كلمات و كان شيكسبير معاد لكل ما هو مناف لتاريخية الاحداث او لزمانه Anti-anacronistic. و فى وقت كانت فيه الالواح التيكتونية Techtonic plates(ان صح التعبير) الفكرية و التنظيمية تتحرك بعنف منذرة بزلازل اجتماعية كان الناس يقفون محيرون فيما يفعلون. الا الناس ما ينفكون يضمرون الرغبة فى العيش فى مستقل افضل ايضا.

و لم يكن العلم قد تقدم فقد كانت تلك الفترة السابقة على نيوتون و كان مبلغ معرفة اغلب الناس بالعالم تقل عما يعرف طفل فى الخامسة عشر اليوم من مشاهدة الكومبيوتر فى ليلة واحدة. و كانت اللغة الانجليزية فى القرن السابع عشر تختلف عنها اليوم. و كان ينبغى لفهمها العودة الى الانجيل والى

شيكسبير. البرلمانيين و الحفارين. و كان اتجاه البرلمان يسارى اجمالا. و لم يكن اوليفر كروموبل ذلك الديكتاتور الطاغية الذى تصفه كتب التاريخ الرسمى. و كان عليه عمل شئ بصدد حكومة البلاد و كان قد عقد صلحا مع الرب و كان الرب قد اعطاه العرش–السلطة بالاحرى–و لم يكن لاحد ان يأخدها منه. و كان يتحدث الى الرب و كان الرب قد تحدث اليه و كان يرسل له علامات و كان كروموبل ينتظر اشارة من الرب و كان الرب يقول له بان يذهب الى الحرب او لا يفعل و ان يقابل الايرلنديين و يهادن الاسكتلنديين. فقد كان المناخ مناخ تدين أعمي و يظهر فيه الشيطان فى تلك الفترة للناس جنبا الى جنب مع الرب فياخذا بخناق المؤمنين حتى يقيض الرب اشارة و دليل منه انقاذا لروح المؤمن منهم. و كان قد اعاد كروموبل اليهود الى انجلترا و لم يكن له خصومة مع الكاثوليك و كان يخشى العصيان الايرلندى. و كان اوليفر كروموبل سيد البيورتانيين قد انشأ معظم مجموعة الجميعات الطبية و العلمية التى ما انفكت ان باتت بعد انهيار الجمهورية جمعيات ملكية الخ. و يجأر العلم اليوم باهمية البحوث على التلقيح الصناعى و الاستنساخ و التعديل الجينى و على الخلايا الجزعية الى التجريب على زرع خلايا حيوانية فى نظيرتها الادمية بانتحال محاولة الوصول الى علاج لامراض مثل الزاهيمر و الباركينسونز الخ فيما تعارض الكاثوليكية تلك التجارب. و تتهم الكنيسة الكاثوليكة بالبربرية و التخلف بل بعدم الشفقة حين وقف الكاثوليك موفقا حازما من قضية خلط النطف او الخلايا الآدمية و الحيوانية أى خلق نطف مهجنة باسم العلم. يخلق فرانكيشتاين قريب فى حين يجأر العلم ان ذلك من شأنه تخفيف الام البشرية. ها ها ها.

المهم كان رجال الدين الكاثوليك–فيما خلى الاساقفة و الكرادلة–يتحدرون غالبا حتى القرن السابع عشر من طبقات دنيا و تنتشر بينهم الامية و الجهل و بالمقابل كان اغلب علماء و مفكري اوربا الغربية بروتستانت من طبقات أعلى و لو بتعليمهم و قدرتهم على التفرغ للعلم. و كانت تلك القدرة تعود الى رعاية بعض امراء اقطاع اوربا و ملوكها لهم كيدا فى الكنيسة. و لعل سفر تكوين ما سمى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر تباعا بالطبقات المتوسطة كان قد وجد له جذورا فى تلك الفترة بين العلماء و المفكرين المذكورين. و قد لعب الاخيرون دورا ما يبرح يدل على معظمهم و ربما كان بدره نذير بما يقوم عليه و به الليبراليون الجدد.

ومن المفيد تذكر ان الصراع الكاثوليكى \ البروتستانتى–كان بين طائفتين على الاقل–و بين طبقتين و بين العلم و الجهل. وكان الصراع الى ذلك بين شمال برتستانتى–و كان معظم المفكرين من الشمال–و جنوب كاثوليكى مما يكون قد تمأسس عليه ما يزوق بصراع ملكى الشمال و الجنوب. و قد راح المبشرون–و كان اغلبهم من شذاذ افاق الكاثوليك كالجزويت و الكويكرز فى بداية عهدهم–ينتشرون– مثلهم مثل المغامرين فى رحاب الكرة الارضية فيما بقى المفكرون رهناء مصادرة و تعقب الكنيسة مثلما حدث لجليلو جاليلى و جوردانو برونى و غيرهما.

و لعل ثنائيات رجال الدين و المفكرين تذكرنا بما كان قد بات سائدا فى الخلافات الاسلامية التى تأثرت بها الكنيسة المسيحية الغربية. و لعل كلاهما تأثر بالفكر و التنظيم اللذان كان اعراب الشتات قد وفدوا بهما او–و صدروهما من بيداء ما بين القفقاز و نهر الفولجا الى الامبراطروية الرومانية فالى الخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية و بخاصة الاندلس عودا الى الغرب مجددا الى هولندا و بريطانيا تباعا. و ربما كان واردا عقد قياسات بين المدارس الفكرية و الطوائف التى نشأت فى تلك الخلافات باكرا من انقسام المسلمين بين سنة و شيعة و انقسام الاخيرين بين معتزلة و خوارج و الانقسامات التى نشأت فى الكنيسة المسيحية الغربية على التوالى مما اناقشه بقدر من التفصيل ادناه.

صراع العلمانية و العقيدة وكمياء العقلانية:

كانت النهضة الاوربية الغربية و بخاصة فى موطنها الاول فى جنوبى اوربا قد تأثرت بالاندلس و غيرها من الفضاءات الاسلامية. و ثمة التنوير الذى تعين عليه اوليجاكيو بعض المدن الدول الايطالية مثل البندقية و فلورنسا. و قياسا فان ثمة كما ذكرنا فى مكان اخر "النهضة" و "التنوير" اللذان تعينت عليهم اوربا احدهما بريادة البابوية و الثاني بريادة اوليجاركييى جمهورية البندقية الحرة فى مواجة النهضة البابوية. و قد انخرط فى كل منهما جماعتين متقابلتين و قد تخندقت كل منها فى مواجهة الاخرى بعنف و عصاب منقطعي النظير. وقد تمأسست تنويعة من النهضة يشار اليها بالنهضة الحديثة او العليا على الانسانوية فراحت تصدر عما يسمى الاصلاح الدينى Reformation .

ويقول التاريخ الرسمى للاصلاح الدينى و قد بدأ فى القرن 16 انه كان محاولة لاصلاح الكنيسة الكاثوليكية. الا ان الاخير لم يزد فى معظمه على احبولة تماثل احبولة التحديث Modernisation و اصلاح الشرق الاوسط الكبير الخ. فقد تعين لاصلاح الدينى على حركة معادية للكاثوليكية باتت تعرف بالحركة البروتستانتية فى مواجهة الكنيسة الكاثوليكية التى راحت بدورها تتعين على حركة اصلاح دينى مضادة Counter-Reformation فى مواجهة الطوائف العاصية و الخارجة على الكاثوليكية.و كان من جراء حركة الاصلاح الدينى المضادة ان ازدهرت الفنون الكنسية و المعمار و حركات احسان الموثرين مثلما فى نابولى و النبدقية.

فقد تعينت البابوية على رعاية الفنون و حركة اقامة الشواهد الحجرية و بناء الكنائس و الكاتدرائيات الكبرى الخ و قام اثرياء المدن الدول الايطالية و الجنوب اوربية ببناء الاصرحة الشهيرة و المقامات.

و بالمقابل انتشرت البروتستانتية فى شمال غرب اوربا و راحت الطوائف المعادية للبابوية تتهم الكنيسة و المؤسسة الدينية والسياسية بكل من الثراء الفاحش و التراتب المركزى Rigid Hierarchy و الجمود و التخلف والبعد عن بساطة المسيحية. و كانت النهضة–وكانت ايطالية اكثر منها اى شئ اوربى اخر–قد عرفت بعصر تعقب العلماء واحراق الساحرات جراء المؤامرات و المكائد التى ساقتها جمهورية البندقية ضد المدن الدول الايطالية الاخرى و غيرها. فقد كان معظم العلماء و الفلاسفة معاد للبابوية.

ومن المفيد تذكر ان بعض تنويعات طرق صوفية يهودية كانت قد ظهرت فى القرن الرابع عشر و الخامس عشر فى اوربا الشرقية و اوربا الجنوبية والشمالية و بخاصة غب سقوط ممالك الاندلس وقد انتشرت البغضاء الدينية و تعقب الغرماء وزاعت محاكم التفتيش. و كانت الاخيرة انتشرت منذ القرن الثانى عشر و بعثت مجددا فى القرن السادس عشر جراء طوفان المهاجرين من اسبانيا و البرتغال عشية سقوط غرناطة. و كان بعض المهاجرين الى البندقية فى طريقهم من البرتغال فى 1540 قد تنصر و بقى مع ذلك "يجهل التعاليم المسيحية". و قد "اتضح ان معظمهم لايعرف معنى ابانا الذى فى السماوات" والقت السلطات القبض عليهم الا أن محاكم التفتيش و كانت تصدر عن قوانين ولوائح أقل عنفا من نشاط الكاثوليك المتطرفين الهيستيرى–مما اندلع متساوقا مع تعقب المفكرين و الكتاب و الساحرات. فقد كانت الكنيسة تنتهج "سياسة متسامحة مع المسيحيين الجدد أى بعض طوائف اليهود الذين أعتنقوا المسيحية الغربية و كذلك بعض طوائف اليهود السفارديم[143]. و ينبغى التفريق بين اثرياء و احبار و اسباط و قضاة و تجار اعراب الشتات من السفارديم و من يسمى ب"اللادينو". والاخيرون هم اليهود الذين تنصروا ابان العصف بغير الكاثوليك الاسبان على عهد فيردناند و ايزبيلا اوف كاستيل. و ازعم ان اللادينو كانوا من عامة اليهود. و كان يهود اسبانيا–اللادينو–هاجروا بعد طردهم الى هولندا و البلقان و اليونان و قد عانوا اكثر من غيرهم بخاصة من المحرقة و تعاون بعض الاشكنازى مع النازى.

خصومة الكاثوليكية والعلم:

كان الاوربيون محبطون يتطيرون من كل شئ وأى شئ فى تنويع على حال العرب و المسلمين اليوم و حال اليونان ابان حروب اثنيا و اسبارطا من قبلهم. فقد كانت اوربا محاصرة بالاسلام من الشرق و الغرب و الجنوب. و كان الاسلام مركز الحضارة فى العالم. و أزعم ان نشوء النهضة كان قد تعاصر و حصار اوربا الجنوب غربي و الغربية بالاسلام. و كان العلم الغربى بدوره قام فى مناخ خصومة معلنة بين الكاثوليكية و العلم. و اجادل ان العلم الغربى غدا "علما انتقائيا" و باتت الانتقائية واحدة من ملامح المعرفة الغربية. و قد نشاء كل من النهضة و العلم الغربيين فى مناخ الاحباط و التطيير. و كان ذلك حريا بان يدفع الاوربيين الغربيين الى اجتزاء التاريخ و الحقائق لصالحهم هم و خصما على من عداهم من يومها و الى وقت طويل و ربما حتى اليوم بقرينة مثول الخطاب الليبرالى الجديد باجندة المحافظين الجدد.

و قياسا فقد وقف البيوريناليون ازاء الكاثوليكية موقف الخصم و راح البيوريتانيون–التطهريون المتطرفون بطبعهم يدعون–فى خصومتهم مع الكاثوليكية–انهم علمانيين تكاذبا.

و قد نشأ صراع بين هوبر و بين الرجال الذين خالفوه و كان ذلك بداية العلم التجريبى. وكانت ثمة رجال بافكار دينية شرسة و كان هناك ذوى القبعات البيضاء(النبلاء الملائكيين) و القبعات السوداء (الاشرار) و قد تواجه الايمان و العقل و التجديف(بالعقل) و الشر. و قد انتشرت ظاهرة مقاهى الثرثرة فى لندن و انتقلت الى المدن الكبرى– التى تبدو و كأنها تنويع على الصحافة الشعبية و ربما على

الانترنيت. و كان كروموبل قد اغلق المسارح. و كان الناس يختلقون كلمات و كان شيكسبير معاد لكل ما هو مناف لتاريخية الاحداث او لزمانه Anti-anacronistic. و فى وقت كانت فيه الالواح التيكتونية Techtonic plates(ان صح التعبير) الفكرية و التنظيمية تتحرك بعنف منذرة بزلازل اجتماعية كان الناس يقفون محيرون فيما يفعلون. الا الناس ما ينفكون يضمرون الرغبة فى العيش فى مستقل افضل ايضا.

و لم يكن العلم قد تقدم فقد كانت تلك الفترة السابقة على نيوتون و كان مبلغ معرفة اغلب الناس بالعالم تقل عما يعرف طفل فى الخامسة عشر اليوم من مشاهدة الكومبيوتر فى ليلة واحدة. و كانت اللغة الانجليزية فى القرن السابع عشر تختلف عنها اليوم. و كان ينبغى لفهمها العودة الى الانجيل والى شيكسبير. البرلمانيين و الحفارين. و كان اتجاه البرلمان يسارى اجمالا. و لم يكن اوليفر كروموبل ذلك الديكتاتور الطاغية الذى تصفه كتب التاريخ الرسمى. و كان عليه عمل شئ بصدد حكومة البلاد و كان قد عقد صلحا مع الرب و كان الرب قد اعطاه العرش–السلطة بالاحرى–و لم يكن لاحد ان يأخدها منه. و كان يتحدث الى الرب و كان الرب قد تحدث اليه و كان يرسل له علامات و كان كروموبل ينتظر اشارة من الرب و كان الرب يقول له بان يذهب الى الحرب او لا يفعل و ان يقابل الايرلنديين و يهادن الاسكتلنديين. فقد كان المناخ مناخ تدين أعمي و يظهر فيه الشيطان فى تلك الفترة للناس جنبا الى جنب مع الرب فياخذا بخناق المؤمنين حتى يقيض الرب اشارة و دليل منه انقاذا لروح المؤمن منهم. و كان قد اعاد كروموبل اليهود الى انجلترا و لم يكن له خصومة مع الكاثوليك و كان يخشى العصيان الايرلندى. و كان اوليفر كروموبل سيد البيورتانيين قد انشأ معظم مجموعة الجميعات الطبية و العلمية التى ما انفكت ان باتت بعد انهيار الجمهورية جمعيات ملكية الخ. و يجأر العلم اليوم باهمية البحوث على التلقيح الصناعى و الاستنساخ و التعديل الجينى و على الخلايا الجزعية الى التجريب على زرع خلايا حيوانية فى نظيرتها الادمية بانتحال محاولة الوصول الى علاج لامراض مثل الزاهيمر و الباركينسونز الخ فيما تعارض الكاثوليكية تلك التجارب. و تتهم الكنيسة الكاثوليكة بالبربرية و التخلف بل بعدم الشفقة حين وقف الكاثوليك موفقا حازما من قضية خلط النطف او الخلايا الآدمية و الحيوانية أى خلق نطف مهجنة باسم العلم. يخلق فرانكيشتاين قريب فى حين يجأر العلم ان ذلك من شأنه تخفيف الام البشرية. ها ها ها.

المهم كان رجال الدين الكاثوليك–فيما خلى الاساقفة و الكرادلة–يتحدرون غالبا حتى القرن السابع عشر من طبقات دنيا و تنتشر بينهم الامية و الجهل و بالمقابل كان اغلب علماء و مفكري اوربا الغربية بروتستانت من طبقات أعلى و لو بتعليمهم و قدرتهم على التفرغ للعلم. و كانت تلك القدرة تعود الى رعاية بعض امراء اقطاع اوربا و ملوكها لهم كيدا فى الكنيسة. و لعل سفر تكوين ما سمى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر تباعا بالطبقات المتوسطة كان قد وجد له جذورا فى تلك الفترة بين العلماء و

المفكرين المذكورين. و قد لعب الاخيرون دورا ما يبرح يدل على معظمهم و ربما كان بدره نذير بما يقوم عليه و به الليبراليون الجدد.

ومن المفيد تذكر ان الصراع الكاثوليكى \ البروتستانتى–كان بين طائفتين على الاقل–و بين طبقتين و بين العلم و الجهل. وكان الصراع الى ذلك بين شمال برتستانتى–و كان معظم المفكرين من الشمال–و جنوب كاثوليكى مما يكون قد تمأسس عليه ما يزوق بصراع ملكى الشمال و الجنوب. و قد راح المبشرون–و كان اغلبهم من شذاذ افاق الكاثوليك كالجزويت و الكويكرز فى بداية عهدهم–ينتشرون– مثلهم مثل المغامرين فى رحاب الكرة الارضية فيما بقى المفكرون رهناء مصادرة و تعقب الكنيسة مثلما حدث لجليلو جاليلى و جوردانو برونى و غيرهما.

و لعل ثنائيات رجال الدين و المفكرين تذكرنا بما كان قد بات سائدا فى الخلافات الاسلامية التى تأثرت بها الكنيسة المسيحية الغربية. و لعل كلاهما تأثر بالفكر و التنظيم اللذان كان اعراب الشتات قد وفدوا بهما او–و صدروهما من بيداء ما بين القفقاز و نهر الفولجا الى الامبراطروية الرومانية فالى الخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية و بخاصة الاندلس عودا الى الغرب مجددا الى هولندا و بريطانيا تباعا. و ربما كان واردا عقد قياسات بين المدارس الفكرية و الطوائف التى نشأت فى تلك الخلافات باكرا من انقسام المسلمين بين سنة و شيعة و انقسام الاخيرين بين معتزلة و خوارج و الانقسامات التى نشأت فى الكنيسة المسيحية الغربية على التوالى مما اناقشه بقدر من التفصيل ادناه.

سفر تكوين الليبرالية مشبوهة الغرص و معاداة الكاثوليكية:

بقيت حركات غامضة تتلفع بعباءة الكاثوليكية نفسها تتعب الكنيسة الكاثوليكية البريطانية مثلا و يحل جراء تلك الحركات شرط خروج مزيد من الطوائف المنشقة عن الكاثوليكية مثل طائفة اوباس ديي Opus Dei و حركة اكسفورد Oxford Movement. و تعود الاخيرة الى سفر تكوين الليبرالية مشبوهة الغرض فى الجزر البريطانية. فقد تحورت الاخيرة الى ما بعد الليبرالية. المهم فورا كانت الليبرالية حرية بان تصدر عن محاولة بعض المهاجرين من اوربا الشرقية الى اوربا الغربية و بخاصة انجلترا للدفع بقبول المهاجرين و توسيع هوامش حركتهم و خلق مناخ من التسامح الدينى و الاجتماعى فى المجتمع المضيف الجديد. و كان بعضهم قد هاجر من اوربا الشرقية عشية ثورات نهاية القرن التاسع عشر وتداعيات ما تبلور لاحقا فى الثورة البلشفية بداية القرن العشرين. و كانت الكنيسة الكاثوليكية قد ثابرت على قدرتها على التسامح منذ النهضة حيث تعينت كما قلنا فى مكان اخر على تقنين حركة تعقب خصومها فيما سمى بمحاكم التفتيش. و كانت الاخيرة اكثر تسامحا و ربما انصافا فى معاملة من اعتبرتهم الكاثوليكية الانجليزية و الهولندية و الفرنسية خصومها باكرا و قبل خروج البروتستانت عن الكنيسة. و كان ذلك التسامح واضحا بالنظر الى نشاط المتهوسين و

المتطرفين الكاثوليك فى تعقب من اسموهم يالساحرات. و كان معظم من زوق فى الساحرات علماء و مفكرين شبه علمانيين.

المهم ما ان استتب الامر و استقر المهاجرون المذكورون و قد قبلهم المجتمع و راحوا يتعينون على احتلال مناصبا هامة و مركزية فيه وصولا الى العروش مثلما بات امثال بنيامين ديزرائيلى مستشار الملكة فيكتوريا المفضل و أقرب نصحائها اليها و الحاكم من وراس الستار. فقد اختلق القرن التاسع عشر انجلترا لم توجد من قبل مع موجة المهاجرين من اوربا الشرقية و اعتلاء اليهودى المتنصر ديزريلى السلطة لاول مرة و قد بات مستشارا للملكة فكيتوريا.

و لم يلبث المهاجرون ان باتوا يتطيرون من مغبة التسامح مع من عداهم. و حيث كان البروتستانت قد ناصبوا الكالوليكية العداء كما ذكرنا فى مكان اخر و نذكر تباعا فقد راح المهاجرون بدورهم يتعينون على تضييق فضاءات تسامح الكنيسة الكاثوليكية مع من عداهم. فقد اخذت حركة اكسفورد و هى تنويع على الحركات المعدلة جينيا تنادى فى منتصف القرن التاسع عشر بمقاومة ليبرالية الكنيسة الكاثوليكية[144]. و كان من مطالب تلك الحركة بعث الكاثوليكية الرومانية و احياء و الطقوس والمراسمية و الشعائرية و الاديرة الكاثولكية التى كان هنرى الثامن قد قضى عليها تقريبا والدعوة لاطلاق و اسم الانجلو كاثوليكية على الكنيسة الكاثوليكية البريطانية. و كأن ذلك–افتراضا–عود على ذى بدء عقلانية نصرنة الامبراطورية الرومانية عشية سقوطها. فلم تكن الاخيرة قد تنصرت كما يدعى تطاذبا مللما ذكرنا ا فى مكان اخر حتى سقوطها.

–عقلانية استقطاب العالم الغربى بين النهضة و التنوير: اى بين الكاثوليكية البابوية و البروتستانتية العلمانية تخاتلا:

كان العالم المسيحى حريا بان ينقسم بين الكاثوليكية البابوية و البروتستانتية العلمانية[145]. و ازعم ان التخاتل حول ما اذا استقطب العالم بين الكاثوليكية و العلمانية تكاذبا كان سفر استقطاب كل من النهضة و ما يسمى بالتنوير المتكاذب بدوره. فقد كانت البابوية قد ادعت النهضة الاوربية و ادعت البروتستانتية التنوير كون الاخير اكثر مواتاه لتسويغ مفهومات الاوليجاركيات. فالاخيرة كارهة للبشر يائسة من صلاح العامة ومعادية للديمقراطية. و قياسا فان مشروعا بهذا الوصف حريا جدليا بان يتعين على مفصلة لغة خطابه و مفهومات اجندته حتى يليق المشروع الاوليجاركى على العالم اجمع. فقد ثابر ذلك المشروع و ما يبرح يثابر على الهيمنة على العالم اجمع بتنويعة على اوليجاركية جمهورية البندقية الحرة اطلق عليها اسم العولمة و التجارة الحرة.

و حيث تتصل معظم التحولات الحالة فى الفترة اعلاه و مفهوم الاوليجاركية فلعله من المفيد تعريف الاخيرة وجيزا و تعالقاتها و عقلانية مفهومات الاستقطاب بين الحكام و المحكومين مرة واحدة و الى الابد فيما يبدو:

-الاوليجاركية و عقلانية أحقية السلطة لمن يتعين على تعريفها و-او يرفض تعريفها:

كنا قد ذكرنا طرفا من تعريف الاوليجاركية وجيزا فى مكان اخر. و من المفيد الاستطراد فى تعريف مفردة الاوليجاركية. وتأت المفردة من اللغة اليونانية و معناها اقلية و قد تكون حتى فردا الا انها تتميز عن الديكتاتورية بانها تعود الى اقلية ذات حسب او ثروة. و كانت فكرة الاوليجاريكية قد قيضت السلطة السياسية لاقليات كانت بدورها تدعى او ادعى انها ارستقراطية. و الارستقراطية هى سلطة الافضل و الاكثر تألقاً من حيث الملكات العقلية و الابداع الذهنى. و لك ان تتأمل مثل تلك التعريفات جيدا و تسقطها على التمثلات المعاصرة و السابقة من مفهوم احقية جماعات بعينها للسلطة والثروة و هى نفس الجماعات التى تكتب التاريخ و تعرف المفهومات او لا تعرفها او ترفض تعريفها جميعا. المهم كانت الدول التى تحكمها اوليجاركيات اسراتية تنشئ ابنائها وتدربهم بوصفهم ورثة تلك السلطة الاوليجاركية بدورهم.

على انه من المفيد تذكر ان سلطة بعض الاوليجاركيات قد لا تمارس بصورة معلنة حيث تفضل بعض الاوليجاركيات ان "تحكم من وراء العروش" فتسوق الاخيرة حيث تريد الاوليجاريكات جراء امتدادات الاوليجاركيات الاقتصادية و قد زوقت مجددا بامتيازات عقيدية.

و رغم ان ارسطو كان اول من استخدم المفردة لتعنى مرادفا لحكم الاثرياء وهو التعريف الذى قد يعود الى مفهوم البلوتاركيا اى الاقوياء الاثرياء. و يبقى مفهوم الاوليجاركية فى جميع الاحوال مرتبطا بمفهوم الجماعة الممتازة او ذات الامتيازات الخاصة بها سواء امتيازات اقتصادية او دينية دون سواها. و يعتقد ان الاولجاركية قد تصبح عنصر تغيير باجبار العروش و الممالك و حتى الديكتاتوريات على تشارك السلطة و لو بين الاخيرة و تلك الاوليجاركية. و لا يعنى ذلك ان مثل تلك التحولات التى قد تحل بمفهوم السلطة المتشاركة تغيير من وضع المجاميع المحكومة شيئا و ان فعلت فربما الى الاسوأ حيث يتزايد عدد المتشاركين فى اقتسام فائض انتاج المحكومين.

و يعتقد بعض مفكري من عرف بفلاسفة الصفوة فى القرنين الثامن و التاسع عشر مثل فيلفاردو باريتو Velfredo Paretoوجايتانو موسكا Gaetano Mosca و توماس داى Thomas R. Dayو روبرت ميتشيل Robert Michelsان الانظمة السياسية حرية بان و لعلها فى الواقع تنكص الى اوليجاركيات . و يسمى ذلك النكوص او تلك العملية القانون الحديدى للاوليجاركية The Iron Law of Oligarcyو يقول المؤرخ سينسر وييرات R. Weart Spencer فى كتابه "أبدا للحرب" Never to war ان الاوليجاركيات نادرا ما تحارب بعضها مما يلاحظ انه ما ان شارفت الاقليات الاوليجاريكية

السلطة فى اوربا الغربية عشية الرأسمالية ما بعد الصناعية ما بين الحربين وصولا الى الحرب العالمية الثانية حتى اقسمت انها لن تذهب الى الحرب فيما بينها.

و لم تلبث تلك الاوليجاركيات الديمقراطية بالمفهوم الصغووى ان راحت تشعل حروبا بالوكالة فوق اراض غيرها بقوات مرتزقة او بقوات من غير الاوربيين و الامريكان أو–و بالرموت كونترول Remote Control و قد خصخصت الجيوش و طبقت تكنولوجيا السلاح المطور على نحو غير مسبوق كما يلاحظ الناس فى كل مكان. هذا و قياسا على مدرسة تفكير الاوليجاركيات الصفووية فان الديمقراطيات نفسها حرية بان تتمثل فى اوليجاركيات منتخبة وحسب . و انه من حيث ان تلك الانظمة تعبر عن اختلافات معينة الا ان تلك الاختلافات ليست سوى عنصر سياسى يفصل بين متنافسين من اوليجاركيات الصفوة او الصفوة الاوليجاركية التى تفرض حدود صارمة على ما يعتبر مقبول و معتبر سياسيا من حيث المراكز السياسية و بين السياسيين المحترفين اللذين يعتمدون بصورة كبيرة على صفواة اقتصادية و صحفية او اعلامية غير منتخبة[146].

و لعل مثل ذلك التعريف للصفوة يذكر بما هو ماثل من تنويعة الديمقراطية ما بعد الليبرالية التى يلاحظها الناس فى كل مكان فى المقياس المدرج من الدول الغنية الى الاقل ثروة و حتى المفقرة. و تعنى الاوليجاركية تبسيطا سلطة اقلية مالية. و قياسا قد تكون تلك الاقلية فى مرحلة ما من المراكمة العشيرية اثنية ايضا. و يلاحظ الناس على مر التاريخ كيف ان مثل تلك الظاهرة تمثل فى تنويعات من اعراب الشتات الباكرة عبورا بنظائر ما بعد حداثة و كانهم تعبير عن اسلافهم من الانبياء و القضاة و الاسباط يعبرون السماء فى كل اتجاه. ذلك ان تلك اقليات تسافر بين الاحزاب و الحكومات و المؤسسات الدولية الكبرى و لا غبار فى ان يكون لهم اكثر من هوية و يقطعون المساقات بين امريكا و اسرائيل مثلا كما يفعل جوزيف ليبرمان الذى كان مرشح الديمقراطيين فى انتخابات 2003 نائبا لرئيس الجمهورية و ابنه ديفيد وزير فى حكومة اولميرت.

المهم تهيمن تلك الاقليات الصفووية الاوليجاركية غالبا عابرة المساقات و الادغال على اغلبيات مفقرة. ذلك ان تلك الاوليجاركية تستقطب بهذا الوصف فى سلطة اثرياء اوليجاركيين و مفقرين مستلبين اولايجاركيا فتختزل المجتمع المعين فى طبقيتن متقابليتين. و ربما كانت كراهية الاوليجاركية و تنويعاتها بالوصف اعلاه و تباعا لاغلبيات المفقرين تنويع على كراهية الحكام بعدوى فيروس كراهية حلفائهم اعراب الشتات للشعوب مما استقر فى مسام المجتمعات على مر التاريخ المسكوت عنه و تباعا مما افصل بعض ملامحه فى مكان اخر. و تتمأس المفهومات الاوليجاركية بهذا الوصف فوق ثنائيات تنويرية ازعم انها بقيت منذ 2500 عام تصدر عن ارسطو و ما تبرح تستقطبت البشرية الى الابد بين سادة و عبيد و بيض و سود و عصريين وتقليديين و صناعيين و زراعيين وحضريين و ريفيين و رجال و نساء و متحضرين و برابرة و ديمقراطيين و ارهابيين الخ. و لم يلبث الناس ان باتوا يصنفون اجتزاءا

مريحا للاقويا فى: ابيض متحضر مثقف فكل ابيض متخضر وكونه يتحدث الانجليزية يجعل منها مثقفا. والعكس صحيح فكل من هو غير ابيص بربرى و كل من لا يتحدث الانجليزية جاهل.

الفصل الثانى : النهضة و التنوير الموضوعين و غرناطة و البندقية:

حيث أعقد قياسات انجلوامريكية علي الطوائف البروتستانتية تباعا و قد تمثل بعضها اكثر ما تمثل فى ظاهرة المحافظين الجدد و ربابيهم الليبراليين الجدد ادرك ان ليس ثمة قياسات تاريخية مطلقة. ذلك أن البحث يتعين على تنويعات على الظواهر بقدر ما يوفر ذلك ترياق الوقوع فى الاطلاق. و اجادل ان عقلانية تلك التنويعات و قد تمأسست فوق المراكمة الرأسمالية باتت حرية بان تثابر على ترداد وجهة نظر الرأسمالية بتويعاتها وحدها. و قد اوصدت تلك المثابرة الباب فى وجه أى وجهة نظر اخرى واى نقاش. و يعنى البحث قدر الممكن بان يسترسل نقاش مفردات الاستحواذ متراتبا بشكل ما اما تاريخيا او–و منطقيا In a sequence of events that is as logical as possible.

هذا و يعنى هذا البحث بتوفير تعريفات اجرائية Comparative Operational Definitions مقارنة لمفردات جانب وجيز من الفكر و الفلسفة العقلانية العربية و الغربية منذ ما يسمى ب"الاكتشافات الجغرافية الكبرى" و الاحرى منذ عشية سقوط غرناطة و تباعا فى سياقها التاريخى و المنطقى. و ازعم ان منطق ذلك السياق التاريخى يرجع كل من "النهضة" و "التنوير" بمعناهما الحرفى و ليس بمعناهما المسيسين الى غرناطة والبندقية عبورا ببغداد و دمشق. فقد كانت مدن اوربا الجنوبية الدول كالبندقية على الخصوص مدنا اندلسية بالجوار و التبادل و حركة الناس و الافكار الدائمة و بخاصة حركة المال و مراكمة الرساميل التى خلقت وقتها و لم تبرح تخلق شرط تداعيات بعينها مما يزوق اليوم فى العولمة و التجارة الحرة كون الاخيرات تنويع على اولاوليجاركية جمهورية البندقية الحرة منذ القرنين الرابع الى الخامس عشر حتى سقوط اخر المدن الدول الاندلسية.

و قد تساوق ظهور الطوائف المسيحية لغربية العاصية و سقوط االمدن الاندلسية تباعا. و حيث تقف ظاهرة هجرة سفارديم الانلس من كل مكان الى كل مكان بوصفها ظاهرة تستحق التأمل عميقا فانه يغدو من المفيد تأمل ادعاء ان المهاجرين من الاندلس كانوا قد عانوا من الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية المتطرفة التى بقيت تطارد خصومها و تعقد لهم محاكم تفتيش شديدة القسوة حتى القرن السابع عشر. و يشير بعض المؤرخين الى ذلك الادعاء بوصفه زعمة او خرافة ما يسمى ب "الاحبولة السوداء Black Legend".

واجادل ان ظاهرة هجرة اعراب الشتات من الاندلس الى كل مكان تقف بوصفها ظاهرة ينبغى التوقف عندها و دراستها بصورة موضوعية بعيدة عن تزويق اعراب الشتات لتاريخ تلك الفترة مثلما يفعل معظمهم مع تاريخه فى كل مرة. و لعله من المفيد تذكر ان وصم تلك الفترة من تاريخ اسبانيا بقى مثير للجدل. فقد كانت كاثوليكية ايزابيلا اوف قشطلة و تلفب ايزابيلا بالكاثوليكية La catolica -1509-1451 و فيرديناند ملك اراجون وقد جمعا مملكتى قشطالة فى 1479 و اراجون كاثوليكية متطرفة. و كانت ايزابيلا

و فريديناند ورثا الاندلس من بعد و الحقا بتاريخ اسبانيا تشويها ما تبرح تداعياته ماثلة و يحاول الاسبان و بخاصة الموريسكو–اى المسلمين–المغاربة نسبة الى ابن تومرت–يحاول الاخيرون استعادة احداث ذلك التاريخ و ارثه الزاهر.

و كانت المنافسة بين الامبراطوريات الاوربية البازغة على الفتوحات غربا و شرقا وجنوبا غب سقوط غرناطة حرية بان تدفع المتنافسين الى كتابة تاريخ كل منهم بضغينة على الآخر. المهم كان حاصل جمع تلك الاحداث و الظواهر و تداعياتها حري بان يخلق مناخ او كيمياء ظهور و انتشار الحركات المنشقة على الكاثوليكية وتكريس أبلسة الكاثوليكة تباعا.

مارتين لوثر التنويري و الانقلاب على الكاثوليكية:

لعله ليس غريبا من ثم ان يترجم مارتين لوثر –1483–1546 التنويري الانجيل الى الالمانية بعد 7 اعوام من سقوط غرناطة و يشعل حركته ضد الكاثوليكية الغربية و الفاتيكان و البابوية. و من المفيد الاستطراد وجيزا فى التعريف بتعاليم مارتين لوثر التنويري. ان اهم ما يمكن ان يفسر تعاليم مارتين لوثر التنويري يقع فى سيرته و كان ابوه الفلاح يريده محام .لولا مناخ الاندلس و كان يعنى ان المرء ينال الثواب باتباع كلمة الرب. و كان مارتين لوثر التنويري يؤمن بان قوة الانجيل كفيلة بان تكرس الايمان و كان يقول ان الثواب يتأتى بالايمان وحده. و مع ذلك كان مارتين لوثر التنويري عنيفا فى التعبير .وكان ينادى بالعصيان المدنى العنيف على سلطة البابا و العروش التى تتحالف معه. و حرض مارتين لوثر التهويري الفلاحين الالمان فى منتصف القرن السادس عشر على الثورة من اجل المساواة الا ان الاف الفلاحين راحوا ضحايا بلا جدوى وكأنهم تنويع على خسائر اليوم الموازية. فرغم ان مارين لوثر التنويري كان يدعى رفض العصيان المدنى العنيف الا انه حرض الناس على العنف ضد الكنيسة الكاثوليكية .و كان يكره الكاثوليكية. و كان مارتين لوثر التنويري يقول بان العنف هو السبيل الى المسيح الذى وصفه بانه يهودى. الا انه كان يدعو اليهود للتنصر كون ذلك تسريع ليوم القيامة. و قد كان فقد غدت اللوثرية التنويرية اهم تنويع باكر على المسيحية الصهيونية.

و قد واجه مارتين لوثر الافكار الالهية بالدعوة للقضاء على التراتب الاجتماعى تكاذبا و دعت للفوضوية و كأن ذلك تنويع باكر على الفوضى المنظمة تلك. ذلك ان الفوضوية كانت حرية بان تترك الكنيسة و شأنها تفعل ما ينبغى بدون الشريحة الوسطى من الكهنة. هذا و قد تمأسست ترجمة التوراة الى الالمانية على ما وفرته ترجمة مارتين لوثر–للانجيل ما بين 1522– 34 الى ما يسمى الالمانية العامية. و راح مارتين لوثر التنويري و موسى ميندليس بدوره يدخلان الموسيقى فى الترانيم الكنبسية–من الكنيس الهودى Synagogue و ليس من الكنيسة–و ينشران بين الناس العاديين الحس الموسيقى لاول مرة نكاية فى الكاثولكية التى بقيت تتسم بالصرامة والجهامة و تهدد بالثبور و عظائم الامور. هذا و كانت اليهودية حرية بان تتعلم من نظيرتها البروتستانتية بخاصة فى المانيا موطن الحركة اللوثرية.

فقد تعين موسى مينديليس من بعد على ادخال الموسيقى فى الترانيم اليهودية لاول مرة. و كان بعضهم يقول ان انبياءنا لم يبدعوا معمارا و لا تركوا اثار حجرية الا انهم ادخلوا الموسيقى فى العبادة و تحدثوا للناس خلالها بالترانيم و الصلوات و الدعوات. فموسيقى الكتب المقدسة دفينة بين كلمات و اسطر النص التوراتى. و بالمقابل تعين مارتين لوثر على اشاعة الموسيقى, و لم تكن الموسيقى سوى شوكة فى خاصرة الكاثوليكية فلم تكن المسويقى و الترانيم الكنسية حتى باللاتينة و انما كانت بالالمانية. و لم تلبث الكنيسة الكاثوليكة الغربية ان راحت تحض الناس على الابتعاد عن الموسيقى الكنسية و عن الموسيقى خارج الكنائس. و راحت الكنيسة تروع الناس ببناء الكنائس العالية فراح المهندسون يرفعون ابنية الكنائيس عاليا ترويعا للمؤمنين. و كان مارتين لوثر قد تعلم الموسقى طفلا و برع فى الالحان و التنويت و كان يكتب الموسيقى و كان يعنى بتجويدها فقد كانت الموسيقى مهمة بالنسبة له. و كان بالطبع ثمة رعاة لتلك المخترعات و ما يتبعها من تكاليف باهظة.

و قد راح مارتين لوثر يوزع نوتات الموسيقى الكنسية بين الرعايا و يعلمهم قيمة مثل ذلك النشاط و كان يقول انه يرغب فى رؤية كل الفنون تزدهر و بخاصة الموسيقى. و قد بات من ثم مسئولا عن توليف ما هو علمانى و كنسي فى اللحن. فعلى الرغم من الحروب التى اتصلت ابان الاصلاح الدينى – الريفورميشون Reformation–فقد تخللت تلك السنوات المعتمة من تاريخ اوربا اشراقات من الفن وبناء الكنائس و الكاتيدرائيات الكبرى والموسيقى على الخصوص.

و حيث ان طبيعة الموسيقى تجعلها متنقلة بين الكنيسة و خارجها و من مكان الى اخر فقد اصبحت الموسقى عنوان على الغواية و على العصيان و باتت سلاحا و مخلوقا كاريزميا للافكار . فقد الهمت السامى و الغريب و الساحر و من ذلك كورس القداس الكنسى و الكورال الموسيقى و السيمفونيات و الكونسيرتات و المارشات العسكرية و غير ذلك[147]. فقد بات كل ما من شانه ان يرخى قبضة البابوية فى روما على حياة الناس و الارض و الثروة كان مهما–افتراضا–بالنسبة لحركة النهضة العليا المناهضة للاصلاح الكاثوليكي الاكبر. و كانت تلك النهضة قد انقلبت على الكنيسة حين اندلعت الحركات العاصية والطوائف المنشقة على الكاثوليكية.

المهم لم تلبث تلك الحركات ان قيضت شرط نشوء تجاوز الوسطاء بين الناس و الرب و لم يلبث فلاسفة المبدأ الانسانوى ان الغوا الرب عقلانيا و احلوا عقلانيا الانسان الصفووى العقلانى المبدع و القادر على فهم و تفسير القانون الطبيعى و اسرار الكون كاملة مكانه. و تعبر العقلانية مقارنة مع القانون الطبيعي عن نفسها فى التدخل فى طبيعة الامور لمصلحة الفرد. ففى حين يتكاثر النحل و الطير بالقانون الطبيعى و الوراثة بلا تدخل تحقيقا لقانون البقاء للاصلح فى التطور الداروينى الا ان الفرد الاصلح يحتاج الى تدخل فى تدبير الشروط التى تنتج الاصلح بعقلانية. و هذا ما يحدث فى التلقيح الصناعى بانتخاب البويضة و الحيوان المنوى السليمين حتى لو كان الوالدان انفسهما يعانيان تشوهات خلقية أو

علل صحية. و بسوق بعض العقلانيين المسفسطين هذا المثل على العقلانية و دفاعا عن الانتخاب الصناعى.

خصم ثورة التنويرين و الانسانويين المضادة على كل فكر بديل:

اجادل ان التنويرين و الانسانويين كرسوا غياب الرب و راحوا يحلوا "الانسان" انتقائيا مكان الهة القرون الوسطى و الاقطاع الغربى. فقد خلفوا الاخيرات وراءهم و راحوا يعبرون عن احلال ايقونات التنوير و المبدأ الانسانوي مكان الايقونوغرافية المسيحية الغربية و العرش و الارستقراطية الاوربية, و كانت البابوية الارستقراطية الاوربية قد تعينت على ما يسمى بالنهضة و كانت الاخيرة تصدر عن تكريس سلطة الكنيسة باستدعاء مقدسات القرون الوسطى والاقطاع. وبالمقابل راح رجال الدين يقومون على رعاية الفنانين و المثالين و بعض المفكرين[148].

و كان التنوريون حريون بان يدعوا تكاذبا و بالضرورة العلمانية خصما على الفكر المسيحي–الكاثوليكى على الخصوص. و كانوا بالنتيجة ضد السلطة و العروش الاوربية الاقطاعية لغرض فى نفس اعراب الشتات مما تمثل فى كل من الخلافات الاسلامية و فى اوربا الغربية و الشرقية منذ حلول شرط المراكمة المالية الربوية الفطيرة. فقد تعين اعراب الشتات على تقويض العروش الاوربية الغربية السابقة على الرأسمالية الصناعية تيسيرا لحول شرط مثول الرأسمالية المالية ما بعد الصناعية–الامركة او مشروع القرن الامريكى الصهيونى الجديد. و فيما كانت البرجوازية الاوربية الصغيرة قد راحت تنشأ لتؤلف نقيضا و منافسا للتنويرين و بخاصة نظائر الاخيرين من اعراب الشتات و حلفاء جمهورية البندقية الحرة فقد ناصب الاخيرون الكاثوليكية العداء بصورة معلنة. و كان ذلك:

– مرة جراء علاقة الكاثولكية بالشعب بغض النظر ن استغلالها ماديا و و ابتذازها معنويا بالتكفير و صكوك الغفران. و يلاحظ ان الكاثلويكية لم تكن كارهة للشعوب فقد كانت الشعوب التى تنتمى الى الكنيسة الكاثوليكة هى شعوب تلك الكنائس ولم يكن رجال الدين غرباء عنها. بل كان معظم رجال الدين من الفئات الدنيا من المفقرن و الاميين حتي ما يسمى بالاصلاح الديني و ربما تباعا حتى القرن الثامن عشر. و لعل أعراب الشتات يناصبون الاسلام العداء لنفس السبب اى لان الاسلام ليس كارها للشعوب بل العكس.

–و مرة خرى بمغبة تكريس الكنيسة الكاثوليكة انتفاء شرط بزوغ اعراب الشتات بتحريم الربا و كان بزوع و ازدهخار اعراب الشتات تمأسس فوق الربا.

فقد كان تحريم الربا حريا بان يخصم على اعراب الشتات و اوليجاركيي البندقية التنويريين الانسانويين– تكاذبا. و ازعم ان انسانوية اوليجاركيي البندقية هى التى كانت حرية بالتكاذب وليسب خصم الربا على الاخيرين هو المتكاذب. و حيث ادعى المبدأ الانسانوى شرط احلال الفرد تكاذبا و السوق مؤكدا مكان الرب تباعا فقد كان التنويريون يستدعون الفلاسفة اليونان خصما على الكنيسة و مسيحية القرون

الوسطى الوثنية. ذلك ان التنويريين كانوا معادين للنهضة كونها اعادت انتاج الهة القرون الوسطى تحت سلطة الكنيسة والاقطاع. وكان معظم اصحاب المبدأ الانسانوى يتطيرون من نشوء تنويعات باكرة من الطبقات الوسيطة الرخوة بعد. فقد كانت الاخيرة حرية بان تؤلف نواة البروجوازية الاوربية الغربية الصغيرة غريمة اعراب الشتات.

و كان ديزيديرياس ايرازماس Desiderius Erasmus–المولود فى روتردام الهولندية فى 1466–1536–من اهم المبادرين بالفكر الانسانوى و قد تعين على التوليف بين الانسانوية و بين النص الانجيلى ومن اهم اعمال ايرازماس "دليل الجنتلمان المسيحي–1503– و يحض على عدم الاكتراث الدينى Religious Indifferentism تمثلا بعدم الاكتراث او اللامبالاة الارسطية الرواقية. فقد كان ارسطو قد بقى اهم فيلسوف و ازدادت اهميته فى القرن السادس والسابع عشر بوصفه مؤمن بالحياة الدنيا فلم يذكر الله الا فى الكتاب العاشر. كان يقول بان اهم ما فى الانسان قدرته العقلانية او البعد العقلانى فى الطبيعة الانسانية. هذا و قد بقى الرواقيون وحدهم اهم من دانت أوربا الغربية بالفضل له. فقد بقيت اهميتهم منذ ترجمة الفلسفة اليونانية الى اللاتنية من العربية حتى القرن التاسع عشر و تباعا ماثلة فى الفكر و الفلسفة الغربية.

وكان ارازماس من اهم المبشرين باللامبالاة الدينية متمثلة فيما يسمى "المبدأ الانسانوى" تكاذبا. وقد اسقطت تلك اللامبالاة الدينية بهذا الوصف على الاقتصاد فنشأ بتأثير المبدأ الانسانوى أهم دعاة نظريات الفيزيوقراط و دعه يعمل دعه يمر فى القرن السابع عشر فمهدت لما سمى بالفيزيوقرط الجدد من بعد وصولا الى الاورثوذوكسية الاقتصادية الجديدة عبورا بما يسمى بالريجانوثاتشرية -Regano Thatcherism . وهذا و كان الانسانويويين ممن امن بنظرية الفن للفن و التسييب القيمى و الاخلاقى و فى الذوق والعلاقات الانسانية و فى كل شئ تقريبا من عداهم من فنانى و مفكرى الكنيسة و العروش النهضويين موقفا متشددا مثله مثل موقف الاثينيين الرسميين و الخوارج و المعتزلة ممن عداهم. فقد كان معظم فنانى و مفكرى نهضة ايطاليا المسماة "سفلى كاثوليك و باتت ديمقراطية" Low or Democratic renaissance فى القرن الرابع و الخامس عشر كاثوليكية. فلم تكن البروتستانتية قد نشأت بعد حتى القرن الخامس والسادس عشر– قياسا على النهضة الاوربية الغربية الحديثة و قد عبرت الاخيرة عن نفسها فيما يسمى ب "الثورة الصناعية".

الاوليجاركيات العولمية الباكرة و سفر تكوين الافانجلية الانجلوامريكية:

أزعم ان التنوير و المبدأ الانسانوى كانا مسئولين عن تكريس مفهومات انتقائية عقلانية أو معقلنة للمساواة –بمعنى التعين على التفريق تحت لواء المساواة ليس بين البشر و لا بين الجنسين قاطبة وحسب و انما بين فئات عولمت باكرا فى الطبقات الحاكمة و المالكة و حلفائها المسكوت عنهم. و لم تنفك الارستقراطية و اعضاء الطبقات الحاكمة ان بات كل منها مساو لبعضه و نظائره من اعراب الشتات فى عموم اوربا منذ القرن الخامس عشر. او لعل الاخيرون فاقوا الارستقراطيات الاوربية الغربية تباعا اما

بالهزيمة بالزواج او–و بتفوق اعراب الشتات التنويريين على من عداهم ماديا و فكريا و تنظيميا. ذلك ان اعراب الشتات من اوليجاركيي البندقية التنويريين راحوا يفوقون الارستقراطيات و الطبقات الحاكمة الاوربية تباعا. و قد عبر تفوق اعراب الشتات عن نفسه فى تزاوج الاخيرين و الارستقراطيات الكلاسيكية فنشوء ارستقراطية عرقية من أقليات صفووية. و اتساءل فى مكان اخر ما اذا كان غياب ارستقراطيات عربية–الا ما خلا الاموية الفطيرة و جيزا–ساهم فى تسلط اعراب الشتات فتعينوا على تكريس انفسهم بوصفهم ارستقراطيات بعينها خصما على شرائح السلطة العباسية مثلا بخاصة ايام الرشيد و المعتصم و الواثق و بداية عهد المتوكل؟

المهم فورا حين رحلت الافكار و النظم الى العالم الجديد لم تنفك المساواة الانتقائية العقلانية–بين المسيحيين و اعراب الشتات ان يسرت- اقتهارا–برساميل الاخيرين– نشوء أرستقراطيات مالية او ميروتوقراطية. و اعرف الاخيرات بالاقليات العولمية و–أو بالاوليجاكيات التى بقيت تتنوع على مر التاريخ المكتوب والمسكوت عنه منذ سقوط الامبراطورية الرومانية على الاقل عبوار باوليجاركية جمهورية البندقية الحرة وتباعا. ذلك أن أصحاب خندق باطل يدعى العلمانية راح يعصف بكل من عداه و يروع مخالفيه و يصمهم بالارهاب. و بالمقابل يخق شرط نشوء احزاب يمين–حزبين كبيرين لا يختلفان كثيرا عن بعضهما كما نرى فى الاحزاب الانجلو امريكية و سليبتها الانجلوساكونية من ناحية. كما يخلق شرط نشوء خندق باطل "علمانى" متطرف لا يحتشم من استدعاء اليمين الافانجلى الانجلوامريكى المتطرف مما بات يتمسح بازيال مسيحية "متسامحة" بل و تدعى درجة من العلمانية تحايلا على استقطاب المؤمنين بين الحزبين الكبيرين اللذان لا ثالث لهما غالبا باستدراجهم الى خندق الباطل علمانيا الخ.

فقد باتت بعض المؤسسات المسيحية الامريكية و الحركة الكنسية الافانجلية الجديدة مثل كنيسة ويللو كريك Willow Creek Community Church فى شيكاغو و قسها الاكبر بيللى هايبيلز Bill Hybels تدعي انها لا تحض المؤمنين على العمل للسعي من اجل الثواب فى الحياة الاخرى بل على الحياة الدنيا. ذلك ان تلك المؤسسات المسيحية الانجلو امريكية بالنتيجة معدلة جينيا لتحرض المؤمنين على الحياة الدنيا و الاستمتاع بها[149]. و اجادل ان ذلك ليس سوى تنويع على ما تقول به بعض طوائف اعراب الشتات مما لا يؤمن بالاخرة و لا الجنة. فالاخرة عند الاخيرين هى يوم القيامة حيث يظهر المسيح ليخلص العالم من الاثام و يقيم لليهود الجنة على الارض و قد زوقونها فى أرض الميعاد. لذلك فان حزبا لا يخدم تلك القصية محكوم عليه بالهزيمة فى الانتاخابات العامة مما يلاحظ في لعبة الكراسي الموسيقية حول السلطة او الاحرى ارجوحة فور حزب و هزيمة اخر فى منوالية كمثل الارجوحة الدوارة تحت مسيمات اجندة الحزب و كأنها تتصل بواقع الناس.

و قياسا يخلق شرط اندفاع احاد و عشرات بل الاف المؤمنين نحو الارتماء بين احضان سردية المسيحية الغربية اليهودية Judeo-Christianity بوعى زائف False Consciousness او بدون وعى. وأنبه

الى اننا نترجم نحن المسيحية الغربية اليهودية ترجمة خاطئة بعيون مفتوحة لانه قيل لنا كذلك. ويقول المسيحيون المتطرفون ان المسيحية اليهودية هى التى حظيت دون غيرها بالرؤية–رؤية المسيح المخلص. فقد جاء المسيح لخلاص المسيحيين دون من عداهم الا من تنصر من البشر. و حيث لا يبشر اليهود فى البشر الا بقدر ما يعتبر ابن اليهودية يهودى–فيحرصون على تزويج بناتهم لكافة القوميات و الطبقات–فان المسيحية اليهودية متمثلة فى الكنائس الجديدة مثل كنيسة وللو كريك المذكورة الاعلاه تقوم مقام اعراب الشتات بالتبشير فى الناس.

و تقول الدراسات الموضوعية ان المجتمع الامريكى يتخثر تباعا جراء تكريس ما يسمى بنموذج التنمية الامريكي. و يتعين اليمين الدينى –الافانجلية الانجلو امريكية–التنويع الانجلو امريكى من المسيحية اليهودية– على اختراق كل من الجيش و القضاء على الخصوص. و تقول احصاءات حدثية ان اكثر من 80%0 من الجنود الامريكان يذهب الى الكنسية اكثر من مرتين فى الاسبوع و ان 70% يؤمن بالمعجزات و ان 60% يرى ان لامريكا رسالة عليها ان تنشرها بكل وسيلة و تدعوا تلك التنويعة من المسيحية اليهودية الى قيامية ضرورة تنصير كل من عداهم و الا جهنم و بئس المصير. و قياسا تغدو الحدود الحقيقية بين البشر هى الحدود بين الجسم او المجتمع المسيحي الغربى او الامة المسيحية اليهودية بهذا الوصف و العالم فيما وراء ذلك اى الاسلام خاصة The true boundary is that between Western Christiandom and the world beyond; meaining Islam[150]". و يلاحظ الناس كيف يتعين الصهاينة و تنويعات اسلافهم و احفادهم على اعادة كتابة الاصحاح القديم و الجديد كما يعيدون مفصلة البراديجمات الفصلية بل ان كلا النشاطين يتساوقان و يترادفان. و كذ الامر بالنسبة لقوانين دساتير المجمعات الغنية و بخاصة امريكا و انجلترا لاسيتعاب الاحداث الجديدة و تكريس احداث بعينها. و ليس صدفة ان دستور الاخيرة غير مكتوب. و كان قد انتشر ما يشارف المكارثية في امريكا فى مناخ الثورة الفرنسية كما انتشر العداء للالمان عشية الحرب العالمية الاولى فلم تلبث امريكا ان استوعبت مواجهة تلك التطورات فى قوانينها و خاطرها. و ليس قانون الامن الامريكى الذى نشر غب احداث ضرب برجى منظمة التجارة العالمية الاول من نوعه. ففى 1917 عدل الدستور الامريكى لتحريم صناعة و تقتير و بيع و شراء الكحول و الخمور استجابة الى جماعات ذات مصالح اقتصادية و استراتيجية. فقد كان قادة حركة تحريم الخمور بروتستانت متشددين تعينوا على حركة معادية للايرلنديين و الالمان الكاثوليك الذن كانوا يحتكرون صناعة الخمور. و تتعين جماعات مصالح غربية على منح و منع ما تراه هي تكريسا لوجودها على مر التاريخ المسكوت عنه. و كانت بعض تلك الجماعات قد نشأت باكرا منذ ما يسمى بالتنوير على الاقل ان لم يكن منذ سقوط الامبراطورية الرومانية جراء نشوء جمهورية البندقية.

التنويريون و الانسانويون و سفر تكوين المحافظين الجدد و تنويعاتهم:

اجادل ان سفر تكوين المحافظين الجدد و الليبراليين و العقلانيين الجدد حري بان يصدر عن اسلافهم التنويريين و الانسانويين بوصفهم فائض انتاج فكر اوليجاركيي جمهورية البندقية و اعراب الشتات الخزر من قبلهم. فقد كانت جماعات و افراد نجحت ب"الاكتشافات الجغرافية الكبرى" والمشروع الصيهونى بما يسمى القدر الجلى او القسمة البائنة للعيان Manifest Destiny و باتساع فضاءات حياة الاوربيين– الالمان مثلا–و بشركات الهند الشرقية–التى هزمت السند و شغلت النهابين لوقت طويل بجمعها و نقلها الى اوربا الغربية–و بالتدافع نحو تقسيم افريقيا بحق الفتح Right of Conquest –نجحت تلك الجماعات فى مراكمة ثروات وبلغت فئات بعينها ازدهار غير مسبوق.

و ما يبرح بعضها يراكم بانهب ثرواة من عداهم فيما يلاحظه الناس فى كل مكان ابان ما يسمى بازمة اسواق المال والائتمان و رغم رياح الازمة المالية و الاقتصادية القارصة. و يجأر كيسنجر وزير خارجية امريكا الاسبق الاسبوع الاخير من اكتوبر 2008 أن ينبغى استرداد الثروات التى روكمت بفائض رأس مال النفط عائدة من دول النفط–العربية بالضرورة–الى مستحقيها بكسر احتكار منظمة الاوبيك لانتاج النفط و اسعاره. فقد ادى ارتفاع اسعار النفط برأى كينسنجر الى نشوء ظاهرة غير مسبوقة فى التاريخ هى "تقل الثروة من الامم القوية الى الامم الاضعف" و فى مقدمتها دول النفط العربية. و قد افتضح المستور وهو ان على الثروة ان تنتقل من الدول الاضعف الى الاقوى فتبقى الاخيرة قوية و يتفاقم ضعف افقار الاولى. فاذا كان ذلك قد بقى يقينهم على مر التاريخ دون ان يفصحوا علنا هكذا عنه كما فعل كينسنجر فكيف يتعينون عل تحقيق غاياتهم سوى بالاحتيال و اللف حول الواقع بلغة مزوقة Euphemised مفلصفة Falsified؟

المهم ازعم فورا أن فضاءات و مشاريع و بخاصة اجندة و خطاب التنويريين كانت حرية بان تخلق شرط الحس المادى لدى الفرد التنويرى الصفووى المعين[151]. فالمادية تستلزم القدرة على استهلاك المادة و على استغلال المادة و الاستفادة منها او–و تبديدها. و كلما استهلك فرد ماديا كلما نزع الى المادية خصما على الروحية. و قياسا فقد كرس المبدأ الانسانوى المادية خصما على روحية الكنيسة و على المسيحية الغربية مما الف سفر تكوين كل من:

1–موت الرب–الكاثوليكى الانجلو ساكسونى على الخصوص وعلى الاقل

2– تحور المسيحية الغربية تباعا الى مسحيية يهودية–او–وصهيونية وصولا الى تنويعات المحافظين الجدد و اليسوعقراط.

المهم تدعى الاحزاب التقدمية بل الثورية–ثورة المحافظين الجدد التروتسكية و اتباعهم الليبراليين الجدد دمقرطة العالم تخاتلا و قد سرقوا مفردات اليسار تكاذبا–على ورقة العداء للاسلام–بعد ان انتهت الحرب الباردة ان كانت قد انتهت. و لا يناصب العلمانيون الاسلام العداء و يصفونه بالفاشية كونه "متخلف" "معاد للديمقراطية" و حسب وانما لانه "لاعقلانى" غير علمانى لا يملك الفصل بين الدين و الدولة و "يميز او يفرق ضد المرأة" بمعنى يحرمها من الحق على جسدها عولميا. فقد بات ذلكم هو المفهوم

العقلانى العولمى لتميكن المرأة فلنتفكر. و ينكر ذلك الخندق او يتجاهل ان 20% من العلماء البريطانين متدين. و يقدر عدد المتدينين من علماء الطبقة المتوسط الهندية البالغ عددها 60 مليون اكثر من 65 %. و يلاحظ الناس أن معظم قادة حماس علماء فى القضايا الوضعية كما ان نسبة اعضاء الحركة الاسلامية بين العلماء الوضعيين–تفريقا لهم عن علماء الدين–المصرين مرتفعة ايضا و ان معظم زعاء الاخيرين من الاطباء و المهندسين و المحامين والمفكرين.

و يواجه الخندق الاول خندق ثان–و لا يقل كلاهما عن خدقى باطل–حيث يجأر بعض المتمترسين داخل الخندق الثانى باختزال الدين فى التعين على تفاصيل التفاصيل حول الاقدام على او–و الاحجام عن اتفه الامور من هل يدخل الرجل المرحاض برجله اليسرى او اليمنى و هل تغطى المرأة او تكشف عينها اليسرى ام اليمنى و أغلبيات الناس تموت جوعا او–و جراء مشاريع الدمقرطة العولمية و تمكين المرأة قهريا.

و الكارثة ان يجمع احدهم بين ليبرالية التخندق الجديدة و الاسلام السياسى. المهم لا يضاهى سفه التمشدق بما يسيئ الى الاسلام بتفاصيل تفاصيل الامور التافهة فى زمان يواجه المسلمون فيه الابادة العرقية والثقافية و الاقتصادية و الحضارية سوى سفه هوس الافانجلية الانجلو امريكية بجنوسية الفرد و زواج رجال الدين المثليين والارض تحترق جراء الاحتباس الحرارى و الناس تموت جوعا و بالايدر و الحروب و الكوارث الطبيعية–غير الطبيعية و يصاب من يبقى على قيد الحياة بالاعاقة البدنية و غيرها جراء الالغام المضادة للبشر Anti-personnel mines و القنابل العنقودية و بالمواد السامة التى تترك تقصدا فى الحقول و الغابات الخ. وكأن الافانجلية المتطرفة باتت كنيسة الصواب السياسي و ليست كنيسة يسوع المسيح.

الفصل الثالث :الاقتصاد السياسى لعقلنة التوسع.

اذا كانت اللغة استجابة للحاجة للتعبير كما يقول اللغويون فكل كلمة حرية بهذا الوصف ان تكون محملة بشحنات عاطفية و مشاعر و غايات و اغراض و تجارب تاريخية فردية و جمعية و رسمية و شعبية على الخصوص. و تشتهدف اللغة بوصفها تعبير عن مخططات و سيناريوهات سياسية و عسكرية رأسمالية اقوام و شعوب نحن منهم بالصرورة . فكيف تستعار كلمات مشروع غريم بلا تردد بل باحتفال و يهجة كاذبة؟

اجادل ان الكلمة المحملة–مبنى للمجهول–بهذا الوصف لا تصلح للتعبير عن عواطف و مشاعر و غايات و اغراض و تجارب جمعية لمن عدى اصحاب تلك المخططات و السينواريوهات و المشاريع قبل تعريتها حتى العظام من تلك الحمولات الخطرة على كل من عدى اصحاب تلك العواطف و المشاعر والغايات و الاغراض المذكورة بوصف ان غاية المخططات و السيناريوهات السياسية والعسكرية تلك هى الربح و اقسى الربح بالربا و الفائدة.

و قياسا يبغدو الربا بهذا الوصف الية الهيمنة على مقدرات الشعوب موضوع تلك السيناريوهات و المشاريع المخططات. فقد بات الربا عامود الاقتصاد العولمى الفقرى او شريان حياته او موته المحتم بالاحرى الا ما خلا مراكمة اعراب الشتات و محاسيتهم منه. فكيف نخطف كل كلمة و نستخدمها قبل ان نعقمها على الاقل من فيروس الغرض و المخططات و الغايات والاحابيل؟

عقلنة الترويع الفكرى و الذهنى:

تمأسست الرأسمالية الغربية فوق و ما تبرح تصدر عن المرالكمة المالية الربوية. و قد قيض الربا مفصلة لغة التعامل به و معه مما يلاحظه الناس فى كل مكان من المفردات التى تعنى عكس ما تقول تماما بل باتت من طول ما تكاذبت تجأر باكاذيب و مخاتلة قد تنطلى على الناس لمحض كون تلك اللغة هى لغة لم تعد تنطلى على احد. و قياسا فقد بات على الرأسماليين و المدافعين عن الرأسمالية الاقتصاد فى قول الحقيقة ان لم يكونوا مضطرين الى التكاذب حتى تقبل طروحاتهم و مشاريعهم. ذلك انه ليس ثمة سبيل لمصارحة ضحايا الربا بما يحيق بهم مؤكدا اذا لم يخدعوا عن الحقيقة. فما لم يروع خصوم المرابين و مبارزتهم بالكلمات غير القابلة للمواجهة والا اتهم الخصوم بالوقوف امام "التقدم" و "التحديث" بل الحضارة و "الانسانية" الخ ما راجت تجارة المرابين ولا اقنعوا الناس بالاستدانة.

فقد كان المرابون و ما يبرحون يعيشون غالبا على المراكمة المالية. و لا تؤمن الاخيرة بالتعامل بسوى المال خصما على التعامل انسانيا اى عن طريق عمليات الانتاج و البيع و الشراء السلعى اى التبادل التجارى فى البضائع المنتجة. و لعل االنتاج السلعى–و يتكلف االستقرار–ويتفق و مفهوم المراكمة المالية و تاكتيك اواستراتيجية رأس المال–الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب فى كل مرة يعبر عن نفسه فى مناويل الازمات الرأسمالية مما يلاحظه الناس فى كل مكان و زمان بامعان النظر قليلا. و قيسا فان مفردات التعامل الربوى كانت حرية بان تورث ما عداها من مفردات التعامل فى مناحى الحياة دلالات و تداعايات.

ذلك انه ان كان الاقتصاد عصب الحياة فان مفرداته حرية بان تتسلل الى لغة الخطاب و حتى لغة الغرام و بخاصة تلك التى تنتمى الى النسووقراطية العقلانية بتنويعاتها و ما بعد الحداثة و الصواب السياسى الخ. و قياسا كانت اجندة اعراب الشتات و اعرفهم وجيزا فى مكان اخر حرية بان تكون غير عقلانية بالمعنى الحرفى للكلمة منطقيا مما تعرضت له فى مكان اخر. و كان أعضاء اوليجاريكية اعراب الشتات قد ثابروا على تكريس كمياء ذهنيتهم و معمار لغة مشروعهم فى النظر الى الامور. وازعم ان عقلانية اجندة و مشروع تلك الاوليجاركيات اللاعقلانية حرفيا و قد تاصلت على مر التاريخ المسكوت عنه لم يكن امامها سوى ان تدعى انها هى عقلانية بامتياز.

و من المفيد تذكر أن اسلوب حياة اعراب الشتات الذى يصدر عن التنافس على الموارد و الجشع و مثابرتهم على رفض اى تغيير في اسلوب حياتهم هم الا بقدر ما تكرس تجاربهم محصلة أهم ملامح ذلك الاسلوب من الحياة و مكوناته. و يقول جوردون جيكو و هو Gordon Geko احد عرابى ثقافة و

نماذج السلوك الرأسمالي المالى "ان الجشع حسن و صحى و لك ان تكون جشعا و تشغر بالرضى عن نفسك او تشعر بتأنيب الضمير"

و تعبر ملامح و المكونات ذلك السلوك عن نفسها فى المراكمة المادية و غير المادية خصما على كافة المجتمعات التى تستضيفهم وكانت قد استضافتهم و التى تاجروا معها. كما تقف تلك الملامح و المكونات وراء أحداث مفصلية و هامة فى تاريخ الانسانية و فى تاريخ كافة المجتمعات المذكورة.

و قياسا يغدو لزاما على اعراب الشتات و تنويعاتهم الباكرة و اللاحقة لتمرير اجندتهم و ترويع من عداهم من شعوب المجتعمات المضيفة حكام و محكومين و ابتزاز كل من استضاف رساميل أعراب الشتات ازعانا و افتقارا للاخيرين بدرجات المقياس فكريا و تنظيميا. و قد عبر تعامل اطراف تلك العلاقة عن نفسه على مرالتاريخ و ما يبرح يعبر عن نفسه فى الترويع الفكرى التنظيمى مما تمثل و ما يبرح يتمثل فى "عقلانية" خطاب تلك الجماعات المروعة (فاعل) فكريا و تنظيميا و ماليا. ذلك ان الترويع كان قد استقر على مر السنين فى مسام المجتمعات المضيفة.

فقد بقى ذلك الترويع الفكرى والتنظيمى و ما يبرح يصدر عن اقتدار مالى لا ينازع. و قياسا فليس لعقلانيي العرب و المسلمين وجهة نظر تخصهم اذ يزعنون او–و يتطوعون اختيارا بالدفاع عن اجندة مشروع العقلانيين التنويريين الانسانويين–اعراب الشتات–الخزر–اوليجاركيي جمهورية البندقية الحرة و تنويعاتهم اللاحقة من المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد و العقلانيين الجدد مما اعرفه تباعا. و بالمقابل فقد يشارف خطاب الليبراليين و العقلاييين العرب و المسلمين الجدد بهذا الوصف خيانة قضايا العرب والمسلمين.

و تتمأسس تلك الخيانة فوق خزلان الاخيرين جراء مشاريع مخاتلة من تنويعات بعينها من حركات الخوارج والثورة العربية و حركة الخلافة و الحركة العروبوية الخ بالنتيجة. و يعبر خطاب المحافظين الجدد والعقلانيين الجدد و الليبراليين الجدد عن نفسه بالضرورة فى مشروع فائق للقومية العربية و المشاريع المماثلة مما تستر طويلا وراء مسميات مسكوت عن تعريفها على مر التاريخ من سردية أعراب الشتات الى التاريخ الاستعمارى المكتوب و غير الكتوب. فما هى اهم مفردات قاموس الخديعة او العقلانية تلك؟

عقلانية المسكوت عنه:

أتخذ التوسع الاستعمارى له مسميات مررت خلف حق الفتح الى القدر الجلى الى فضاء حياة الاوربى والترانسفير Transfer و كل ما وطأته بطون اقدام اعراب الشتات و ارض الميعاد الخ. و المهم فورا تحاول هذه الدراسة تأمل كل من:

1–مفردات سردية اعراب الشتات و نظائرهم و تنويعاتهم و تصدر عن مسار تاريخ استلاب الغرب–الرأسمالية بتنويعاتها الغربية لما عداها. واجادل ان تاريخ الاخيرة خصم على تاريخ من عداها و ذلك بمحاولة التعرف على بعض المفهومات العقلانية و المتستر عليها للتوسع و الاستحواذ الماديين و غير

الماديين الغربيين–الرأسماليين بالضرورة و الاستلاب العرقي–الانجلوساكسونى الانجلو امريكى العنصري بالنتيجة نيابة عن او سمسرة لحساب اعراب الشتات. و اجادل أن اهم مفردات قاموس الاستحواذ العولمى تمأسست باكرا فوق ممفصلات مخفية لا يعرف معظمنا عنها كثيرا و ان حدث فان تلك الممفصلات تبقى غامضة ترفض التعريف. و تسمى الرأسمالية او الاستحواذ العولمى احداث بغير اسمها بل بنقيضها تماما.

و لعله ما لم يقيض التعرف على و تعريف تلك الممفصلات و الظواهر التى يعبر عنها فى سياقاتها التاريخية فان مواجهة الغرب–اعراب الشتات–الرأسمالية العرقية العنصرية يستحيل بلا فكاك. ذلك ان مشروعا بديلا لما يحيكه الغرب–أعراب الشتات– و قد بقى اعراب الشتات والغرب يحيكونه على مر 500 عام على الاقل–ان لم يكن منذ غارات الخزر اسلاف اعراب الشتات على الخلافة العباسية و الصليبيات الشرقية على فلسطين و الشام و الغربية على الاندلس الخ–لا يمكن ان تقيض شروط ذلك المشروع البديل بداءة.

–هل مفاهيم التوسع العقلانية مفتاح فهم تاريخ الغرب؟ تعالق مفهوم النشوء و المراكمة المالية؟

ثمة الى المفاهيم المذكورة اعلاه تنويعات اخرى على حق الفتح و فضاء التقدم والقسمة او المقدر الجلى البادى للعيان مما اعرفه ادناه. ذلك ان الغربيين كانوا قد ادركوا باكرا–و لو بجشعهم و بمعدلات استهلاكهم هم للموارد–ان الارض لن تسعنا جميعا و ان التوسع فيه خيرهم فلم ينفكوا ان استتمرأو التوسع فى 4 من الست قارات. و لم يلبثوا ان تعينوا على ابادة سكان القارتين الباقيتين تباعا بالامراض لمتوطنة تعقصدا و الكوارث –التسونامى–و كان قابلا لان يتفادى–و الايدز و بالحروب العالمية الممحللة او ما يسمى بالاهلية حيث يستخدم السلاح الذى يبيعه الاستعمار لجانبى الصراع. وقد باتت الحروب الاهلية وسيلة لكل من:

–اعادة استعمار احدى الاوطان المتصارع عليها او–و كلاهما مثل جنوب و شمال السودان وشرقه و غربه والكونغو و اثيوبيا و اريتريا و البوسنة والكوسوفو والشيشان و لبنان و تيمور الشرقية و كشمير والباكستان و غيرها من الحروب الاهلية التى باتت حروب عالمية ممحللة و قد اصبحت بورنوغرافيا القتل اليومى حدثا مألوفا.

–بيع السلاح لكافة الاطراف و توريط اطراف لم تكن طرفا فى الصراع كما فى البلقان و العراق و افغانستان و السودان و الكونغو و الصومال الخ. و يتنوع ذلك التوريط على نظائر سابقة منذ حروب اوربا الغربية الى الحربين العالميتين وتباعا.

–تفريغ الارض ممن عليها تباعا

فقد تعين الغرب–الرأسمالية الغربية على تبرير العدوان التوسعى فى اراضى من عدى الاوربيين الغربيين بعد ان استنفذت حروب اوربا الغربية طافة الاخيرة على الاستمرار فى حروب بعضها منذ القرن السابع عشر وصولا الى الحرب العالمية الثانية. و لم تلبث الرأسمالية ما بعد الصناعية ان ارغمت الدول

الاوربية على ما اسمته حلف الاطلنطى. وكانت مفاهيم ما بين الحربين مثل دفاع الحلفاء عن الديمقراطية ازاء فاشية و نازية المحور و أبلسة القومية و القومية الاشتراكية كونهما تقفان وراء تأجيج الصراعات حول الارض كتعبير عن مشروع الاستحواذ الارضى الافقى الكبير.

و فى نفس الوقت كانت مفاهيم ما بين الحربين تكرس عقلانية الحلفاء و احفادهم القومية تحت راية الهوية فى نفس الوقت الذى لم تتخلى امريكا مثلا عن الذهنية القومية فا مريكا مثلها مثل اسرائيل تستدعى القومية فى وجه ادعاء القضاء عليها فى كل مكان عداهما. و تأخذ انجلترا بدورها بنفس التناقض و تقع فى محنة المناداة عقلانيا بشئ و العمل فعليا بشئ اخر. و ليس ثمة اكثر شعبية و لا مدعاة للحماس و الانفعال الطافح بالحس الوطنى من الاناشيد "الوطنية" البرطانية و منها النشيد الوطنى الرسمى "فلستد بريطانيا–الامبراطورية –على العالم Rule Britannia rule the world و أرض الامل و المجد" Land of hope and glory اللذان تحتشد الجماهير كل عام فى قاعة البيرت Albert Hall فيما يسمى بالبرومز Proms لتنشدهما و قد راحت تلوح بالعلم البريطانى.

و ما تنفك مفاهيم محدثة مثل النظام العالمى الجديد–و قد انفطمت منه اوربا الغربية مابين 1939 و 1941 مع الاتفاقية الالمانية الروسية نظريا وحسب–و مفهوم مشروع القرن الامريكى الجديد و تفرعاته مثل مشروع الشرق الاوسط الكبير ومشروع الاخدود الافريقى العظيم و غيرهما تعيد–منذ عشية الالفية الثالثة على الاقل–انتاج مفردات معجم او قاموس الاستحواذ المعلن و المسكوت عنه–على كل من عدى امريكا و حلفائها المتواطئين معها. و فيما يحرم الاخيرون على من عداهم القومية ويذرون بالهوية يجتاحون كافة الحدود القومية بجيوش قومية تحت رايات قومية. فليس ثمة تناقض طالما كانت لغة الاستحواذ تصدر الى ما عداها عقلانيا اللامعيارية و اللا قيمية الذرائعية الخ.

سفر تكوين عقلنة الاستلاب العولمى الفردى و الجمعى:

لاحظ عدد من المفكرين و الكتاب كيف ان التقدم الغربي بقى فى الواقع محصلة اللا قيمية أو ما يسميه دوركايم اللامعيارية و ما يسمى بالعقلانية التى لا تزيد على اشرس تنويعات الانتهازية و التبريرية و الذرائعية حد الجريمة المنظمة التى لا تزيد و لا تقل عن مفهوم الامبراطورية فى كل زمان و مكان. سوى ان معظم الغربيين ما ينفك يجأر باعتزاز طافح بالنفس يستدعى قيم العدالة و النبل و غير ذلك مما لا يمكن اثباته على الاطلاق الا بقدر ما تقيض الصلافة الوهم بان الباطل هو الحق و الحقيقة.

فقد بقى هم التاريخ الامريكي عقلنة السردية الرسمية بغاية استباق اي تحليل موضوعى:

حيث لا يزيد او يقل الاستباق الدفاعى و تحرير او دمقرطة غير الغربي عن تنويعات على مفهومات عقلانية فان صعود البعد المالى للرأسمالية ما بعد الصناعية الى اعلى دون ما مقاومة تذكر و خصما على ما عداه اتصل و يتصل بالنهب والسلب و الاستحواذ المعقلن. وكان الاستحواذ المعقلن حريا بان يمفصل و يزوق و يدلس قدر الممكن حتى ينطلى على ضحاياه. و يقول مايكل كيمين Michael Kimmen ان فهم الامة الامريكية يستحيل بدون فهم مصطلح القسمة او المقدر الجلى البادى للعيان

الواقف وراء ذلك التاريخ. وقد بقيت الولايات المتحدة تتوسع فى اراضى غيرها فى امريكا الشمالية و الجنوبية و تضيف و تشترى ولاية بعد ولاية و تشترى جزيرة بعد اخرى ما بين القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين.

و لعل تتبع حركة الفتح و التوسع الامريكيين و مواصلة الاحتلال و الاستحواذ على و شراء ما بات من مكونات الولايات المتحدة هو التعريف الموضوعى لمصطلح القسمة او المقدر الجلى او الباد للعيان وانتحال الولايات المتحدة رسالة تحريرية يوصفها اقوة كبرى من اجل الخير A Great Power for Good و منه الدمقرطة الشعوب الاخرى عنوة مما اناقشه فى مكان اخر وتباعا.(خذى من الكلام اعلاه فى اول الكتاب من كلام ميلفين براج مهم) و ازعم ان ليس ثمة سبيل الى لغة بديلة طالما ان الغرب الرأسمالية العرقية العنصرية لا تحتكر مفصلة الكلمات وحسب و انما ترفض تعريف مفاهيم و مفردات قاموسها هى و تؤبلس كل كلمة لا تستوى و قاموسها. فما هى اهم ممفصلات ذلك القاموس؟ وهل يخصم تعالق اللا قيمية و التقدم الغربى على ما عدى الغرب؟

فيما يلى بعض اهم ممفصلات لغة العقلانية التى تعينت على تزويق الحقيقة بما لا يدل على الاخيرة غالبا وهى "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" عصر "النهضة" و "التنوير" و المبدأ الانسانوى" و مفهوم الارض التى بلا صاحب والغدر الجلى او القسمة البائنة وأضيف رأس المال – الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب. و كانت تلك الظاهرة قد تعاصرت و كافة المجتمعات التى تعايش او تاجر معها و جاورتها تنويعات اعراب الشتات على مر التاريخ المسكوت عنه. و تزوق تلك الظاهرة اليوم فى مفاهيم عديدة لا تفصح عن حقيتها. و لنبدأ بمفردة :التزويق

التزويق Euphemism:

يعنى التزويق ان تطلق اسما اخر او صفة اخرى على تلك الاشياء التى لا تحب الحديث عنها. و تنقسم التزويقات الى عموميات الشئ مثل القول بالذهاب الى الفراش مما لا يعنى ذلك حرفيا او قد يعنى شيئا اخر. و التزويق سبيل الى تفادى قول ما تقصد تماما. بل و عكس المقصود تماما. و يقال ان حيوان ما قد اخلد للنوم Put to sleep اى قتل بواسطة البيطرى. و يترتب التزويق احيانا على اللامسس النابع مما يلتزم باللجوء الى النكاية و التورية و المجاز احيانا. هذا و ينتهى عمر تزويق او اخر جراء خروج الناس من خشية التابو او توقف معن عن ان يكون تابو Taboo او لا مساس أو يفقد معنى لا مساسيته. و غالبا ما ترجع التزويقات النغمة الصوتية لنظيرتها الممنوعة أو المحرمة. ويزوق–عقلانيا بالطبع–جنرال صباح بريطانى الخميس 12 يونيو 2008 مقتل 5 من قوات بريطانيا فى جنوب ولاية هيلماند فى 5 ايام متتالية بانه دليل على ضعف الطالبان و تشرزم قواتهم.

و تثابر أمريكا على تزويق مأزقها فى العراق مثلا بعقد اتفاق ثنائى مع الحكومة العراقية التى طلبت من امريكا الخروج مع نهاية المدة المحددة بموجب قرار الامم المتحدة. و تزوق امريكا

استمرار بقائها فى العراق بعد انقضاء المدة المذكورة. وتكرس امريكا عقلانية بقائها فى العراق بتزويق كل كلمة فى التصريح الصادر بشأن هذه القضية على اقضل ما يكون التزويق. ذلك انه اذ ترفض أمريكا الخروج من العراق رغم ان البند 7 من اتفاقية الامم المتحدة تنهى الوجود العسكرى فى العراق مع نهاية 2008 و تقول امريكا–التى لا تدفع ايجارا عن قواعدها البالغة 50 قاعدة عسكرية فى العراق–انها تتفاوض مع العراق بوصفه دولة مستقلة ذات سيادة من حقها اتخاذ قرار بمحض ارادتها. و يكرر مسئول عسكرى ان للقوات الامريكية الحق فى البقاء هناك لانهم:

– اولا لا يرغبون فى تشوه النجاحات التى حققوها هناك

–ثانيا لانهم كانوا و ما يبرحون يبذلون دمائهم من أجل تلك المكتسبات و غايته مساعدة العراقيين على حكم انفسهم. فكأن العراق الذى عرف الحكم و حكم نفسه على مر اكثر من 7 الاف عام عليه تعلم ذلك من دولة لم تحكم نفسها قبل اكثر من 200 عام.

و تقول امريكا ان الوجود العسكرى فى العراق حفظ الاستقرار فى المنطقة.

و تتمتع القوات الامريكية و قوات الامن الخاصة التابعة لها و المتعاقدين فى العراق بامتيازات تجعلهم فوق القانون العراقى فلا يخضعون للعقاب و لا يسألوا و لا يتهموا بما كانوا و ما قد يقترفونه من تجاوزات و جرائم فى العراق. و قد برئ الخميس 5 يوينو 2008 الضابط الذى قتل 24 عراقيا فى حديثة لان عبوة ناسفة على الطريق قتلت احد زملائة.

و بالمقابل يدعى الغربيون ان ام كافة التزويفات The mother of all euphemisms كانت قولة الامبراطور هيروهيتو فى اغسطس 1945 معلنا للشعب اليابانى ما حاق باليابان" ان الحرب لم تأت بالنتيجة التى خططنا لها". The war has not turned out according to our plans. و كان يعنى ان اليابان هزم. و لم ينطق–وهو اله الشمس بكلمة الهزيمة–فما كان يليق ان ترد على لسان اله الشمس كلمة الهزيمة. الا ان ام التزويقات باتت بجدارة قولة بوش الابن هنرى هانك بولسون وزير الخزانة ان شراء اصول و اسهم و ديون مصارف وول ستريت شارع المال الامريكى– السامة ابان ازمة سوق الائتمان العقارى بمال دافعالضربة الامريكى هى من مصلحة الشعب الامريكى قولة

و ثمة وسيلة اخرى فى تزويق الكلام بان يتحدث الفرد و لا يقول شيئا. و تردد الرأسمالية ما بعد الصناعية على الخصوص الاكاذيب القديمة فيما بات يسمى اليوم بال "كضمات الصوتية" Sound Bites

المهم هو ان تزويق المفردات المحورية للرأسمالية ما بعد الصناعية المالية التى تتعين على بيع المال كسلعة غدى حريا بان يسقط على تلك المفردات و المفردات المتعالقة معها. فمعظم مفردات اللغة لها معان معقلنة بمعنى معاكسة تماما لها. و حيث أعرف بعض المفردات تباعا

يحاول البحث فورا تعريف بعض أهم تلك المفردات فى محاولة تعريتها و رد بعضها الى سياقاته و اخرى الى سفر تكوينها مما ازعم انه تنويعات على بعضه و هذه المفردات و المزوقات هى:

-الاكتشافات الجغرافية الكبرى Great Geographic discoveries

-مفهوم حق الفتح Right of Conquest

- و مفهوم القدر الجلى او المقدر البائن البادى للعيان Manifest Destiny [152]-اى الذى لا راد له.

-.و مفهوم الفضاء الحياتى الالمانى Lebensraum (German Habitat or Living Space.

- ومفهوم التدافع من اجل اقتسام افريقيا Scramble for Africa بين دول اوربا الغربية عشية الحرب العالمية الاولى.

-مفهوم المشروع الصيهوني الكبير

-الترانسفير Transfer

-المفهوم الاجرائى لمشروع مارشال. و قد وضعه غب نهاية الحرب العالمية الثانية الجنزال جورج مارشال وزر الدولة الامريكى فى 1047 و ساهم في تنفيذه الرئيس ترومان بما سمي عقيدة ترومان Truman Doctrine. و من اهم اهداف المشروع اعادة تشكيل اوربا الغربية غب الحرب العالمية الثانية بغاية مواجهة و اضعاف شرط نمو الشيوعية فى اوربا الغربية[153].

و فيما يلى استدعى مفهومات متعالقة مع المفهومات اعلاه مما بقى معمش عليه و متستر عليه و مسكوت عنه ويصعب العثور على تمثلاته الا بقدر ما يكون من الجمل الاعتراضية و الشروح على المتون و ربما فى متون بعض الصيغ غير المعدلة من الانجيل و بخاصة الاصحاح القديم. و قد بات الاخير يعدل بصورة منوالية حتى اننى- و اقتنى منه 6 نسخ-لا اجزم بان اى منها يعبر عن النسخة الاخيرة ناهيك عن النسخة الاصلية. و يقول البعض ان رهبان القديسة كاثرين فى صحراء سيناء ابقوا على الانجيل كما كان عليه. ذلك ان النبى صلعم كان قد منع التدخل فيه او مسه وارسل بمكتوب بهذا المعنى يمنع اى كان الاقدام على ذلك.

هذا و من المفيد تذكر ان المنشورات الاصلية للانجيل و هى نادرة غير النسخ اللاحقة و ان الاخيرة تغيير الاحداث و تجعل سردية تكاد مختلفة عن الاصل. فلم يكن كوداس ساينيديكاس Sianiticas وهو اول انجيل كتبه اغسطين الاول مثلا يظهر فى ان المسيح ظهر لمريم و بعض حواريه و انهم لم يقولوا شيئا لاحد. و مع ذلك فان الاناجيل اللاحقة عدلت تلك الخاتمة فقالت ان المسيح ظهر لمريم و حواريه و انه صعد الى السماء حيث ابيه. و لكن اغسطين الاول نفسه عاد و ازال بعض اجزاء النص فى انجيل بارنباس. و كان العداء للسامية قد انتشر منذ القرون الوسطى حتى المحرقة.

والمهم فورا بات النص يتغير منذ القرن العاشر او الثانى عشر كلما اراد البعض تعديل بعض التعبيرات او الكلمات. الا ان ذلك كان يؤدى فى كل مرة الى انجيل جديد ة هكذا دواليك. و يعتبر البعض ان ذلك من شأنه خلق انجيل حي. و ان ذلك الانجيل الحي اجدى للناس فى ظروف حياتهم المتغيرة باستمرار. ذلك اننى كنت ققد اليت على نفسي التعين قدر الممكن على البحث عن الصيغ غير المعدلة فى الانجيل القديم و الجديد بوصفها ربما الفت سفر تكوين عقلانية مفردات الاستلاب و الاستحواذ و النهب و السلب اى الرأسمالية المالية السامة Toxic Finance Capitalism او الفاحشة او التى تراكم بالنهب سمه ما شئت(ى) و تسويغها و تبريرها جميعا ضمنا غالبا و علنا احيانا وهى:

-مفهوم "طبقة الشعب" People's class:

-مفهوم "كل ما وطأته بطون اقدام" أعراب الشتات. و قياسا فقد بات حق آل يافيث-مثلهم مثل اعراب الشتات من نظائرهم الغربيين قاطبة- فى كل شبر وطأته بطون اقدامهم حريا بان يجعل لكنعان-بوصفهم خدام بنى اسرائيل-تنويعات بدورهم ما تبرح تتمثل تباعا.

-مفهوم رأس المال الهارب Flight Capital-اى الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب

وفيما يلى احاول تعريف أهم مفردات التوسع و الاستحواذ اجرائيا و فى السياق:

-الاكتشافات الجغرافية الكبرى:

ليس مفهوم الاكتشافات الجغرافية الكبرى افقى بمعنى جغرافى تماما. و ليست الاكتشافات الجغرافية الكبرى و حسب "اكتشاف" العام الجديد-الامريكتين و استرالاسيا-استراليا و نيوزيلندا و تاسمانيا و كاليدونيا الفرنسية الخ. ذلك ان التعريف الاجرائى للمفهوم من اسفل-اى من وجهة نظر المكشفين و لم يكونوا يرغبون فى ان يكتشفوا-يعنى الامتلاك و منه يأت مفهوم معين للملكية "الجماعية الخاصة". و ذلك تنويع غربى على المشاع بين الغربيين و حدهم. و يرادف معنى الاكتشاف مفهوم الملكية الخاصة-بمعنى ما اعرفه ب" المشاعية الخاصة" بالغرب وحده خصما على اصحابه الاصليين فكل ما يكشتفه الغرب يملكه. [154]

و قد تعين الاوربيون الغربيون و الاميركان من بعدهم على احتكار كل ما يتصورون او-و يدعون بالاحرى انهم اول من وقعت عليه اعينهم. و كان الغربيون قد تعينوا على احتكار الفلورة Flora و هى مجموعة النباتات فى اقليم او زمان اى بيان نباتى و مصدرها الهة الزهور عند الرومان و الفونا Fauna و هى مجموعة الحيوانات فى كل زمان او مكان معينين و سموا الاشياء و فصائل الطير و الحشرات و الحيوان و البحار والقارات و المدن باسمائهم بوصف انهم اكتشفوها. و كأن الموجودات التى يكتشفها الغرب لم تكن موجودة قبل اكتشافها. و قياسا كانت الرأسمالية عبورا بتنويعاتها السابقة على البرجوازية الصناعية قد استلبت ما قدر بخمس ارباع فائض انتاج البشرية المادى واللامادى و ابادت شعوب بكاملها تحت ألوية "الاكتشافات

الجغرافية الكبرى" و "الفتح" و "التنوير" و "التحديث". و ما تبرح الرأسمالية ما بعد الصناعية– العولمة–تفعل تحت الوية الدمقرطة الخ باسم بشرية–بيضاء داروينية انتقائية. و اعرف الدمقرطة تباعا بانه تسوية السكان الاصليين بالارض كلاعشب المحلوق لحساب المهاجرين و المستوطنين البيض و الصهاينة فى كل مكان.

و ما تنفك الشركات متعددة الجنسيات–بمعنى عابرة الجنسيات عابرة الحدود القومية– تمارس التجريب واعادة التجريب على البشر بشراسة تفوق التجريب على الحيوانات. وأعيد تعريف الشركات متعددة الجنسيات فامفصلها فى مفهوم الشركات عابرة الجنسيات Trans-national كونها تتجاوز جنسية كل من عدى جنسية اصحاب المال. و تعبر الاخيرة عن نفسها اكثر ما تعبر فى تجارة الماس والبلاتين والذهب و الفضة واليورانيوم و ايجار او ريع السلع الاستراتيجية مثل النفط و الغاز صناعة الكيماويات على الخصوص و فوق كل شئ فى بيع المال كسلعة. هذا و تتعين الشركات عابرة الحدود القومية و الجنسيات بالوصف اعلاه على صناعة التعديل الجينى بمعنى "اكتشاف" ما هو قائم فى الطبيعة فاحتكاره بما يطلق عليه حق الاختراع او الابتكار و كأن تلك الشركات لا تكتشف و حسب و انما تخترع كل ما هو موجود اصلا فتسيطر عليه مثله مثل الارض و البشر و الماء و الفضاء الخارجى الخ.

و يدفع ذلك الخاطر البيض و حلفائهم للتدافع متزاحمين على احتكار الفضاء مثلما احتكروا اعالى البحار منذ القرن الثالث عشر–فتملك اسرائيل مثلا 10% من مساحة القمر مسبقا. فقد باتت سكنى القمر ومستعمرات الفضاء تنويع فاشى مجدد على اكتشاف العالم الجديد وعنصرى على البوتوبيا.

ففيما تستهلك تلك المجتمعات فى كل الفصول ما لا تملك انتاجه فى كافة الفصول تفبرك شهية المستهلكين الغربيين على استهلاك ما لا تنتج من محاصيل من ينتج دون ان يستهلك تلك المحاصيل من محاصيلهم فى اى فصل مع بربرة حاجات المتنجين الحقيقية. و تأخذ اليوتوبيا ما بعد الرأسمالية فى اصطناع "بشرية" مختلقة بتعديل الافراد جينيا تباعا حتى تعمر الارض مخلوقات معدلة جينيا او مجتمعات معقمة خالية من الكائنات الدنيا التى تلوث الارض بالتناسل بجنون.

و لعل الرأسمالية ما بعد الصناعية تخلق بساتين الفضاء "التنويرية" الجديدة و تكتشف كواكب و اجرام تباعا لسكنى تلك الكائنات المعدلة جينيا من البشر الانقياء اطهار ممثلين لبشرية انتقائية. و ازعم ان مستعرات الفضاء المذكورة تنويعة على البشرية التى حلم بها الغرب الابيض "التنويرى" الذكورى و تحلم بها ما بعد الرأسمالية المثلية–المؤمركة بالطبع والضرورة. ففيما كانت البشرية الانتقائية بيضاء و ذكورية غدت البشرية الانتقائية ممتازة و لا تكترث للنوع Gender Blind او تدعى ذلك على الاقل[155]. وقد بات ارتياد الفضاء منذ منتصف القرن الماضى تنويع على الاكتشافات الجغرافية الكبرى للعالم الجديد

(الامريكتين) نهاية القرن الخامس عشر الى الثامن عشر(استراليا ونيوزيلندا 1776) و على التدافع نحو اقتسام افريقيا فى القرن التاسع عشر. ذلك ان اكتشاف و استعمار الفضاء من شأنه اعتاق "البشرية من طفولة طويلة". ما هو سفر تكوين تسويغ اجتياح العالم الجديد و كيف زوقته العقلانية المؤمركة؟

-***المقدر الجلى او البائن*** Manifest Destiny :

كانت امبراطورية المسكيك من المنعة و العظمة بحيث كان حكماء و مستشاروا زعيمها موتوزوما Montezuma (احيانا موكتوزوما Moctezuma) ينشدون ابهة و ازدهار عاصمتهم فائلين "من ذا الذي يملك ان يهز اركان السماء؟" وكانت الامبراطورية امنة يعيش شعب الازتيك بين ظهرانيها فى امان و رخاء على مر السنين. و لم يكن ذلك يعنى ان لم تكن مظاهر عنف طقسى او لم تكن البيئة تفاجئهم احيانا بتصاريفها المتذبذبة. الا ان احد لم يكن وقتها و لا حتى اليوم يملك القول او التهكن ان العنف القطسي او من اجل ذاته لم يكن امرا مألوفا في المجتمعات القديمة او الاحرى الحديثة اكثر من غيرها.

وكان زعيم الازتيك حلم بان احدا لن يتجاسر على مملكته و لم يكن الازتيك يعرفون شعوبا غيرهم سوى التيوتيوكان Teotihuacán الذى قضت على حضارته تصاريف الطبيعة فتعلم الازتيك منهم. و فى حلمه رآى ان بشرا لنالون من امبراطوريتة الا اله فى شكل حية مجنحة. و لما حط الفاتحون الاسبان بالسيف فى يد و الانجيل فى اليد الاخرى على صهوة جيادهم و بدروعهم و سيوفهم اللامعة تصور مونتوزومو انهم الالهة فلم يحاول الازتيك التصدي لهم و لم يكن مونتوزوما يعلم ان الذى سيأتهيم ليهزمهم فى شكل حية محنجة هو اوربى غربى خارج على القانون شاحب من الفقر و الجشع للذهب و النهب بلا حدود.

و لم يكن موتوزوما الذى كان يضمن تجدد الفصول Seasonal Renewal و هو الذى كان يجعل النهر يفيض و يضمن نضوج الحصاد فى اوانه لم يكن يدرك ان تلك الحية المجنحة ستأتيه فى صورة لن يتعرف عليها. فلم يكن الازتيك يدركون ان محض خارج على القانون سوف يدك مملكتهم الزاهرة و يساويها بالارض و ينهب ثرواتها الطائلة. و بذا سقطت اكبر امبراطورية فى غرب الاطلسي بدون اى مقاومة. و قد دفعت عدم مقاومة الازتيك للاسبان الى تصور ان الله معهم و ان ما قيضه لهم من الذهب و الثرواة بلا جهد لم يكن سوى القدر الجلي البائن.

و قياسا قد سوغ المهاجرون و الاباء الاوائل منذ حلول طوائف "الحجاج" Pilgrim و الطوائف البيوريتانية ارض العالم الجديد و احفادهم من بعدهم مفهوم الارض التى بلاصاحب بهاجس القدر الجلي البائن. و لا يزيد ذلك المفهوم عن تعالق عقلانية وتزويق مشروع التوسع الامريكي حتى اليوم. و كان الحجاج و التطهوريون يستدعون ما يسمى بالقسمة او المقدر البائن البادى

للعيان Manifest Destiny [156]–بمعنى كل ما هو قدر الهى لا يقاوم و لا سبيل الى نقضه من حق المهاجر الى العالم الجديد. قئد قام اديسون بتخطيط كافة الارض فى القارة الامريكية الغربية الشمالية الى مربعات كل منها حقل بعينه. و حيث ان المشروع لم ينجح بالطبع الا ان تلك التقسيمات ما تلبث باقية و يمكن رؤتها من الفضاء. المهم ان ذلك الحق من عند الرب و من ثم فلا راد له عقلا و لانه معقلن سلفا بهذا الوصف. و يصدر القدر الجلى عن عقلانية ممعنة اناقشها تباعا.

و من المفيد تذكر ان مفهوم القسمة او المقدر الجلى البادى للعيان كان قد تحدر عن مناخ كل من الهجرات شرقا و غربا ما بعد الحرب الاهلية الامريكية 1861–5. و كان العالم قد بات يعلن دقات مثول الاستقطاب جراء القسمة او المقدر الجلى البادى للعيان بوصف ان التوسع كان حريا بان يتمثل بوصفه قنبلة موقوته و لا فكاك. ذلك ان العالم كان قد بدا يشارف عالمين عالم الاغنياء وعالم المفقرين تباعا, و كان معظم الاخيرين مع ذلك و بسببه هم الشعوب غير الغربية التى كانت تجلس فوق ثروات طبيعية من المعادن النفيسة كالذهب و الماس و البلاتين و سلع استراتيحية كالنفط و اليورانيوم و خلافهما و بخاصة الماء.

و اجادل انه كلما كانت اقوام غير غربية تجلس فوق ثروات طبيعية بالوصف اعلاه كلما راحت الرأسمالية الغربية تدعى و لو سرا–انها هى صاحبة تلك الثروات بحق الفتح او والقسمة او المقدر الجلى البادى للعيان او بالتدافع او–و بتوسيع الفضاء الحياتى للشعوب الغربية. و كلما تفاقم التوسع كلما افقرت تلك الاقوام غير الغربية . فالمفقرين هم كذلك لانهم اغنياء بمقدراتهم الطبيعية و البشرية. و كأن افقارهم بجريرة امتلاك موارد طبيعية و ثروات وطنية لا يستحقونها.

فرغم ان زامبيا مثلا غنية بالنحاس و تملك نسبة عالية من نحاس العالم الا انها تعتبر افقر دولة فى افريقيا و ربما فى العالم[157]. و يتوالى هذا السيناريو متصلا فى كافة الدول الافريقية الغنية بالمعادن الاستراتيجية و المعادن النفيسة من زامبيا و جمهورية الكونغو و جمهورية جنوب افريقيا و ساحل العاج و مونروفيا وانجولا و السودان و غيرها مما يجلس فوق تلال من الماس و الذهب و الفضة و النفط و بحيرات من الماء. و تتضور افريقيا كي تنتج الورد و طعام الكلاب فتتصحر كينيا مثلا و تجف البحيرات فيما ترسل كينيا ورود الزينة و الازهار على متن طائرات يومية الى اوربا.

عقلانية المقدر الجلى و النزوع نحو التبدون:

أزعم من ما يسمى القسمة او المقدر الجلى البادى للعيان Manifest Destiny تخريج عن النزوع الاعرابى الدائم للترحل و الحلول و الاقامة بالتنكل By Default و الخروج بالتذرع Expediently نسبيا و فى درجات المقياس. فقد باتت القسمة او ذلك المقدر الجلى الباد للعيان تزويقا لحق الفتح Right of Conquest– الذى ذكرنا فى مكان اخر–مما ورثه المهاجرون الاوربيون الغربيون من انجلترا الى العالم الجديد من انجلترا فى القرن السابع و الثامن

عشر. وهو الى ذلك تنويع باكر على مفهوم الاستباق الدفاعى واعادة تشكيل العالم و دمقرطة الخصوم غصبا الخ و افقارهم حتى الموت. [158]

و كانت طوائف الحجاج و المهاجرين الاولين قد عرفت الفقر والعوذ و التشرد فقد تخرجت فى مدارس الاضطهاد العقيدى و الفكرى و التنظيمى, و بقيت تلك التجارب ماثلة فى الذهنية الشمال امريكية لوقت طويل. و لعلها ما تبرح ماثلة رغم القوة العسكرية و الاقتصادية الهائلة. فكل من لا يتفق مع امريكا ضدها و لعل الاخيرة اصيبت بقيروس اعراب الشتات من اتهام كل من ينتقدهم بانه معاد لهم. المهم كان اضطهاد جماعات البروتستانت البيوريتانيين و المسيحيين غير الملتزمين بمؤسسية العقيدة قد بلغ اشده عندما غادرت جماعاتهم اوربا–هولندا وانجلترا و البندقية الخ الى العالم الجديد. و قد يقول البعض أن انعدم الالتزام بمؤسسية العقيدة لا يعنى مخاصمة المسيحية. الا ان بعض الطوائف غير الملتزمة بالعقيدة المسيحية الغربية بمعنى Christendom كانت اما تضمر شرا او تتحور الى خصم للمسيحية Christianity نفسها مما نراه اليوم فى الافانجالية الانجلو امريكية و تنويعاتها.

و تدعى بعض طوائف اليهود ان كانت لها تجربة صعبة مع قبائل من فيزيقوط شبه جزيرة ايبيريا. و كان فيزيقوط اسبانيا كاثوليك متطرفين تمتزج كاثلوكيتهم بالوثنية. و كانوا معادين للسامية على نحو عنيف. و كان بعض يهود الامبراطوية الرومانية اللذين هاجروا الى شبه جزيرة ايبيريا قد لاقى من الفيزيقوط ما لاقى من الاضطهاد و العنت مما ترسب بدوره فى الذاكرة اليهودية. و لعله من المفيد تذكر ان تلك الجماعات و اعراب الشتات يعتبرون طوائف غير ملتزمة بمؤسسية العقيدة بل و حتى بالعقيدة نفسها الا بقدر ما تخدم مصالحهم عقلانيا, و من اهم ابطالهم و النماذج الدالة عليهم كل من فلاسفة العقلانية الاوربية الغربية المتأخرة من اباء صهيونية القرن التاسع عشر ومنهم آشر غرينبرج الشهير ب "احد ها عام" الى تلامذة الاخير امثال هيرتزيل و بن جوريون و غيرهما ان لم يكن الاباء الاوائل ممن يعود سفر تكوينه الى بابل و الامبراطورية الرومانية وصولا الى العالم الجديد. و كانت اهم الطوائف الامريكية الشمالية و اكثرها تشددا قد جائت من الجزر البريطانية.

و اركز علي انجلترا أكثر من غيرها حيث تأثر الانجلو امريكان بالطوائف لانجلوساكسون و غيرهم من سكان الجزر البريطانية. كما ان التجربة الانجلوساكسونية مشتركة بين الطوائف الهرطاقة و التجربة الانجلو امريكية فى العالم الجديد. فان تعينت كل من الطوائف الهرطاقة و الملتزمة بالعهد القديم على تحييد التنافضات الطائفية بين المسيحية الغربية و اليهودية بتنويعاتها الهرطاقة و الملتزمة بالعهد القديم فقد استوعبت الاخيرات بعض خصائص الانجلوساكسون و ذهنية الجزيرة و الصراعات الطائفية. و قد حمل المهاجرون من الجزر البريطانية سمات ثقافية و سياسية و غيرها ومن الاخيرة بذورا بيوريتانية تبشيرية افانجالية مما عبر عن نفسه فى اهم الطوائف التى ما انفكت ان باتت ذات خصوصية امريكية شمالية لا تشبه تنويعات الطوائف البروتستانتية الاخرى. على انه من المفيد مرة اخرى تذكر ان بعض

المؤرخين يثابر تكاذبا او عقلانيا وكلاهما سواء على القول بان امريكا كانت قد نشأت بقدراتها لابداعية الرأسمالية. و قياسا فتاريخ امريكا كان حريا بان يبقى نقيا و طوباويا بملكات الحجاج و التطهريين. و سوف يحاول البحث ان يفند تباعا احبولة قدرات امريكا الابداعية تلك كونها هى وراء بزوغ امريكا و هيمنتها على العالم بتلك القدرات وحدها.

على أنه و مهما كان الامر فقد اخذت الافانجالية عن الانجيلية الانجليزية التى بقيت اقرب الى و ربما تشويها للكاثوليكية منها كما اخذت الافانجلية بتظاهرات السلطة الملكية. ومن المفيد تذكر ان الكنيسة الانجليزية كانت فى السردية الرسمية رد فعل رسمى شكلى على البابوية حيث يتم الادعاء بان رفض البابا السماح له بتطليق زوجته و الزواج من اخرى كان وراء خروج العرش الانجليزى عن البابوية. المهم ادى ذلك بدوره الى نشوء الطوائف المنقسمة على او العاصية للكنيسة الكاثوليكية مما اعتبر بدوره سفر تكوين البروتستانتية او الكنيسة الانجليزية كما نعرفها حسب السردية الرسمية.

ورغم ان الانجيلية الانجليزية بقيت اقرب الى الوثنية بطقوسها و تقاليد و تمثلات ابهة بدائية فطيرة فى مراسيم التتويج و اليوبيل و الزيجات الملكية و افتتاح الملكة للبرلمان و شعائر المحاكم و ازياء القضاة و المحامين و الحرس الملكى الخ الا ان شرائح السلطة الامريكية ما تبرح تنزع الى بديل للعرش الانجليزى. و تستدعى امريكا تفسيرات رانية الى الوراء حول علاقة الفرد بالسلطة فتكاد الاحوال الشخصية الفردية الامريكية العادية ازاء السلطة و مفهوم العامة تعكس تباعا تنويع على البليبس Plebs الغوغاء فى كل من روما و البندقية. فما هى تداعيات اسطورة الاباء لاوئل و الحجاج الالعالم الجديد؟

المقدر الجلى المعولم: سفر تكوين عقلنة التوسع الامريكى:

كانت طوائف الاباء الاوائل من الحجاج المهاجرين قد هبطت شواطئ العالم الجديد مسلحة و لم يقاومها السكان الاصليون. بل الواقع ساعدها السكان الاصليون و تبرعوا بارشادها الى كيفية زراعة بعض المحاصيل والصيد و استضافوها ما ان هبطت شواطئ العالم الجديد. فقد كان احساس المهاجرين بالخطر والعزلة امام السكان الاصليين مختلقا. ذلك ان ادعاء المهاجرين انهم أقلية رغم ان العكس كان صحيحا–لم يزد على تزويق مغامرتهم و جعلها تبدو وعرة و مليئة بالمخاطر ثوابا فى الرب. فان لم يكن السكان الاصليون اغلبية الا انهم كانوا مسالمين و لم يكونوا مسلحين و لا فكروا فى الاضرار بالمهاجرين بل رحبوا بهم و ساعدوهم.الا ان الحجاج و المهاجرين والغرباء الذين صحبوهم كما ذكرنا فى مكان اخر ثابروا على استدعاء ميثولوجيا مواجهة المجهول وكأن السكان الاصليين تربصوا بهم.

وقد راح المهاجرون و طوائف الحجاج و البيورايتيين البروتستانت من الجماعات المنشقة على الكنيسة الكاثولثيكية و الغرباء الذين صحبوهم يزوقون مهجرهم و كأنه حصار و ان عليهم مواجهة عدو ماثل تسويغا للهجوم على السكان الاصليين كافضل اسلوب للدفاع. الا ان التبرير للهجوم على السكان الاصليين تمهيدا لاستئصالهم او ادعاء المهاجرين الدفاع عن انقسهم امام السكان الاصليين لم يكن اي منهما واردا. ذلك ان ادعاء الحجاج الدفاع عن انفسهم امام السكان الاصليين لم يزد على تنويع باكرعلى

الاستياق الدفاعى. و لعل ادعاء الحجاج الدفاع عن انفسهم سفر تكوين عقلانية أحبولة الاستباق الدفاعى.

فقد كان المهاجرون الاوربيون و الغرباء يتحينون الفرص للاستيلاء على اراضى السكان الاصليين فى مشروع توسعى استيطانى فوق أرض بلا صاحب. و كان تسويغ ذلك المشروع و عقلنته بالاحرى وراء تحويل ارض السكان الاصليين الى ارض بلا صاحب بابادة السكان الاصليين فالاستحواذ على ما فوق اراضيهم معا. ذلك انه رغم تعاطف السكان الاصليين مع الهاجرين و مساعدتهم الا انه ما ان رسى الحجاج و من معهم من الغرباء فوق شواطئ بليموث الامريكية حتى استولوا على صوامع غلال السكان الاصليين.

ومع ذلك و ربما بسببه بقيت طوائف الحجاج تدعى التقوى و ان مشروعها الهى و قد راحت فى بداياتها تتكفئ على قراءة الانجيل و تفسيره بحرفية اصولية لا تقبل الجدل و قد راحوا يدعون ان الانجيل الهمهم مشروعهم الالهى ذاك وان الرب هو الذى هداهم الى ارض الميعاد تلك. و قد اورث المهاجرون و الحجاج و الغرباء على الخصوص اباء امريكا الاوائل اصولية ذهنية كل من تطلب مشروع ارض الميعاد تلك الى ادعاء تعالق مشروعهم و وجودهم على تلك الارض اصلا كونها وظيفة العناية الالهية بوصفهم "امة مباركة".

و من المفيد تذكر انه حتى اذا باتت الكنيسة فى بريطانيا مثلا واحدة من المؤسسات المبذولة للفرد كخيار و ان العلاقة مع الكنيسة والرب باتت من الضعف بحيث يصح القول احيانا ان العلمانية عمت بعض المجتمعات الاوربية الغربية الا ان محض اللغة و المعمار–حيث اكبر واعلى و ابهى بناء فى اى مدينة صغيرة يبقى الكاتدرائية قيمن بان يقول الكثير. و حتى المسرح و الفن ما بعد الحداثى نفسه لا يخرج عن اما التعبير عن المسيحية او– و رد فعل عنيف عليها فلا يتجاهلها ابدا. فجذور كل شئ ثقافى و فنى وحتى اقتصادى يصدر عن المسيحية الغربية و بخاصة بعدما باتت مسيحية يهودية بلا فكاك. و تبقى امريكا–اكبر و اقوى دولة غربية حتى الان–اكثر المجتمعات تدينا و يبدأ كل شئ بالصلاة وصولا الى افتتاح سوق المال كل صباح او اغلاقه كل مساء.

فرغم ادعاء فانتحال امريكا العلمانية و فصل الدين عن الدولة الا ان امريكا تظل اكثر الشعوب الاوربية تدينا مما ينعكس على سيرة معظم رؤسائها. وكانت افكار افانجلية متطرفة مشابهة نشأت فى القرن 19 وكان روزفيلت مسيحى "ورع" و لم تكن ميول نيكسون المسيحية الغربية خافية[159]. وأجادل ان سفر تكوين او فيروس التطرف كان قد تحدر عن جماعات المهاجرين الاوا[160]ئل و قد جاؤوا العالم الجديد بطوائف لم تلبث ان باتت متطرفة او–و خلقوا بعدا متطرفا فى الطوائف التى جاؤوا بها الى العالم الجديد. و فيما يلى مفدرة اخرى من مفردات الاستحواذ و العقلانية مما يصدر بدوره عن اداعاءات اوربا الغربية :

–عقلانية فضاء تقدم الامة الالمانية و العبودية:

نشأ مفهوم الفضاء الحياتى Lebensraum الالمانى باكرا فى نهاية القرن التاسع عشر قياسا على القسمة و المقدر الجلى و على حق الفتح عبورا بالاكتشافات الجغرافية الكبرى. فقد كان فريدريك رتزيل Ratzel قد نحت ذلك المصطلح باكرا فى 1897 و قبل قيام المانيا النازية. فمفهوم الفضاء الحياتى اسبق بكثير من مشروع هتلر فى القرن العشرين. الا ان النازى كان قد مفصل بدوره مفهوما للتوسع اسماه "فضاء التقدم" اى الامتداد الافقى للتوسع الالمانى حيث كان التوسع الرأسى يتعين على احلال الاجناس الممتازة فوق اراضى من عدى الاخيرة.

و قد بات مفهوم الفضاء الحياتى Lebensraum مكون محورى فى الايديولوجية النازية كما بات المفهوم مبدأئى لدى هتلر و قد تحدث هتلر فى كتابه "حياتى" Mein Kesmpf عن الفضاء الحياتى اللازم للشعب الالمانى ذلك المفهوم الاقدم من المانيا النازية. و تدفع ممارسات الفضاء الحياتى بهذا الوصف الى توفير مجالات اوسع و اوسع لنمو الامة الالمانية بمزيد من الارض و المواد الخام و العمل العبودى. لعل ذلك الفكر ترجع فى المستوطنات و فكر التوسع "الطبيعى" للمستوطنين الاسرائيليين كلما تكاثروا وتيسيرا لتكاثرهم متجمعين فى مستوطنات خصما على الفلسطينيين. و كانت خطة النازى هى ابادة الاجناس السلافية–غير الآرية–على غرار ابادة السكان الاصليين للعالم الجديد فى الامريكتين و استراليا و نيوزيلندا و تاسمانيا و كاليدونيا الفرنسية او الافارقة فى المستوطنات الافريقية البيضاء و الفلسطينين لخلق فائض زراعى لغذاء الالمان–تيسيرا لاعادة نشر الالمان و الانجليز فوق اراضيهم.

و كانت خطط التوسع تشمل القضاءء على السكان الاصليين ريفيين و حضريين. بل كان الريفيون غالبا ما يخصصون للعبودية ما لم يستورد غيرهم فى تجارة رقيق معلنة او فى عمليات تهجير–تسفير Transfer– قهرية لا معنلة. و كان التسفير غير المعلن يعبر عن نفسه فى تدفق الفلاحين البولنديين او هجرتهم القسرية فى وجه المجاعة او–و العطالة الريفية الى مدن المانيا الشرقية. و قد حدى ذلك بانشاء مشروع لدراسة ما سمى بالمسألة البولندية The polish Question و كلف ماكس فيبر–1864–1920– بكتابة تقرير حوله بعنوان "الاقتصاد الزراعى" فى 1980.

و كان الالمان و الاوربيين الشمال غربيين يعتبرون السلاف عبيد. فقد كان الفكر الكلاسيكى قد اعتبرهم كذلك و تأت مفردة عبد Slave or Escalave باللاتنية و الانجليزية على التوالى من سلافى. هذا و المعنى الحقيقى و ليس الاستخدام الدارج–الذى يعصف بالمعنى الحقيقى للكلمة–فى الانجليزية هو اقتلاع الناس من مواطنها و ترحيلها قسرا غالبا الى اماكن اخرى غير مرحبة غالبا ايضا مما كان يؤدى غالبا الى ابادتهم. و لا يغفر السلافيون ذلك الارث التاريخى فى علاقة الاوربيين الشمال غربيين بالشعوب الاوربية الشرقية و لا سجل الصراع بين الكنيستين الكاثوليكية الغربية و الاورثوذوكسية الشرقية حتى وقت قريب. و ازعم ان مثل ذلك المنوال كان حريا ان يؤلف بعض عوامل سقوط المنظومة الاشتراكية مما لا ينساه بعض الاوربيين الشرقيين رغم كل الهيجان و الفورة العاطفية الباكرة.

المهم كان الحضريون من السلاف مستهدفين للابادة بالمجاعات و بالترحيل القسرى حيث كان النازى يخطط لاحلال الطبقة الالمانية العليا مكان السكان الحضريين السلافيين.

و كان راتزيل يقول ان الشعوب المتقدمة جديرة بالبحث عن و الاستحواذ على فضاءات اوسع و اوسع و ان التوسع فى ارض الغير مسألة طبيعية و ضرورية و من شيم الاقوام الراقية المعافاة تيسيرا لبناء الحضارة الانسانية. و كانت تلك الفكرة وراء حروب اوربا حتى الحرب العالمية الاولى. فقد كان مفهوم الفضاء الحياتى تمثلا لمشروع فرنسى بريطانى مكافئ كانت بريطانيا و فرنسا قد صوغتا او عقلنتا به التوسع بحق فتح كل ما وطأته بطون اقدامهم هم وصولا الى تقسيم اسيا و التدافع نحو افريقيا.

و لعل من دواعى تكريس مفهوم مشاعية الارض فى النمط الشرقى او الاسيوى ما حرض النهابين عقلانيا بالوصف اعلاه على الاغارة على اراض اصحاب الارض المشاع حلال على النهابين. و لعل ذلك يفسر عقلانيا كيف و لماذا لم يتعين التوسع و لا تعين الاستعمار على ترسيم حدود محددة لاى مستعمرة و ان حدود فلسطين مثلا لم تعرف و غاب حرف التعريف فى النص المشهور. فرغم ان القوانين الدولية كانت قد نصت على التخلى عن الاراضى التى يتم الاستيلاء عليها بالقوة و ردها لاصحابها الا ان شيئا من ذلك بقى نادر الحدوث. فما هى مغبة هجرة الحجاج و الغرباء من رفقاء رحلتهم الى العالم الجديد على اراض السكان الاصليين؟

حق الفتح والتدافع لاقتسام افريقيا كونها بلا صاحب :

تساوق مفهوم حق الفتح Right of Conquest بمعنى التوسع فى اراضى من عدى الاوربيين الغربيين بعد ان كان الاوربيون قد حاولوا التوسع فى اراضى بعضهم حتى القرن الخامس عشر. و كانت غاية التدافع هى ازدهار اقليات اوربية غربية خصما على ما عداها. و بقيت رشوة العامة بمثابة التجديف بحق الرأسمالية. الا انه كان على الاخيرة رشوة بعض فئات او حتى طبقات فى المترولوليتانات حتى تيسر شرط كل من الاستقرار الاجتماعى و تنفى شرط السخط و الانتفاضات المدمرة و تضمن انقياد اكبر عدد من مواطنى العوالم الغنية وراء السياسات الاقتصادية و العسكرية فى الامتدادات. يلاحظ الناس ذلك فى كل مكان بشأن سياسة امريكا الشمالية فى امريكا الجنوبية و فى الشرق الاوسط و فى اسيا الوسطى و منطقة القفقاز و بحر قزوين و فى البلقان و افريقيا و فى جنوب شرقى اسيا وصولا الى الحرب على افغانستان و العراق الخ.

وكان مفهوم التدافع نحو و من اجل اقتسام افريقيا Scramble for Africa بين دول اوربا الغربية قد تساوق و عشية الحرب العالمية الاولى. وكان التدافع من اجل التوسع فى اراض اعتبرت بلا صاحب–كون تلك الاراضى و المجتمعات المقتسمة بين الاوربيين لم تكن تعرف الملكية الخاصة. فقد كان المشاع و ما يبرح مفهوم غير معروف لدى الاوربيين الغربيين. و يقول الافريكانر مثلا فى مواجهة قانون اصلاح الاراض بمعنى اعادة الارض الى الافريقيين

بوصفه حقا تاريخيا و من حقوق الانسان يقول معظمهم ان الافريقيين لم يملكوا الارض يوما بل كانوا يترحلون متنقلين فوقها فى حين ان الافريكانر و الملاك البيض اشتروها و بقوا بفلحونها على مر السنين و انهم على استعدادا للدفاع عنها بوصفها ملكيتهم الخاصة بكل وسيلة وصولا الى رفع السلاح. يقول ذلك الفلاح الابيض و هو يحمل سلاحه و لا يخفيه و لا يخفى نيته فى استخدامه. و يقول احدهم انه يحب تلك الارض و لن يتخلى عنها وهو الى ذلك غير مستعد لتعويض الافريقى. و يرى بعضهم ان مطالبة الافريقيين بالارض استلاب و استحواذ غير قانونى Misappropriation و يشارف ما يسمى انتزاع الارض Land Grab عنوة. و يدرك المزارعون البيض ان المؤتمر الافريقى القومى لا يملك قوة ازائهم رغم انهم اقلية تملك اغلبية الاراضى[161]. و يقول الجنوب افريقيين ان الارض هى و كانت مأواهم و مقر اجدادهم و هى بالنسبة اليم بمثابة البيت الذى يعيشون فيه و لن يقبلوا ان يطردوا من بيوتهم التى عاشوا فيها و اجدادهم من قبلهم و سيموتون فوق ارضهم و من اجلها.

و قياسا يبقى اقرب مفهوم غربى للارص المشاع هو مفهوم الارض التى يسمح صاحبها سواء كان العرش او مالك خاص للمارة باستخدامها او التمتع بالتمشى فوقها وحسب و قد يسحب المالك الخاص ذلك الاذن احيانا وتسمى بارض العموم Commons.

و من المفيد تذكر ان رشوة اغلبيات الغربيين العاديين لا تقيض بسوى الخصم على من عدى الغرب فى كل مكان. و كان حق الفتح و التدافع من اجل اراض جديدة قد صوغ منذ القرن 16 اى منذ وصول المهاجرين الى العالم الجديد. وكان المدافعون عن الحق–المشاع فى الارض– المستحوذ عليها بالقوة يجأرون بان ليس ثمة سبيل الى مقاومة حق اصحاب الارض المستحوذ عليها الا بالسلاح. و قالوا ان ذلك من شأنه ان يشجع العنف. و قد ثابر النهابون على القول بان عدم الاعتراف بالحق المنتزع بالقوة مسألة لا تتسم بالعقلانية و دونها الحرب و العكس صحيح. فكأن الاستحواذ على ارض الغير و حق الفتح و التدافع نحو اقتسام افريقيا مثلا ليس عنفا فى قاموس العقلانية الغربية.

و من المفيد تذكر ان مفهوم الملكية الخاصة يعود الى الاقطاع الغربى مزوقا فى الدفاع عن الملكية ازاء كل من الاقنان البارونات و الامراء الاقطاعيين الاخرين و بخاصة العرش و الكنيسة. و كانت حروبا قد اشعلت وراء تكريس ذلك المفهوم والدفاع عنه بين البارونات و العرش و بين الامراء الاقطاعيين و انفسهم و بعضهم. و يفسر ذلك الحرص الغربى على الملكية ما يحوطها بصورة تشارف الهوس. و قياسا فقد ارتبطت الملكية الخاصة بملكية السلاح للدفاع عنها مما يلاحظه الناس فى قوة لوبى حمل السلاح فى امريكا فيثابر المرشحون على الجأر باحترام حق الامريكى فى حمل السلاح. و كان حمل السلاح الذى زوق فى الدفاع عن

الملكية الخاصة عبارة عن حمل السلاح من اجل دفاع كل ولاية عن حدودها قبل الاتحاد. و يذكرك ذلك بذهنية المستوطنين الاسرائيلين.

و يحمل الاخيرون السلاح دفاعا عن ارض استحوذوا عليها بقوة السلاح و يزودون عن حدودها غير المعرفة و القابلة للتحور بصورة مستمرة بالسلاح. و ليس صدفة ان لجمعية السلاح الامريكية سطوة و كان من اهم رؤسائها و المدافعين عن حق و حرية حمل السلاح بضراوة هو تشالتون هيستون النجم الهوليوودى الذى مثل بين هور و كافة الملاحم المتصلة بسردية اعراب الشتات ابان الامبراطوري الرومانية. و قد توفى هيستون الاسبوع الاول من ابريل 2005. \ و عندما ملك اغلبيات الناس العاديين عقارا غب الحرب العالمية الثانية استدعت ملكية ذلك العقار المفهوم الرأسمالى ما بعد الصناعى للملكية الافتراضية جراء نظام الائتمان الذى يخصم على الملكية الخاصة حتى يسدد ثمن العقار و كأن مالك العقار رهين لصاحب المال مثلما كان القن رهين لصاحب الارض او العبد لسيد العبيد.

المشروع الصهيونى التوسعى الاستيطانى الكبير:

اجادل ان الصهيونية بوصفها مشروع توسعى استيطانى استحواذى غايته كل من الارض و الموارد و المراكمة بالنهب ليس سوى واحد من تنويعات المفاهيم المزوقة اعلاه مثل الاكتشافات الجغرافية الكبرى و القدر الجلى و حق الفتح والفضاء الحياتى والتدافع من اجل افتسام الارض خصما على اصحابها. و ازعم ان المشروع الصهيونى نشأ باكرا و قبل القرن التاسع عشر و بقى مثله مثل معظم المفهومات التى تزوق ما ورائها بغير اسم. و كانت تنويعات الصهيونية قد تحورت و لم يلبث اخر تحوراتها ان عبر عن نفسه صراحة فى مشروع الدولة العبرية. و مع ذلك و بسببه ما يبرح مفهوم المشروع الصهيونى غير معرف الابقدر ما ينسب الى مطامع الدولة العبرية فى فلسطين. وحيث ان اى محاولة لتعريفه تواجه بتهمة العداء للسامية و بئس المصير فان المفهوم الحقيقى بقى متستر عليه متسارر و يرفض التعريف مثله مثل كافة المفهومات المريبة الغشاشة التى تعمر مسار "التطور" و "التقدم" Progress الغربى و اسرائيلى على الخصوص.

و يصدر المشروع عن كافة غايات مشاريع النظائر المذكورة اعلاه و يتواطأ مع اصحابها و يتمأسس فوق التسفير لخلق شرط الارض التى بلا صاحب مثله من نظائره المذكورة. و يعود مفهوم ارض الميعاد الى المفهوم الصيهونى بهذا الوصف. و لم يكن مفهوم ارض الميعاد موجود فى فكر بعض طوائف اليهود او فى الفكر او المخيلة الغربية حتى وقت قريب. الا ان المفهوم لم يلبث ان نشأ و انتشر بين جماعات عديدة فلم يكن وقفا على بعض طوائف اليهود وحدها. فقد ادعى الاباء الاوائل او الحجاج الى العالم الجديد من الامريكتين الى استرالاسيا ان ما هبطوا فوقه هو ارض الميعاد. كما زعم الافريكانر و البوير ان و جنوب افريقيا ارض الميعاد. و كان

بعض المستوطنين البرتغاليين يجأرون بان افريقيا البرتغالية ارض ميعادهم هم ايضا. و قد عبر مفهوم ارض الميعاد عن نفسه فى طبيعة الرب الذى يغدو بهذا الوصف الها متحيزا عنصريا ظالما اذ يعد شعبه بارض غيرهم. و ارض الميعاد تنويع على المراكمة بالنهب. و يستقر مفهوم ارض الميعاد فى مسام الرأسمالية بخاصة المالية التى تراكم بالنهب كما ذكرنا فى مكان اخر. فتلك التنويعة من الرأسمالية تستبيح مال غيرها حلالا على اصحاب المال الذى يراكم بالنهب خصما على غيرهم مثلما يستبيح مفهوم ارض الميعاد ارض من عدى الموعودين بالارض. و تتمثل التنويعة التاريخية المعروفة لمفهوم ارض الميعاد فى المشروع الصهيونى الذى يستبيح حق غير المدعين للارض كالمستوطنين الاسرائيليين مثلا. فمعظم الاخيرين لاجئ اقتصادى مثله مثل الاباء الاوائل و الحجاح و المهاجرين الى العالم الجديد و ليس يهودى حتى. و قد احتكر المستوطنون بهذا الوصف السلطة و الجيش و الخدمة المدنية الدولة العبرية رغم انهم لم يكونوا بداءة يهود بل يجدون مقاومة من الطوائف الاخرى. و ما تبرح علمية عملية يهودتهم تواجه بمعارضة و صعوبات كبيرة.

الحق فى الارض و بدونة فاسترقاق اصحاب الارص التى بلا صاحب:

بات حق المعتدى–ممن بتجاوز مفهوم الملكية الخاصة–منذئذ و تباعا على صاحب الارض الاصلى–و ما يبرح يتمثل فى الشروح على متون القانون الدولى. و رغم ان العولمة لم تعد معنية بالارض الا بقدر ما تستخرج ما فى باطنها من المعادن النفيسة و الاستراتيجية و الماء الا ان الارض تبقى فضاءا للعمليات العسكرية والاقتصادية وللغزو الثقافى على الخصوص. و يقول مفهوم التدافع بان الاقرار بالواقع غب التوسع و كوظيفة للتوسع–من شأنه ان يكرس السلم و الاستقرار. واجادل ان اهمية هذا المفهوم تعود الى الصورة التى تشكل بها العقل الغربى منذ الاكتشافات الجغرافية الكبرى و ربما منذ الصليبيات. ذلك انه ليس ثمة سبيل الى فهم ذلك العقل و العقلانية الغربية بسوى ادراك فالانطلاق من حقيقة ان العقل الغربى كان قد شكل على ضوء و فى مناخ "الاكتشافات لجغرافية الكبرى" و ان الاخيرة اوهمت الغربى انه يملك البسيطة و ان كل شئ فوقها من حقه و ليس عليه سوى ان ينتزعه باى صورة يرى من الخداع الى القتال. فالمعنى الحقيقى للاكتشاف هو الاستحواذ فكل ما يكتشفه الغربيون يملكونه. و يمكن قياس ذلك على مفهوم ما اعرفه بادعاء فانتحال اعراب الشتات ل "كل شبر وطأته بطون اقدامهم".

و بالمقابل فعندما يرى نقاد او المعترضون على حق الغربى فيما هو مستحوذ عليه بالعنف–و قد بات بمثابة امر واقع– فى انتهاك حدود الغير–عملا غير مشروع فان اؤلئك النقاد و المعترضن لا يجحدون على الغربى حقه المطلق ذلك وحسب و انما قد يشجعوا على و يؤيدوا رد الفعل على ذلك الحق. فرد الفعل بهذا الوصف غالبا ما يعنى خروج اصحاب الحق المستحوذ عليه فى الارض التى بلا صاحب للقتال دفاعا عن ارض لم تكن يوما معرفة بصورة كاملة[162]. فكل ما هو على الشيوع بين اهله–وهو ما

لا تستوعبه العقلية الغربية مما كان حريا ان يغدو مكونا للذهنية فالعقلانية الغربية–يغدو فيما يبدو حلالا على كل مستحوذ على الارض و ما عليها خصما على اصحابها الاصليين.

و قياسا فقد كان استحواذ المهاجرين الى العالم الجديد على ارض السكان الاصليين مسوغا بكون السكان الاصليين لا يملكون الارض ملكية خاصة فالارض من ثم بلا صاحب مرة. و مرة ثانية لان السكان الاصليين لا يعرفون الملكية الخاصة فاراضيهم و ما عليها مشاع و من ثم فهى بلا صاحب. و يستحق السكان الاصليون مرةثالثة قدرهم كون الاخيرين ليسوا بشرا كونهم اعداء الرب و المسيحين. و كان السكان الاصليون قد أصيبوا باوبئة جاء بها الاوربيون الغربيون مما قضى على معظم السكان الاصليين و لم يبق مثلا من بعض قبائل امريكا الشمالية اكثر من ذكرين فلم يلبث الاوربيون ان راحوا يشيعون ان تلك البلاد خالية من السكان. و حتى من بقى بها من الذين كانوا بها لم يكونوا حريون بان يعدوا بين المتحضرين Civil People و المتمدينين و من ثم فهم ليسوا بشرا جديرين بالحياة داروينا. ذلك ان غياب الملكية الخاصة بين تلك الاقوام يسوغ مرة رابعة استعبادهم كما استعبد الغربيون الافارقة كون الاخيرين بدورهم اصحاب اراض مشاع بينهم ليس لاى منهم–الا ما خلى السلطان و الملك و الفرعون– عليها حق.

و ازعم ان الاوربيين الغربيين يستدعون مفهوم العبودية من غياب الملكية الخاصة مما تمأسس عقلانيا فوفه الرق المنفول. قالرق المنقول و غياب الملكية الخاصة بقيا و ما يبرحان–فى الذهنية الغربية – شارطين لغياب الحق فى الحرية. و قد بقيت الملكية الخاصة شارطة لحق الاقتراع فى اوربا الغربية نفسها فى اسكتلندا حتى الحرب العالمية الاولى و فى ايرلندا حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وحيث ان الحرية للاحرار من الاقوام النبيلة او–و الشعوب المختارة–فقد تعين الاوربيون الغربيون كمثل ما فعل اعراب الشتات على اعتبار كل من عداهم عبيدا لهم. ذلك ان الهة اعراب الشتات باصولها الهيلينية و الخزرية لا تعرف سوى استرقاق كل من عداها مما جاء فى كتبها المقدسة. فكيف تعقلن الرأسمالية العبودية و كراهية الشعوب و تتمأسس فوقهما مع ذلك رغم و ربما جراء تخاتل النظريات الليبرالية و الماركسيولوجية بشأن مراحل تطور المجتمع؟

تعالق عبودية الارض التى بلا صاحب و نمط الانتاج الشمال امريكى:

يقول ماركس ان الفرد سواء قنا او عبدا "يحرر" من ملكية وسائل الانتاج الا ما خلى قوة عمله لدى الرأسمالي. و ان هذا التحرر يقابله سعى الرأسمالي لخلق العمل الاجير. و قد سعت تجربة العالم الجديد على تحرير العمل الحى من وسائل الانتاج:

–مرة بتجارة الرقيق و استخدام الاخير فى الزراعة فى الجنوب

–ومرة اخرى باستلاب العمل فى الشمال من وسائل الانتاج فلم يبقى للعمل الحى المحرر من ملكية وسائل الانتاج سوى قوة عمله.

و رغم ان الحلم الامريكى يتمأسس فوق وفرة الارض بصورة كافية بحيث يملك كل فرد ما يعفيه من العوذ بل يسنده فى رحلة الوصول الى اى مرتبة فى المجتمع. الا ان ذلك الادعاء لم يلبث ان ثبت ختله و اكثر. فقد باتت اغلبيات الامريكان و قد "حررتها" الرأسمالية ما بعد الصناعية اى المالية التى تراكم بالنهب التى تراكم ببيع المال كسلعه من ملكية اى شئ الا بقدر ما يتعين الفرد على العمل فيما يشارف السخرة ليدفع فواتيره و رهن عقاره و مصروفات ابنائه و علاجه الخ. فقد بات كل ما يملك الفرد مرهون لجهة ما بالدين الفردى تماما مثلما كان حال الفلاح و قد ارتهن بالمديونية الريفية على مر التاريخ المسكوت عنه.

و كان المسيحيون الغربيون و الغرباء المهاجرون الى العالم الجديد قد وصلوا العالم الجديد بارث القن و لم يكن الفرد الاوربى قد حرر من الرق المنقول مع صاحية او القنانة المنقولة مع الاقطاعى. و قياسا فقد كان المسيحيون الغربيون و الغرباء المهاجرون معهم الى العالم الجديد حريون بهذا الوصف ان ينشئوا ما اعرفه بنمط اللا انتاج الشمال امريكى. فقد كان نمط اللا انتاج المذكور حريا بان يصدر عن كل من:

1-تجربة الغرباء المهاجرين بالوصف اعلاه

2-مفهوم الارض التى بلا صاحب فى كل مكان.

3- تعالق تلك التداعيات و كل من انجلترا و هلندا اكثر من غيرهما كانتا تصدران عن البندقية و ازعم ان ما اسميه نمط اللا انتاج غدى ذو خصوصية تاريخية ثقافية معينة. فهو محصلة تجربة المهاجرين والغرباء منرفقاء رحلتهم فى العالم الجديد ويتمأسس فوق استيراد العمل الحى رقيقا من اراض بلا صاحب بدورها فيما وراء العالم الجديد. و من المفيد تذكر تعالق مفهوم المشاعية و نمط الانتاج الشرقى مما اناقشه عقلنته تفصيلا فى بحث اخر. فقد كانت الملكية المشاعية فى المجتمعات غير الغربية و ما تبرح تسوغ الفتح و الاقتسام للاوربيين الغربيين و رفقاء رحلتهم الى العالم الجديد مرة بعقلنة فكرة ان المشاعيات لا صاحب لها فهى ارض بلا صاحب تستحق ان تطور فترقى الى مرحلة اعلى بتكريس الملكية الخاصة.

ذلك ان مفهوم المشاعيات يسمح للغربيين استدعاء الدليل على تخلف مجتمعات لم ترق بعد الى مرحلة الملكية الخاصة مما يسوغ او-و يخلق شرط عقلنة احتلالها بغاية "تطويرها" لالحاقها بركب الحضارة الغربية تكاذبا. الا ان الغربيوين ما يلبثون يروحون يسترقون اصحاب تلك المشاعيات فى العمل عليها مثلما يحدث فى موزانبيق و افريقيا الجنوبية من تانزانيا الى جمهورية جنوب افريقيا حتى ما بعد الاستقلال و غيرها جراء خصخصة الارض المشاع و فى المستوطنات الاسرائيلية حيث يعمل الفلسطينيون فى تعمير و بناء اراضي فلسطينية لحساب المستوطنين باجر يشارف السخرة.

و حيث المهاجرون قد خلقوا كما ذكرنا فى مكان اخر نمط لا انتاج ذى خصوصية تاريخية ثقافية معينة تتميز بهجرة الثروة من كل مكان الى كل مكان فقد خلقت تلك الخصوصية علاقات عمل يهاجر بدوره من كل مكان الى كل مكان. و ازعم ان شرط خصوصية ما اعرفه بنمط اللا انتاج الشمال امريكى–قد باتت عولمية بهجرة البشر والرساميل من كل مكان الى كل مكان و هجرة العمل المسترق بتجارة الرقيق العولمية. و قد تمأسس نمط اللا انتاج المذكور على تلك الشروط فتلك خصوصية انماط اللا انتاج حيث كان مفهوم المراكمة قد اتصل بالثروة و السلطة بوصفهما وظيفتا الهجرة. كما تمأسس نمط اللا انتاج المذكور و قد بات عولميا مجددا على مفهوم علاقات عمل تتطلب بدورها هجرة داخلية ترحلا من كل مكان الى مكان. على ان اهم تنويعات المراكمة و اخطرها هى ما اسميه رأس المال –الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب بشرط وجوده و تحقق مصلحته.

فرأس المال –الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب– يهرب كونه مبدون بطبعه لا يستقر بل يخرج مخلفا وراءه الخراب والدمار منواليا. فرأس المال–الرأسمالية المالية التى تراكم بالنب تنويع اكثر تنويعات المراكمة الرأسمالية تناقضا مع ادعاءات الرأسمالية مشروع منصف يخلق شرط الحراك بين الافراد والمساواة وصولا الى تحقيق الفرد لحدود امكاناته القسوى و امانية فى الثروة وحقه فى السعى الى السعادة و النجاح.

تكريس المال الغجري و اصحابة شرط افقار غلبيات منتجي الفائض فى كل مكان:

اجادل فيما يلي و قد جادلت تباعا أن هروب رأس المال منواليا من كل مكان الى كل مكان خارج المجتمعات الغنية و المفقرة جميعا فى المقياس المدرج يبقى عائقا موضوعيا اذ يقف وراء افقار الاغلبيات فى كل مكان. فرغم و ربما بسبب كون تلك الاغلبيات المفقرة هى التى تنتج الفائض و تخلق الربح و الفائدة الا انها بتقى خارج اعادة التوزيع ان وجد. وقياسا فان خق شرط الذراية بتلك الاغلبيات و الصاق التخلف العقلى و الفكرى ببها يسوغ الاستحواذ على فائض عملهم بجريرتهم. فكيف تعين رأس المال–الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب على تكريس منوالية العصف بالاغلبيات المنتجة للفائض فخلق شرط المراكمة فى كل مرة على مر التاريخ المسكوت عنه حتى بعد ثورة المعلومات؟

-رأس المال الهارب***Flight Capital:*** سفر تكوين الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب:

ان محاولة تعريف المال قد تأخذ الباحث الى عهود بعيدة للغاية فالمال يمكن ان يكون فى شكل حجارة او محار او فى شكل عملة او ذهب و فضة و غيره من المعادن النفسية مما عاد به الكونكيستادوريس من العالم الجديد الى السلع الاستراتيجية كالنفظ الخ وصولا الى الاوراق و السندات و غيرها مما يباع و يشترى على الصفحات السيبرية ليل نهار. و قد تعينت حركة بيع و شراء المال بهذا الوصف على توقير درجة عالية من الحركة مرة و مرة اخرى قيضت للاغنياء من سادة العالم انفاق مال لا يملكونه.

و للمال مفهوم و قيمة مطاطة بقدرما يملك الفرد منه و قياسا يعنى المال اقل القليل للمفقرين. فللاغنياء نظم مالية طيعة مطاطة بلا حدود. فقد كانت ثروة روبرت ماكسويل المالى و صاحب مجموعة ماكسويل

الاعلامية الصحفية–عندما غرق فى خليج البيسكاى فى1991–ضعف ميزانية زيمبابوى وقتها و كانت الاخيرة ماتبرح على اقتدار اقتصادى و من اغنى الدول الافريقية واكثرها تطورا[163].

و ازعم ان هروب الاموال او هجرتها منوال تكرارى. فقد سجل رأس المال الهارب فى–الرأسمالية المالية شكلها الفطير و التى تراكم بالنهب معدلات ملحوظة باكرا. و تلاحظ حركة تلك الرساميل فى هجرتها التصلة فيما تلاحظ:

=من موائى فلسطين الى شمال المتوسط كاليونان و روما فى القرون الاولى قبل الميلاد

=من الاخيرة الى البندقية بعد تنصير الامبراطورية الرومانية

= من البندقية الى هولندا و انجلترا فى القرن الرابع و الخامس عشر

=من الاندلس الى اوربا الغربية فى الرابع عشرو نهاية القرن الخامس عشر

–من اوربا الشرقية فى القرن السابع و الثامن عشر الى انجلترا

–ومن الاخيرة الى العالم الجديد ابان و بعد الاكتشافات الجغرافية الكبرى.

–و قد سجل هروب الاموال و الثروات الفنية معدلات عالية من المانيا ابان الحرب العالمية الثانية الى دول المحور و بخاصة انجلترا و امريكا.

و فى كل مرة هاجرت فيها الرساميل و الثروات المثكورة و المتسمتر عليها تعاللق هروبها و سقوط المجتمعات التى كانت تستضيفها او–و منيت بازمات طاحنة مما يلاحظه الناس تباعا ابان الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007. و من المظالم التى تتعين النظم المالية تحت هيمنة رأس المال المالي ان مراكمة الاخير تخصم على المفقرين فخلق شرط كل من جمودهم و عجزهم عن الحركة الا فيما خلا الهجرات العنيفة و المميتة معا. فقدرو المفقرين على كسب والاحتفاظ بالمال متناهية . و يغدو مال المفقرين بهذا الوصف اقل الاستيكية Elasticity بل يشارف التحجر و الجمود و العجز عن الحركة الا بقدر ما يوفر للمفقرين بالكاد ما يقيم الاود و البقاء او بماهو اقل من الكفاف فى كثير من العوالم المفقرة. بالمقابل فان المال لدى من يملكونه بوفرة لا متناهية يعبر عن نفسه فى القدرة على الحركة و على التمطط و التوسع و التراكم اللامتناه. فقدرات مال الاثرياء على الحركة من كل مكان الى كل مكان لامتناهية مثلها مثل قدرتهم بدورهم على الحركة و التنقبل فى عالم بات ملكهم حقا. ومن تنويعات تلك الحركة هروب رأس المال عشية الازمات او–و بغاية خلق ازمات او تضخم و انكماش الخ فى المجتمع المضيف لتلك الرساميل التى هى ضيفة بطبعها و لا وفاء لديها للمجتمع المضيف. و من تلك التنويعات "خروج" اصحاب المال ذاك و تهديدهم بالخروج كلما المت بالمجتمع المصيف ازمة كان الماليون غالبا ورائها. فيهدد المصرفيون الماليون الحكومات الغربية وغيرها مثلا بان حصولهم على مكافآت باهظة تشارف النهب المنظم شارط لبائقهم و الا خرجوا الى حيث يضمنون تلك الامتيازات الفائقة.

فكأن وجوده تلك الجماعات مشروط بابتزاز بات من طبع تلك الجماعات التى تعود تنويعاتها الباكرة الى سفر تكوين اعراب الشتات فى علاقاتهم اللا متكافئة مع المجتمعات التاريخية المستقرة و تغلهم على

اقتضادها كما رأينا فى مكان اخر. و قد بلغت مكافآت كبار المصرفيين الماليين العاملين فى بريطانيا 5 مليارات شتاء 2009 و الازمة المالية غير المسيوقة التى تسبب جشعهم فى وقوعها ماثلة بعد. و ليس المال –الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب ظاهرة غربية وحسب. فقد تعلم اصحاب المال غير الغربيين عقلانية تهريب اموالهم الى كل مكان ايضا. و من اهم حركات رأس المال غير الغربى –الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب–ان المهاجرين من مجتعمات غير غربية مثل اسيا كالصين و الهند فى حركة عكسية تعبر عن منوال استثنائي تماما قياسا على لحركة اموال اعراب الشتات.

ذلك ان حركة اموال الرساميل الصينية و الهندية من الغرب الى الوطن الام تعبر عن ولاء اصحاب تلك الرساميل للوطن الام بوصفهم سلالة مستقرين بعكس اعراب الشتات الذين لا ولاء لهم لوطن الا ما خلا ادعاء بعضهم الولاء لوطن او اخر و الاجرى لوطن اسطوري و قد زوقه مشروع صهيونى عولمى اكثر من اي شئ اخر. و يبقى مثل ذلك المال خارج كافة الاوطان و خصما عليها زيادة على انه لا يميل ابدا الى اعادة التوزيع.

و بالمقابل فان حركة اموال و اصحاب الرساميل من سلالات المهاجرين الذين كانوا مستقرين اصلا تتعين على:

–الهروب الى اوطان اصحابها الام مجددا مما قد يفسر بعضا بعدا من ابعاد نشوء الصين و الهند الى منافس للعالم الاول.

–و لاستثمار فى رأس المال البشرى مما كان له اثر كبير فى ذلك النشوء. ذلك ان تلك الرساميل تنتمي الى فصيلة رأس المال الوطنى الخاص

–انها تعيد التوزيع بهذا الوصف. ذلك ان كل من الصين و الهند و ربما البرازيل تستثمر فدردات المقياس في شعوبها و تغدو بهم تباعا دولة تشارف الدول العظمى

و بالمقابل تعصف الرأسمالية الاوربية الغربية و بخاصة الانجلوساكسونية بالشعوب فى درجات المقياس من شعوبها المباشرة الى شعوب مستعمراتها الداخلية وصولا الى شعوب المجتمعات التى تلحق بها. هذا و يمكن عقد قياس بين الهند و الصين و روسيا حيث هرب رأس المال الروسى من روسيا المرسملة الى اوربا الغربية مما يفسر تفاوت تطور المجتمعات الثلاث لولا نفط و ماس روسيا الفيدرالية.

فقد سجلت الاموال الهاربة–التى تراكم بالنهب–معدلات هائلة من الدول الاشتراكية كالاتحاد السوفيتى وجورجيا و المجر غب سقوط الاخيرات الى انجلترا و امريكا واسرائيل. و يعود ترداد اسماء مثل و بوريس بيريزفوسكى و نورمان ابراهاموفيتش وخوردخوفسكى و جورج سوروس و هناك يهود تستروا على اسمائهم مثل يفجينى بريماكوف Yevgeny Brimakov و اسمه الحقيقى بيكاس فلينكيلشتاين Pichas Fleckenstein و غيرهم من ملياردرات المال المبدون الى ذلك النشاط المالى الذى يراكم بضغط ذر اليكترونى دون ان ينتج ذلك المال سلعة سوى مفاقمة جشع اصحابه فى كل مرة وصولا الى الخروج او المحارق غير المعلنة بالتعريف اعلاه و تباعا.

و يهرب رأس المال مع اصحابه كونه مترحل كما يلاحظ الناس فى كل مكان غب ازمة انهيار اسواق الائتمان العقارى او يهرب مثلما يهربون غب كل ازمة يخلقونها هم–او–و الاحرى يكون المال قد سبق اصحابه فى "الخروج". و لعل مثل ذلك المال حري بان يشارف ما يمكن ان يسمى رأس المال الغجرى Gipsy Capital وقياسا يغدو اصحابه رأسماليين غجر Gipsy Capitalists وأفضل مفردة رأس المال البدوى او الاعرابى المترحل Bedouin Capitalism و العكس صحيح. فراس مال غجر او– وبدو مترحلين من شأنه ان يغدو رأس مال غجرى بدوى مترحل معهم.

و يعود ترداد اسماء مثل جورج سوروس و نورمان ابراهاموفيتش و بوريس بيريزفوسكى وميخائيل خوردخوفسكى و ميخائبل فريدمان و فلاديمير جوسينسكىVladimir Gusinsky و بيوتر افين Pyotr Aven وهناك يهود تستروا على اسمائهم مثل يفجينى بريماكوف Yevgeny Brimakov– رئيس وزراء روسيا الفيدرالية الاسبق و احد مهندسى خصخصة روسيا فى تسعينات القرن العشرين–و اسمه الحقيقى بيكاس فلينكيلشتاين Pichas Fleckenstein الى مثل ذلك النشاط المالى النمطى[164].

المهم من المفيد تذكر ان رأس المال المتبدون يصيب الاقتصاد المضيف بهزات يمنى بها فيما عدى منتجى الربح و الفاشض و الكفاف فى المجتمعات المفقرة و كل من المدخرين و بخاصة صغار حملة الاسهم بازمات جمعية وفردية فى المجتمعات الغنية. و ما تلبث الدولة بدورها ان تحبر–ازاء تلك الازمة– على ان تضمن لحملة الاسهم و المدخرين مودعاتهم كاملة رغم تدهور اسعار الاسهم باكثر من 75% من قيمتها الحقيقية و كأن البنك المركزى او–و الدولة–تحورا ناكصين الى:

–مطامير غلال السلطان–الملك الفرعون فى الدولة الخراجية الاسراتية الشرقوية ابان أزمنة الشدة و المجاعات أو–و تحل عليه لعنة الهة الممالك الصغيرة والهة الفرعون جميعا.

–حاكم شرقوى عليه ان يضمن سعرا عادلا للذرة فى السوق. و قد بات سعر السلة العادل فى السوق يجعل بطريقة حسابية معينة Mark Marketing للسلعة قيمة و ليس سعرا باعتبار سعرها المستقبلى فى السوق. و يقارن ذلك مع ما يسمى بالقيمة التاريخية و هى قيمة السلعة باقل من ثمنها المستقبلى, و قد اثرت الطريقة الحسابية الاولى على اسعار الاسهم و السندات فى اسواق المال ابان ازمة انهيار سوق الائتمان الامريكى منذ صيف 2007 حتى خريف 2008 وتباعا.

و قد صادق مجلس الشيوخ الامريكى الجمعة 3 يناير 08 على 150 مليار دولار لتعويض الامريكان المتضررين من انهيار سوق العقار حتى يخرجوا ليتسوقوا فينفقوا الاموال لانعاش الاقتصاد الامريكى عقب ازمة سوق الائتمان العقارى. و تلك ممارسة غير مسبوقة فى الاقتصاد الامريكى بل تعتبر عقلانيا حرفيا هذه المرة تجديف بحق الرأسمالية. الا ان التنويعة المالية لا تكترث بنتاقضات الرأسمالية بل تنتفع بها و تجأر ان ليس ثمة اهم من الدولة القوية لانقاذ الاقتصاد ابان ازمات الرأسمالية المنوالية. و بالمقابل تقول رأسمالية حرية السوق و السوق الحر

ان افضل دولة هى اضمر او اصغر دولة و تعتبر التدخل فى السوق كفر بحق حرية السوق فى تحقيق التوازن الاقتصادى بين العرض و الطلب و بين الاسعار و الاجور و بين سعر الفائدة و التضخم او الكساد الخ.

-تتكص الرأسمالية حسب منطقها هى-الى لا عقلانية سياسة التأميم. و كانت الرأسمالة ما بعد الصناعية قد فرضت خصخصة كل شئ على عهد كافة الاحزاب السياسية فى المجتمعات الغنية المفقرة. فقد خصخص كل من حزب المحافظين والديمقراطيين الامريكان و المحافظين البريطنيين و حزب العمال الجديد و كل حزب تعين على تحديث نفسه و اخض لما يسمى بالتطبيع لحاقا بالعولمة كل ما وقعت عليه ايديهم[165]. و قياسا فقد أوقف التعامل فى اسهم مصرف نورثارن روك Northern Rock صباح الاثنين 18 فبراير 2008 و ذاك امر جلل فى قاموس الرأسمالية بتويعاتها و ذلك حتى تتم اعادة خصخصة المصرف[166]. و هذا بدوره من الكبائر المالية الاقتصادية ان اردت.

و يفزع اعراب الشتات من كلمة "تأميم" حتى ان وزير المالية البريطانى بقى يراوغ طويلا دون ان يجرؤ على النطق بكلمة تأميم. فان يؤمم حزب العمال الجديد مصرفا ائتمانيا-اى رمز من رموز رأس المال المالى وليس اى شئ اخر-فان المجتمع الدولى يغدو حريا بان يقف مشدوها. الا ان اعراب الشتات الذين يتطيرون عادة من التأميم و يرونه تجديفا لا يغتفر بحق العولمة الرأسمالية ما بعد الصناعية يسايرون عقلانيا فى تعصب انتقائي الوضع الذى كان قد بات ينذر بفضائح تفوق فضحية شرطة اينرون بداية 2001 و عشية الثلاثاء المشؤوم 11 سبتمبر 2001.

فمفهوم التأميم يعود الى و يصدر عن مفهوم الامة الى مفهوم الشعب ومن ثم ينذر بخلع قوة على الشعب أو-و الاخطر باعادة التوزيع على المجاميع الشعبية التى يمقتها اعراب الشتات و يناصبها العداء و يداهنها وحسب. الا ان اعراب الشتات يزينون الازمة التى ادت الى التأميم ولا يعترضون بل يرحبون براجماتيا و تخاتلا. وذلكم هو ايضا تعريف للعقلانية بامتياز. فان يؤمم حزب العمال الجديد مصرفا ائتمانيا-اى رمز من رموز رأس المال المالى وليس اى شئ اخر-فان المجتمع الدولى حري بان يشده. الا ان اعراب الشتات الذين يتطيرون من التأميم و يرونه تجديفا لا يغتفر بحق العولمة الرأسمالية ما بعد الصناعية سوى انهم ما ينفكون يزينون التأميم عقلانيا كما ذكرنا. والاهم ان كان على وزير المالية البريطانى فى جميع الاحوال حماية مصالح اعراب الشتات مرة عندما ضمن المصرف المذكور صبيحة اندلاع فضيحة افلاسه[167].

و مرة اخرى تحمل محافظ البنك المركزى مسئولية عدم اطلا ناقوس الخطر باكرا وتؤنب الخبراء الاقتصاديين و الصحافة و المعلقين السياسيين و قد اتهم الاول بالتقصير فى حق المصرف والاخيرين بالتوفر على التحلايلات الخاطئة. ذلك ان محافظ البنك المركزى وقف متهما بالعجز عن التنبؤ بما كان يوشك ان يحيق بالمصرف قبل ان يحيق بالمصرف ما حاق به مما اشان

سمعة المصرف و سمعة القطاع المالى قاطبة. و قد طالب البعض باستقالة محافظ بنك انجلترا Bank of England–البنك المركزى البريطانى دفاعا عن مصالح اعراب الشتات. و كان الاخيرون يدافعون عن مكانتهم الاجتماعية و سمعتهم دفاعا عن امتيازاتهم و مكانتهم الاقتصادية كعهدهم منذ بدئ التاريخ المسكوت عنه.

و قد تعرضت لهذه التفصيلة بصورة عميقة فى دراسة منفصلة. وكنت قد جادلت فى تلك الدراسة ان دفاع اعيان و اثرياء و تجار أعراب الشتات عن امتيازاتهم لا تخصم و حسب على شعوب المجتمعات المضيفة و انما على شعوبهم هم ايضا مما يكرس مفهوم كراهية اعراب الشتات للشعوب كافة. ويصدر مفهوم كراهية الشعوب عن تكريس نفي شرط تطور المحكومين و احلال كمياء نكوصهم كلما همت تلك الشعوب بالنشوء بوضع كل عقبة فى طريق نشوئها و وصم محاولة نشوئها بالعنف وصولا الى اتهماها بالارهاب. وتصدر كراهية الشعوب عن استهذاء منأصل فى الصفوات و الاوليجاركيات و الحكام و الاثرياء و الاقوياء فى معظم الازمنة و فى كل مكان تصدر عن استهذاء بعامة الناس و اليأس من صلاح البشر حتى الذراية Cynics.

فاكثر ما يثير تطير الصفوات و الاوليجاركيات و الحكام و الاثرياء و الاقوياء السخط الشعبى و اكثر الثورات الشعبية و ان ما يصيبها بالجنون هو نجاح ثورة شعبية. و ليس اندلاع سخط الحكام فى كل مكان تقريبا و السعار الذى منيت به العولمة بتمثلاتها المختلفة من العبر اطلسية الى الاوربية بشأن حماس مثلا–بغض النظر عن اخطائها–سوى تعبير عن التطير من انتصار حركة شعبية. فلم تتكأكأ اسرائيل وحدها على الديمقراطية الفلسطينية الشعبية وانما زاود العرب عليها تطيرا من انتصار الشعب الفلسطينى خارج حظيرة زعماء فتح و قد اخترقت فتح باكرا. و قد عبر عن ذلك ابو الغيط وزير خارجية مصر حين جأر بان "سأكسر ساقى اى فلسطينى يتجرأ على الاقتراب من الحاجز" المصرى الفلسطينى–رفح المصرية.

الفصل الرابع : عقلانية الطوائف المسيحية الغربية المسيسة:

كانت الطوائف المسماة منقسمة Seperatist و قد خرج بعضها مهاجرا الى العالم الجديد قد راحت تؤلف تهديدا للكنيسة فى انجلترا بوصف تلك الطوائف كانت قد انقسمت عن الكنيسة الانجليزية. وكانت تلك الطوائف غير الطوائف البروتستانية التى كانت قد خرجت مع هنرى الثامن 1509–1547 –ازعانا لارهاب العرش فى منتصف القرن الخامس عشر–على الكنيسة, و يقول التاريخ الرسمى ان خروج هنري الثامن على البابوية و تنصب نفسه رئيسا للكنيسة الانجليزية–مما ورثه ملوك و ملكات انجلترا من بعد– كان رد فعل الملك امام البابوية التى لم توافق على طلاقه من كاثرين اوف اراجون زوجته الاولى الكاثوليكية شديدة التدين.

والواقع ان خروج هنرى الثامن على الكنيسة الف احد اول سيناريوهات العصف بالكنسية الكاثوليكية و قد خطط تنفيذه بمشورة رجل بقى مشتبه الاصل و النسب حتى اليوم هو توماس كروميل وكان كبير رجال

العرش و مستشار الملك بلا منازع. و توماس كروموبل لا علاقة له باوليفر كروميل بل هو شخصية غامصة غير معروف اصله فينسب مرة الى اب المانى صانع نسيج و مرة حداد و مرة مقتر خمور و مرة راع المانى. ويقال ان كروموبل كان يعمل مع اسرة مالية فى فلورنسا و مرة فى سوق النسيج فى هولندا كما انه كان على صلة باحد البابوات و كان يجيد عدة لغاة منها اللاتينية و الايطالية و الفرنسية. و كان توماس كروموبل مستشار الملك 1485–1540 هنري المثامن فى الجنس و فى كل شئ .

وكان الاخير من اهم رواد ما سمي بالاصلاح الدينى–المضاد–اى انفصال انجلترا عن الفاتيكان. فقد كان وراء انقسام المسيحية الغربية و صولا الى قيام الكنيسة الانجيلية التى كرست تأثر المسيحية الغربية بتداعيات عداوة الكاثوليكية حتى اليوم. و قد شكل توماس كرموبول ما شارف "دبابدة فكرية" Think Tank راحت تغيير المكتبة الملكية. و كانت الاخيرة فى الواقع محض صحائف لمن لا يقراؤون فقد بقى معظم الطبقة العليا ناهيك عن الناس العاددين امى بما فى ذلك الملوك احيانا. و قياسا استبدلت المكتبة الملكية المعهودة باخرى تحتوى على كل ما يشير الى مشروع الملك و يقدم مصدرات تبريرية لمشروع الملك وهو عقلنة خروج العرش الانجليزى على البابوية و معاداة الكاثوليكية.

و الواقع ان خروج هنرى وما تبع ذلك من خروج طوائف اخرى على الكنيسة الف سفر تكوين استقلال العرش لاول مرة عن الكنيسة و كانت الاخيرة تتحكم فى العروش مما يمكن مقارنته بحركة الخوارج التى حررت العروش–الخلافة او الامامة الخلافية–عقلانيا بالضرورة من علماء الدين المعهودين و لم تنفك ان اخضعت العروش–الخلافات– للخوارج بالنتيجة. و قد بات كل من لم يدن بدين الملك يتهم بالخيانة العظمى فقد اتهم هنرى الثامن زوجته الثانية آن بولين Ann Boleyn بالخيانة لتدريس وصيفاتها الانجيل. و قياسا بات كل من لا يقول بخلق القرآن هرطاق و قد يستباح دمه.

المهم كان انجيل الملك جميس الاول1566–1625–ملك انجلترا 1603–25–و كان الاخير امر بترجمة الانجيل الى الانجليزية الدارجة فصدرت اهم طبعة فى 1611[168] كأول طبعة من نوعها و اخر طبعة لوقت طويل حيث اعتبر انجيل الملك جميس الطعة المعتمدة بوصفها محققة بالقدر الكافى. فقد صدرت من بعد عدة طبعات للانجيل بقى كثيرون يرونها محرفة ويأنفون من حتى الاقتراب منها. المهم فورا كان انجيل جميس الخامس يقول بالقضاء على التطرف و بتكريس السلطة الملكية Royal Authority. و كانت السياسة و الدين شئ واحد فالسياسة دين و الدين سياسة. و كان اى عصيان يعتبر ضار بالدولة. وحيث تفاقمت العقبات منذ القرن 16 امام انجلترا من الداخل و الخارج فقد كان ذلك حريا بان ينشر مناخا من العصاب و التطيير. فقد راحت انجلترا تواجه تطرف الكاثوليكية من ناحية و تطرف البروتستانتية متمثلة فى الطوائف البيوريتانية من ناحية اخرى[169]. و كانت الحرب الاسبانية الانجليزية بدورها عقبة فى سبيل اى تسامح بروتستانتى مع الكاثوليك مرة ثالثة. و بالمقابل فقد تشات فى بداية القرن الساس عشر طوائف العقائد التطهرية فانتشرت طوائف النونكونفورميستس Non-conformists– غير الملتزمة بالكاثوليكية–و طوائفة غير ملتزمة بالنص الانجيلى و بخاصة الميثوديست Methodist

وطائفة الكونجرايشناليست Congressionalist. و لم تكن تلك الطوائف تؤمن بالخلاص و لا تكترث بالكنيسة و تراتبها و قسسها و كرادلتها.

و حيث راحت انجلترا تضيق بالعقبات فلم يلبث العالم الجديد ان بات فضاءا واسعا لا عقبة امام التوسع فيه بذريعة انه خال من السكان. و كانت الكنيسة تتعقب المنشقين و تضطهدهم فلم يكن امامهم ابان فترة وجودهم فى انجلترا قبل الهجرة الى هولندا سوى التخفى داخل احياء و فى بيوت اتباعهم. و قد افقد التعقب و المصادرة بعض زعماء التطهريين المعروفين اعمالهم فاخذوا يبحثون عن اشغال اخرى الا ان ذلك استعصى عليهم جراء التعقب فهاجروا فى 1620 و تباعا الى هولندا ثم الى العالم الجديد[170].

والى ذلك دفع تفاقم الاضطهاد المسيحيين الغربيين فى هولندا الى الخروج و كانت علاقة هولندا باسبانيا تهدد هولندا بعدوى التطرف حيث كانت اسبانيا قد باتت متطيرة و متطرفة و عنيفة فى تعقب اى شبح من الماضى. و كانت الاصلاحات التى انتشرت بين اركان الكنيسة الهولندية دافعا الى اضطهاد الاصلاحيين و بخاصة البيوريتانيين. و لم يلبث الاخيرون ان راحوا يخشون على انفسهم من الانقراض فخرجوا فى خريف 1620, و كانت غاية البيوريتانيين الانجليز–و كانوا اغلبية– تكريس عقيدة بيوريتاتية تتمأسس فوق و تصدر عن هويتهم الانجليزية. و لعلهم كانوا قد اصيبوا باعراض ذهنية الغيتو اليهودى فى اوربا الشرقية باكرا مما بقى بترجع فى اوربا الغربية من بعد. و كانت هولندا تعج بالمهاجرين من كلاهما و من جمهورية البندقية الحرة على الخصوص ومن الاندلس.

وحتى يتسنى لهم الخروج تفاديا لاحتمال انقراضهم عقد البيوريتانيون صفقة مع الكنيسة مقابل مال. فقد كان بعض المهاجرين من ناحية–ممن بات يشار اليهم بالحجاج–تجارا و كانوا قد راكموا اموالا من الاتباع و المتحمسين لهم. و قد قيضت لهم اموالهم دفع ما يشارف الفدية فتمكنوا من ايجار سفن تسع اكثر من 100 شخص من ديلسافين فى هولندا الى ساوثهامتون South Hampton عبورا بميناء بليموث Plymouth الانجليزية الجنوبية الى بليموت العالم الجديد. و لم تكن تلك السفن مع ذلك بالقوة و السعة التى رغبوها فمات منهم كثيرون بالمرض و جراء ازدحام السفن بهم. و رغم ان الرحلة كانت نسبيا مريحة مقارنة مع ما ركبه اخرون فى ذلك الزمان كالسفن التى كانت تشحن ببضاعة ادمية بما يزيد على 400 من الرقيق من افريقيا فى طريقها الى العالم الجديد و يموت منهم اكثر مما يصل شاطى العالم. فقد حرص المهاجرون على اخذ مؤنهم و جعتهم كون الاخيرة اقل قابلية للتلوث من الماء و كان المهاجرون يحتفلون بالجعة بصورة ملحوظة الا ان 50% منهم قضى فى البحر قبل ان يحط فوق شاطئ بليموث او صخرة بليموث.

العلاقة الطردية بين الحجاج والتطرف التطهري و الاوليجاريكية و الرق:

من المفيد تذكر ان التطهريين اخذوا معهم غرباء اى من غير الانجليز و الهولنديين المسيحيين. وكان الحجاج البيوريتانيين اغلبية ضعيفة بالنسبة للمهاجرين من الغرباء اللذين اخذوهم معهم من غير البيوريتانيين. و لم يكن الغرباء من غير التطهريين و حسب و انما كانوا غير انجليز و غير هولنديين و

لا يعرف كثير عن اؤلئك الغرباء و يحتمل ان يكونوا من يهود اوربا الشرقية و اوربا الغربية و الاندلس و كانت هولندا تعج بالمهاجرين و كذا انجلترا من كلاهما و من الاندلس. و ارجح ان الاخيرين كانوا حريون بان يكونوا من عامة اليهود اللادينو غالبا.

وكان الحجاج و المهاجرون قد صاغوا عهدا Covenant و كان ذلك العهد سابق على هبوطهم العالم الجديد و قبل ان يطأؤوا شواطئ العالم الجديد تحسبا لاحتمال ان يجدوا انفسهم فى عراك و مشاحنات. و كان العهد بمثابة عقد بينهم و بين الرب يقيمون به مجتمع يقوم على تعاليم بعينها. وكانوا يصوتون على ذلك العهد و يوقع عليه كل فرد, و حتى ان كان ذلك الفرد اميا فانه يضع علامة تدل على قبول العهد أو الميثاق و اختيار زعيم له. و كان الحجاج خاصة و المهاجرون يجأرون "علينا طاعة العهد كى ننفذ اوامر الرب". والعهد مفردة توراتية تعود الى عهد موسى مع الرب فوق جبل سيناء.

و قد تمثل العهد او الميثاق الخاص بتنظيم المجتمع فى فقرة واحدة فقط. ذلك ان المهاجرين و الحجاج و الغرباء لم يخرحوا طلبا للحرية و انما فى سبيل الحرية حتى يسيطروا على الوطن الجديد. و مع ذلك فقد كانوا يصوتون و ينتخبون قادتهم قياسا على الجماعات الاخرى التى خلفوها ورائهم فى الوطن الام. فقد قيض المهجر لاؤلئك الافراد شرط تقرير مصيرهم بصورة اقوى و اوسع مما كانوا يفعلون فى الوطن الام. و كانت ذهنية المنشقين او العاصين للكنيسة الام من المهاجرين تصدر عن كون كل ما كانوا يقومون عليه فى جيمس تاون بامر الرب و ان ما يحيق بهم هو كذلك. وقياسا كان الحجاج والمهاجرون التطهريون اللاحقون–و قد هبطوا فى جيمس تاون James Town فى 1607 و جعلوا منها اول مستعمرة هى مدينة جميس و قد راحت جيمس تاون تعمر فى القرن الثامن عشر بسكان من شباب متهتك عنيف. فقد كانت المدينة قد مأسست نفسها فوق مجتمع عبودى. ذلك ان مهاجرى جيمس تاون كانوا قد باتوا تباعا تجار و باحثين عن الربح و الفائدة و يقتنون العبيد باستخدام السكان الاصليين. و كانت طوائف جيمس تاون تكرس نفسها من اجل جمع الذهب وحده باستخدام العبيد.

ومع ذلك تنزلت مدينة بليموث فى التاريخ الرسمى الامريكي التطهري عقلانيا كونها القدس او ارض الميعاد. و كان الاباء الاوائل لمدينة جيمس قد استدعوا فى بداية القرن السابع عشر تطهرية متطرفة قياسا على ابنائهم فى منتصف القرن السابع عشر حتى القرن الثامن عشر. و قد ساعد التاريخ الرسمى الممفصل على تلميع تاريخ المهاجرين التطهرين الاوائل و كرس قدرتهم على التسامح و تعاطوا ذهنية التضييم–مما اخذوه عن رفقاء رحلتهم من الغرباء و غيرهم–رغم طغيانهم. فقد كان الامر فى الواقع عكس ادعاءاتهم تماما مما قد تفشى خاصة فى افلام رعاة البقر طرفا منه. فقد كان المهاجرون و الاباء الاوائل و المهاجرون و الغرباء جميعا وراء البقاء اكثر من اى شئ اخر و خصما على السكان الاصليين.

عقلانية تعالق التضييم و القوة القتالية:

رغم ان المهاجرين باتوا اغلبية و قد ابادوا السكان الاصليين الا ان ذهنية الاقلية و الاستهداف تملكتا الامريكان و ما ينفكون يصدرون عن العزلة و عن عقلية أقلية مستفذة تصدر عن التضييم Victim hood فيجأرون "لماذايكرهوننا".

ومع ذلك ربما قيضت مثلجة التوراة للمهاجرين نموذجا باكرا على الاستعصاء على الاحساس بعدم الامان او–و فبركت لهم احساسا ذائفا بالامان مثلما فعل و يفعل اعراب الشتات. فرغم استقوائهم على الشعوب المضيفة و استحواذهم على مقدراتها فقد تعين اعراب الشتات مثلما تفعل امريكا الحجاج البيوريتانيين الاوائل فى نفس الوقت على تاريخ بكاء لوام, و قد نجح ذلك التاريخ بهذا الوصف فى تكريس مفهوم التضييم Victim hood عقلانيا اى تكاذبا–مما راحوا يهزمون به خصومهم بالترويع العاطفى–لاحظ(ى) تناقض عقلانية اعراب الشتات اللا محتشمة التى تصم العاطفة انتقائيا بالخور و اللاعقلانية فيما تصدر عقلانية اعراب الشتات "الاقلياتيه" عن المتاجرة فى التضييم Victimhood بغاية الابتزاز المادى كون عقلانية اعراب الشتات تتمأسس فوق سردية بكآءة لوامة فى المحل الاول.

و أزعم ان امريكا استعارت عقلية التضييم من اعراب الشتات رغم قوة الولايات المتحدة العسكرية و تصويغا لها الى قوة اعراب الشتات المالية التى لا تقارن. واجادل ان لعل ذهنية الاقلية تحدرت الى الامريكان من عشرة بعض اعراب الشتات الطويلة و بخاصة يهود أوربا الشرقية–الاشكناز–الخزر–و يحتاج التعرف على الاخيرين–ممن هاجر الى العالم الجديد من جمهورية البندقية و اوربا الشرقية و غيرها–امعان نظر عميق.

الا انه من المفيد تذكر ان لعل المسافات المائية و الثقافية–عبر كل من المحيط الهادى من ناحية و المحيط الاطلسى من ناحية اخرى–كانت حرية بان تكرس عزلة و استهداف الامريكان مثلما انتجت السردية التوارتية مماثلات العزلة و الاستهداف بين بعض طوائف بنى اسرائيل. و قد فاقم قصور الامريكان الحضارى احساسا بعدم الامان حد البارنويا فراحوا يمثلوجون لهم تاريخا ملفقا و يستعيرون تاريخ من عداهم و يشيدون مدنا تحمل اسماء كافة مدن الحضارات السابقة عليهم ويقتنون تحفا و اثارا و يدعون كتابا و يكرون مفكرين و يشترون اسماء مشاهير و نجوم و يخلقون شرط عوامل جذب العلماء او–و ابادتهم ان استعصوا على الغواية الخ.

ذهنية الاقليات و عقلانية الغرباء:

تلوذ الاقليات اكثر من غيرها بالعقلانية اى البراجماتية فى محاولتها البقاء او الصراع من اجل البقاء بين اغلبيات لا تملك ازاءها سوى تزويق مفردات القاموس الذى يخص مصالحها و غاياتها. و غالبا ما تصدر ذهنية "الاقلية" و بخاصة المتوهمة عن عناية الهية. ومن ذلك فانه حيث كانت ذهنية اقليات المهاجرين قد هداهم الى أرض ميعاد العالم الجديد بوصفهم امة مباركة Blessed Nation فقد كان على تلك الذهنية و تسويغ و عقلنة مصلحة المهاجرين و غاياتهم فى تفريغ الارض من سكانها بوصف ذلك تحقيقا لارادة الرب.

و من المفيد تذكر ان انتصار المسيحيين الغربيين على من عداهم كان منذ الصليبيات الشرقية الثمانية "ارادة الهية" و هزيمة خصومهم "عقاب الرب" فالرب مع المسيحيين الغربيين بالتالى فليست أمريكا "امة مباركة" وحسب و انما يتحدث الرب الى رؤسائها مباشرة منذ جورد ووشينجتوم و ابراهام لينكولن.
و ازعم ان العقلانية اليسوعوقراطية الصلفة–و قد باتت سياسة الادارة الامريكية الخارجية و بخاصة ادارة جورج ووكر بوش الابن كملابس الامبراطور–حرية بان تشارف البلاهة فى عين كل من يجرؤ على النطق باسم ما لا سبيل الى النطق باسمه و الا مغبة الكفران المبين. و يستدعى بعض رؤساء امريكا المحدثين مثلا ذهنية الحجاج و المهاجرين البيوريتانيين وحلفائهم الغرباء ممن صاحبهم الى العالم الجديد. تعبر تلك الذهنية عن نفسها فمن الرئيس ابراهام لينكولن–1809–65– الى بوش الابن عبورا برونالد ريجان فى تنويع الاخيرين على اسباط و احبار و قضاة و امراء تجار اعراب الشتات.

وجبة الشكران و الجحود و ذهنية الاوليجاركيين:

يذهب الامريكان كل يوم 4 يوليو الى اسرهم ليتناولوا معهم وجبة الشكر و ترجع الى المهاجرين الاوائل و السكان الاصليين معا. وحيث يذاع ان المهاجرين الانجليز و رفاق سفرهم الغرباء كانوا اول من حط فوق شواطئ العالم الجديد فى 1620 عند ما يسمى اليوم مدينة بليموث الامريكية من بليموث الانجليزية Plymouth الا ان الواقع هو أن الفرنسيين كانوا اوائل المهاجرين الى امريكا الشمالية و قد هبطوا شواطئ كندا فى 1617. و كان الاسبان اول من رسى على شواطئ امريكا الجنوبية. المهم حيث يعنى هذا البحث بالملامح العقلانية للمهاجرين الانجليز من الاباء الاوائل او الذين يطلق عليهم الحجاج وهم من الطوائف المنقسمة على الكنيسة البروتستانتية و نصرائهم "الغرباء" ممن هبط شواطئ العالم الجديد, و اجادل ان الحجاج و "الغرباء" كانوا حريون بان يؤلفوا سفر تكوين خصائص و ملامح و تراتبات المجتمع الجديد و تباعا بالنتيجة كونهم طوائف مسيحية مسيسة بالضرورة.
هذا وحيث لم تكن تربة بليموث مناسبة لزارعة كثير من المحاصيل و من ثم لم تكن تحتاج العبيد. وحيث كان المهاجروين غير مؤهلين لزراعة القمح فوق تربة رديئة الا ان السكان الاصليين علموهم خلط السماد باضافة السمك الميت و البقول مع السماد. و كانت اولى شعائر التسبيح بحمد الرب وجبة فى اول شتاء مع الهنود الحمر. و قد سميت تلك وجبة الشكران Thanks Giving feastالتى اشرنا اليها فى مكان اخر. و مع ان المهاجرين كانوا حريون بان يتضورون جوعا لو لم يتعلموا وسائل الزراعة الهندوامريكية الا انهم كانوا يلقبون الهندى الاحمر–الذى تحالف معهم و علمتهم قبيلته البقاء و كان اسمه سكوانتو– بالشيطان.
فقد كان زعيم هندى اسمه سكوانتو اول من تحالف و قبيلته مع المهاجرين و الغرباء مما ساعدهم ايما مساعدة بل انقذهم من المجاعة و الموت. و لعل سكوانتو كان يرى من واجبه ان يكرم اؤلئك الغرباء المستهدفين كما كان التحالف مع اؤلئك الوافدين امرا قد يفيده و يقوى مركزه و مركز قبيلته بين القبائل الاخرى و فى مواجهة القبائل الاخرى. الا انه حيث كان كل شئ لدى المنشقين الهيا و كل قرار موحى

به من الرب فقد بات تطهير العالم الجديد من السكان بامر الرب كون السكان الاصليين طاعون و هلم جرا.

هذا و قد استخدم المهاجرون الاوائل و اسلافهم من بعد الهنود الحمر فى قوات المواجهة مع المهاجرين الاخرين مثلما تفعل قوات الاحتلال فى العراق بتجنيد الهسيان و الافروامريكان و الافريقيين المسلمين و غير المسلمين و حتى بعض العرب والمسلمين. و كان المهاجرون بعتبرون–حتى الهنود المتنصرين–اقل نصرانية و يستحقون قدرهم. ورغم ان اعداد الاخيرين بقيت تؤلف أهمية خاصة للمهاجرين فقد ساعد السكان الاصليون المهاجرين على الصمود و غير ذلك مما يعتبر رسالة نبيلة فى وجه توحش و بربرية المهاجرين ازاء السكان الاصليين و كان الاخيرن قد تنصروا. فقد بقى الاخيرون اعداء الداء.

المهم لعل سفر تكوين الرأسمالية الامريكية يعود الى تلك المرحلة من تطور مجتمعات المهاجرين بوصفها عنيفة و مؤسسة على العبودية والاوليجاركية. ذلك ان الحجاج و حلفائهم الغرباء غير المعرفيين بصورة كافية–كانوا قد هاجروا الى امريكا "فى سبيل الرب و من اجل الذهب" وكانوا الى ذلك قد استهدوا بالفكر و التنظيم الاورليجاركى. وقد ولفت التطهرية الامريكية بين الاوليجاركية و ديمقراطية البيض الاثرياء و اوصلت تلك التوليفة من قلب امريكا الجديدة الى العالم تباعا. و ليس غريبا ان يغدو التطهريون من البروتستانت بتنويعاتهم و حلفائهم من الغرباء صفوة مالية فى كل من العالم الجديد و فى العالم القديم. ففى1545 كانت البروتستانتية قد اكتسحت معظم او–على الاقل اهم اجزاء اوربا الغربية و هيمنت على العالم الجديد بلا منازع تقريبا.

تنويعات اليسوعوقراط و عقلنة القدر الجلى المقدر البائن:

قيضت ذهنية كل من تنويعات الاباء الاوائل و اعراب الشتات و المهاجرين و الغرباء نشوء نظائر لاحقة يستحيل فهمها و تعريفها يغير الرجوع الى ما يشارف سفر تكوينها مما اذكره اعلاه و تباعا. و تصدر تلك الذهنية عقلانيا عما بات ماثلا من تنويع المسيحيين الصهاينة و حلفائهم اليسوعوقراط على نادى البندقية او على صفوات اوليجاركية البندقية. فقد كان الاخيرون حريون بان يضمروا تسريع حلول نهاية العالم خلاصا للبشرية. و قياسا تستعيض امريكا بالقوة العسكرية والاقتصادية تعويضا عقلانيا و اسماءا–من السمو–ادعاءا ل"واجب" امريكا الالهى نحو العالم. وأعرف اليسوعوراط بالمتنفذين فى الادارة الامريكية و فى البنك المركزى الفيدرالى والمصارف التجارية الامريكية و فروعها فى كل مكان و غير ذلك من المؤسسات المركزية الامريكية و ممثلى امريكا فى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى و منظمة التجارة العالمية و الامم المتحدة وغيرها من المنظمات العالمية و فى المنظمات الشبيهة بالمنظمات غير الحكومية.

و ازعم ان حاصل جمع الجماعات المذكورة اعلاه و تباعا يمكن ان يندرج تحت منظمات خفية تشارف المنظمات المنطمات الشبيهة بالمنظمات غير الحكومية الكوانجوز– Quasi-non-governmental Organizations. وثمة تنويع على الاخيرة فيما يسمى "الجماعات الباطنية من الصفوات الغامضة

Esoteric"[171]. و تتألف بعض تلك الجماعات من المفكرين و العلماء و الدينيين من المسيحيين الصهاينة و الليبراليين الجدد. و يتحرش الاخيرون عقلانيا بالبشر من كل من عداهم. ويشار الى تلك الكائنات المتسارة ب "الجماعات الخفية" التى يلاحظ الناس فى كل مكان كيف تلحق نفسها بشرائح السلطة القائمة و تقوم مقام كل من السلطة التشريعية و التنفيذية اى مكان النواب و الحكومة. الا انها بسبب تسارها و رفضها الاعلان عن نفسها و المثابرة على التكتم لا تخضع للمساءلة و لا للمراجعة. و اجادل ان مثول تلك الكائنات فوق بل خصما على الابنية الديمقراطية الليبرالية حريا بان يخلق ما اعرفه بالكوانجوقراطية Quangocracy و هى تنويع على اليسوعوقراط و النسووقراط و ما بعد الحداثيين الخ. ومن المفيد ملاحظة من اين جاء لتلك الجماعات ذلك الحق فى احتكار تلك المراكز. وازعم ان اؤلئك الافراد و الجماعات يعبرون عن تنظيم اوليجاركى صفووي و بتمأسسون فوق تنظيم اوليجاركى محكم يتنوع فى البنك الدولى و صندوق النقد الدولى الخ. واجادل ان تلك الاوليجاركيات تتمأسس فوق و تعبد انتاج البنك الدولى و صندوق النفد الدولى وتنويعاتهما بوصفهما مرادفين لبعضها. واجادل انه حيث كان بعض اعراب الشتات الفارين من أو–و الذين كانوا يبيتون النية على ان "يخرجوا" من المانيا ويخلفون عامة شعبهم ورائهم عشية الحرب العالمية الثانية–قد راحوا يهربون ذهبهم واموالهم و تحفهم. و قد اودع اعراب الشتات ثرواتهم في مصرف باسم ASB. و قد تحور ذلك المصرف الى ما يسمى البريتون وودز Briton Woods. و لم يلبث الاخير ان تحور بدوره الى البنك الدولى و صندوق النقد الدولى بعد 1945. و لم ينفك البنك الدولى و صندوق النقد الدولى ان باتا البيتا Mechanisms خلق شرط و تكريس مشروع الليبرالية الجديدة منذ الحرب العالمية الثانية بامتياز. فقد تعين الصندوق و البنك على ما يسمى بالتكييف الهيكلى الذى فرض على الدول اعادة تشكيل اقتصادها بالخصخصة و فتح اقتصادها للاستثمارات الاجنبية بلا انتقاء و رفع الدعم عن السلع التموينية و سن التشريعات و القوانين العمالية المواتية للاعمال و رفع سقف تصدير الاموال الى الخارج. و لعل من اهم تعريفات العولمة انتشار ظاهرة التكييف الهيكلى بين كافة الدول منذ الحرب العالمية الثانية بمغبة مشروع مارشال كما نذكر فى مكان اخر. و ازعم ان التكييف الهيكلى قد يلف سفر تكوين الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007.

فانتشار ظاهرة الديون و تعالفاتها تناسب اقتصاد السوق خصما على الاقتصاد المحلى وعلى الاقتصاد الحقيقى. ذلك ان العولمة تكرس اقتصاد افتراضى باتت فيه الدول مدينة و قد ادمنت الديون نفق على خدمة الديون اكثر مما تنفق على الخدمات و السلع العامة مما سوف يورد الاقتصاد العالمى تباعا كارثة لا راد لها و لا شفاء منها. ذلك ان الاقتصاد الافتراضى يعود الى تنويعة من الرأسمالية تدعى النشوء على نظائرها السابقة و هى الرأسمالية المالية. فليست الرأسمالية المالية نئشو صاعد على البرجوازية الصناعية الا بقدر ما تعالقت كل منهما بنسب متفاوتة من الربا.

و لا يعنى الربا سوي عائد صاحب المال من بيع المال كسلعة وهو ما تقوم به الرأسمالية المالية اليوم. و كان سفر تكوين الرأسمالية التى نعرفها قد تمأسس منذ 4 الاف عام على الاقل على الربا و كانت اولى المصارف التى تشارف المصارف التي نعرفها قد نشأت فى بابل.

المهم يصدر الاقتصاد الافتراضى الماثل عنما يسمى نموذج التنمية الرأسمالي بشرطيات صندوق النقد الدولى و البنك الدولى الدول التى اجبرت الدول كافة على تحقيقها. و يتمأسس ذلك النموذج فوق الاقتصاد الحر و السوق الحر و خصخصة كافة مقدرات الدول من الماس الى الماء و رفع الدعم عن السلع النموينة و نحريم تدخل الدولة فى الاقتصاد الا ما خلا التدخل لصالح الاعمال و الشركات الرأسمالية عابرة الحدود القومية و المصارف المالية و الاستثمارية. و تلزم الدول على سن الشتريعات و القوانين العمالية و الضريبية المواتية لتلك الاعمال و الشركات و المصارف. و قد رأينا كيف تتدخل الدولة فى لحساب رأس المال المالى خصما على المال العام و دافع الضريبة و مدخرات المتقاعدين و صغار حملة الاسهم الخ.

فاين يأتى دور تنويعات اليسوعوقراط من المحافظين الحدد و الليبراليين الجدد؟

تقوم جيوش من اللوبيات Lobbyists و الخبراء و المتخصصين القانونيين اللذين يوظفهم رأس المال المالى او الاوربجاركيات المالية و منهم المحافظين الجدد حتى تتعين تلك الجيوش على منع الساسة من عمل اى شئ من شأنه ان يضر بمصالح سادتهم اى الاولجاركيات المالية. و لا تتعين تلك الجيوش على حماية مصالح الاوليجاركيات المالية و انما تسوغ تصدير النموذج الامريكى الى امتدادات رأس المال المالى الذى تحرسه امريكا بالجيوش القومية و بالمرتزقة. و حتى يتسنى ذلك تختلق مفردات و مفهومات و لغة كاملة لتزويق تلك العمليات التى تخصم بامتياز على اغلبيات الناس العاديين من منتجى الحياة و الكفاف و قد تحوروا الى اقنان فى اقطاعات وليجاركية فى كل مكان.

تعالق رسالة امريكا الالهية والعلاقات القنية :

تصدر امريكا قياسا نموذجها بلا انتقاء و بالقوة و بارغام توسعاتها هى بالوعيد و التهديد بوصف ذلك رسالة الهية. و يصدر اليسوعوقراط بالوصف اعلاه الدمقرطة و تمكين المرأة و اصلاح الاسلام و الكونفيوشية والهندوسية و حتى المسيحية الغربية غير الافانجلية لانجلوساكسونية بالمقابل من وراء ستار دخان المشروع الامريكى–الصهيونى الجديد. هذا وأجادل تصدير امريكا لنموذجها بالقوة بوصفه محصلة مكونات تاريخية و سياقية Contextual اكثر تركيبا و عمقا و تبادل اعتماد مع مفاهيم و سياقات اخري منذ الحرب العالمية الثانية على الاقل. و قد بقيت تنويعة على رسالة امريكا الالهية تتمثل بالضرورة فتتعين على تصدير التنويعة التنموية الرأسمالية الامريكية بوكالة صندوق النقد الدولى و منظمة التجارة العالمية و هما و غيرهما من مكونات يؤلف حاصل جمعهما بالنتيجة مشروع توسع لا متناه.

و قد كرس توسع التنويعة الرأسمالية الامريكية:

– نشر ما اسميه نمط اللا انتاج الشمال امريكى رأسيا بوصفه نمط انتاج مترحل بدوى جراء بدونة المراكمة المالية غير السلعية و الرأسمالية ما قبل الرأسمالية.

–– و قياسا كرس نموذج نمط اللا انتاج " اللا تنموي" او التنمية العقلانية الامريكية فى امتدادات امريكا الافقية فيما وراء البحار من اوربا الى الحزام الباسيفيكى الجنوبى شرط ظاهرة راس المال البدوى – الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب . والعكس صحيح كرس الاخير نمط اللا انتاج اللاتنموي الامريكى فى كل مكان.

–و يقف خلف تنويعة نمط اللا انتاج الرأسمالي الامريكى ما اسميه رأس المال –الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب مما اعرفه فى مكان اخر وتباعا.

– والى ذلك كرست تنويعة نمط اللا انتاج الرأسمالي الامريكى بدونة انماط الانتاج المضيفة لنموذج "التنمية" الشمال امريكية تحت راية "التقدم" و "التحديث" والدمقرطة و تمكين المرأة و خصخصة الرب.

–اخترق نموذج امريكا التنمويى المذكور انماط الانتاج الماثلة فى كل مكان و اشاع علاقات القنانة بين حكام المجتمعات الضيفة لذلك النموذج والمحكومين فى المقياس المدرج In a scale of gradation فى كل مكان.

–و قد بات من حق امريكا الامتداد افقيا فى كل مكان من الدول المفقرة الى الغنية استيلاءا على ما يقيض قواعد عسكرية غالبا ما تنشأ خصما على تلك الدول.

وتدعى الادارة الامريكية 43 أن القواعد العسكرية الامريكية المجانية فى بريطانيا مثلا هى مقابل تشارك بريطانيا قدرات امريكا الدفاعية منذ الحرب الباردة و الامن المشترك باسم العلاقة الخاصة بين امريكا و بريطانيا. الا ان قواعد امريكا الصاروخية لصالح مشروع الحزام الصاروخى الواقى فى فيلينجديل Filing dale بشمال يوركشير مثلا بيقى بلا مقابل الا ما خلى وعد ان تستفيد بريطانيا من عقود المشروع. و حيث خصص للمشروع محض مليار دولار الا ان بريطانيا لم تحصل مع ذلك منذ 1980 على اكثر من مليون دولار وحسب عطاءا تافها لتوسيع القاعدة ذراية ببريطانيا المتورطة فى التواطؤ.

هذا و لامريكا اراض شاسعة من افريقيا و جزر المحيد الهندى و دول الخليج الى الحزام الباسيفيكى الجنوبى و كندا و بريطانيا الى معظم الجمهوريات الاوربية الشرقية الاشتراكية السابقة لاقامة القواعد العسكرية المذكورة.

و قياسا تصدر امريكا عما يشارف العلاقات القنية مع الدول الغنية و المفقرة على السواء. فقد بات حق امريكا فرض علاقة امنية مع اى دولة منذ الحرب العالمية الثانية يكاد يكون مفروغ منه. وتبقى علاقة امريكا بما عداها بهذا الوصف اربح سياسيا و اقتصاديا أكثر منها عسكريا ببداهة الا سبيل امام أي دولة كانت الوقوف فى وجه طلب امريكى[172]. و من المفيد تذكر ان سفر تكوين تلك القنانة المقنعة و المعلنة بقيت معقودة على رساميل اعراب الشتات و قد ترحلت من كل مكان الى كل مكان ليستقر

بعضها فى امريكا الشمالية عبورا بانجلترا و هولندا كما ذكرنا فى مكان اخر. فهل امريكا تنويع على نادى البندقية؟ وما الذى حدث لتاريخ امريكا؟

الباب الرابع : نادي و حزب البندقية

الفصل الاول: نادى البندقية وصندوق النقد الدولى:

كان نادي البنقدية قد نشأ عن جمهورية البندقية فى 697 و كانت الاخيرة قد خرجت عن فلول مهاجرين بعينهم من الامبراطورية الرومانية الغربية ثم الشرقية بيزنطة. و كانت جماعات قد احتمت بالبحيرات الواقعة حول المدينة من قبائل اللومبارد و الهان–المغول–و جماعات اخري من بدو البحار. و فى القرن الحادي عشر تكونت الجمهورية تحت دوتشي Docci اى زعيم عينته بيزنطة و بقيت جمهورية البندقية تلحق نفسها ببزنطة رغم انها استقلت بنفسها فى 803 مثلما فعلت المدن الدول الايطالية تباعا على انقاض الامبراطورية الرومانية الغربية.

و قد نشأت جمهورية البندقية كقوة بحرية معتبرة و كان لها دور هام فى تجارة المتوسط و فى الصليبية الرابعة وفى احتلال مدن سوريا الساحلية و صيدا بجنوب جبل لبنان و فى اجتياح الفسطنطينة. فقد كانت انتفاضات شعبية قد اندلعت فى 1182 ضد الاجانب و بخاصة صيارفة و تجار البندقية فى الفسطنطينة فصودرت املاك الاخيرين و اموالهم مما مما خلق ضغينة بقيت حتى قيض للبندقيين اجتياح الفسطنطينة. و قد فام البندقون بدور هام فى الصليبيات بالتمويل و القتال المباشر و بقوة النبدقية البحرية الى جانب قوات النصارى صد المسلمين.

و قد تمييزت جمهورية البندقية الحرة كظاهرة تكاد تكون متفردة اذ تألفت من التجار و الصيارفة و الربويين. و قياسا قامت بها اوائل المصارف المالية و بنوك القطاعى التجارية. فقد كانت تلك الجماعات التى ذكرنا اعلاه من المهاجرين بعينهم و الفارين من روما قد تأسست فوق اوليجاريكيات ما لبثت ان تحورت الى صفوويات ارستقراطية مالية اكثر من اى شئ اخر. و ازعم ان نادى البندقية كان سفر تكوين صندوق النقد الدولى بوصف ان نادى البندقية مفصل و لم يلبث ان كرس مفهوم الاوليجاركية الصففوية المالية–مما عرفته فى مكان اخر اعلاه. كما تعين بقوة الرساميل المالية التى راحت تلك الصفوويات تمول بها عروش اوربا و حروبهم تعين ان تملي البندقية بهذا الوصف على العروش الاوربية ما تفعل و ما تترك.

وكانت اوليجاركيات النبدقية الصففوية المالية قد تمأسست فوق نموذج معين للتنمية يأخذ بمبدأ المراكمة ببيع المال كسلعة و يتعين على خلق شرط اقتصاد افتراضى او لا اقتصاد كما ذكرت فى مكان اخر. و كانت اوليجاركيات البندقية الصفووية المالية قد تعينت على نشر نموذجها ذاك. و كانت لذلك النموذج شرطيات Conditionalities تشارف شرطيات الصندوق و البنك الدوليين.

و يتمأسس نادى البندقية فوق مفهوم جمهورية البندقية الاوليجاركية الحرة. و تعود الاخيرة الى سردية مخفية تقول بان اثرياء الامبراطورية الرومانية كانوا قد خلفوا روما و رائهم عشية سقوطها لقبائل القوط

المتوحشة. و تنتج تلك السردية قاموس مفردات متسارة منغلقة على نفسها جراء عقلانية قاحلة. فليس ثمة تعريف افضل للعقلانية من الكينونة المتسارة للغة. المهم كان القوط المتوحشون حسب السردية اعلاه لا يعرفون العوم و لم يكونوا يجيدون ركوب الماء الى البندقية ف"خرج" اثرياء روما و استقر بعضهم فى صقلية مما يقال انه خلق شرط نشوء المافيا و دورها فى الهمينة على السلطة فى اهم امبراطورية غربية فيما بعد.

الا ان اهم جماعة من اثرياء روما احتمت بالبندقية و بقيت بها ما يزيد على الف عام دون ان يضايقها احد. و بالمقابل فقد كانت اغلبيات عامة الخزر قد هاجرت عشية نشوء السخط الحاكمي و الشعبى عليهم كما فى كل مرة. و كان ذلك من شأنه ان يخلق شرط خروج زعاء الخزر واسباطهم و احبارهم و امرائهم و قضاتهم و تجارهم من الامبراطورية الرومانية كما فى كل مرة, و كان ذلك الخروج قد عبر عن نفسه غربا الى النبدقية و شرقا الى وادي الفولجا و القفقاز مجددا و الشرق الاوسط. ومن اهم تداعيات ذلك الحراك المتزرع و بالخاطر و ذلك الذى قد يكون عنيفا هجرة عامة الخزر من الامبراطورية الرومانية الى الشام و الجزيرة العربية مما افصله أدناه و تباعا و مما قال به مؤرخون اخرون مثل احمد ابن فضلان و ياقوت وغيرهما و قد اخذ عنهم مؤرخون غربين امثال ااارثر كويسلر وغيرهما .

الخروج و انفجار الفقاعة الاقتصادية المالية المنوالية:

لكم تذكر ان فعل "الخروج" كان دائما وابدا يتصل بهجرة زعماء و احبار و اسباط و قضاة امراء وتجار الخزر و تتويهاتهم من اعراب الشتاب. ذلك ان حركة عامة الخرز لم تكن يوصف بالخروج ابدا الا بقدر ما تتصل بخروجهم براسميل تذكر. فان كان اعراب الشتات قد خرجوا من مصر–هذا ان كانوا قد عاشوا فيها اصلا– فقد خرجوا–حسب السردية الرسمية المسجلة فى الاصحاح القديم–باموال المصريين. والمهم فورا هو ان خروج كبار اعراب الشتات الشرق اوسطييم او الخرز و تتويعاتهم بخاطرهم عشية ازمة يكونون قد خلقوها يعبر عن نفسه كما فعل فى كل مرة فى تزويق تنويعة من الهجرة المتذرعة و بالخاطر و قد تنزلت تلك الهجرو بالتذرع و الخاطر عقلانيا فى التاريخ بوصفها "هجرة عنيفة" واحيانا زوقت فى المحرقة.

و تتألف تلك الظاهرة دائما من "خروج" اثرياء اعراب الشتات و ثرواتهم ورساميلهم عشية اندلاع السخط الشعبى و الرسمى جراء ازمة من تلك الازمات الاقتصادية المنوالية التى يتسبب غالبا فيها اعيان و اقماط و اسبطا و قضاة و بخاصة تجار اعراب الشتات. فنادرا ما يخرج مع الاخيرين عامة شعوبهم اوعامة شعوب الغويم. و من المفيد تذكر ان فقاعة مالية كانت قد عبرت عن نفسها فى تنويع على ازمة اسواق المال الماثلة منذ صيف 2007 الى خريف 2008 فى الامبراطورية الرومانية عشية خروج الاخيرين. و ان فقاعة اخرى عبرت عن نفسها فى 1345 و تكاد الاخيرة تكون تنويعا نمطيا على الازمة الراهنة منذ 2007 و تباعا.

هذا و كانت فقاعات مماثلة قد عبرت عنه نفسها فى الخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية وصولا الى الخلافة العثمانية حيث بات اعراب الشتات دولة داخل الدولة حتى ان الدول الدائنة–فرنسا و بريطانيا و ايطاليا الخ–عينت اعراب الشتات لاستعادة الدين العام للخلافة نيابة عن تلك الدول وصولا الى سقوط الخلافة العثمانية.

و ازعم ان هجرة المال المنظمة بقيت تعبر عن نفسها فيما يشارف الرساميل ما بعد الصناعية التى تدور حول العالم اليوم بضعط ذر على الحاسوب. و قياسا كانت هجرة الاورليجاركيين الى البندقية بثرواتهم حرية بان تؤلف اول تمثل الى ما اسميه رأس المال الهارب. و لا يهرب سوى رأس المال المالى اى ما تفرزه تنويعة الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب –سواء كان رأس المال–الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب ذلك مادى او لا مادى. فقد هربت التحف و الذهب من المانيا عشية و ابان الحرب العالمية الثانية مما خلق الاساس المادى للبريتون وودز.

و اجادل ان مفهوم او عملية غرس مفهوم التراتيبات الاوليجاركية الراجعة الى البندقية كان قد راح يتسرب الى فيخترق المجتمعات الاوربية. و قد نجح ذلك المفهوم فى تكريس الاسس المادية والتنظيمية التى تعينت على تجويدها اوليجاركيات البندقية على مر القرون و تباعا. فقد راحت تلك الاسس تنشئ نظاما ماليا عالميا حديثا تمأسست فوقه مدينة عالمية للمال بلندن the City of London مما يسم الميل المربع The Square Mile كما ذكرنا فى مكان اخر<. و يتمأسس فوق ذلك النظام المالى من بعد كل من وول ستريت Wall Street و صندوق النقد الدولى. هذا و أزعم ان جمهورية البندقية كانت:

– "مدينة دولة Nation State اندلسية" مرة

–و اوليجاركية مشبوهة النسب الى روما مرة ثانية.

–مرة ثالثة سفر تكوين كل من البنك الدولى و صندوق النقد الدولى مما تمأسس فوقه اهم احبار و اسباط و قضاة و تجار و امراء المحافظين الجدد و حلفائهم و محاسيبهم مما قد اناقشه تباعا.

استقرار الاوليجاركيات و تعالق حزب البندقية ونظائر اندلسية اسلامية:

كانت اوليجاركيات البندقية و لم يزد تعداد سكان جمهورية البندقية على 200 الف نسمة قد نجحت فى الحفاظ على سلطة المهاجرين من الامبراطورية الرومانية و من المدن الدول اللاحقة لسقوط الامبراطورية و على ثرواتهم و قد استقر بهم الحال بلا اضطرابات تذكر منذ القرن السابع لمدة 1100 عام الى ان اجتاح نابليون البندقية فى 1797. و ربما كان مفيدا تذكر تساوق تاريخ مثول تلك الاوليجاركيات و بداية الصليبيات على المسلمين و العرب. و لعل ذلك يحتاج الى مزيد من التفصيل و ربما فصلته فى مكان اخر.

المهم فورا يعزى للاولجيركيات قدرتها على البقاء و الاستقرار مقارنة مع الديمقراطية. ذلط ان الاولى تملك القدرة على الاستمرار لوقت طويل و بالمقابل لا تتحقق الديمقراطية الا لفترات قصيرة و حسب.

وقياسا يتحقق استقرار الاوليجاركيات تحت ظل منظومة معينة من الظروف و المواضعات تتسم بخصائص غير عادية لفترات اطول.

و من المفيد تذكر ان ثمة قياس متستر عليه بين الاوليجاركيات و نمط الانتاج الشرقى و علاقات الملكية والانتاج الخراجية رغم ان الربا يؤلف بعدا اعمق من الخراج او–و يغدو الخراج تنويع على الاخير و على الريع معا. المهم كانت البندقية قد ازدهرت باكرا بكل من التحولات الحالة فى الامبراطورية الرومانية عشية سقوطها كما اخذت البندقية كما ذكرنا فى مكان اخر عن الاندلس فى ازهى عصور الاخيرة معا. ومن المفيد تذكر ان كل من الامبراطورية الرومانية و الاندلس و كذا الخلافة العباسية و العثمانية الخ كانت حرية بان تتعالق متوسطيا مثلما تعالقت كل من البندقية و اسطنبول والاسكندرية و تعبر كل منها عن نفسها فى:

–ما يشبه تدفق النبع قبل ان يفيض

–نشوء وتكريس سلطة و ثروة جماعات

–ان وجود و ثروات تلك الجماعات الاولبجاركية تغدو سبب سقوط تلك الامبراطوريات

–ان سقوط الامبراطوريات المذكورة بقي غالبا نتيجة هروب اموال و اجزاء ثقافية هائلة و "خروج" جماعات بعينها او احرى اوليجاركيات مما يكون له صلة وثيقة بشرائح سلطة تلك الامبراطوريات او حتى من اعضاء الدارة الداخلية من تلك السلطة.

هذا و كانت البندقية مثلا قد باتت جراء سقوط غرناطة أهم تجمع لاوليجاركيات و اثرياء اسبانيا و البرتغال فى اوربا عشية و بعد سقوط الاندلس. و ازعم ام ذلك كان يؤلف تنويع منوالى على عشية سقوط الامبراطورية الرومانية سابقا و ما حل بالامبراطورية البريطانيا لحساب امريكا لاحقا. و كان معظم تلك الاوليجاركات قد اتصل بما يسمى حزب البندقية. و كان بعض اعضاء حزب البندقية قد رحل من اسبانيا و البرتغال عشية سقوط الامبراطورية الرومانية ثم سقوط الاندلس الى البندقية. و كانت الاخيرة تشارف المدن الاندلسية فباتت البندقية حرية يان تغدو بهذا الوصف عنوان ما يسمى "التنوير" مثلما اذكر فى مكان اخر. و كان اوليجاركيو البندقية حريون:

–بان يناصبوا كل من اسبانيا الكاثوليكية والبابوية العداء.

–و ان تتعالق ضغينة اثرياء اوليجاركية جمهورية البندقية ومطامع كل من هولندا و بريطانيا على اسبانيا الكاثولكية و على البابوية.

–و ان يصدر اوليجاركيو البندقية عن كل من الفكر اليونانى و التنظيم الرومانى

–ان يصدر الى ذلك عن التنويعات الارسطية التى هاجرت مع اعراب الشتات الاندلسيين.

–يمثلون تتنويع على نظائر مثل الخوارج الخ

–تخترق تلك التنويعات او التحورات بالاحرى الكاثوليكية الغربية. و لعل ثمة قياس بين ما حدث بعد انهيار سلطة البابوية فى القرن السادس عشر وتباعا و صولا الى عهد تشالز الثانى غب سقوط الجمهورية الانجليزية

–تساوق الاخيرة مع ما حدث من احتراب الطوائف فى سائر الامصار الاسلامية من العراق و الشام الى مصر وشمال افريقيا[173].

كيف صارت البندقية مركز اوربا المالي:

كانت المرحلة الباكرة من القرون الوسطى وهى ما بين 476 و 1000 تسمى–باثر رجعى طبعا– "العصور المظلمة" حتى يغدو ما بعدها عصر نهضة او تنوير حسب الجماعات التى تعينت على تلك التسميات المتمركزة اوربيا مسيحيا اعرابيا و ماليا. و كانت صفة العصور المظلمة تطلق على تاريخ الانسانية كاملة تعميشا على انوار الحضارة و الثقافة الاسلامية و العربية التى كانت زاهرة فى تلك الفترة. و كان ذلك التمركز المسيحي و المالى يثابر على مرحلة(بفتح الرأء و الحاء اى عملية تمرحل) Periodization او تحقيب التاريخ بين عصور كلاسيكة و عصور مظلمة و وسطى تمركزا اوربيا فاحشا. و تمتد العصور الوسطى من سقوط الامبراطورية الرومانية فى القرن السادس الى السابع او بعد ذلك الى القرن السادس عشر وصولا الى ما يسمى عصر النهضة.

و كان الفاتيكان و قسطنطينة يستدعيان سلطة دينية و سياسية واسعة على العالم ابان "العصور المظلمة" فى اوربا الغربية. فقد كان و مايرح الفاتيكان دولة يترأسها البابا كزعيم وضعى و يمثل الفاتيكان فى الممنظمات الدولية.

المهم كانت البندقية تعمل بهدوء لتحتكر مركز راس المال المالى فى العالم. وكانت البندقية أقوى المدن الدول فى اوربا الاقطاعية فى القرن الحادى و الثانى عشر و ربما الثالث عشر. و قياسا اجادل ان البندقية و ربما سويسرا باتتا تنويعة باكرة على صندوق النقد الدولى. و لم تكن سويسر تزيد على فائض انتاج سقوط الامبراطورية الرومانية فى ننويع باكر على لبنان و الاردن بوصفهما فائض انتاج الامبراطورية العثمانية. و كان نادى البندقية قد انشئ تحت سلطة الدوتشى Docci و كانت البندقية قد عينته للقيام عقلانيا بحل ثنائية الفاتيكان و القسطنطينة.

و من المهم تذكر ان عصر النهضة كان قد قادته البابوية فى البندقية لوقت طويل قبل حلول البابوية فى روما. و كان عصر النهضة كما ذكرنا فى مكان اخر حري بان يستقى من و يتمأسس فوق تداعيات سقوط غرناطة و نهب و سلب ثروات و علوم العرب و المسلمين وصولا الى نهب ثروات و افكار غير الغربيين كافة من الصين الى سكان العوالم الجديدة. و كان البندقيون قد راحوا يصدرون النظام المالى الربوى فى القرنين الخامس السادس عشر الى لندن وامستردام اكثر من اى مكان اخر قبل ان يتعينوا على تصديره الى العالم الجديد. و لعل تكريس دور البندقية المالى فى اوربا الغربية مجددا كان على عهد الملك هنرى الثامن و كان احد اهم الاوليجاركيين قد عين مستشارا فى أمور الجنس لدى الملك هنرى

الثامن و كان الاخير مهوسا و شبه مجنون. على ان اهم أعمال هنرى الثامن ملك انجلترا المذكور فى مكان اخر تمثلت فى الخروج على الكنيسة الكاثوليكية و بدئ الحرب على البابوية مما اذكره ربما فى مكان اخر كون تلك الاحداث اتصلت باهم ما اصيبت به المسيحية الغربية–الكاثوليكية–ممثلة فى تشوهات اطلقت على نفسها صفة البروتستانتية. و كانت الاخيرة تعبر عن اعوجاجات مجددة فى المسيحية الغربية فوق ما كان قد اصاب الكاثوليكية من تشوهات ابان الامبراطورية الرومانية وصولا الى وراثة البندقية للاخيرة تسترا.

وكان سفر تكوين الحركات المسيحية الغربية المشبوهة مثل البروتستانتية و تنويعاتها عبورا بقراصنة شركات الهند الشرقية الى الامبراطورية البريطانية– كون الاخيرة مؤامرة معلنة–قد اتصل باوليجاركيات جمهورية البندقية و أوليجاركيات انجلترا معا. و كان معظم تلك الاوليجاركيات يصدر عن ذهنية اعراب الشتات و تتمأسس فوق رساميل هائلة باتت تنمو و تراكم من تلقاء نفسها تقريبا ثم راحت تلتهم العالم تباعا[174]. و كانت تلك الاوليجاركيات قد انشأت أنظمة مصرفية باكرة كرست تنويعات على ما يلاحظه الناس اليوم فى كل مكان من انهيارات متقصدة لاسواق الاسهم و السندات و المال و الائتمان العقارى. و من ذلك مثلا ما قد يتضح فى كيف ان ديزرائيلى كان وراء كل من حرب القرم التى قيضت توسع بريطانيا فى اوربا الشرقية و شراء اسهم قناة السويس فتوسيع بريطانيا فى الشرق الاوسط افقيا. و كان ديزرائيلى قد تعبن على ترويع المدنيين المصريين بالمطالبة بسداد ديونهم حتى ان عجزوا انتزعت حصة مصر فى قناة السويس لحساب انجلترا و هكذا. فكيف بات العالم الجديد تنويع باكر على العالم القديم؟ و كيف فبرك الحجاج و رفقاء دربهم اعراب الشتات ارض ميعاد جديدة فى العالم الجديد؟

الفصل الثاني: عقلانية تشويه جمهورية البندقية الحرة لماعداها بخاصة امريكا الشمالية:

يقول بعض المؤرخين ان التاريخ الحديث بقى يصدر عن ظاهرة الصراع الدائر بين ما يسمى ملك الشمال و ملك الجنوب. و ازعم ان ملك الشمال تزويق عقلانى لجمهورية البندقية الحرة و وريثتيها انجلترا و هولندا من ناحية. و اجادل ان ملك الجنوب بدوره تزويق عقلانى او عقلنة للبابوية او للمسيحية–الكاثوليكية الغربية من ناحية اخرى. هذا و كان ملك الفرس يسمى ملك الشمال حين اجتاح ساموراء الا ان ذلك قد لا يقاس عليه ربما فى هذه المعادلة. المهم تمحور التاريخ حول ظاهرة الصراع المذكور لقرون عديدة.

و قياسا فان الصراع الدائر اليوم بين الملوك–ومفردة ملك هنا هى مفردة مجازية–او الاحرى تعبير عن مفهومات متجانسة Generic–و تعنى هنا القوى الكبرى–هو صراع بين هذين الملكين او تلك القوتين المتقابلتين سواء كانتا حقيقيتان او ملفقتان. و ازعم ان تلك الحروب عبرت عن نفسها فى الحروب الدينية الاوربية التى اتصلت لالف عام من الصليبية الاولى الى الحرب العالمية الثانية سواء مع خصوم اوربا الغربية او بين الدول الاوربية بعد سقوط الامبراطورية الرومانية و تباعا الى ما يسمى الحرب الباردة. و قد اسلمت الاخيرة مكانها الى ما يسمى الحرب على الارهاب. على انه لا ينبغى ان ينظر الى حروب

تلك القوى فى سياق صراع اقتصادى يتخفى وراء حروب عسكرية بين جيشين قوميين متنافسين فوق ساحات المعارك وحسب. فالحروب المذكورة تعبير مظهرى عن صراع فلسفى قوامه الفكر الرأسمالى و قيم الاخير و ما يسمى بمبادئ العالم الحر الخ و غيرها من طروحات الرأسمالية ما بعد الصناعية– مشروع القرن الامريكى الجديد– القيامي. و اجادل فى بحث اخر ان تلك القوتين ليست سوى حرب اهلية بين بعض طوائف اعراب الشتات و ربما كانت الحرب تعبير عن التنافس بينهما على اجندة قيامية و اخر اقل غلواء.

و ازعم ان ظاهرة او مفهوم الملكين ذاك يتحور مرارا على نفسه فيما يصدر عن حزبين كبيرين فى خندقين متقابلين فى المجتمعات الغنية و المجتمعات المستقطبة فى محاور الاخيرة. فلم يعد ثمة فرق بين الملكين او الحزبين الكبيرين اذ لم يعد الحزبان الكبيرن بهذا الوصف يتواجهان الا بقدر ما يتنافسان حول من منهما اقدر من الاخر على خدمة الرأسمالية المالية و بخاصة جماعات اصحاب المصالح الخاصة Special Interest Groups وغاياتها المصيرية المعبر عنها فى الاوليجاركيات المالية خصما على القضايا الشعبية المحورية المفصلية.

على انه من المفيد تذكر ان قضايا الرأسمالية المصيرية اذ تعبر عن نفسها فى الصراع بين ملكى الشمال و الجنوب فقد الاخير و ما يبرح يتمأسس فوق عداوات ايديولوجية[175] مادية على الخصوص. و حيث كان كل من الايديولوجيتن يعبر عن نفسه فى معدنين مغايرين كالحديد و الصلصال مثلا فان صلابة الاوليجاريكات تقاس على معدن الحديد فتتمثل فى السلطة الامبريالية غير القابلة للهزيمة فى اتصالها وتنويعاتها عبرالتاريخ.

المهم بقيت الملكية اى العروش التابعة للكنيسة الكالثوليكية تقف بوصفها خصم الاوليجاركيات و نقيض للجمهورية فى تمثل الاخيرة فى تنويعات اكثر نقاءا. و ترى الطبقات الاوليجاركية الحاكمة نفسها و الصفوويون انفسهم بوصفهم ممتازين و فائقين على من عداهم بصورة شبه معطاة بالنظر الى الطبقات الدنيا. ذلك ان الاوليجاركيين ينظرون الى البشرية على انها ليست سوى وحوش غبر قابلة للرقى او التعلم. و يستدعى الفكر والتنظيم الاوليجاركيين افتراض ان ثمة بشرية انتقائية تملك قدرات و ملكات الهية اعلى و اسمى كثيرا من الحيونات و مملكتها الدنيا. ذلك ان الاوليجاركيين يبقون من وجهة نظر "جاهوفا" حكام العالم فيما يبقى الجمهوريون– مجازا–اقل من ان يحكموا العالم. فالجمهورية قد تستدعى التعبير عن الاغلبيات المفقرة ممن لا يستحق مكانا بين البشرية. على ان تلك الاغلبيات من التراكمات العددية التى تتطير الاوليجاريكية منها تبقى دائما حرية بان تسعى بدورها الى الحرية كون ذلك النزوع جيني او غزيزي ان اردت فى البشر. فالعدل حلم البشر وغايته تحكم البشر بمصيرهم وحكم انفسهم مما يثير فزع الاوليجاركيين و يستدعى كراهية الاخيرين للشعوب.

ولعله من المفيد ملاحظة ان ثنائيات الاوليجاريكية و الجمهورية و الصفوة و العامة الدهماء وملك الشمال و ملك الجنوب–مما افصله فى مكان اخر–تعبر فيما تعبر عن خصام البروتستانتية–و حلفائها

اعراب الشتات–للكالثوليكية. فالاولى دين الثراء و جنتهم على الارض. وبالمقابل تستدعى الثانية بتمثلات اللاهوت الثورى مثلا تحقيقا لامانى المفقرين على الارض بعالم اخر افضل من الحياة الدنيا قبل السماء. فكل من البروتستانتية و اعراب الشتات لا يؤمنون بالجنة و كذا ربما الماركسيين.

فما هو سفر تكوين مفهوم الدمقرطة حقا اى ما يزوق بالديمقراطية الغربية من اعلى ؟

بقى العالم يفرق بين سلطة العروش و سلطة الجمهورية. و لم يلبث كثيرون ان ادركوا ان ليس ثمة فرق فقد باتت بعض العروش دستورية ديمقراطية نسبيا و غدت معظم الجمهوريات قمعية وراثية من المجتمعات الغنية الى المجتمعات المفقرة على حد سواء. و من المهم تذكر ان مفهوم الجمهورية كان قد تحدر عقلانيا عن مفردة الدكتاتور و كانت الدكتاتورية قد ارتبطت بالمجتمعات الزراعية القديمة عامة. و تعود المفردة فى المجتمعات الاوربية الكلاسيكية لاواخر دورة المجتمع اليونانى التاريخية و صراعات اثينا و اسبارطا على الخصوص حتى بداية روما البدائية مرة و مرة اخرى مع اواخر الامبراطورية الرومانية عشية تنصيرها. و كان فردا يتفق على صلاحيته يؤتى به فى مرحلة من مراحل سلطة متعثرة ليولى قيادة معركة او تمرير وراثة مستبد–أو طاغية[176]. و تعبر تلك السلطة عن نفسها بالضرورة فيما قد يشارف "ديمقراطية انتقائية" بالنتيجة قياسا على سلطة اباطرة العصور الاوربية المظلمة الطاغية بخاصة عندما يمنى النظام بازمة غب هزيمة عسكرية او جراء التضخم او الكوارث الطبيعية او–و بمغبة صراعات على السلطة بين الشرائح السلطوية. و ينتخب الديكتاتور لاقامة نظام "اكثر ديمقراطية"–بمعنى يوسع قاعدة السلطة بين الطبقات الحاكمة و الطامحين الى وراثة السلطة.

و يصدر الغرب عن الديمقراطية الاثينية. و كانت السلطة كما ذكرنا على اواخر دورة المجتمع اليونانى التاريخية و بداية روما البدائية اتصلت بصراعات اثينا و اسبارطا و حروب الاخيرتين وحروب روما وقرطاح وباخذ السبايا و بتجارة العبيد . و قد اتسمت السلطة الديمقراطية في اثنيا بالعبودية و فى روما بالحروب وبتجنيد العبيد و العامة على جانبى قوات المتنافسين على السلطة. كما عبرت الجمهورية فى روما الاقطاعية عن نفسها الى ذلك فى التقاتل على الاقطاعات الباكرة و فى حروب الاقطاعيين التوسعية. و تلاحظ(ين) كيف تتماسس الدول الغربية وغير الغربية المعاصرة فوق نمط انتاج عبودى بالتماس. ذلك ان الاقتصاد الاوربى الغربى ما كان ليستقيم لولا العمل العبودى فى امتدادات اوربا الغربية مما زوق فى تقسيم العمل الدولى. و قياسا تتبادل معظم الدول الاوربية الغربية سلعا منتجة بالعمل المقيد و العبودى و عمل المحكومين والمنبوذين Outcastes او the untouchables مع الصين والهند و الفليبين و الفيتنام و غيرها من دول اسيا و افريقيا. و كان الاقتصاد الامريكى حيرا بان يستحيل بدون التبادل فى السلع الصينية المنتجة بعمل يشارف العبودية. و يجند الغرب الى ذلك الهسبان و المكسيك–و العرب و المسلمين من طالبى اللجوء و البطاقة الخضراء–بين قوات التحالف لقتال العرب والمسلمين فى حروب امريكا التوسعية.

هذا و قد اتصلت السلطة اليونانية فى أهم ما اتصلت بالمفهوم الصفووى الاثينى للديمقراطية و بالمفهوم الاسبارطى للتراتب العسكرى المتمايز. و حيث تتمأسس تراتبية المجتمعات التاريخية عموما عن هرمية المجتمع بالقياس الى مكانة الرب ومن يمثلونه من الانبياء و الاسلاف و الحكام ازعم ان المجتمع اليونانى لم يكن يصدر عن هرمية ربانية. ذلك ان الالهة اليونانية لم تكن متراتبة و لم تكن تسكن السماء وحدها بل كانت تسكن الجبال و البحار والعوالم السفلية. و كانت الهة لاهية و اباحية ليس فيما بينها ممن يشبه البشر بل كان بينها و بين الحوريات و الحيوان و السحب الخ اكثر. و كانت تلك الالهة الى ذلك ساخرة و متلاعبة و لم يكن يقر لها قرار. و عليه ربما كان مفيدا تأمل هرمية المجتمع اليونانى من حيث اختلاط المجتمع اليونانى كغيره بجماعات اخترقته تباعا على مر السنين من اعراب الشتات و الخزر و الترك و غيرهم مما يكون قد تحدر الى مفهوم التراتب الاجتماعى الاثنيى و العرقى و النوعى جميعا.

المهم فورا اتصل مفهوم "الديمقراطية" فى اثينا بالرجال الاحرار الحكماء. و ترجع كل من اليونان و روما مفهوم الفرد الحر مما قد يصدر عن المفهوم التوراتى فكل بنى اسرائيل احرار و كافة الغويم المشركين بيهوى عبيدا لهم وكان يهوى قد جعل ال كنعان عبيدا لآل يافيث. واتصل مفهوم الديمقراطية فى روما بالمقابل تزويقا باشراك "العامة" من "احرار" الرومان فيما يشارف حواف السلطة من مناشط. و قد قيض ذلك السيناريو اقتسام مجاميع العامة و تجميدهم قواعد شعبية و مشاة فى جيوش المتنافسين فى المساومة على السلطة. ذلك ان مثل ذلك الاستقطاب كان حريا بان يسهل غالبا اما غواية او–و رشوة العامة بهذا الوصف بترجيح كفة الاصوات لصالح الديكتاتور.

و هنا من المهم الا يسارع البعض الى مضاهاة "الديمقراطية" الرومانية بما تنشده الامانى الشعبية للناس على مر العصور. و الا دخلنا فى تناقض بين مفهوم الديمقراطية و مفهوم كراهية الشعوب. فمفهوم "العامة" بمعنى المحكومين عامة شئ اخر غير العامة فى المفهوم الرومانى مثلا. فقد تحدر المفهوم المطلث او المجرد للعامة و يشمل الغوغاء و العبيد المنقولين او المربوطين بالارض و تويقا للاقنان منذ ما قبل اليونان الى الادب السياسي الغربى. قياسا فثمة فرق بين الاخير و بين المفهوم الاجرائى للعامة الذى تزوق به الديمقراطية اليونانية فالرومانية و تنويعاتها اللاحقة.

المهم ينبغى تذكر انه يمكن افتراض ان العامة من احرار اليونان و الرومان كانوا حريون بان يغدون اقلية مقارنة مع العبيد و الغرباء مثلما فى المدن الدول الخليجية و كما فى امريكا الشمالية. و من ثم يمكن افتراض انهم كانوا قابلين للرشوة و الغواية مما لا ينفى شرط تكريس كراهية الشعوب و الذراية بها و فعل كل شئ لاحباط مشاريعها فى مسام المجتمعات التاريخية على الاقل بخاصة منذ ما يسمى بالمجتمعات الاوربية الكلاسيكية على الخصوص.

و اجادل ان ربما لزم تعريف مفهوم العامة فى الممارسات السياسية الرومانية. و أزعم ان تعريف مفهوم العامة كان حريا بان يتصل فى روما في أهم ما اتصل بفئتين او تنويعتهم اثنين هما:

–العامة من احرار الرومان و العبيد المعتقين ممن كان يباع و يشترى و كان الرومان يقني بعضهم مرافقين و خدما فى البيوت يعاملونهم دون سواهم بصورة افضل من معاملة فقراء الرومان انفسهم. و كانت رشوة الاخيرين و سوقهم وراء القيصر و الامبراطور الديكتاتور تسهل من ثم.

فقد استقطبت الجمهورية بعض العامة و العبيد–مثل جراكوس و سواه من العبيد اليونان المعتقين و غيرهم–فى الصراع السلطوى الفوقى. و قد فرد–من التفريد–معظم الاخيرين حيث عزلوا و سيسوا ايديولوجيا. و كان مثل هؤلاء من العامة و العبيد بهذا الوصف يستجلب فيجلس عند درج البانثيون Pantheon–هيكل كل الآلهة–محلفين و شهود على عدالة روما فى محاكمة خصوم القيصر و أعوانه أو–و لاغراق اصوات معارضي القيصر داخل مجلس الشيوخ Senate[177]. وكان يوليوس قيصر–30(ق م)–14ميلادية قد فعل ذلك يتحريض اعراب الشتات فى الجلسة التى كان سيطرح فيها الثقة على مشروعه الا انه اغتيل فى 15 مارس من عام 15 ميلادية The Ides of March.

–مفهوم العامة بمعنى "الرعاع" و "الدهماء" أو–و حثالة المجتمع وقد بات معظهم ادنى من حظ بعض العبيد المعتقين بالنتيجة. وازعم ان بعضهم ربما بات لاحقا ما اسميه بالطبقات الوسيطة. و قد بقيت روما و سليلاتها من شرائح السلطة الاوربية فالامريكية من بعد تتطير من حركات العامة الرعاع و العبيد أكثر من اى شئ آخر– اى من الحركات الشعبية.

و من المفيد تأمل مفهوم الشعب او تلك المفردة السهل الممتنع الميسرة معا. فكلمة او مفهوم الشعب هو تلك الكلمة العجيبة الغريبة التى لم بتوقف معظمنا بعد فيتأملها مليا ويعرفها على مر التاريخ. و تعنى مفردة الشعب فيما تعنى الديمومة و مقاومة الفناء و التحول و التزايد فى مواجهة الابادة و التكاثر فى مواجهة التعقيم و السموم. و كلما تفاقمت مواجهة اعداء الشعوب للشعوب كلما ابدعت الشعوب وسائلا للبقاء مما يثير تطير اعداء الشعوب و على رأسهم اعراب الشتات و مؤرخوهم واتباع الاخيرين من النخب و الاوليجاريكات فى كل مكان.

–الى ذلك كان بعض الشيوخ قابل للرشوة بدوره. و كانت معادلة الديمقراطية الرومانية تفترض اما سوق العامة او–و رشوة الشيوخ ترجيحا لميزان القوى فيما يتصل بقرارات مجلس الشيوخ The Senate. وكانت تلك التنويعة من الديمقراطية او اللا ديمقراطية الرومانية تسمى تجاوزا عقلانيا او تزويقا بالاحرى فى مفهوم اومفردة "حكم العامة" Rule by the mobs. وكانت عمليات سوق العامة وراء اتجاه او اخر أو فى صف "حزب" أو آخر يرجح كفة اصوات الشيوخ لصالح جانب منهم و حزب خصما على جانت او على "حزب" اخر.

و يتمثل تنويع على ذلك السيناريو فى الولايات المتحدة فيرشى الشيوخ و يساق العامة ممن يعتبر فى حكم الرومان احرارا قياسا على شعوب الهوامش–بكافة انواع الغواية و يبقى العامة الدهماء الرعاع هم

شعوب المجتمعات المستقطبة فى محور امريكا بوصفها تعبير عن المصالح الراسمالية العولمية بامتياز في محفل سادة و حكام و اثرياء العالم.

المهم فورا ربما امكن القول بان تشوه الجمهورية يصدر عن مفهوم ان العامة لا يصلحون للسلطة و من ثم فان اقسى ما يمكن ان يحصلوا عليه هو ديمقراطية مدلسة لا تستبعد تزوير الانتخابات فى ارقى الجمهوريات. فقد "سرقت" نتيجة الانتخابات الامريكية–حسب التعبير الامريكى عن التزوير الذى تم–فى فلوريدا فى 2000 خصما على المرشح الديمقراطى بيل كلينتون و فى اوهايو فى 2004 خصما على المرشح الديمقرارطى ال جور لصالح المرشح الجمهوري جورج ووكر بوش.

فان باتت الديمقراطية تختزل فى الاقتراع كل 4 او 5 سنوات فلعل الجمهورية الديمقراطية ليست سوى تزويق لما يشارف الديكتاتورية. فقد بقيت الديمقراطية الغربية تنويع على نظائرها الفطيرة السابقة عليها مما يصدر خفية عن المفهوم الزراعى الارستقراطى للديكتاتورية. فالمفهوم لا يترك سبيلا للحديث عن الديمقراطية سوى بتماس حدود الديمقراطية المذكورة و العبودية مثلما تتماس حدود العبودية و الحرية. و كان البعض يقول انك ان انتهيت الى دمقراطية الشعب فانك ستجد نفسك فى مواجهة ديكتاتورية الشعب و الا فديكتاتورية نابيلون.

و كان الاوربيون يقولون ان تجربة امريكا ينبغى ان تعدل فلا ترحل(بفتح و شد الحاء) الى اوربا الميل نحو ديكتاتورية الاغلبية. الا ان الواقع هو ان امريكا لم تعرف من الديمقراطية سوى ديمقراطية الحزبين الكبيرين يزينان عقلانيا لاعطاء الانطباع بتمثل يمين و يسار او على الاقل يمين الوسط و يسار الوسط تخاتلا حتى يؤخذ الشعب الامريكى بلعبة الديمقراطية المتكاذبة.

الفصل الثالث:أحبولة الثنائيات و الطبقات الوسيطة وجيزا:

ازعم ان الثنائيات نشأت مع الصليبيات التى كرست مقولة ان الفرد الغربى عقلانى و ان المسلم هائى و عنيف و ان المسيحية مسالمة و ان الاسلام دموى رغم دموية الاصحاح القديم التى جاء عيسى ابن مريم عليه السلام فحييدها بكل من اعط ما لقيص لقيصر و ما لله لله و ادر خدك الايسر لمن يصفعك على خدك الايمن. و مع ذلك فقد كرس التنوير تلك الثنائيات. و أزعم ان فيروس ما اعرفه بالثنائيات Dichotomy التنويرية الجديدة و تنويعاتها الباكرة كان حريا بان يصيب العالم و ظواهره الفكرية التنظيمية منذ ما يسمى "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" على الاقل بما يشارف الشكيسوفرانيا الفكرية و الاخلاقية. فقد هيأت حركة الاكتشافات و توسع اوربا الغربية بصورة غير مسبوقة للفرد الغربى انه سيد الكون و كل من عداه خدام او عبيد له قياسا على كل من القدر الجلى و حق الفتح الخ مما ذكرنا فى مكان اخر. فلم يلبث الفرد ان راح يوقن بان الكون مبزول له وحده و ان الرب خلق الكون حتى يسخره الاوربى لمصلحته بلا تحفظ او انتقاء و ان الطبيعة و الكائنات كافة ينبغى ان تكون فى خدمة ذلك الفرد دون سواه. و كانت سعة امتدادات اوربا الغربية حرية بان تخلق شعورا بالحرية فى التنقل حيثما شاء الفرد

الاوربى الغربى و بخاصة الانجلوساكسونى و قد كرس ذلك لدى الاخير و حفيدة الفرد الانجلوامريكي شعورا طافحا قاحشا بانه يملك الكون وما عليه.

و لعل ما اسميه الثنائيات التنويرية كانت تلك الذهنية حيث بات ذلك الفرد فى المهاجر الجديدة بخاصة فيما يسمى بالعالم الجديد فى الامريكتين و استرالاسيا و شمال اقريقيا و افريقيا كافة–بات ذلك الفرد المغامر قوة قائمة بذاتها و كل ما و من عداه موضوعا لتلك القوة و مسخر من اجل تكريس تلك القوة.

ومن المفيد ملاحظة ان تلك الذهينة تمثلت اكثر ما تمثلت لدى المهاجرين الى العالم الجديد و فى استرالاسيا و افريقيا و عبرت عن نفسها فى الدستور الامريكي الذى يجعل حق الفرد فى الحرية السعى الى السعادة حقا دستوريا.

و كان المهاجرون من شذاذ الافاق او–و ممن ارسلتهم بريطانيا او فرنسا من المجرمين و المحكومين و العاهرات لتنظيف بلندن وباريس كما فى حالة المهجرين الى استرالاسيا و الى امريكا و الى شمال الفريقيا بخاصة الجزائر. و قياسا ينبغى تعريف تلك المفهومات فى سياقها التاريخى و ليس بالمعنى الحرفى لها.

فقد كانت الحرية التى تنشدها مثل تلك المجامعي تعنى حرية التوسع و فتح استراليا و القارة الامريكية الشمالية و احتلال شمال افريقيا بلا هوادة فمثل تلك المجاميع حرية بالا تعرف الهوادة. و تعنى الحرية السعى الى السعادة سعادة مراكمة المال و الثروة. ذلك ان الثروة المادية والمال على الخصوص قد غدى غاية تطلب من اجل ذاتها.

الثنائيات التنظيمية:

1–الحزبين الكبيرين:

أزعم ان تلك الثنائيات تنوعت بدورها بين الثنائيات التنويرية الى الثنائيات التنطيمية مثل الحزبين الكبيرين اللذان يتبادلان الادوار و يسرق واحدهما ملابس الاخر. و يزوق مفهوم الحزبين الكبيرين فى ملكى الشمال و الجنوب مما اناقشه وجيزا بعد. كما تعبر الثنائيات المذكورة فيما تعبر عن نفسها فى خندقى الباطل الذى يجد المثقف و المفكر "المستقيم "(حسب صديقى حمودى العودى) نفسه محاصرا بهما و قد اخذ كلاهما بخناقه فيما يبدو احيانا و لا فكاك او بديل. فهل للاوليجاريكيات المالية علاقة باجتزاء الواقع فى خندقى باطل؟ ام بمثول الطبقات الوسيطة المتخاتلة عقلانيا بتاريخها؟

ازعم انه حيث تكرس المصالح الاوليجاركية المالية فى درجات المقياس فى الزمكان على مر التاريخ فقد توجد بعض الاجابة بشأن رنو النمط الشرقى و غيره الى الماضى او–و اطراقه بين قدميه. ذلك انه ان كانت المصالح الاوليجاركية معلاة على غيرها و خصما على ما عدها فان وهم الديمقراطية فى حزبين كبيرين لا تزيد على احبولة مطبق. و قياسا:

1– تحبط احبولة الحزبين الكبيرين اى حزب بديل او حزب وسيط بين الحزب الجمهورى و الديمقراطي الامريكين او بين حزب المحافظين العمال الجديد البريطانيين مثلا.

– يكرس ذلك الوضع–بالتلويح بتغيير هنا و تغيير هناك

–او–و بتغيير المرشحين للرئاسة على الخصوص كون الجمهورية الامريكية رئاسية و ما تنفك رئاسة الوزراء البريطانية تتصرف كادارة رئاسية–رغم الملكة و بسبب وجودها الرمزى بالاحرى.

–و تتحور الاحزاب فى كافة الظروف حول الوسط

–و يتنافس الحزبين الكبيرين على الوسط تخاتلا

–الا انهما يتنازعا يمين الوسط بعقلانية تزويق خطاب قد يخادع الناخب فيوهمه بما هو غير ذلك. من ذلك ان يتبدى خطاب اليمين خطاب يسار الوسط مثلا. و لك تأمل خطاب الديمقراطيين و خطاب الجمهوريين الامريكان.

– بالمقابل يؤجل عقلانيا او يحبط شرط اى عمل شعبى بديل.

–تخايل الرأسمالية المالية و قد باتت تحتكر الساحة السياسية و الاعلام الفن و تسن القوانين بحيث لا تخرج هى على القانون و يغدو كل ما تفعله هى فى حدود القانون الذى وضعته هى–تخايل الرأسمالية المالية بهذا الوصف بالديمقراطية الغربية للفرد عبر احابيل "تغيير Change" ممسرح و توظف احلال العبيد المعتقين و المحظيات الملكيات منوليا مثل جون ميجو و مارجريت ثاتشر و باراك اوباما على رأس السلطة المركزية و حتى المحلية. و لا تزيد تلك السلطة سوى ان تيسر عملية وراثات الرأسمالية العسرة فى كل مرة تمنى فيها الاخيرة بازمة دورية.

2– الطبقات الوسيطة

و قياسا فقد عبرت الثنائيات المذكورة تباعا عن نفسها فى جماعات اعراب الشتات ممن يخترق السلطة و المعارضة معا و قد ارتدى اعراب الشتات بتنويعاتهم ملابس الحضر. و باتت تنويعاتهم تتمثل فى بعض اعضاء الطبقات العليا و المتوسطة من المحافظين الجدد و الطبقات الوسيطة من ربابيهم الليبراليين الجدد و العقلانيين الجدد. و قياسا على تنويعات المحافظين الجدد و هم اقرب الى الاوليجاركيات–تقف جماعات الليبراليين و نظائرهم على مر التاريخ مع الحاكم و فى معارضتة و مع من يدعى التضامن مع الشعوب و يخاصمون الاخيرة اشرس خصام. و من المفيد تذكر ان ظاهرة الليراليين الجدد و نظائرهم السابقة كانت قد تمأسست فوق مفهوم غير قابل للتعريف موضوعيا او تاريخيا الا بقدر ما يصدر عن مفهوم الطبقات المتوسطة او الوسيطة بالاحرى.

و يتعين البحث على تأمل ظاهرة الطبقات المتوسطة وجيزا. فمفردة الطبقات الوسيطة Mediating classes من المفهومات التى تنحتها هذه الدراسة. و لعل الطبقات الوسطية بالوصف ادناه حرية بان تقف كما يلاحظ بين الليبراليين الجدد و العقلاتيين الجدد و نظائرهم السابقة كحالة مؤقتة و مهتزة و مترددة و من ثم ميالة للانتهاز و مزعنة لحاجة متصلة الى التخاتل. فالطبقة المتوسطة أو الوسيطة على الخصوص ليست طبقة بهذا الوصف و من ثم فان اقرب تعريف لتلك الجماعات التى يلاحظها الناس فى كل مكان ممن يحلو لها تعريف نفسها بالنخب و يشار اليها بالنخبوية–لعل تعريف تلك الجماعات يشارف مفهوم الطبقة الوسيطة, لعل ذلك التعريف يناسب الاخيرة كونها ليست طبقة الا بقدر ما تتوسط

طبقتين ماثلتين على مر مراحل و انماط الانتاج وهما طبقة الحكام و طبقة المحكومين. و تسمسر تلك الجماعة الطبقة النخب عقلانيا لحساب خطاب الحكام غالبا.

و تشوق تلك الجماعة–من الافراد سواء تعرفوا عقلانيا على انفسهم كطبقة او لم يفعلوا–تشوق تلك الجماعة الاوليجاكريات المالية و تستهويها كون تلك الجماعات ة كانت دائما ضائعة فى التاريخ رغم انها تكتب او تدعى انها تكتب تاريخ من عداها. وقد تعينت تلك الجماعات على تكريس الميروتقراطية اى ما يعرف بالقدرات المالية خصما على النسب و الحسب و كان ذلك المفهوم قد نشأ باكرا على يدى الصوفيين اليونان و كان معظمهم من المهاجرين من كل مكان الى كل مكان وراء الغذاء الروحى و الفكرى. فقد قال الاخيرون فى القرن الخامس قبل الميلاد بتجاوزون المولد و المركز العائلى.

و رغم ان الصوفيين لم يكونوا مرتزقة الا انهم كانوا يقولون باحقية كسب المال طالما كان الفرد يقدم او يقوم بخدمة مفيدة فى مساعدة المواطنين اليونان العاديين على اقتناص الفرص الجديدة فبلوغ غايات وتبوأ مراكز فى المجتمع بغض النظر عن مولدهم او مكانتهم الاجتماعية. و كان الصوفيون يتعينون على نشر العلم بين الشباب و توسيع مداركهم–حيث كان التعليم الاثيني ينتهى فى سن الرابعة عشر– كما كان الصوفيون حريصين على توسيع نطاق التعليم فلا يحصر فى صفوة ارستقراطية سلالية صغيرة[178].

و تلاحظ(ين) ان الصوفيين لم ينكروا مفهوم الاوليجاركية تماما الا انهم نادوا بتنويع عليها.

فان كان الصوفيون اليونان و ربما معظم الصوفيين جوابون رحالة لا يستقرون و من ثم لا ينتمون الى المجتمع الذي يحطون فيه لنشر اراءهم فلعلهم كانوا اميل الى الا تقتصر الاوليجاركية على نبلاء اليونان او على الارستقراطية اليونانية دون سواها. و قياسا فربما الفت افكار الصوفيين بهذا الوصف سفر تكوين الميروتوقراط ولعلهم كانوا الاباء الاوائل لمفهوم اصحاب المال الجديد و العلاقات العامة و الديمقراطية الغربية الليبرالية.

و قد ضرب مفهوم الحراك الاجتماعى مفهوم المجتمع الاثيني المتراتب طبقيا اثنيا و جنسانويا فى احشاءه ولعل المفهوم أثار حفيظة سقراط و ارسطو. و قد ناصب الاخيران الصوفيين العداء و لم ينفكا ان اخذا عنهم كما اذكر فى مكان اخر. و لعله من المفيد تذكر ان الاخيرين ظلوا فى صراع فيما ينبهم رغم ان الفلسفة كانت حرية بان تأخذ عن الصوفية و ربما العكس ايضا,. الا ان الفلاسفة اليونانيين مثلا كانوا يناصبون الصوفيين الكلاسيكيين العداء فيما كان بعضهم ياحذ عن الصوفيين. و افترض ان الصوفيين كانوا يسوغون قول الرب او الطبيعة مما عصمهم .من الارتزاق مرة و مرة اخرى اسلمهم احيانا لغضب الحكام, و بالمقابل ربما كان معظم الفلاسفة يزوقون مفهوم السلطة و قد يتقرب بعضهم منها و ربما شارف بعضهم –مثل ارسطو مع عرش مقدونيا–عضوية الدائرة الداخلية لشرائع السلطة بوصفه مسوغ للسلطة أو–و متوافق معها مثلا.

المهم فورا لعل الجماعات الوسيطة حرية بان تدعي الانتماء الى الميروتقراط مما تشجع الاوليجاركيات عليه عقلانيا فتخايل لتلك الجماعات بدور فى صناعة التاريخ و الفكر الخ. ذلك ان تلك الجماعة تبقى

اشد استهدافا للغواية كونها مجهولة الهوية رغم استدعائها دورا و مكانة يخصمان غالبا على الطبقات الدنيا و على العامة الغوغاء الدهماء الشعوب خاصة. و لعل مثل ذلك الخصم يجمع تلك الجماعات مع الصفوات الاوليجاريكية. و لا تناصب الاخيرة العامة الخ العداء وحسب انما تنكر عليها اعادة التوزيع الذى توفره الاخيرة بفائض انتاجها و بالضرائب و الاتاواة التى تفرض عليها.

و يلاحظ الناس فى كل مكان كيف يتهم جون ماكين مرشح الجمهوريين لرياسة الجمهورية فى انتخابات نوفمبر 2008 باراك اوباما المرشح الديمقراطي بان الاخير اشتراكى كونه يعد باعادة التنوزيع و برفع نسبة الضرائب على الطبقات الثرية التى تخلق الثروة و الطبقات المتوسطة التى تزوق الفكر و التنظيم المواتيين لخلق الثروة. و يكاد اوباما يتبرأ من تهمة الاشتراكية مثلما يتبرأ من تهمة اصله المسلم و كأن الاشتراكية و الاسلام جرائم. و ما تنفك تندلع حركات متطرفة مشبوهة و كأنها انتفاضة حي البيازين تتهم اوباما بتشويه المجتمع الامريكى و بالمساس بالحقوق الالهية لجماعات العرق الابيض الممتاز[179].

المهم تغدو طبيعة مفهوم الطبقة الوسيطة بهذا الوصف متغييرة و متحورة تتنابها الخشية المتصلة على مصيرها غير القابل للضمان الا بقدر ما ترهن نفسها باحدى الطبقتين الرئيسيتين المتقابلتين على مر التاريخ. فتلك الطبقة او الشريحة بلا تاريخ الا بقدر ما نشأت بوصف انها وسيطة و انتحلت صفة الطبقة المتوسطة تكاذبا فى اوربا منذ القرن السابع عشر و فى اطراف اوربا منذ نهاية القرن التاسع عشر. وعليه فمن المهم التعرف على مفهوم الطبقة المتوسطة او الوسيطة بالاحرى–بوصف الاخيرة حاضنة الليبراليين الجدد و النخب السمسارة– و غيرهما من المفهومات المتعالقة فى تيسير مشروع العولمة. و تبدأ اهمية الطبقات الوسيطة و تنتهى بدور بعض المثقفين و المفكرين الليبراليين والعقلانيين الجدد فى كل مكان قاطبة فى تسويغ مشروع الحكام و المصالح الموروثة و المكتسبة بين اصحاب الرساميل المالية على الخصوص.

و قياسا فان اى محاولة لتحليل الواقع بمفردات اصحاب تلك المصالح ومشاريعهم مثل مشروع القرن الامريكي الصهيونى الجديد و مشروع الشرق الاوسط الكبيرة و القرن الافريقى العظيم و الاصلاح– الاقتصادى–او التخريب الاقتصادى بالاحرى–و الدمقرطة حرية بان تخلق مدلسات مجددة و محصلات مخاتلة. فكيف يفسر ارتهان "ازدهار" الاقتصاد الامريكى ما بعد الصناعى و العلاقة العضوية بين الاخير و تكريس قسمات علاقات العمل العبودى فى بعض قطاعات الاقتصاد الامريكى نفسه والصيني وغيرهما؟

عقلانية استحالة تماس حدود الديمقراطية و الاوليجاركية:

يلاحظ الناس كيف بقى الانموذج الانجلو امريكى المعاصر–و قد اصدر عن المنظور التوراتى حتى اليوم بوصفه وريث للامبرطورية الرومانية–ماثلا فى وول ستريت Wall Street –حى المال و الاعمال الامريكى– بوصف الاخير تنويع على البندقية و على مدينة لندن المالية City of London. و ليست مدينة لندن المالية بهذا الوصف اكثر من تنويع على نادى البندقية. و كانت البندقية اول مدينة نشأت

فيها ظاهرة ما يسمى بالمال المالى بهذا الوصف و ان كان بعد فى مرحلة فطيرة كانت قد امتدت منذ بدء التاريخ غير المكتوب. فقد كان لليهود حيا و ما يبرح موجودا فى البندقية و قد تخصصوا–دون سواهم كون المسيحية كانت تحرم الربا و احتكروا بيع المال سلعة–بالربا–مما قد بذكر بشخصية شايلوك فى مسرحية تاجر البندقية لشيكسبير.

و من المفيد تذكر ان البندقية بقيت مركز رأس مال الاوليجاركيات التى حكمت العالم فاكثر الجماعات قوة و ثروة. ومع ذلك فقد بقيت بريطانيا والولايات المتحدة حتى وقت قريب نسبيا توليفة هجينة من تنويعين من اقتصاد سياسي غير قابل للتوافق بصورة كافية. و لفهم ذلك ينبغى تشريح الاوليجاركيات البريطانية من حيث كيفية هيمنتها على المال و سيادة العالم. فقد بقى الاقتصاد السياسى البريطاني–و الاحرى الاقتصاد السياسى لاعراب الشتات البريطانيين الماليين العولميين–و كانه قض من حديد حتى وقت قريب و ربما حتى اليوم رغم ما قد يتظهر مما قد يوحى بغير ذلك. و قياسا يبقى ماعداه–فى درجات المقياس–من صلصال.

ومن المفيد تذكر ان كل من الامبراطورية الرومانية–و أوليجاركيات جمهورية البندقية الحرة المالية–و الاوليجاريكات البريطانية المالية كانت قد حكمت اوربا و العالم حتى بضعة قرون مضت. و يقول بعض المؤرخين الغربيين أن التاريخ يؤكد ان كل من الامبراطورية الرومانية–الفاتيكان وصولا الى ما بات يشار اليه بحاصل جمع كافة المسيحيين فى العالم قد حكموا العالم بدورهم. فقد كان البابا يوما اهم و اغنى رجل فى العالم المسيحي الغربى. و يتمثل حاصل جمع المسيحيين فى جسم واحد ويشار اليه بمفردة Christendom–وهى مفردة تختلف عن المسيحية الغربية من حيث ان الاخيرة هى المعتقد المسيحى و طاقم قيمه وممارساته.

و رغم ان المجموعة الاوربية ما تبرح تجأر بالابقاء على اوربا مسيحية او ناد مسيحي الا ان المسيحيين–وتعداهم مليار نسمة –مقسمين الى عدة طوائف و طرق بعضها متناحر مثله مثل غيره من الاديان الكبرى. على ان ذلك السيناريو او تلك الاطروحة–مما يبدو فى غمرة اتهام انجلترا بتشويه امريكا–تبقى متمركزة امريكيا. و قياسا فمثل ذلك السيناريو المزوق عقلانيا حري بان يتواطأ على تجاهل التاريخ الاسلامي و اجزاء هامة من التاريخ الرومانى و من تاريخ المسيحية الغربية نفسها تقصدا عقلانيا بدوره.

فمن ذلك أن نشوء الامبراطورية الرومانية مدين لقرطاح و تاريخ الامبراطورية البريطانية حري بان يدين ببزوغه لكل من اوليجاركية جمهورية البندقية الحرة–و الاخيرة مدينة لقرطاح مرة و الاندلس مرة اخرى على الاقل مما يتمثل فى ظاهرة "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" و قد تساوقت و1492 وهو عام سقوط اخر المدن الدول الاندلسية غرناطة.

العبودية و ازدهار الحضارة الاوربية:

المهم بقيت شعوب اوربا الشرقية تؤلف احتياطى للعمل المسترق مما يعيد حاصل جمع الاحداث–التى ادت الى سقوط المنظومة الاشتراكية–و تنويعة مجددة على سقوط امبراطورية بيزنطة المخزرنة منذ منتصف القرن الثامن و قيام امبراطوية الخزر. و من المهم تذكر ان كلمة عبد Slave كانت قد جاءت باللاتنية من مفردة سلافى Slave from Slav or Slavonic[180]. و كانت اثينا و اسبارتا تسعديان المدن الاخري و كانت كثيرة ومتفاوته القوة و تدخلان مع مع تلك الدول فى حروب من شأنها ان تاتى لهما بالاسرى عبيدا مما خلق مفهوم غير الاثيني–العبد. و رغم ان اليونان بات مسترقا لروما الا ان اليونان كانوا بدورهم يستدعون مفهوم الرق السلافى.

على أن مفهوم الاسترقاق لم يكن يتصل باللون العرقى فقد كان اليونان سمر وما يبرحون حتى الآن و كان بعضهم شديد السمرة مما يلاحظ فى النقوش على الاوانى الفخارية المعروفة وحتى فى بعض التماثيل التى كانت قد بقت فوق سحد الارض. فقد كانت التماثيل اليونانية سمراء فى الاصل لولا انها بقيت مدفونة لمئات النين قبل ان تكتشف مما حولها الى اللون المرمرى ابيض و قد بقى شعرهم شبه أجعد الا ان اوربا الغربية راحت تبييضهم كما لونت عينها هى.

فقد كان السكان الاصليون للجزر البريطانية سود او حمر الشعر الا ان الفايكينج جاؤوهم بالشعوب الشقراء فراحوا يحاكون غزاتهم بوصفهم اسيادهم و حكامهم كما يفعل و كان قد فعل معظم الشعوب المهزومة بالغزاة. المهم لونت اوربا الغربية عيون اليونايين و الرومان و جعلتهم شقرا كما فعلت بالمسيح و حواريه و مريم العذراء. و ازعم ان تبييض اوربا و اعراب الشتات بالجوار و التزاوج و النسب كان قد تعالق طرديا و محورية عقلنة مفهوم النهب بذريعة الامتياز و تسويغ توسع الاجناس "الراقية" فى اراضى من عداهم و خصما على الاجناس "المنحطة" تسويغا لاستعبادها و ابادتها اذا لزم.

و كانت سياسة النازى التوسعية تصدر عن استعباد و ترحيل–ترانسفيرو–أو قتل البولنديين و الروس و الشعوب السلافية الاخرى التى اعتبرها النازى شعوبا اقل نقاءا عرقيا من الالمان بل ادنى آدمية و من ثم عقبة فى طريق تطور الالمان فالحضارة الانسانية. و كان المستعمر الفرنسى بيير دى لا بيريه جأر عام 1892 و قد تحركت فى صدره خفافيش الضغينة على برابرة يجلسون فوق ارض بلا صاحب و ثروة حيوانية عظيمة فى جزيرة مدغشقر التى كان الفرنسيون يحتلونها "ان نترك شيئا يحول بيننا و بين الثروة و العمالة المتوفرة ان هو جرم بحق الحضارة الانسانية"[181].

و من الجدير بالذكر ان خاطر اكتساح اراضى من عدى الاوربيين الغربيين كان قد بدأ باكرا مع اطماع اوربا الغربية فى اراضى اوربا الشرقية. فقد كان التوسع فى اراض السلاف و احلال شعب المانى جدير بالارض مكان السلاف قمين بتمكين المانيا من قوة انتاج الغذاء خاطرا سابقا على النازى مثله مثل ما بقى يعن و ما يبرح يعن للغربيين من امتلاك سطح الكرة الارضية و تسخير غيرهم فوقها او–و ابادتهم.

الفصل الرابع:عقلانية احتكار انتاج الطعام:

كان الالمان يرون ان ينبغى الحصول على الارض لانتاج الغذاء للشعب الالمانى فى أوربا الشرقية خصما على الشعوب السلافية. و يرجع ذلك المفهوم تنويع على تقسيم العمل الدولى والى مفهوم انتاج الوقود النباتى–الاثينول Ethanol– خصما على انتاج طعام المفقرين فى العوالم الثالثة و الرابعة العصر حجرية بالخصم على موارد الاخيرين الطبيعية و غاباتهم الخ. و قد بقيت فكرة امتلاك القدرة على احتكار انتاج الغذاء بدورها مقولة سيطرت على فكر الغرب منذ سيدنا يوسف وصولا الى بيتر ماندیلسون. وتقول السردية العبرية ان يوسف قايض اليهود وغير اليهود فى مصر–ان كان اليهود بمصر اصلا–على مالهم و حريتهم بالطعام ابان السبع سنين العجاف. و لم يعد لهم شيئا ابان السبع سنين السمان.

و يتهم نيكولاس ساركوزى رئيس الجمهورية الفرنسية بيتر مانيدسون معتمد المفوضية الاوربية للتجارة الجمعة 20 يونيو بانه وراء رفض الايرلنديين لاتفاقية ليشبونة و موت طفل اقريقى كل 3 ثوان جرا ء سياسات المجموعة الاوربية التجارية التى تراكم بالنهب التطبيع و الانتقائية معا التى تمخضت عنها دورة الدوحة على الخصوص. و كان كيسينجر قد جأر فى 1965 "ان تمتلك امريكا قنبلة الغذاء ان هو امضى من امتلاك القنبلة الذرية".

و قد انفق 50 مليون استرلينى على التجريب على المحاصيل المعدلة جينيا الا ان محصولين و حسب نجحا. و قياسا لم ينفق سوى 2 مليون استرلينى على البحث فى تطوير المحاصيل الطبيعية. و ما يبرح موسانتو–احد كبريات شركات احتكار انتاج الغذاء و الكيماويات العالمية–وامثاله يتعينون على احتكار انتاج المحاصيل و المواد الغذائية فى محاولة احلال محاصيل معدلة جينيا مكان المحاصيل العضوية الطبيعية مثابرة على القضاء على الغذاء الطبيعى و البذور الطبيعية لمنتجى الغذاء فى المجتمعات المفقرة. و يكرس ذلك افقار تلك المجتمعات و بخاصة شعوبها بالقضاء على حلول شرط الارض التى بلا صاحب كراهية فى الشعوب مرات و استكثارا على الاخيرة اى منفعة كانت.

طبقة الشعب وعقلنة الحق المطلق على الغير وابلسة الشعوب:

ازعم ان مفهوم "طبقة الشعب" حريا بان يكرس باكرا مفهوم امتياز اليهود على من يطلق الاخيرون عليه الجنتايل–اى كل من هو غير يهودى–ويشار الى الجنتايل ايضا بالغويم و الاميين المشريكين بيهوا. و ليس ذلك الامتياز لكافة اليهود و بخاصة العامة من الاخيرين بل هو الامتياز المعقود على امراء و قضاة و احبار و اسباط و تجار اعراب الشتات على شعوبهم و عامة و شعوب الجنتايل ايضا. على انه من المفيد تذكر ان التنويع الصهيونى لليهودية بات يصدر عن مفصلة من هو الصهيونى. فقد بات الاخير كل من يتماهى مع المشروع الصهيونى الجديد مما اناقشه فى مكان اخر. المهم لعل التفضيل لجماعات بعينها من اليهود الباكر كان حريا بان يضع لبنة التمييز العرقى لحساب الرجال الاحرار النبلاء

خصما على غيرهم من العامة الدهماء الغوغاء اللذين يلوثون العالم بالتكاثر بجنون و على المفقرين بجريرتهم العاجزين عن التقدم من ثم فهم يستحقون مصيرهم فى معركة الصراع من اجل البقاء.

و لم يزد مفهوم طبقة الشعب المسكوت عنه و المزوق وراء طبقات من اقنعة العقلنة سوى ان قيض ما اجادل انه كان حريا بان يغدو سفر تكوين و تنويع باكر جدا على اقليات عولمية. و لا تهيمن الاخيرة على من عداها بلا انتقاء وحسب خصما على كافة الشعوب و انما تؤبلس الشعوب بوصف الشعوب خصوم و اعداء ينبغى شكمهم و تحجيم ارادتهم و سلب ارادتهم وسحقهم كلما رفعوا هاماتهم يتطاولون على حكم الرب فيهم و قد اقام عليهم سادة و انصاف الهة.

و حيث يقف امراء و قضاة واحبار و اسباط و تجار اعراب الشتات بوصفهم "طبقة الشعب" People's class فربما قيضت تلك الاقليات بهذا الوصف تنويعا باكرا على اقليات عولمية تهيمن على من عداها بلا انتقاء خصما على كافة الشعوب. و ازعم ان طبقة الشعب فى الواقع لا شعب لها الا انها تدعى تمثيل شعب ما تنفك تخلى به و تقدمه اضاح بشرية فى سبيل مشروع غير قابل للافصاح عنه–كون ذلك الشعب ليس سوى غريم و خصم و ربما عدو "طبقة الشعب" او–و موضوع للمساومة حسب الظروف.

ذلك ان عامة شعوب "طبقة الشعب" بقيت–و ما تبرح تؤلف كغيرها من الشعوب– تراكمات عددية لاوجوه لها من العامة الدهماء الغوغاء ينظر اليها بوصفها "آخر". و قياسا فتلك التراكمات العددية هى كغيرها قابلة لاستغناء عنها كونها زائدة عن الحاجة الا بقدر ما يتم التقايض بها أو–و عليها مقابل مساومات لحساب امراء و تجار و احبارهم و اسباط و قضاة "طبقة الشعب" تلك. وقياسا تغدو شعوب خصوم "طبقة الشعب" بل شعوب حلفائهم اقل من عديمة الفائدة. بل خصوما حرية بان توصم بالدهمائية بل بالشر. و يلاحظ الناس فى كل مكان ان حكام معظم شعور الارض باتوا اضاح مقابل احتفاظ الحكام بسلطتهم و ثروتهم. و يفعل ذلك حكامنا فى لك مكان بصورة غير مسبوقة بتواطؤ اعراب الشتات و اثرياء العالم من الاولجاركيات العولمية.

و أرغم ان حكام هذا الزمان قد استعاروا تلك العاطفة نحو شعوبهم قياسا على حكام المسلمين والعرب و كان معظهم رحيم بالشعوب. وحتى المأمون الذى انحاز الى المعتزلة خصما على خاصة و عامة المسلمين وجد فى قبله ان يتذكر الرعية قبيل موته. و قياسا لك ان تقارن(ى) بين مسلمات الاوليجاريكيين العولمين و قول المأمون فى وصيته للمعتصم "لا تغفل الرعية , الرعية , الرعية العوام , العوام فان الملك بهم و بتعهدك المسلمين و المنفعة لهم الله , الله فيهم و فى غيرهم من المسلمين. و لا يتعين لك امر فيه صلاح المسلمين و منفعه لهم الا قدمته و آثرته على غيره من هواك. خذ من اقويائهم لضعفائهم و لا تحمل عليهم فى شئ و انصف بعضهم من بعض بالحق و قربهم .... و اعمل فى ذلك مقدم النية فيه , راجيا ثواب الله عليه"[182]. و كان عمر ابن الخطاب ياخذ الولاة بالحزم

و الشدة "حين يبلغه عنهم شئ من اعمال الظلم للسكان. حتى كان يبادر الى عزل بعضهم و مصادرة الاموال و الممتلكات التى يكون هذا الوالى او ذاك قد انتزعها من اصحابها ظلما و استاثر بها"[183]. فلا غرو ان لقب ب "عمر العادل"

فقد كان حكم الراشدين متواضعا فلم يستطع الوقوف امام المتآمرين على الخليفة و لم يكن بين يدى الخليفة جيشا أو شرطة[184] فيما كان الكل يدرك ان الخليفة فى خطر و قد تبدى ان احدا لم يكن يملك فعل شئ . فكأن مقتل عثمان تنويعة على رواية جارسيا ماركيز "يوميات موت معلن". و لعل ما اصاب دولة العباسيين الثانية من تشوه من بعد كان يصدر عن التشوه العام الذى كان قد راح يصيب الخلافات الاسلامية منذ الخلافة الاموية و الطريقة الانتهازية التى وصل بها معأوية ابن ابى سفيان للسلطة. ولعل دولة العباسيين الثانية منيت بالتشوه جراء انتشار فيروس الوصول للسلطة سواء بتحريض من السبئيين أو بمغبة جوار الدولة الاموية لبيزنطا.

و قد فاقمت مغبة عصف الحكام بالعباد و تعسف ولاتهم فى استلاب الخراج و فرض الضرائب و الافتئات على ما ملك الناس حلال تشوه الخلافة الاموية مما اناقشه تباعا. ذلك أن الامويين ما كانوا ليرثوا من الخلافات الراشدية قسمات استبداد أو لا عدم اكتراث بالعباد الخ لولا ان السبئيين اخترقوا الخلافة الراشدية باكرا بالاحاح على الخروج الى التوسعات تطلبا للغنائم و الفئ و لم ينفك الأول ان راحو يدبرون للقضاء على آخر الخلفاء الراشدين غيلة و قد استعصت الاخيرة على اوخر ايهامها غواية التوسع. و لقد كانت لعزوف الخلافة عن استخدام ما يسمى اليوم باجهزة السلطة من الجيش و الشرطة من اهم اسباب نهايتها.

و يقول العشى أن "حكم الراشدين كان سابق لزمنه بشكل عجيب و قد كان فريدا فى العصر بمفهومه اذ كان ذلك العصر "عصر الحكم الفريد فى العالم". فهو حكم شورى بوصفه حكم المسأواة و العدل. ويقول النويهض "أن شكل الاقتصاد فى حكم الراشدين عجيب فى ذلك العصر. فهو اقتصاد مبنى على توزيع مال الامة على افرادها جميعا سواء منهم المقاتل فى جبهات القتال أو المقيم الذى لا يستطيع القتال. و لم يكن ذلك الاقتصاد مألوفا آنذاك"[185]. و يؤكد بعض المؤرخين أن مقتل عثمان يرجع اكثر ما يرجع الى "زهد الراشدين" فى القتال من اجل الاحتفاظ بالسلطة حقنا لدماء المسلمين من العرب مما استغله المرتدون من الاعراب و البدو.

الا ان هذه السردية كثيرا ما تدحض مرة من قبل انصار عثمان و الامويين و مرة من قبل خصومهم. و لعل هذه السردية تحتاج اعادة قراءة فى سياق الاحداث التى تعاصرت و حروب عثمان وحروب بيزنطة و دور الحكم ابن العاص مما تمثل فى زمان الشدة و الفتوحات. وهذا فقد كانت خلافة الامويين من عثمان فمعاوية–688–661–قد باتت مع ذلك و بايعاذ من الحكم بن العاصي وزير عثمان وكأنها ضيعة اموية[186]. قد حعلت خلافة معأوية ابن ابى سفيان و قد ولاه عثمان ابن عثفان على الشام –

الدولة–منذ ان ولايه معاوية و خلفه مروان –داة لانتاج الثروة و السلطة و اعادة انتاجهم, قيسا باتت بهذا الوصف تتصرف فى اموال المسلنين و كأنها ملكا خاصا للامويين[187]. ولعل بداية ارستقراطية عربية اسلامية كانت حرية بان تنشأ صاعدة لولا الصراع الاموي العباسي على السلطة. و لعل ذلك الصراع بدوره كان ستار دخان تسترت وراءه احداث و جماعات بالاحرى و لم يكشف عن تلك الجماعات بصورة كافية بعد او ربما ما يبرح بعضنا لا يملك الجرؤ على النظق باسم تل الجماعات.

المهم فورا كان الخليفة يتصرف فى مال المسلمين يأخذ منه ما يشاء و ينفق منه لشراء النصراء و المحاسيب و قمع المعارضين و يتفضل بما يشاء على الرعية. وقد قال الصحابة و المؤرخون فى الحكم ابن العاص و اله ما قالوا. فقد قال ابو ذر الغفاري في ال أبي العاص انهم اذا بلغوا ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا[188] و قد واجه ابو ذر الخليفة–لما باتت السلطة و الثروة حكرا على الخليفة الاموى و اهله و اقرابه– واجه أبو ذر الخليفة مدافعا عن حق العامة فى مالهم وهو يسأل عن اسراف الخليفة من خشية ان يكون الخليفة قد اعتقد انه ممثل الله تعالى و وريثه تعالى فى المال العام فكان الجواب هو ان المال مال الله و ان االخليفة خليفة الله فما يأخذه الخيلفة هو له و ما يتركه للناس ففضلا منه". و قد بقى ابو ذر على خلاف مع عثمان حتى ترك المدينة.

و فى رواية آخرى قيل ان ابن السبأ انتقد تسمية بيت المال ببت مال الله قائلا لابى ذر"أرأيت كيف ان الخليفة سمى بيت مال المسلمين بيت مال الله ليأخذ منه كما يشاء فلا يعطى المسلمين حقهم". فكلم ابو ذر الخليفة فقال له الاخير "رحمك الله يا ابا ذر ألسنا عباد الله و المال ماله و الخلق خلقه والامر امره ؟!" و كان ابو ذر قد ترك المدينة جراء خلافاته مع الخليفة و ان كان النبى صلعم قد قال فيه ما معناه "سبعيش ابو ذر وحده و يموت وحده و سوف يحشر يوم القيامة وحده

المهم راحت الارستقراطية الاموية منذ معاوية بن ابى سفيان قياسا تستاثر بمال المسلمين. وقد جعلت خلافة معأوية ابن ابى سفيان–661–688–من الدولة من وقتها و تباعا اداة لانتاج الثروة و السلطة و اعادة انتاجهما. فقد تعين معاوية و عثمان ابن عفان من قبله بايعاذ عبد الحكم ابن العاص و كان عثمان قد بلغ من العمر عتيا على تحويل الخراج و الضرائب و الجبايات الى جماعات من اهل وعشيرة عثمان ابن عفان معوية من بعده. هذا و لم ينفك معظم حكام العرب و المسلمين ان راحوا من بعد يقايضون على مناصبهم ومكاناتهم و وراثاتهم مع سادة الكون العولميين مقابل العصف بشعوبهم.

كيف تجمع الرأسمالية–الصهيونية–الخصوم و الشعوب و الشيطان في سلة واحدة:

المهم فورا تقضى علاقة "طبقة الشعب" بالشعب تحريم كل ما من شأنه الاشارة الى تلك العلاقة وصولا الى العصف بكل من يجرؤ على النطق باسم او تعريف تلك العلاقة و غيرها من المحارم و المحاذير المتعالقة. يغدو الخصوم و الاعداء و الشعوب تالمقابل مثالاناجزا للشيطان فى كل من الكتاب المقدس و فى قاموس الاستحواذ العولمى الذى تخصم مصالح تلك الاقليات من طبقة الشعب

و التنويعات اللاحقة على مصالح كافة المنتجين و صغار حملة الاسهم و المدخرين الصغار و كافة مفقرى العالم جراء خصومة "طبقة الشعب" لهم. و يتصل ذلك الخصم فى غياب الاستثمار فى البشر او–و ضعف ذلك الاستثمار مما يكرس دونية الاغلبيت المنتجة للثروة. ويلاحظ الناس فى كل مكان كيف ان تلك الدونية تعبر عن نفسها فى ازمنة الشدة و الكساد. ذلك ان المحكومين يسخرون على التعين غصبا و اكراها على ضمان الحكام و بخاصة اثرياء الاخيرين من الاوليجاركيين الماليين فيما يهرب الاخيرون بثرواتهم مخلفين الخراب و الدمار و التضخم فى كل مكان فى المقياس المدرج.

و تستوى خصومة او عداوة "طبقة الشعب" او اعراب الشتات للجنتايل الغويم المشركين الاممين الكفرة أو–و كنعان كما تستوى ولعنة اعراب الشتات على مدن المستقرين و المجتمعات التى استضافتهم. وكانت تجارة بعض طوائف اليهود قد تمأسست باكرا على استلاب المدن منذ اليونان و ربما عادت بعض ثرواتهم الى نهب الخصوم منذ الخروج من مصر و–او تحريم الاخيرين to Utterly destroy منذ داؤود مع العماليق.-و يعتقد ان الاخيرين "عاشوا و امتد نفوذهم ما بين 900 1و1000 قبل الميلاد ويقول البعض انهم عاشو بمصر 400 عام. المهم "يتفق هذا التاريخ التقريبي أيضاً مع التاريخ الذي يذكره المؤرخون لوجود عبيل او العماليق وحروبهم مع بني إسرائيل في شمال الجزيرة العربية وسيناء". و كان العماليق قد "ازدهروا فى الحجاز وفلسطين" الا ان سلطانهم ما انفك ان ضعف ف"كونوا مجموعة مستوطنات لحماية طريق التجارة إلى الشمال، و كان هذا الطريق يمر بيثرب الجزيرة العربية [189].

و لعل حروب اعراب الشتات و تلك القبائل ادى الى انقراض تلك الامم فقد باتت عبيل او العماليق "من الأمم البائدة". و كان تحريم اعراب الشتات لمن عداهم فى سيناء و شبه الجزير و غيرها قد اتصل عبورا بتحريم ابناء يعقوب لمدينة الملك حمور و ابادة أهله و عشيرته الخ[190]. و كانت ذريعة تدمير مدينة الملك حمور اشبه بذريعة أسلحة الدمار الشامل لتحريم العراق. هذا و كان النبى صمويل امر مليكه شاول–جالوت–قائلا " فالان اذهب و اضرب عماليق و "حرموا كل ماله و لا تعفوا عنهم بل اقتلوا رجلا وامرأة و طفلا و رضيعا و بقرا و غنما–جمالا و حميرا"[191]. و قد اجتاح اعراب شتات بنو اسرائيل من ابناء يعقوب الى داوو الخ ملك جازر و ملك زبير و قضى بنو اسرائيل على مدينة حبرون–الخليل–و العناقيين و عناب و جبل يهوذا و اورشيم "عبر الاردن غربا و شرقا" بعد نهبها.

و بالمقابل فان دمار مدن اعداء اعراب التشات يقود الاخيرين الى الاعتقاد فى ان نقمة اعراب الشتات على تلك المدن نقمة قاضية على الق المدينة و عظمتها من ناحية. و من ناحية اخرى فان ازدهار تلك المدن من ازدهار تجارة اعراب الشتات و مقدار ثرواتهم هم المادية . و تعبر تنويعة معاصرة لذلك المفهوم–و تصدر عما يسمى المسيحية الصهيونية–عن نفسها فى نقمة اعراب الشتات المحدثين فتتمثل فى تحريم المدن اليابانية و الالمانية و الفيتنامية و الافغانية و العراقية الخ. و يعبر ‘‘الق و

عظمةالمدينة " التى يقيم فيها اعراب الشتات عن نفسه فى مدن معاصرة مثل نيويورك–التى كان اسمها حتى امستردام–و لندن و انتويرب و جنيفا وفرنكفورت عبورا بالبندقية وسانت بيترزبيرج الخ,

و تصدر نعمة اقامة اعراب فى مدن المستقرين عن معابد المال و محاريب الثروة كما فى اسواق السندات و الاوراق و الصكوك الحكومية و تتمثل فى التقدم و الربح من ناحية. و العكس صحيح من ناحيرة اخرى . اى ان و الدمار و التحريم يحيق بما عدى تلك المدن المباركة بثروات اعراب التشات. ذلك ان لعنة اعراب الشتات تحل بتلك المدن نحس ان هم "خرجوا" منها بعنف او بخاطرهم و تذرعا Expediently كما فى كل مرة.

و اجادل ان الرأسمالية كانت قد ثابرت على محاولة القضاء على خصائص و ملامح الشخصية الشعبية غير الغربية و قد تعينت على القضاء على الشخصية الامريكية و غسل امخاخ الامريكان و تحويلهم الى شعوب بلهاء. و لم تنفك فكرة ان ليس ثمة شعوب جديرة بفكر ذكى و بات ذلك التصور بمثابة استباق لنضوج الوعى بخلق كل ما من شأنه مصادرة على مطلوب شرط نضوج الوعى الجماهيرى جراء تطويع الشعوب و رشوة بعضها و مثابرة العلاقات العامة على تزييف وعيها. و كانت عمليات غسل امخاخ الشعب الامريكى مثلا قد يسرت لطبقة الشعب الامركية او الادارة الامريكية اليقين بان ليس ثمة وعى شعب الا بقدر ما يسمح الاعلام و المحاصرة– منذ زيوع مبادئ و مفاهيم المدرسة الفرويدية الجديدة على الاقل.

خاتمة: عقلنة الرأسمالية للعبودية و كراهية اعراب الشتات للبشر:

ازعم ان سرديات اقدم المترحلين من اعراب الشتات تعينت على تلفيق مراحل تطور المجتمع فالعملية الاقتصادية الاجتماعية النشوئية فى تطور و نشوء الطبقات الحاكمة و المالكين. ذلك ان اختلاق مفهوم ان المجتمع يتطور على غرار تطور الطبقة الحاكمة يختزل تطور المجتمع فى تطور الطبقة الحاكمة مثلما يختزل خطاب العولمة مثلا او الرأسمالية ما بعد الصناعية مرحلة تطور الانسانية الماثلة فى تطور ونشوء الاقليات المالية او الاوليجاركيات التى تحكم العالم اليوم.

ذلك ان مقارنة معدلات تطور و نشوء الطبقة الحاكمة على الطبقات المحكومة يشوه فيعمش على انتقائية مفهوم التطور و النشوء الاجتماعى. فاسقاط معدلات تطور الحكام على الطبقات المحكومة و الشعوب يصم الاخيرة بالقصور عن التطور و النشوء على شاكلة أو قياسا على القدر الذى تتطور و تنشأ به الطبقات الحاكمة. و ازعم ان ذلك المفهوم يتمأسس فوق كراهية الشعوب التى تؤلف اغلبية البشرية و بغاية نفى شرط تطور المحكومين. و يتثمل ذلك التحليل الانتقائي العقلانى اكثر ما يتمثل فى تفك مفصلة و تعريف نمط الانتاج المسمى اسيوى اوشرقى.

و قياسا لم تعد الادارات الامريكية المتعاقبة منذ هيربيرت كلارك هوفر 1929–33 و فرانكلين ديلان و روزفيلت 1933–45 وصولا الى رونالد ريجان 1981–9 و جورج هيربرت ووكر بوش 1989–92 قادرة على تصور ان ثمة شعب جدير بفكر ذكى. و عليه يعامل بوش العرب والمسلمين على انهم متخلفين عقليا و لا يفزعه ادارك العكس و انما يصيبه ذلك بالحيرة اذ كيف يتأت ان تكون ثمة شعوب ذكية ناهيك عن شعوب عربية ذكية؟

تطاردهم الشركات الكيمائية بالمخاوف الصحية و ضرورة التأكد من انهم قد حصلوا على علاج كل مرض على الارض قبل ان يصابون به

انقلى من بقايا حول فكرة ان الحياة فى الغرب كئيبة وان الحياة فى العالم الثالث اكثر بهجة و مدعاة للرضى.

الجزء الثاني :

الخوارج و المعتزلة السياسيون الجدد و اعادة انتاج المخاتلة الفكرية و التنظيمية: الاقتصاد السياسى للعقلانية القاحلة و سفر تكوين مشروع الشرق الاوسط الكبير [192]:

The Neo-Mu'tazilites & Post Enlightenment Sterile, Rationalism: the political Economy of the Genesis of the Greater Middle East: [193]

محاولة فى قراءة التاريخ الرسمى بصورة مختلفة و قاموس الاستحواذ اللامتناه.

اهداء

الى روح اخي و شقيق روحي عبد العزيز صفوت زين الشباب و لم يمتع بالشباب

- شكر و عرفان:

لا يسعنى سوى التقدم بوافر امتنانى للمؤلفين و الكتاب الذي اصدرت عنهم ممن اذكر بالاسم. و من الاخيرين على الخصوص البروفيسور ويبستر جريفين تاربلاى Professor Tarplay, Webster Griffin الذى لقيته و استمتعت اليه فى محاضرة فى اكسفورد الثلاثاء 6 نوفمبر 2007. و كان لمحاضرة بروفسيور ويبستر جريفين تاربلاى وقع فى خاطرى. فقد ساعدت على تأكيد صحة فرضيات بعينها كنت أمفصلها منفردة ومتوحدة مما كان حريا بان يصيبنى بالكآبة احيانا لولا اننى لقيته و اخرين و قد اسعدتنى تلك اللقاءات فكريا. و قد تواصلت و بروفيسور ويبستر جريفيث تاربلاى من وقتها على شبكة المعلومات فله منى جزيل الامتنان.

و اشكر كذلك باتريشيا كرون Patirica Crone–و شيلومو داو جويتين S.D.Goitein واخص بالشكر فاضل الانصارى الذى ادين له هنا بمعظم ما هو حول الطوائف و التطييف. و كذا اشكر محمد بحر عبد المجيد و ظفر الاسلام خان ومحمد رضوان الداية و يوسف العشى و أحمد شكرى و حسن ابراهيم حسن و حسين مروه و رمسيس عوض و عبد الرحمن بن محمد بن خلدون و مكى ابو قرجة و سعيد العشماوى و نادية مرسى صالح وجعفر هادى والياس مرقص و بيير روسي و عصام ناصف و كل من اخذت عنه مؤلفا او مخطوطا وغيرها من المادة الخام حول الطوائف و الملل و غيرها و اخصهم بالامتنان. و لكل من قد فات علي ذكره سهوا او لكون اسما لا يرد تحت بعض المقالات استميحهم جميعا عذرا و لهم العتبى و مثلى يخطئ. و اخص بالشكر صديقى الشاعر السورى الكبير نورى الجراح و محمد فضيل و مازن مصطفى و على كنعان وناصر سليمان و ابراهيم مكي و كل من قد يقرأ هذا النص و يساعد على تنقيحه و يصحح بعضه و كل من يشير على بما غاب على جزيل امتنانى.

و الى كل من يتعين على خلق شرط عالم الاخيار من النساء و الرجال الشرفاء ممن يغالب عالم العولمة وهو قابض على دينه كالقابض على الجمر اهدى بتواضع هذا العمل. و الله المستعان.

بتقديري

خديجة صفوت

اكسفود–الاثنين 12 نوفمبر 2007.

تمهيد: استحالة البحث فى امور الشرق و عقلانية التستر على براديجما نمط الانتاج الشرقى و مشروع الشرق الاوسط الكبير:

انحو فى هذا البحث كما يكون القارئ قد لاحظ فى الجزء الاول الى اسلوب تداعى الافكار و المعانى فى تناول ابواب البحث مع محاولة منهج التدرج التاريخى كلما لزم. وقياسا فان هذه الدراسة ليست دراسة تاريخية بل تحليل لظواهر متعالقة و متساوقة و متحورة و متنوع بعضها على بعض. و يستدعى هذا البحث بعض استخدامات

لغوية Usages دارجة و يسجل مرادفاتها ألاجنبية كلما لزم لمصلحة القارئ. و اجادل ان مناهج البحث بتنويعاتها الليبرالية و الماركسيولوجية كانت قد توطأت على مفهوم النشوء و التطور و جعلت منه:
–مرة عملية صاعدة الى اعلى و متصلة فى الزمكان و لا متناهية بغض النظر عن و اغفالا عقلانيا لعامل الموارد قوى الانتاج Forces of production و وسائل الانتاج المتاحة و انتقائية توزيع السلطة و الثروة و تعالق هذا النشوء و صعود جماعات بعينها يقى صعودها يؤلف شرط نكوص من عداها . فحيث يطرح صعود تلك الجماعات نفسه على انه نشوء للانسانية جمعاء تتستر تلك الجماعات على ما يحيق بمن عداها. و تكرس تلكك الجماعات براديجما صعود تصدر عن نمط انتاج او لا انتاج يشارف ذلك الذى يشير اليه مارسك بنمط الانتاج ا لاسيوى او الشرقى..

–و مرة وسيلة للتعميش على تعالق كل من الاطار النظرى او براديجما نمط الانتاج الاسيوى او الشرقى و نظرية رأس المال تقصدا عقلانيا. و اذكر تفصيل ذلك التستر و مغبة الاخير على الفكر الاجتماعى و الاقتصادى السياسى جميعا تباعا.

و قياسا أزعم انه بدون قراءة عميقة لبراديجما او الاطار الفكرى لنمط الانتاج الاسيوى او الشرقى متعالقا مع نظرية ماركس حول "رأس المال" فان فهم ما يحيق بالمجتمعات التى تستضيف اعراب الشتات و تمنى بفيروس الربا يستحيل فهم كل من رأس المال و نمط الانتاج الشرقى معا. فليس ثمة سبيل الى فهم مراوحة المجتمع الانسانى قاطبة عند اللوحة الثانية– الاقطاع بتنويعاته الغربية و الشرقية اى العبودية الغربية المنقولة و الاقطاع الاسيوى–من مراحل تطور المجتمع الخماسية الماركسية.

ذلك انه ان استقر الربا فى مسام المجتمع الانسانى مرة واحدة و الى الابد فان الانماط السابقة على الرأسمالية تبقى بدورها راسخة بغض النظر عن مثول جماعات متقدمة و قد تنتمى تلك الجماعات الى المرحلة الرابعة–البرجوازية الصناعية وجيزا–و قد تحورت الاخيرة الى الرأسمالية ما بعد الصناعية–المالية–فى المراكز المتروبوليتانية و المحاور–اى حيث يتحور رأس المال بالتعريف الاجرائى اعلاه و يراكم خصما على المنتجين فى كل مكان فى المقياس المدرج.

و أزعم أن ذلك التحور كان حريا بان يوصل اللذين فى القاع من الجماهير الشعبية و من المنتحين للفائض الى ما هو ادنى من علاقات العمل العبودي المنقول و غير المنقول رغم و احيانا بسبب وسائل الانتاج عالية التقنية على نحو غير مسبوق مما يلاحظه الناس اليوم فى كل مكان. ذلك المراكمة التى تتمأسس فوق علاقات العمل المذكورة حرية بان تعبر عن نقطة ارتكاز عولمية صغيرة و صفووية و اوليجاركية و متسارة و منغلقة على نفسها من شأنها ان تخصم بهذا الوصف على كل من:

–المجتمعات الملحقة و الدائرة فى فلك المتروبولينات بدرجات المقياس

– المرحلة الخامسة اى الاشتراكية.

و يلاحظ هذا البحث أن حاصل جمع مفهومات كل من "النهضة" Renaissance و التنوير–المتكاذبين مثلا و ثنائيتيهما غير القابلتين للتعريف–اذ ترفضان تعريف مفردات الاستحواذ التوسعى–فانها كانت حرية بان تؤلف قاموسا يبدو للنظرة المسطحة متسقا. و يدعى مثلا أن الامبراطورية البريطانية–وكذا الامريكية من بعدها–الية ربانية حبى بها الرب المؤمنين به من البشرية المسيحية الغربية و اليهودية. و قياسا تغدو الاخيرة تزويق للمسيحية الغربية اليهودية–وصولا الى اليسوعوقراط. و يحتفل العالم الانجلو امريكى يومين من كل عام ببداية العام اليهودى فى الاسبوع الاخير من سبتمبر حتى فى خضم احلك الاوقات التى يمر بها الاقتصاد الامريكى.

وكان بناة الامبراطورية يصلون بالليل و يبيعون الرقيق فى الصباح. و أحاول فى مكان اخر و دراسة اخرى ايضا مناقشة الكيفية التى بات بها الاوربيون المسيحيون الغربيين يهود. الا ان اهم ما يتعين عليه البحث فورا هو اللغة التى افرزها ذلك المشروع الخطير[194].

و أزعم ان ظاهرة ما يتمثل اليوم فيما يسمى بالليبراليين الجدد تعود الى و تتصل باماكن وأزمنة سحيقة و تعيد انتاج نفسها على مر التاريخ المكتوب والمسكوت عنه منذ ابناء يعقوب حتى اليسوعقراط. على انها فى تراتبها التاريخى الكرونولوجي فان المادة الخام لهذه السردية قد تبدأ باكرا قبل الهند و قبل وجهة نظر معات الكونية Ma'at World View فى وادى النيل الاسراتى. و لعلها اتصلت بالصوفيين الكلاسيكيين و الفلاسفة اليونانيين اكثر من غيرهم. وازعم ان عصيان الخوارج و المعتزلة السياسيين لمؤسسية العقيدة السائدة جاء المسيحية عن طريق الخارجين على مؤسسية العقيدة الاسلامية عبر المتكلمين و تنويعاتهم بوصفهم سفر تكوين تنويعات الخوارج و المعتزلة و نظائرهم.

الخوارج والخوارج الجدد و اعادة انتاج المخاتلة الفكرية و التنظيمية:

هل تتعالق مصلحة الليبراليين الجدد و ابلسة الشعوب و تجريم حركاتها؟ كيف قيض للحكام و حلفائهم أعراب الشتات و المغامرين و سماسرة السلطة و غيرهم مما قد يشارف تنويع على ما يسمى بالطبقات و الاحرى الفئات الوسيطة بين الحكام و المحكومين ابلسة الشعوب و دمغها بالعجز عن النشوء و التطور؟

اجادل ان بعض الخوارج السياسيين او المسييسين عقلن الخطاب فزوقه Euphemised their discourse فى اجندة عقيدية او دينية اسلامية. وسوف يلاحظ كيف ان العقلانية او العقلنة و التزويق يسيران يد فى يد و الا لم تستقم العقلنة بوصفها براجماتية التحايل على طرح و تكريس ما هو غالبا غير قابل للنطق باسمه.

وقياسا استخدم مفردة العقلانية كظاهرة فى هذا البحث لمصلحة الجدل بوصفها تصدر عن الصوفيين الكلاسيكيين وفلاسفة اثنيا من سقراط و بخاصة ارسطو عبورا ب "المتكلمون" تباعا. و لعل المتكلمون و نظائرهم من اهل الكلام كانوا قد اتصلوا بفكرة اعتماد ما يسمى بالعقليات فى تقرير العقيدة كالكلابية و الاشاعرة–الاوائل و ليس المتأخرين منهم– و الماتريدية و الجهمية و المعتزلة و بتزويق الكلام و رفض المجادلة.

و لعل سفر تكوين توثيق الكلامٍ Spin ى العلاقات العامة باجادة الخطابة يعود الى الصوفيين اليونان. فقد قال جورجياس Gorgias احد زعماء الصوفيين اليونانيين "ان النصر يذهب الى الذي يتحدث بصورة افضل" Victory goes to him who speaks better. بل ربما عادت الطريقة التى تعمل بها الديمقراطية الليبرالية الغربية الى الصوفيين اليونان.

و لعل المتكلمون اقدر من وظف باكرا تدوير الكلام Re-cycleو التزويق Euphemism و المجازSpin حيث اتصل الكلام عندهم بالمجاز والتزويق. و يستخدم المتكلمون و نظائرهم المجاز او ما اسميه احيانا تزويق الكلام حتى يقول الكلام ما لا يعنى الكلام اصلا او لا يقول شيئا. و قياسا لا يصل الكلام الى معن محدد او مفهوم بل يرفض التعريف ناهيك عن المجادلة. و ازعم ان مثل ذلك المشروع يتحايل على ذكر الحقيقة كونها غير قابلة للافصاح عنها. و قياسا يبقى مشروع المتكلمين السياسيين و نظائرهم مثله مثل مشروع المحافظين الجدد و الاصحاح القديم غير معرف بصورة تذكر اوتنسى بل يرفض التعريف و قد تستر وراء مزوقات لا متناهية و كالدستور غير المكتوب يفتح فضاءا على المراوغة و على اعادة ترتيب الاحداث و اعادة انتاج المشروع حسب الطلب فى كل مرة. و تغدو مفردات ذلك المشروع تعبير عن منهج بحثى متخاتل و الاحرى لا منهج بامتياز. فمفردات مثل ذلك المشروع هى لا ممنهجه بالنتيجة.

فاستخدام تعريفات بعينها دون غيرها لا يوفر سوى المفهومات التى تستدعى التكاذب فى التعبير عن الواقع مما ينجح الكلاميون ونظائرهم وتنويعاتهم غالبا فى تحويره فى التعبير عن واقع لا يزيد على واقع افتراضى Virtual Reality. و

يقول المتكلمون فى المجاز ان " كل اسم هو اما شائع او غريب او مجاز اوحيلة او مختلق او مطول او موجز او معدل". و يكررون ان "المجاز نقل اسم يدل على شئ الى شئ اخر و النقل يتم اما من جنس الى نوع او من نوع الى جنيس او من نوع الى نوع. او بحسب التمثيل ... و من جنس الى نوع ما.. و تكون المماثله هنا فى "توقفت سفينتى لان الارساء ضرب من التوقف.."[195]

و ازعم ان تحورات المجاز بهذا الوصف اوسع شيوعا اليوم فيما يزوق المجاز بدوره فى مفهوم او لا مفهوم العلاقات العامة و تدوير الكلام recycling و فى نسج الكلام SPIN و غير ذلك مما يشارف عادة>, و يزاحم الاخير ما عداها حيث يتعين على القول الذى قد يعلو اما باجنحة من الترديد بالالحاح على على الذهن و الخاطر فيزاحم سقط القول القول الحق و يطرده الى بيداء اللا قرار او البيان المستحق. وكان رودريارد كيبلينج Kipling شاعر الاستعمار الاول و سيد العقلانيين المحدثين قال ما معناه "ان ترداد نصف الحقيقة او انصاف الاكاذيب على الناس بالتكرار حري بالا يترك فضاءا لبديل للحقيقة الكاملة".

و لعل المجاز او الكلام المزوق ينفى اى بديل للمعنى المطلوب تكريسه و يطارد ما عداه و يتهمه بالنظرية التآمرية مثل تحريم تعريف الارهاب و القول بان حرب الصدمة و الهول Shock and Owe من شانها كسب عقول و قلوب العراقيين و ان اجنياح العراق تحرير و ان تدمير العراق دمقرطة و التعذيب عزف خارق للعادة Ordinary Extra Rendition اما باللعب على اجساد المتهمين او–و بتسليمهم لسجانين خارجيين. و لاخطر بقيت الاكاديميا الغربية تحرم تحليل الواقع من وجهة نظر الاقتصاد و قد بات التحليل الطبقى و تأمل مفردة المجتمع كفر بحق الفكر ما بعد اللبرالى. و كان ذلك الحظر الاكاديمي–و قد بدأ مع نهاية القرن الثامن عشر و المبدأ الانسانوي و التنوير وصولا الى الستينات و تباعا ان لم يكن باكر قد أوقع فى احابيله بعض كبار مفكرينا مثل ادوارد سعيد الذى يكاد يختزل الاستعمار فى مقولات ثقافية و فى تمثلات الاخير فى الاكزوتية او الاستشراقية.

و حيث كان الحكام و اصحاب المال–الرأسماليين–و ما يبرحون يستكتبون المثقفيين العصويين و قد بات معظم الاميرين كذلك التاريخ فلا الطبقة العاملة ولا دافع الضريبة يكتب التاريخ. و قياسا تنحت الرأسمالية مفرادات اللغة و تسيطر على معمار اللغة و ترتهن الخارطة الذهنية للمتحدث بلغتها هى التى تغود و بهذا الوصف حقلا من الالغام.

و يلاحظ كيف ان الرأسمالية المالية المنهزمة تباعا ما تنفك تمفصل مزوقات جديدة لوصف تأميم السندات والمصارف السامة Lethal stock banks. فقد بات التأميم يعرف فى ادب الازمة غير المسبوقة–غب انهيار المصارف المالية و التجارية–ب "المحافظاتية Conservativism رغم أن المعنى الحقيقى لشراء الدولة للمصارف بالمال العام اى بمال دافع الضريبة ليس شئ اخر غير التأميم. و لما كان الاخير تجديف بحق الرأسمالية بتنويعاتها و بخاصة ما بعد الصناعية المالية فلا تعدم بريطانيا ان تزوق تاميم المصارف الهالكة بمفردة اعادة رسملة المصارف Re-capitalization او اعادة تزويدها بالمال تيسرا للسيولة Quantitive Easing بغاية خصخصة تلك المصارف مجددا.

المهم اجادل ان لعل المتكلمون يؤلفون سفر تكوين النظائر الحديثة عربيا و اسلاميا.

و حيث ازعم ان الليبرالين الجدد و نظائرهم المحدثة و رعاتهم المحافظين الجدد تنويع على الخوارج السياسيين الا اننى لا اكوم الخوارج و تنويعاتهم من المعتزلنة السياسيين فى كومة واحدة مثلما لا اكوم المثقفين الليبراليين العرب او غير العرب بدورهم فى كومة واحدة. و ازعم ان كبار الخوارج والمعتزلة السياسيين كان قد تأثر بالصوفيين الكلاسيكيين و فلاسفة اثنيا كسقراط–الذى يدعى هذا البحث انه خزرى– وبخاصة أرسطو المتحدر مما بات سفر تكوين جمهورية الخزر. و كانت الاخيرة قد خصمت على مقدونيا التى اجتاحت اثينا تباعا منذ عهد الملك امينتاس الثانى Amyntas وصولا الى استعمار اثينا بالكامل.

و قد عاصر كل من سقرط و ارسطو حروب اثينا و اسبارطا و عهد الملك المقدونى فيليب الذى وصل العرش فى 360 ق م و كان ارسطو صديق الملك فيليب و مربى الاسكندر الاكبر. و كان الخزر يعيشون فى اثينا و لم تنفك ان باتت للخزر نسمى خزاريا كما ذكرت فى مكان اخر جمهورية باسمهم[196]. و اجادل ان بعض العصاة من الخزر و اعراب الشتات المشهود لهم كان يشايع او–و كان ممن اخترق المسيحية الغربية و ربما الشرقية–مثلما راحت تنويعات باكرة من الاخيرين قد اخترقت السلطة الدينية و العلمانية العباسية و الاموية المشرقية ثم المغاربية تباعا معا. و ربما كانت التنويعات اللاحقة بدورها مثل المسيحية اليهودية واليسوعوقراط و المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد و العقلانيين الجدد و النسووقراط ممن يدعى العلمانية و بعض نظائرهم الاسلاموية تتصل بالسردية نفسها.

فقد كرس احفاد الخزر و أعراب الشتات اختراق المجتمعات التى استضافت و تستضيف تنويعات الخزر و اعراب الشتات وبخاصة النخب و الصفوات الاوليجاركية المالية وقد تعين على الاولى الازعان للاخيرة جراء اقتدار تلك الصفوات المالى و الفكرى والتنظيمى. فقد كانوا قد راكموا تلك الاموال و الافكار و ما يبرحون يراكمونها كوظيفة لتجارتهم بين ظهراني شعوب العالم منذ ميصراما الى امريكا و خصما على شعوب تلك المجتمعات. وربما كان مفيدا تذكر ان اوربا القديمة لم تكن تعرف حدودا للعالم ابعد من شواطئ المتوسط الشرقية. و ربما كانت اقصى حدود عرفها الاوربيوين الغربيون باكرا فارس شرقا و وادى النيل الاسراتى جنوبا. فقد كانت الاولى قد دخلت فى حروب مع اسبارطا و اثنيا.

و كان الاثينيون العصاة والمعارضين الاثنيون يلجأؤون الى فارس فى وجه الاضطهاد الفكرى و من بين الاخيرين هيرودوت وفيثاغوراس ابو الارقام الكبير المولود فى القرن السادس قبل الميلاد بجزيرة ساموس فى اسيا الصغرى. و كان ابوه تاجرا فينيقيا. و كانت فارس تعينت على عهد حمورابى الحاكم القائد الفارسى العظيم و سيد القانون على ما يشارف حماية حقوق الانسان الفارس و اللاجئ والمهاجر الاقتصادي معا. و كانت أوآخر سنوات عهد حمورابى قد اتسمت بهجرات عظيمة سجلها الاصحاح القديم– انتقائيا–على اساس عرقى أو اثنى و بالتالى تمييزى تفريقى.

الا ان حمورابى 282 ق.م. وضع من المواثيق التى تعلقت بشئون المهاجرين و غير الفارسيين و الفارسيين فى 1786 قبل الميلاد ما شجع على تجاوز التمييز اليونانى. و كانت تلك القوانين تحدد حقوق و واجبات السكان و المهاجرين فكان حمورابي أول من جاء بقانون حقوق الانسان بهذ الوصف فى التاريخ بامتياز مما يسر للعصاة و المتمردين فكريا و المعارضين لحكوماتهم امثال اليونانيين اللجوء الى فارس. و رغم ان هيرودوت لجأ الى فارس الا ان التاريخ الذى تعين هيرودوت على كتابته كان حريا بان يستعير عنصرية اليونان–اثينا–و اسبارتا فى تصنيف الناس بين يونانيين احرار و من عداهم عبيدا و اماء و برابرة. و قد عرف اليونان وادى النيل الاسراتى فقد هاجر الدارسون اليونان ليحصلوا العلم و المعرفة بمدن وادى النيل الاسراتى الشمالى الخارجية و الداخلية. الا ان اليونان المستعمرة الوادى نيلية الاسراتية تتجاهل عقلانيا وادى النيل الاسراتى او–و تغمطه بتخاتل كبير مؤرخيها هيرودوت الذى كان يحقد على فارس و قرطاج و وادى النيل.

و قد اغفل الغرب قرطاج ام الديمقراطيات الكلاسيكية وكان دستور قرطاج الانموذج الذى اخذت عنه اليونان و كان ارسطو يعتبره افضل الدساتير, و يتجاهل الغرب وادى النيل الاسراتى مهد حضارات حوض المتوسط او–و يبيض وادى النيل الاسراتى. ففيما خلا الاسرة 18 فقد قضت العقلانية الغربية ان يغفل وادى النيل الاسراتى حتى الاسرة 31 البطلمية مما قيض تبييض وادى النيل الاسراتى الشمالى خصما على وادى النيل الاسراتى الجنوبى–الافريقى–تسويغا لابادة شعوب افريقيا لاحقا.

فهل كان كل ما فى امر تبييض بعض الجماعات انتقائيا تكريسا لفكرة ان الشرق غير قابل للتقدم الا بقدر ما تغزوه جماعات بعنيها؟ و من هى تلك الجماعات التى تتعين على تكريس فكرة جمود الشرق؟ ولماذا يستحيل البحث فى امور الشرق؟ و هل كرست براديجما جمود نمط الانتاج الشرقى تسويغ مفهوم العبودية العامة General slavery (وهو مفهوم ماركسى يتعالق و تعريف سلطة الدولة الخراجية) بين اصحاب النمط الشرقى الدنيا بالخصم على الريف؟

الباب الاول: استقطاب الزراعة و بداوة اعراب الشتات ونظائرهم المثقفين الحضريين

الفصل الاول: عبودية الريف جراء بوار القطاع الزراعى لحساب قطاع المال و التنمية المشبوهة:

أجادل ان تاريخ الغرب–الرأسمالية العرقية العنصرية كان قد اتصل باكرا بمفهومات نمط الانتاج العبودى وبما جاء فى تحريفات الاصحاح القديم من تفضيل الرعاة على الفلاحين و الذراية بالاخيرين وصولا الى استرقاقهم مثلما تعين البلاشفة على خصم حقوق البروليتاريا على الموجيك قياسا على المناشفة اللذين انتصروا للموجيك الفلاحين الروس ابان ثورة 1917. و يلاحظ كيف كرس تقسيم العمل الدولي احتواء الجنوب فى زراعة المواد الخام و السلع الغذائية لوقت ما و حبى الشمال بالانتاج الصناعى السلغي و التكنوليجيا المتقدمة و انتاج السلاح وصولا الى انتاج الخدمات و اعادة انتاج المراكمة المالية. و مع ذلك ما يبرح بعض المثقفين العرب و المسلمين مثلا ينسبون الى الفلاحين ما حاق بالطبقات الوسيطة و بالمجتمع قاطبة جراء سياسات التنمية و التطبيع و الترشيد و الاصلاح الاقتصادى سيئة السمعة زيادة على قطاع المال و ما يكرسه من مفاهيم حرية الاسواق و حرية حركة المال و هى تزويقات تصدر فى محصلتها النهاشية عن عقلنة ما لا يمكن الافصاح عن حقيقته الموضوعية على الارض.

و ازعم ان بعض تلك السياسات كان وراء انتشار بعض تنويعات الاسلام السياسى و توفير مناخ موات لها. الا انه من المفيد تذكر ان الاخير كان قد اختلق لمواجهة اليسار و المد الاشتراكى الشيوعى فى المجتمعات العربية و الاسلامية منذ ستينات القرن العشرين و ربما ما بين الحربين العالميتين و ربما بعد الحرب العالمية الثانية فى مصر و السودان مثلا. ذلك ان التنمية التى فرضتها مؤسسات مالية عولمية مشبوهة على مجتمعات زراعية بطبيعة مرحلة تطورها وبمغبة تداعيات استلابها بما سمى تقسيم العمل الدولى ادت التنمية المذكورة الى تدمير الاساس المادى للقطاع الزراعى والرعوى فى ارياف و بوادى المجتمات الزراعية الرعوية حيث معظم وسائل رزق معظم الناس–منذ القدم و ما تبرح حيث يعمل نصف مليار فى القطاع الزراعى فى عين مجتمعات التصنيع السلعى و الصناعة الخدمية–مما كرس ما اسميه الاستثمار فى الخراب Investing in Decline.

فقد اوصل ما يسمى ب "التنمية"–تلك الاحبولة اللا اقتصادية الا بقدر ما تراكم خارج المجتمع–اوصلت التنمية سيئة السمعة الريف الى حال انتشرت معه عوامل طرد الفلاحين والحرفيين. فقد كانت التنمية اللامتوازية قد ركزت على المدن و اهملت الريف فى نفس الوقت الذى راح فيه ما يسمى الاستثمار العقارى يتغول على الاراضى الزراعية و السكنية جميعا لحساب مستثمرين اجانب و محليين لا مبالين سوى بمراكمة المال و الربح[197]. و كانت الرأسمالية المالية و من ورائها الحكومات قد بقيت تكرس فكرة ان الرأسمالية المالية و اصحاب المال هم وحدهم هم اللذين يخلقون الثروة و العمالة. و بالمقابل راحت الرأسمالية المالية خاصة و الحكومة البريطانية مثلا تشيع ان القطاع الزراعى لا يخلق الثروة و ان القطاع الزراعى ليس مشوقا او جذابا بل على جابية جنسية لا تقاوم overwhelmingly sexy مثل قطاع المال.

و قد قضت السوبرماركيتات او كادت على القطاع الزراعى. و قضت على بعض المدن بالقضاء على اسواق المدن و العالبقالين و الحرفيين الصغار فتحف المدينة و يهجرها سكانها و ينخفض سعر العقار و تغلق المدارس الخ. و تملك بريطانيا اكبر و اقوى و اغنى السوبرماركيتات فى العالم. يعتبر سوبرماركيت تيسكو اكبرها قاطبة ياتى بعد وول مارت الامريكى. و قد تركت الحكومة البريطانية تيسكو يتعين على اطعام الناس. و يستدعى تيسكو نفس سيناريو اسواق المال والائتمان جراء كونه هو الاخر يعتمد على عولمة اجزاء تجارة القطاعى بحيث يتعامد كل جزء و اخر حتى اذا انهار جزء تقوض نظام تجارة القطاعى بكامله دفعة واحدة. الا ان كل من الرأسمالية و الحكومة البريطانية–وقد ادركت الاخيرة فعلا انها لا تملك سوى الاستدانة ثم الاستدانة بلا نهاية و تحلل الدين العام كيما تخرج الاقتصاد الهالك من حفرة الانهيارات المتتالية للعملة والاسهم و ارتفاع نسب العطالة جراء افلاس الاعمال الصغيرة و المتوسطة ادركت الحكومة البريطانية ان العودة اللى الاصول Back to basics اجدى.

وستفاجا كل من الرأسمالية المالية و الحكومات بصورة صاعقة بمواجهة أخطائهما لا محالة. ففى محاولة حل الازمة سوف يبدع الناس العاديون كما فى كل مرة. و سوف يمكن ذلك الناس العاديين من ادراك ان قطاع المال قد انتهى و لو وجيزا . ذلك ان الناس كانوا قد بدأءوا يوقنون تباعا ان السوق الحر و حرية الاقتصاد بلا قيود و المثابرة على الجأر بان قطاع المال هو الذى يخلق الثروة و العمالة الخ ليس سوى اسطورة, فلم يكن مقدر لقطاع المال أن يستقيم طويلا. و كان الفلاحون قد بقوا يقاومون فى كل مكان شرطيات البنك الدولى او–و مفوضية التجارة بالمجموعة الاوربية و منظمة التجارة العالمية و يواجهونها.

و لم يلبث الفلاحون و الحرفيون و صغار المهنيين أن راحوا يقفون لها بالمرصاد وهم الذين وصموا بالعجز عن النشوء ابعد مما بقى يشار اليه العامة–الغوغاء–الدهماء اللذين بقيت الاوليجاركيات تخشاهم على مر السنين. هذا و رغم ان الاوربيين الشرقيين قد يتلهفون على عضوية المجموعة الاوربية مثلا الا ان اصحاب نمط الانتاج الاسيوى يكادون يجمعون على مقاومة شرطيات. منظمة التجارة العالمية فيرفض معظم الفلاحين البولدنين و الايطاليين والاسبان خصخصة الريف بشرطيات المفوضية الاوربية و تزعن ايطاليا و اسبانيا و فرنسا احيانا كثيرة لضغط حركات الفلاحين.

تطير المثقفين من ترييف المدن:

ينسب بعض مثقفى العرب نشوء فئة العسكر الى ظاهرة ترييف المدينة و العكس صحيح. ولعل تلك الفئة مما ازعم انه بات يشارف طبقة فى حد ذاتها كان نشوئها حريا بان يخصم على ما عداها من التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية الفطيرة بطبعها فى المجتمعات السابقة على الرأسمالية بصورة مزمنة جراء الحاقها قسرا بالرأسمالية المالية. و ربما كان ثمة تعالق طردي بين نشوء العسكر و ترييف المدن. ذلك ان معظم العسكر من الريف مرة و قد خلقت الانظمة العسكرية شرط ترييف المدن بخلخلة الريف جراء سياسات التنمية و انتشار ظاهرة التصحر المنوالى و المجاعات زيادة على مغبة العون الغذائى مرة اخرى.

و يقيض العون الغذائي محاصيل جاهزة باسعار اقل من سعر تكلفة انتاجها محليا مما دفع بالفلاحين الى ترك الزراعة و النزوج الى المدن او–و العمل الموسمى. و قد خلق حاصل جمع تلك الظواهر فى تحوراتها المشوهة شرط نزوح الفلاحين الى المدن و الرعاة و البدو الى حواف المدن فريفوها.

على انه من المفيد تذكر أن ثمة فرق بين مفهوم الفلاح كطبقة لم يقيض لها النشوء ابدا حيث كان الاقطاع و الرأسمالية من بعد بتنويعاتها قد تعينت و ما تبرح تتعين على تكريس انتفاء شرط نشوء الفلاحين و نضوج الوعى بينهم وصولا الى العصف بقدرتهم على تنظيم انفسهم و بين ظاهرة النشوء المشوه لبعض جماعات من الفلاحين الى مراتب تشارف حواف الدائرة الضيقة لشرائح السلطة او–و الى تنويعات من الطبقات الوسيطة المصابة بكل من الوصولية و الخيبة معا.

و من المفيد ايضا تذكر ان ما بدو من عجز الفلاحين عن النشوء ليس سوى انعكاس لظاهرة منا صبة الرأسمالية بتنويعاتها العداء للشعوب و اغلبياتها من الفلاحين والحرفيين و الرعاة و البدو. و ازعم ان طبقات الحكام الغرباء او الغزاة او–و المتحالفة مع اعراب الشتات تكرس نفى شرط نضوج وعى الشعوب المحكومة و اغلبها من الفلاحين و البدو. و توظف طبقات الحكام المذكورة شرط حرمان الفلاحين و غيرهم من المنتجين من حقهم فى اعادة توزيع السلع و الخدمات مثل التعليم و العلاج و السكن و توفير فرص العمل مما تفرضه عليها المؤسسات المالية العولمية المذكورة اعلاه و تباعا. فحرمان المحكومين يردهم عاجزين عن أى شئ ابعد من الركض اللاهث وراء لقمة العيش كمحصلة للعصف الطويل و المتصل بعد بهم...

و قياسا يخصم ذلك الركض على اى فضاء للتفكير والتنظيم حول قضايا مجاميع المنتجين من الفلاحين و الحرفيين و الرعاءة الخ المفصلية التى تخصهم هم. فالحكام الذين تربطهم بشعوبهم قرابات حقيقية مثل مجتمعات الخليج و تاريخية مثل بعض المجتمعات الاوربية و الافريقية او–و مفبركة و تصاهر و تحالفات و تحالفات مضادة يتعينون على اعادة

التوزيع مما من شأنه ان يوفر شرط نمو الطبقات المحكومة و نشوئها الى اعلى[198]. و مرة اخرى ينبغى ايضا تذكر ان ثمة فارق بين تسلل بعض الجماعات ذات الاصول الريفية الى صفوف الطبقات الوسيطة و بخاصة الى صفوف الجيش مما يرييف تلك الفئات الاجتماعية التى لم تنفظم من ارحامها الريفية القبلية البدوية غالبا و بين الفلاحين كطبقة فى حد ذاتها A class-in-itself.

و قد بقيت الاخيرة كذلك بصور مزمنة و بلا امل لوقت طويل فى ان تنشأ صاعدة الى طبقة من اجل ذاتها-A class f for-itself و كانت تلك الطبقة الى ذلك و بقيت تطرح تاريخا موازيا يقف بحد ذاته فى عدد من المجتمعات العربية مثل مصر و السودان حتى حلول سوق العمل الخليجى و مثول العولمة. هذا و كانت الذراية بالفلاحين قاطبة و بقيت لوقت طويل و ربما حتى اليوم ميلا خطيرا بين بعض المثقفين الحضريين اللذين ذاقوا مرارة العيش تحت ذل الانظمة العسكرية او تشردوا جراء تلك الانظمة.

و قياسا فلعله لا ينبغى ايضا الخلط بين ترييف بعض الطبقات الوسيطة و العسكر و بين مفهوم طبقة الفلاحين. فليس ثمة ما هو علمى او موضوعى فى جمع العسكر و الفلاحين و كأنهم طبقة واحدة وقياسا لا ينبغى الخلط بين ترييف المدن بخلخلة الريف بالوصف اعلاه و ترييف بعض الفئات الاجتماعية اللا اقتصادية الا بقدر ما تتطفل بعض تلك الفئات المشوهة على المجتمع بعنف الانقلاب على التجربة الديمقراطية الفطيرة فى معظم مجتمعات ما يسمى بالعالم الثالث. و تعبر تلك الفئات عن نفسها كما الطفيليات او مصاصى دماء منتجى فائض و خالص العمل الحى و اغلبهم من الفلاحين و الرعاة و صغار اسطوات الحرف التقليدية.

المهم فحيث كان الفلاحون قد الفوا كما ذكرنا تباعا و ما يبرحون يؤلفون اغلبية البشرية فان الذراية بهم لا تقل عن الذراية بالبشرية بل كراهية البشرية. وبفاقم من كراهية الرأسمالية الموصوفة للفلاحين و البدو انهم لا يندرجون تحت فئة المستهلكين و غالبا ما يميلون الى التدبير و الاقتصاد و الادخار مما تغتم له افئدة أعراب الشتات المرابين و قد بقى اعرا الشتات لا يسحبون الفلاحين على مر التاريخ المكتوب و المسكوت عنه منذ هابيل و قابيل. فقد استحب الرب قربان قابيل الراعي اضحية للرب و امتعض من اضحية هابيل الفلاح و كانت من عشب القمح حسب الاصحاح القديم.

و ما تبرح منظومة القيم الاخلاقية الاوربية الغربية و بخاصة الانجلوساكسونية–و الانجلو امريكية بالتماس–كون الاولى اتصلت بدورها بالبداوة البحرية و القرصنة عبورا براسمالية تعصف بالمستقرين اى بالفلاحين–تعبر عن نفسها فى طبقية و عنصرية بائنة. و ما تبرح الرأسمالية تعيد انتاج العبودية باستيراد عمالة مسترخصة من امتدادات الرأسمالية ما بعد الصناعية و استرقاق الفلاح–غير الغربى–فى المقياس المدرج–و لو بكل من تصدير عمليات انتاج الغذاء–و ارغام العوالم الثالثة و الرابعة على تصدير الماء شمالا بالمحاصيل الزراعية و المواد الخام فيما سمى تقسيم العمل الدولى. ويجد المفقرون اغلبهم من الفلاحين و الرعاة انفسهم غالبا بين خيار العبودية او الموت عطشا او–و حوعا.

ذلك ان تصدير الماء الم يزد سوى ن خلق شرط التصحر و المجاعات اممما يهدد بابادة العولم الثالثة و الرابعة و العصر حجرية. ففيما احتلت هيئات الغوث الغذائي مكان الدولة فقد انتشرت هيئات الاغثاة مثل العون المائى تتسول المحسنين فى الشمال صدقة من الماء Water Aid "ان الماء حق اساسي من حقوق الانسان. فحيث يموت كل 20 ثانية طفل فيما يسمى بالدول النامية حراء الاوبئة المتعلقة بشح الماء و تلوث الماء يواحه الناس فى تلك المجتمعات محنة ان يشربوا ماءا يودي بحياتهم او يموتون عطشا فيما يأخذ سكان المجتمعات الغنية تدفق الماء النقى قضية مقطوع بها.

و يجأر مات بوتس Matt Potts مدير مؤسسة تأهيل المقتلعين Director of the Government Displaced association تخاتلا "نحن لسنا فى افريقيا فالطعام وفير هنا", We are not in Africa. Food is plentiful here. . و ليس الطعام وافر و حسب و انما تتضور افريقيا كي تنتج الورد و طعام الكلاب. و تتصحر كينيا مثلا و تجف البحيرات فيما ترسل كينيا ورود الزينة و الازهار على متن طائرات يومية الى اوربا. و قد بقيت رواسب الاسترقاق و

العبودية تناسب السلطة القائمة و حلفائها على الخصوص فيكرسونها من حيث ان تلك الرواسب ما تبرح تؤلف اهم ما تتمأسس فوفه مشاريع الرأسمالية بتنويعاتها و بخاصة ما بعد الصناعية–الرأسمالية المالية.

ذلك أن الاخيرة كانت حرية بان تكرس مفهوم المضاربة و بيع المال كسلعة و بقدر مطلوب الاسواق و الاستهلاك و الانفاق بغير ترو و التخلى عن ثقافة الادخار التى ادعى معظم فلاسفة الاقتصاد انها الفت بعدا من ابعاد المراكمة الرأسمالية الغربية تكاذبا بالطبع و التطبع العقلانيين. و يصيب تكريس تلك الرواسب المعقلنة تنويعات الرأسمالية فى الامتدادات بالمثل. و يتمثل ذلك اكثر ما يتمثل فى توريط أعراب الشتات و كذا الرأسمالية بتنويعاتها الفطيرة الفاحشة وبخاصة الرأسمالية ما بعد الصناعية–المالية–تلك الاغلبيات و سلالاتهم فى الربا ديونا حتى الدمار المادى و البدنى. و ازعم ان الربا بقى يشكل حالة لنمط الشرقى و يكرسها و يشوه نمط الانتاج تباعا..

الفصل الثانى: عقلانية رأس مال اعراب الشتات الهارب و مشروع الشرق الاوسط الكبير:

عندما هاجر الاشكناز الى اوربا الغربية ادركوا مجددا انهم يملكون معرفة كنه مجتمعات المستقرين اكثر من غيرهم. و كان الخزر اجدادهم قد راكموا ارثا عظيما من تجارب التعامل مع المجتمعات المستقرة على مر الاف السنين. وكان الاخيرون قد تفرقوا من بيزنطة شرقا غب سقوطها للخلافة العثمانية و جنوبا من اسيا الوسطى الى روسيا و ليتوانيا و بولندا و المجر و اوكرانيا و جورجيا و لاتفيا و حتى ايران و افغانستان فالصين و جنوب شرقى اسيا و شبه القارة الهندية.

و لعل تلك الهجرات الواسعة الفت ما يسمى بالشتات او التيه Diaspora اكثر مما الف "الخروج" من مصر-ان كانوا بمصر اصلا –تيها. ذلك ان الجزيرة العربية حيث وصل بنواسرائيل بعد عبور البحر الاحمر لم تكن صحراء جرداء و لا كانت تيها. فان كان اصلهم من الجزيرة العربية تأسيسا على دلائل متوفرة منذ 15 قرنا فى مدن الحجاز حسب ما ذكر كمال صليبى او–و حسب بعض اطراف من سردية اعراب الشتات الانتقائية لاحداث تلك الفترة فقد كانت تلك المنطقة حرية بان تكون مألوفه لديهم كما ذكرنا فى مكان اخر. و قياسا فان شرط التيه حريا بان ينتفى. اذ كيف يتوه من الف فضاء تلك الارض؟

و قياسا فلم يكن للاشكناز علاقة تذكر بالشرق الاوسط الا بقدر ما هاجر بعضهم باكرا الى الحجاب سوى نهم ادركوا اهمية تلك المنطقة للتوسع الاستعمارى الاوربى الغربى ما ان حطوا فى اوربا الغربية و بخاصة هولندا و انجلترا و المانيا و فرنسا عبورا بالامبراطورية الرومانية الى البندقية. وكان التوسع الاستعمارى قد قيض لهم باكرا فرصا لاعمال كبرى و كان بعضه غير مسبوق فوفر شرط مراكمة رساميل هائلة منذ هجرتهم من المدن الدول و الموانئ الفلسطينية. هذا و لم يلبث التوسع الغربى ان اشتد منذ القرن السادس عشر الى الثامن عشر و تباعا حين وصل السفارديم بدورهم باعداد ملحوظة من الاندلس و اوربا الشرقية الى اوربا الغربية و العالم الجديد.

عقلانية التوسع الافقى و الرأسى و اختزال أعراب الشتات للوحة الخماسية و المنوال الخلدونى:

أزعم ان بعض الماركسيولوجيين كان قد تعين على التستر على استقرار ظاهرة العبودية او القنانة–حسب تحور مرحلة الانتاج–فى مسام جميع مراحل الانتاج بتويعات تلك الظاهرة سواء من العبودية المنقولة و المرتهنة بالارض و بالمديونية الريفية كما فى الفيليبن و الهند الخ–بما فى ذلك تجارة الرقيق الابيض فى النساء و الاطفال–و القنانة المنقولة مع الارض و الاقطاع. و تتحور التطورات الحالة فى علاقات العمل و الانتاج فتنكص الى اشباه مشوهة على نفسها. ذلك ان شروط العمل و علاقات الانتاج تصيب طبيعة العمل باعوجاجات و تشوهات تعبر عن نفسها فى الشروط التى تفرضها الشركات عابرة القارات و اسواق العمل المنقول فيما يسمى out sourcing. و تتمثل تلك الاعوجاجات و التشوهات فيما يشارف علاقات عمل نمط انتاج سابق على الرأسمالية بل على الاقطاع الغربى ان صح التعبير وصولا الى نمط الانتاج الشرقى

الذى كان قد فصم فصما من مراحل تطور المجتع الغربى. و قد باتت تلك المراحل من ثم متراتبة فى خط متصل صاعد مرة و تنشأ مرة اخرى كأنها علامات المرور الضوئية ما ان ينطفى واحد يضئ اخر فى قطيعة مع ما سبقه.

و ازعم ان تعيين الماركسيولوجيين على فصل الاطار الفكرى للنمط الشرقى او الاسيوى الهام جدا لفهم "رأس المال"–جسد النظرية الماركسية او متن الماركسية الاساسى–دون الاشارة بصورة واضحة الى اهمية النمط الشرقى لفهم رأس المال.

فالاطار الفكرى او البراديجما المذكورة هى نمط الانتاج الاسيوى او الشرقى الذى ازعم ان ماركس او بعض الماركسيولوجيين وربما اعراب الشتات من بعده كانوا قد قصروا تعمدا عن الافصاح عن ذلك الاطار ان لم يعمدوا الى عدم التركيز عليه.

و اجادل ان نمط الانتاج الشرقى الاسيوى الفكرى او براديجما او مقولة نمط الانتاج الشرقى تتصل بصورة عضوية بقراءة رأس المال Das Capital or Capital: Critique of the political economy. فان بقيت نظرية رأس المال تبدو و كأنها قائمة بذاتها فقد اضعف ذلك بكل من التعين على فهم رأس المال واضر بمقولة النمط الشرقى معا. هذا فلم يلبث الماركسيولوجيون أن عمشوا على الاخيرة بل حرمت قرأة نمط الانتاج الشرقى و بقيت من الاسرار حتى ثلاثينات القرن العشرين. و كان الاتحاد السوفيتى يتحفظ على تدريس نمط الانتاج الشرقى مصادرة لاحتمال ثورات الفلاحين مثل ثورة الصين.

و الاحرى لعل لاعراب الشتات من بين بعض البلاشفة دور فى التستر على ذلك النمط ربما أخفائه.

من المفيد تذكر ان الفلاحين كانوا دائما غرماء الخزر و فى نفس الوقت مصدر الربا على الديون الريفية. و قد بقى حزب الفلاحين يحكم بولندا حتى سقوط الجمهورية الاشتراكية. فهل كان الفلاح البولندى وراء الثورة ام كانت خصما عليه؟ و ماهى علاقة الخرز بالفلاحين البولنديين؟ هل كان الخرز صفوة؟ ام هل انضم الفلاحون اليهود فى بولندا–و كانوا اغلبية يهود اوربا الشرقية–و قد استلبهم احبارهم و اسباطهم و قضاتهم و تجارهم–الى الثورة الاشتراكية؟ و هل كانت حركة عمال الموانئ البولندية–سوليداريتى–مقدمة لنهاية الاشتراكية البولندية يسمسرة ليخ فاونسا Leck Vanessa و قد خصمت زعامته للعمال البولندين على الاشتراكية البولندية و لحساب رسملة بولندا؟ قد لا يجيب البحث على كل هذه الاسئلة فيتركها لدراسة اخرى او لباحث اخر الا ان سؤال يبقى واردا. وهو هل ثمة تنويع لنمط الانتاج الشرقى خليق بان :

1–يعبر عن نمط اللا انتاج الذى تتمأسست فوقه طبقة الشعب اى احبار و اسباط و قضاة و تجار أعراب الشتات مما اناقشه بصورة اكثر تفصيلا فى دراسة اخرى.

2– يفضح دور اعراب الشتات فى تكريس ضعف او انتفاء شرط نشوء النمط الشرقى–الآسيوى.

3–يكريس البعد الربوى فى كافة انماط الانتاج و بخاصة فى الرأسمالية ما بعد الصناعية و قد باتت رأسمالية مالية تتعين على تسويغ علاقات الانتاج بعقلانية قاحلة.

و أزعم انه رغم ان نمط الانتاج الوحيد الذى كان حريا بان يستعصى على فيروس الربا هو النمط الاشتراكى فى بداياته. الا ان اعراب الشتات نجحوا فى اختراقه بالربا. فقد هزمت الرأسمالية المالية و اقتصاد السوق المنظومة الاشتراكية بفرض شرط افلاس الاتحاد السوفيتى بالديون الخارجية و بحرب النجوم و اجبار الاتحاد السوفيتى على شراء التكونولوجيات المكهنة Obsolete. و كان الاتحاد السوفيتى و بولندا مثلا قد ازعنا لغواية الديون الخارجية منذ سبعينات القرن العشرين مما ادى الى بيع روسيا رصيدها من الذهب بما يشارف المزاد العلنى وصولا سقوط حائط برلين نهاية 1989.

و لعله من المفيد تذكر ان المنظومة الاشتراكية بدورها كانت كغيرها قد اخضعت منذ نهاية الستينات لتنويعات التكييف الهيلكى الذاتى Self -Imposed Structural Adjustment Policy(SAP)المذعن ولو بتماس السوق والتبادل الاجبارى فى السوق و ب "التطبيع" بالمبادلة و فى سباق التسلح بصناعة الاسلحة التقليدية حتى منتصف الخمسينات و فى صناعة الفضاء و حرب النجوم حتى نهاية السبعينات وفى شراء تكنولوجيا مكهنة من الولايات المتحدة فيما يسمى

"مشروع نيكسون وكارتر" و بسقوط محاصيل قمح الاتحاد السوفيتى على مدى فصول متعاقبة فتحولة الى تنويعة عالم ثالثية بالعون الغذائى المشبوه فى سيناريوهات "الامريكى القبيح" The Ugly American.

هذا فى حين كان الاتحاد السوفيتى قد حاول الاكتفاء الذاتى غذائيا في 1929 حين كانت امريكا تواجه انهيارات اسواق المال عشية الازمة الاقتصادية الكبرى. و كان ستالين يقول فى 1928 بتحويل الصحراء الى جنان لاانتاج المحاصيل الغذائية فاستقطب الناس فى الجولاج لزراعة الارض و جعل الاتحاد السوفيتى جنة البروليتاريا و كل العاملين الاشتراكية. ففى عام 1917 كانت روسيا قد تحولت الى ديكتاتورية البروليتاريا يتجنيد كافة الشعب من اجل تحويل المجتمع الى نظام يختلف تماما عن سابقه.

الا ان اقتصاد الاتحاد السوفيتى و الجمهوريات الاشتركية كمنظومة بات عليه تتبادل الاعتماد تباعا بمعنى ان تنضبط فى سياسات و ممارسات اقتصادية–او لا اقتصادية– يشارف بعضها عصاب حصار "لحاق" مزعن و لحاق ذاتى Self Inflicted Catching-up بالسوق. ومن المفيد تذكر ان الرأسمالية بقيت تزوق نفسها فى طروحات عقلانية بالضرورة فغير قابلة للاثبات بالنتيجة. ومن المفيد تذكر ان نظرية نشوء و تطور الرأسمالية سواء الليبرالية او الماركسية لا تركز طويلا على دور الديون فى مراكمة الثروة و لا على اختراق مفهوم الديون للاقتصاد منذ بدئ التاريخ مما يتمثل اليوم فى الازمات الاقتصادية الدورية على مر التاريخ وصولا الى ازمة ثلاثينات القرن العشرين و تباعا حتى ازمة صيف 2007 المتصلة.

المهم كانت مقولة ماركس ب"ان التغيير رهين عوامل خارجية" قد الهت كثير من المؤرخين عن حقيقة ما قصد ماركس بدقة بالعوامل الخارجية, و قد تهافت الكثيرون بالمقابل على فكرة الاستعمار كونها عامل خارجى و بخاصة حين احتفل ماركس باجتياح ايطاليا لليبيا وابلس الهند و وصفمها بالجمود و التخلف–فى عتمة ما ساد على عهد شذاذ افاق شركات الهند الشرقية–و لم يكن ماركس قد رآى الهند حتى فعل فتراجع الخ. و ما يبرح الليبراليون الجدد يستدعون تدخل قوى او عوامل خارجية لاحداث التعيير مثلما تفعل بعض المعارضات العربية و الاسلامية المعدلة جينيا كبعض فصائل المعارضة العراقية مثلا و المعارضة الافغانية السابقة على الاحتلال.

و الى ذلك يسر رهن التغيير الاجتماعى بعوامل خارجية أو–و بالاستعمار اغفال مغبة استضافة الاعراب–اعراب الشتات أو–و التعميش علي وجودهم فنشاطهم و تداعياته على نمط الانتاج المضيف السائد. و لعل ماركس فى تستره على من هم حقيقة اؤلئك البرابرة او القبائل المتوحشة التى تعينت على كل من اسقاط روما و"خلق" شرط نشوءها وجيزا تستر على حقيقة وجود اعراب الشتات و دورهم. فقد نشأت الامبراطورية الرومانية المقدسة و عبرت عن نفسها فى مرحلة تطور او–و الاحرى تنويعة على مرحلة تطورها التى وجدتها تلك القبائل المتوحشة عليها. و قد زعم ان التحول الحال باجتياح تلك القبائل قيض شرط اعتاق العبيد و نشوء الاقطاع الغربى.

و أجادل ان ادعاء ان قبائل متوحشة كانت وراء سقوط النمط العبودى الرومانى و نشوء امبراطرية اقطاعية لا يزيد سوى ان يكرس اهمية اعراب الشتات تحت مسمى متكاذب. و يزعم ذلك المسمى ان العامل الخارجى السحرى الذى قال به ماركس فى تطور المجتمعات فى كل مرة وراء تطور الامبراطورية الرومانية و نظائرها. سوى ان ماركس لم يعرف ذلك العامل اجرائيا بصورة كافية رغم خطورته سواء كفرضية او–و سؤال بستدعى جواب. ذلك ان ماركس لم يجد فى قلبه ان يذكر من هى تلك القبائل المتوحشة و لا اشار باى صورة الى ان الاخيرة قد تكون حقيقة من أعراب الشتات او نظارهم الذين كانوا يعمرون البرارى الشرقية التى كانت تاتى منها قبائل الاعراب منذ الاف السنين. و لعل تلك القبائل كانت من الخرز.

و لم يذكر لنا احد بصورة واضحة الى ذلك حصار اوليجاركية جمهورية البندقية الحرة للامبراطورية الرومانية ما ان "خرج" اعراب الشتات برساميلهم المادية و غير المادية خصما على الفينيقيين الامبراطورية الرومانية و الخلافات الاسلامية المشرقية على التوالى مما يسر لهم احتكار موانئ المتوسط الشرقية كافة. المهم ازعم ان ماركس كان موقنا من دور اعراب الشتات على مر التاريخ فى احلال شرط تغيير نمط الانتاج الى تنويعة على نفسه الى ما لا نهاية بالنتيجة دون نشوء نمط الانتاج المضيف الى اعلى وصولا الى نكوص النمط المضيف جراء استقرار الربا بالضرورة فى مسام المجتمع الذى استضاف اعراب الشتات–الخزر حتى سقوط الامبراطورية الرومانية و الخلافات المشرقية العباسية و الاموية وصولا الى الخلافة العثمانية.

و تقف الهند مثالا من بين امثله عديدة على خطل فرضية العامل الخارجى السحرى ممثلا فى غزو قبائل متوحشة او فى الاستعمار بتنويعاته المترددة الى الكلاسكية فالى المتسترة تحت الوية العولمة و منظمة التجارة العالمية باسم حرية التجارة تكاذبا. فقد كانت الهند فى مستوى و ربما ارقى من مستوى بعض الدول الاوربية الغربية فى القرن السادس عشر حين غزتها جحافل اعراب الشتات تحت الوية شركات الهند الشرقية و تجارة الافيون فى الشرق الاقصى, و لم تلبث الهند ان باتت مرزعة للمخدرات لتصدير المخدرات الى الصين– مثلما يلاحظ اليوم في افغانستان. و كانت انجلترا قد باتت الموطن "الترانزيت" الدائم بامتياز لاعراب الشتات ممزقة وتحت رحمة مغامرين عولمين و نظائرهم منذ القرن الرابع عشر و الخامس عشر على الاقل. بقيت انجلترا–فيما خلا ادعاء الامبراطويرة ما بين نهاية العصر الفيكتوري و المجتمع الادوادى اى ما لا يزيد على نصف قرن–ممزقة. و كانت بريطانيا قد باتت مدينة منذ مشروع مارشال و تحت رحمة الرساميل عابرة القوميات وتباعا بمغبة الحقها المزعن و بصورة شبه عضوية بالرساميل الاتية من امريكا بخاصة عندما رفعت مارجريت ثاتشر سقف تصدير الرساميل.

و قد اصابت عدوى التمزق و التذرر الهند بدورها. ذلك ان شبه القارة الهندية لم تلبث أن باتت تحت سنابك مغامرين و مرتزقة اوربيين غربيين و جراء النهب و السلب فكادت تتحلل الى مكوناتها الاولية من امارات و "تنظيمات" السابقة على السلطنات المغولية. قد راحت الهند جراء ذلك تستورد الغذاء و الكساء وهى التى كانت على عهد ملوك المغول تصدر الغذاء و النسيج و غيره من السلع المصنعة. و قد بقيت شبه القارة الهند تحت رحمة الاوليجاركية العولمية التى كانت قد راحت تعيد انتاج ما فعله اعراب الشتات فى شبه القارة الهندية و خلافها منذ شركات الهند الشرقية[199] حتى الربع الاخير من القرن العشرين و بداية الالفية الثالثة. فقد ثابرت تلك الكائنات المشبوهة على وصم شبه القارة الهندية و نظائرها التى كانت زاهرة قبل حلول القراصنة بالجمود و الرنو الى الماضى و العجز عن بل رفض التغيير والتقدم بمعنى ارزعان للرسملة اثباتا لفرضية ماركسيولوجية مجتزأة.

وقياسا يزوق الفكر الليبرالى وما بعد الليبرالى ميل المفقرين و المستلبين المتأصل نحو الانتفاضات الشعبية و الثورات الاجتماعية مما يعمر التاريخ المسكوت عنه برفض التغيير والتقدم بمعنى الازعان للرسملة. و بتعريف موجز للتغيير والتقدم المزعومين اجرائيا يتضح بصورة فاصلة كيف ان التغيير المزوق عقلانيا يعنى تكريس شرط تيسير المراكمة الرأسمالية خصا على نضوج شرط الثورة الاجتماعية تحت الوية محاربة الفاشية و نشر مبادئ الحلفاء فى بداية القرن العشرين و التصنيع فى خمسينات القرن العشرين والثورة الخضراء منذ ستينات القرن العشرين و التنمية المشبوهة و لم تزد على سوى التنمية فى الخراب فى سبيعناته و الاصلاح و لم يكن اكثر من اعادة هيكلة الاساس المادى لاقتصاد المجتمعات الملحقة و اللحاق وصولا الى الدمقرطة و لا تزيد الاخيرة عن مساواة الكل بالارض كما العشب المحلوق كما ذكرنا فى مكان اخر مما لا يرقى حتى الى الديمقراطية ما بعد الليبرالية. فما هى أعراض اصابة نمط الانتاج الشرقى بكساح الاطفال؟

عقلانية تكسيح نمط الانتاج الشرقى و سفر تكوين مشروع الشرق الاوسط الكبير:

يغيب على بعضنا تصور ان مشاريع التوسع الامبريالى تجدد خطابها و اجندتها على مر الزمان. الا اننى ازعم ان التوسع الاستعمارى بقى يتعين على سيناريو واحد تقريبا و ما ينفك ينوع عليه. فقد توسعت اوربا الغربية فى جنوب شرقى اسيا ثم فى شبه القارة الهندية لتجد فى اسلوب الاستحواذ على ثروات الاخيرة اسلوبا ناجعا فى مراكمة رساميل غر مسبوقة فى كل مرة. فقد وجدت اوربا الغربية اى الرأسمالية ان النهب والسلب و التجارة اللا متكافئة بحد السلاح بحق الفتح و فى اجتياح الموانئ وصولا الى الاستيلاء على الارض و ما عليها و تفريغ الارض ممن عليها كلما امكن او–و تيسير اختراق نمط الانتاج السائد فتشويهه مرة واحدة و الى الابد–وجدت اوربا فى تلك التجربة افضل سبيل للمراكمة و للاستحواذ على ما بات يسمى ثروة الامم على حد قول ادم سميث 1723–90 و نظائره من الاقتصاديين التنويرين.

و كان اعراب الشتات قد سبقوا اوربا فى تجويد تلك التجربة فى معظم الفضاءات المذكورة من الصين والقفقاز و الهند و اوربا الشرقية وشبه الجزيرة العربية و الشرق الاوسط باكرا زصولا الى اسرائيل الى نفس الوسيلة للتوسع و الاستحواذ. و كانت تجارة الافيون "الاجبارية"" بحد السلاح ايضا و الاتفاقيات القهرية مع الصين قد قيضت لاعراب الشتات رساميل يسرت نشوء شركات الهند الشرقية[200]. و من المفيد تذكر ان شركات الهند الشرقية–الانجليزية و الهولندية–قد تعينت ما قلت فمكان اخر على نهب ثروات ملوك الهند وسلاطينها من ذهب و فضة و ماس و لؤلؤ حتى قباب المساجد المذهبة مثل قباب تاج محل المذهبة وغيرها اقتلعت و اخذت الى انجلترا و طليت القباب بالنحاس. و لم يدمر اعراب الشتات الاساس المادى للاقتصاد الهندى و حسب و انما راحوا يدمرون البنى الفوقية من اللغة و القانون و الفنون و المعمار. فقد حرم الانجليز بالوكالة على المسلمين الحديث بالفارسية و كانت الاقرب الى عقيدتهم.

تعريف الشرق الاوسط الكبير

في تصوره العرب ان الشرق الاوسط ليس ابعد من الاوطان العربية ينسي العرب ان الرأسمالية كانت قد تعرفت على شرق اوسط يهمها فيه المسلمين فى كل مكان. و قد اندهش كثيرون لادراك ان العرب يؤلفون اقلية بين اعداد المسلمين فى العالم. بل ان بعض المجتمعات العربية اقل تعدادا من بعض الاقليات المسلمة فى بعض المجتمعات الغربية. فاتراك المانيا اكثر من سكان سوريا. و يبغ عدد مسلمى الهند اكبر نسبة سكان بعد تعداد اندونيسيا بوصف الاخيرة اكبر دولة مسلمة. و ازعم ان مصطلح الشرق الاوسط الكبير ليس سوى تزويقا للعالم الاسلامي. و اذا ما اضيفت الى تلك المجاميع مسلمو المجتمعات الواقعة على الاخدود الافريقى العظيم– الممتد من تركيا عبورا بسوريا و الاردن فشرق البحر الاحمر حتى الفرن الافريقى لا يبقى من العالم غير الاوربى الغربى و اسيا و امريكا اللاتينية ما هو قابل للاحتلال الغربى افقيا الا غرب افريقيا.

و ازعم ان ما يسمى مشروع الشرق الاوسط الكبير كان قد بدأ باكرا بتحريض الانجليز و كانوا "واجهة" اعراب الشتات و قد مول الاخيرون مشاريع الاول و زين ديزرائيلى للملكة فيكتوريا الامبراطورية خصما على المسلمين باكرا من البلقان الى شبه القارة الهندية والخلافة العثمانية بالتوسع فى ممالك المغول المسلمين و بحرب القرم و بما يسمى ب"الثورة العربية" و ب"حركة الخلافة" قضاءا على تركيا بتغير الحرف العربى الى الحرف اللاتينى و بنقل العاصمة من استبول الزاهرة التاريخية المجيدة–حقدا خزريا على الاخيرة كونها اسقطت جمهورية بيزنطة–الى انقرا المحاصرا ارضا Landlocked.

و كان كمال اتاتورك من الخزر أو–و اعراب الشتات قد اجبر الاتراك على كتابة اللغة التركية بالاحرف الافرنجية و حرم الملابس الوطنية و اعتمار الطربوش و العمامة و كان رجال الدين من تركيا الى افغانستان يروحون ويغدون فى قبعات و ملابس اروبية حتى الحرب العالمية الثانية. و قد فرض المشروع المذكور بريادة اعراب الشتات و ارغام الانجليز

مسلمى شبه القارة على التعامل بلغة الاوردو و هى مشتقة من اللغة السانكريبتة القديمة شبه المنقرضة. و لم تلبث تلك اللغة ان استبعثت ولم تكن دارجة و ذلك لاقتلاع المسلمين من جذورهم فيما راح يفرض الانجليزية حتى باتت اللينجوا فرانكا Lingua Franca فلم تبق لغة للتخاطب بين سكان الولايات الهندية سواها. .

كذلك شكل التوسع الاستعمارى فشبه القارة الهندية تنويعات من الطوائف الاسلامية الصديقة للاستعمار مثل الاحمدية و الاسماعيلة و قاديانية Qadyanism كما خلق طوائف فى السودان مثلا و اصطنع لكل من تلك الطرائق نبيا قائما بذاته مثل الاغا خان وغيره مثلما خلق انبياء بين الطوائف السودان بقيت تحكم حتى تحورت الى الاسلام السياسى. و قد راحت تلك الطوائف تقول بان الاستعمار الانجليزى هو الصديق المفضل لدى الهنود. ونادى بعضها ببقاء الانجليز مثلما فعل بعضهم فى السودان عشية الاستقلال و ما يفعل الليبراليون الجدد اليوم يستدعون المارينز استعداءا لامريكا على اوطانهم و قد اختلطت عليهم او انهم تقصودوا عقلانيا الخلط بين النظام القائم او الحكومة و الوطن. و يزعم الاخيرون انهم يسعون الى دمقرطة المجتمعات العربية و الاسلامية.

والواقع ان خطاب الليبراليين الجدد و نظائرهم و اسلافهم و اسيادهم لا يزيد بالنتيجة عن اعادة انتاج مشروع تسوية تلك المجتمعات كالعشب المحلوق تمهيدا لخلق شرط عودة الاستعمار فى تنويعة انجلو امريكية صهيونية. المهم فرض الانجليز على غير المسلمين بالمقابل اللغة الهندوكية. و قد تعينت اللغاة المفروضة على الهنود على تكريس الاخيلة و التحذبات الطوائفية مثل ذهنية التمايز الطبقى و اعادة انتاج تنويعات كان الاسلام قد حييدها مثل طائفة المنبوذين. و قد خلق الاستعمار–و قد تسلل تحت اسم شركة الهند الشرقية الى شبه القارة الهندية–التناحر بين ابنائها باشاعة ان مسجد بايرى مقام فوق البقعة التى ولد عليها راما اله الهندوس.

و هكذا فلم تلبث طوائف شبه الجزيرة الهندية ان راحت تتواجه فى تنويع على ما يحدث فى الباكستان و افغانتسان و العراق و غيرها من الدول العربية الاسلامية فى كل مكان. ذلك رغم ان اؤلئك القوم لم يكونوا قد عهدوا مثل تلك المواجهات و التناحر من قبل و بما لم يعهدوه من العنف من قبل. و بقية القصة معروفة فقد قسمت الهند الخ. و ما يبرح تناحر الهند و افغانستان ماثل حول كشمير. و ازعم ان طببيعة علاقات الملكية و الانتاج و تمأسس علاقات الانتاج فى شبه القارة الهندية كانت حرية الى ذلك بان ييسر للمغامرين الانجليز و المتسترين خلفهم من اعراب الشتات تسويغ الاستيلاء على الارض وما عليها مرتكون الارض مملوكة على المشاع بمعنى انها ليست مملوكة لاحد حسب التعريف الغربى للملكية الخاصة سواء اقطاعية او رأسمالية كشرط للحيازة الفردية الخاصة. و مرة اخرى و هو الاهم هو ان النهب قيض تكريس انتفاء شرط نشوء النمط الشرقى الى اعلى و لو فى تنويعة عليه.

فلم يزد النمط الشرقى الهندى سوى ان تحور فى تنويعات بائسة على نفسه حتى نهاية الفرن العشرين. و لم تلبث الهند ان الحقت نفسها بشرط المراكمة العولمية فباتت الهند واحدة من اكبر و اهم الدول النامية حقا و اكثرها توفرا على التطور التكنولوجى نفيا لفرية ان النمط الشرقى يرفض التغيير وصنعت الصين المثل و اليابان من قبلهما و كذا سنغافورة و معظم المدن الدول التى كانت تسمى بالنمور الاسيوية و كلها تصدر عن النمط الاسيوى او الشرقى.

الفصل الثالث : عقلانية الجنة الخزرية–والحلم الامريكى و الذراية بالمستقرين و عقائدهم:

لم يعد غريبا أن يتحدث الرب الى بوش فبوش من محفل الاوليمبيين او الماسونيين اللذين الفوا قادة و جنرالات و حكام الامريكان منذ جورج ووشنجتون مثلما الف ابطال العبريين بنى اسرائيل محفلا مقفلا علي انبياء و احبار و اسباط الطوائف اليهودية الهرطاقة بوصفهم "طبقة الشعب" التى تراكم بالنهب خصما على عامة اليهود و غير اليهود جميعا. و قد بات ثمن ذلك المحفل كل من عدى اعضاء ذلك المحفل من الخلق فيما ضمن لاعضاء المحفل ملاذا فى الفضاء و بين

النجوم. ذل ان الارض ياتت غير قابلة للحياة جراء خلق شرط ايلولة الارض للهلاك بمغبة تلويث اقوام تتكاثر بجنون لها على مر السينين.

و قياسا فقد اشترى بعضهم اسهما فى القمر و كأنهم الهة ما قبل الاديان السماوية ممن كان جأر على فراش الموت " من النجوم اتينا و الى النجوم نعود". و يقول ستيفين هوكينج Steven Hawking عالم الفيزياء القعيد انه ادرك "ان مستقبل البشرية بين و فى قلب النجوم" و كان ذلك يوم ان قيضت له تجربة حالة انعدام الوزن عبر طائرة خاصة جدا من ناسا يوم الخميس 2 ابريل 2007. هذا و كان معجبو و اصدقاء مغنى التريك Trech from star Treck according to the famous space fiction film النجم الامريكى سكوتى قد احتمعوا فى الصحراء بالقرب من لوس انجليس ليرسلوا رماده الى الفضاء.

و كان المغنى الشهير قد عبر فى وصيته عن رغبته فى ان ينثر رماده فتدفن رفاته الى الابد فى الفضاء بين النجوم. وكان رودينبارى قد سبق سكوتى فى ذلك. و ترى الشركة التى نظمت ذلك الاحتفال ان كثيرين قد يتشجعوا فيسعون الى نقل رفاتهم الى اخر الحدود فى فضاء الكون الخارجى.

على انه من المفيد تذكر ان اعضاء المحفل النجومي ذاك قد لا يجتمع فى جنة فى السماء و انما يتعين على تحقيق خلق شرط و ينتظر حلول "ارض الميعاد". و تعبر الاخيرة عن نفسها فى تنويعات لا متناهية و منها وعد العلم بان يوفر لا محالة خلق جينات نانوية Nano Genes تزرع فى الانسان فتجعله خال من الامراض فاكثر شبابا و اشد ذكاءا و اوضح ذاكرة و يعيش مئات السنين أو–و توفير قطع غيار بشرية لزرعتها فى الانسان كلما اصيب عضو الجسد البشرى بعطب.[201] و يتوفر العلماء اليوم على زراعة حيوان منوى بشرى فى "غشاء" او انسجة حيوانية لانتاج علاج امراض كالزهامير و الباركينسون و غيرها من امراض الشيخوخة. و ازعم ان حاصل جمع تلك التجارب العلمية قمين بان يتعين على واحد من تعريفات ارض الميعاد الخزرية.

1–***الخزر ومفهوم الجنة و الزراعة:***

لا يؤمن اليهود اعراب الشتات و الخزر بالاحرى اصلا بالرب و لا بالهة المستقرين و قد استبدل الاشكناز احفاد الخزر الجنة بكل من الحلم الامريكى متحققا لهم اكثر من غيرهم وبارض الميعاد و كانوا يدركون انها اقرب الى التحقق من الجنة فى الحياة الاخرى خاصة و ان افعال بعضهم كانت و بقيت حرية بان تورثهم جهنم. بل العكس ربما. فعدم ايمانهم بالحياة الاخرى سوغ العصف بغيرهم على نحو لا مقارنة بينه و بين عنف غيرهم. و ليس اعنف ولا اكثر تعيينا على الارهاب و الترويع من الاصحاح القديم رغم التبرير و محاولة التذرع. هذا و عندما استقر لبعض طوائف اليهود الامر فى المسيحية الغربية حولوا الجنة المسيحية الغربية الى جنة الاقتناء و الاستحواذ المادى و التسوق الخ على الا ينتجوا هم السلع و لا يستثمروا فى الانتاج السلعى. فليس فى جنة اعراب الشتات انتاج سلعى كما لم يكن فى جنة الخزر زراعة. فقد كانت جنة البدو والاعراب مثلها مثل جنة اليونان.

ذلك ان الانتاج السلعى و الزراعة و الحرف تشترط الاستقرار. و بالمقابل تعين بعضهم الآخر فى الاشتراكية على خلق جنة محققة بدورها على الارض. و كان اليونانيون القدامى يؤمنون بان الجنة اعرابية رغوية و كانوا يقدرون الرعاة و كان ملوكهم و الهتهم بدو. فلم يكن فى الجنة اليونانية زراعة مثلما لا لم يكن فى جنة الخزر–الاشنازي خاصا–المعلنة و الخفية–زراعة. و ان وجدت زراعة حتى فى الجنة فليس اعراب الشتات بهذا الوصف هم الذين يقومون عليها. و تعتبر الميثلوجيا اليونانية عصر البداوة و الجمع والالتقاط السابق على الزراعة عصرا ذهبيا للانسانية و عصر الزراعة عصرا فضيا بالكاد. ذلك ان الانسان–اليونانى و بعض طوائف اليهود–الخزر–لا يزرع ارضا فى تلك الجنة و لا يحصد وانما ينهل من الفئ الالهى كما يشاء و لا حساب مثلما تنهب الشركات متعددة الجنسيات ثروات الغير بلا حسات و الا فقوات مكافحة الشغب و الانتشار السريع و الافريكوم و نظائرها. . هذا وليس ثمة تلوث بيئى و لا تصحر و ان حدث فبجريرة

المستقرين و تكاثرهم بجنون. و لعل البداوة استقرت بوصفها عالم ارقى مما عداه فى الذهنية الاعرابية الصهيونية الباكرة و المجددة.

2-الخزر و العمل اليدوى:

كان الاثينيون و الاسبارطيون يحتفرون العمل اليدوى بوصف ان المدن الدول اليونانية و الاسبارطية كما كانت مدن الخزر المؤقتة بدورها قد تتمأسست على العمل العبودى مما تحدر الى روما و احفادها جميعا من بعد. و تعتبر بعص طوائف اليهود كافة الاقوام التى اتصلت تاريخيا بالزراعة و بالاستقرار كفرة و مصيرهم النار على الارض. فالزراعة من شيم الرقيق و الرقيق كفرة. ويرى اليهود ان الاممين الغويم الجنتايل Gentile غير المؤمنين بيهوا-اى كل من هو ليس يهودي-كفار. و كان اعراب الشتات قد أخذوا عن اليونان-حيث اقام بعض طوائف منهم-مفهوم الجنة و ربما كرس اعراب الشتات-الخزر على الخصوص ذلك المفهوم فى اليونان. فقد وقع الاخيرون تحت سيطرة الخزر و كانت اليونان من بعض المجتمعات التى جاوروها و تبادلوا معها واستضافتهم لوقت طويل الى ذلك.

3-عصور الخزر الذهبية:

كان الملوك الهيلينيون-اليونان-قد منحوا بعض طوائف اليهود امتيازات بقيت لهم حتى بعد احتلال روما للمستعمرات اليونانية. و قد ثبت قناصلة الرومان بدورهم تلك الامتيازات لليهود مثلما فعل يوليوس قيصر والامبراطور اغسطسن الاول فى بداية الامر فبقيت معقودة عليهم من بعد حتى ما يسمى ب"الحروب اليهودية" او-و الثورات اليهودية-فى فلسطين على عهد تيتوس فلافيوس فاسبازيان-9-79- حاكم الخليل ثم امبراطورا على روما[202]. و فعل الجنتايل المصهينون المثل تباعا مما يسر يهودة المسبحية و العكس صحيح ايضا. اذ منح اليهود امتيازات باتت لهم بها سيطرة على عقائد المجتمع المضيف وصولا الى احتكار تلك المجتممعات و صيهونة بعضها مثل انجلترا و امريكا و محاولة ذلك مع فرنسا فى المقياس المدرج.

ومن المفيد تذكر انه بقدر ما صهين حكام و صفوات المجتمعات الانجلوساكسونية الانجلوامريكية و الطبقات الوسيطة فى تلك المجتمعات الا ان الطبقات الدنيا بقيت كالعادة بعيدة عن مشروع صهينة تلك المجتمات. و يفسر ذلك كيف ان السياسة الاقتصادية و الثقافية بقيت مصهينة بعمق الا ان الثقافة الشعبية لم تبرح مستلبة من حيث السياسات الاقتصادية فيا بقيت الثقافة الشعبية بالنتيجة غير قادرة على استهلاك لسلع الثقافية الفنية الصهيونية التى تنتجها الصفوات و الطبقات المتوسطة و تستهلكها.

و يلاحظ ذلك فيما يرحظ فى صهينة نظائر الاخيرة فى المجتمعات غير الغربية فيما يتعين المشروع الصهيونى على سلب المجامعي الشعبية حكمتها و ثقافتها الشعبية بافقارها ماديا و فكريا و تنظيميا. عنجدما يتحدذ البعص عن صهينة المجتمع الامريكى او البريطانى او الانجليزي بالاحرى فمن المهم التفريق بين مكونات تلك المجتعات اذ لا يمكن تكويم مجتمعات بكاملها فى كومة واحدة بصورة علمية يعتد بها.

عقلانية جنة الخزر و حق الفتح والقدر الجلى و فضاء الغربيين اللا متناه:

يتعامل اعراب الشتات الصهاينة مع العالم الذى يخصهم هم بوصفه تنويعة على الجنة على الارض. وتعبر الجنة الاعرابية فى خاطر العصر الكلاسيكى عن فضاء لا متناه تترحل او-و يترحل فيه الالهة و الانسان. و ماتبرح تلك الاخيلة ماثلة و قد تحدرت فى تنويعات يتمثل فيها سادة الكون و مواليهم سواء غربيين او اعراب استثنائيين حيثما ارادوا بهذا الوصف. و لا ينازع ذلك "الانسان" المتفرد بصفة الانسانية دون من عداه احد على المرعى و المسيل وعلى فائض عمل المستقرين. فقد بات ذلك لفرد المفرد تمثلا للالهة يتقاسم الارض بلا احقية تذكر اوتنسى مما يبرر ازاحة المستقرين عن طريق الالهة و طريق احفادهم وسبيل الحضارة الغربية او-و ابادة المستقرين ان لزم و كلما لزم و غالبا ما يلزم.

و قياسا يجد اعراب الشتات الصهاينة الهة المستقرين و عباداتهم منذ المجتمعات ألأسراتية السابقة على الطبقات و ربما باكرا جدا–مما يتعين على تكريس الاستقرار و يتطلب مقامات مستقرة لالهة و عباداتها–و يؤمن اعراب الشتت بان عبادات المستقرين فاسدة. فالكاثوليكية والاسلام عقائد فاسدة بخاصة اذا كان المؤمنون بها يرتبطون بالارض و يؤمنون باوطان قومية تجديفا بحنة الخزر وصولا الى بالعولمة. وبالمقابل لم يعد الغرب و لا اعراب الشتات يتعينون على الانتاج السلعى بل تفرغوا لما يسمى باقتصاد الخدمات و بيع المال كسلعة فقد رحلوا انتاج السلع الى حيث علاقات العمل و الانتاج العبودية ذراية يالفلاحين و الحرفيين و قد قضى عليهم و حتى على الصناع المهرة ناهيك عن غير المهرة.

ومن المفيد ملاحظة ان سيناريو حرمان الفلاحين و الحرفيين من النشوء سيناريو مكافئ لتحريم اليونان استخدام التقن–التكنولوجيا–كما ذكرنا فى مكان اخر–على الفلاحين و الحرفيين. وثمة تنويع على ذلك فى الحضر و ا لمدن الضغيرة حيث يخضم مثول السوبرماركيتات على صغار تجار االقكعي و البقالين و بالمهن والحرف و الخدمات المتصلة بالحياة لمدنية الصغيرة, و قد انتهت بعض المدن الريفية الصغيرة و القرى خراب لم تلبث معه ان باتت امدنا وقرى اشباح. ا المهم فورا ففيما لا يؤمن اعراب الشتات فى وجود جنة فى الحياة الأخرى و انما فى ارض ميعاد يغدو كافة من آذى اليهود–سواء حقا او فرية ممثلجة–فوق ارض الميعاد تلك–خداما و عبيدا لهم يقومون لهم و نيابة عنهم بالاعمال المهينة مثل الزراعة كما وعدهم يهوه. فقد جعل الرب آل كنعان خداما لآل يافيت. ذلك ان ارض الميعاد بمثابة الجنة عوضا عما لاقوه فى الحياة الدنيا سواء حقيقة او توهما او بالاسقاط التوراتى. المهم اخذت بعض طوائف اليهود الاعرابية من اليونان الهتها الاعرابية المترحلة. ففيما كانت الهة اليونان هائمة بين الارض و السماء و اسفل السافلين فقد تمثل يهوه و كذلك ابراهيم و موسى و يعقوب و داؤود و انبياء بعض طوائف اليهود و امراءهم و قضاتهم و احبارهم و اسباطهم و تجارهم نماذج بطولات بدوية اسطورية ازلية رغم ان بعضهم اقام ممالكا. الا ان ممالك بعض طوائف اعراب الشتات–كخازاريا و مملكة دوود سليمان ما انفكت ان تقوضت بدورها. و كانت ممالك بعض طوائف اعراب الشتات قد اقيمت خصما على ممالك غيرهم فهاجر سكان الاخيرة بعنف او بات تلك الاعداد من الامم البائدة مما قد يغدو مصير بعض الامم الافريقية و ربما العربية تباع.

فقد كان سكان ممالك المستقرين يؤلفون تراكمات عددية زائدة عن الحاجة. و قد تمثلت تلك التنويعات فى اخلاء الاعداد الزائدة عن الحاجة عن الارض المتوسع فيها حتى تغدو الارض بلا صاحب تهيئة لتوسيع فضاءات حركة اصحاب الحق فى الفتح و القسمة البينة Manifest Destiny الخ. و قد تعلم حكام حلفاء اعراب الشتات من الاخيرين عدم الولاء للارض بلا بقدر ما يستلبون خيراتها و يسخرون شعوبها فى توفير مزيد من الثروات بانتظار اصطناع وسلة اخرى لاستلاب الخيرات بدون واسط ادمية علاى الاطلاق.

و حيث لم تكن الهة اليونان المبدونة الهة فردية لا تتسم بالشجاعة و لا باغيرية و لا بالنبل فقد ورث اعراب الشتات صفات الاخيرين او اورثوها صفت تشبه تلك. ذلك انه حيث ان تلك الالهة كانت متنبدونة فلا تدين بالواء لالهة المستقرين و لا لارضهم و لا لقيمهم و لا لمستقبلهم بشئ.

فان اعاد بعض طوائف اليهود انتاج سيرة الهجرة و البداوة الاولى كما فى كل مرة فقد تعنيوا على تكريس هجرات بعض طوائف اليهود و بدونتهم و خلقوا شرط هجرة من عداهم من عامة الشعوب المضيفة عموما وعامة بعض طوائف اليهود بالتماس و بلا انتقاء من كل مكان الى كل مكان على مر التاريخ غير المكتوب.. و حيث تبدون تلك الظاهرة المجتمعات المضيفة يتظهر مثولها فيما يشارف التشوه بالتنكل Distortion by Default مثلما فى تمثلات العولمة او–و تدمر مجتمعات مضيفى اعراب الشتات كما فى كل مرة. و يتشفى اعراب الشتات فى المجتمعات المصيفة على مر سردية اعراب الشتات بتهمة ان تلك المجتمعات كانت–و ما تبرح تجور–على اعراب الشتات و تغمطهم حقهم مما يدفع الاخيرين الى عقلانية تلوم تلك المجتمعات و تتهمها بجحود افضال اعراب الشتات.

تعالق عقلنة الريف بالمراكمة المالية خصما على المنتحين:

اجادل و قد جادلت فى بحث اخر ان اعراب الشتات و حكام المجتمعات التى استضافتهم عرفوا على مرالزمان بكراهية العامة الدهماء الغوغاء من الفلاحين و صغار الحرفيين و العبيد. و ازعم ان كراهية اعراب الشتات و الرأسمالية ما بعد الصناعية على الخصوص للفلاحين بقيت معقلنة بصورة متستر عليها لخشية الاول من الاخيرين. فالفلاحين هم اللذين ينتجون فائض الانتاج و فائض العمل و احيانا خالص العمل مما ينتجه العمل العبودى و القني. و كانت الرأسمالية قد حولت العمل الحى فى كل مكان فى المقياس المدرج الى عمل عبودى قنى بادوات انتاج بدائية او عالية التقنية.

و قد ادت عمليات الحط من شأن علاقات العمل الزراعى و الحرفى الى مصادرة شرط خلق رأس مال ريفى. و ازعم ان الذراية بالفلاحين والحرفيين تصدر عن ادراك طبقة الحكام وأعراب الشتات منذ بدء التاريخ ان الريف هو مصدر رأس المال. هذا و قد ادرك الحكام و اعراب الشتات انه ان راكم الفلاحون و الحرفيون و حتى بعض العبيد المعتقين فان فئات منهم حرية بان ترقى الى مصاف طبقات من اجل ذاتها Classes-for-themselves. و يضاهى هذا الهاجس تطير امريكا من العلماء العراقيين و كل من يبشر بدرجة من العلم العميق بما يضمره مشروع القرن الامريكى–الصهيونى الجديد للشعوب كونها غير قابلة للتطويع او للرشوة و بخاصة شعوب العرب و المسلمين.

المهم فورا ذلك انه ما لم يبق على تلك الفئات غير قابلة للنشوء حتى الى طبقات بحد ذاتها Classes-in-themselves فلعل تلك الطبقات كانت حرية بان ترقى الى منافسة الحكام على الفائض و السلطة. ذلك ان الفلاحين اذا ما قيض لهم النشو فهم جديرون بهذا الوصف بان ينظموا انفسهم بدورهم اذ يملكون القدرة على التفكير لانفسهم و بانفسهم. و لا يدفع ذلك طبقة الفلاحين بالوصف اعلاه للتنافس مع طبقة الحكام وحسب و انما و الاحرى و الاهم فان نشوء الفلاحين الى طبقة من اجل ذاتها حري بان يعصف ان لم ينفى شرط المراكمة بالمديونية الريفية مما تخصص فيه و يحتكره اعراب الشتات.

و كان ماركس قد تغاضى عن المديونية الريفية او–و لم يركز على اثرها حين اندفع فى تحليل نشوء البروليتاريا من احشاء الريف الانجليزي مثلا ففسر ظاهرة نشوء طبقة البروليتاريا الصناعية بتداعيات الغاء ممارسات ريفية بعينها مثل الغاء قانون ما كان يشارف المشاعية Common land فى الاراضى القروية فى انجلترا و اسكتلندا وما تبرح تلك لظاهرة ماثلة فيما يسمى بارض العموم Common land or commons اى عموم الناس , < و يسمح للناس بالسير اوالتنزه او القيام بنشاطات ترفيه فى فضاءات من الريف و حتى فى المدن قد تكون مملوكة للتاج او لافراد بما قى ذلك بعض كبار المزارعين.

ذلك ان ثمة قانون قديم يفرض على ملاك الارض السماح للناس بالسير فى مناطق معنية من مزارعهم و اقطاعاتهم.

المهم كان ماركس قد لاحظ ارهاصات نشوء الريف صاعدا فى انجلترا فى القرن السادس و السابع عشر بالنظر الى المفهوم الانجليزى لظاهرة المذاريب الذرابات او الحواشات. و كانت المذاريب او الذربات الريفية و تسمى احيانا حواشات ذات منافع ملحوظة بالضرورة للمزارعين والرعاة و سكان القرى عامة من حيث المرعى و المسيل و انواع المحاصيل الغذائية الزارعية و البرية من ناحية. كما اكتسبت تلك المذاريب او الحواشات Enclosures بالنتيجة سمعة سيئة بين ملاك الاراضى بالطبعEnclosures and their bad name and benefits من ناحية اخرى.

فقد كان التذريب عقلانيا عبارة عن تزويق لعملية سرقة الارض و القضاء على العرف فى الحق فى الارض فى القرن السابع عشر و الثامن عشر تباعا الخ. و قياسا فقد ادى التذريب الى فوز اصحاب الاراضى الاقطاعيين–و قد وصفهم ماركس بالباتريشيانز Patricians على العامة او الفلاحين و الرعاة الخ و هزيمة الاخيرين فى المعركة الازلية حول الحق فى ملكية الارض. و كان ماركس قد وصف العامة و الفلاحين بالبيلبز Plebsوهو مفهوم يونانى و رومانى. و قياسا فما

حدث هو ان "البروليتاريا" الموصوفة ماركسيا كانت قد جاءت موضوعيا من الريف و ليس من المصانع مما يفسر فساد طبيعتها تلك.

ورغم ان مفهوم التذريب كان يعنى لدى ماركس ان الانسان تحرر من الارض بالذهاب الى المصانع[203] الا ان الحرب الاهلية هى التى كانت من اهم ما اقتلع الناس من الارض. فلم يجند للحرب سوى افراد من الريف. فقد كانت الحرب و ليس اقتلاع الفلاحين من الارض هي التى "حررت" العمل الحى Liberated Living Labour بغاية توفير مجندين للانخراط فى الحرب و ليس فى سوق العمل. و لعل مفهوم البروليتاريا حريا بان يتصل بالحرب اكثر منه بالصناعة. ذلك انك ما كنت لتجد مجندين من المصانع بل الاحرى كان المحندون يوجدون فى الريف[204]. و كان اطفال فى سن السابعة و الثامنة يجندون للحرب لقاء الطعام و ربما كساء بسيط جدا مقابل حمل سلاح الضباط مثلما كان الامر فى اسبارتا. وكان ذلك مصدر مفهوم الصبى حامل البندقية Riffle Boy و كان معظم الفلاحين المجندين من صغار السن و معدمين و كان يكفى الواحد منهم زوجا من الاحذية و طعام يومه اجرا.و لعل تلك الظاهرة لا تختلف كثيراعن ظاهرة الاطفال الجنود او الجنود الاطفال Child Soldiers التى يلاحظ انتشارها لايوم فى كل مكان تقريبا.

وعليه ادعى ان التفسير الناجز الذى استدعاه ماركس لم يكن سوى اللياذ بمفهومات كانت حرية بان تغدو شديدة الغواية اكثر منها مفهومات موضوعية للواقع من حيث تعريف مفهوم البروليتاريا(الصناعية). فقد كان الاستلاب استلابا ريفيا اكثر منه تغريب العمل الصناعى الحى. و ازعم أن استدعاء ماركس لمفهوم التذريب و كأنه تفسير لحالة تغريب العمل الحى ربما اخطأ من الناحية الامبريقية. فالقول بان التذريب–بوصفه ظاهرة دافعه لتداعيات او تجليات بعينها شئ الا ان ماركس رآى فى تلك التداعيات و التجليات ما هو اكبر و اوسع مما كانت تلك التداعيات و التجليات عليه حقا. فلم تكن تداعيات ظاهرة التذريب حالة ضرورية للانتقال الى مرحلة تطور عرفها ماركس بالبرجوازية الصغيرة او غيرها وصولا الى الصناعية.

و الى ذلك و قياسا فما كانت ظاهرة التذريب التى لاحظها ماركس و رتب عليها نتائج عزى اليها نشوء الطبقة العاملة هى فى الواقع سببا فى نشوء تلك الطبقة بحال. فلم يكن من الموضوعى فى شئ أن يسقط ذلك القدر المفخم من تداعيات او من تفسير ظاهرة التذريب بحيث نسبت اليها نتائج التراكم الذى لم يكن فى حقيته سوى وظيفة النهب و الاكتشافات الجغرافية الكبرى و هو ما حدث موضوعيا لا اقل و الا اكثر. ذلك اننى ازعم ان تلك الظاهرة لم تكن فى الواقع ما بدت عليه موضوعيا. و كان ماركس قد تعرف على الرأسمالية بوصفها انتقال من الاقطاع الى المدينة. و قياسا فقد يضع نشوء الفلاحين الى طبقة من اجل ذاتها المراكمة الرأسمالية فى محارة قد تختم على اهم مصادر تلك المراكمة.

المهم لم تؤدى هزيمة العامة و الفلاحين و الرعاة بوصفهم مستلبين ريفيين الى جعلهم بروليتاريا بالوصف الماركسى نفسه. فلم تكن تلك الطبقة بهذا الوصف مجعولة للقضاء على البرجوازية الصاعية. فهل كان فلاسفة ذلك العصر يجعلون من مسألة التذريب دالة رومانسية ام انهم كانوا يصفون حالة واقعية؟

أزعم أن خلق شرط تحور علاقات العمل الريفى فى محاور الرأسمالية الى علاقات عمل عبودية و قنية بقى حريا بان يتمأسس فوق استلاب الفائض الريفي. فان كان الريف و ما يبرح ينتج فى عين كافة النظريات الليبرالية و الماركسية الفائض الدائم بصورة متصلة عالميا. فقد كان الريف و بقى لوقت طويل قبل ان تعصف به سياسات التنمية المشبوهة و ممارسات العون الغذائى الشيطانية يبنتج الحرف التى تمأسست فوقها التجارة حتى القرن الثامن و التاسع عشر. و كانت صناعة النسيج و الحرير البنغالى مصدر ارباح شركات الهند الشرقية بين التحار و المعامرين الهولنديين و الانجليز و الفرنسيين و قد بات الاخيرون منافسين للتجار المحليين بامتياز حتى قضوا على الاخيرين[205].

و ينتج الريف و قد بقى الريف–رغم رأسمالية بيع المال كسلعة–و مع ذلك–المكان الذى يمكن ان يراكم فيه المال الحقيقى. فرأس المال الحقيقى ينتج فى الريف و ليس فى المدن. و قد زعمت سردية كراهية الشعوب ان رأس المال المعتبر و

الحديث و التقدمى يراكم من فائض عمل العمال الصناعيين فيما اهمل الفائض الذى يراكمه الريف و دور الاخير فى الناتج القومى الاجمالى مثلما اهمل دور المرأة الريفية والرعوية فى المساهمة فى مراكمة ذلك الفائض. و لم تكن المدن يوما تنتج سوى راس مال فكرى و ايديولوجى و ترشيد السلطة و تبرير التوزيع الفارق للثروة و السلطة ,تزويق مخاتلة الحكام و حلفائهم غراب الشتات لاغلبيات المحكومين ومعظم الاخيرين من ارياف المجتمعات التى استضافت اعراب الشتات. فاغلبيات منتجي الفائض طالما كانت من السكان الاصليين التى:

– طالما كان حكامها غزاة و عرباء

–كانت مجتمعات مضيفة لاعراب الشتات.

و قد بقيت المدن تعيش عالة فهى طفيلية على الانتاج الزراعى فى المقياس المدرج. وحتى الوظائف التى بات رأس المال ما بعد الصناعى يخلقها فى المدن ليست سوى خدمات لا تقيم أود سكانها الا بقدر ما يستجلب لهم الطعام من الارياف المتاخمة او–و يستورد الطعام من الجوار مثلما كانت السلع التفاخرية و ما تبرح تستورد لحساب الطبقات الحاكمة و الوسيطة كلما وجدت الاخيرة.

وحتى ان انتجت المدن فائض عمل بالانتاج السلعى فان الفلاحين هم اللذين ينتجون ما يشارف خالص او فائض انتاج لا يقارن بسواه فى كافة المجتمعات افقيا على مر التاريخ و راسيا فى المقياس المدرج بين المجتمعات المصنعة و غير المصنعة.

و قد بقى رأس المال يراكم فى القطاع الزراعى حتى اليوم بدرجات المقياس المذكور اعلاه. و قد تعين اعراب الشتات على استلاب ذلك الفائض وخلق شرط تحوله الى خالص انتاج ريفى و حرفى بتكريس علاقات العمل العبودية و القنية و صولا الى تنويعات مزوقة من الاخيرين تحت مسميات مدلسة فى المجتمعات المسماة متقدمة و بخاصة الرأسمالية ما بعد الصناعية.

و من المفيد تذكر انه ليس العمل الريفى المسترخص هو الذى بقى راسخا فى مسام المجتمعات المصنعة تلك مثل قرنسا و اسبانيا و البرتغال و ايطاليا و حتى المانيا و انجلترا–و الاخيرة اكثر المجتمعات الاوربية الغربية تصنيعا–وانما ما يبرح العمل العبودى و القنى راسخا فى مسام الرأسمالية بتنويعاتها. و قد تمأسس رأس المال الحضرى– حيث بقى اعراب الشتات و الحكام يفضلون الحياة فى المدن–على تحويل الفائض الريفى الى رأس مال مدنى حضرى حيث ما ينفك رأسماليون حضريون يسكنون المدن يحتكرون ذلك الفائض اذ يراكمون فى الريف بالربا و بالمديونية الريفية.

و اجادل من ثم ان اعراب الشتات تعينوا تباعا بوكالة حكام المجتمعات المضيفة على سلب فائض انتاج الريفيين جميعا بما اعرفه بالمديونية الريفية Rural Indebtedness و بالربا.

الباب الثاني: كيف يكاد كل شئ يغدو افتراضي

لفصل االثالث: تعالق المديونية و العبودية: عقلانية الاقتصاد الافتراضي و المجتمع الافتراضى و الانسان الافتراض:

تقديم

جادلت في مكان اخر و فى بحث اخر ان المسيحية الغربية والرأسمالية–المالية–اى ما بعد الصناعية و الديمراطية المتكاذبة–اى ما بعد الليبرالية او الدمقرطة–تنويعات على بعضها, وازعم ان المسيحية الغربية–الافانجلية الانجلو امريكية خاصة تعيد انتاج نفسها فيما يشارف العلم الملفق اوالزائف Pseudo science. الا ان ما يواجه المسيحية الغربية يهذا الوصف و الرأسمالية المالية فى وقت واحد هو ان الدولة القومية القادمة للسيطرة على العالم–الصين– ليست دولة توحيدية Monotheist و لم تكن فى يوم من الايام. وتفاجئ الصين المدافعين عن الدولة الغربية بحقيقة ماثلة هى ان الدولة الغربية ليست و لم تكن يوما النموذج الصالح للبشرية قاطبة فى كل زمان و مكان. و يصيب ادراك ذلك الواقع الماثل الليبراليين الجدد و تنويعاتهم بالهلع و قد تملكتهم حالة من عدم التصديق. هذا و يصيب ما يشارف نهاية الهيمنة الغربية

تباعا وحلول نموذج لا يعتنق عقيدة كالصين المثقفين الغربيين بالصياع[206]. و يصاب المثقفون العرب و المسلمين–و نظائرهم ممن الحق نفسه بالمثقفين الغربيين ونظريات الاخيرين–بالذهول.

ذلك ان نموذج الدولة الغربية يغدو تباعا واحد وحسب من نماذج عدة. فما ينفك الناس ان يبدعوا نماذج تناسلهم و تدل علي مجتمعاتهم و مراحل تطورهم الخ. وتتعين الصين على عدم التدخل فيما يختار الناس او يتركون فهذا هو نموذج التوسع او الاستعمار الصنيي بعينه.الا انه ان تقبل المثقفون الغربيون والليبرايون الجدد بخاصة و حلفائهم و اتباعهم هذا الخاطر فان ذلك كان حريا بان يسلبهم معنى حياتهم ووجودهم Raison D'être و سبل رزقهم اوارتزاقهم الوحيد. ذلك ان المثقفين و المفكري والاكاديميين و الصحفيين الخ الغربيين ما بعد الليبراليين–انخرطوا بخاطرهم و لم يسألهم و لم يطلب مهم احد فى تسويغ خطاب الرأسمالية المالية حتى يقن بعضهم بانها لا تهزم بل انها معصومة اذ صدقوا ما بقى اسباطها واحبارها يدعون. وحيث تدثر معظم المفكرين و المثقفين ما بعد الليرايين بعباءة سقط القول التاريخي او اللا تاريخي فقد ادخل فى روعهم انهم مشعل العلم و المعرفة وبالتالى فهم منارة هداية البشرية.

و قياسا تعين المفكرون و المثقفون المذكورون على محو كل ما من شأنه ان يقول بغير ذلك بل كرسوا كل ما يقيض توكيد وجودهم بهذا الوصف. ذلك انه يستحيل عليهم و قد هيمنوا مئات السنين على الساحة الفكرية و الثقافية و حتى على العلم و المعرقة ان يتصوروا اى شئ من شأنه ان يشير لسوى انهم محور الكون[207]. و قياسا فحيث تتزايد لا اهميتهم بثبات فان ادراك ذلك الواقع حري بان يبعث على الجنون. ويتناسب خسوف الغرب تناسبيا طريدا مع تهالك المثقفين و المفكرين و العلماء الخ الغربيين على ادعاء اهميتهم التى باتت تباعا لا تاريخية. ومع ذلك فكلما تفاقم الشك فى جدوى الفكر الغربي ونظرياته و علومه كلما تزايد–الى حين–اعتقاد المثقف الغربى بطواقم قيمه بعناد. فقد بقيت اللاحقيقة Unreality الملمح المعرفي للاراء الغربية التى كامت قد احتكرت الساحة على مر سنين دون مراجعة او حساب او وازع ضمير او تبكيت.

ذلك ان الازمة الفكرية و هى محصلة الازمة المالية–و العكس– ليست سوى وظيفة العجر عن التعامل مع الحقيقة–مع الواقع– مع الاحداث كما هى على الارض وليس بوصف الحقيقة نظير اقتراضي. و كان التكاذب و التخاتل قد كرس ذلك النظير الافتراضى للحفيفة برفض كل ما من شأنه ان يقول بغير ما يرى مفكرو العولمة و ساسة السوق و مثقفو الامركة والمضاربين فى لسندات السامة. و فى كل ذلك لا يرى الاخيرون كيف يفقد العالم صبره على امريكا وبريطانيا و حلفائهما و اتباعهما و ازلامهما فى كل مكان,

و قياسا يلاحظ الناس فى كل مكان كيف يتفاقم صيق صدر العالم بالاخيرين كل صباح. سوى ان المثقفين و المفكرين الغربيين و حواريهم العالم ثالثيين و رابعيين يثابرون–في مواجه صعود بدائل جديدة–الصين مثلا–على الاصرار على ان ما يحدث ليس سوى سعلة او كبوة مؤقتة ستفيق الانسانية منها سراعا لتلحق بهم هم عند تلك الهضبة المضيئة للعقل الغربى والعقلانية الغربية.

لماذا العقلانية الكلاسيكية و ما بعد الحداثية؟ ولماذا يتخاتل الخطاب العقلانى على الحقيقة الموضوعية؟

ازعم ان العقلانية الغربية بالوصف اعلاه و اشير اليا مجددا بالعقلانية القاحلة Sterile Rationalism بمعنى انها تدعى اعلاء العقل و اعماله فيما هى فى الواقع توقف العقل على رأسه, و كانت تلك العقلانية قد استقرت فى مسام المجتمع الاوربي الغربى مع المسيحية العربية التى كانت حرية بان تتحول الى تنويعة على اليهودية وصولا الى المسيحية اليهودية. وازعم ان ذلك الاختراق كان محصلة حلول جماعات من اسميهم اعراب الشتات ممن يرفض الاستقرار الا بالتنكل By Default و يترحل(و امواله) فى كل مرة تذرعا Expediently . و اعرف الاستقرار بالولاء للارض و الاقوام التى عليها اى للمجتمعات التى يعيش اعراب الشتات بين ظهرانيها و قد استضافتهم على مر السنين.

و ازعم ان الترحال يوفر لاعراب الشتات جنيسيات عديدة و جوازات سفر متعددة و تبقى الهوية واحدة. و يقول السير رووناالد كوهين انه "من الضروري لليهود ان يكون لهم مستقر هو اسرائيل حتى اذا اختار اليهودي ان يزورها او يعيش فيها فان ذلك المستقر يبقى هاما لليهود. فاليهود ليسوا اكثر الناس شعبية فى العالم لذلك من الضرورى ان يكون لهم مكان يعودون اليه و ان تبقى اسرائيل قوية[208].

و أجادل ان "خروج" اعراب الشتات من تلك المجتمعات المضيفة كان قد تصاحب فيما بقى يزوق فى مفهوم مركب و معمش على حقيقته وهو مفهوم المحرقة Holocaust. و تعنى المحرقة موضوعيا "خروج" اصحاب المال برساميلهم و تحفهم و كافة ثرواتهم من المجتمع المضيف و قد خلفوا ورائهم عامة شعب من المفقرين منهم يواجهون السخط الشعبى الناتج عن خراب المجتمعات المضيفة منواليا على مر التاريخ غير المكتوب. و لا يحيق باصحاب الثرواة و اموال من اعراب الشتات فى اى مرة ضرر يذكر او ينسى. و يعود الاخيرون مجددا الى منوال الحلول او الاستقرار بالتنكل و "الخروج" المتذرع وهكذا دواليك فى عملية ترحل متصلة كانت قد يسرت ترحل ثراوات اعراب الشتات على مر الزمان. الا ان ذلك الترحال لم يقيض تعريفه الا بقدر ما زوق فى مفهوم المحرقة.

المحرقة ما بعد الليبرالية تعريفا اجرائيا:

ان ما يحدث غب انهيار اسواق المال بتفاصيله جميعا من هروب الرساميل و مشارفة اقتصاديات العالم للزوبان و التهديد بازمة اقتصادية حرية بان تتحول الى انكماش اقتصادي كل ذلك الى انتشار المديونية بين الدول و الافراد لا يزيد و لا يقل عن اعراض حالة ما قبل مثول شرط حلول المحرقة على مر التاريخ المسكوت عنه. و الفرق هو أن مثول شرط حلول المحارق السابقة على الرأسمالية ما بعد الصناعية المالية الليبرالية الجديدة هو ان الاخير m كرست شرط تحييد السخط و تقادي مغبة تلك المحارق متمثلة فى عقاب المجتمعات المضيفة لاعراب الشتات اصحاب المال الهارب فى كل مرة.

هل الازمة المالية تنويع على المحارق المنوالية المسكوت عنها؟

اجادل تباعا أن الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007 و تباعا ليست سوى تنويعة مالية ما بعد صناعية على نظائر منوالية عبرت عن نفسها على مر التاريخ المسكوت عنه فيما اعرفه اجرائيا ب"محارق منوالية" فى كل مرة. واجادل ان لعل الازمة المالية الماثلة كانت حرية بان تؤلف شرط محرقة من تلك المحارق المتكاذبة الا ان الدول الغنية و قد ارتهنت بالديون لم تملك سوى ان تضمن اصحاب الاموال الهالكة. و لم تنفك الدولة ان اجبرت على "ضمان" الاعمال الهالكة جراء هجرة المال بعنف–ما اسميه رأس المال الهارب–و اناقشة فى مكان اخر. و يلاحظ ان اوباما يسمي تلك المحارق باسمها. فقد راح يجأر فى الاسابيع الاخير من يوليو 2009 و يعد مرور 6 اشهر على توليه السلطة معلنا انه "اطفأ الحريق الذى تمثله الازمة". و قال "كان يجب ان نبدأ باطفاء الحريق" و كرر "اعتقد اننا ابتعدنا عن الهاوية اعتقد اننا اطفانا الحريق".[209]

و ليس غريبا أن يشير اوباما ضمنا بذلك تزويقا او مجازا الى السخط الشعبى الذى يعمر تاريخ اوربا العربية و الشرقية صبيحة "خروج" رأس المال الهارب. و من ذلك ما يعزى اليه احداث هزت اوربا الغربية مثل الثورة الفرنسية. ذلك ان بعض المؤرخين يعتقد ان فقاعة سوق زهرة التيوليب او الزنبق التى خلقها تحول الدين العام والخاص الى اوراق مالية وهمية لا قيمة لها لمتلبث ان باتت سببا فى افلاس دول مثل فرسنا. و يقول البعض ان انفجار فقاعة زهرة التيوليب اودت بالاقتصاد الفرنسى و ان تلك الازمة كانت وراء اندلاع الثورة الفرنسية في 1789 [210].

هذا الا ان اصحاب الرساميل الضيفة المترحلة من الاوليجاركيات الفطيرة الى نظائرها المفسفسطة وقد راحوا من وقتها يخترقون السلطة السياسية و التنفيدية و التشريعية فى مناويل لا متناهية فقد احتكروا الاعلام مما لم يعه معه ثمة سبيل الى التعبير عن السخط الشعبى بصورة من الصور القديمة. و قياسا لم يعد ثمة سوى خروج الناس الى الشوارع فى احتجاجات و مواكب و مسيرات الخ فيما يسمى العمل الشعبي المباشر او غير المنظم.. وقد بات السخط يعبر عن نفسه

فى ثورات ديجتالية و اليبكترونية اكثر منها انتفاضات كاملة تطالب بخروج اعراب الشتات او–و تقتص ممن يبقى منهم من عامة الشعب الاعرابى المذكور مثلما حدث فى المانيا النازية–افصل ذلك وحيزا ادناه– و فى غير المانيا من قبل دون ان يدخل ذلك العمل الشعي التاريخ المكتوب بصورة لافتة او اطلاقا.

وبالمقابل لم يعد لشعوب المحتمعات الغنية و المفقرة معا اكثر من الخروج الى شوارع تتزيد فيها وحولها و فوقها فى اعالي المبانى المحيطة اعداد الشرطة المدججة بالسلاح. و قد باتت اعاد الشرطة اعداد المتظاهرين. الا ان الاخيرن ما يبرحون يبدعون ما يسمى الانتفاضات الاليكترونية Electronic Uprisings. هذا و قد لاحظ الناس فى كل مكان كيف وصلت السلطات الامريكية مئات ملايين الرسائل الاليكترونية–الايميلات و الفاكسات والرسائل الهاتفية ابان الاسبوعين اللاحقين لانهيار اسواق الائتمان العقارى فى صيف 2007 وتصل تلك التظاهرات الرقمية تباعا.

ول<ار بعض المحبطين مع خصوم الشعوب بانه مهما كانت تلك الانتفاضات فانها لن تغيير كثيرا, فاعضاء الاوليجاركيات المالية العولمية التى تعينت على خراب الكون بكل صورة قمينون بان يفعلوا اى شئ للحفاظ على سلطتهم و ثرواتهم و عبيدهم على طريقة شمسون اي "نفسى و بعدى الطوفان". ذلك انه حيث تعمل الاوليجاريكيات المذكورة على هدي او ضلال او قيامية فان خراب الكون لا يهمها. وقياس فليس غريبا ان تكون الحروب الماثلة حروب ابادة او محارق بالمعنى المزوق يروح ضحيتها من المدنيين خسائر موزاية فى المجتمعات المفقرة بين المسلمين و العرب مثلا اكثر مما يقضى من الجنود.

و تدمر مدنا اثرية و قرى قديمة مثلما فى العراق و افعانستان حيث سويت اعرق المدن بالارض او–و جعل منها مثلدن بابل قواعد عسكرية او نهبت نهبا خصما على تاريخ وحضارة تلك الاقوام بغاية تدمير الليل الباقى على خطل سردية اعراب الشتات التى لا تزيد على اقتباس ما اقامه غيرهم من الحضارات او–و اداعائها اصلا.

و تنتج امريكا جنودا اليكترونيين يقومون مقام الجنود من البشر مثلما تطير اليات حربية بلا قبطان. و تقسر لاوليجاركيات المالية العولمية الدول الغنية على البحث فى امور الفضاء بغاية مبيتة ل "الخروج" من كوكب الارض الملوث الهالك عشية محرقة غير مسبوقة الى كوكب اخر. فصناعة الفضاء توطئة لترك الارض و ماعليها و تصرف مليارات الدولارات على تلك الصناعة بدلا من صرفها على معالجة مشاكل الارض و التغيير المناخى بل يكرس كل شرط لاحلال خراب الارض و لعل الخروج الى الفضاء تعريف جديد لارض الميعاد اوعودة المسيح.

و ليس غريبا ان يملك بعضهم حصصا فى بعص تلك الاكوان. و قياسا فقد لا يبق ما بين الان و المحرقة الاخيرة هناك سوى ان يخرج على الناس فرد غريب عجيب ارتقى في زمن قياسى لا يزيد على 3 اعوام على الاكثر الى مرتبة زعامة العالم و هو الذى يبقى مع ذلك غير قابل للتصديق حتى انه هو نفسه لا يكاد يصدرق نفسه فيعد الناس بالتغيير فى لحظة يكون الناس فيها قابلين للغواية مستهدفين نفسيا لتصديق اي شئ و قد باتت المحارق الكونية تتهددهم و لاو جراء التغيير المناخي.

فقد كان الناس قد مروا بما لم يكن قابلا للتصديق و بات اى شئ افضل مما كانوا عليه و ما وجدوا انفسهم مقبلين لا محالة على ازمات لا يعرف احد سوى اصحاب تلك الرساميل من اعضاء الاوليجاركيات مداها. و كانت الازمة الراهنة– صيف 2007 و تباعا–حرية بان تخلق سابقة مثول شرط حلول المحرقة. الا ان المحرقة الماثلة محرقة ما بعد ليبرالية بهذا الوصف. و رغم ان المحرقة ما بعد الليبرالية تنويع على نظيرات سابقة الا انها لن تعبر عن نفسها فى "الخروج" المنوالى لاصحاب الرساميل غب الفقاعة المنوالية المذكورة كما فى كل مرة.

وكان الخروج كما اذكر فى مكان اخر هو خروج احبار و اسباط و قضاة و تجار اعراب الشتات فى كل مرة عشية ازمة يختلقونها هم. و يغدو الخروج اليوم خروج المصرفيين اوالتهديد بالخروج اذا لم يحصلوا على مكافئات بمليارات دافع الضريبة كما فى شتاء عام 2009 و لم تزل الازمة ماثلة. فقد استقر الامر للاوليجاكيات المذكورة فى كل مكان و قد ملكوا

مقاليد سلطة العالم و قبضوا على مفاصل الثروة الى حين فباتوا سادة الكون Masters of the world كما يسميهم بعض المقهورين. فهم الذين يكتبون النص و يعلقون عليه و بحللونه و يصلون الى النتائج التى تناسب سرديتهم فهم الاقتصاديين و الاكاديميين و المستشارين و المراسلين و المعلقين و المفسرين الا ما خلا قلة لايسمع لها صوتا و ان سمع فتحت حر سيف الترويع و مغبة فقدان الرزق و التشريد و اغتيال الشخصية.

المحارق و استدعاء تاريخ افتراضى و تكريس مراحل تطور افتراضية بدورها.

تدرك الثقافة–الحضارة –لغربية–او لا تدرك سيان–انها مثلها مثل انتحال اعراب الشتات تراث من عداهم–فائض انتاج ما سبقها. والاخطر يتعين الاخيرون فرادى او مجتمعين على الشعقوب المستقرة قاطبة على خصم حضارتهم–ثقافتهم و ثقافة اعراب الشتات على سابقاتها او–و يدعون الاخيرة انتقائيا. و قياسا فقد بات كل ما عدي الثقافة الغربية الرأسمالية ما بعد الصناعية على الخصوص كونها رساميل اعراب الشتات محصلة محارق فكرية و ثقافية و تنظيمية. و قد تعينت تلك المحارق على اللحاق كل ما عدى الغرب–الرأسمالية الغربية– الخ–تنويعات لا متناهية من الخسارة و الخسران و الازعان و اللا شيئية الممعنة جراء "خروج" افتراضى فى كل مرة. فما ان احتكر الغرب–الرأسمالية–وكان اعراب الشتات قد سبقوهم الى– كتابة التاريخ فقد بقيت الرأسمالية و اصحاب المال يتعينون لوقت طويل على احتكار العلم و اعادة انتاج التاريخ بحيث يخدم المصالح الرأسمالية و اصحاب المال دون سواهم.

و يلاحظ المتأمل كيف يتحذث علماء الغرب بلا تردد او حتى شك علمى–و هم دعاة الشك العلمى–"انا اشك اذن فانا موجود" على الاقل ناهيك عن اكون حجة فيما اقول–يتحدثون عن مئات ملايين السنين الشمسية والقمرية و بدايات الكون و الخليقة و النشوء والارتقاء. و حيث يثابرون على التعين على ذلك فان احدا لا ينازعهم فيما يقولون و لا بجرؤ معظم من عداهم على نقدهم. فقد باتت ساحة العلم و المعرفة مقفولة على العلماء و المفكرين و المؤرخيون و الكتاب و الصحفيين و المراسلين الغربيين دون من عداهم. و قياسا بات اؤلئك العلماء والمفكرين و المؤرخين و الكتاب الخ ملحقون بالرأسمالية و تمولهم الرأسمالية. و كذا بات الخبر و تحليله و توقيته رهين بادواة الاتصال والاعلام الملحقة بالرأسمالية والتى تحتكرها الرأسمالية مما يلاحظه الناس فى كل مكان.

و ان "الخروج" المذكور اعلاه و تباعا كان دائما يزوق فيما يسمى بالمحرقة بوصفها منوالية على مر التاريخ المسكوت عنه فقد كانت الرأسمالية المالية قد خلقت شرط نشوء الاقتصاد الذى تحركه الديون العامة و الخاصة Fuelled by Public and Private Debtsفقد كرست شرط المحارق بالوصف اعلاه. ذلك ان الدول كانت قد حضت و ما تبرح تحض على بيع مقدراتها والصناعات المنتجة و لم يبق لمعظمها سوى الاستدانة فقد باتت الدول فى المقياس المدرج رهينة للراسمالية المالية المبدونة و من ثم مرتهنة بالمحارق المنوايلية فى كل مرة. و تدرك الرأسمالية المالية الربية مغبة تحورها المتصل الى تنويعة اكثر تشرها على نفسها فتستبق مغبة ذلك التحور فى كل مرة.

فقد بقيت الرأسمالية بتنويعاتها تتعين على تحقيق امنية موسي حين طلب موسى من يهوا ان "يمنحه شعبا افضل من بنى اسرائيل" فاكثر طواعية. ذلك ان احبار و اسباط اعراب الشتات كانوا و ما يبرحون اشد كرها لعامة شعوب المجتمعات التى تستضيفهم و يتاجرون و يتبادلون معها او–و يجاورونها كما لم يكونوا يستحبون شعوبهم هم انفسهم يوما الا تخاتلا. وازعم ان الرأسمالية المالية–العولمة–الامركة–الاقتصاد الاقتراضى–قد تعين على خلق شرط تحور المجتمعات المضيفة الى مجتمعات افتراضية او يحاولون ذلك. فقد اوشكت الشعوب المضيفة تفقد حكمتها جراء ممارسات الرأسمالية بتويعاتها بخاصة المالية. و تدرك الرأسمابية المذكورة و مت تمثلهم ان الناس قمينون بان يفقدوا حكمتهم الشعبية مما قد يسلمهم للعجر عن التعامل مع الحفيفة.

ذلك ان الرأسمالية المالية كانت قد خلقت شرط تحور الانسان الى فرد افتراضي او محض رقم لا يملك اقامة علاقات انسانية سوية ولا يدرك سعادة انسانية. فقد تعين السوق على تحوير الانسانية الى جماعات افتراصية كل ما تجيده هو

الاستهلاك–الادي و غير المادي مثل الخزعبلات الخرافات والتطير من كل شئ– دون الوصول الى اشباع يذكر او ينسى. و قد كرس الاخيرة الاحساس بعدم الامان و تفاقم الميل نحو تدمير الذات و تدمير المجتمع و العالم.

الباب الثالث: تكريس ارتهان المجتمعات و الناس بالمديونية على مر السنين:

الفصل الاول:المديونية الريفية و سوق الائتمان العقاري.

كانت المديونية الريفية قد تمأسست فى كافة المجتمعات منذ بدئ التاريخ المكتوب على الربا. وقياسا فقد مأسست المديونية الحضرية الفردية و الجمعية و مديونية الدولة نفسها فى المجتمعات الصناعية على الفائدة مثلما يلاحظ الناس فى كل مكان بعد و ابان سقوط سوق الائتمان الامريكى فى خريف و شتاء 2007 الى خريف 2008 و تباعا. و يؤلف انهيار سوق العقار اوازمة الائتمان فى امريكا و تداعيات ذلك على ما عداها ما يسمى من انفجار الفقاعة الاقتصادية. فهل تتعالق تداعيات الفقاعة الاقتصادية و عقلانية فوضى اسواق المال ام العكس؟ أى هل غاية مثول الفقاعة الاقتصادية خلق شرط فوضى اسواق المال لحساب مضاريين يدركون ما هم فاعلين؟

عقلانية الفقاعة الاقتصادية و فوضى اسواق المال:

من المفيد تذكر ان انفتاح العالم على مصراعية للمراكمة المالية بالوصف اعلاه ما انفك ان بات يعبر عن نفسه فيما يصفه اللان جرينسبان Alan Greenspan–1926–المحافظ السابق لبنك الاحتياطى الامريكى المركزى بحلول شرط او لحظة مثول تضخم عالمى تباعا. و اللان جرينسبان كان رئيس محافظى ما يسمى بالنظام الاحتياطى الفيدرالى Chairman of the governors of the Federal Reserve system–اى باختصار محافظ البنك الفيدرالى الامريكي حتى 2007. و البنك المركزي الامريكى كون فى 1913 و هو مصرف مخصخص و ليس بنكا حكوميا كالبنك المركزى الانجليزى مثلا. و يقول اللان جرينسبان صاحب نظرية عقلانية ممعنة فى التخفى مفادها ان الاقتصاد من طبعه ان يصل الى حافة الانهيار عشية تضخم قطاع مالى او اخر فيما يسمى بالفقاعة Bubble. ويزعم ان الاخيرة تتنفجر دون سابق انذار. اى ان الذى يخق الفقاعة لا يعرف متى تنفجر.

سوى الا ان اللان جرينسبان–و قد بقى محافظا لذلك البنك على مدى 18 عاما– و بوصفه من اسباط اعراب الشتات– كان جرنيسبان بهذا الوصف حريا بان يستبصر فيستبق التضخم الذى يشر اليه ربما كان حريا بان يؤقت او–و يؤجل التضخم والفقاعة وجيزا حسب الطلب.

ذلك ان الفقاعة المذكورة تسلك منوالية شبه مؤقوته بعدة ظوار بعينها. فقد انفجرت فقاعة عشية انهيار تجارة الدوت كوم Dot.com فى ثمانينات القرن العشرين و اخرى فى وسوق الاسهم و السندات عشية 11 سبتبمر 2001 وثالثة فى سوق العقار و الائتمان ابان صيف 2007 و تباعا. و تعرف تلك الحالة الاقتصادية او اللا اقتصادية من التضخم الذى ما ينفك ان يخلف انكماش مفهوم الفقاعة الاقتصادية Economic Bubble.

و قد يقول البعض ان المسئولين او اصحاب المال و المضاربين فى الاسواق ينتظرون انفجار الفقاعة دون ان يفعلوا شيئا او يرفع اى منهم اصبعا فيما يرهب الناس العاديون و دافعو الضريبة بان انهيار اسواق المال سيلحق بهم ما لا تحمد عقباه حتى يزعن الناس العاديون لتلافى مغبة انفجار كل فقاعة. ذلك ان رأس المال المالي يخصخص الربح كما قلت فى مكان اخر ويؤمم الخسارة. ولعل ذلك يعبر عن فيفسر كيف ان اصحاب المال يبدون و كأنهم مصابين بلامبالاة خطرة انهم يسيرون نياما نحو حظهم الموعود. و فى نفس الوقت لا يحذر اى من الاقتصاديين و الخبراء المتخصصين فى الرأسمالية المالية من مثول لحظة الانهيار ناهيك عن الاقرار بمغبة تلك الحالة حتى تنفجر لفقاعة فى نفسها. ذلك ان الجميع من محافظى البنوك المركزية و المصارف التجارية

المالية الى كبار حملة الاسهم على الاقل يبدون عقلانيا و كأنهم يفاجأون فى كل مرة بانفجارالفقاعة الاقتصادية والمالية.

وقياسا لا يقيض للبحث قى حل المشكلة حل المشكلة الا بعد ان تنفجر تلك الفقاعة فى كل مرة. و تلاحظ تنوعات الفقاعة الاقتصادية او المالية غالبا و من ثم اللا اقتصادية و تداعياتها و مفاجأتها المعقلنة تلك و مغبة الاخيرة فى التاريخ الحديث منذ انهيار سوق المال بول ستريت Wall Street بنيويورك–يثرب الامريكية. و ازعم ان ثمة يثرب انجليزية هى مدينة لندن المالية و كانت أزمة ثلاثينات القرن العشرين الاقتصادية الكبرى فى 1929 مثلا تعبير عن دور مدينة لندن المالية فى فقاعة منوالية.

و كان ثمة مدينة يثرب فى اكسفورد ابان الصراع الملكى الجمهوري فى القرن السابع عشر. و ق دتمثل الاخيرة فى فقاعة التيوليبمانيا Tulipmania اى جنون شراء زهرة التيوليب او الزنبق او اللعلع اول واقعة انفجار فقاعة فى العالم الحديث قد وقعت فى هولندا فى 1630[211]. و لعله من المفيد تذكر ان الحرب الاهلية الانجليزية اندلعت بعد انفجار تلك الفعاعة بعدة سنوات و كان على كروميل ان يدعو يهود هولندا بغواية الحاخام الهولندى مناسى بن اسرائيل الذى كان قد ناشد أوليفر كروميل فى 1656 السماح لليهود بالحركة ما بين أوربا و انجلترا. و قد فعل كروميل تحت ضغط مشارفة الدولة الانجليزية الافلاس عشية و جراء الحرب الاهلية مما ذكرته فى مكان اخر ايجازا وفي بحث اخر.

وتوصف الفقاعة الاقتصادية او ما يسمى مرة فقاعة المضاربة فى الاسواق ومرة ثانية فقاعة الاسعار ومرة ثالثة الفقاعة المالية كما توصف بجنون المضاربة او بالمانيا Mania. وتتمثل تلك الحالة فى كل مرة تمنى الاسواق بحالة من ارتفاع اسعار التجارة فى سلعة ما باكثر من قيمتها الحقيقية. و يعتبر جنون شراء زهرة التيوليب واحدة من اسبق و اخطر ما ترتب عليه خراب واسع فى اروبا الغربية. و كانت اسعار زهرة التيوليب–الزنبق قد ارتفعت غير المسبوقة فى تاريخ الاقتصاد الحديث جراء اقبال الناس على شرائها و باع بعضهم كل ما يملك حتى يقتنى انواع معينة منها بامل ان تأتيه بالثورة الا ان الخراب الذى لحق باكثر الافرد ثراءا بقى امثولة يتحدث بها الركبان حتى اليوم.

وتبقى الاسباب التى تخلق الفقاعة من التحديات التى تواجهها النظرية الاقتصادية. و حيث اقترحت عدة تفسيرات ,الا ان الفقاعة ما انفكت ان باتت تشير حديثا جدا الى كونها تتمثل بصورة غير واضحة. فعدم وضوح ما يشير الى حلول الفقاعة يرجع–كما يدعون–الى ويخاصة المندفعةراء الربح واقسى الربح دون اعتبار لاحتمالا هلاك المال الموضف فى المضاربه. ذلك ان المضاؤرب لا يضارب فى ماله و انما يضارب فى مال غيره منث ارباب المعائات وصغار حمة الاسهم و مال الحكومة. و يوصف بعض االمتخصصين و الخبراء فى شئون المال حالة المضاربة المكزكورة بانها نتيجة ما يسمى بالعقلانية المقيدة او المحدودة Bounded Rationality.

و تعنى الاخيرة حالة تصعب معها الخيارات المبزولة لتفادى انفجار الفقاعة. و تعرف العقلانية المقيدة نظريا انه ان كان السلوك الفردى قمين بان يقود الفرد لاتخاذ قرار عقلانى بشأن خيارات ما فان العقلانية المقيدة تخرج عن نطاق مثل تلك النظرية الى السلوك غير العقلانى بالمعنى الحرفى للكلمة. و البعض يقترح مؤخرا ان الفقاعة قد تحدث فى التحليل النهائى جراء عمليات تمأسس او تولف الاسعار على نحو ما يبقى غامض بعد. ذلك انه من الصعب غالبا ملاحظة القيمة الحقيقية Intrinsic Value للسلع المالية فى الحياة الموضوعية للاسواق. الا اننى اجادل ان مثل ذلك القول يعقلن مسألة واضحة بصورة كافية. و هى انه يمكن تعريف القيمة الحقيقة لسلعة او خدمة–وجيزا و تبسيطا–بالعمل الحى المبذول فى انتاجها و رأس المال و غير ذلك من الخصائص الراجعة الى اجر العمل و تكلفة الانتاج الخ. واضيف ان حركة الاسواق الحرة ليست حرة بل أن كل من

المضاربة نفسها زيادة على اكتناز السلع بغاية رفع سعرها كما فى حالة النفط الذهب و احيانا المحاصيل الغذائية كما لاحظ الناس فى منتصف 2008 وغيرها من السلع الاستراتيجية.

الفقاعة اللا اقتصادية و الخروج اورأس المال الهارب::

يزعم عقلانيو اسواق المال و السندات و الائتمان ان تعريف الفقاعة لا يمكن ادراكه و يدعون ان يستحيل من ثم التنبؤ بمثول الفقاعة الا باثر رجعى In retrospect. و يقيض ذلك الادراك متاخرا اى بعد انخفاض الاسعار فجأة و دون مقدمات او ما يبدو انه كذلك للمراقب العادى. و تؤلف كل من حالة الرواج و الانكماش Boom and Bust نماذج اقتصادية او لا اقتصادية يشار اليها بما يسمى ميكانزم تغذية مرتدة Feed back . و غالبا ما تعبر الاخيرة عن نفسها فى تجليات او–و مغبة الفقاعة الاقتصادية من بسط و ازمة وصولا الى انفجار الفقاعة. و يعتبر الانخفاض المفاجئ لاسعار السلع الاستراتيجية و الاسهم و السندات انكماش. وقد باتت مراحل ازدهار وانكماش السوق ظواهر دورية ازعم ان مناويلها تبدو اكثر تسارعا جراء شراهة المراكمة المالية التى مني بها الاقتصاد او اللا اقتصاد و التى تخصم على الاقتصاد الحقيقى,

و يتمأسس الاقتصاد الحقيقى فوق انتاج السلع و يخلق وظائف و دورة من اعادة التوزيع و التبادل و الاستهلاك فالانتاج عائدا الى نفسه مجددا كما يلاحظ الناس فى كل مكان تباعا. و يقول الاقتصاديون ان التحكم فى الاسعار ابان انفجار الفقاعة بات صعبا حيث تخلق الاخيرة فوضى غير قابلة للتحكم فيها او تحليلها بمحض تأمل الاسعار في عملية العرض و الطلب على الاسعار وحدهما. و عندما تعبر الفقاعة عن نفسها فى سوق العقار و الائتمان فانها تسمى Credit Crunch تزويقا حتى لا يصاب الناس بالعلع. و تسمى الفقاعة التى تتمثل فى سوق المال أى البورصة و السندات Equity وهى ابعد ما تكون عن ذلك. وهكذا فالفقاعة الاقتصادية المالية او اللا اقتصادية ليست سوى تعيير عن حالة رأس المال الهارب و مسمياتها لا تزيد على عقلنة الواقع بصورة متخاتلة لا تشير الى الواقع من قريب او بعيد احيانا.

والى ذلك و ربما بسبب ذلك فانه يبقى من الصعب التفريق بين فقاعة أسواق المال والسندات وفقاعة السوق الذى يتميز بمضاربين يبدون على ثقة كبيرة بانفسهم و بقيمة المعروض من الاسهم و السندات و السلع الاستراتيجية الخ Bull Market و يلاحظ أ، تلك الحالة كانت قد حدثت فى الولايات المتحدة عشية فقاعة تجارة الدوت كوم Dot .com[212] ابان ثمانينات القرن العشرين ممثلة فى شراء ما هو فى الواقع متوهم اكثر منه حقيقى من اسهم شركات هى بدورها افتراضية او سلع ذات قيمة افتراضية مثلما ذكرنا حول اسهم القمامة Junk Shares فى مكان اخر.. ذلك ان المضاربين اذ يبدون غالبا على درجة من الثقة بانفسهم فيقومون على المضاربة كلما تزايدت غواية السوق بالثراء بالفائدة فان ذلك يدفع من عداهم الى شراء اسهم تكون احيانا متوهمة او افتراضية و قد ضخمت اسعارها مما يصيب الكثيرين بالخراب بنفس القدر الذى كان يعيهم بشرائها اصلا..

وكانت عمليات الاقتصاد المعقلن تلك قد دفعت الناس عبر التاريخ الى سلوك لا اقتصادى و غير مضمون العاقبة. و يلاحظ ذلك فيما يلاحظ فى جنون شراء زهرة التيوليب كما ذكرنا فى منتصف القرن السابع عشر حيث باع الناس كل ما يملكون لشراء تلك الزهور بامل زينه لهم تجار و مضاربون فى الثروة المؤكدة. و لم تلبث فئات عريضة من السكان من كل الطبقات ان باتت معدمة و فقد اصحاب القصور و الاقطاعات ما ورائهم و باتوا متسولين. و قد لحقت تلك الفقاعة و مغبتها حتى الدول القومية. و كان ذلك ما فعله جون لو John Law الاسكتلندى الاصل فى فرنسا فى القرن الثامن عشر. فقد حول جون لو الدين العام الفرنسى الى اوراق مالية مقابل ارضا كانت له تكاذبا فى المسيسبى. و لم يلبث جون لو ان بالفرار كعادة المضاربين كلما مني منهم

بالتورط فى مشاريع مغامرة فعادت الاخيرة على من عداه بالخيبة. وازعم ان ذلك تتويع على ما عرفته ب"الخروج" و بالمحارق. .

ذلك ان فقاعة سوق زهرة التيوليب او الزنبق التى خلقها تحول الدين العام والخاص الى اوراق مالية لم تلبث ان انفجرت فاودت بالاقتصاد الفرنسى. و يعتقد ان تلك الازمة كانت وراء اندلاع الثورة الفرنسية في 1789 [213]. و من المشوق عقد قياس بين الاخيرة و ما اسماه مايكل مور انتفاضة الشعب الامريكى ابان ازمة اسواق الائتمان العقارى و المال و و لعل الاخيرة حرية بان تشارف تتويع ما بعد رأسمالي على ثورة التيوليب Tulips المضادة فى مواجهة الاقتصاد الحقيقى بمعنى الذى ينتج سلعا و منتجى تلك السلع فى المجتمعات المضيفة لرأس االمال –الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب.

و حيث يلاحظ المتأمل لحالة الاقتصاد الرأسمالي ان الرأسمالية و المضاربين فيها يبيعون للناس اوهام الثروة و النجاح و الحلم الامريكى و غيره من الاوهام و منها سلعا و خدمات غير موجودة اصلا, وحتى ان وجدت الاخيرة فغالبا ما تكون شئ اخر غير ما يقوله الاعلان الالق عنها مما يطارد الفرد المستهلك و غير المستهلك فيصيب الاول بالعصاب والثانى بالاحساس بالقصور. فهل ثمة تعالق بين ذلك اقتصاد او اللا اقتصاد معبرا عن نفسه فى منوالية الرواج و الانكماش Boom and Bust عبورا بالفقاعة المذكورة و بين الحلم الامريكى مما اصاب غالبية البشر بفيروسه الذى لا يزيد على اطلاق تطلعات معقلنة غير قابلة للتحقق؟

عقلانية اعراب الشتات و فاشية الحلم الامريكى:ديمقراطية العبيد

من ملامح ذهنية أعراب الشتات المناداة بمفاهيم القة و التعين على سيناريوهات لا غبار عليها من القومية والدولة القومية و الليبرالية و حتى حرية الفرد و حرية التعبير و غيرها من قاموس البرجوازية الصناعية ما بين نهاية القرن التاسع عشر الى ما بعد الحرب العالمية الاولى. ومن قدرات تلك الذهنية على غواية من عداها اطلق تطلعات لا ينوي اعراب الشتات و لا خدامهم خلق شرط تحققها بل العكس. و قد قيضت معايير و مفاهيم تلك الذهنية نلاعراب الشتات تحقيق اجندات تتصل بالقومية العبرية و بالدولة العبرية و حرية التفكير و التنظيم والحراك الاجتماعى كامتياز موقف على أعراب الشتات. و قد اوصلتهم تلك الامتيازات الى سدة السلطة القائمة فى المجتمعات المضيفة و بات بعض احبارهم و اسباطهم و قضاتهم اعضاء فى شرائح سلطة المجتعات المضيفة تباعا فى كل مكان تقريبا و بخاصة فى انجلترا و امريكا الشمالية عبورا بالامبراطورية الرومانية و الخلافات الاصلامية المشرقية و المغربية حتى الخلاقة العثمانية.

و ما ان قيض لمعظم اعضاء بعض طوائف اعراب الشتات كل من ضمان حرية التعبير و التنظيم و الحركة فسوغوا تكريس قوميتهم و اقامة دولتهم حتى نكصوا على تلك المفهومات. بل تنكروا لها ضمنا كما فى خطاب و اجندة المحافظين الجدد و قاموس اليبراليين الجدد. و قياسا لم ينفكوا ان راحوا يؤبلسون معظمها خصما على من عداهم. فقد باتت القومية فاشية و الدولة القومية زائدة عن حاجة رأس المال الا ماخلا ابان ازمات الرأسمالية الدورية. و غدت الليبرالية تسييبا عاطفيا أى لا عقلانية تزويقا. و قد بات كل تنظيم لا يخدم رأس المال فيعمل بالمعكس من اجل تحقيق مصالح جمعية شعبية مثلا بات مثل ذلك التنظيم يشارف الارهاب او ما الى ذلك.

و قياسا ازعم ان الحلم الامريكى حلم اعراب الشتات ليس وحسب باقامة متنزعة فى القارة الامريكية بلا منازع بل و فى احتكار سلطة الولايات المتحدة و لو من خلف الستار ان امكن. و قد حدث فادارة الادارة الامريكية 43 لم تعد تخفى هذه الظاهرة التى باتت شبه معلنة و على رؤوس الاشهاد. و لم تنفك الادارة 44 ان باتت صهيونية بامتياز[214]. واجادل ان اعراب الشتات تعينوا باكرا على "لبرلة" Liberalising امريكا–جعلها ليبرالية–تاكتيكا اى بصورة مؤقتة حتى تييسر لهم تلك الليبرالية الاقامة و لم ينفكوا ان راحوا يصمون الليبرالية البرلمانية–ما ان قيضت الاخيرة لهم استراتيجية احتكار كل من

الاقتصاد والسياسة الخارجية الامريكية باسم الحلم الامريكى–فاحلوا خطاب و اجندة المحافظين الجدد مكان الليبرالية البرجوازية الصناعية التى لم تمر بها الولايات المتحدة ابدا.

فقد نشأ اقتصاد و فكر الولايات المتحدة السياسى من اقتصاد العبيد الى الرأسمالية ما بعد الصناعية الا ما خلا صناعة السيارات فديترويت و كانت الاخيرة وظيفة الحرب الاهلية الامريكية 1861–5 التى لم تكن بغاية تحرير العبيد الا بقدر ما كانت مشروعا لاعتاق عمل السود من عبودية الارض فى الجنوب لاستلابه بعبودية العمل فى مصانع الشمال. فقد تمأسست ديترويت على ما يشارف العمل العبودى الاسود على علاقات عمل ارتبطت باسلوب الانتاج على السير المتحرك اى التعنيت Conveyor Belt, و قد قيض الانتاج بالتعنيت لديترويت ان تنتج 8 دبابات ابان الحرب العالمية الثانية مقابل دبابة واحده تنتجها المانيا. و كان ذلك واحد من اهم اسباب هزيمة الاخيرة.

هذا و كانت ديتروت قد قيضت–بقرينة نضال السود من اجل حقوق مطلبية–ما يشار اليه ب "قلعة الديمقراطية". و لم تنفك الرأسمالية ما بعد الصناعية ان حولت ديترويت الى مدينة شبح منذ عشية الالفية الثالثة و شردت عمال السيارات. وكان اخر من سرحتهم صناعة السيارات فى ديتروت 4 الاف عامل من عمال شركة كريزلر Chrysler–وكانت ايقونة صناعة السيارات البريطانية و قد هاجرت 25 اكتوبر 2008 مع غيرها من الصناعات و الرساميل الى امريكا جراء سياسات مارجريت ثاتشر–او–والريجانوثاتشرية كما كانت الاورثوذوكسة الاقتصادية الجديدة تعقل هروب رأس المال الى الشاطى الغربى للاطلنطى.. و لم تنفك جنرال اليكتريك General Electric –أيقونة الصناعات الامريكية–ان اضطرت بدورها للاندماح مع كريزلر في 28 اكتوبر 2008.

هذا فلم تمر امريكا بالاقطاع و لا بالبرجوازية الصناعية تماما كما فعلت اوربا الغربية. و قياسا لم تنفطم امريكا من النمط العبودى. و ليس ذلك غريبا. فربما كان من المفيد تذكر ان بريطانيا لم تنفطم من النمط العبودى حتى القرن الثالث عشر حين ادخل النورمانديين الاقطاع الى انجلترا و غيرها من اجزاء الجزر البريطانية[215]. ولم تنفظم بريطانيا من علاقات العمل الاقطاعى حتى الحرب العالمية الاولى. بل ما تبرح كما ذكرنا اعلاه علاقات الانتاج الاقطاعى ماثلة فى الاراضى المرتفعة فى اسكتلندا Scottish Highlands.

و من المفيد تذكر ان اعراب الشتات لم ينفكوا ان راحوا يؤبلسون الليبرالية و يحلون مكانها عقلانية زوقت باسم الليبرالية الجديدة و الاحرى ما بعد الليبرالية كون الاخيرة نهاية الاولى مما قضى على الحلم الامريكى مرة و احدة و الى الابد–رغم تخايل فورالمرشح الديمقراطى باراك اوباما الذى قد يتم اغتياله بعد فوزه بوقت. ذلك ان الشرائح السلطوية الامريكية تبدو و كانها باتت تنويع على السلطة الاسراتية تنحسر فى بضعة اسر بعد الادارة 41 ادارة رونالد رجان و وصولا الى جورج ووكر بوش–الادارة الامريكية 43. و لعل فوز باراك اوباما (و يزعم ان امه يهودية) لن يزيد سوى ان يبشر بترشيح يهودى اصيل فى المرة القادمة. فقد ينفى ترشيح اسود –معدل جينيا–لرئاسة الجمهورية أى لامساس او محاذير نفسية او دينية امام ترشيح يهودى "ابيض"–اى نقي عرقيا–ان وجد شئ بهذا الوصف ابدا–فى البيت الابيض.

وكنت قد زعمت فى مكان اخر ان ليبرالية امريكا و غيرها كانت حرية بان تقيض وجيزا تسامحا غير مسبوق مع اعراب الشتات مما يسر للاخيرين استتباب الامر فلم ينفكوا ان انقلبوا من بعد على الليبرالية و راحوا يقضون على التسامح بغاية العصف بمن عداهم تطرفا يوتوبيا. و كان بعض اليوتوبيين الامريكان يجأرون بانهم ان لم يعجبهم المجتمع انسلخوا عنه و اقاموا لهم مجتمعا منفصلا فامريكا كبيرة و اسعة. و كانت تلك السعة وظيفية دائما لمشروع اعراب الشتات.

فقد راح تنظيم الصناعة السلعية يترحل بالمصانع من كل مكان الى كل مكان فى القارة الامريكية الواسعة منذ الحرب الاهلية التى لم تكن سوى تسويغ ل"تحرير" العمل العبودى من الارض الجنوبية لعبودية العمل فى المصانع الشمالية لا اكثر. و قد بات الامريكان يترحلون وراء العمل جراء حلول شرط بدونة المجتمع الامريكى عشية تكريس نمط اللا انتاج الامريكى اى الرأسمالية ما بعد الصناعية و انتشار مجتمع الخدمات اكثر منه مجتمع الانتاج السلعى. فقد بدون العمل

الحى بحيث لم يعد حتى العامل الماهر يحتاج عنوانا. فقد بات يكفيه ان يكون لدية هاتف نقال و لاب توب Lap Top فقط و يعلن للمخدمين المحتملين أن مقره هو احدى المقاهى المعروفة–مثل ستاربك Starbuck– فى وسط المدينة.

ذهنية الحلم الامريكى و عقلانية انهيار اسواق المال منواليا:

تلح حالة ذهنية مثابرة على الامريكان ان يتجاوزوا اى محنة ما ان تحيق بهم محنة. فالذهنية الامريكية كانت قد قولبت بحيث تركز على بل تختلق التفاؤل و البهجة الكاذبة حتى ان لم تتوفر شروط اى منهما. و من المفيد تذكر ان ما بعد الحداثة ما بعد الرأسمالية الصناعية و بخاصة المالية تشيع مفهوم البهجة تسويغا لتسييب و غثاثة ثقافة القمامة. فتصنع احذية بكعب عال للاطفال فى سن اقل من عام بل حتى 6 اشهر من الساتان الازرق و الاسود و من جلد النمر باسم اشاعة البهجة ابتزالا للطفولة وغير ذلك من التقاليع الباهظة لا اخلاقيا و ماديا.

و ازعم ان الارث الامريكى–الامركة–المكدنة –من الماكدونالد– الكوكلة– من الكوكاكولا–يتعين على تحريض الفرد الامريكى و من عداه بالتماس على المرح و الاحتفالية فى قلب الهموم. و قد باتت الخارطة الذهنية و بخاصة معمار اللغة بحيث تدفع القرد لان "يقفل على كل المواضيع" reach a closure و "يتطلع الى الامام"Look forwards و يخلف المشكلة وراءه Move On. فقد خلقت الرأسمالية ذهنية البدو بين الناس و قد تبدون الناس جراء تداعيات الرأسمالية التى تزوقها الفنون و الاداب ما بعد الحداثية على انها "تقدم" و "تطور". فالرأسمالية ما بعد الصناعية هى التى تضح القوانين التى تحكم كافة الالعاب و السير الذاتية و العامة و ممارسات السلطة و حتى الجنس..

و تؤمن الرأسمالية ما بعد الصناعية و الافانجلية الانجلو امريكية ماركة بيللى جراهام Billy Graham–المبشر الافانجلى الامريكي الذى كان يرافق ريجان فى البيت الابيض و بوش الابن من بعده–الفرد المهموم خطر. و يلاحظ كيف ان خطب جورج ووكر بوش تجأر دون ملل بان كل شئ بديع و لا مكان للتشاؤم رغم و فى قلب الهزيمة الماثلة بل توصف الاخيرة بانها نصر مبين و خراب العراق تقدم وتدمير حضارة انسانية قديمة يعنى ازدهار ثقافة القمامةالخ. فقد عود الامريكان على ان كل شئ قابل للحل و باتوا يضيقون ذرعا باى مسألة معقدة فيستحبون السهولة فى التعامل مع القضايا و يتعاطون احتفالية طافحة بالحياة تيسر لباعة الاوهام توريط الامريكان وغيرهم فى شراء الاوهام و اقناعهم بامكانية الحلم الامريكي بعد. ذلك هو الطريق الى الحلم الامريكي السرابي.

و لعل هبوط اؤلئك المهاجرين على شواطئ القارة الامريكية بكل ثرواتها و امكاناتها غير المسبوقة و هم المعدمين و المطاريدن و شذاذ الافاق و المغامرين فتحت ابواب الثروة و القوة بلا منازع تقريبا لاؤلئك الاقوام و فرص نادرة من ناحية. من ناحية اخرى كان الاباء الاوائل و حلفائهم اعراب الشتات ادركون ان اهم ما يمكن ان يجمع شعوب المهاجرين المختلفة هو ذهنية متفائلة و ايمان بان كل شئ ممكن.

وزيادة على ما كانوا قد لاقوم فى اوطانهم الام Mother countries قبل الهجرة مما دفعهم للهجرة فقد كان المهاجرون قد واجهوا محنا و راح معظمهم ضحية البحر و الاوبئة و الجوع خلال الرحلة الطويلة الشاقة الى العالم الجديد. بل ان الاستقرار فى العالم الجديد اخذ منهم جهدا فى كل من التنافس على الارض فيما بينهم و فى ابادة السكان الاصليين اصلا مما كان لازما التعيين على تحييد ذكرياته باستتفاهها و الاستهانة بها او–و بتمجيدها كما فى افلام رعاة البقر. و كانت الاخيرة قد بقيت لوقت طويل تراث امريكا المجيد.

و الى ذلك أستخدمت امريكا–تجار العبيد بالاحرى–برشامة تدمير ذاكرة و هوية العبيد لاعدادهم و "تأهيلهم" على طريقة العزف الفائق Extraordinary Rendition و تطرية تلطيف الجو Adjusting the Environment فى استنطاق العراقيين فى ابوغريب و "الارهابيين" فى جوانتانامو و فى سجون سرية خارج الولايات المتحدة. المهم فى طريقهم على محطات تجميع العبيد لحظة وصولهم الى العالم الجديد حتى ترحيلهم فحلولهم لدن اسياد العبيد كان العبيد يخضعون لعمليات نفسية و بدنية مركبة. و ثمةقياس ناجز ماثل على تلك العمليات يعبر عن نفسه فيما يخصع القرد الامريكى و

غيره اليوم بوصف ان تلك العمليات قمينة بان تخلق– فى المقياس المدرج– فى الفرد سمات الشخصية "العادية" فى كل مكان. ذلك انه ما ان جدت امريكا صعوبة–بعد ان كانت قد جأرت بحرية التعبر و التفكير وزاودت على غيرها بذلك– فى قمع الناس بالقوة فقد راحت امريكا–اعراب الشتات يتعينون على اتحكم فى الفكر بخلق اجماع شعبى بالاعلام اليومي الذى يلح بلا هوادة على غسل امخاخ الناس.

و قد وصفت هاريت بيتشر ستو Harriet Beecher Stowe جانب من تلك العمليات فى كوخ العم توم Uncle Tom's Cabin. و كانت مدينة انابوليس بجوار ووشينجتون دى سى Washington DC احدى محطات تجميع "معالجة العبيد[216]. و تقول هاريت ستوا "ان متعهدى توريد تلك البضاعة الادمية كانوا يبذلون جهدا كبيرا ومنظما من اجل أغراق العبيد فى و دفعهم الى الاستغراق فى بهجة صاخبة بغاية منعهم من التفكير فى او تأمل حالهم". فالعبد المهوم خطر و اخطر منه أن يملك عبدا ذكريات و ذاكرة. فالذاكرة مفتاح الهوية. و ازعم ان احدى اهم ابعاد اجندة العولمة تكرس عقلانية كل ما من شأنه:

1– ثقافة الديون مما يخلق احساسا ذائفا بالوفرة و اشاعة البهجة الكاذبة بالاستهلاك بين المستهلكين. و تصبح الاباحية طبع الاشياء في المجتمع الاستهلاكي الذي يكافئ المستهلك ويعاقب المنتج. فالاستهلاكية نوع من الاباحية الاقتصادية كلما تأسست على المال البلاستيكي Plastic money وعلى الاستدانة بلا تروي يصدر عن واقع افتراضى–ص التعبير. –ينزع من لا يملك و لا يستهلك بنفس القدر الى تعويض احساسه بالنقص بالمخدرات و الجريمة فما ينفك الاخير ان يجد نفسه بدوره فى عالم افتراضى.

–لم يعد يستلفت نظر ما بعد الحداثى شئ فكل شئ مستسهل طالما هو باعث على السرور الانشراح Funny و رطب cool . فكل شئ على ما يرام طالما ان الفرد يستمتع بوقته Having a nice time و يجد بهجة enjoying his or her self فيما يعمل او يشاهد او يعاصر.

–يتعامل السياسيون بدورهم مع الشعوب على انها فاقدة الذاكرة و قد كرست ممارسات العولمة عقلانيا تمييع الهوية بذريعة ان الاخيرة بطبعها مائعة. و يتعين اعراب الشتات عقلانيا بالضرورة على التهوين من شأن مفهوم و تمثل هوية من عداهم تحت راية ان كل فرد يحمل مكونات هوية تخصه و ان تلك الهوية الفردية حرية بان تبقى فى حالة سيرورة باستمرار و بلا استقرار فى حين يكرسون هم هويتهم الجمعية.

و يقول كبير البوذيين فى بريطانيا–وهو يهودى الاصل اعتنق البوذية–انه لا يفهم معنى الهوية و انه هو نفسه لا يدرك هويته هو. ذلك ان هويته بطبعها و تطبعها–بهذا الوصف–غير قابلة للتعرف عليها. و هو من ثم لا يشغل نفسه بها و لا يشغل نفسه بمفهوم المجتمع الذى يجد نفسه فيه. فالمجتمع نفسه مفهوم مائر يتشكل باستمرار. ورغم ان كل ما يقوله كبير البوذيين هذا قد يكون صادقا عقلانيا بدليل ما يشاهد من تمثلات المجتمع البريطانى نفسه فى التعريف بنفسه فى نهاية الاوليمبياد 29 فى بيكين–بجين– تقديما للاليمياد 30 الذى سيعقد فى لندن فى 2012 . فالمجتع البريطانى–ويطرح كمثال متعدد الثقافات و الاعراق مرة عولمى و كوزموبوليتانى فوق كل شئ–فى حالة تعرف على نفسه بصورة دائمة. الا ان الخطل البين فى قول ذلك الرجل المشبوه هو ان البوذية عقيدة تصدر عن كل من الذاكرة الطويلة لارث قديم قديم كان قد تمأسس فوق شعوب عريقة و ثابتة فى الايمان بمعتقدات كانت قد راكمت بحكمة شعبية ومعرف ضاربة فى القدم على مر لاف السينين.

المهم فورا كان تجار العبيد يرون ان حالة فقدان الذاكرة تشجع على الاندفاع نحو المرح و الصخب و ان ذلك من شأنه "ان يبلد احساس العبد بوضعه و ما آلت اليه حالته الجديدة". ففقدان الذاكرة صنو لفقدان الهوية الا ما خلا هوية العبد المطيع لسيده و الا دفع حياته ثمنا للعصيان. و تزيد هاريت ستو "بان غاية تدريب العبد منذ بيعه فى الاسواق الشمالية الى وصوله الى مقره النهائي فى الولايات الجنوبية هو جعله كائن بلا حس وبلا حنين. و يتم تدريب العبد على تلك الحالة

على طول رحلة العبور من فيرجينيا مثلا الى كينتاكى فى معسكرات يتم فيها التعين على تسمينه و دفعه يوميا و بصورة منظمة الى الرقص و الصخب و الغناء ان امكنه ان يغنى.

و كان كل من يرفض الرقص او ان يكون مرحا يضرب و يجبر على المرح. فتلك العملية جديرة بان تثابر على طرد اى ذكريات من قلب العبد حول زوجته او ابناءه او اهله و عشيرته. ذلك ان تلك الذكريات قد تبقى اقوى من ان تترك العبد يمرح مما يزعج تاجر الرقيق كون عناد الذكريات فى قلب العبد عرض خطر بين العبيد, فلا يترك العبد الذى يستعصى على المرح الملفق ذاك حتى يطوع العبد على الرضوخ لتعاطى أسباب البهجة الاجبارية الكاذبة. ذلك ان البشاشة و النظاكة و سرعة الحركة امام المشترى من شأنها ان تزين شراء العبد و تخلق الامل فى سيد طيب و الا فعقاب تاجر الرقيق اذا ما بدى العبد غير قابل للبيع رهيب[217].

و قياسا فقد زينت مدارس علم النفس الامريكية نفس الذهنية للامريكى العادى حتى باتت عادة المرح و التفاؤل الكاذب تلح على الامريكى فيما يشارف الحكمة الشعبية من طول ما تكررت دعوة الفرد الى التطلع الى الامام تجاوزا لما يحيق به فور ان يحيق به شئ و لمثابرة على التطلع و الحلم بالثروة و النجاح فى المرة القادمة مما يدفع الفرد الى العمل و الكد كما الكلاب المضروبة معصوب العينين كثيران السواقي الى لاستدانة و الاستهلاك و الاستدانة بوصف ان ذلك هو سبيل الفرد الى تحقيق الحلم الامريكى و منتهى التقوى. و كان خاطر تحقق الحلم الامريكى قد زوق Euphemised فى قدرة الفرد على الصعود الى اعلى على ظهرعقاره. الا ان أزمة سوق الائتمان الاخيرة ما انفكت ان قضت على ذلك الحلم.

ذلك ان خاطر تحقيق الحلم الامريكى كان قد راود معظم الامريكان مع امتلاك العقار. فقد كانت المصارف التجارية المالية قد خايلت للفرد الامريكى بذلك الحلم عندما اغوته بالاستدانة و شراء العقار. الا ان سوق المال راح يحل شرط ارتفاع اسعار العقار بصورة قلكية و غير مسبوقة فنشأت فقاعة اسعار العقار مما كان حريا بان ينتهى الى انفجار الفقاعة كما فى كل مرة. فقد كان معظم الامريكان قد استدان ما كان حريا بان يفوق امكاناته الواقعية فقد كان اصلا عاجزا عن سداد الدين فاصبح معظمهم فوجد نفسه قد فقد كل ما بقى لديه و لم ينفعه تجاوز ما حاق به هذه المرة.

و حيث كانت مديونية الافراد قد تمثلت فى تنويع على شايلوك فقد راح الاخير يطالب برطل لحم الامير. و تطالب مصارف الائتمان العقارى بعقار المدينين مما يرد معظمهم بلا مأوى فى كل من امريكا على الخصوص و فى بريطانيا بدرجة نسبية.

و ترد تلك التحورات المنوالية فى رأس المال المالى الدولة كما قلنا فى مكان اخر الى حاكم خراجى مركزى عليه ان يفتح مطامير الغلال ابان المجاعات دون ان يضمن سعر عادل للذرة بالطبع. ذلك ان ضمان سعر عادل للذرة يصيب شرف اقتصاد السوق فى الصميم. فالرأسمالية تحرم تدخل الدولة فى السوق لصالح الاغلبيات المحكومة. على ان جورج ووكر بوش تعهد عقلانيا بصرف 600 دولار لكل امريكى فيما تعينت الحكومة البريطانية عقلانيا بدورها على تأميم المصارف التحارى نورثانر روك Northern Rock–المتهم بتلك الفعلة الشنعاء وهى مثول افلاسه على رؤوس الاشهاد. و ان اعادت امريكا وبريطانيا فتاتا من التوزيع فى صيف 2008 فليس ذلك الا لتحض المواطنين على الاستهلاك انعاشا للاقتصاد و ليس تعويضا عن فقدان العقار.

فقد بات الاستهلاك كما ذكرنا نوعا من الوطنية. ذلك أن ما قد يشارف اعادة التوزيع–مهما كان فارقا و متقطعا–يعتبر فى الحالة الامريكية–و البريطانية بالتماس– تجديف بحق رأس المال المالى–العولمة التى تحرم تدخل الدولة لصالح المواطن. و يعتبر التأميم جريمة بحق الرأسمالية بتنويعاتها. فان كان اقتصاد السوق يحرم تدخل الدولة لصالح العامة الا ان جورج ووكر بوش يطالب الدولة بل يلزمها بالتدخل لحساب اصحاب المال مثلما رأينا فى حالة ازمة اسواق الائتمان العقارى

فقد بات الاستهلاك كما ذكرنا نوعا من الوطنية. ذلك أن ما قد يشارف اعادة التوزيع–مهما كان فارقا و متقطعا–يعتبر فى الحالة الامريكية–و البريطانية بالتماس– تجديف بحق رأس المال المالى–العولمة التى تحرم تدخل الدولة لصالح المواطن. و يعتبر التأميم جريمة بحق الرأسمالية بتنويعاتها. فان كان اقتصاد السوق يحرم تدخل الدولة لصالح العامة الا ان جورج ووكر بوش يطالب الدولة بل يلزمها بالتدخل لحساب اصحاب المال مثلما رأينا فى حالة ازمة اسواق الائتمان العقارى ممثلة فى مصارف امريكية والانجليزية و المانية و غيرها مثل:

–امريكية مثل نورثارن روك Northern Rock و فانى ماى Fanny Mae و فريدى ماك Freddie Mac والاخوة ليهمان Lehman Bros و جولدمان ساكس Goldman Sacks وميريل ليتس Merry Lynch و ايه اى جى American International Group(AIG) ومورجان ستنلى –Morgan Stanley

– بريطانية مثل مصرف برادلى و ببنجلي Bradley and Bingley و المانية مثل هايبوريال ايستيت Hypo-Real Estate –المانية مثل فورتيس Fortis وكذا فعلت الحكومة النوريجية ببعض المصارف.

و تنهار مصارف ايسلاندا الثلاث–رغم تأميم احداها فيما راحت اليونان تعانى جراء تدخل مورجان ستنلي فى تصريف اعمال المال بها مما ادى الى تضخم القطاع المالى وصولا الى هروب الرساميل المالية مثلما حدث في ايرلندا الشمالية و ايسلندا و دبي ويجدث تباعا فى البرتغال و اسبانيا و ايطاليا. و كان حجم القطاع المالى اى اللا اقتصاد او الاقتصاد الافتراضى الايسلندي مثلا قد بلغ 10 مرات حجم الاقتصاد الحقيقي real economy عشية الانهيارات المشهودة تلك.

و حيث تملك الاوليجاركيات المالية تلك معظم الصحافة و الاعلام و تتعين اللوبيات التى تعمل لحسابها على اختراق القانون و تغيير سياسة الدولة المضيفة فان تلك الاوليجاركيات تمارس ما يشارف الارهاب المالى اذ تطرح نفسها و كانها تقوم بعمل الرب فتتهم كل من يخالفها كافر و كل من ينتقدها بالحسد. و قد بات ما اسميه الارهاب المالى Financial Terrorism الكرياج الذى تخرص امريكا به الشعب و كل من ينتقد المصرفيين ناهيك ان يتجرأ احد على الجرؤ بالنطق باسماء الاوليجاركيين. ذلك انه حيث تطرح الازمة المالية الراهنة بوصفها "غلطة" a mistake حادث عارض و لست جريمة بحق الشعب الامريكى و غيره من الشعب المتضررة من الازمة بتواطؤ مع الدولة فان تحليل المواضعات التى ادت للازمة والتعرض للسياق و تداعياته الباكرة منذ بداية القرن العشرين مثلا يغدوان من اللامساسات الاقتصادية –المالية الفكرية والتنظيمية.

و قياسا فان اى مخطئ او حتى مجرم بحق الشعوب المنهوبة لا يمسه شئ و كأن شيئا لم يكن لان الشركات الكبرى و الاوليجاركيات تملم استدعاء بل تملك بالقعل كبريات الدور القانونية و اشهر المحامين و هم اللذين يتعينون على اعادة كتابة القوانين. و يلاحظ ذلك اكثر ما يلاحظ فى مدينة لندن المالية. فحيث كافة التجاوزات تمر عبر ذلك الميل المربع المسمى مدينة لندن المالية. فمدينة لندن تعبير فائق عن الرأسمالية الانجلوساكسونية التى عرفتها فى مكان اخر.

ذلك انه حيث يغدو من الممكن استبعاد فكرة ان الازمة الاقتصادية فى مجمل محصلاتها و علاقتها بالاموال الهاربة جريمة بحق الاقتصاد الحقيقي و مقدرات الناس و صغار المدخرين و صغار اصحاب الاسهم و ارباب المعاشات و دافع الضريبة فان الدولة لا تجد خيارا الا شراء المال غير الحقيقى و الردئ بمال دافع الضريبة الحقيقى و الجيد. و يدفع ذلك الدولة الى اللجوء الى الاستدانة مجددا. و تستدين الدولة من اصحاب رأس المال الهارب Flight capital–الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب و تراكم ارباحا خصما على الاقتصاد الحقيقى بمغبة خسارة من عدى تلك الكائنات الغمضة المتسارة على مر التاريخ المسكوت عنه.

و حيث ان تلك الجماعات هى نفس الجماعات التى تتسبب فى ازمات الرأسمالية المنوالية فى كل مرة فهى التى تملك المال دائما. و تشترى الحكومات الديون الهالكة Bad Debts و الاسهم و السندات السامه Toxic Shares and Stocks و تضمن السيولة فى الاسواق دون ضمان وقف الانهيارات. و فيما تتصل الانهيارت و انخفاض اسعار

العملات الرئيسية و اسعار الاسهم فى اسواق المال تطالب بعض المصارف الهالكة الدولة فوق تاميمها بتعويضات و بتكاليف صرف اخر رواتب موظفيها الخ. و قد بقيت المصارف التى انقذت فى سبتمبر 2008 بحاجة الى مزيد من النجدة فى اكتوبر 2008 و تباعا. و قياسا تواصل الدولة شراء المال غير الحقيقى و الردئ بمال دافع الضريبة الحقيقى و الجيد مما يدفع الدولة الى اللجوء الى الاستدانة مجددا. و تستدين الدولة من اصحاب رأس المال الهارب Flight capital– الرأسمالية المالية التى تراكم بالنهب ممن راكم و ربح خصا على الاقتصاد الحقيقى بمغبة خسارة من عداها. و حيث تلك الجماعات هى نفس الجماعات التى تتسبب فى ازمات الرأسمالية المنوالية فى كل مرة فهى التى تملك المال دائما. ولا يجرؤ احد على النطق باسماء اعضاء تلك الجماعات و يعدل عمدة نيويرك–العاصمة المالية ومقر وول ستريت بوصف نيويورك يثرب الخامسة–يعدل القانون حتى يحصل على فترة ثالثة او رابعة لعمادة مدينة ضالعة فى الازمة بتاريخها و ذرايتها بووشنجنون العاصمة الادارية. و تهرب الجماعات المذكورة بالمال خارجا فى مناخ اللا اقتصاد الذى تخلقه تلك الجماعات بيع المال كسلعة خصما على الاقتصاد الحقيقى.

ذلك انه حيث جفت منابع المراكمة الزراعية و عصف بالقطاع الزراعى مثلما تضعضع قطاع الانتاج السلعى فقد بات لزاما على الدولة التعين على شكل من اعادة التوزيع و ان كان فارقا حتى لا تستفذ رأس المال الذى يتطير من اعادة التوزيع الا ما خلا عبر اعمال البر و التبرع. و يجعل الاخيران المتلقى–اى موضوع البر– فى مرتبة دنيا لا يحقق معها حلم النجاح و الثروة وحسب و انما لا يقوم من كبوته المنوالية الى ابد الابدين فيدان مجددا. و لعل ذلك يفسر كيف ان الاغلبيات المنتجة فى كل مكان تعجز عن مغالبة الحكام بل تقصر عن النشوء صاعدة ولو فى تنويعة على نفسها. بل غالبا ما يلاحظ ان منتجى الفائض و الربح ينكصون الى نظائر سابقة على انفسهم فى درجات المقياس.

و من المفيد تذكر انه فيما ناصب الغرب–الرأسمالية بتنويعاتها و اعراب الشتات الفلاحين و صدروا مسئولية انتاج الطعام الى حواف العوالم السفلية فقد توقفوا الى ذلك عن التعين على الانتاج السلعى. فقد راح الغربيون و اعراب الشتات يتفرغون:

–للمراكمة ببيع المال كسلعة

–لما يسمى اقتصاد الخدمات و قد رحلوا انتاج السلع او تعينوا على ما يسمى باعادة موضعة الانتاح و العمل Re-location of labour الى حيث علاقات العمل و الانتاج العبودية يما يسمى تصدير العمالة فى مراكز Out sourcing centres بعينها فى الهند مثلا حيث ترتفع نسبة الامية الاليكترونية و اجادة اللغة الانجليزية–الامريكية. و قد عبر ذلك السيناريو عن الذراية بالفلاحين و الحرفيين و قد قضى عليهم أو كادوا و على الصناع المهرة و غير المهرة و قد شارفوا الفصائل المنقرضة. ذلك ان الاستثمار الرأسمالي فى الانتاج السلعى و الخدمى و الاعمال الرخيصة كان قد ضمر تباعا فى المجتمعات الصناعية الغنية منذ الحرب العالمية الثانية تباعا. و راحت جيوش و مستودعات احتياطى العمل من اوربا الشرقية و الصين و الهند و البرازيل تصدر عمالة ماهرة و نصف ماهرة و فلاحين الى المجتمعات الاوربية الغربية الغنية.

و كانت تلك المجاميع حرية بان تترك–كما فعلت العمالة المهاهرة و نصف الماهرة بالهجرة الي سوق العمل الخليجي من المجتمعات العربية وغيره العربية. و تترك مجاميع الفلاحين و العمال و العمال المهرة و غير المهرة ارياف و مدن و قرى مجتمعاتهم. و لم تلبث الاخيرة ان تحلخلت تباعا فيما اكتظت مدن المجتمعات الغنية بالفلاحين و الرعاة و بالعمل المسترخص و الرخيص و غير الماهر و عمال التراحيل و العاطلين خصما على مدن المجتمعات غير الصناعية و على الارياف فى كل مكان بحثا عن النجاح و الثروة و تحقيق الحلم الامريكى.

عقلانية السوق و الاقتصاد الحر و خدامة الدولة لرأس المال:

ترغم الاستثمارت الاجنبية الدولة على خلق العمالة وتجبرها على سن التشريعات المواتية لرأس المال الاجنبى ومع ذلك ترفض تدخل الدولة فى السوق أو فى الاقتصاد. ففى خشيتها من انتشار السخط العام وعدم الاستقرار جراء العطالة تجبر الاستثمارات الاجنبية و أس المال المالي مثلا الدولة على قبول شروط المستثمرين لخلق عمالة مسترخصة و قد نزعت عن الطبقة العاملة معظم حقوقها المطلبية تباعا. و تتمثل عقلانية خلق العمالة جبرا بخصم مصلحة المستثمرين العولميين على كل من عداهم هم و الدولة القائمة فيما يسمى باقتصاد السوق الحر.

و لا يقول احد و لا يجرو احد على القول لمن تلك الحرية؟ و تمنع تلك الرساميل او الاستثمارات الاشارة الى او الحديث فى و تستبعد بل تجرم اى محاولة لتعريف مفهوم السوق الحر. وبالمقابل لا تمانع تلك الراساميل تدخل الدولة لسن القوانين العمالية خصما على العاملين و لحسابها هى و لا تعارض تدخل البنوك لضمان القطاعات الخاصة المفلسة او التى تكاد تفلس و لا ان تضخ البنوك المركزية اموالا فى السوق تيسيرا لتدفق السيولة. و رغم ان ثمة من المال فى العالم ما يغرق العالم مثل امواج المحيط الا انه حيث باتت العولمة تحكم العالم بالمال فقد بات من المألوف بل المتوقع بل المحبذ ان تستدين الدولة.

و تستدين معظم الدول الغنية ما يعادل 40% من قيمة الناتج المحلى الاجمالى لتنفق على المرافق المختلفة[218]. فقد بلغت ديون ايسلاندا مثلا فى شناء 2009 ما يعادل 16 مرة قيمة الناتج المحلي الاجمالى Gross Domestic Product الايسلندي. و قد ارتفعت نسبة خطر تجاوز هذا الخط الذى يعتبر احمرا فيما يتصل بنسبة الديون الخارجية للناتج المحلى الاجمالى بعد ازمة انهيار سوق الائتمان العقارى فى الولايات المتحدة و مشارفة مصرف نورثارن روك المالى على الافلاس.

و تستدين الدولة حتى تضخ مالا فى الاقتصاد ضمانا لاستمرار السيولة و تدفع بسياسات متناقضة مع حرية السوق و تضمير الدولة و تحريم تدخلها فى السوق تدفع الدولة بمشاريع لانقاذ اسواق المال فيما تتفاقم فيه ديون الدولة. وكان دين امريكا الخارجى قد قدر قبل حرب العراق بما يجعل كل امريكي مدين باكثر من 22 الف دولار. وقد قدرت ديون امريكا ابان تفاقم ازمة سوق الائتمان و المال الاسبوع الاول من اكتوبر 2008 ما قدر ب 9,800 ترليار دولار. و فى نفس الاسبوع كان بوش و سكرتير خزانته هنرى بولسون Henry Paulson يحاولان باستماتة تمرير حزمة او مشروع قانون لانقاذ وول ستريت عبر مجلس الشيوخ و النواب تباعا.

وقد قدر متوسط ديون الفرد الامريكى فى نفس الاسبوع ب 30% من دخله. و مع ذلك يشجع المستهلكون على الاستهلاك و هكذا فى دائرة مفرغة. و قد استدانت الحكومة البريطانية فى الاسبوع الثانى من مايو 2008 ما قدر 2.7 مليار استرلينى لتمنح ل 4 ملا يين مواطن 200 استرلينى عام 2008. و فعلت امريكا المثل حين دفع بوش الابن لكل امريكى 600 دولار فى مايو 2008 حتى يخرجوا لينفقوا فينعشوا الاقتصاد الامريكى. و قد بات على الفرد غير الغربى اللاعقلانى بالنتيجة التعين على حماية اسلوب حياة الغرب بالانخراط طوعا او ازعانا فى جيوش قومية تدافع عن مصالح فوق قومية بمعنى المراكمة الرأسمالية ما بعد الصناعية التى تتجاوز الحدود القومية و لا تعنى دولهم سوى باقل القليل من اعادة التوزيع خصما على الدولة القومية.

و فيما يتفاقم انحسار هوامش الدولة ا فى المجتمعات غير الغربية على الخصوص الا انه بات على الاخيرة الاستدانة حتى تتوفر على خلق العمالة و برامج كفالة. فمن اي جاءت لاصحاب الرساميل السريية تلك كل هذه الحكمة؟ و كيف قيض لهم التعين على تفادي كل المخاطر و المحازير فتقف بكل هذا الاقدار امام شعوب المجنمعات المضيفة؟

الباب الخامس: العقل و الايمان:

تقديم: تحكيم العقلاني و اختراق الايمان: . تعالق العقلانية و العلمانية المتخاتلتين: هل الالحاد خطر و تقدمى معا؟

ازعم ان معاصرة اعراب الشتات للمجتمعات التى كانت تستضيفهم على مر السنين قيضت لاعراب الشتات ذخيرة هامة من كل من:

-معرفة المجتمعات المضيفة

-اختراق الممحتمعات المضيفة

-تشكيل المجتمعات المضيفة على الشاكلة التى باتت بمرور الوقت قابلة لكل من الاستهداف للايحاءات الفكرية و النفسية و لمعمار لغة و خارطة اعراب الشتات الذهنية. ذلك ان طول المعاصر و العشرة و التجاور و التجارة و التبادل و بيع و شراء المال كسلعة بين هذين الطرفين الازليين كانت كلها حربة يان تضعف قدرة المجتمعات المضيفة على مواجهة غلواء اعراب الشتات وصولا الى ما يشارف التماهى مع الاخيرين كما يلاحظ بين المجتمعات الانجلوساكسونية و الانجلوامريكية المضيفة لاعراب الشتات اكثر من غيرها.

و كان اعراب الشتات حريون بدورهم بان يكتسبوا معارف و خبرات من المجتمعات المضيفة مما قيض لهم نقل تلك التجارب من مجتمع الى مجتمع تاريخى على نحو افقى ورأسي على مر الزمان. و بالمقابل فقد تعين اعراب الشتات على ادعاء تلك التجارب والمعارف لانفسهم تباعا و نكرانها على المجتمعات المضييفة فيما يقررون الاستقرار بالتنكل By Default فى تلك المجتمعات و يهيمنون عليها او-و يهرعون فارين خارجها او-و يخلقون شرط "خروجهم" تذرعا Expediently و معهم اموالهم عشية اى بادرة باندلاع الشخط الشعبى ضدهم.

و قياسا فان ضرورة تزويق الواقع كانت حرية و بقيت بها الوصف تعبر عن نفسها بوضوح كاف. ذلك ان قول الحقيقة او حتى ما يشارفها يستحيل معه استمرار احابيل الرأسمالية و الخروج من ازماتها بل التستر على اهمية التعين على حقيقة تلك الازمات بغاية خلق شرط مراكمة رأس المال المالى على الخصوص اى الرأسمالية ما بعد الصناعية الامركة-مشروع القرن الامريكى الصهيونى الجديد و الليبرالية الجديدة بوصفها عباءته التى يتلفع بها و يغطى بها عريه معا.

فقد اصبحت الرأسمالية ما بعد الصناعية و قد فقدت ملابسها و لم يعد للامبراطور ملابسا. و نناقش هذا القسم او الكتاب سفر تكوين الليبرالية الجديدة بوصفها اتصال لتقليد قديم يرجع الى اليونان فالامبراطورية الرومانية عبورا بالخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية وصولا الى ما يسمى الاكتشافات الجغرافية الكبرى و النهضة و المبدأ الانسانوى والتنوير و تباعا حتى المحافظين الجدد.

الفصل الثاني : تحكيم العقل ما بين مارتين لوثر و المسلمن العلمانوين:

ازعم ان تحكيم العقل العقلانى اى الذرائعى الانتقائى يعود الى جماعات بقيت متستر عليها و قد اخفى تأثير سرديتها و خارطها الذهنية و معمار لغتها لوقت طويل و ربما حتى الان مما يلاحظه الناس ابان الازمة المالية العالمية الماثلة منذ صيف 2007 و تباعا. و اجادل ان السفارديم و الاشكناز كانوا حريون بان يورثوا كل من انجلترا على الخصوص وربيتها ثم سيدتها الولايات المتحدة تنويعات من خصائصهم و منها التنويع الطائفى البروتستانتى البيوريتانى و غيرها من الطوائف غير الملتزمة بمؤسسية العقيدة Institutionalised Religion بوصف ذلك تنويع على عقيدة اعراب الشتات.

و تصدر عقيدة بعض اعراب الشتات عقلانيا عن ادعاء ما يشارف الالحاد تذرعا حتى يتيسر لها الذراية بكافة العقائد الاخرى كما رأينا و نرى فى تحريفهم للاسلام و المسيحية الغربية الكاثوليكية والبروتستانتية جميعا. و قياسا تتعين بعض تلك الطوائف على المثل بالديانات الاسيوية و الافريقية غير السماوية.

فهل الملحد هو الذى لا يؤمن باله الجماعة؟ ام باله جماعة يحل بينها حلولا متذرعا؟ يقول اعراب الشتات بانهم ملحدين و يقصدون بذلك الكفر بالهة المجتمع المضيف. و ثمة الملحد بمعنى الفرد الروحانى او الانسانوى الذى لا يؤمن برب مشخصن او بمؤسسة دينية يتراتب فيها الرب و الابنياء و الرسل والقديسون والاتقياء والمؤمنون.

و تصدر الروحية فى كل الاديان عن قدرة الانسان على تأمل و ادراك عظمة الخلق و روعة الطبيعة و الايمان بها. ان ذلك القدر من حب الاستطلاع عند الانسان لا يعادله سوى سحر الطبيعة والكون و ما هو عليه مما هو اخاذ و أبعث على الرهبة. و قد يفسر بذلك بعض ابعاد الايمان و الدافع الى الايمان بين البشر.

المسلمون و اليهود و المسيحيون العلمانيون:

يعتقد ان ليس ثمة لقاء بين العلمانيين– كون الاخيرين ملحدين–و المؤمنين الا ان كثير من العلماء العلمانيين يؤمن بشئ ما. و يقول البعض ان علماء الجينات يستحيل عليهم رؤية شئ اخر غير ما يرون الا ان فرانسيس كولينز عالم الجينات يؤكد أن وقع خطوات قوة كبرى و عليا يعبر عن نفسه فى علم الجينات و فى السائل الحمضى الخ. و ينتشر ذلك الاعتقاد فى امريكا بين من يسمون بالمؤمنين الداروينيين الحداثيين. و مع ذلك فان الايمان يبقى مسألة فكرية لا يستحب طرحها بين اؤلئك العلماء العلمانيين.

و هناك خطر فى انه ان فقدت العقيدة او الدين فانك تجد نفسك مدفوع للاعتماد على ثقافة اليوم او الثقافة المعاصرة فى المجتمع المعين فى عراء الايمان و يقينه.

تعالق العقلانية و العلمانية المتخاتلتين: هل الالحاد خطر و تقدمى معا؟

قال وليام بليك وفلاسفة يونان و خرز من قبله أن التجديف يحرر الانسان من الاحساس بالخضوع لسلطة عليا. و ان ذلك يفتح فضاءات واسعة على قدرات جديدة و امكانات امام الفرد.

كان جون همفريز John Humphreys مقدم برنامج على البى بى سى قد سأل الدكتور روان ويليامز كبير اساقفة كانتيربيرى هل يؤمن بان هناك رب ام انه يعلم انه هناك؟ و رد الاخير بان المعرفة تأت من العلاقة التى تتمأسس على الوقت و التواصل[219]. و ليس الايمان هو المعرفة التى تصدر عن مدركات موضوعية حقيقية. و اردف ان الرب او الله هو الضمير الاعلى الرحيم وهو المحبة وهو العليم وهو الحقيقة. فسأل جون همفريز لماذا اذن كل هذه الكوارث و لماذا كل هذا العذاب الانسانى؟ هل الارادة الحرة تفسر كيف ان المرء يملك ارادة و الضحية لا تملك ارادة و الطفل لا يملك ارادة فيما يحدث لهما؟

قال القس لقد خلق الله العالم بافراد يملكون ارادة واعية. فسأل جون همفريز اذا آمنا او قبلنا بحرية الارادة فلماذا يصلى و يتعبد الناس؟ فرد القس يصلى الناس و يتعبدون لان الله ينبغى ان يمجد و يذكر او لان الناس فى حالة يأس من ظروف يومون الفكاك منها بالمعجزة. و يصلى المسيحيون المتشددون لله فى عز الكارثة يحمدونه على ما اعطى. و سأل المذيع لماذا يؤمن الانسان؟ قال القس يؤمن الانسان لانه يرغب فى الرضى الذى يتمتع به المؤمن و من اجل ان يفهم ما يحدث فى العالم. يبدو ان الايمان نعمة او منحة من الله يمنحها من يشاء. فاين حرية الارادة؟

ان السؤال او التحدى هو الصمت امام علامة استفهام كبيرة. ان العذاب ليس نهاية الامر و ليس الفقد هو كل ما يحدث. ذلك ان الله يمنح الناس الامل فى البراء و فى الجزاء اما فى الحياة الدنيا او الاخرة. فقد جعل الله العالم بحيث انه اذا حلت احداث بعينها و الى الشروط التى تحدث بها فان الرب يبقى هو فى كل ذلك الوكالة التى تتعين على احلال الفرج بل المعجزة فى مكان و ليس فى مكان اخر. ويمنح الدين الايمان. و الايمان ينمو بالصلاة و يتمتع المؤمن بالرضى لانه ينتمى لتلك العلاقة و ليس للمؤمن سوى ان يؤمن لانه ليس له سوى الامل فى عدالة الرب و العالم. و يقول اخرون لو لم تكن الاديان لما كانت تلك الكوارث و اذا لم تكن الاديان لتفادى العالم الكوارث. و يقول الدكتور وليامز ان هناك اسباب اخرى مثل التفرقة العنصرية و الصراع الطبقى. و فى القس روان ويليامز شئ من الحلاج و لعلهم يرجمونه يوما. و قد اندلعت عاصفة كادت تودى به فى الاسبوع الثانى من فبراير 2008 و بمنصبه جميعا مما كتبت فيه بالصحف العربية[220].

الحلاج و سقراط و شيكسبير و مشارفة التجديف:

ولد الحسين بن منصور الحلاج فى قرية تابعة لبلدة البيضاء الفارسية عام 244 هجرية–858 ميلادية و توفى عام 922 اعداما و احرقت رفاته و ذر رماده. و كان الحلاج معاصرا لكل من الرواندى و الجاحظ و ابن سينا و التوحيدى و ابى نواس و ابن الرومى و المتنبئ و الصاحب ابن عباد و المعرى و الرازى. و يلاحظ ان الاخيرين هم خيرة من عرف من المبدعين على زمانهم و ان احدا غيرهم من يعرف او عرف بصورة باهتة. المهم كان الحلاج اعمق فكرا من الانطاكى و اغزر علما و صرامة من الغزالى. ويعتبر ابو المغيث حسين منصور الحلاج 858–922 سيد الصوفيين و قد تأثر مثل ابن حنبل 789–855– و غيرهما من فلاسفة العباسيين بالفلاسفة اليونان. و ازعم ان الحلاج كان يشبه المسيح من حيث نزوعه نحو الموت و فى تقمصه ما يشارف ادعاء او ما اتهم به من انه يدعى تمثيل الله او صفاته مثل قوله "انا الحق" و "ارى الله فى هذه العباءة".

و قد نشأ الحلاج بالعراق التى بقى مسكون بها يعود اليها فى كل مرة من اسفاره الطويل والكثيرة من الهند والاهواز و فارس. و كان احد اباء المتصوفة الاسلاميين الاوائل–و كان يعتبر "المنطق زهدا عقليا"–قد رأى فى "الصور الحسية و الصيغ المبتدعة" معا ما قد يفسر ولو تبسيطيا كيف كان يهتف الحلاج "انا الحق" مما اوقعه تحت الريبة فالاتهام بالهرطقة.

و كان قد درس علوم الدين و سلك التصوف على يدى مشايخ معروفين الا ان معظمهم ما انفك ان انكره وقبله بعضهم و من بينهم ابو العباس ابن عطا و ابو عبد الله محمد خفيف.

و رغم ان من اقواله " ان الالهية تمتزج بالبشرية او ان البشرية بالالهية"[221] الا ان السلطة القائمة القت القبض عليه بتهمة الهرطقة و لم تلبث ان اعدمته. فقد نسب اليه قوله "إن الإنسان إذا أراد الحج، أفرد في داره بيتاً، وطاف به أيام الموسم، ثم جمع ثلاثين يتيماً، وكساهم قميصاً قميصاً، وعمل لهم طعاماً طيباً، فأطعمهم وخدمهم وكساهم، وأعطى لكل واحدٍ سبعة دراهم أو ثلاثة، فإذا فعل ذلك ، قام له ذلك مقام الحج"فأحل دمه القاضي أبو عمر محمد بن يوسف المالكي. و أُقيمت عليه البينة الشرعية ، وقتل مرتداً سنة 309 هجرية[222].

و كانت بغداد رغم ازدهارها و عظمتها تمر كما فعلت على مر الخلافة العباسية بازمات و اضطرابات مما دفع السلطة للخشية من الحلاج فى زمان المتكلمين و نظائرهم. فقد انتشرت الانتفاضات الشعبية. و قد تعاصرت حركة الحلاج ان صح التعبير و ثورة البدو العربان والاكراد و ثورة البابيكا فى 817–838 و ثورة القرامطة فى 877 و هجمات الزط–غجر الهند–على المدن العباسية حتى سنة 1220 كما ذكرنا. و كانت ثورة الزنج فى 869–993 قد خلقت شرط نشوء دولة خارج الخلافة. فقد اتصل مجتمع الزنج مستقلا عن بغداد لاكثر من 10 سنوات. و كانت ثورة الزنج ثورة شعبية عبرت عن السخط على التمايز الطبقى بين السادة و العبيد وحاولت شكلا من الاشتراكية. هذا و كانت الخلافة قد تعرضت لحصار من قبل مقدونيا فى منتصف القرن السابع و للصليبيات الاولى فى بداية القرن الحادي عشر و لانتفاضات فى جبل لبنان.

و كان ذلك حريا بان يهدد الخلافة العباسية فخلق شرطا مشابها لما حاق باثينا ابان حربها مع اسبارطا مما كان من شأنه ان يفاقم ضيق السلطة بالمعارضين و عدم تسامحها. و قد تعلم اسلاف الخوارج و المعتزلة–غير العرب و المسلمين–و اعراب الشتات بداءة–من كل تلك التجارب مع الحركات و الانتقاضات الشعبية وعاصروها و خلقوا شرط اندلاعها على مر السنين. فقد تصاحب الانتفاضات الشعبية التاريخية مثل ثورة الزنج و البابيك الخ–بغض النظر عما يرأه بعض المفكرين و المؤرخين فى الوقت الحاضر–و ثورات مشبوهة مثل هجمات غجر الهند المنوالية و–أو حروب الخلافة مع خصوم غامضين و موجات هجمات الزط–غجر الهند–الى جحافل الخزر و غيرهم على مشارف مدن و اطراف الخلافة على مر قرن.

وازعم ان ذلك المناخ كان حريا بان يخلق ما يمكن مضاهاته بكل من:

–لجوء السلطة القائمة فى كل مكان الى تكريس استباق السخط الشعبى باجراءات وقائية لتسويغ سن قوانين و خلق قوات لمواجهة تلك الانتفاضات.

–احلال الفوات المذكورة مكان قوات الشرطة و الجيش ان امكن بغاية توحيد تنويعة القمع. فقد ضربت قوات الاحتلال الجيش و الشرطة العراقية لتحل مكانها قوات مدربة امريكيا. و يلاحظ الناس تنويع ذلك الاستباق غى تدريب قوات الامن فى كل مكان على حرب عصابات المدن. و من المفيد تذكر ان الولايات المتحدة و بريطانيا خاصة تتعينان على تدريب القوات فى الضفة الغربية–و يشرف الحنرال دايتون على تشكيل و تدريب القوات الفلسطينية الامنية–و العراق و افغانستان و مصر و سيريلانكا و معظم الدول الافريقية تحت راية افريكوم Africom و قوات مكافحة الشغب و الانتشار السريع و نظائر الاخيرة بوصفها قوات تابعة لما يسمى المجتمع الدولي و هى فى الواقع قوات مارينز امريكية مهجنة ان صح التعبير اقارة لافريقية مثلا [223] و غيرها عبورا بكامبوتشيا–كامبوديا على ايام الخمير الحمر و وصولا الى اليمن مع تغيير فى الاسم و حسب.

–خلق شرط نشوء مناخ الفوضى المنظمة فكريا و تنظيميا مما يلاحظه الناس فى كل مكان على مر التاريخ وصولا الى تداعيات الازمة المالية الماثلة منذ صيف 2007 و تباعا.

هذا و قياسا ففيما لا اميل الى ما يدعيه بعض الكتاب و المؤرخين العرب بان استقطاب الناس ما بين خطاب السلطة و القمع كان قمينا بان يخلق شرط ضيق الدولة بمعارضيها اجادل ان بعض المؤرخين العرب و المسلمين يميولون الى اسقاط نماذج حكامنا الحاليين على كافة الحكام. و حيث يقول البعض ان المعتزلة و من عاصر من تنويعاتهم الخلافة العباسية لا يميلون الى العنف. الا اننى ازعم ان المعتزلة كانوا بتركون العنف و الثورات المضادة للخوارج و احيانا للشيعة. اي حيث يقول البعض ان المعتزلة و تنويعاتهم لم تكن تميل الى الثورة الا اننى ازعم انهم كانوا يوكلون ذلك للخوارج و لجماعات مشبوهة غير معرفة مثلما يوكل اعراب الشتات التبشير فى الناس–مدعين انهم لا يبشرون بدينهم هم فى غيرهم– و كما يترك الاخيرون الثورة المضادة ايضا– للافانجليين الانجلو امريكان الجدد او اليسوعوقراط.

هذا و اجادل أن تطير السلطة العباسية من توفر اى فضاء لمن عداها لم يكن مما انتجته السلطة بحد ذاتها. و ازعم ان ذلك التطير كان وظيفة الخطاب و الاجندة اللذان كانت بعض طوائف الخوارج و المعتزلة و الاشاعرة و تنويعاتهم قد مفصلته. و قد عاد ذلك الخطاب و تلك الاجندة عليهم هم دون سواهم بمصالح خصما على مصلحة السلطة العباسية بخاصة المتأخر من السطة العباسية. و الا كيف يقول المأمون–و قد وافته المنية و انقشعت عن بصيرته غمامة التخاتل المعتزلي–فى وصيته للمعتصم "لا تغفل الرعية , الرعية , الرعية العوام , العوام فان الملك بهم و بتعهدك المسلمين و المنفعة لهم الله , الله فيهم و فى غيرهم من المسلمين. و لا يتعين لك امر فيه صلاح المسلمين و منفعه لهم الا قدمته و آثرته على غيره من هواك. خذ من اقويائهم لضعفائهم و لا تحمل عليهم فى شئ و انصف بعضهم من بعض بالحق و قربهم .... و اعمل فى ذلك مقدم النية فيه , راجيا ثواب الله عليه"[224].

وازعم ان السلطة العباسية لم تكن تحكم الا بالوكالة مثل وكالة حكامنا نيابة عن اسياد بقوا عبر التاريخ متستر عليهم لان اؤلئك الاسياد يكتبون التاريخ ويتواطأ معهم تلاميذ تجباء فى التخاتل و تزييف التاريخ الرسمى خصما على كل من التاريخ الشعبى و الخطاب البديل. فقد كانت السلطة العباسية بالاحرى هى التى باتت موضوعا لحصار فكر و تنظيم جماعات احاطت بها فاسلمتها للميل نحو القمع. و الواقع ان الخليفة منذ الرشيد الى بداية عهد المتوكل لم يكن يملك من امر نفسه شيئا الا بقدر ما كان رمزا بل كان بعضهم يعزل فى سامراء او–و يقمع فلا يسمع له صوت. فرغم ما تبدى من ازدهار الخلافة و انتشار الثقافة و الفن و الفلسفة الخ الا ان ذلك لم يكن تعبير عن سماحة سلطوية فكرية بل العكس.

و ليس غريبا تساوق الازدهار المادى و غير المادى و عصاب الشرائح السلطوية المتسترة على وجودها ممن تخشى منه على نفسها. و لقد رأينا مثلا ان عصر اليزابيث الاولى–و يسمى بالعصر التيودرى Tudor Age نسبة الى سلطة ال

تيودر الاسراتية–كان زاهرا و كان انجلترا قد اخضعت خصومها–الفرنسيين و الاسبان–و دفعت الدولة ديونها وانتشرت مظاهر الثراء و الدعة و راح الاثياء يتباهون بثرائهم و يتباهون به معلنا فى اللباس و العقار و اقتناء اللوحات الفنية الخ فسمى عهد اليزابيث الاولى بالعصر الذهبى لانجلترا. ورغم ما جاءت به الاكتشافات الكبرى للعالم الجديد و شركات الهند الشرقية الا ان عامة الناس لم يكونوا يتشاركون تلك الثروات بل العكس اشتد بالناس الضيم و عمت امية رجال الدين و عامة الناس جميعا ناهيك عما حاق بشعوب العالم الجديد المكتشفة و لم تكن راغبة فى ان تكتشف.

فقد تدفقت الاموال من العالم الجديد وقيضت المضاربة فى الاسواق عصرا غير مسبوق حتى لكأن العصر التيودرى وهو اللا حق للفيكتوري تنويع باكر على فقاعة العشرية الاخيرة من القرن العشرين و الاولى من الالفية الثالثة. الا ان العهد الليزابيثى المذكور كان عهدا قمعيا مع ذلك صمتت فيه اصوات اكبر المبدعين مثل شيكسبير حيث تخلى شيكسبير عن الكتابة 1610 و اكتفى بمزاولة الاعمال و صمت جميع كتاب و مفكرى زمانه معه كما ذكرنا فى مكان اخر. فقد كان جورج ابوت George Abbot كبير اساقفة كانتيربى بمثابة قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد من حيث ان جورج ابوت راح يشدد الخناق على الكاثوليك و كل من كان يختلف مع عقيدة العرش البروتستانتية الخارجة على البابوية كما كان قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد يفعل ابان الخلافة العباسية الرشيدية الاسراتية مع كل من يخالف فكر الخوارج الخ. وربما امكن قياس تلك الحالة بما الت اليه اثنيا ابان حروبها مع اسبارطا و غير ذلك مما يحقل التاريخ به.

و ازعم ان هذه الحالة ليست استثنائية فى تعريف السلطة فى اى زمان و مكان كما انه ليس ثمة ما يمنع من ان تقف جماعات و مصالح وراء العروش و الخلافات لا تنى تحقق مصالحها خصما على العروش و الخلافات الماثلة مما تحاول هذه الدراسه اثباته كواحد من فرضياتها المحورية. و ازعم ان الحلاج كان تنويع على–و بدرجة ما على شكسبير و مارلو واقرانهم على العهد التيودري. فقد كان قول الحلاج قد دفع الى تكفيره فى وقت كانت فيه بغداد تعانى بدورها مثلما كانت اثينا تعانى من تهديد و اضطرابات مما يدفعها للخشية من مغبة مزيد من الانقسامات الفكرية و الدينية. و من المرجح ان سقراط حدف بحق الهة اليونان–مثلما بفعل عراب الشتات بالهة المجتمعات المضيفة مما يلاحظه الناس فى كل مكان من اختراقهم للمسيحية الغربية و للاسلام و ذرياتهم بهما–فبات خطرا على الشباب و المجتمع.

و قد أعدم الحلاج فى بغداد–و كانت حاضرة العالم اجمع و كانت الثقافة الاسلامية على قمة الثقافات و ازدهارها–بقطع اطرافه ثم رأسه فاحراقه و ذر رماده فى نهر دجلة عام 309 هجرية[225]. و قد ترك تصوف الحلاج و فكره اثرا عميقا فى الثقافة العربية والايرانية و التركية و الهندية وحتى الغربية اليوم على الخصوص حيث ينتشر ولع الغربيين من الطبقات الوسيطة بالصوفية. و قد بقى الحلاج رمزا نضاليا للمثقفين الشرفاء العرب و المسلمين على مر السنين حتى اليوم.

الفصل الثالث: تنويعات عقلانية بامتياز : الحلاج و المحافظين الجدد:

يصعب كثيرا اتهام المعتزلة بمصادرة من عداهم بصورة مطلقة. الا انه من المحير كيف ان احدا غيرهم لم يبرز بالقدر الكافى على زمانهم. هل كان ثمة علماء و مفكرين و مؤرخين و حتى شعراء غيرهم؟ و لماذا لم يكن؟ هذه اسئلة تحتاج الى بحوث و الى باحثين و الى عودة الى قرائة التاريخ بصورة مختلفة. و يلاحظ الناس فى كل مكان كيف يصارد المحافظون الجدد و الليبر اليون الجدد من عداهم و يصدرون بشأنهم احكاما با لاعدام المدنى رغم ثورة المعلومات التى باتت تقيض مع ذلك على كوى يطل منها خصوم المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد رغم انف الاخيرين. و ليس ذلك وحسب بل ان المحافظين الجدد تعينوا على اغتيال و تهجير و تشريد او–و استقطاب العلماء العرب و المسلمين. فقد كان ثالث شرط يطالب العراق بالازعان لقوات ما سمى بالتحالف تسليم العلماء العراقيين كما ذكرنا فى مكان اخر.

و بالمقابل فلم يكن زمان الخوارج و المعتزلة و نظائرهم الغربيين يقيض كوى مماثلة مما قد يدفع الى الاعتقاد بان ثمة مبدعين فى كل مجال على زمان الاخيرين الا ان احدا قد لا يسمع انهم . فقد اضطر شيكسبير الى اخفاء كاثوليكيته امام هجمة بعض الطوائف البروتستانتية و هكذا و الا ما سمعنا عنه. و ما يبرح البعض يشكك فى ان وليام شيكسبير كتب ما

كتب وان كتب مسرحيات شيكسبيراخرون و ان تلك الشخصية لا وجود لها اصلا. كل ذلك لان شيكسبير تجاسر و كتب فى البندقية و الصيارفة و فى المرابين و لم يعدم ان انصف العرب فى شخص عطيل الذى وصفه بالمغربى. وقد احتكر المعتزلة و نظائرهم دار الحكمة التى انشأها المأمون بمعرفتهم ربما و غالبا من اجلهم–و كانت لهم الغلبة على المأمون نفسه. فقد باتت دار الحكمة بمثابة مركز ابحاث استراتيجية غايتها تكريس الهيمنة الفكرية ومن ثم الاقتصادية المالية الربوية لجماعات بعينها من فلاسفة و مفكرين و شعراء و متصوفة من المعتزلة و نظائرم خصما على من عداهم.
و كانت دار الحكمة تخصصت فى ترجمة الفلسفة اليونانية و نشر الثقافة اليونانية بين العلماء[226],وهذا و يذكرك الحلاج بنظائر مثل احمد ابن حنبل و جاللليو و جوردانو برونو و شيكسبير و غيرهم. فقد كانت الخلافة العباسية على اوخر ايامها مثلها مثل ما يسمى بعصر النهضة العليا. فمثلما كانت الاخيرة متمأسسة فوق البابوية كانت الثقافة العباسية الزاهرة تتمأسس فوق الخلافة. و كانت كلتاهما تعبر عن عصور زاهرة مرة. و قد تتحكم فيها جماعات تكرس سلطة قمعية تشارف الحكومات البوليسية مرة اخرى.
فقد كان الخليفة يخير الناس بين خلق القرآن من ناحية و بين الكفر مثلما وقع للحلاج و ابن حنبل من ناحية اخرى على يدى قاضى المعتزلة الاكبر ابن ابي داوود. و يقول على شبكة المعلومات "وكان الامر قد انتهى إلى المأمون العباسي الذي زين له بشر المريسي الاعتزال فاعتنقه ، كما قرب منه ثمامة بن أشرس حتى أصبح لا يبرم أمرا دونه، بل إنه أصبح يرشح له وزراءه، فرشح له أحمد بن أبي خالد ثم من بعده يحيى بن أكثم، وعن طريقه تعرف المأمون بأحمد بن أبي دؤاد أحد رؤوس بدعة الاعتزال في عصره، وقد صار أحمد هذا رأسا في فتنة خلق القرآن وقاضيا للقضاة في عهد المعتصم".
ويستطرد المصدر اعلاه "كان المأمون في أول أمره بين اتجاهين: أولهما إظهار الاعتزال علنا، وكان يشجعه على ذلك ثمامة وأحمد بن أبي دؤاد حتى إنه كاد أن يأمر بلعن معاوية على المنابر إلا أن يحيى بن أكثم قاضيه ويزيد بن هارون وزيره كانا يمنعانه من هذا حتى مات يزيد بن هارون، وعزل يحيى بن أكثم عن منصبه، فخلا الجو لثمامة وأحمد بن أبي دؤاد، فأظهر المأمون بدعة الاعتزال، وحمل الناس عليها، فكانت المحنة التي أطلق عليها محنة خلق القرآن. وقد بدأت فتنة خلق القرآن في عهد المأمون عام 218هـ"[227]. و كان المعتزل قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد مستشار المأمون و الواثق و المعتصم على التوالى. و كان الخليفة المأمون بايعاذ من ابن ابي دوود يخير الناس بين خلق القرآن من ناحية و بين الكفر مثلما وقع للحلاج و ابن حنبل كان قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد اشد المناوئين لاحمد ابن حنبل و كان وراء تغريب احمد ابن حنبل و تعذيبه.

و قياسا كان المسيحي يخير بين العرش و بين ربه ابان عهد اليزابيث الاولى.ثم على عهد النهضة و ثمة تنويعات على القاضي ان ابى داوود فى الكاثوليكية. و كان جورج ابوت George Abbot كبير اساقفة كانتيربى اى رئيس الكنيسة الانجلية الانجليزية على عهد الملكة اليزابيث الاولى بمثابة قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد من حيث ان الاول كان يأخذ بخناق الكاثوليك مما تذكره في مكان اخر. و قد انعكس القهر السياسي و الدينى على الفن و العلوم و الفلسفة مما قد يفسر كيف و لماذا كانت لوحات ليواردو دافنشى مليئة بالاسرار و كانت مؤلفات شيكبير حافلة بالرموز و التوريات و الايماءات,

و يكشف دان براون Dan Brown فى كتابه الموسوم "شفرة دافينشى" The Da Vinci Codeو كلير اشكويث Claire Asquith فى كتابها "تمثيليات غامضة Shadowy Plays: The Hidden Beliefs and Coded Politics of William Shakespeare[228]. يكشفان كيف حاول فنانو وكتاب تلك العهود التحايل على زمانهم باللف حول التعقب والمصادرة و الكف. و يقول دان براون فى روايتة المذكورة و قد باتت واسعة الانتشار و قد جعلها بحيث تبدو و كأنها

تاريخية أن اسرار دفينة مكودة–من الكود–coded secrets–ضمنت فى تفاصيل معينة فى لوحات فنية من لوحة العشاء الاخير الى المونا ليزا أو الجيوكاندا و مادونا الصخور The Madonna of the Rock[229].

و تبدو تلك التفاصيل فى شفرة دافينشى وغيرها من الكتابات السابقة عليها و كانها قد لا تؤدى الى شئ الا انها ما تبرح تثير مزيدا من الغموض حول سيرة المسيحية الغربية و دور شخصيات بعينها مما يبقى غير قابل للالتقاط و كأنه العنقاء[230]. و من المفيد تذكر ان النهضة العليا كانت كما ذكرنا فى مكان اخر محاصرة بالاسلام المشرقى والمغربى و كانت قد منيت بالحركات العاصية وانتشار الطوائف المنشقة على الكنيسة الكاثوليكية و كانت الاخيرة الحاكمة بامرها و كان بعض البابوات من اغنى رجال العالم. و من ناحية اخرى فقد وصفت كلير اشكويث وغيرها عصر اليزابيث الاولى باول دولة بوليصية حديثة فى تاريخ انجلترا. و مما فاقم تعسف السلطة محاصرة انجلترا من الخارج من كل من اسكتلندا و من اسبانيا.

و من المفيد تذكر ان اسكتلندا لم تكن يوما مستعمرة داخلية لانجلترا مثلما الحال مع ويلز و ايرلندا الشمالية والجنوبية من قبل ان تتشوها. و الوقع ان اسكتلندا كانت من اكبر الدول المستعمرة–بكسر الميم–و كان لها مستعمرات فى العالم الجديد و منها نوفاشكوتا او اسكتلندا الجديدة فى كندا. و اسكتلندا غنية بنفط بحر الشمال و قد انجبت اسكتلندا معظم الفلاسفة و المفكرين و الكتاب و الشعراء البريطانيين مثل ديفيد هيوم و ادم سميث و بيرنارد شو و كيتس Keats وبيتس Years و كارالايل Carlisle و ديفيد هيوم Hume.

و يحكم اليوم بريطانيا اسكتلنديين و اعراب الشتات. وقد تعين تاريخ الانجليز و حلفائهم اعراب الشتات و اعضاء اوليجاركية البندقية على انجاب مغامرين و قراصنة و شذاذ افاق ما وراء البحار امثال اعضاء شركات الهند الشرقية بوصف ان الانجلو ساككسون احفاد الفايكينح بدو البحر القراصنة. وقد بقى الاخيرون يستقرون فوق عروش اوربا خصما على البابوية و على الكنيسة الكاثوليكية و لحساب الحركات و الطوائف العاصية.

المهم فورا كان عهد اليزابيث الاولى يواجه الى ذلك حركات شعبية واسعة الانتشار حول العرش و الكنيسة الانجيلية الوليدة التى كان ابوها هنرى الثامن–قد بادر بها كما ذكرنا فى مان اخر. و قد تفاقم الاضطهاد مع وصول جورج ابوت George Abbot الى منصب كبير اساقفة كانتيربى. و كان الاخير بمثابة القاضى ابن ابى داوود. فقد راح جورج ابوت يشدد الخناق على الكاثوليك كما كان القاضى ابن ابى داوود يفعل مع كل من يخالف فكر الخوارج الخ. و يعتقد ان تخلى شيكسبير عن الكتابة 1610 و مزاولة الاعمال بالمقابل يرجع الى ذلك الوقت و كذا صمت جميع كتاب و مفكرى معارضة البروتستانتية الرسمية. ذلك انه عندما سقط جورج ابوت فى 1623 عاد جميع الكتاب و المفكرين للانتاج مجددا. و قد نشرت اعمال كانت قد بقيت مؤجلة بما فيها بعض مؤلفات شيكسبير[231]. وثمة تنويعات على جورج ابوت فى كل مكان وزمان وصولا الى المحافظين الجدد

بوش و موسى ابن اسيا بنت مزاحم:

يتوعد جورج ووكر بوش أعداء امريكا بالموت الزؤام باسم الامة الامريكية "المباركة" فى خطاب الامة امام مجلسى النواب و الشيوخ الثلاثاء 28 يناير 2003. و يتحدث الرب الى بوش فبوش من محفل الاوليمبيين او الماسونيين اللذين الفوا قادة و جنرالات و حكام الامريكان منذ جورج ووشنجتون مثلما الف ابطال العبريين بنى اسرائيل محفلا مقفلا علي انبياء و احبار و اسباط الطوائف اليهودية الهرطاقة بوصفهم "طبقة الشعب" الالتى تراكم بالنهب على عامة اليهود و عامة غير اليهود جميعا. و يجأر جورج ووكر بوش بان من ليس معنا فهو عدونا فيصم اعدائه بالعداء للرب بوصف ان الرب فى صف بوش و مع جنوده مثلما لعن الرب مخالفى يشوع او موسى فوق جبل سيناء و اوقع بخصومهم كوارث باسم الرب. و قياسا يتهدد موسى المتخلفين عن اداء الضرائب بان يفشى فيهم الاوبئة ويسلط عليهم الطواعين ف"يتخرمهم الموت الزؤام". و قد نصب موسى نفسه صوت يهوة و وضع خلافته فى بيت هارون اخاه و الاحرى فى بيت يشوع عبده[232]. و

لا يزيد وصول جورج ووكر بوش للرئاسة تعسفا و تزويرا عن جمهورية موسى و هارون الرئاسية الوراثية و قد افسد موسى قول الرب كما افسد بوش العملية الديمقراطية. و حيث استدعى الامريكان أرض الميعاد فى العالم الجديد ما ينفك بوش يخصخص المسيح من البنتاجون اوالبيت الابيض مثلما كان موسى قد خصص الرب لآل بيته و اخيه هرون بفتوى من فوق جبل سيناء. وقد طلب موسى من الرب ان يعطيه شعبا طيعا و افضل من الشعب اليهودى الذى خرج معه من ميصراما.

و ماينفك بوش الابن يحاول تطويع الشعوب قاطبة بالدمقرطة من فوق الدبابة ابراهام 68 و كان الشعب الامريكى قد طوع بمدرسة علم نفس الفرويدية الجديدة وو ياشاعة البهجة الكاذبة والتفاؤل بلا اساس و بالديون فلا يترك لهم فضاءا للتفكير فى شئ اخر غير التعين على دفع فواتيهم ناهيك عن التنظيم فى مواجهة دولة باتت تشارف الدول البوليسية. و ما ينفك المحافظون الجدد يصمون عقلانيا الشعوب عقلانيا بالتخلف العقلى.

مصادرة العقلانية الغربية للعقل غير الغربى و كل ما لا يتفق و فرضيات الغرب:

حيث ان لا سبيل الى تعريف العقل فقد راحت العقلانية الغربية وبخاصة العقلانية الجديدة تجأر عنصريا بان العقل الغربى–و قد بات معيار لما عداه–معيار ما عداه. ويقول البعض ان ليس ثمة اساس علمى للتفرقة العنصرية و ان العنصرية مفهوم سياسى. و قياسا فلا سبيل الى تعريف الذكاء بيولوجيا. و يجأر أحد الباحثين ان البريطانيين يزدادون ذكاءا على مر السنين. و يقول اخر انه ان طبقت اختبارات الذكاء القائمة اليوم على شعوب القرن السابع عشر لوجدت انهم كانوا اقرب الى البلهاء. ان المواقف الافتراضية و المنطق و التركيز على المنطق يقود الى اعتبار اختبار الذكاء عبارة عن افتراض تجريدي. و يقول الغرب ان اهم شئ هو تجريد كل شئ. و قد بات عقل الاوربيين اقل انفساحا.

و كان العلماء اللذين وضعوا اختبار الذكاء هم انفسهم صفوة فجردوا الاختبار تجريدا. و يمكن القول بان الجندى اليوم اكثر قدرة قتالية عن نظيره فى الحرب العالمية الاولى او حتى الثانية. الا ان ذلك لا يعود الى شجاعة الاول و انما الى تطور تكنولوجيا القتال. و قد باتت الاخيرة بحيث يمكن قتل اعداد اكبر بخاصة من المدنيين دون خسائر بين الجنود. و كان عالم المانى قام فى ديسمبر 2007 باختبار ذكاء طفل شامبانزى فكانت النتيجة ان فاقت ذاكرة الاخير قدرة الادميين على تذكر مواقع ارقام خلطت فباتت بغير ترتيب على الاطلاق على سبورة بعد محو الارقام من على السبورة. و لعل ذلك لا يعنى أن القرد اكثر ذكاءا من الانسان باطلاق الحكم.

عقلانية التحليل النفسى و اعتقال العقل:

مهما كان الجدل حول قياس العقل الغربى و العربى فان حقيقة ان الاول اقلية لا يجعله معيارا لعقول اغلبيات سكان العالم و الا صادقنا على العنصرية العلمية Scientific Racism تلك. و يقول جيمس ديوى واتسون Professor Jams Dewey Watson احد مكتشفى الحامض النووى و الحاصل على جائزة نوبيل فى 1962– رغم انه ليس متخصصا فى قضايا الانواع و الاعراق–ان الافارقة اقل ذكاءا من الاوربيين الغربيين. و قال كينجزلى ايماس Kingly Emus ان المسلمين عنيفون و ان الاسلام فاشى و ينبغى مواجهة الاسلام بما ووجهت به النازية و المسلمين–بوصفهم فاشيين–بما و وجه به النازيون. و رغم ان فيكتور هيجو و القديس اغسطين ويقال ان بيتهوفن و الشاعر الروسى بوشكين كانوا افريقيين او–و من دم افريقى فان احدا لا يذكر ذلك فى وصف اى منهم. و كانت اوربا قد بيضت الحضارة الوادى نيلية الافريقية بجعلها بطلمية و–او هيكسوسية مجهولة الاصل تيسيرا لالحاقها بالحضارة الغربية ان وجد شئ بهذا الاسم.

هذا و هل العقل آلية منتهية او مفهوم مطلق خارج المجتمع و فوق الطبيعة و الطبيعى و الزمان و المكان فى و قت واحد؟ و اذا كان العقل حصيلة الزمان والمكان و الانسانية فكيف يكون العقل الغربى خارج الزمان والمجتمع و فوق الانسانية و الطبيعة والطبيعى؟ و كيف يصلح نتاج مثل ذلك العقل لكل زمان و مكان خصما على ازمنة و قضاءات غير

الغربى؟ الا يغدو حريا و الامر كذلك بغير الغربى ان يبدأ فى اعادة النظر فى و من ثم الاعتداد بما بقى فى حساب "المجاهيل" من المعارف مما يدرك خارج و سابق على "العلم" الاوربى الغربى؟

لا معنى للرد على الاسئلة اعلاه الا بقدر تفكيك مفصلة ما هو متضمن فى مفهوم العلم نفسه. ذلك ان الفكاك من الارتهان بعلم انتقائى عقلانى ذرائعى و نفعى هو البحث عن و العثور على المجاهيل التى قصد استبعادها عن جسم العلم المعرفى الانتقائى خصما على اصحاب التواريخ و الذواكر و الحضارات غير الغربية . فقد كان تصور ان ما يسمى "علما" قد تخلص من رواسب "العلم" السابق على العلم Pre-Science او حتى من الميثولوجيا–Mythologia – الاسطورة Myth بحيث ينتج علما فائق على المثيولوجيا و على الاسطورة. فمتى تخلص العلم الغربى من الاسطورة؟ بل حتى من انصاف الحقائق؟

اسطورة عقلانية العلم الغربى:

يعود معنى الاسطورة الاصلى الى الرواية. و تصنع الاسطورة او الرواية الخيالية من حاصل جمع جملة حقائق متكاذبة او حقيقية غير قابلة للنفى و جملة وقائق متحكم فيها. و من المشوق أن المفهوم هو ان اخرين غير "مؤلفي" الاسطورة او ناسجيها الاصليين غالبا ما يستحوذون عليها و يضيفون اليها و يدفعونها الى حيث يريدون منها. و كانت الاسطورة دائما قابلة لان تغدو تعبير عن او تشارف "كبسولة" تحتوى على الحقيقة الافتراضية بشأن الحالة الانسانية. و قد قال تايبيريسياس–و كان يعرف الحقيقة–ان اوديب قتل اباه و تزوج امه و انجب منها اخوة له لان اوديب كان مدفوعا بقدره الخاص الى ذلك.

وحيث ان القدر مسئول عن مصير اوديب الذى تنبأت العرافة به و بما يحدث له الا ان الالهة هى المسئولة عن ذلك. و عندما تدرك ام اوديب انها تضاجع ابنها ينتابها الاحساس بالذنب الذى بقى معها يوم ان حاولت التخلص منه و هو الابن الغالى عليها بصورة لا تطاق. و قياسا يمثل بروميثيوس قوة المعرفة غير العقلانية مما يدمر الفرد به نفسه. و كان فرويد قد غير رايه فاخذ بمقولة ان الانسان يحب الحياة ولا يعدم ان بقدم الى التخلى عنها معا. و كان فرويد وراء ادعاء فهم الغرب–اعراب الشتات– قوة غير العقلانى فى حياة الناس.

و بالمقابل فالناس يسعون الى تزويق معرفة الواقع حتى لا يغدو مغايرا لمصالحهم و من ثم انقاذهم من مصير لا يرغبون فى حدوثه. و تتصل العقلانية بالبحث عن ملاذ مما لا يرغب الفرد او الجماعة فى حدوثه بتزويق الحقيقة تخاتلا على واقع غير مقبول. و فى الثقافة اليهودية يظهر كيف ان ثمة ما لا سبيل الى تفاديه و ان الانسان مدفوع الى العقلانية مما قد يدمر الذات. و يتصل الاخير بالبقاء للاصلح.

وقياسا لا غرابة ان يكتف البحث بتجاوز قميص جنون النظر الشاخص الى تهيؤات حول الواقع اقرب الى الميثلولجيا منه الى تأمل الواقع–و احيانا تجاهلا متقصدا للواقع. ذلك ان رؤية الواقع بعيون جديدة تتجاوز المسبقات قد تشارف الاستحالة. (أنقلى من الكراس المذكرات بجوارالسرير). فالمفردات الانتقائية المنغلقة على نفسها غير القابلة لبدائل او لغيرها ترفض فيما ترفض كل من المجادلة و التنويعات حتى على لحنها هى–مما اعرفه احيانا بالفكر–و التنظيم–الارهابى الاصولى رغم ادعاء و ربما بسبب انتحال العلمانية و العقلانية بالوصف اعلاه و تباعا و ربما بسبب الاخيرة. و اعرف الاخير بالعلمانويه والعقلانية المطلقة المنتهية بدورها بالاحرى, ويكاد يشارف الميثولوجيا او الاسطورة و يستدعى ما يسمى تخاتلا باليوتوبيا مما اعرفه فى مكان اخر. و قد تمثلت تنويعات تلك العلمانية فى مجتمعات غير غربية مثلما فعلت على ايام هيمنة المعتزلة على سلطة المأمون. فقد كان مواتيا لجماعات العقلانيين بالاطلاق و العلمانويين دائما نكريس سلطة مطلقة سواء باسم التنزيه المطلق للدات كما على عهد المعتزلة ابان سلطة المأمون العباسي او فيما بعد على ايام العروش التى انفصلت عن البابوية تحت راية مناوءة سلطة الفاتيكان وهكذا. فقد كان كل هم تعاليم و التخريجات البروتستانتية ابتزال الايقونوغرافيا الكاثوليكية الغربية و اماكن العبادة و كافة المقدسات و السلطة الوضعية جميعا.

و قد راحت البروتستانتية تعصف بفكرة العناية الالهية وقد اسكرها انتصارها على الكاثوليكية ومفاهيمها السلطوية الدينية و الوضعية فتعنيت على نشر أخيلة حسية و انتشرت بالمقابل شعائر "علمانية" و مراسيم حسية حول التتويج و الطقوسس الملكية والعرش مثلما يشاهد فى لوحة تتويج تشارلز الثانى–1660–1685–و جيمس الثانى هذا و قد بقى العلم الغربى يصدر عن تكريس مجاهيل–مثل علم الاحناس الذى ليس هو علما بل تمويهات لا محتشمة احيانا– مما لا يجرؤ احد على النطق باسمها او حتى الاقتراب منها ناهيك عن السماح للعالم ثالثيين و رابعيين اقتراف مجادلتها. و من المفيد تذكر ان طالبى الدرجات العلمية فى الغرب و قد بقى الغرب مصدر الدرجات العلمية المعتبرة و قد جمع و نهب معظم اراشيف و مدونات و اثار من عداه و اودعها مراكز بحوث و متاحف غربية–ان الغرب يحرم على طالبى الدرحات العلمية دراسة الغرب.

و بالمقابل يصنف الغرب الوثائق بحيث يمنع الاطلاع على بعضها لفترات تتراوح بين 30 و 50 عاما و ما لا نهاية.

وازعم انه ان بقيت فرضيات العلم الغربى لامختبرة و ترفض المجادلة على مر الزمان فقد يصح الفول ب:

–ان اشكال من الفكر "العلمى" الغربى قد يمكن ادراجها فى خانة الفكر شبه الدينى او الدوغماتى الحتموى او الميثولوجى.

–الا تخرج تلك الدوغماتية العلم بالتالى عن دائرة العلم الذى من طبعه الشك و طرح الاسئلة مرة ؟

– الا تبقى مقولة العلم مرة اخرى بالوصف اعلاه نسبية ب "التحييز" العقلى المعرفى اى بما يشارف العقلانية بالوصف المذكور فى مكان اخر؟

ذلك ان ما يدركه العقل الغربى و غير الغربى بالتماس حري بان يبقى فى حدود العقل التاريخى المعين "المحدود" بالزمان و البشرية الانتقائية–البيضاء–و بالمجتمع و السلطة الوضعية. بل يبقى انتاج العقل–اى عقل– متعالق و القدرة النفسية التكوينية للفرد و باللحظة المعينة التى يعمل العقل ابانها فى مجتمع معين. واجادل مرة ثالثة ان العقل حصيلة نسبية فى الزمان و فى المكان.

المهم ربما بات العلم متجاوزا لكل من الميثوليوجيا و الاسطورة الا ان بعض العلم مثل علم الاجناس و النوع و غيره بقى لوقت طويل محض تصور لم يرق الى اليقين المعرفى جراء الانتقائية و التحذب. و ينسى معظم العلمانيين ان علم التشريح نفسه لم يتخلص بعد اذ لم يملك التخلص من اخيلة عاطفية تتصل بمفهومات اسطورية حول القلب البشرى مثلا. بل ما ينفك كثيرون يتصورون القلب البشرى وردى يخترقه سهم كيوبيد.

و لعل التوفر على تفكيك مفصلة الابنية "التنويرية"–العقلانية الانسانوية "الغربية "–"الداروينية"–"اليوتوبية" الفاشية–البرجوازية الصناعية والرأسمالية ما بعد الصناعية على الخصوص يغدو مهمة منهجية معلاة.

–و كانت تلك الابنية النهضوية التنويرية العقلانية قد القيت على عواهنها طويلا و لم يقيض مجادلتها و تعريف قاموسها المريب ناهيك عن مجادلتها و تحليلها. ففيما يطلق "الكلام" على انه اكاديمى "علمى" منته و جاهز فان النظر كان حريا بان يغدو واحدى الجانب. و فى ازمنة الشدة و اوقات الكوارث الطبيعية–سقوط المحاصيل الزراعية الحيوانية–الحمى القلاعية–الحروب–الكساد الاقتصادى ناهيك عن الازمة–التضخم–انحسار الوفرة– انكسار الخط البيانى لاعادة التوزيع الانتقائى–الفارق Differential او ما يسمى بالعدالة الاجتماعية فى المتروبوليتات نفسها–يتطير الفكر–اى فكر–من اى بديل او نظائر.

و يخلق مناخ العصاب الذى تحاصر الحكومات الغربية به المواطنين تحت الوية مكافحة الارهاب و قوانين الامن القومى PATRIOT نوعا من الذهان الجمعى يجعل الفرد مع الوقت مستهدفا للايحاء و التطير و الغواية. و يلاحظ الناس فى كل مكان كيف يفبرك خطاب و تلفق اجندة ما يسمى بالاستباق الدفاعى والحرب

على الارهاب بقوة الكوابيس The Power of Nightmares التى تكرس اجندتها خصما على تطلعات الناس فى امانى الرأسمالية الملفقة بعدما افلست جعبة الاخيرة من المدلسات.

الفصل الرابع :عقلنة مفهوم الديمقراطية بامتياز

يقول ناعوم تشومشكى فى اقدم دراساته الانثروبولجية حول اللغة–قبل ان يتحول الى مفكر سياسى "ان ليس ثمة متحف تاريخ للبشرية و لا طفولة بشرية و انما "يولد الناس بمعارف مسبقة" لا يختلف فيها بل يتساوى بها الغربى و غير الغربى." فقد عرف غير الغربى الديمقراطية قبل الغربيين و لم يتعلمها منهم بل ان اميين غير غربيين يمارسون الديمقراطية فى حياتهم العادية دون او–و قبل ان يسمعوا بالديمقراطية الغربية بزمان طويل". و قد ازيد بان القبائل الافريقية و غيرها عرفت التعامل الديمقراطي و لا يتصل تاريخ القبلية بالحروب و الشقاق و اخذ السبايا دائما كما يشاع وانما تتعين تلك الكيانات الاجتماعية الاقتصادية و كانت قد تعينت منذ القدم على ممارسة تنويعة تخصها هى من الديمقراطية والتعايش فيما بينها و بين غيرها من الكيانات القبلية و لم يقدم الناس على اشعال حروب قبل ظهور الانتماءات القبلية بزمان طويل كما لم يفعلوا بعد.

و تستدعى مفهومات كالقبلية لتدل على تخلف غير الغربى و وصمه بالبربرية و العنف و سوء استخدام السلطة فى حين ان مجتمعات اوربية و امريكية بقيت تصدر عن القبيلة و اشهرها قبائل او اوليجاركيات اعراب الشتات و جمهورية البندقية الحرة مما اخذ عنه الغرب منذ سقوط الامبراطورية الرومانية. و قد كرست المصالح الاسراتية ما يشارف العشيرية او القبلية فى كل مكان حتى اليوم. وقياسا فان مفهوم الديمقراطية اتصل بالقبلية فى الغرب اكثر مما اتصل بالدولة القومية. فقد كانت الاخيرة مثلها مثل الديمقراطية قصيرة الآجال.

و ازعم ان القومية و الديمقراطية مفهومات مفصلت من اجل خلق كيانات بعينها مثل دولة اسرائيل على الخصوص. ذلك انه ما ان تمثلت دولة اسرائيل حتى راحت مشاريع حق تقرير المصير المتكاذبة و مشروع الشرق الاوسط الكبير–بمعنى العالم الاسلامى تلفيقا–و الاخدود الافريقى العظيم وغيرها من تفرعات مشروع القرن الامريكى الصهوينى الجديد يتعين على العصف بالقومية. و قياسا لم تعد الديمقراطية تزيد على تزويق تنويعات من ديكتاتوريات الرأسمالية ما بعد الصناعية.

و يزعم البعض ان الاولجيباركيات اثبتت قدرتها على البقاء مقارنة مع الديمقراطية. فحيث تملك الاولى القدرة على الاستمرار لوقت طويل فان الديمقراطية لا تتحقق الا لفترات قصيرة و حسب و تحت ظل منظومة معينة من الظروف و المواضعات تتسم الى ذلك بخصائص غير عادية. لا غرابة فالاوليجاركيات تنويع على القبيلة بوصفها اقليات صفووية تتمأسس فوق العرق او القرابات الملفقة والثروة كما ذكرنا فى مكان اخر. ومن ثم فان الاوليجاريكيات مثل القرابات الدموية نادرا ما تميل طواعية نحو فصم عرى العلاقات فيما بينها داورينيا و عقلانيا. فما هى مكونات العقلانية الغربية المحدثة

هل حضارة الفكر الداروينى العقلانى اليوتوبى فاشية معمشة ام معلنة؟

من المفيد تذكر ان "سيادة" العقل و "العقلانية" على الدين و الفكر العلمى على اللاعلمى ينبغى الا تدعو للاعتقاد بان سيادة العقل و العقلانية و الفكر و العلم تفضى بصورة ما الى افكار لاعلمية او معتقدات وهواجس و مخاوف "لا عقلانية" مثل هاجس الخوف من الارهاب و الحرب على ألارهاب. وكأن ثمة سبيل الى قتال مفهوم مجرد مطلق مما قد يشارف مقاتلة طواحين الهواء؟

و كانت مخاوف وهواجس قد الفت و ما تبرح تؤلف ما يشارف عصاب ارث ثقافى رأسمالى غربى ازاء غير الغربى. و اجادل ان مفهومات الفكر النشوئى الارتقائى الداروينى–التنويرى–اليوتوبى التى اصدرت عن نظرية اصل الانواع و مفهوم البقاء للاصلح كانت قد اسقطت باكرا على طاقم القيم و الاخلاق الاوربية الغربية . و

كانت الاخيرة قمينة بان تسقط مرة اخرى على مفهومات "العلم" قاطبة فتستقر فى مسام التراث الفكرى الاجتماعى الرأسمالي بتنويعاته.

و قد تعين الفكر الغربى على الغاء ما لا يناسب فرضياته و صوغ فرضيات انتقائية كانت حرية بان لا ترى سوى ما تريد ان تراه وقد مفصلت بحيث تصل الى نتيجة مسبقة. فقد بات نشوء المجتمعات غير الغربية صاعدة بازغة عصورا كلاسيكية و عمش على مراحل تطور المجتمع العبودى مثل اثنيا و اسقطت على الاخيرة خصائص ابعد ما تتصل بها فجعلت نموذج الديمقراطية–الغربية على الخصوص. و قياسا اتصل تقدم الغرب بالعبودية رغم ادعاء التطور فى درجات اللوحة الخماسية او–و النشوء و الارتقاء و التقدم داروينيا. و من ثم فقد اغمض الغرب عينيه عن ظواهر ماثلة مثل اتصال الرق باشمال بالية او بالوان الطبيعية. و لم يلبث الغرب أن بات يقر بالرق خفية و علنا و يرفض الاعتذار عن العبودية من بعد فلا يقر بمسئوليته عنها حتى لا يواجه بدفع مقابل للفظاعات التى اوقعها الرق و تجارة الرقيق بتنويعاتها السابقة و المعاصرة بحق اغلبيات غير الغربي.

فلا يقبل الغرب الاعتذار و حتى لا يقبل انه مسئول عن تجارة الرقيق. فالاعتذار اعتراف بالاثم. و بالمقابل ما يبرح الغرب يستهلك السلع التى ينتجها عمل عبودى تسود علاقاته بين اناس لا يملكون حقوقا مطلبية تجعلهم على قدرة يواجهون بها الشركات عابرة الجنسيات. فدافع الربح عقلانى بامتياز و لا وازع اخلاقى له و لا يدعى ذلك اصلا. وحيث أن راس المال ما بعد الصناعى يرى فى اعادة التوزيع نوعا من الكفر بحق المراكمة فانه قد لا يمانع من تشجيع المنظمات الخيرية على القيام بما لم تعد الدولة تقوم به ازاء المحتاجين والمفقرين.

ففيما تسود الداروينية بين الماليين و المصرفيين و مؤسسات الائتمان و الشركات الكيماوية وغيرها من الاعمال التى تحورت من التمأسس فوق رأس المال الوطنى الى رأس المال عابر الجنسيات و يصدر الاخير عن حق كبار حملة الاسهم و المدراء خصما على المستهلك فان كلمة اخلاقى او معنوى تغدو–عقلانيا–غير مستحبة. و تكاد تكون كلمة معنوى و اخلاقى محرمة مهما كانت الجرائم التى ترتكبها تلك الاعمال الكبرى بحق الافراد و الجماعات و الشعوب قاطبة.

وحيث تتمثل الداروينية فى تنويعات الرأسمالية الناكصة والمالية الفاحشة Obscene على الخصوص فقد بررت الداورينية صعود الاخيرة خصما على ما عداها من مراحل تطور المجتمع قاطبة فيما يسمى بالعولمة. و ازعم ان داروين ساهم بقصد او غير قصد فى تقويض المفهوم الارستقراطى لوراثة الاصل والمحتد العريق و المجد و الثروة و الخلود انتقائيا. و قياسا بات البقاء للاشرس والاقل اصلا.

فقد خلقت الداورينة الملفقة شرط الارستقراطيات الميروتقراطية و المالية كون الاخيرات تعبير عقلانى عن البقاء للاصلح فللنشوء. و كان داروين يؤمن بان الابادة الجماعية Mass extinction أمر طبيعي و ضرورى لانه كان يرى مصير البشرية كما كان كونراد و امثاله يرونها "ظلمة كاملة" The heart of Darkness. و يقول داروين ان الخلود لا معنى له الا بقدر ما يهدهد الحس الانسانى اى تبلد الضمير اذاء العدم مما استدعى مثول انقراض الارستقراطيات الكلاسيكية و نظائرها السابقة على الراسمالية المالية ما بعد الصناعية لحساب الاخيرة.

ومع ذلك تجأر الرأسمالية بانها تعبير عن الزمن الممتد فهى معنية بالتقدم و التطور و النشوء الى ما لا نهاية و يقول شعار فوق العملة الامريكية "لكل زمان"For all times. الا ان الرأسمالية لا تقصد بالنشوء سوى لجماعات بعينها باحبولة الحلم الامريكى مثلا خصما على اخرى مما يحقق النبؤة الداروينية بابادة جماعات بعينها. ذلك ان الرأسمالية أشد ما يتعين على تدمير الحياة و القضاء على شروطها بل و تسريع فناء البشرية. و ليس ثمة سبيل الى فك مفصلة ذلك التركيب او التناقض الا بافتراض ان مقولة ان الرأسمالية–المخاتلة–تعبير عن الزمن الممتد تصدر عن عقلانية تزييف الحقيقة وان تدمير الرأسمالية للحياة و القضاء على شروطها لجماعات بعينها هى الحقيقة المسكوت عنها.

وقياسا تقول المسيحية الغربية بالخلود و الابدية و بالحياة الاخرى. وعليه فقد بات لزاما على الرأسمالية تدمير المسيحية الغربية و الحاقها عقلانيا بطاقم قيم تقول بغير ذلك بالاقتصاد فى قول الحقيقة او التخاتل على الحقيقة مما تسوغه المسيحية اليهودية تضمينا وعلنا بازعان الاولى بلا فكاك. ذلك ان ارتهان المسيحية الغربية بالرأسمالية كان كما ذكرنا فى مكان اخر قد بات ماثلا و حقيقة بواقع معدلات الرساميل المراكمة خصما على كافة البشرية بما فى ذلك الغرب نفسه و بوكالته غالبا.

تعالق عقلانية الاقتصاد فى قول الحقيقة و كراهية الشعوب:

ازعم ان الرأسمالية و بخاصة ما بعد الصناعية و المالية لا تسمى الاشياء باسمائها و هذا تعريف للعقلانية. و يقتصد اعراب الشتات فى قول الحقيقة. و تجأر بعض طوائف اليهود بان المصريين استعبدوا اليهود و لا يقولون متى استبعد الشعب المصرى بما فى ذلك عامة اليهود. فقد كان قادة اليهود مثل يوسف و موسى و ام الاخير مقربون من الفرعون. وكانت المجاعة قد تمت على عهد يوسف الذى رآى فى حلمه السبع سنين العجاف. و كان يوسف وزير الفرعون و ربما وزير الخزانة و لعله كان رئيس الوزراء مما سمح له بالعيش بين ارجاء قصر العزيز. و هو الذى قايض الشعب على حريتهم بالخبر. فقد طلب اليهم فى البدئ بيع دوابهم ثم بيع اراضيهم مقابل الخبز. ثم طالبهم بالعمل فوق اراضيهم هم مقابل الخبز. و لعله هو الذى خلق نمط الانتاج الشرقى. و ربما كان وراء كراهية الصفوة للشعوب تباعا. و لعله كان وراء كراهية الشعوب للصفوة ممثلين فى مستشارى الملوك و صناع الملوك و اصفياء الملوك.

و قياسا يستعبد الناس بالديون تباعا حيث تغوى المصارف الناس بالاستدانة و يغوى البنك الدولى الدول بالاستدانة ثم ما تنفك المصارف و البنك الدولى ان يطالبوا المدينين بتسديد ديون تفوق ما يمتلكون الا قليلا. فقد اغوت اسواق الائتمان العقارى الامريكان و غيرهم بالتماس بالاستدانة خصما على ما لا يملكون الا قليلا. و لم تنفك صناعة الائتمان العقارى ان راحت تطالب الناس بالسداد فى زمان التضخم او عشية التضخم وصولا الى خلق شرط التضخم و ندرة المال. و بالمقابل راحت صناعة الائتمان العقارى تطالب الدولة–البنوك المركزية الوطنية–بضمان مصارف موشكة على الافلاس تهدد بمثول خطر الكساد الاقتصادى العام فى كل مكان. وحيث انه ان عطست امريكا اصيب العالم بالزكام و ربما بالالتهاب الرئوى حتى الموت فان الكساد وصولا الى الازمة الاقتصادية المحدقة بامريكا حرية بان تصيب العالم بكارثة اقتصادية.

و قياسا ترتفع نسب فقدان العقار و نسبة العطالة بين الناس العاديين فيما تثرى اقليات بتحويل رساميلهم الى ماس و ذهب و فضة و يورانيوم وتحف فنية نادرة و فى زمان شح الغذاء فى المضاربة فى اسواق القمح و الارز الخ الخ. وقياسا يتضور جراء تلك الحالة أغلبيات الناس العاديين و قد فقدوا كل شئ وصولا الى مايشارف العبودية للدائنين او–و للدولة.

فما هو سفر تكوين عقلانية كراهية البشر فيما خلى اعراب الشتات و تنويعاتهم؟

الفصل الخامس فلصفة تاريخ البشرية بانتقائية لا محتشمة :

كانت اوربا الغربية قد وصمت العصر الذهبى للعلم و المعرفة العربية الاسلامية الانسانية ب"العصور المظلمة" وبيضت الحضارات غير الغربية غير القابلة للتجاهل او التعميش عليها مثلما فعلت اوربا الغربية مع حضارة وادى النيل و اختزلتها فى اسرة واحدة او اثنين–الهيكسوس و البطالمة–مما قيض انتحال الغرب لملوكها و ملكاتها–اخناتون و كليوباترا. و قياسا فقد كان تبييض الحضارة الوادى نيلية قمين بان يلغى تاريخ السودان مثلما كان شأن شبه القارة الهندية مع اوربا الغربية و حلفائها اعراب الشتات كون السودان و الهند أقدم من و سابقتين على و من شأنهما ان يفضحا الاصحاح القديم. و تاريخ السودان المسجل على منحوتات و شواهد حجرية و غيرها يعود الى اكثر من 200 الف عام و تاريخ الهند سابق على التوراة باكثر من الفى عام.

و لا يفضح تاريخ السودان و شبه القارة الهندية الاصحاح القديم و حسب و انما ينفى نظرية داورين التى لفقت تلفيقا ليجأر ملفقوها بان البقاء للاقوى و عمش على محصلاتها الموضوعية القائلة بان البقاء للانسب. فقد كان

لزاما تكريس عقلانية القرن الثامن عشر التى تسوغ "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" و تبرير "حق الفتح" Right of Conquest و تنويعته الامريكية من القسمة او المقدر الجلى البادى للعيان Manifest destiny و قد فلصفتا Falsified–من الفالصو–الفظائع التى ارتكبت بحق البشرية بلا احتشام علمى يذكر او ينسى باسم "حق الفتح" توسعا فى كل شبر وطأته بطون اقدامهم و فتح الغرب الامريكى و التدافع نحو افريقيا The Scramble for Africa.

و حيث كان الصراع فى القرن الخامس عشر الى الثامن عشر على التوسع الافقى فوق الارض فقد بات الصراع تباعا رأسى. على انه ان بقى الصراع حول الارض اكثر من اى وقت مضى سوى أن الارض لم تعد بحد ذاتها كما ذكرنا فى مكان اخر تعنى شيئا الا بقدر ما بقيت توفر السلع الاستراتيجية كالنفط و الماس والبلاتين و الذهب و الفضة و غيرها من المعادن النفيسة كون الاخيرة هى التى تقاس بها ثروة و قوة الامم عقلانيا. و كانت مراكمة تلك الثروات و القوة حرية بان تخصم على اصحاب الثروات من مجاميع البشرية غير البيضاء باسم الاكتشافات و حق الفتح الخ.

ذلك ان هذين المفهومين يعنيان الاسحتواذ. فان يكتشف الغرب–الرأسمالية شيئا ان هو نظير لحق اعراب الشتات فيما وطأته بطون اقدام الحجاج و الاباء الاوائل و العرباء من اعراب الشتات غالبا– بمعنى ان ذلك الشئ يغدو ملكية خاصة. ولم يعد على الارض المتوفرة بعد–الى ذلك–انتاح الطعام لاكثر من 6 مليار نسمة بحساب العشرين او الخمسين عاما القادمة وانما على الارض انناج فصائل النبات اللازم لاستخراج الطاقة الجديدة من الايثتول و الطاقة الشمسية وطاقة الريح و الموج بديلا للنفط و قد راح يتناقص بصورة تهدد الغرب و الحضارة الغربية.

المهم كان المذهب العقلانى يسر ادعاء ان مشاريع الغرب التوسعية رأسيا و افقيا لم تكن سوى لحضرنة السكان الاصليين فى العالم الجديد و سكان جنوب شرقى اسيا و الافريقى و تحديثه و نصرنته ان امكن انقاذا لروحه من البربرية و التوحش و الحاقه بالانسانية البيضاء تنويعا باكرا على دمقرطة الشرق الاوسط فقضاءا على الارهاب. و من المفيد تذكر ان الرأسمالية الغرب اعراب الشتات لم يتعينون على دمقرطة افريقيا وحدها بهذا الوصف. فقد تعينت اوربا الغربية منذ الحرب بالعالمية الاولى على الاقل ان لم يكن منذ حرب القرم و ربما منذ سقوط الخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية على دمقرطة بمعنى تمزيق واحتواء والاستحواذ على:

–امتدادات الخلاف العثمانية منذ بداية القرن التاسع عشر

–امتدادات الاندلس منذ سقوط اخر المدن الاندلسية فى القرن الخامس والسادس عشر

–اطراف الامبراطوريات الاوربية الغربية و الشرقية السابقة على الرأسمالية منذ منتصف القرن التاسع عشر

–دول المحور المانيا و ايطاليا و اليابان الخ غب الحرب العالمية الاولى تحت راية ديمراطية الحلفاء ضد فاشية المحور. ولم تكن الحرب فى الواقع اكثر من صراع تنويعات الرأسمالية الصناعية و ما بعد الصناعية لحساب الاخيرة تباعا.

–البرتغال و اسبانيا و اليونان فى سبعينات القرن العشرين

–امتدادات الاتحاد السوفيتى فيما كان يؤلف المنظومة الاشتراكية و خلق ما يسمى بالديمقراطيات الجديدة مما اطلق عليه فرانسيس فوكوياما تكاذبا نهاية التاريخ و الايديولوجية و لم ينفك ان اعتذر عن اطروحته تلك. و كان صمويل هنتيجتون قد اشعل ما يسمى بصدام الحضارات تزويقا لدمقرطة–بمعنى تمهيد السبيل بمساواة كل شئ بالارض وهو المعنى الحقيقى و غير المعقلن لدمقراطة الشرق الاوسط كما ذكرت فى مكان اخر. و من المفيد تذكر ان كلاهما موظف برتبة عسكرية فى الاستخبارات المركزية الامريكية او ما شابه.

–كان مشروع دمقرطة المنظومة الاشتراكية لم يزد على عقلنة تكريس النظرية الرأسمالية ما بعد الصناعية– العولمة خصما على كافة النظريات الكبرى و حتى على الاطر الفكرية الموسمية الفصلية–البراديجمات.

–تمزيق البلقان مجددا. فقد شرزمت يوغسلافيا بتقسيم البوسنة و الجبل الاسود و اكرواتيا باكرا و قبل اندلاع الحرب الصربية البوسنة و تحويل الاخيرة الى مستعمرة تحت الوصاية الدولية يقف فوق رأسها معتمد او حاكم عام اختزل زعماء و ساسة البوسنة فى مجرد سعاة بريد يقفون فى الصف انتظارا لاوامره. و لا غرو ان رفض حتى حامد كرزاى–صنيعة امريكا–تعيين بادى اشداون Paddy Ashdown حاكم عام البوسنة سابقا معتمدا لدى افغانستان نيابة عن قوات حلف الاطلنطى.

–يزوق استقلال الكوسفو تباعا تجاوزا للقانون الدولى رقم 1244 و قد تمأسس تزييف عملية استقلال كوسوفو فوق تحالف غير مقدس بين حلف الناتو و المجموعة الاوربية و امريكا.

–تمزيق اندونيسيا بغواية تيمور الشرقية باستقلال مزيف تحت وصاية الامم المتحدة دون استقلالها استقلال مشرفا رغم حرب تحرير اتصلت اكثر من 25 عاما.

و بامعان النظر قد لا يزيد مشروع دمقرطة فضاءات امريكا و المجموعة الاوربية تخاتلا عن ادعاءات اوقفت الواقع عقلانيا فوق رأسه. فمثلما تقف كافة المشاريع المعقلنة غربيا فوق رأسها اذ تتقول بما لا تعنى فلا تجرؤ على النطق بالحقيقة فان مشاريع التوسع و الاستحواذ حرية بأن تفتضح. ذلك ان حق الفتح و القسمة او المقدر الجلى البادى للعيان كانا قد بررا الفظائع تباعا و كذا النهب و السلب و الابادة بما يسمى ب" الاكتشافات الجغرافية الكبرى" والنهضة و التنوير وصولا الى الاستعمار الكلاسيكى و الجديد و العولمة و الاستباق الدفاعى و حماية مبادئ الغرب و الحضارة الغربية و القيم الغربية التى لا تزيد على تطبيق مبدأ نهب من عدى الغربيين و ابادتهم ان وقفوا فى طريق الحضارة الغربية الخ. المهم فورا كيف و متى تمثلت كمياء عقلانية ما يسمى ب"النهضة" و "التنوير" الاوربيين الغربيين؟

الباب الرابع : غرناطة و البندقية:

الفصل الاول: مناخ الفكر الاوربى فى سياق الوجود الاندلسى:

من المفيد تذكر ان الصليبيات الشرقية و الغربية الثمانية تساوقت مع القرون الوسطى فى اوربا الغربية و تساوقت محاولة اجتياح اسبانيا مع أوج ازدهار الاندلس. وليس غريبا ان تنشأ حركة الماجنا كارتا 1215 فى مناخ الصليبيات الاولى زيادة على نشوء شرط السخط الشعبى جراء اثراء تجار اليهود بصورة فاحشة على عهد هنرى الثانى و "خروج" اثرياء اليهود فيما يشبه المحارق من انجلترا. و لك(ي) ان تلاحظ(ى) مفردة "الخروج" تلك. فهى غالبا ما تعبر عن "خروج" اعيان و اسباط و تجار اليهود دون من عداهم من عامة شعبهم. فقد تمثل ذلك فى "خروج" ما بات صفوات اوليجاركية الى البندقية و غيرها كما الخروج من مصر–ان كانوا بها اصلا–و بابل و مدن و موانئ فلسطين البحر اوسطية مما اسميه و اعرفه ب "أوطان التذرع" Expedient sojourn or sour our by expediency او الترانزيت.

و اناقش مفردة الخروج و اوطان التذرع و غيرها من قاموس سردية اعراب الشتات واحلل اسبابها و تداعياتها فى بحث اخر بتفصيل اكبر. المهم فورا لم يكن الاندلس كما ذكرنا وحده مصدر الهام اوربا الغربية. فقد كانت اوربا قد اقامت دوقيات فى الشام باسم حماية الاماكن المقدسة و العذراء من تدنيس الاقوام البربرية الوثنية المتوحشة الا ان اكثر ما تعينت عليه أوربا هو تعلمها من تجربها فى الشام فعادت بارث عظيم من المعارف و الثروات[233]. فحيث اقامت أوربا دوقيات فى الشام باسم حماية الاماكن المقدسة و العذراء من تدنيس الاقوام البربرية الوثنية المتوحشة وراء قلاع عالية الا ان اقطاعيي الفرنجة–و رغم عزلة تلك الدوقيات الحصون–عادوا باثار و اجزاء ثقافية متقدمة بخاصة ما جمعوه على عهد صلاح الدين الايوبى و قد تغنوا به حتى وصفوه ب"المسيحي"(!).

و الى ذلك فقد كانت المؤثرات الاسلامية قد جائت من شرق اوربا و مع سقوط القسطنطينة للمسلمين فى 1453 و من جنوب شرقى المتوسط و تصاحب ذلك و مزيد من الترجمات اليونانية الى اللاتينية. و تزعم السردية الغربية الرسمية ان سقوط القسطنطينة دفع علماء اليونان المقيمين فى الشرق الى الهجرة تباعا منذ 1395 الى المدن الايطالية. وتقول تلك السردية ايضا تكريسا لتلك الاحبولة التى تتعين على التعميش على دور العرب فى ترجمة الفلسلفة اليونانية ناهيك عن اضافاتهم و مبادراتهم الفلسفية أن شخصا يدعى ايمانويل كريسزولوراس Chrysoloras جاء بمؤلفات و اراشيف من اليونان.

وتزعم بعض المصادر ان تلك الوثائق كانت باقية فى اليونان و لم يكن على المهاجرين امثال ايمانويل كريسزولوراس و غيره سوى جمعها و احضارها الى المدن الدول الايطالية. و عليه فقد ترجمت تلك المؤلفات–حسب السردية الغربية –من اليونانية الى اللاتينية بمعرفة الاخير.

فقد ادعت نفس المصادر ان الايطاليين و ان لم يكونوا يجيدون اليونانية الا ان كريسزولوراس علمهم اليونانية. و تكريسا لنفس الرواية يحدث ان يكون البابا اسكندر الخامس Alexander V –و كان من اصل يونانى–مدرسا لليونانية فى 1409 فى فلورنسا و البندقية وميلانو و جنوا للايطاليين و عليه فقد تيسرت عن طريقه هو ايضا ترجمة تلك المؤلفات اليونانية لاوربا مما كان قد غمض على اوربا الغربية. وترتيبا فاوربا لا تعود فجأة بحاجة للترجمات التى جاءتها من الاندلس ابان ازدهار و غب سقوط الاندلس. و يحدث الى ذلك أن تكون المطبعة جاهزة على اتم الاستعداد–بعد ان تمت طباعة أول انجيل باللاتينة من 461 صفحة بين عامى 1450–1455–لاستقبال حدث ترجمة الفلسفة اليونانية الى اللاتينية و تيسيرها و نشرها معارفا عير مسبوقة اصبحت بليل فى متاول الجميع.

و كأن الجميع كان قارئا, بل كأن ان الجميع كاهن الامية لم تكن وحسب شائعة بين العامة بل ان رجال الدين و بعض الملوك بقى اميا حتى القرن الثامن عشر. و ليس كل من كان يقرأكان يملك فك الخط الفلسفى العميق. المهم وصلت الطباعة البندقية و فلورنسا– وكانت الاخيرتين مدنا دول حتى بعد سقوط غرناطة–و انتويرب و بروكسيل و ستراسبورغ ثم الى باريس و بازيل و ويستمنستر و اكسفورد و لندن و جنيفا ولايبزيج و فيينا. فقد كان يوهان جوتنبرج –1400–1468 Johann Gutenberg قد اخترع المطبعة فى 1455–اى قبل سقوط غرناطة ب 37 عاما فى مدينة مينز Mentz على الضفة اليسرى لنهر الراين على مبعدة 40 ميل من فيينا. وحيث يزعم ان اوربا كانت قد بيتت النية على ادعاء انها تستدعى العصر الكلاسيكى كونه سفر تكوين اوربا فلم يعد من ثم لاحد غير اوربا من فضل على اوربا سوى اوربا و هكذا تتمثل عقلانية مخاتلة تاريخية لا تستند الى دليل.

و اجادل ان ارهاصات النهضة الايطالية كانت قد تحدرت الى ذلك من غرناطة و اشبيلية بالحركة العلمية و الفكرية والثقافية و الفنية الاندلسية ومن اقاليم الخلافة الاسلامية الاخرى. وكان سقوط طليطلة فى 1085 ميلادية قد وفر كما ذكرنا ثروات مادية و لا مادية عظيمة لاوربا الغربية باكرا و قبل سقوط الاندلس. اليس غريبا الا تعقد علاقة طردية بين نشوء ما يسمى النهضة الاوربية و كل من جوار المدن الدول الايطالية التى تظهرت فيها بواكير النهضة من ناحية و ازدهار ما يسمى "النهضة العليا" High Renaissanceو"الحديثة" Modern Renaissance تباعا مع سقوط الدول الاندلسية؟

أحاجج ان سقوط المدن الاندلسية من طليطلة الى غرناطة كان حريا باحداث تغييرات نوعية و كمية فى اوربا باكرا و قبل الاكتشافات الجغرافية الكبرى. وقد الفت صبيحة سقوط الاندلس عشية ما يسمى ب"الاكتشافات الجغرافية الكبرى" او ما اسميه الامبريالية الاوبية الغربية الاولى. فان كانت ارهاصات التحولات المذكورة قد افرزت تغييرات كمية نوعية فى اوربا الجنوبية باكرا فقد انتجت تلك التغييرات مناخا فكريا و تنظيميا و تطورات نظرية فى شمال غرب اوربا تباعا و تصاحب بكل من الاصلاح الدينى–البروتستانتي–و النهضة.

1-لماذا تصاحب الثورة الدينية و النهضة الاوربية؟

فيما تصاحبت الثورة الدينية و النهضة الاوربية فقد تساند بعضها و تصارع الاخر. و قد استدعت تلك السنوات خشية جمعية فى اوربا من نهاية العالم و قد غدت اخيلة و رؤى الاخيرة ماثلة مع مثول نهاية العدو الازلى-الاسلام- فى اوربا وصولا الى حلول القرن السادس عشر. الا ان الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية و جماعات من العلماء المتأثرين بالاندلس عبر عن نفسه تباعا فى حركة التنوير و علمنة المسيحية الغربية فى تنويعة تكرس عقلانية توسع اوربا الغربية -الشمالية و الجنوبية-الافقى و الرأسى.

فقد كان البحث عن و الوصول فى 1503 الى طريق حول افريقيا باكتشاف رأس الرجاء الصالح قد يسر للمكتشفين افاق غير مسبوقة. فقد كان "المكتشفون" البرتغاليون قد راحوا يتسلقون جبل المائدة بعدما فشلوا فى امتلاك اسرار سبل الملاحة الاسلامية بغاية اختطاف ابن أحد كبار الملاحين العرب حتى يجبرونه على الادلاء لهم بالطريق الى الشرق الاقصى.

و قد كان. فقد اخذ القراصنة البرتغال فى شرق افريقيا احد ابناء احمد ابن ماجد-"اشهر ربان فى الخليج العربى" و كان يدعى "اسد البحار" كما كان قد اخترع البوصلة المغناطيسية-رهينة. و طالب القراصنة بفدية ذلك الابن أن يدلهم ابن ماجد على طريق التجارة الاسلامية الى الشرق الاقصى. و فى رواية لاحقة فيما يبدو قيل انه هو الذى قاد سفينة فاسكو دى جاما البرتغالى الى الهند. ذلك ان الوكيبيديا الانجليزية حول ابن ماجد تقول بانه "ساعد دى جاما على الوصول من اوربا الى الهند لاول مرة عن طريق لم يكن معروفا لدى فاكسو دى جاما من قبل. فقد استخدم ابن ماجد خارطة بحرية لم تكن معرفة لدى الاوربيين"[234].

و من المفيد تذكر ان كلمة "مساعدة" فى الغاة الاوربية الغربية و بخاصة الانجليزية-المزوقة Euphemised langauge- قد تعنى ان ابن ماجد اجبر على الازعان لتقديم تلك المساعدة التى غالبا ما لا تكون طوعية[235]. المهم لم ينفك البرتغاليون أن انقلبوا على سواحل افريقيا الشرقية ومدن جنوب شرقى اسيا و نهبوها و ارسلوا الغنائم الى ملك البرتغال. و كانت القرصنة اكثر مردودية و اقل مخاطرة من الاستعمار وقتها. الا ان القراصنة ما انفكوا ان باتوا سماسرة لدى الاباطرة فتقاسموا مع الاخيرين الغنائم. ذلك ان القراصنة تنويعة مضغرة من الاباطرة فالاول ينهبون قليلا نسبيا فيما ينهب الاباطرة ثورات تحت رايات و بمقدمة قوات امبريالية ضخمة.

وفيما لم تلبث تجارة الرقيق ان احتلت مكان القرصنة من بعد فقد ازدهرت تجارة التوابل بالتوسع فى جنوب شرقى اسيا و بدأ الذهب و الفضة يتدفقان فى 1503 على ملوك اوربا من اسيا و من العالم الجديد و ما عداهما. فقد كانت غنائم القراصنة البرتغال من افيقيا و امريكا الجنوبية تقدم لمك البرتغال مثلما كان كريستفور كولومبوس يقدر كنوز امريكا الشمالية لملك و الملكة اسبانيا و لم يلبث قراصنة الانجليز ان راحوا يضاربون فى الرقيق المنقول من افريقيا منذئذ. قياس فلا يمكن فهم "الاكتشافات" "عقلانيا" كما ذكرنا فى مكان اخر الا بتعريفه اجرائيا بوصفه الاستحواذ على و امتلاك المكتشف من المادى او غير المادى و من البشر فيغدو الاولان تركة معقودة على أوربا و حيازات اوربية و الاقوام المكشفة-مثلها مثل الاقوم التى تنصر و تحضرن و تحدث و تصنع و تدمقرط تكاذبا-عبيدا.

و لم تلبث اوربا-انجلترا خاصة و تبعتها امريكا- ان احتكرت قوى المال فى العالم. و قد اطلق ادم سميث على الاخيرة سادة العالم Masters of the world و تطلق عليهم جريدة التايمز المالية Financial Times غب الازمة المالية الماثلة منذ 2007 سادة الكون حقا Masters of the universe ويعنى ذلك الارض و القضاء الخارجي جميعا. و كانت اوربا-الغرب-امريكا من بعدها-ترى وقتها ان الشعوب المكتشفة-و لم تكن راغبة فى ان تكشتف-متحف البشرية و ان عبء الرجل الابيض هو انتشال الشعوب المكتشفة-تكاذبا. فالصورة التى عاد بها القراصنة المكتشفون عن الاثوام غير الغربية و روجوها كانت تؤكد تونية الشعوب غير الاوربية ثم لم تلبث تلك الصورة ان تحنرت الى عنصرية بائنة تقول بان تلك الاقوام تمثل طفولة البشرية و تمثل "سفر تكوين البشرية",

فالاقوام البدائية تعيش افى ازمنة سحيقة قياسا على الاقوام البيضاء.
و لم تنفك اوربا ان اقتعنت نفسها فصدقت انه وارد تماما و ان تكون اوربا بحق بسبيلها الى ان تطال النجوم. و ما ينفك المفكرون الغربيون يستدعون–تخاتلا–اساطير مشابه حول دمقرطة تلك الاقوام تحت راية الرأسمالية ما بعد الصناعية. و يعقلن الغرب العدوان على غيره بالرغبة فى دمفرطة من عداه تكاذبا. ذلك ان الغرب يدعى أنه هو الذى يعمل العقل و العلم و المعرفة و البحث و التقصى عن الحقائق قبل ان يتخذ قراره فيعاير من عداه بما يسميه اللا عقلانية. الا ان الغرب يدعى السذاجة ما ان تفشل مخططاته–حول مشروع الشرق الاوسط الكبير مثلا, فحين نشر الغرب–الرأسمالية–أحبولة او أسطورة ان سذاجة الغرب وحدها هى وراء الاخطاء فى العراق او غيره لاحظ(ي) الاخطاء و ليس الجرائم . ذلك ان الغرب اذ يتعاطى فانتازيا انه ان اجتاح مجتمعا بغاية ازاحة الدولة– الديكتاتورية –فى العراق مثلا–فان تلك الفانتازيا تصور للغرب ان ذلك المجتمع–العراق–حري لا محالة بان يقابل قوات الاحتلال بالورود ان ذلك المجتمع حري بان ينفتح على اقتصاد السوق بلا انتقاء و يسارع الى خصخصة مقدراته هكذا لوجه الربح رغبة فى ان يكون مثل الغرب بلا تحفظ.
المهم حيث كان معظم المكتشفين و المفكرين و الفلاسفة و الكتاب "الانسانويون" و "اليتنويريون" يناصب الكنيسة الكاثوليكية العداء ويدعى رسالة حضرنة الشعوب الكمتشفة و اخراجها من بربريتها فقد تعينوا على اختراق الكاثوليكية الغربية مجددا والذراية بها مثلما يفعلون تباعا بكل خصوم المسيحية اليهودية سواء من المسيحيين او المسلمين و البوذيين و الهندوس و السيخ الخ. و كانت حروبا قد اشتعلت بين الكاثوليكية و الجماعات التى راحت تناصبها العداء مما لم ينته حتى اليوم. فقد انجبت تلك الجماعات ما بات طوائف البروتستانتية المجدفة بمقدسات العقيدة و غير الملتزمة بتعاليم الكنيسة و قد راحت تلك الطوائف و ما يبرح بعضها يتعين على اجتياح فضاء الكاثوليكية و نشر مفاهيم "عقلانية" راحت تعصف بالعالم القديم الذى عهده الناس.
و كانت تلك التحولات قد تصاحب و عشية سقوط غرناطة و السنوات القليلة اللاحقة حيث قام فلاسفة و مفكرين و فنانين من بين صفوف المناوئين للكنيسة الكاثوليك و بين الموالين لها بنشر مؤلفاتهم و ترجماتهم و عرض لوحاتهم و تماثيلهم تعبيرا عن كل من مدرستى النضهة و التنوير كما ذكرنا فى مكان اخر. و قياسا قام ايرازماس مثلا بنشر أهم اعماله اجاديا Agadia و هو عبارة عن اقوال مأثورة باليونانية و اللاتينة فى 1500. و فى 1501–5 و حصل مارتين لوثر على درجته العلمية فى الكتاب المقدس من جامعة ايرفورت Erfurt و راح بعد عقدين من سقوط غرناطة ينشر اللوثرية فى اوربا الغربية خصما على الكاثوليكية الغربية .
وكان البابا باياس الثالث Pius III قد وصل الفاتيكان فى 1503 و كان واسع الطموح ثرى فاستخدم ليوناردو دافينشى الذى رسم الجيوكاندا فى 1504–اى نحو عقد ونيف من سقوط غرناطة. و كان ليوناردو دافينشى فى الثالثة و الستين اى اواخر عمره. و كان ليوناردو يرسم صورته هو فى معظم لوحاته او يضمن ملامحه في ملامح Face Fusionوجوه الشخصيات موضوع لوحاته. و كان اكثرا رساميل تخصصا فى اللوحات الشخصية Face portraits . و كانت الجيوكاندا مثلها مثل كافة اعمال النهضة مليئة بثنايا تحتوى على اسرار و ايحاءات و ايماءات. فوراء الجيوكاندا جبال ووديان رمزية مما لم يملك دافيتشى على الاقصاح عنه او الجرؤ على النطق باسمه بعد فيتعين على الترميز له عقلانيا. و كانت الجيوكاندا تتخفى وراء الاسرار التشريحية للجسد الانسانى الذى كانت الكنيسة تمنع الاقتراب من فك اسراره الفيزيقية و العقلية.
و كان ليوناردو دافنيشى قد عاش فى البندقية و ميلانو أهم و اغنى المدن الدول الايطالية و اكثرها اتصالا بغرناطة. و كان مايكل انجلو–فى 23 من عمره–عندما اعتقد(مبنى للمجهول) انه بدأ ينحت تمثال دوود الضخم فى فلورنسا فى 1504. و كان دوود مظهريا بطل المستضعفين امام "جواليط"–جمع جالوط–ميلانو مثلا الا انه كان فى الواقع فى صف البابوات الاثرياء. و كان داوود فى رواية اخرى–فى سياق الصراع بين العروش و البابوية–ملك انجلترا او اى ملك اخر و

جالوط هو البابا. و قد خلص دوود المفقرين من العبودية للفاتيكان. فقد كان العداء قد وصل فى 1517 بين العروش و البابا اوجه. على انه من المفيد تذكر ان احدا لا يملك حتى اليوم الجزم بنسبة تمثال داود الى مايكل انجلو و لا حتى بالشخصية التى يمثلها ذلك العمل الفنى الغامض. و لعله واحدة من تلك الحالات التى ينتحل فيها اعراب الشتات كل شئ تقريبا ينسبونه الى تتاريخ ملفق يزداد تلفيقا.

هذا و كانت أوربا قد تعينت بعد سقوط غرناطة و كوظيفة لسقوط غرناطة على اجتياح اجزاء اوسع و اوسع من العالم خصما على امتدادات الخلاقات الاسلامية الشرقية السابقة فوصلت فى اول 1479 حملة اوربية الى الهند و فى 1503 وصلت حملة اخرى الى الصين. و كانت الهند على درجة كبيرة من التقدم وكان للحضارة الهندية تاثير كبير على الحضارة الاسلامية و اكثر على ما يسمى بالحضارة الغربية. و كانت الصين من اكثر الحضارات تقدما على اوربا و كانت من اغنى المجتمعات المعروفة وقتها. كما كانت نسبة التعليم بين الصينيين اعلاها فى العالم و كانت الصين أكبر كيان انساني اجتماعي فقد كان تعدادها 100 مليون نسمة وقتذاك. و كانت الصين قد وصلت افريقيا و الفيليبين و الفيتنام و تايلاند و غيرها فى نهاية القرن الخامس عشر.

المهم شهدت نهاية القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر تحولات اقتصادية اجتماعية فى اوربا الغربية على الخصوص ربما نسب اليها ما يسمى بالنهضة العليا Upper Renaissance تمييزا لها على النهضة الباكرة Early Renaissance[236]. فقد الفت كل من المانيا و فرنسا محاور اوربية فيما كانت اسبانيا ما تبرح مقسمة تحت الاندلسيين المنصرين و قواعد ايزابيلالا و فيرديناند. و كان الملك تشالز السابع ملك فرنسا و ملك انجلترا ايضا–وكان حوحا و شحيحا–قد حاول فى 1503 ضرب فرنسا باسبانيا بتزويج ابنه ارثر لاميرة اسبانية و زوج الاسبانية كاثرين اوف اراجون Catharine of Aragon–ابنة ازابيلا و فرديناند ملكى قشطلة و اراجون لابنه الثانى. و قد بات الاخير هنرى الثامن ملك انجلترا. و ناصب لويس السادس عشر تشارلز السابع العداء و كان الاول حليف اسبانيا و الفلاندرز و بعض جمهوريات و امارات ايطاليا. الا ان اسبانيا و البرتغال راحتا تتحولان الى قوتين فاعلتين بحق فى المسرح العالمى.

و كانت احدى غايات كريستوفر كولمبوس من الابحار غربا ضرب المسليمن من الخلف بالعثور على طريق نحو الشرق. سوى انه ان ابحر كريستوفر كولومبوس الى العالم الجديد فى عام سقوط غرناطة حقق هبوطه فى العالم الجديد توسعات اسبانية فى العالم الجديد فاطلقت اسبانيا و غيرها من الدول الاوربية اسماء مدن و انهر اندلسية على معالم العالم الجديد من الوادى الكبير–ربو جراندى–الى المدائن الخ ومدن فلسطينية مثل بيت لحم والقدس واريحا و اسماء اوربية معاصرة مثل البندقية على مدن امريكا الجنوبية مثل فنيزويلا و هو تصغير لفينسيا اى البندقية. وكانت جحافل المغامرين و المهاجرين والحجاج و اعراب الشتات قد تبعت كلومبوس فالفوا امما جديدة كانت مقيضة لقيادة العالم مما احاول تفصيله فى مكان اخر.

هل تعالق سقوط غرناطة و نشوء جمهورية البندقية الحرة؟

لعله من اهم ما يمكن البدئ به هو ملاحظة ان اللغة العربية كانت لغة عالمية و كانت لغة العلم و الثقافة و الفن. و ان معظم المفكرين و العلماء الغربيين كان يجيد العربية و يقرأها و يقتنى الكتب و المصدرات العربية و يزور الاندلس سرا. و قد قيض ذلك للاخيرين الاطلاع على العلوم العربية و ما كانت قد طورته من العلوم و الفلسفات التى سبقت العرب و المسلمين بما فى ذلك علوم المجتمعات الوادى نيلية التى كانت قد سبقت روما العرب اليها و علوم و فلسفات شبه القارة الهندية و فارس و قرطاج و الشرق الاقصى. فقد سافر العرب الى الصين باكرا منذ ايام النبى صلعم و كان قد نادى بطلب العلم و لو فى الصين.

.هذا و كانت البندقية قد باتت ابان ما يسمى بالعصور الاوربية الوسطى تسمى بجمهورية البندقية الحرة و كانت قوية بوصفها ميناء مركزى سيطر منذ القرن الثالث عشر الى السادس عشر على التجارة من الشرق الاوسط و موانئ البحر

المتوسط حتى اكتشاف رأس الرجاء الصالح. و كانت البندقية قد نهبت القسطنطينة ابان الصليبية الرابعة على الاقل و استعارت و استمددت اجزاء ثقافية و علوم و فنون معمارية و غيرها من الالدلس فاقامت البندقية فوق الاخيرة مجدها ابان "النهضة" وصولا الى ما يسمى "التنوير". و كانت البندقية–و تؤلف سفر تكوين ما يسمى بالمبدأ الانسانوى و التنوير فيما كانت البابوية سفر تكوين النهضة الاوربية ,

و كانت البندقية على علاقة طيبة مع الخلافات الاسلامية المشرقية و قد اتصلت التجارة بينهما حتى ان البندقية رفضت التحالف مع نابولى. وكانت الاخيرة تحكمها عائلة ماديتشى–التى كانت تنتج و تصدر البابوات و الملوك والملكات الى الفاتيكان و الى عروش اروبا . و كانت نابولى قد صاهرت ملك قشتالة ضد الاندلس. و قد باتت البندقية و نابولى و فلورانس و روما على التوالى مدنا دولا نشأت على خلفية المنهوبات الصليبية و راحت تكتسب معارفا و فنونا بمجاورة الاندلس و باستمداد الاحزاء الثقافية من اقطاعيات الفرنجة فى الشام. وحيث كانت البندقة اهم تلك المدن الدول الا ان نابولى لم تلبث ان باتت بدورها مدينة دولة هامة بالتجارة مع الخلافات الاسلامية الشرقية و بما نهبته بعض العائلات النابوليتانية مثل العائلة فيسكونتى ابان الصليبية الرابعة من ثروات هائلة من الشرق و من قسطنطينة فراحت نابولى تنافس البندقية على نقل العلوم العربية و رعاية الفنون و مناصبة البابا العداء.

و كانت ثروة جيانى جاليازو فيسكونتى وريث جليازو الثانى Galeazzo II–1351–1402–ساعدته على ضم مدن دول اخرى بالتحالفات والزواج فحكم شمال ايطاليا. و قد ترأس اعضاء العائلة الحكومة و الكنيسة النابوليتانية بل اعلنوا حربا على البابا و كان بدوره يناصب حكام تلك المدن الدول العداء[237]. ومن هنا نشأء تياران متناقضان مظهريا او–و موضوعيا وهو ان النهضة كانت تبدو بندقية و نابوليتانية من حيث تطور وازدهار بعض المدن الدول الايطالية بتماسها و الاندلس على الخصوص, الا ان النهضة فى حقيقتها بابوية من حيث ان البابوات هم الذين رحوا يرعون الفنون و ينشئون الشواهد الحجرية تنافسا مع كل من تلك المدن و تطيرا من الاندلس زيادة على خشية الكاثولكية من مغبة ثراء اليهود مما قد يدفع الناس الى التساؤل عن كيف يقيض الرب لقتله ابنه المسيح بركة فى ثراء و سلطة هكذا فلا يعاقبهم الرب على كفرهم و تجديفهم بالرب و فظائعهم بحق ابنه.

و كان بعض احبار و اسباط و تجار اليهود اغتنى فى المجتمعات الاوربية الغربية المضيفة منذ منتصف القرن الثالث عشر على الاقل اى منذ بداية ما غدى يشار اليه بحروب الالف عام الاوربية الغربية بالربا و بمديونية الفلاحين و العمال الحضريين المفقرين على نحو فاحش. و قد ادى ذلك الثراء الى استقطاب الشعب و الحكام و تربصهم باليهود حتى وصلت العداوة الى "خروج" الاخيرين بعنف فى 1290 من انجلترا مثلا. المهم أزعم ان نهضة الفاتيكان كانت نهضة عقلانية للاسباب المذكورة اعلاه و غيرها. كما بات تنوير الاوليجركيات بدوره عقلاني فى مواجهة النهضة البابوية فى مناصبة الاولى للاخير عداء لم يفتر حتى ظهرت الطوائف المنشقة على الكاثوليكية.

2–الهام الاندلس للفنون و المعمار الاوربى:

كان الغرب قد اخذ عن وادي النيل الاسراتى فادعى ان ثمة يونان. و اخذت روما عن قرطاج حيث ما كانت روما لولا قطاج كما ذركنا فمكان اخر و اخذت البدقية عن روما و عادت اوربا الغربية لتأخر من الاندلس و من الخلافة العثمانية و هكذا فى مناويل لا متناهيةمت الاخذ و تزييف تاريخ من عدى الغرب تسترا على زيف تاريخ الغرب. و قد اخذت اوربا الغربية و الجنوبية عن الاسلام المعمار الكنسي ؤ التعليم و المدارس مما عبر عن نفسه فى الجامعات الانجليزية القديمة مثل اكسفورد و كامبريدج و طرز القباب الدائرية التى احاكوا فيها المسجد الاقصى , و اخذوا عن المكتبات و المدارس العربية مناهج التعليم و تراتب اعضاء اسر التدريس و ان خلعت اوربا الكاثوليكية على الاخيرة مراسيمية الكهنوت و هرمية القداسة هذا و ان كانت الاندلس قد انتجت العلم و الثقافة و الفن و المعمار و الحدائق الغناء فقد رأت دولتى البندقية و نابولى ان عليهما بدورهما التعين

على محاكاة العلوم و الثقافة و الفنون و المعمار و الزجاج الملون على غرار القمريات اليمنية و الاحجار الكريمة و الحدائق الغناء العربية الاسلامية.

و كان صناع الزجاج الملون فلامنيك–بلجيك–من الاندلس و هم اللذين زينوا كنائس انجلترا فى العهد الزاهر لبناء الكنائس. و قد نقلت بقية اوربا عن ايطاليا ما سمى بالنهضة خارج سياقه التاريخى و الدينى بالطبع و تنزلت النهضة و كأنها حركة فكرية فنية شمال اوربية اكثر من غيرها فى حين انها لم تكن نهضة بهذا الوصف و لم تكن شمال اوربية حتى. الا انه من المفيد تذكر ان البابوات شجعوا الفن و سجل ما يسمى ب"عصر النهضة" اهم و اكثر اللوحات الفنية رواجا فى تاريخ الفن الاوربى الغربى مثلا. و قد بقى الفن كالرسم على الخصوص مسيحيا حتى وقت قريب جراء رعاية الكنيسة للفن. و مع ذلك فحيث يصور المسيحيون المسيح و غيره من الانبياء فى ايقونات الا ان المسيحية الغربية لا تبيح عبادة الايقونات و انما تقدسها وحسب.

المهم لم تكن المدن الاوربية كالبندقية ونابولى وغيرها تتميز بفن معمار او بالولع بالحدائق الخاصة و العامة و الميادين و النوافير حتى تعلمت من الفن الاندلسى. و ما تبرح البندقية مركزا ثقافيا هاما و له شعبية واسعة بعد بين الفنانين و الكتاب. و ما يبرح ميدان القديس مارك أهم معالم البندقية الذى استلهم مصممو الفن المعمارى الاندلسى تحفة معمارية و قبلة المؤرخين و المعماريين و الزوار و السواح. وقد اطلق نابليون 1769–1821 علي البندقية "صالون اوربا الرائق البديع". وقد اخذت انجلترا الاليزابيثية بدورها عن البندقية بوصفها و البندقية ايقونتى الدول العذراء و قد ادعيتا–تكاذبا–ان فاتحا لم يغزوهما.

و كانت اليزابيث الاولى ترابح فى اسواق مال البندقية بما كان فرانسيس دريك قد نهب من كنوز و ثرواة الاهالى الاصليين فى العالم الجديد و قد اهدى بعضها للملكة اليزابيث الاولى.

و ما ان دفعت الاخيرة ديون الدولة الانجليزية–ببعض تلك المنهوبات–راحت ترابح بالمضاربة فى اسواق البندقية. و لم تلبث بريطانيا ان اخذت تستثمر فى شركات الهند الشرقية فباتت البيت الساخن اقتصاديا للتوسع الامبريالى البريطانى. و قد تعين ذلك بصورة مباشرة او غير مباشرة على خلق شرط مناخ ما يسمى ب "التنوير" و المبدأ الانسانوي.

الفصل الثاني:التنوير الداروينى و الانتقائية الانسانوية:

يصدر التنوير كما رأينا و سنرى عن استقطاب البشرية فى ثنيائيات لا متناهية. وكانت البشرية الانتقائية البيضاء قد راحت تثابر–مثلما كان هتلر و اعوانه من بعد على الجأر بالتطير من تكاثر وكما فعل غيرهم من قبل. و يفعل المحافظون الجدد المثل وبخاصة الصهاينة بالتنديد بالقنبلة الديمغرافية و الحرب السكانية. و تسارع البشرية الانتقائية البيضاء فى نفس الوقت بوصم خصومها بممارسة التطهير العرقى كون وصمة التكاثر بلا تعقل او حساب للموارد و البيئة باتت اخر صيحة فى ابلسة الغريم و اللعب عقلانيا على الضمير العالمى. يقيض ذلك تمرير سياسات لا تزيد و لا تقل عن مصالح المراكمة الرأسمالية و مزيد من الاستحواذ على الموارد بشظينة الكيانات التى ما برحت بحجم لا يناسب شروط الاستلاب الرأسمالي.

هذا و رغم ان البشرية البيضاء الانتقائية كانت تقترف امورا شريرة الا انها كانت موقنة من ان ذلك كان من اجل او فى سبيل غاية نبيلة و أن تلك الغاية هى خلق بشرية بيضاء بالطبع نقية ليس فقط من الشر و انما من العاهات و الامراض–أى بشرية كاملة الاوصاف داروينيا. و قد سوغت تلك البشرية الابادة العرقية باسم التقدم و الحضارة الانسانوي. و عليه فقد بات ضروريا خلق بشرية مخلدة و خالية من الامراض و العاهات. و حيث

بقيت السياسة تعبر عن نفسها في ترتيب اولويات المجتمعات الغنية بل الاحرى الاثرياء المعولمين فقد بات العلم لغة الاولويات.

و قياسا راح الاعتقاد يسود بين تلك البشرية الكاملة المكملة Perfect Humanity بان تقدم العلم المستقبلى و اكتشاف اهمية الخلايا الجزعية قمين بخلق الانسان الخالى من الامراض المعدل جينيا فالفرد الكامل المتقدم بيولوجيا و عقليا. ذلك ان فكرة سيادة الغرب للعالم كانت حرية بان تدفع الغرب الى تحسين حالة الانسان الغربى الصحية و الهروب من فكرة القدر و المصير و تجاوز قدرة الزمن على الانسان الابيض بعد ان قهر الطبيعة و سخرها لنفسه سيدا على كافة المخلوقات. و يتعين مثل ذلك المشروع على خلق فروق بين البشر فيغدو التخلفون بالوصف اعلاه مسئولين عما يحيث لهم بدليل قصورهم و لا عقلانيتهم.

و قياسا تخلق فكرة مد اعمار الغربيين مفاهيم جديدة منها ان المجتمعات الغنية ستغدو جزرا من كبار السن وان الدولة قد لا تجد دافع ضريبة يمول مشاريعها الا ان على تلك الدولة اما ان تجبر رعاياها على العمل الى سن متأخر او–و الاحرى استجلاب الدول الغنية عمالة مسترخصة من الخارج و قد تصحر كل ما عدى الغرب جراء استنزاف الموارد لحساب الانسان الكامل الثرى القوى المعبر عن البشرية خصما على حثالة البشر. و حيث خصخص العلم فقد بات فى خدمة اصحال المال و المشاريع الفائقة للدولة والبشرية الانتقائية و لحساب مجاميع كارهه للبشر مستهذئة بها و يائسه من صلاحها Cynics و خصما على البشرية اللا انتقائية. هذا فما ان تعين العلم المذكور على انتاج و اعادة انتاج مجتمع الانسان الكامل ذلك فقد تعين العلم ايضا على انتاج وسائل انتاج و اعادة انتاج ذلك المجتمع تكنولوجيا.

فالسردية اللوامة البكاءة التى كانت تتطير من الزراعة و تصم الفلاح و الريف و تذرى بهما و نظيرتها الاوربية الغربية و الشمال امريكية من بعد كانت قد راحت تتمأس فوق الرأسمالية ما بعد الصناعية خصما على الزراعة بمفهومها التقليدى للمجتمعات الزراعية السابقة على البرجوازية الصناعية. و قياسا فقد تخلت سردية المجتمع الرأسمالي ما بعد الصناعى بالوصف اعلاه عن ميثولوجيات المجتمعات الزراعية واساطيرها و حكمها الشعبية و ذاكرتها الجمعية التى كانت بشرية لا انتقائية نسبيا و قد راكمتها على مر الاف السنين.

خلفية و سياق نشوء مدارس ما يسمى بالتنوير و المبدأ الانسانوى.

من المفيد دائما العودة الى مدارس الفكر العقلانى "التنويرى" و بخاصة المبدأ الانسانوي لفهم الذهنية الاوربية الغربية و الشمال امريكية كلما استغلق ادراك السردية الغربية على الاقل ان لم تكن سردية اعراب الشتات.

التنصير و التنوير و فاشية المبدأ الانسانوى:

يمكن اعتبار الانجلو ساكسون أس البلاء و اصل النوازل التى حاقت بالشعوب المهزومة من عامة الغويم–Goyim[238]و تعنى الجنتابل–اى غير اليهود–الامميين المشركين بيهوا و عامة اليهود معا و كان ذلك بداءة بمغبة "الاكتشافات الجعرافية الكبرى" و "الفتح" و "التنوير" و غيرها, ذلك ان تلك المفهومات تمثل مفردات لغة اجتياح اوطان المستقرين. يؤلف حاصل جمع تلك المفهومات عامود مناهج البحث الغربية الفقرى Methodological backbone. وتقيض تلك المفهومات كما ذكرنا مرارا محاصرة التاريخ الموضوعى للبشرية قاطبة. فلم تكن "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" سوى غزوات من قبل تنويعات الاعراب البدوية–الصحراوية و البحرية وغاراتهم المنوالية على مجتمعات مستقرة لم تكن راغبة فى ان "تكتشف". فانجلترا مثلا كانت و بقيت مجتمع رعوى تتمثل اهم صادراته او محاصيله النقدية الى اوربا فى صوف الغنم المغزول او–و فى نسيج الصوف حتى القرن 15.

المهم كانت مفردات لغة "الاكتشاف" و "الفتح" و الغزو الخ حرية بان تؤلف عامود مناهج البحث الفقرى فى الظواهر جميعا. واجدنى أيجأر مع بعض المؤرخين و علماء الاجتماع المكافحين بان لا سبيل الى خلاص تاريخ فتحرير الفكر والتنظيم غير الغربى سوى بفك مفصلة فبلوغ سفر تكوين قاموس الاعراب الغربيين و حلفائهم الاعراب الاستثنائيين السبئيين اى ما اسميهم باعراب الشتات الطويل العريض القديم المجدد. فان نصرن المكتشفون و الفاتحون سكان العالم الجديد بشروهم بالحياة الاخرى فى تنويع على سراب التنمية الرأسمالية و اوهام العولمة الكوننة. و كان التنوير قد زوق Euphemised الحاق غير الغربى بالغربى بوصف ذلك الالحاق سبيل غير الغربى الى اختصار المسافة النفسية و العرقية بين الغربى و من عداه. و يؤلف ذلك تكاذبا ما يراه الغربى تجاوز ثنائية Dichocotomies تقسيم البشرية "تنويريا" بين عقلانى وعاطفى و نصرانى و ملحد فراق و متخلف وابيض و اسود و رجل و امرأة الخ.

سوى ان التنوير كان حريا بهذا الوصف ان يجعل الحياة الاخرى نسخة من الارض مكتظة بالسكان. فلم يكن معدى من ان ينكص التنوير الى ما يسمى بالمبدأ الانسانى أو الانسانوى Humanist Doctrine or Humanism. و كان المبدأ الانسانوى تنويع على البراديجمات الفصلية المذكورة فى مكان اخر سابقة على التنوير ببضعة قرون و لم يقيض له الاستمرار الى حين. و لعله كلما اوشكت براديجما فصلية بالضرورة على الانقلاب على او مصادرة على المطلوب منها او كادت تفتضح تعينت براديجما فصلية اخرى على الحلول مكانها و هكذا بلا وازع او حكم فالفكر المذكور هو الخصم و الحكم و القاضى والجلاد دفعة واحدة لا يترك فضاءا ناهيك عن سبيل للجرؤ على الافضاء بان البغل فى الابريق؟

المهم كان المبدأ الانسانوى يرفض الحياة الاخرى و فكرة البعث بعد الموت باسم "علمانية" متكاذبة–تعود فى بداياتها الاولى الى ايرازماس اكثر من غيره. و كان ايرازماس يتمسح بالكنيسة و يؤمن بالسحر و يمارس الشعوذة فيسمى الاشياء بغير اسماءها صلافة. فلم يكن المبدأ الانسانوى التنويرى يصدر عن ابعد من ادعاء فاشية التفريق بين الاقوام المنحطة و الاجناس النوردية الآرية او الجنس السيد Master Race. و لم ينفك المبدأ الانسانوى ان اخرج تلك الاجناس المنحطة من كل من حظيرة المسيحية الغربية و من علياء الجنس السيد فابلسها بالحط من ادميتها Dehumanising non-white races تصويغا للقضاء عليها. فليس واردا سوى القضاء عليها لتدنيها الى ما هو اقل من الشامبانزى و ابى القنفذ. و كأن الالحاق التنويرى خليق بانتاج تنويعة باكرة على اجتزاء انتروبولوجيى النازية للتبيان فى أرقام و احصاءات بوصفهم شرح على متون الجنس الارى. و يعاد انتاج كلى المشروعين العنصريين فى النظريات الجينية تماما اليوم.

-الانسانوية الجديدة و عقلنة اطر مناهج البحث الفكرية:

من المهم ذكر حقيقة ان "الفكرة" الاولى للتنوير–مثلها كمثل اى فكرة مطلقة–كانت فكرة "انسانوية" تجأر بسواسية البشر و "وحدة البشرية". وحيث كان الافانجليون الباكرين قد ادعوا فكرة وحدة البشرية و نادوا بانسانية واحدة فى الرب الا ان تلك الوحدة كانت مشروطة بالتنصر والجنس الابيض الراقى. و لم يلبث كل من الليبراليين و من اسميهم ب "الماركسيولوجيين" اى اؤلئك الذين جزأوا النظرية الماركسية بدورهم بين رأس المال ونمط الانتاج الاسيوى او الشرقى مما اجادله تباعا على السواء–قد اخذ بفكرة السواسية ووحدانية البشرية , وقد اطلقوا عقيرتهم التنويرية بهذا الوصف تغنيا بالافاق الواسعة التى انفتحت امام الفرد و الحرية التى قيضت للفرد–دون تحليل

التنوير او تعريف ذلك الفرد الذى ازعم تباعا انه نتاج و وظيفة "الكشوفات الجغرافية الكبرى" وغيرها من التوسعات الافقية و الرأسية و لا تعينوا على تعريف ذلك الفرد بهذا الوصف.

و كانت اوربا و ما يبرح الغرب يراوح فى افضل الشروط و يتحور فى اكثرها موضوعية بين ادعاء منتهى الحضارة الانسانية و التقدم بل يزعم انه البداية و النهاية. الا ان اوربا و الغرب–الرأسمالية–ما تنفك–رغم و ربما بسبب تقدم العلم المحض مطبقا على وسائل الانتاج عالية التقنية–تنكص الى مراحل سابقة على نفسها كما يلاحظ الناس فى كل مكان. و كانت اوربا راغبة فى اوقات الشدة المتستر عليها فى استدعاء عهود ماضية و تكريس قيمها من باب اشاعة الفوضى الفكرية و التنظيمية فى كل مكان مما أناقشه فى مكان اخر. المهم فورا لماذا تستدعى اوربا القرن السادس الى الثامن عشر العصر الكلاسيكى؟

النهضة و عقلانية استدعاء او النكوص الى العصر الكلاسيكى:

لم يكن العصر الكلاسيكى يعرف بهذا الوصف حتى القرن الرابع الى السادس عشر فعصر النهضة عبورا بالقرون الوسطى. و قد باتت النهضة تعريف للمرحلة اللاحقة للقرون الوسطى و خروج اوربا و العالم بالتماس المقتهر للعقلانية الاورية من العصور الاوربية المظلمة تذفق العلوم العربية و الترجمات اليونانية من الاندلس و غيرها نحو أوربا. الا ان النهضة كانت تعنى بهذا الوصف وصول العلوم من اليونان و روما بالخصم على العلم و المعرفة الاسلامية. ولم تلبث اوربا ان راحت تستدعى العصر الكلاسيكى و كأنه بمثابة الاحتماء تخاتلا باليونان و روما و نكران أى اثر اسلامى على الاولى كما ذكرنا فى مكان اخر و تباعا.

و كانت اوربا الغربية على الخصوص قد مرت عشية انقضاء العصور الوسطى بارهاصات تحولات كبرى جراء كل من المعارف الجديدة و فلسفات السلطة و الدين و الفن و المعمار الاتى من الشرق بصورة غير مسبوقة لاول مرة الى اوربا. واجادل ان اوربا راحت تستدعى العصر الكلاسيكى فى القرن السادس عشر لان الحركة الفكرية كانت قد استقطبت بعنف جراء انقسام الكنيسة و كانت اوربا قد دخلت عصرا جديدا بسقوط الاندلس و الاكتشافات الجغرافية الكبرى. و لعل الكنيسة تعينت على التحديات التى واجهتها من التيارات الفكرية والدينية التى راحت تحاصرها بما يسمى النهضة والاصلاح البروتستانتي.

و تعنى مفردة النهضة حرفيا البعث او عودة الحياة او الميلاد من جديد. ذلك ان الجزء الاول من المفردة وهو Re- يعنى عودة و يعنى الجزء الثانى Naissance مولد أو ميلاد. و قياسا فان معنى النهضة باللغات الاوربية الغربية يستدعى فكرة ان اوربا تعود مجددا الى عصر زاهر كانت قد مرت به وهو تضمينا العصر الكلاسيكى.

و من المفيد تذكر ان العصر الكلاسيكى الذى يشير الى اليونان اكثر من اى شئ اخر ليس غربى حقيقة قاليونان ليست جغرافيا غربية. المهم فورا و رغم محاولة الكنيسة الكاثوليكية الغربية الا انها لم تنجح فى تفادى انقسام الكنيسة و تداعيات ذلك الخ. و كنت قد جادلت فى مكان اخر ان التنوير قد انتصر على النهضة. وعليه فقد كانت النهضة دينية اكثر من اى شئ اخر جراء ما يسمى بالاصلاح الدينى–البروتستانتى و حركة الاصلاح المضادة–بعد اكثر من 100 عام من الحروب الدينية 1336–1453 فى اروبا. فقد راح البابوات فى القرن السادس عشر–كرد فعل على الحركات البروتستانتية–يتبارون فى بناء كاتيدرائيات كبرى عالية تطال السماء فى كل مدينة كبرى. و قد باتت الكاتيدرائيات بهذا الوصف تنويع على البورصة او على اسواق المال. فقد كانت الكنائس مصدر ثورات عظيمة من اموال المحسنين الاثرياء و الصدقات من المفقرين للقديسن و مراكز تجارية عظيمة.

كما عملت البابوية على تشجيع الفنانين من رسامين و نحاتين على تكريس الرموز و الاخيلة و الايقونات المسيحية الغربية مما تمثل فى لوحات ليوناردو دافينشى مايكل انجلو و الجريكو El Greco و كارافاجيو. الا ان التنوير لم ينفك ان راح "يعلمن" أوربا الغربية نسبيا فى القرن السابع عشر تخاتلا على الكنيسة. و حيث أجبرت الكنيسة على تحليل الربا فقد نشأ ما سمى بالبرجوازية الصغيرة من الحرفيين الاقطاعيين و بزغت الطبقات المالية التى كانت قد ترابحت فى المضاربة فى الاكتشافات الجغرافية الكبرى. و قد قيضت الاخيرة اجتياح ما تبقى من العالم القديم لحساب اوربا الغربية والعالم الجديد, و قيض حاصل جمع تداعيات او تجليات الاخير توفر علوم المجتمعات التى تم اجتياحها و تلك التى اكتشفت من اجل خلق مجتمعات "حداثية" تخاتلا.

و كان التنويريون كما ذكرنا فى مكان اخر قد تعينوا بدورهم على استدعاء العالم الكلاسيكى و الفكر اليونانى و بخاصة الارسطى و مأسسوا مفهوم الجمهورية و اليوتوبيا على المفهوم الافلاطونى و الارسطى للمجتمع. فقد كان الاول تلميذ سقراط و رد فعل عليه–بمعنى الانصياع للمواضعات الاثينية اى تفادى مغبة خروج سقراط على المواضعات الرسمية. و رغم ان افلاطون فزع لاعدام سقراط بتهمة التجديف بحق آلهة الاليمب الا ان افلاطون لم ينفك ان بات اكثر تشددا ممن اعدم سقراط بل بات يناصب كل من لا يشاركه اراءه العداء. و كان يسعى الى فرض قيمه من الخارج و يتشكك فى العاطفة و جعل من عقيدته دين فكرى. و لك ان تقارن(ى) بين موقف افلاطون و موقف الخوارج من حيث المناداة بحرية الرأى و حرمان غيرهم منها.

و كانت العقيدة اليونانية المسماة العقيدة الاكسيليةِ المحورية او المدارية Axial Religion او العهد الاكسيلي–المحورى او المدارى Axial Age قد اسهم بصورة رائعة فى الرياضيات و الجدل و الطب و العلوم الا ان تلك العقيدة ما انفكت ان ابتعدت-على عهد افلاطون 428–471 و ربما بتأثيره -عن الروحانية[239]. و لم يلبث ارسطو –384–322 ق م–أكثر تلاميذ افلاطون ابداعا و عبقرية ان كرس تلك الثنائية اليوتوبية بين الحرية و العبويدة و بين المواطنة الاثينية و البربرية الخ. و قد استقرت تلك الثانية فى مسام الفكر الاجتماعى الاقتصادى الغربى. و يكفى تأمل ما يحدث لاغلبيات الامريكان من العاملين بالساعة و يبلغون اكثر من 80% من تعدا السكان. و رغم ان الانتاجية فى امريكا ارتفعت الى ما يشارف 30% مما كانت عليه فى الثمانينات و اكثر من ذلك منذ السبعينات الا ان الاجور انخفض بنسبة 12% مما كانت عليه فى 1980 و زادت تكاليف معيشة الفرد الامريكى رغم انه يعمل 350 يوما فى العام اكثر من نظائره فى اليابان المتهمين بادمان العمل Workaholic وما ينتجه العامل الاوربي الغربي فى المتوسط. وقياسا وتدليلا على مفهوم اليوتوبيا الامريكية المعاصرة الماثلة و التى لاحظها الناس فى كل مكان اليوم–اى خريف 2008– على الاقل فان ال 1% من الامريكان فى الشريحة العليا من السكان يتمتعون بامتيازات و لا تجرؤ حكومة جمهورية او ديمقراطية برفع الضرائب عليهم جراء احبولة ان ثروتهم حرية بان تتنزل الى اسفل Trickle down و تخلق العمال و مزيد من الثروة فيعم الرخاء. ألا ان تلك الاقلية التى كانت تحصل فى ثمانينات القرن العشرين على 8% من حاصل جمع الدخل القومى The total national income.[240] تحصل اليوم على 20% من مجموع الدخل القومى فيما تتدنى حالة الاغلبيات المنتجة كما ذكرنا اعلاه تباعا.

و اجادل ان الحقائق اعلاه تعبير ا تعريف اجرائى لمفهوم اليوتوبيا . فالاخيرة لا انتقائية فى درجات المقياس. اى انها لا تفرق بين المنتجين والناس العاديين و الشعوب قاطبة فى كل مكان و على مر التاريخ المسكوت عنه الا ما خلا ايام الازمات و اوقات الشدة البالغة. و من المفيد تذكر ان ثمة تعريفات متعددة و مناقضة لمفهوم اليوتوبيا- وقد رتب افلاطون المجتمع على قياس و غايات الحكام و الرجال اليونانيين الاحرار خصما على المحكومين و غير اليونانيين والمرأة و العبيد– ما تبرح تصدرعن تلك التراتبات. و قد ألف ذلك التراتب سفر تكوين التراتب الاجتماعى او–و تقسيم العمل الاجتماعى فى متروبوليتانات البرجوازية الصناعية الى الرأسمالية ما بعد الصناعية.

المهم فورا كان افلاطون حريا بان يقف على رأس تجربة سقراط 471–469 ق.م. و كان سقراط ضحية الديمقراطية التى اعقبت وفاة الامبراطور بريكليس Pericles فى 428 ق م و كان المنقسمون الذين استولوا على السلطة بعد الاخير متعسفين[241]. و قد تفادى افلاطون خروج الاخير على التراتب الاثينى الذى قال به سقراط حتى لا يدفع الثمن. و ازعم ان افلاطون ربما "قول"–بفتح القاف و سيد و فتح الوا–سقرط ما كان هو عاجز او عازف عن قوله. و لعل افلاطون لم يفعل شيئا سوى الاخذ عن سقراط –وهو الذى حفظ و سجل اقوال سقراط الذى لم يكتب شيئا ما عدى عصيان سقراط للسلطة القائمة و تحدى الاثينين, و لعل سقراط–وازعم انه ربما كان من الخرز–كان حريا بان يتطير من الكلمة المكتوبة. ذلك ان الكلمة المكتوبة لا تسمح بالعودة عنها اما اذا بقيت غير مكتوبة امكن الرجوع عنها وتحويرها و تبديلها الى ما لا نهاية. المهم كان افلاطون حريا بان يقوم بالاخذ عن سقراط و تفادى ما من شأنه ان يوقعه هو فى مغبة معارضة السلطة القائمة فيلقى مصير سقراط موتا بالسم و اخيرا خلق يوتوبيا اثينية بامتياز. وقد اثرت افكار سقراط نقلا عن افلاطون كما فعلت افكار ارسطو على الخصوص فى كل من الفكرالاسلامى و المسيحي و ما يسمى بالفكر العلمانى الغربى. فقد كان ثلاثتهم من اهم من اثر فى الفلسفة. و ازعم ان ارسطو كان اعمقهم اثرا فى الفلسفة الغربية و العربية من قبلها. و ما برحت اتسائل ان كان لاحراق اعمال ابن رشد اثر فى غياب الدور العربى فى نقل و تفسير و التعليق على ارسطو؟ و لمصلحة من كان ذلك؟ و ما هى العلاقة بين الفكر اليوتوبى التنويرى و البروتستانتية؟ وما هى العلاقة بين الاخيرة و الطوائف الاسلامية المنشقة على مؤسسة الخلافة؟

الفصل الثالث: تعالق عقلانية الطوائف الاسلامية و نظيراتها المسيحية الغربية الارسطية:

أزعم ان فكرة اليوتوبيا بقيت كامنة فى مسام الفكر الغربى و قد استمددت من اثنيا المدينة النموذجية أو المثالية من حيث انها مجتمع يسوده قوم انقياء عرقيا متقدمين و يخدمهم من هم دونهم من الاقوام الدنيا. و تذكر اثينا بارض الميعاد و الاثينين بشعب الله المختار او بنى اسرائيل او حتى القوم المشركين بيهوا حسبما تري(ن) هذا و تتصل اليوتوبيا و كل من المبدأ الانسانوى و العقلانية. و قد كرست "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" اخيلة يوتوبية لدى الغربى و قد بات يشعر بالامتياز على كل من عداه من سكان المجتمعات التى اكتشفها او فتحها او توسع فيها. و قد انجبت تلك الاخيلة مفهومات مثل القدر الجلى و حق الفتح و غيره من تعالقات الاستعمار والاستحواذ بتنويعاته وتسويغها جميعا. و من المفيد تذكر ان فكرة اليوتوبيا كانت الى ذلك قد تمأسست فوق المسيحية الغربية و مبدأ ان السماء للمسيحيين وحدهم مثلما كانت قد اصدرت عن تفسيرات تورانية ملفقة مثل ارض الميعاد و شعب الله المختار و طبقة الشعب.

و لم تلبث الطوائف التى انقسمت على الكنيسة الكاثوليكية الغربية ان كرست ثنائيات الاكثر تقوى و اجدر بنعمة الرب و الاقل تقوى بل الكفرة ممن يستحق قدره. و لم تكن تلك الثنائيات قد اتصلت بالمسيحيين الغربيين وحدهم و انما عمت كافة الاديان و العقائد فى مرحلة من مراحل تطورها او نكوصها. وأجادل ان الازمنة التى عاصرت مثل تلك التحورات كانت تتسم بالتنافس على السلطة و الثروة و الموارد المتناقصة بصورة غير معلنة فى حين كان المجتمع احيانا يعبر عن نفسه فى صورة زاهرة مما اناقشه فى مكان اخر.

و قد خلقت اليوتوبيا كيمياء الثنائيات التى تمثلت فى التنوير فيما يتصل باستقطاب البشرية بين ممتازين و منحطين الخ. و اجادل ان الفكر اليوتوبى لم يقتصر على المسيحية الغربية و اليهودية. فقد تعالقت افكار يوتوبية و بعض الطوائف التى راحت تنشق على النص و على قداسة مفهوم النص وصو الى استقطاب امير المؤمنين مثل الخوارج الخ. و فيما أزعم ان ثمة تنويعات باكرة على الطوائف المسيحية الغربية المنشقة على الكاثوليكية احاول فيما يلى عقد قياسات افتراضية ثم موضوعية على نظائر سابقة على تلك الثنائيات. فهل تعالقت الطوائف المنشقة على الكنيسة و نظائر لم تكن مظهريا منشقة على طاعة الصحابة و امراء المؤمنين و انما راحت تطيح بسلطة امراء المؤمنين تباعا ابان الخلافة العباسية على عهد هارون الرشيد الاسراتي؟ و هل نشأت قياسا تنويعات على الاخيرة فى الاندلس و انتقلت من الاندلس

الى اوربا الشمال غربية متمثلة فى الطوائف البروتساتنية البيوريتانية الاصولية المنشقة على الكنيسة و على الكاثوليكية بتماس الجوار مع الاندلس؟

عقلانية شطينة مجتمعات المستقرين بحركات مشبوهة:

رغم ان نشوء الطوائف المنشقة على النص و تلك التى استقطبت امير المؤمنين وكل من عدى تلك الطوائف من المفكرين و العامة لم تكن دائما وظيفة الصراع على السلطة والثروة بامتياز فى الخلافات المشرقية مثلا الا ان نشوء نظائر للاخيرة فى الاندلس تعاصر و نكوص الاندلس جراء حركات شعبية مشبوهة منذ ميصراما الى اختراق الكهنة صفوف الرومان و العامة و تحريضهم على الثورة على بونشاس بايلوت Pilate حاكم القدس لصلب المسيح.

و كان أعراب الشتات يخترقون شرائح السلطة و يستعدون العامة على الخليفة تباعا. مما قد افصل بعضه فى مكان اخر.

و كانت هجرة الاموال و الافكار من الاندلس عشية و غب سقوط غرناطة الى اوربا الغربية حرية بان تتمثل بدورها فى تطورات اقتصادية و حركات فكرية–كما ذكرنا فى مكان اخر– فى اوربا الجنوبية والغربية بالنتيجة. و قد عبرت الطوائف المنشقة على الخليفة عن نفسها كونها تعينت اكثر ما فعلت على:

1–اضعاف الدولة المركزية و شرائح السلطة التقليدية أى التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية الحاكمة

–اضعاف التشكيلات المحكومة

– خلق بدائل ناجزة لنظائر سابقة على تلك التشكيلات ممفصلة فى طوائف اجتماعية لا اقتصادية.

خلق نظائر ممفصلة للمحكومين تتعين على اشعار حركات شعبية ملفقة كلما لزم و حسب المقاس و الطلب

3–احلال طوائف فكرية و لا تنظيمية الا بقدر ما تخدم نفسها و مصالحها الذاتية خصما على المجتمع المضيف غالبا و التخلص من كل من يمكن وصمه فردا او جماعة و قد استنفذت اغراضها مما لزم معه التخلص منها.

4– تأجيل حلول شرط نضوج الكيانات الاقتصادية الاجتماعية الدنيا بخلق قضايا انصرافية او–و اختلاق حركات مشبوهة تستبق الحركات الشعبية التى كانت قد عمرت التاريخ غير الغربى او مجتمعات النمط الشرقى. و كانت تلك الحركات قد راحت تتحور فباتت تعبر عن نفسها فيما اسميه بالحركات المشبوهة خصما على نظائرها الموضوعية منذ الفرن الاول الهجرى و تباعا.

سوف نرى كيف تحورت عقلانية بعض الحركات الاسلامية التى نشأت باكرا و منذ زمان الرسول (صعم) و غب مقتل عثمان ثالث الخلفاء الراشدين فى 656 ميلادية–النصف الاول من القرن الاول الهجرى. و قد نشأت نظائر او امتدادات للاولى فى القرنين الثامن و التاسع. و كانت تنويعات من الطوائف المنشقة على الصحابة و امراء المؤمنين قد نشأت منذ زمان الرسول صلعم الى القرن الثامن و التاسع الميلادى وبخاصة مع الصراع الذى عاصر بيعة معاوية و ما تلي ذلك على عهد الامويين مما سمي بثورات الخوارج. و ازعم ان تلك الثورات كانت تنويع على حروب الخزر على العباسيين فيما بعد و ربما كان قادتها هم نفس قادة حروب الخزر على العباسيين. هذا ولثورات الخوارج على عهد الامويين نظائر نشأت ابان الخلافة العباسية الاسراتية على ايام هارون الرشيد الى بداية عهد المتوكل فى القرنين التاسع و العاشر مما عددناه فى اكثر من مكان اخر.

و لعل سفر تكوين ذهنية الذراية بالحركات الشعبية كان قد اتصل منذ ان راح الفكر الاسلامى يصدر عن الفكر الهيلينى او اليونانى بتأثير سقراط و ارسطو على الخصوص بوساطة الخوارج. و قياسا فما ان تأثر الفكر و التنظيم الاسلاميين بالفكر اليونانى حول الحركات الشعبية حتى راح يذرى بالمرأة و يسوغ تزويقا تنويعات على استلاب المرأة. و لعل اليونان اثر اكثر ما اثر على وضع المرأة العربية و المسلمة مثلما فعل تأثير الارستقراطية الفارسية بها. فقد كان المجتمع اليوناني متراتبا طبقيا و اثنيا Ethnically ونوعيا. فما بين اليونان الاحرار و غير اليونان–البرابرة–و بين الرجال و النساء–و كانت اثينا مجتمع الرجال–و بين اؤلئك الرجال الاحرار و غيرهم رجال غرباء و نساء قاطبة اوحت اثينا بما سمى المدينة

الفاضلة و تزوق فى اليوتوبيا. ولعل تراتب اثينا بهذا الوصف قد يفسر ما حل بسقراط و ارسطو و بعض الصوبين اكلاسيكيين كونهم كانوا اجانب.

من هم سقراط و ا رسطو؟ و هل كان سقراط و ارسطو سفرتكوين الخوارج و المعتزلة تاريخيا؟

ربما كان مفيدا تذكر ان سقراط بقى غير معروف الاصل او النسب الا بقدر ما يوحى لونه و ملامحه زيادة على كرهه للديمقراطية مما قد يدفع الى الزعم بانه ربما لم يكن اثينيا. و لعله بات اثينى بالتجنس و اللغة اكثر منه بالميلاد مثلما كان غير الرومانى يغدو رومانيا باجادة اللغة اللاتينية. و كيف لا نعرف عن اليونان اكثر و لا ابعد مما يده الغرب علينا؟ وهل كان سقراط سيد الخوارج اما السؤال الذى يعن دائما فهو لماذا لا نعرف عن سقراط اكثر مما نعرف و ما هو أصله حقا؟

و رغم ان سقراط اثر على عدد كبير من المفكرين العرب والمسلمين الا ان معظمنا ينسى ان اليونان لم تكن غربية يوما كما انها لم تكن اكثر من مستعمرة وادى نيلية. فان حقن الفلاسفة و المفكرون العرب و المسلمين امثال ابن رشد و ابن سينا و الفارابى و الغزالى الفلسفة الاثينية باراءهم و اطروحاتهم فقد كانت الفلسفة اليونانية حرية بان تصدر بدورها فى كثير من ملامحها–الا ما خلا العنصري منها–عن الفلسفة الوادى نيلية الاسراتية. ذلك ان الفلاسفة اليونان امثال افلاطون و فيثاغوراس وثاليس و Thales of Milet كانوا يزورون و ادى النيل الاسراتى الشمالى –و لم يكن ثمة مصر فقد اطلق هيرودوت عليها اسم مصر و تنطق فيما يستدعى معنى كلمة الغجر Egypt/Gipsy–المهم عاش بعضهم سنوات يطلب العلم على يدى راهب هيليوبوليس سيكنوفيسSechnuphis بجوار الاهرام و فى مدارس صايص Sais وغيرها[242].

و قد عبر اتصال اليونان بوادي النيل الاسراتى عن نفسه فيما عبر فى كل من:

– فى جود مدينة يونانية تسمى طيبة التى تحاكى طيبة الوادي نيلية

–وفى اسطورة اوديب التى اخذ عنها كل من امانويل فيليكوفسكي Velikovsky و سيجموند فرويد Sigmund Freud تمثلا لاخناتون–الاسرة الثامنة عشر–و قد حكم تل العمارنة منذ 3500 عاما. و قد قيل ان اخناتون تربى فى احد قصور امراء اليونان ويعتقد انهم حكام طيبة اليونانية من لايوس Laios عبر كيرون.Keroon و كان ارسال الامراء ليتعلموا لوقت يقصر او يطول فى بلاطات الموالى و الحلفاء و الممالك التايعة تقليدا شائعا بين اعضاء بلاطات وادي النيي الاسراتى. و قد تحدر ذلك التقليد الذى بقى راسخا فى ثقافة البلاطات الوادي نيلية حتى مرحلة الفونج المتأخرة بل الى وقت قريب. و بقى مفهوم الربابي معروفا فى السودان مثلا و ثمة اسر تحمل تلك الصفة اسماءا مميزة لها حت مسمى الارباب مما اذكره فى بحث اخر[243].

و كانت اليونان فى مرحلة من تطوره او نكوصه يشارف كما ذكرنا مستعمرة وادى نيلية. ثم بات اليونان مستعمرة وادى نيلية و قد اورثت روما الامبراطورية حصاد متاخمتها لوادى النيل الاسراتى بالوصف اعلاه. و كانت روما بدورها محصلة ارث قرطاج العظيم بامتياز الذى لولاه لما كانت روما. فقد كانت الاخيرة قبل هزيمة قرطاج مدينة صغيرة بيوت من الطين والقش.

المهم ردت الاندلس حاصل جمع تلك الفلسفة الانسانية الي اوربا مما يجعل انتحال اوربا الغربية فلسفة يونانية خالصة ليس سوي تخرصات شوهت التاريخ الحقيقي للاندلس وانكرت فضل التراث العربي الاسلامى العظيم علي الحضارة–الثقافة–الغربية–الانسانية. و ينسى بعضنا ايضا ان حركة الصحائفيين التى انتشرت عشية ظهور الاسلام كانت حركة فكر واسع و مؤثر. و ينسى معظمنا ان ورقة ابن نوفل كان واسع الاسفار و الاطلاع و كان يجيد الى جانب العربية الارامية و ادعى انه كان ملما باليونانية. و كان حريا بان يكون له مع غيره يد فى حركة الصحائفيين التى انتشرت عشية ظهور الاسلام واثرت فيه الاتجاهات الفكرية و الثقافية المادية لتلك الحركة[244]. و الى ذلك لم يكن ورقة ابن نوفل محض قريب

او نسيب يتضامن مع قريب اوصهر بل كان الى ذلك مبدع فى الفكر يقيض بفكره و عقله النصح ويشد من اذر ابن مبدع بدوره على نحو غير مسبوق.

هذا و رغم ولعنا بالفلسفة المسماة يونانية الا ان معظمنا لا يعرف عن سقراط اكثر مما ناخذ–ان نحن تعيينا على التعرف عليه بعمق نسبى–من الغرب. و لا يتأمل معظمنا هذا الفيلسوف الكاره للديمقراطة و النساء مثلا. ولا يعرف معظمنا سقراط مثلا الا بالاسم وبعض ما يتقول(مبنى للمجهول) به عنه شفاهة من فتاة سيرته و من هو سقراط حقا ذلك الرجل الذى أثر على بعض من اهم المقولات فى فكر مدارس بقى لها اثرها على تنويعات من الفكر الاسلامى المسمى علمانى و على طوائف خرجت عن ذلك العلم و اثرت فيه حتى اليوم؟

كان سقراط–أهم فلاسفة اليونان و قد ولد فى 470–قد وصف بانه كان محبا للمجون يعشق الاولاد و يمزح [245]. المهم كان ابو سقراط يزاول مهنة قطع الحجارة و هذه ليست من مهن الاثينيين وربما كانت من مهن الغرباء البرابرة بالاحرى او العبيد و قد ورث سقراط المهنة عن ابيه. و قيل ان سقراط كان فكها وقحا و كان قمين بان يتحكم فى نفسه فيما كان هو نفسه استفزازي يثير حنق الناس باستفزازهم. و كان سقراط فريدا مرة و كان تقليديا مرة اخرى و كان يتحبب للناس و مراوغ معا[246]. و كان سقراط قبيحا و قد وصف بان كان له كرش كبير و كان قصير و غليظ الشفاة و انفه افطح.

و لعل سقراط بذلك و لم يكن يشبه الاثينيين. و ربما كان أثينيا بالتجنس اى من سلالة اعراب الشتات او–و الخزر. و قد عاصر سقراط القرن الخامس قبل الميلاد حيث عاش أعراب الشتات على مشارف اليونان و كانوا قد هاجروا وراء الاسكندر الاكبر فى حملاته على فارس و اسيا الوسطى فبات معظمهم يشار اليه من بعد بالخزر.

و كان الخزر يعيشون فى اليونان فليس ما يمنع افتراض انهم انخرطوا فى جيوش المرتزقة ممن راح يتسرب الى وادى النيل الاسراتى الشمالي. و قد يعزز هذه الفرضية انه عندما وصل الاسكندر الاكبر الى وادى النيل الشمالي لم يحتاج الاسكندر لقتال يذكر للاستيلاء عليه حيث كان جنود مرتزقة–و قد جنودا فى صفوف جيش وادي النيل الاسراتى الشمالى قد اصطفوا على جانبى طريقه من الشاطئ ويهللون و يصفقون له. و ازعم ان معظمهم قد يكون من الخزر على عهدهم فى الانخراط فى صفوف جيوش الممالك المتاخمة. فقد كان الخزر يعيشون على مشارف وادي النيل الاسراتى و فى مقدونيا التى تتاخم اليونان. و كانت مقدونيا قد اجتاحت اليونان تباعا منذ عهد امينتاس الثانى Amyntas ملك مقدونيا فى القرن الرابع قبل الميلاد وصولا الى استعمار مدن شبه الجزيرة التى تسمى اليونان بالكامل على عهد ابنه الملك فيليب الذى وصل العرش فى 360 ق م. ولم تنفك ان باتت للخزر جمهورية باسمهم سميت خزاريا مما قد يفسر تطير الاثينيين من كل من سقراط و ارسطو معا[247].

والمهم فورا يعتقد ان سقراط كان يتعيش من صناعة الطوب فى اثينا وكان قد ورثها عن ابيه.

فهل كان سقراط من اوائل الماسونيين؟ كان سقراط–ما ان استطاع ان يوفر لنفسه السلاح اللازم للاشترك فى الحرب البلوبونيسية بين اثينا و اسبارطا–432–429 قبل الميلاد–و كان ذلك حريا بان يرفع من قدره على غرار ما كان الافراد فى المجتمعات العبودية الكلاسيكية يتعينون على السعى اليه بامتلاك سلاح. وكان الاخيرون يحتلون رقعة نسبية بين الرقيق و العامة الى ما يشارف الطبقات الوسيطة. و كان قادة العامة من اليونان يستقطبون فيجندون عند حواف السلطة الخارجية و يمنحون الحق فى دفن موتاهم على مشارف مقابر الاحرار حول المدينة. و كان اؤلئك القادة تنويع على ما بات يسمى فيما بعد يسمون قباطنة الشعب Capitanos del popolo, وكان الاخيرون يرفعون احيانا الى مصاف اعضاء الدائرة الخارجية للسلطة.

و كان الفرد من تلك الفئة اذ يسعى الى امتلاك السلاح فى الدفاع عن الحاكم فى صفوف جيش الملك للدفاع عن الملك و كان الاخير يكافئ ذلك الفرد من العامة او من العبيد برفع مكانته او بالعتق فى تنويع على ما يحدث حتى اليوم فى

المجتمعات الغربية. و لعل ذلك يعبر عن نفسه فى تنويع تعد فيه الدولة من يقاتل فى صفوف الملك بالعتق او ما يماثله مثلما تعد امريكا من يقاتل من اجل مصالحها فينخرط فى حروبها مثلما فى الحرب على العراق بالبطاقة الخضراء. و كان انخراط سقراط فى صفوف القوات الاثينية قد رفعه حتى حظى من بعد–كونه بات من قدامى المحاربين–على مرتبة فوق مكانته المتواضعة. و ربما كان سقراط عبدا معتقا مقاتلا. و لا نعرف من هم العبيد اوالبرابرة غير اليونانيين اللذين كانوا يؤلفون عصب اقتصاد اثينا و يشكلون بعض افراد قواتها المحاربة فذلكم ديدن التاريخ الرسمى للحكام.

المهم فيما كانت الحرب مع اسبارطا مشتعلة فى نهاية القرن الخامس وهزمت اثينا وقف سقراط مع الحرب. و كان سقراط حريا بان يلتبس بنسبيته الطافحة و انكاره للحقيقة المطلقة على الاثينين ابان الحرب مع اسبارطا و كانوا محبطين و لا وقت لهم لتناول القضايا بيسر ناهيك عن الاسترسال فى الجدل. لذلك لما عادت الديمقراطية حوكم سقراط.

و رغم انه عندما حوكم سقراط و لم يعثر على دليل مادى ضده– لانه لم يكتب شيئا–الا انه كاد يصلب فاعطى خيار تعاطى السم بالمقابل. و كان صلب المحكومين بالخيانة العظمى شائعا و كان سقراط محظوظ اذ اعطى سم الهيملوك الذى يشل البدن من اسفل الى اعلى. و ليس معروفا اى نوع من سم الهيملوك اعطى سقراط. و كانت المحكمة بحضور 50 من المواطنين الاثينين و استمرت المحاكمة يوما واحدا. و لم يسترحم سقراط و لم يتنازل عن ارائه بل قال ان على الدنيا ان تعوضه هو. و قال البعض انه كان فى السبعين و لم يكن يرغب فى ان يعيش فى مذلة ارزل العمر و كان راغبا فى الموت.

و قد نفى سقراط كل امرأة من حضور موته و حتى زوجته و كافة النساء اللواتى كن حاضرات يولولن ابان محاكمته. و قيل ان سقراط كان غليظ الفؤاد و كان يقول لهن سوف القاكن فى حياة اخرى و سوف نتناقش و نقول ما لم نقله[248] فانا ذاهب الى مكان افضل. و كأن سقراط كان يستبق قولة المسيح حين هتف المسيح من بعده على الصليب مخاطبا النساء و كن يحطن بقاعدة الصليب مولولات "لا تبكين من اجلى بل فلتبكين من اجلكن انتن و من اجل ابنائكن فانا ذاهب الى السماء حيث ابى".

و كان سقراط معروفا بكراهيته للديمقراطية–وكانت قاصرة على الرجال اليونانين الاحرار–مما قد يفسر احتقار اثنيا للعامة و العبيد و الدهماء و الاغراب و النساء و كانت اثنيا اول من استخدم مفهوم البرابرة بمعنى الغرباء. و قد اورثت الفلسفة اليونانية الفكر الانسانى الذراية بالعامة. فقد كان العامة فى المدن الدول اليونانية مثلها مثل كافة المدن الدول –مثل دول الخليج–حتى اليوم غرباء و عبيد, و كان الغرباء اى غير اليونان برابرة مثلما يغدو الفيليبيني و السيريلانكي و رعايا شبه القارة الهندية كائن ادنى ان لم يبرر فى الخليج عقابه على خطأئه و خطأ مخدمه جميعا بالطرد شر طردة ان لم يمشى بالاذى كما فى حالة الخادمات الاتيات من نفس الاوطان المذكورة اعلاه[249].

و رغم ان حكام معظم المجتعمات المحديثة نسبيا باتوا من الغزاة و الغرباء الا ان الوضع لم ينفك ان اوقف فوق رأسه فبات الاخيرون هم السادة الاشراف الاوليجاركيات النبيلة و السكان الاصليين دهماء غوغاء مبربر تاريخهم ومبربرة نظمهم و حاجاتهم و فكرهم جميعا.

و قد عبرت الفلسفة اليونانية و فلسفة ما يسمى ب "العصر الكلاسيكى" عن نفسها فى الذراية بالشعوب حتى القرنين الثانى و الثالث عشر الميلادى وكما راحت القرون الوسطى تصم العامة و الغوغاء و لم تنفلك المالتوسية–نسبة الى توماس روبر مالتوس–1766–1834 الذى ما تبرح طروحته حول السكان تنذر العالم بالخطر من تكاثر المفقرين و الاميين و العامة ان كرست التطيير من القنبلة الديمغرافية.

و قياسا يمكن القول بان مثل تلك الكراهية كانت حرية بان تتثمل فى فكر الفلاسفة العرب و المسلمين كالخوارج و المتعتزلة و المتكلمين و من لف لفهم من المتأثرين بالفلاسفة اليونانيين. فان قال السقراطيون ومن لف لفهم بان كل من يخالفهم معتوه او معوق عقليا فقد كان ابن رشد–رغم خلافه مع بعض الخوارج و المعتزلة و المتكلمين يرى أن ينبغى

التفريق فى قدرة العقل على الاستيعاب بين الخاصة و العامة. و كانت المسيحية الغربية و بقيت فى خشية–كانت قد ورثتها عن بعض طوائف اليهود–من الشعوب الا بقدر ما تسخرها فى خدمة انبياء و اعيان و اسباط و قضاة و تجار و حكام احرار من اصلاب الالهة و اليها يعودون.

واجادل ان الديمقراطية الغربية –و لم تقيض الا حديثا–لم تكن لتتوفر لشعوب الغرب بسوى ثمن استعباد غير الغربيين. ذلك ان الشعوب الغربية كانت فى حكم الاقنان حتى بعد الثورة الصناعية عبورا بالقرن التاسع عشر بل و حتى الحرب العالمية الاولى[250]. و يفسر ذلك ان الرأسمالية تخاتل بالقول بانها تطور على الاقطاع وهى لا تملك ان تعيش بدون اقتصاد القنانة بل العبودية. وازعم ان سقراط و ارسطو ربما اورثوا تلك الذراية لاوربا. فربما جاءت كراهية الديمقراطية الشعبية الى فلاسفة و مفكرى اوربا الغربية فالى الفكر السياسى الاوربى الغربى على الخصوص من الترجمات اليونانية عبورا بمدارس الخوارج الخ.

و كان الاخيرون قد تأثرورا بسقراط و ارسطو و بحلفائهم اعراب الشتات. و كان سقراط يقول ان على الحكومة الديمقراطية الابقاء على اللامساواة باستقطاب الناس بين سيد و عبد. و قال افلاطون تلميذ سقراط بقدسية تراتب المجتمع بين احرار و عبيد و بين رجال و نساء–و لعله استثنى المومسات المثقفات اللواتى كن يرفهن عن الرجال الاحرار–وفرق بين حكماء و اقل حكمة وصولا الى البرابرة و العبيد و النساء العاديات بوصف الاخيرين و الاخيرات محض الات انتاج و اعادة انتاج نمط الانتاج و المجتمع البشري الى ما لا نهاية.

تناقض الذراية بالديمقراطية و ادخال الفلسلفة الى حياة الناس:

كان سقراط أول من أثر فى الناس و ادخل الفلسفة الى بيوتهم و كان اكثر ما يهمة "كيف يعيش الناس حياتهم؟ و رغم ان سقراط حسب بعض الروايات كان غليظ الفؤاد الا انه كان يقول بان على المرء ان يعيش حياة زاهرة بالاخلاق و السعادة. وقال سقراط ان الروح اهم من الجسد وانه حتى الثروة ليست أهم من الروح ما لم يمارس الفرد حياته بصورة تقية. و قال ان التقوى هى عدم ايذاء الناس فايذاء فرد لغيره انما يؤذى روح المؤذى. و كان سقراط يهتم بالتشديد بالا يرد الاذى بالاذى و الشر بالشر.

و كان القول يومها أن العين بالعين و السن بالسن و كان قول سقراط اقرب الى خطبة المسيح فوق الجبل The Cermon on the Mountain و كان يقول ان ليس ثمة ما يمنع الخير و لا تعارض بين الرغبات و الارادة. وكان يكرس فكره حول أهمية الروح و عن الاذى و غيرها مما كان مناقضا لقيم زمانه. و قد بقى كثيرون يصورن سقراط على هواهم و حسب اجندتهم. و يقول البعض ان من الخطر اخذ سقراط ايقونة معلاة فقد كان انسانا عاديا و لم يكن سقراط موال للديمقراطية و لم يكن معاد للحرب.

و لم يكن سقراط الى ذلك معاد للحرب. و كانت الحرب مع اسبارطا مشتعلة فى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد و هزمت اثينا و لما عادت الديمقراطية حوكم سقراط لانه لم يكن مع الديمقراطية. الا انه عندما حوكم لم يعثر على دليل مادى ضده لانه لم يكتب شيئا سوى انه كاد يصلب الا انه تعاطى السم بالمقابل. و قد رغب سقراط عن الهروب من السجن و قد عرض عليه اصدقاؤه تهريبه من السجن, و لم يكن يرغب فى ترك اثينا الى مدينة اخرى ايضا مما يتضح فى قبوله الموت ازعانا لما رآه مشيئة المجتمع فى رفض ترك اثينا.

و كان جسورا فى القتال و شجاعا امام عقوبة اعدامه بالسم. و كان صلب المتهمين بالخيانة شائعا و كان سقراط محظوظا اذ اعطى سم الهيملوك. و قال سقراط لقضاته "ساموت انا و تعيشون انتم فانا ذاهب الى حياة افضل"مما اثار حفيظتهم مجددا. ويقول البعض ان سقراط لم يقل فى الواقع شيئا و كل ما جاء على لسانه افتراضا كان افلاطون و زينوفون قد "وضعا كلماته على لسان سقراط". و كان سقراط يقول ان الحكمة هى ان تدرك حدود عقلك.

و كان سقراط يهتم بتعريف المفردة و كان يقول بلا ملل ان لم تكن تعرف معنى كلمة فكيف تستخدمها و لاى غاية. فمثلا ما معنى الخير او الحق أو الشر او اى من تلك المفاهيم و فى اى سياق و من يقررها الخ؟ و كان يقول ان ينبغى ان يبدأ الجدل بمعرفة معنى الشئ قبل كل شئ. و كان سقراط يجأر بلا كلل بان الحياة غير المختبرة غير جديرة بان تعاش. و كان سقراط يقول على المرء ان يأخذ ساعتين لاختبار الحياة يوميا فالحياة غير المختبرة لا قيمة لها. و ان على الناس العيش و لهم ان يعيشوا بما يملكون من قدرة و حكمة بانفسهم دون وساطة الرب.

و كذا شاعب فكرة التنائى عن السلطة بوصفها مفسدة بين طوائف الافانجليي الانجلو امريكان حتى عشية الالفية الثالثة و كانت نفس الافكار قد شاعت بين الخوارج و نظائرهم و بعض تنويعاتهم المسيسة مثلما بين الطوائف المسيحية الغربية المنشقة على الكاثوليكية الغربية.

الفصل الرابع :لماذا لم يعد ثمة فلسفة بعد سقراط و ارسطو؟

يبدو انه–رغم افلاطون و زيونوفون–ان الفلسفة اليونانية قد بلغت اوجها على زمان سقراط عبورا بارسطو. فكأن كل شئ انتهى بسقراط و ارسطو. كأن اهم الاشياء الاثينية انتهت بعد سقراط و أرسطو رغم افلاطون وزينوفون ويوروبيديس اريستوفين و غيرهم. فقد كان سقراط اشد اصالة و قد ولد قبل ارسطو ب 9 سنوات وحسب. و كان افلاطون تلميذ سقراط و امتدادا له واستاذ ارسطو. و لايعرف احد ان كانت بعض اعمال افلاطون مأخوذة عن سقراط الذى لم يكتب شيئا. فلم يكن سقراط يكتب كلمة فلم يترك كلمة مكتوبة بيده هو وراءة.

و قال افلاطون الذى كان يعرف سقراط ان معصرى سقراط كانوا يدركون خطر ان يكتب سقراط اى شئ ان كتب. و حيث كان التقليد ان يكتب كل فيلسوف مؤلفا على الاقل مما تحدر الى الاكاديميا الغربية حيث على كل حامل دكتوراه كتابة مؤلف على الاقل مما يكون غالبا اطروحتة لنيل درجة الدكتوراه. و قال سقراط انه لم يكن يملك ما يستحق الكتابة. و كان سقراط جأر بان شيئا لا يستحق ان يسجل الى الابد فكل شئ يتغيير.

و يقول البعض ان سقراط كان يعرف ان غيره كان يسجل اعماله مما سمح له بالاستفادة من وضعين. و كان زينافون–و كان جنرالا و افلاطون وقد بات اهم تلاميد سقراط –يعرفانه جيدا. و كان ثلاثتهم مفكر ممتا يهتم بالفلك و كانوا يتسائلون عن بداية الاشياء و نهاياتها و غير ذلك مما كان يهم زمانهم. و كان سقراط اذ يرفض ان يكتب شيئا و يكتفى بالحديث سائرا بين تلاميذه ويجادل من يرغب و يبادل من يستحب الاستماع اليه فى السوق و يتحدث بما هو دارج او ما يرد من تلاميذه و مستمعيه مثلما كان يفعل المسيح و ربما مثل الامام الشافعى رضى الله عنه من بعده. و لم يكن سقراط الوحيد الذى كان يجادل غرباء فى السوق.

و كان السوق (الاجرا Agra) مركز المدينة و مقر المحكمة و غيرها من المقرات الهامة. فقد كان السوق حيث يتجمع الناس وحيث تستقى الاخبار و مكان تبادل الاخبار و التسوق. و كان سقراط يبادر الناس بالاسئلة او يجادلهم و يدخل معهم فى نقاش ليصل معهم الى اتفاق على رأى او فكرة. و كانت الاجرا تعج بالناس من كل صنف من الاثينين و الغرباء و العبيد و النساء وطالبى العمل و السماسرة و المرابين.

و كان سقراط قد أوجد اهم عناصر الفلسفة الرواقية قبل وفاته فى 399 قبل الميلاد. فان أعلن لا اكتراثه باهم الاحداث مثل الحرب فقد التبس سقراط بنسبيته الطافحة و انكاره للحقيقة المطلقة على الاثينين ابان الحرب مع اسبارطا فى 418 ق.م. و لم يكن اللا اكتراث يعنى نفس الشئ الذى يعنيه اليوم رغم ان ديونويسيس مثلا–و كان تلميذ سقراط قد اشتهر بعد وفاة الاخير–كان يعلن عدم اكتراثه بكل شئ و يجلد العمرة فى الميادين العامة و يكره المادة الا ان زينون اخذ يتبعه بعد ان تعرف عليه. و كان الاثينيون كما ذكرنا فى مكان اخر محبطين و لا وقت لديهم للتعاطى مع القضايا بيسر ناهيك عن الاسترسال فى الجدل.

هذا وكادت فلسفة سقراط تنقرض بعد موته. الا انها راجت و باتت شعبية و واسعة الانتشار بعد موته فى القرن الرابع قبل الميلاد. و اخذ كثيرون يعتبرون أنفسهم سقراطيين و منهم الرواقيين. و كانت الرواقية تمأسست فوق اهم مبادى سقراط من مفهوم الحكمة كونها مدعاة للخير وعدم ايذاء احد و ان ليس ثمة فكرة متنهية. و قال الرواقيون ان ينبغى ان يفتح الباب على كل فكر مجددا و قد تم احياء الحوار ابان التنوير حول ما قال به الرواقيون.

و كان نيتشة معاد لسقراط و بخاصة فى كتاب نيتشه الذى اكمله قبل عام او عامين من اصابته بالجنون. و بقى مع ذلك يصدر عن قول سقراط بان الفلسفة سعى حياتى مما كان نيتشه يتشاركه و سقراط. وقد بقى سقراط و ارسطو من اهم الفلاسفة اليونان الذين اثروا فى كل من نظائرهم العرب و المسلمين و فى النظائر الاوربية. وازعم ان بعض ما جاء من افكار سقراط و ارسطو كان شائعا عن طريق بعض سرديات اعراب الشتات. واعزو سفر تكوين بعض اهم التنويريات و الاهم ان ما يسمى جمهورية البندقية الحرة والتنويعات الاخرى عليها الى سقراط و بخاصة الى أرسطو. فمن هو ارسطو؟

هل كان ارسطو اب الاوليجاركيين البندقيين و تنويعاتهم؟

ولد ارسطو فى 384–322 (قم) فى مقدونيا شمال اليونان وكان ارسطو فيلسوق كلاسيكى. وكان ارستقراطى من اسرة ارستقراطية فقد كان ابوه طبيبا لدى امينتا الثالث ابن فيليب الثانى ملك مقدونيا الذى هزم المدن الدول اليونانية كافة فختضت لسيطرته. و كان فليب الثانى الجد الاكبر للاسكندر الاكبر. وقد صار ارسطو بدوره من نصحاء و مستشارى الاسكندر الاكبر. و كان انتيستثينيس Antisthenes و اركيلوس Archelaus و افلاطون تلاميذ ارسطو. و كان ارسطو قد ارسل بعد وفاة ابيه الى اثنيا ليتعلم ثم درس فى أكاديمية افلاطون 4. 428 بقى فيها 20 عاما حتى وفاة افلاطون فى 347 ق م. ثم سافر ارسطو بعد وفاة افلاطون–و لم يكن ثمة سبيل ان يغدو عميد الاكاديمية بعد افلاطون.

فقد كان أرسطو على علاقة بطغاة اثنيا الثلاثين. و بقال انه كان واحد منهم. و لم يلبث ارسطو ان خرج خشية مغبة عداء اثينا لمقدونيا–و خوفا من مصير ارسطو الى قومه اللذين لم يعرفوا بالود لاثينا بدورهم. و تزوج سقراط من بعد و توفيت زوجته ثم عاشر امرأة انجبت له ابنا اسماه نيكوماشيوس Nicomachus على اسم ابيه. و لما عاد ارسطو الى مقدونيا عينه فيليب الثانى مرب لابنه اسكندر الذى بات من بعد الاكبر. و كان ارسطو صديق الملك فيليب و لم يلبث ان عاد الى اثينا فى 335 ق. م ليؤسس مدرسته الخاصة.

و قد انتشرت على اواخر ايام ارسطو خشية الاثينيين على الديمقراطية–بمعنى سلطة اليونان الاحرار على من عداهم فى تنويعة ربما كانت سفر تكوين الديمقراطية الليبرالية و بخاصة ما بعد الليبرالية–حيث تكرس تلك الديمقراطية نمط يشارف العبودية. و اجادل ان الديمقراطية الاوربية الغربية كانت حرية بان تأخذ عن اثنيا ديمقراطية انتقائية مرة و عن اسبارطا حكومة عسكرية مرة اخرى اى توليفة عقلانية من كل من اثينا و اسبارطا معا.

المهم كان الاثنيون حريون بان يصابوا بالعصاب تطيرا مما كان يأتيهم من جيرانهم وبخاصة بعد وفاة الاسكندر الاكبر و عودة العداء لمقدونيا. و ليس معروفا بصورة كافية السبب وراء خشية اليونانيين من مقدونيا. هل لان مقدونيا كانت قد اوت الخرز؟ ام لانها كانت بالفعل من ممالك الخزر و كانوا قد خرجوا وراء الاسكندر فى فتوحاته فى وسط و شرق اسيا و بقى معظمهم فى تلك الاقاليم كما ذكرنا فى مكان اخر؟ و من المفيد تذكر ان الخزر الفوا واحدة من فصائل المقالتين لدى الاسكندر و كانوا معروفين بالشراسة و العنف القتاليين الا ان الاسكندر ضاق ذرعا بهم فيما بعد جراء بربريتهم قياسا على الشعوب المتحضرة[251].

المهم لم يلبث ارسطو ان غادر اثينا ليلوذ بضيعة امه الارستقراطية بدورها معلنا انه يفعل ذلك "حتى لا يسمح للاثينيين بارتكاب اثمين بحق الفلسفة" بمعنى ان يقتلوه كما قتلوا سقراط من قبله. فهل كان كره الاثنيين لمقدونيا وراء أعدام سقراط و نفى ارسطو الاختيارى؟ و من من المقدونيين كان اليونانيون يكرهون؟ و هل كان كره الاثيين لغير الاثينيين وراء مقتل

سقراك و نفى أرسطو؟ أم كان وراء الاكمة ما ورائها؟ و ما هو ذلك الذى يتخفى فى زوايا و اركان الاكمة تلك؟ اسئلة على العرب و الملسمين التعين دون سواهم على محاولة الاجابة عليها وحدهم.

1-***ماذا تقول عقلانية أرسطو؟***

يعتقد ان ارسطو اسهم فى المنطق و الابيستمولوجيا و يعذى اليه ايضا تطوير نوع من علم البيداجوجيا وعلم الاخلاق. و يبقى افلاطون اهم مصدر لمعرفة لتلميذه ارسطو مثلما الحال مع استاذه سقراط. و من اهم ما اسهم به ارسطو فى الفلسفة الاوربية الغربية الجدل الارسطى و يختلف الاخير تبسيطا عن الجدل المادى التاريخى الماركسى من حيث ان التعالق بين الاسباب و النتائج فى الاول طردي فى حين ان الاسباب والنتائج فى الثانى أكثر تركيبا و تصدر عن المادية التاريخية.

و يقول ارسطو فى الحوارات-تبسيطا- مما تعيين افلاطون على تسجيله بان عليك ان تفتت المسألة الى سلسلة من الاسئلة. ذلك أن الاجوبة التى تطلبها تلك الاسئلة حرية بان تتأتى عن عملية تفكيك المسألة. و كان الامام الشافعى وبعض الفقهاء و العلماء المسلمين و العرب قد اخذ عن الجدل الارسطى و كان الاول يقول بالمثل. و يرجع المنهج العلمى حيث تكون الفرضية اول خطوة فى البحث عن حل مسألة الى ارسطو.

و رغم ان بعض المؤرخين يقول ان معتقدات ارسطو مغايرة لمعتقدات افلاطون و زينوفون الا انهم يجدون صعوبة فى فصلها عن بعضها. فقد كان ارسطو على خلاف مع معظم المثقفين و المفكرين الاثينيين. و كان يحرض الناس على تطوير انفسهم بدلا من ان يسعوا الى الثروة المادية. و قال بان على الانسان ان يحرض على الصداقة والحياة فى وئام مع مجتمعة. و كان يقول ان اهم فضائل الانسان هى الفضائل الفسلفية والفكرية.

و رغم التناقض البادى بين فلاسفة اليونان و الصوفيين الكلاسيكيين اليونان فقد تأثرت كل من الجماعتين بالاخرى الا ما خلى موقف كل من الجماعتين من المادة و الروح. و الاحرى فقد كان الخلاف بينهما غالب حول القيم المادية و الروحانية. و كان سقراط يؤمن-من حيث هو صفووى بالدرجة الاولى-بان خلود الروح ينبغى ان يكون مشروطا بالفضيلة و الفلسفة و الفكر الخلاق. و ازعم ان ارسطو تأثر كغيره من الفلاسفة اليونان بالصوفيين الكلاسيكيين امثال أناكساجوفيان.Anaxagoran الا انه كان ينتقد تعاليم الصوفيين من حيث أن الانسان يمكن ان يتعلم او بعلم نفسه الفضيلة .Socrates also questioned the Sophistic doctrine that arete (that is, virtue) can be taught. فقد كان يؤمن بان الفضيلة هبة من عند الالهة. وكان يعتقد فى خلود الروح على ان تكون روحا خلاقة بالفلسفة و الفضيلة و الفكر.

و كان أرسطو يعتقد ان الشر يتأتى عن الجهل. هذا و قد بقيت المؤسسة الصوفية التى لم يكن سقراط و ارسطو يستحبانها بعدهما, الا ان تلك المؤسسة لم تلبث ان راحت تزوى جراء المدارس الفلسفية التى نشأت بتأثير ارسطو فى القرن الثالث(ق م). و كان ارسطو يسأل رجال اثنيا عن الخير والجمال و كان يحرج اكثرهم حكمة حيث كان يجعلهم يبدون بلهاء امام قدرته الفائقة مما أثار حفيظة حكماء اثنيا. و قد اعتبر ارسطو احكم الفلاسفة ويقال ان صديقه شايريفون سأل المحراب عند معبد دلفى أثمة من هو احكم من سقراط فاجابت الالهة بان ليس ثمة من هو احكم من ارسطو. و كان هو نفسه يعتقد ان الطبيعة او الالهة قد حبته بما لم تحبى به احد وكان يعتقد فى نفسه و يفصح بان الالهة اختارته متفردا كمبعوث الهى مما كان يستفذ و يثير سخرية خصومه معا. 'conviction that the gods had singled Socrates him out as a Divine emissary seemed to provoke if not annoyance, at least ridicule. و ثمة

قياسات عديدة بين أرسطو و سقراط من حيث انهما عاصرا احداث متشابهة و استدعيا افكار تكاد تكون مطابقة احيانا وقد اتهم كلاهما واحد بالكفر كونه ربما غريب يدعو الى فكر غريب و الاخر بما شارف الخيانة العظمى كونه من مقدونيا غريمة اليونان.

2-المسألة ارسطية

المهم فورا اثر سقراط على ارسطو واثر الاثنان على افلاطون و زينوفون و أريستوفين كما اثرت حوارات ارسطو على الفلسفة الاوربية الغربية . ولم يكتب ارسطو شيئا مثلما فعل او لم يفعل سقراط من قبله. و يجد كثير من الباحثين صعوبة فى التعرف على افكار ارسطو لان كل ما جاء بقى مما كتبه افلاطون و زينوفون و اريستوفين. ومع ذلك لم يبق من اعمال ارسطو شيئا مكتوبا مما الف ما يسمى "الاشكالية الارسطية" او "المسألة الارسطية Aristotelian Problem. و لعل ذلك يسر تقويل ارسطو مثلما قول سقراط بدوره. و قياسا فان سجل أفلاطون و غيره حوارت ارسطو و سقراط من قبله فقد بات افلاطون المرجع الاول و الاخير تقريبا لهما. و لم يكن افلاطون وحده الذى قام بذلك فقد تعين فلاسفة اثينين اخرين مثل زينوفون و اريستوفين على تسجيل حوارات اورسطو مما يدفع الكثيرن الى الشك فى اصالة تلك الحوارات. وقد كتب افلاطون وزينوفون ما يسمى "حوارات ارسطو" و كأنها بين الاخير و بين شخصيات من زمانه او حوارات بينه وحواريه. وكانت الحوارات تجرى حول اهم المفهومات التى تعين عليها ارسطو. و رغم ان نقد ارسطو خف تباعا الا ان المفكرين بقوا يفضلون سقراط و افلاطون على ارسطو حتى القرون الوسطى[252]. و لم يلبث ارسطو ان بات فيلسوف الاوليجاركيات الاوربية الغربية الاول و قد اخذوه عن ابن رشد و ابن سينا. و كانت اوليجاريكيات بعينها قد راحت تكرس نفسها خصما على البابوية وقد نصبت نفسها فى مواجهة الكاثوليكية الغربية. و كان للابيقوريين و الرواقيين بدورهم دورا هاما فى ذلك.

3- تنويعات أثينية على تغيير النظام و سفر تكوين عصر الانا:

بزغت الابيقورية والرواقية بعد وفاة سقراط و ارسطو و انتشرتا. و كانت الفلسفة الابيقورية قد اخذت اسمها من كلمة عامود باليونانية–و للرواقيين أعمدة ثلاث–حيث كان زينون و تلاميذه يتحأورون تحت اعمدة معبد اثيني. و كان زينون اليونانى قد اوجد الفلسفة الرواقية Stoicism فى القرن الثالث قبل الميلاد. و من المفيد تذكر ان الاسكندر الاكبر و سيدو كانا قد تعينا على تعيير ملامح اليونان. فقد انشأ الأول بيزنطة خصما على اثنيا و أنشأ الثانى ماسيدونيا خصما على اسبارطا. و قد راحت بيزنطة و ماسيدونيا ترزحان تحت ثقل نزوعهما لفهم و محأولة تفسير ما حدث لليونان. و قد بقيت بيزنطة غير قابلة للتفسير او الفهم كونها سردية ترفض التعريف و تتستر على حقيقتها ربما لتعالق تاريخها مع الخرز. فبيزنطة مفهوم زلق Illusive مراوغ Deceptive . و يستدعى ذكر بيزنطة عدم الثبات و اثارة الجدل فيقال جدلا بيزنطيا. و قد بقيت بيزنطة تهفو الى الغرب و تتماهى مع روسيا. و اذ كانت بيزنطة يونانية الا انها لم لتبث ان غدت رومانية فاستدعت اسم الامبراطورية الرومانية الشرقية و المقدسة حتى غزاها المغول.

و كانت بيزنطة تغازل المسيحية و تخشى الاسلام و تطلب الى جاستينيان فى القرن السادس قبل الميلاد التحالف و تخشى روما. الا انها راحت تتسول روما ان تمنحها قوة على مواجهة المسلمين بالهام جيوشها بما يلهم المسلمين على الصمود فى المعارك. ومع ذلك تركت بيزنطة تراثا عامرا بالاثر العربى اكثر من اى شئ اخر. و لعل ذلك يقف وراء كل من تاريخ تركيا المسكوت عنه و ضغينة اتاتورك و الاتاتوركية على استنبول مما اذكره فى مكان اخر.

المهم كان ثمة 3 مدارس تعاصرت هى الابيقورية بقيادة ابيفوراس Epicurus و المستهذئين من اليائسين من صلاح البشر حتى الذراية او الكراهية Cynics تحت زعامة ديونيسيس Dionysiusو الرواقيين تحت زعامة زينونXenon . و كانت المدارس الثلاث تتحأور حول اشكالية قيام و سقوط المدن و السعادة و الفرد والطبيعة الخ دون تشدد او تركيز على مبدأ ان يستوى فعل شئ او ترك شئ مما شارف باكرا اللا اكتراث ما بعد الليبرالى وما بعد الحداثى.

و ازعم ان الاخير يصدر الى ذلك عن مفهوم جعل العبد متخففا من الهموم متظرفا لا مبال و باحث عن المرح و البهجة الكاذبة مثلما كان العبيد يدربون ما بين وصولهم شواطئ العالم الجديد و تسلميهم او بيعهم الى سادة العبيد فى الجنوب

الامريكى. فالعبد المهموم خطر كما نكون قد ذكرنا فى مكان اخر. و قد حاولت أمريكا ذلك عقلانيا مع الشعب العرابى بقناة الحرة و جريدة "سوا" وغيرهما وبتوزيع المال على العراقيين تكرما.

الا انه المفيد تذكر ان الرواقيين كانوا عبارة عن مستهذئين او يائسين من صلاح البشر بصورة اكثر احتشاما اذ كانوا يرون ان ليس لهم ان يكترثوا على الاطلاق. فهم بهذا الوصف تنويعة من لا مكترثين مكترثين بصورة ما و ما بعد ليبراليين او ما بعد حداثين فالمسألة كما ترون نسبية.

و قياسا يمكن الزعم بان رسطو كان حريا بان يكون أب معظم هذه الفلسفات أو المدارس. وحيث عنى ارسطو فيما عنى بتأمل سلوك الفرد فى الحياة فقد كان هدف الحياة بالنسبة لزينون هو الانسجام مع الطبيعة باتباع قوانيها العقلانية و ليس بالعودة الى الطبيعة بالمعنى الحرفى.

و كان زينون ينادى بتناغم الفرد فينسجم مع الطبيعة وهو قول لا يبعد عن فكر سقراط كما ذكرنا ى مكان اخر. فالانسجام مع الطبيعة ليس سوى قدر محتوم بلا فرار وعلى الانسان ان يتبصر كيف يتعامل مع تلك القدرية. و قد اتهم نقاد الرواقيين الاخيرين بان أخذوا عليهم تشجيع الناس على الكسل. و قد رد الرواقيون بان كل شئ يعود الى شخصية الفرد. فكأن الرواقية كانت سفر تكوين الفردية و عصر الانا ما بعد الحداثى.

و قد زوقت هوليوود عصرالانا والبهجة الكاذبة بالافلام الاستعراضية و الرقصة و القيامية معا. و كانت الالوان الطبيعة قد اخترعت و باتت القصص السينمائية تنتهى بالتبات و النبات و لنهايات السعيدة فى احتفالية طافحة بلا خيبة ولا فواتير و لا عطالة. فقد بات كل شئ جائز Anything goes حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية و تباعا الى العشرية الاولى من الفرن الواحد و العشرين mوكأن هوليود وكالة عن الرواقيين و عن سقراطية جديدة.

الرواقية و تغيير النظام:

كان الرومان اخذوا بدورهم بالرواقية حوالى 55 قبل الميلاد اى ابان اكثر مراحل تطور أو بداية نكوص روما على نحو غير مسبوق. و كان فلاسفة رواقيون قد سافروا من أثينا الى روما واخذوا يحاضرون و يخطبون فى الرومان. و ما انفكت الرواقية ان استهوت افئدة الرومان و ناسبت نوازع روما الامبراطورية وقتئذ. فقد تأثر الرومان بدياجونيز و لم يكن الاخير يتحدث اللاتينية اى لم يكن رومانيا بالمعنى القانونى و الطبيعى للمواطنة اليونانية. و لم تلبث الفسلفة الرواقية Stoicism ان اكتسحت روما و لم تنفك ان تحولت على يدى جماعة تشارف القبالا الى وسيلة تغيير كل من الرومان و النظام الرومانى مرة واحدة و الى الابد. فقد راح أمثال كراسيوس و المرابين المتستر على وجودهم و اسمائهم ينشطون فيما يشارف تغيير النظام الرومانى. و مع ذلك راح ولع الرومان بالرواقية يستحوذ على خيالهم.

و قد باتت اعمال سيسرو–ماركوس توميلس –106–43 قبل الملايد و كان خطيبا رومانيا مفوها و سياسى و كاتب و بات قنصلا فى 63 قبل الميلاد بعد ان حصل على درجة فى القانون بروما–باتت اعمال سيسيرو تروق للرومان و قد جعل الفلسفة رومانية بعد ان كانت معقودة على اليونان و لم ينفك ان بات سيسرو فيلسوف الرواقية فى روما[253]. و قد اخذ سينيكا عن الاخير–و كان سيسرو موظفا لدى الملكة أم نيرو ثم بات مستشار سياسى لنيرو. و كان الاخير فى السابعة عشر عندما تولى السلطة. و كانت السنوات الخمس الأولى من حكم نيرو طيبة–رغم انها بدأت بالازمات من اغتيال امه و خصومه–الا انها كانت مع ذلك خير سنين سلطة نيرون. و قد بقى سيسرو مستشارا لنيرو رغم عدم رضاة على نيرو و لم يكن ليجرؤ على الاستقالة فقد كان مفهوم الاستقالة من خدمة القيصر–كما فى الجيش–يشارف عدم الولاء. ولم يلبث نيرو ان اجبر سيسرو على الانتحار. و لم يكن الرومان يرون فى الانتحار جريمة و انما كانوا يسمون فى ذلك طريقة "لاعقلانية لمغادرة الحياة باختيار لحظة" يقدم فيها الفرد على ذلك. فلم تكن كلمة انتحار كلمة لاتينية. و كان كيتو بدوره رواقى. و لعل الرومان برعوا فى تدوير المفهومات مما تبرع فيه اليوم تنويعات عليهم فى المدارس ما بعد الليبرالية و العقلانية الجديدة. و رغم ذلك لم تلق الرواقية قبولا لدى الطبقات العليا. فلم تكن تروق لمعظم زعماء الرومان لان

الرواقية كانت تدعو للقدرية–عكس ما يدعى بانها "تدعو لكبح العواطف و عدم المبالاة بالمؤثرات الجسدية كاللذة و الالم"– فى الوقت الذى كان نجم الامبراطرية يتألق ساطعا او لعلها كانت قد شارفت القمة فى طريفها الى الانحدار المنوالى كغيرها. و بالمقابل كانت الرواقية حرية بان تغوى الطبقات الدنيا.

ذلك ان الرواقية كانت تقول بان شيئا لا يهم لا مكانتك الاجتماعية و لا طبقتك ولا اصلك وان كل ما هناك ان من حق اى فرد ان يسعد. وتذكرك معظم هذه الفلسفات بطاقم قيم او لا قيمية العولمة. فالعولمة تعقلن المراوغة فى قول الحقيقة فادعاء اى شئ الا التعبير عن عدم الولاء للحزب او للحكومة و من ان "كل شئ على ما يرام" و من افتعال البهجة الكاذبة التى يحض عليها الاستهلاك و هكذا. ترى من هم اؤلئك الرواقيين حقا؟

المهم تجانست افكار الرواقيين و بداية نهاية روما الامبراطورية اذ استهوت الشعوب المستعمرة مثلما استهوت عبيد الرومان. و قد يسرت تلك الافكار فيما بعد مع المسيحية الغربية و فكرة مسأواة المسيحيين جميعا فى الرب فقيضت أنتشار الاخيرة . فقد كانت فكرة المسيح حرية بان تجد طريقها الى فتغدو جزءا من نسيج الافكار الرواقية. والعكس صحيح. فان كانت الامبراطورية الرومانية قد سقطت قبل ان تنصر فلعل ذلك يفسر قصورها عن ان تنصر بمغبة استضافة الرواقيين و اعراب الشتات اللذين ناصبوا الكاثوليكية العداء من اول وهلة. و قياسا لم تنفك أوربا القرن السادس عشر–و قد راحت تعيد انتاج الرواقية بعد الاصلاح الدينى–ان اعتنقت رواقية جديدة كانت قد الهمتها خيبة امل الناس فى الدين المؤسسى. الا ان الرواقية الجديدة تبدت وثنية للبعض.

و قد اسلمت الرواقية المسيحية الغربية لتوتر ملحوظ. فلم تنفك فكرة التضحية بالنفس مقابل فكرة كبرى تستدعى الفداء و الغيرية ان استهوت الناس فملأت الفراغ الذى خلفه غياب قوة الايمان. فكيف غابت تلك التنويعات الباكرة من التحولات الحالة فى النظام الامبراطوري الرومانى على بعضنا و قد راحت تلك التنويعات الباكرة من بعد تصيب نظائر لاحقة بفيروس اختراق شرائح السلطة و رشوة العامة و تغيير الثقافة السائدة تميهدا لتغيير النظام؟

الفصل الخامس : الجدل الارسطى و التاريخى و المسألة الارسطية:

أزعم انه حيث ترجم سقراط و افلاطون و اشترك اعراب الشتات فى النقل و الترجمة فليس ثمة ما يمنع من افتراض ان كل من فلسفة اليونان–و كانت اليونان قد اوت اعراب الشتات–قد اصيبت بفيروس بعض ملامح فكر اعراب الشتات. و ليس ثمة ما يمنع من افتراض ان مفهوم الترجمة نفسه يصدر عن استحباب ما ينبغى ترجمته. فليس ثمة من يترجم ما لا يناسب مفاهيمه و قيمه مرة. ومرة اخرى فان الترجمة غالبا ما تحمل و لو شئ من نفس المترجم ان لم يكن بعض تحذباته حتى ولو بدون قصد او ترتيب. و تتعين امريكا اليوم على مراكز بحوث لترجمة الادب الغربى انتقائيا. و كانت حركة الترجمة قد سبقت ما سمى بالنهضة فى ثلاثينات القرن العشرين فى مصر مثلا. و ربما تعينت حركة الترجمة المشبوهة تلك على خلق تنويعة مشوهة على "نهضة" اوربا المربية بدورها.

المهم فورا لعل ملامح الفلسفة اليونانية المترجمة بهذا الوصف انتقلت تباعا الى فلسفة الخوارج و تفرعاتهم. و لعله صحيحا ايضا ان تكون الترجمة قد وفرت سبيلا الى "تحديث" الثقاقة العربية و الاسلامية بالمعنى ما بعد الحداثى العولمى. فان ظهرت الحداثة الاسلامية العربية "بطبعة يونانية" محرفة او عقلانية حسبما تري(ين)–فان تلك الحداثة كانت ايضا قمينة بان تستدعى تباعا كل ما باتت عليه انجلترا وهولندا غب سقوط الاندلس. و قد ذكرنا فى مكان اخر ما حاق بالاخيرتين منذ هروب اعراب الشتات من روما الى البندقية وصولا الى تكريس سلطة الاوليجاركيات البندقية فى اروبا الغربية بعامة و فى انجلترا و هولندا خاصة.

و قياسا فليس ما يمنع من مقاربة الاندلس و الكيفية التى باتت الترجمة سبيلا ما سمى ب "النهضة العربية" نهاية القرن التاسع عشر–و المشروع العربى و القومية العربية مما يفسر كيف ان الاخيرين ولدا ميتين او ولدا وهما فى طريقهما الى الذبول. و فيما رأت الحداثة العربية العالم–كما يقول نورى الجراح–بوصفه اوربا– فلم تكن الاخيرة تزيد لدى العرب على

انجلترا و فرنسا اى القوتين الاستعماريتين الكبيرتين اللتان اقتسمتا العالم العربى[254]. و قد تفسر تلك الملاحظة كيف باتت امريكا من بعد مرجع بعض ما بعد النهضويين او–و الليبراليين و العقلانيين الجدد بل و ضميرهم و حاميهم و ملاذهم و سيدهم.

اثمة علاقة بين الترجمات اليونانية وارسطو والخزر؟

رغم ان سقراط كان يحتقر الصوفيين اليونانيين الكلاسيكيين الا ان سقراط فيما يبدو كان قد اخذ عن الصوفيين الاثينيين امثال هيبياس اوف اليس Hippias of Elis. و كان معظم الصوفيين مترحلا كعهد الصوفيين ربما و كان بعضهم متأثر بما يحوط باثينا اكثر مما كان معنى باثينا بهذا الوصف. و تعنى مفردة صوفى Sophist فى السياق الهيلينى الاثينى الرجل الحكيم. المهم ينسب الى سقراط بعض خصائص ما بات دارجا تباعا و منها عقلانية تجاوز الموانع و المحاذير الاقتصادية الاجتماعية و الفردية و التعين على الاستقلال الذاتى و الشك و الخطابة سبيلا الى هزيمة الاخر.

و قياسا كان هيبياس اشهر الصوفيين فى اثينا–يقول بالرغبة فى الاستقلال الذاتى و الفردية المتأصلتان فى الانسان. و قال بعض الصوفيين ينبغى ان يعتمد الفرد على قدرته على الحكم انسانيا. فليس ثمة قوة عليا و لا رب فوق الجميع يفرض وجهة نظره او رأيه على الجميع و كأنهم كما قلنا سفر تكوين تفريد الفرد و عصر الانا. و كان الصوفيون الكلاسيكيون يتحدثون عن و يخاطبون و ينشرون مبادئهم و علمهم بين اؤلئك اللذين لم تتوفر لهم ثقة علية قوم اليونان من صفوة الاثينين فى انفسهم. و يثير الصوفيون الكلاسيكيون بهذا الوصف تساؤلات عديدة منها تعالق فكرهم و ما يسمى اوليجاركيات البندقية و حزب البندقية و فلاسفتها مثل جياماريا اورتيس و من لف لفهم من بعد من مفكرى ما يسمى "النهضة" و "التنوير" و الامبراطورية البريطانية مما يستحق التأمل طويلا.

تعالق التكنولوجيا و التخلص من الاعداد الزائدة تخليدا للممتازين فى مستعمرات الفضاء:

كان اليونانيون فى القرن الخامس قبل الميلاد يعتقدون فى قدراتهم كآدميين فيما لم يكونوا يأبهون لما تأخذهم اليه تلك القدرات على الرغم من الحاح فكرة ان ثمة خلق يونانى مختلف و متميز. ذلك انهم كرسوا اهتمامهم بالحاضر و لم يكن مستقبلهم كبشر يشغلهم كثيرا. وكان الاثينيون يركزون على ما يسمى "التقن" Techne و ‘‘التقن’’ درجة متقدمة او مطورة من ادواة الانتاج و التقينة. وكان اليونانيون يتطيرون من احتمال تعين العبيد و البرابرة على التقدم التقنى. و لعل تطير اليونان الاحرار من مغبة او احتمال تقدم من عداهم كان سفر تكوين تطير امريكا و بريطانيا من قبلهما و غيرهما من الغربيين من تقدم المجتمعات غير الغربية.

و لعل نبوءة اليونان من خشية مغبة استخدام العامة للتكنولويجيا و من انتشارها بين العامة فى شكل شبكة المعلومات و جوجلGoogle و تويترTwitter و ياهوYahoo و غيرها تتحقق. فقد انتشرت الحركات الشعبية الاليكترونية العفوية جنبا الى جنب مع الانتفاضات المشبوهة مثل الثورات الملونة Colour revolution مما اتعرض لبعضه فى مكان اخر.

و يلاحظ الناس فى كل مكان كيف تتعين امريكا اليوم على مطاردة كل دولة تجرؤ على تطوير نفسها او–و التعامل مع التكنولوجيا المتقدمة العلم و تطبيقات الاخير على وسائل الانتاج و السلاح. وتحتكر الاخيرة و اسرائيل التكنولوجيا صناعة السلاح الخ. و ولعل اليونان كانوا يعتقدون مثلما يفعل معظمنا اليوم بان التقدم التكنولوجى حري بان يحل شرط خرابهم.

و من المفيد تذكر ان بعض طوائف البروتستانت وبخاصة تلك التى لا تلتزم بحرية العقيدة مثل طائفة النونكونفوميست Non-Conformist و الكالفينية البيوريتانية أى التطهرية كانت و بقيت تؤمن بتعالق العلم و الدين و التكولوجيا مثلما يدعى المحافظون الجدد. فالاخيرون يجأرون بان العلم و الدين صنوان من حيث ان واحدهما ييسر سبيل اجتياح الاخر لما عداه من علم و من اديان بالدولار و حده. فالافاننجلية الاصولية ليست سوى دين الثراء و الثراء يبتاع العلم و المعرفة و يمفصلهما على هواه. و قياسا يجأر المحافظون الجدد و حواريهم الليبراليون الجدد ان كل مشلكة من الارهاب و التغيير

المناخى حتى تمكلين المرأة على جسدها تحل بالتكنولوجيا. فستوفر التكنولوجيا الحل لمشكلة الطاقة و مشكلة التغيير المناخى و مشكلة الشرق الاوسط و مشكلة الكثافة السكانية.

و من المفيد تذكر ان العلم الغربى يعود الى ما اعرفه بالتنوير العقلانى و ان علم بهذا الوصف بقى غير معرف تماما حتى اليوم. و قياس فثمة "حرافة" تكنولوجية Technological Fix تصدر عن ان العولمة من شأنها التعيين دائما على و النجاح فى العثور على حلول علمية. والعكس صحيح فالعولمة تقيض التكتولوجيا التى من شأنها حل كافة مشكلات العالم الغربى طبعا مثلما حلت مشكلة الطاقة او كادت. فقد راح الغرب يدعى حل مشكلة الوقود باستخدام المحاصيل الغذائية الاساسية كالقمح و الذرة فى انتاج وقود الاثيبنول Ethanol لتسيير الطيارات و السيارات خصما على منتجى تلك المحاصيل فى العوالم الثالثة و الرابعة و ما بات منها عصر حجرى جميعا. و يلقن المحافظون الجدد بوش الابنذلك الهراء فيردده كالاسطوانة المشروخة.

و قياسا بقى اليونان يؤمنون بان التقنية حرية بان تجعل اليونانيين–بمعنى صفواتهم بالطبع–اكثر اقتدارا و تأهيلا بصورة ماثلة فى الزمكان أى هنا و الآن Here &now[255]. ذلك انه ما ان يمتلك علية قوم اليونان–كون الاخيرين صفوة مبدعة و خلاقة و متمييزة– ناصية تلك التكنولوجيا فانهم حريون بان يتعينوا بالتكنولوجيا على حل كافة المشكلات. و حيث تملك الشرائح المذكورة تلك القدرات فانها حرية–الى ذلك–بتجاوز حدود عالمها مخلفة ورائها المفقرين و العاجزين مثلما يندفع بعض الصفووين اليوم فى فانتازيا استعمار الفضاء مخلفين ورائهم الارض الملوثة بتكاثر المفقرين بجنون للمفقرين.

فكأن اليونانين سفر تكوين المحافظين الجدد و خطاب كون التكنولوجيا قمينة بحل كل مشكلة. فالغرب سيكتف بالتكنولوجيا بديلا للطاقة من نفط و غاز الى خلق مستعمرات الفضاء فيخلف الغرب الممتاز–الاقوام الممتازة–وراءها الارض الملوثة للمفقرين و المعتوهين. و اجادل فى اكثر من مكان ان الغرب و ربما اسلافه اليونان كان قد اصدر عن مفهوم انتقائى للبشرية, و لعل ذلك كان قد كرس مجددا بمفاهيم الفكر التنويرى الداروينى كما رأينا و نرى تباعا. فقد كان اليونانيون طموحين ينزعون الى خلق انسان مختلف و كانهم تنويع على الجينيين Geneticists اى المنادين بالتعديل الجينى و النازية و اطالة العمر بزراعة الخلايا الجزعية. و يلاحظ ذلك فى المكرسات و المدنونات التنويرية و التنويرية الجديدة كما كان فى سجلات تنويريي وداروينيي القرن الثامن التاسع عشر.

هل تناقض الصوفيون مع الفلاسفة جراء تنوع تجارب الاول؟

كان الصوفيون الكلاسيكيون اليونان عمليون راغبين عن اى من منطلقات الفلسفة المادية و نزوعها نحو التجريد و الاطلاق مما كان قد كرس الفكر الصفووى فى اثينا. فقد كان الصوفيون الكلاسيكيون يتعينون بالمقابل على نشر العلم بين الشباب اليوناني–بالضرورة –و توسيع مدارك الاخيرين الى ما وراء ما كان التعليم الالزامى ينشره بين الشباب. و كان التعليم الالزامى ينتهى فى سن الرابعة عشر. كما كان الصوفيون الكلاسيكيون حريصين على توسيع نطاق التعليم فلا يقتصر التعليم عندهم على صفوة صغيرة. الا انه ما انفك الصوفيون ان راحوا يناقشون و يحاضرون الناس فى الشك فقد ازعج ذلك الاثينيين و اثار خشيتهم على الديمقراطية مجددا. ترى كيف ان الديمقراطية اليونانية هشة و فاقدة الثقة بنفسها رغم ادعائها؟

و كان الصوفيون يعتقدون فى ان الحقيقة فى نهاية الامر ذاتية و كان معظمهم يقول بعدم الاخذ بشئ قبل التأكد من صحته بالادلة. فليس ثمة قيمة ان يلغ الفرد فى ترف الاحكام القيمية و القياس على تجاربه هو الخاصة[256]. فكأن الصوفيين الكلاسيكيين كانوا الاباء الاوائل لكل من الامبريقية و رفض الاحكام القيمية. و مع ذلك فقد قال الصوفيون الكلاسيكيون–و كان معظهم واسع الاسفار و المعارف–باهمية ادارك ان شعوب اخرى كانت لها ثقافات و تقاليد تعمل بانسجام و تكامل. و قد قالوا بان الحقيقة لدى فرد من ثم قد تختلف عن الحقيقة عند جاره. و مع ذلك فان تلك النسبية ينبغى الا تدعو الى الاستهانة برأى الاخر على انه فالصو[257]. و قد ردت تلك النسبية الصوفيين فى نظر اليونانيين الى

الوقوع فى حظيرة او خندق سقراط و ارسطو مجددا فطردوا الصوفيين الكلاسيكيين. وحيث طرد اليونانيون بعض الصوفيين الكلاسيكين فقد كان الفلاسفة اليونانيون يكرهون الصوفيين و يحتقرون بعضهم.

و تظهر احبولة ديمقراطية اليونان فى طرد الصوفيين كبروتاجوراس Protagoras و اناكساجوراس Anaxaguras من اثينا فى 432 قبل الميلاد. و كان الاول يحاور فى معنى الاديان و الالهة و كان يقول ان الالهة كائنات غير قابلة للتبيان و لا كنه لها و من ثم فلا يمكن ان تغدو موضوعا للمعرفة او للنقاش. و قد ترك الاخيران اثرا بين الاثينيين تمثل فى الميل الى الشك. و قد عبر ذلك عن نفسه فى تراجيديات يوروبيديس–و كان متأثرا بالصوفيين الكلاسيكيين–فراح يطرح اسئلة صعبة حول الالهة و الالوهية.

1–هل ارسطو و ابن رشد مسئولان عن كوننا ندور فى حلقة مفرغة؟

هل ألف ارسطو حلقة وصل–بين الخوارج و المعنزلة ونظائرهم و التنويعات الاوربية الغربية مثل غير الملتزمين بمؤسسية العقيدة و الكنسية–النونكونفوميست–و الكالفينيين و البيوريتانيين اى التطهريين الخ والعقلانيين على الخصوص وصولا الى المحافظين الجدد والليبراليين الجدد؟ و هل تعود تلك الحلقة الى نفسها مرة اخرى فى دورة فيزيقية كاملة؟ من اين جاء الصوفيون الكلاسكيون؟ و هل كانت مبادئهم شائعة باكرا قبل سقراط و ارسطو؟ و هل تأثر فكر سقراط وارسطو من بعده بالصوفيين الكلاسيكيين؟ و اذ لا نتساءل من هو ارسطو او سقراط بصورة كافية لا نبحث فى الزمان الذى عاصراه الخ؟ فهل عاصرا ما بعد اثينا و حروبها مع اسبارطا وحدهما مثلا؟ ام ان ثمة احداث تساوقت و الاحداث الاخيرة و ما هى؟ و من المفيد الاشار الى ان تتبع الاحداث التاريخية للفلاسفة و المفكرين اللذين اتصلوا بكل من العقلانية و تنويعاتها ليس من مهام هذا البحث. الا ان التساؤل بحد ذاته حرى بان يدفع الى البحث فى و دراسة المزيد من جوانب تاريخ تلك المراحل و تداعياتها و تجلياتها الفكرية و التنظيمية. المهم فورا هو تأمل قياسات ما قد يفيده بشأن تعالق بعض الاحداث و تعاصرها فيما يتصل بنشوء نظائر و تنويعات عقلانية على بعضها.

2–ارسطو و ابن رشد و الاوليجاركية التنويرية:

كان القرن الثانى عشر من اهم عهود الاسلام وعصوره. و كان الاسلام الغربى قد عاصر الصليبيات الشرقية و الغربية مع ذلك تمييز الاسلام المشرقى على الاقل ابان عهوده الزاهرة بمراحل علمانية بالمعنى الجدلى و ليس المسمط و العقلانى المتكاذب. فقد ولد فى اندلس اسلام شارف تنويعة علمانية بالمعنى غير التبسيطى او المسمط. و كانت العروش الهامة قد انتقلت من اشبيلية الى قرطبة. و كان الغرب بدأ منذ القرن العاشر على الاقل و بخاصة بعد سقوط طليطلة يستمدد من الحضارة الاسلامية. و كانت الاخيرة ملئ السمع و البصر و كانت اللغة العربية لغة عالمية كما ذكرنا فى مكان اخر و كانت لغة العلم و قد تواصلت الاديان و تبادل معظمها المعارف دون اقرار المسيحية الغربية يومئذ بالطبع بذلك.

و حيث تعايشت الاديان و راحت تتبادل المعارف فقد بات يهود شبه جزيرة ايبيريا مستقلين واكثر تشاركا و تفاعلا مع غيرهم من اى وقت اخر. وقياسا ترجم موسى ابن ميمون التوراة من الارامية و العربية الى العبرية و طور النحو العبرى. ومع ذلك يقول احد المعلقين البريطانيين فى برنامج على راديو البى بى سى 4 ان معظم الملوك–الموحدين و معظمهم امازيغ–كان يستريب فى الفلاسفة المسيحيين واليهود[258]. ورغم ذلك الازدهار و التطور الا ان سلطة الطوائف انتشرت و قد راحت تتمركز فى القرن الحادى عشر خصما على سلطة الدولة فى تلك الفترة. و لعل انتشار الطوائف يكون قد قيض تعددية فكرية وحيث انتشرت المراكز الثقافية فى الاندلس.

و كان الامازيع يستقطبون المفكرين لاسباب تخصهم و رغم تشددهم فقد حض الموحدون على الفكر و رعاية الفلسفة مما يعتبر امرا مثيرا للتساؤل. و كانت الموحدية نتاج علم ابن تالموط. و كانت الموحدية بدورها ذات خصوصية معينة من اتباع ابن تولماط تقول بان صفوة صغيرة من الموحدين من اتباع ابن طالموت هم الاجدر بفهم القرآن وان العامة غير مؤهلين لذلك و قد كرسوا الفارق بين الصفوة و العامة من حيث الكشف الربانى لمعنى النص القرآنى للصفوة خصما على

العامة. وحيث قال الاخيرون بان الفلسفة من شيم قلة من النخبة فقد قال الغزالى فى تهافت التهافت ان ليس ثمة تبرير لاقحام الفلسفة على البرابرة الهمج الجهلة[259]. و كان ابن تالموط قد مأسس فكره على فهم ما يعنيه الله فى كتابه مما انتج مكانا لم يكن موجودا للفلسفة لدى العروش. و كانت حركة الترجمة من اليونانية الى العربية فى القرن الثامن الى العاشر قد وفرت علوم و فلسفات كاملة حول معظم اهم فلاسفة اليونان بخاصة سقراط و ارسطو و افلاطون و زنيوفون تلميذى ارسطو و غيرهم.

و قد ولد ابن رشد ابان عهد الامازيغ الموحدى و كان الامازيع يستقطبون المفكرين كما ذكرنا فى مكان اخر. و وصف توماس الاكوينى–وريث فكر ابن رشد–وصف الاكوينى ابن رشد فيلسوف القرن الثانى عشر ب"المعلق" حيث كان تعليقه على اعمال ارسطو من احسن ما يكون. و كان الكيندى و ابن سينا بعده و الفارابي بينهما قد تبنوا فكر ارسطو. و كان الفارابى قد اكشتف ارسطو.

و كان ابن رشد قاض و كان طبيبا و فيلسوفا بالمعنى الواسع و عالما فى الفلك و الفيزياء و الطب. و قد طلب منه الخليفة التعليق على اورسطو فكتب 3 مؤلفات فى التعليق شارحا للخليفة ما استعصى عليه. و يقول البعض ان الشيخ الرئيس ابن سينا كان اكثر اصالة فى العلم من ابن رشد الا ان ابن رشد كان اكثر حظا و ترجم الى اللاتينية فى حين لم يترجم ابن سينا الا بعده بوقت. و لم يكن احدا فى الغرب يجيد اليونانية.

و قد اصدر ابن رشد رسالة القرار و الرشد و شرح فيها دور المجتمع و المكانة القانونية للقيام بشرح فلسفى للقرآن من سور القرآن نفسه من مثل "وانظروا حولكمو تأملوا نعمة الخالق" الخ. و كان يقول ان ينبغى ان يكون من يفسر القرآن من بين علماء المؤمنين. و يقول انه اذا كان القرآن هو الحق و حيث ان الفلاسفة يعلمون ما هو الحق و الحقيقة فلا تناقض فى أن يشرح الفلاسفة القرآن. ومع ذلك كان يقول ان ليس ثمة سبيل الى الخلود الفردى.

و كان بن رشد يقول بان العالم كان موجود دائما و ليس ثمة بداية و نهاية مما يتناقض مع القرآن و الانجيل و يقولان ان "فى البدئ كان الكلم". و قد دافع عن قوله بان الفرق بينه و بين المسيحية الغربية والاسلام هومحض فارق لفظى. و قال ان لكل منا قدرة على التخيل و مخيلة تخصه و لعله كان يشبه الفكر بما يمكن ان يشارف اليوم شبكة المعلومات–ان صح التعبير. و من ثم حيث يقول ابن رشد ما معناه ان البعض يملك الوصول الى بعض ما على شبكة المعلومات من معلومات ويحصل اخرون على جزء اخر يقول بان القلة هى التى قد تملك احتواء تلك المعرفة. و كأنه يقول ان تلك القلة بمثابة جوجل.

و يبدو ان ابن رشد كان قد لوى عنق بعض ما قال ارسطوا فى بعض تفسيرات و تأويلات ارسطو لتخدم ما يريد ابن رشد. و لم يكن ابن رشد يستحب بعض ما قال ابن سينا لان ابن سينا كما قال الفارابى كان على خطأ من حيث ديمومة الارض و الخلود. و كان ابن رشد يقول ان البشرية لها عقل او فكر واحد او طاقم فكرى و مبادئ واحدة حول المدركات العامة والظواهر الطبيعية فالعاصفة هى العاصفة و الريح هو الريح و غير ذلك مما يعبر عن نفسه فى التماثل المعرفى بين الناس بشأن مفهومات عديدة و ظواهر طبيعية.

و قد اثارت فلسفة ابن رشد الميالة الى التفسير القانونى الدارسين و العلماء فى الاندلس فضغطوا على المنصور بان يضع حدا لابن رشد الذى بات بنظرهم متفردا و يقول–بشد و كسر الواو–النص على هواه. و قد طلب المنصور اليه الاختفاء مؤقتا. الا انه حيث اثارت فلسفة ابن رشد غيره من الفلاسفة استعدوا عليه الخليفة مجددا فحرقت كتبه و كان المنصور قد تخلى عن رعايته للعلماء.

و فى 1198 عندما رحل المنصور الى مراكش عاصمة الموحدين أخذ معه ابن رشد حيث مات الاخير بعدها بقليل. و كادت افكار ابن رشد تندثر لولا الترجمات الاوربية الغربية لتلك المؤلفات. و بعد وفات ابن رشد مثلا حدث لسقراط من قبله– لم يعد ابن رشد معروفا لدى اهله. فقد كان العلماء و المفكرين المسلمين قد باتوا– مثلهم مثل حكماء اثينا ازاء سقرط

و ارسطو–محافظين ولعلهم اصبحوا متطيرين من الفكر الجديد و قد بدأ حصار الاسلام تباعا من الشرق. و كان الوضع فى الاندلس بعد وفاة ابن رشد قد ساء و تحللت الامبراطوية الموحدية ولم تلبث ان سقطت فانحسرت الخلافة الاندلسية فى غرناطة. و قد تبع ابن الخطيب و ابن خلدون ابن رشد من بعد الا انهما كانا معلقان و مؤرخان و لم يكونا مفكرين.

الباب السادس : عقلانية الخروج على العقيدة:

الفصل الاول: هل الحركات العاصية لمؤسسية العقيد قابلة للتنويع عليها فيما بينها؟

تقديم

كانت بعض الطوائف الاسلامية قد عبرت بتنويعاتها عن نفسها فى اختراق مؤسسة الخلافة على عهد المأمون على الخصوص و تباعا على عهد المعتصم و الواثق على مر ما يشارف عقد من عمر الخلافة العباسية, و قد تمثلت طوائف كالمعتزلة و الاشاعرة الاوائل فى مفهوم ما اذا كان القرآن منزلا او مخلوقا و مفهوم الخلافة الخ بعقلانية مجدبة. و قياسا كانت طوائف مسيحية قد تعينت بدورها على اختراق الكاثوليكية الغربية و عصيان البابوية و مؤسسية العقيدة بقاية تقويضها.و ربماكان مفيدا الاقدام على محاولة تعريف مفاهيم كل من الحركتين اجرائيا. واجدنى مضطرة الى المراوحة احيانا بين الطوائف الاسلامية العاصية و نظيرتها المسيحية جراء تشاركمها سفر تكوين واحد هو ما يسمى بالفلسفة اليونانية و الصوفيين الكلاسيكيين–اليونان.

و فى عقد قياسات بين ما امفصله من ملامح كل من تلك الجماعات فقد ابدأ بالطوائف المسيحية الغربية العاصية و بالفكر الذى اصدرت عنه و اوحت به رجوعا من الاخيرة الى نظرياتها الاسلامية او ربما سفر تكوينها الاسلامي بين الخوارج و المعتزلة و الاشاعرة الاوائل وغيرهم من الطوائف التى عصت الخلافة مرة و اخترقتها فاحتوتها مرة اخرى. و من المفيد تأمل تاثير احداث الخلافة الاموية فى دشق بعد حروب الخوارج و العباسية فى بغداد على عهد القاضى ابن ابى داوود على الاندلس وعلى المغرب و على شأن ابن رشد. ولعل احداث و تطورات الخلافات المشرقية كانت قد قيضت شرط نشوء ظواهر اهمها تماثل افكار الاباء الاوائل لمن اسميهم معتزلة الغرب العقلانيين امثال سبينوزا 1632–1677 مع افكار ابن رشد. و قد اعتبرت بعض طوائف اليهود سبينوزا مجدفا و حرموه من الكنس Excommunicated him from the Synagogue.

و لعل احداث الخلافات الاموية و العباسية و التطورات الحالة بهما تباعا كانت قد استدعت تطيير الكيس و كبار الحاجامات المتطرفين بدورهم. هذا و كانت بعض طوائف اليهود قد كفرت موسى ابن ميمون بالتماس مع ابن رشد. و لعل تصريحات ابن رشد بشأن حرية العقل جريرة تداعيات تطورات الحركة الفكرية الدينية فى دمشق و بغداد قد اخذت على ابن رشد. فحيث قالت عقلانية بعض طوائف المعتزلة بان كل ما لا يخضع للاثبات–عقلا–نوع من الكفر فقد راح دعاة و اصحاب ذلك الفكر العقلانى يجأرون بان القرآن مخلوق و ليس منزل الخ. و لعل وقائع ما حدث ابان الخلافة العباسية خاصة على عهد المامون حتى الواثق على يدى القاضى ابن ابى داوود كانت حرية بان تثير الجدل حول الحركة الفكرية الاسلامية و تستبعث تداعيات حركة عبد الله بن سبأ فى خواطر السلطة الاسلامية فى كل مكان.

و كان الغرب قد احتفل بابن سينا كونه كان من كبار العلماء و المعتزلة معا. و من المفيد تذكر أن الغرب تعين على اغفال ذكر اصل ابن سيناء وصولا الى انتحال اين سينا بوصفه مفكر عالمي. و قد التبس اصل ابن سينا على كثيرن حتى وقت قريب. و بالمقابل فقد احتفل الغرب بابن رشد كونه من كبار المعتزلة و قد ذكر كبار فلاسفة ما سمى بالعصر الكلاسيكى الجديد امثال توماس الاكوينى ابن رشد كما كان دانتى اليجيري–1265–1321– قد ذكر ابن رشد فى الكوميديا الالهية التى بدأها فى 1307 الا انه فيما يبدو وضع ابن رشد فى مكانة بين الحجيم و الفردوس–و كأنه يضعه بين منزلتى المعتزلة–و لم يرقى به الى المطهر. والجحيم و المطهر و الفردوس هى مقاطع ملحمة دانتى الشعرية الثلاث الشهيرة التى استلهم في بعض اجزاء منها الاسراء والمعراج.

و لعله من المشوق مقارنة موسى الميمون بابن رشد من حيث ان كلاهما كان تقيا و اتهم فى وقت ما من حياته بالكفر. هذا و قد الهم ابن رشد حركات فكرية ثورية فى أوربا القرون الوسطى منها حركة فرنسية بقيت تحتفل بابن رشد كونه أهم جسر بين الفكر الدينى و العقلى أو ما يسمى بالعلمانى. و اجادل ان كل من ابن رشد و موسى الميمونى منيا بمغبة التطورات التى المت بالحركة الفكرية و الثقافية فى القرن الثانى و الثالث عشر ميلادى. فقد اتهم الاول بالذنقة و انكر حاخامات اليهود الثانى و كفروه. واذا صح هذا الزعم فربما فسر ذلك اهتمام اوربا الغربية بابن رشد و الميمونى–و كان الاخير قد اثر على موسى مينديليس فى المانيا القرن الثامن عشر وكانت الحركات العاصية للبابوية و المنشقة على الكاثولكية على اشدها. و يعزى موسى لمنديليس بدوره ما قد يشارف البعث اليهودى و احياء اللغة العبرية و تحديث اليهودية و عقلنتها على نحو غير مسبوق مما ازعم انه ربما انتج شرط نشوء الصهيونية الجديدة. فماهو دور كل من هؤلاء المفكرين الانسانويين و التنويريين–افتراضا–ان كان لابن الميمون دورا الا بقدر ما الهم موسى مينديليس؟

هل كان موسى الميمونى تلميذ ابن رشد معتزلا يهوديا؟

ولد موسى الميمونى فى قرطبة فى مارس 1135 وتوفى فى القاهرة فى ديسمبر 1204, وكان موسى ميمونيديس حاخاما و طبيب و رياضى و فيلسوف من اتباع ارسطو بدوره. فيحث يسر مناخ الاندلس على ايامه له التزود من فيض ثقافة منفتحة على الجهاب الاربع فقد قيض له ان ينتج تمثلات للفلسفة اليونانية من وجهة نظر يهودية. و قد ترجمت أهم اصول اليهودية الى العبرية من العربية والارامية لاول مرة فى الاندلس. و كان الميمون من تلامذة ابن رشد فتأثر بابن رشد وتعلم منه شابا و تزود بالفسلقة و الحضارة الاسلامية بالوصف اعلاه و نهل من الثقافة الاسلامية فى الاندلس ثم فى المشرق. و كانت حركة جامع قرطبة أعلاه و غيرها من الحركات العلمية الفكرية و الثقافية الاسلامية حرية بان تؤثر على ما بات يسمى بالحركات الاصلاحية بين بعض طوائف اليهودية فى القرنين الحادى و الثانى عشر الى الثالث عشر. و كان موسى الميمون بادر بحركة فكرية غير مسبوقة و قد راحت بعض الطوائف اليهودية تتعاطى الفلسفة اليونانية و اثر انعكاس العلوم الاسلامية على العلوم على معظم طوائف اليهودية و تعلم بعض طوائف اليهود من المسلمين كما اخذوا النحو العبرى فيما بعد عن النحو العربى.

و فى ازهى تجلياتها كانت السلطة الاندلسية حرية بان تترك التبادل الفكري حول طبيعة الاديان والجدل بين الفلسفة الاسلامية و بين ثيولوجيا العقائد الاخرى لكل ملة. و قد بقيت خصوصية كل ملة كامنة و قد بقى الفكر حول طبيعة الاديان و الجدل بين الفلسفة والدين خاضعا لنظام الملل كل على حدة. و قد اثرت أهم اعمال ابن رشد على هوامش او شروح على متون ارسطو و لم تكن أعمال ابن رشد معروفة فى الترجمات اللاتنية وحسب انما فى العبرية. وكانت الاخيرة لغة بازعة و لم تكن مستخدمة بصورة واسعة بعد. فقد بقيت العبرية غير مكتوبة و قد احتكرها اسباط و قضاة و امراء وتجار بعض طوائف اليهود عقلانيا بالضرورة مما حرمها على عامة اليهود عقلانيا بالنتيجة فكرس طبيعتها الصفووية. وقد بقيت العبرية "لا وجود خاص لها بالمعنى الشعبى و التاريخى للتعبير". حتى ترجم موسى بن ميمون التوراة–الميشناه و الجمارا–الى العبرية. و كانت المشناة قد بقيت تقصدا بعيدة عن متناول يد عامة بعض طوائف اليهود"[260]. ذلك ان حاخامات بعض طوائف اليهود المتشددين كانوا يرون انه "حين تكون الميشناة معروفة للعامة جيدا لا يكون "باستطاعة الخاخامات "ادخال اى قرار ذاتى ..."أى اذا بقيت خافية على العامة سوغت التفسيرات الذاتية الواقع عقلانيا بالخصم على المستلبين بانواعهم[261]. و ازعم هنا مجددا بمغبة الاملال ان الميل نحو التسارر هو أهم و اخطر و اوضح تعبير عن مفهوم العقلانية.

المهم أثر ابن رشد ايضا على موسى ميمون اهم و اول فلاسفة بعض طوائف اليهودية بصورة عميقة فى دورة كاملة من اختراق الفلسلقة اليونانية. و كان اعراب الشتات قد تدخولوا بالنتيجة فى ترجمة الفلسقة اليونانية الى العربية و لم تكن العبرية بعد جاهزة لتلقى مثل ذلك العبء الفكرى الكبير حيث كانت ما تبرح اقرب الى الارامية و العربية القديمة كما ذكرنا

فى مكان اخر. و لم تنفك تلك الترجمات ان اخترقت الاسلام بهذا الوصف عائدة الى الاسرائيليات مجددا . و اجادل ان ربما كان نكران بعض الطوائف اليهودية الاورثذوكسية لموسى الميمونى و تكفيره من ناحية و تبنى بعض طوائف المسلمين للميمونى بوصفه فى رايهم "مسلم" من ناحية اخرى يتمثل فى كون الميمونى خرج على حكمة الحاخامات الازلية المتسارة تلك. فقد كان تمثل ابن الميمون لروح الثقافة الاسلامية السائدة المتسامحة حريا بان يدفع الحاخامات الى اتهامه بتحدى شريعتهم–العقلانية المتسارة.

واجادل انه ان كان الفكر اليونانى قد اصدر عما اعرفه بالعقلانية الكلاسيكية فقد كانت الاخيرة سفر تكوين العقلانية القاحلة التى اعرفها تباعا. و حيث اخذ ابن الميمون عن العقلانية الكلاسيكية فقد كان حريا بان يلتقط تجليات او تداعيات العقلانية بهذا الوصف. فان عكس ملامحها فى فلسفته و فى مشروعه غير المسبوق فى ترحمة التوارة و كانت محرمة على العامة الخ فقد غدى بالنتيجة مستهدفا للمؤسسة الحاخامية. و لعله بات كمثل استاذه ابن رشد اول المعتزلة المعتدلين نسبيا تفريقا لهما عن نظائرهما المعتزلة العقلانيين المتخاتلين بصورة قاحلة. و قياسا فلعله ثمة معتزلة و خوارج معتدلين و نظائر للاخيرين عقلانيين متخاتلين و الله اعلم.

المهم فورا حيث لم يكن التعلم و تطور النحو العبرى و الفلسفة الخ من تقاليد بعض طوائف اليهودية الا ان ما تحدى العلم الاسلامى ابان الاندلس لم ينفك أن بات تحديا للعلم لدى بعض طوائف اليهود. و كان اهم ما شغل فلاسفة الاسلام و اليهود و غيرهم حل القضايا الفلسفية بالجدل. و كان فضاءا واسعا على نحو غير مسبوق من قبل و لم يقيض من بعد ايضا قد وفر كيمياء ارتياح التبادل و الحوار الفكري فى الاندلس.

و كان من تجليات ذلك ان انفتحت كوى على سعتها تطل بالتفاهم العميق بين الاديان على تبادل غير مسبوق لبعض الايقونات والرموز الطقسية. و كان تمثال مريم السمرا او السوداء الوحيد فى اوربا و ما يبرح يقف داخل باحة الكنيس–المعبد اليهودى فى طليطلة و منه انتقل ذلك الرمز الى امريكا اللاتنينة فالعذراء سمراء و كذا المسيح فى امريكا الجنوبية. كما تزين الآيات القرآنية الكنيسة فى طليطلة و ما تبرح الاخيرة تسمى القدس الغربية . هذا و قد كتب موسى الميمونى–اذ تعين على دراسة الثقافة و الفكر الاسلاميين–"دليل المحتار" The Magna Corpus بخط يده فى الفسطاط و كان قد رحل و اسرته فى القرن الثانى عشر من الاندلس ليعمل فى خدمة صلاح الدين عشية الصليبية الثانية.

و اجادل فيما يلى ما اذا كانت عقلانية القرن السابع و الثامن عشر تصدر عن الخوارج و المعتزلة المسيحيين و المسلمين؟ وما هى ملامح او–و كمياء تلك العقلانية؟

كمياء عقلانية القرنين السابع و الثامن:

كان ابن رشد قد اثر فى القرن الثالث عشر على توماس الاكوينى وعلى حركتى المبدأ الانسانوى و التنوير العقلانيين. و كان تأثيره انتقائي على الخصوص جراء انتقائية الاخذ عنه. و من اهم ما قال مما نزل فى الفكر الغربى هو ان الخلود من شيمة الفكر و المفكرين و ان لكل انسان فكر يبقى بعده مما حوره الغرب ليغدو خصما على العامة من غير المفكرين بحيث بات من ليس له فكر يبقى بعده لا خلود له فى الدنيا ولا فى الاخرة. و يعيد الغرب عقلانيا لابن رشد مكانته مجددا بوصفه مفكر حر و متفرد وعقلانى و انه بهذ الوصف نقيض الفكر الاسلامى المعاصر. فما هى عقلانية القرن السابع عشر و الثامن عشر حقا؟

هل حركة الخوارج و المعتزلة قابلة للجمع بينها بلا انتقاء؟

ان اى حركة او فكرة اجتماعية قابلة لكل من:

–النمو والتفرع و التنوع و–أو التحور Mutation

–نشوء الاختلاف بينها

–اختراق بعض المغرضين لبعضها

–بل قد يتعين المغرضون اصلا على اقامة حركات مشبوهة مما يلاحظه الناس على مر التاريخ غير المكتوب.
–خلط اوراق تلك الحركات و صعوبة الفرز بينها او استبيان الطيب من الطالح منها.
و من اتجاهات و ملامح حركة المعتزلة انها تحورت يمينا ويسارا و عادت ادراجها فى دورة كامة احيانا, و ربما كان ابو الحسن احمد ابن يحى ابن اسحاق الراوندى المولود فى راوند بين اصفهان و كاشان فى فارس و قد توفى عن اربعين عاما فى 250 هجرية–لعل الروانداى اكثر نماذج المعتزلة تعبيرا عن تلك الحركة. فقد تحور بينها و بين الالحاد وصولا الى اثارة تهمة الكفر و لم يبلغ الاربعين فلو انه عاش سنين اكثر فهل كان قمينا بان يعود فى دورة فيزيقية كاملة الى الاسلام؟[262].

كان الروانداى يقول بسمو العقل على النقل و نقد فكرة اعجاز القرآن. و كتب كتاب البصيرة–و ذكره العباسى الطبرى و قال انه الف هذا الكتاب تزولا عند رغبة اليهود و طعنا فى الاسلام. و اجادل ان الناس فى كل مكان اليوم تلاحظ اكثر من اى وقت كيف تختطف الشعارات و المفاهيم الثورية و التقدمية و بخاصة كما نرى اليوم بشأن لغة اليسار التقليدى–و قد انكسر ظهره تباعا–و افراغها من محتواها. و يتخصص بعض من يدعى الفكر و الثقافة فى عمليات تسييس اللغة واعادة تفصيل معمار اللغة و تشكيل الخارطة الذهنية. و يسهل سقط القول و الالحاح بقدرة وسائل الاعلام التى باتت مملوكة لاصحاب المال و المصالح و خصم تلك المصالح على اغلبيات الناس المقموعين و المنسيين. و لعل الروانداى و ابن رشد و الحلاج كانوا حريون بان يمنوا بعداوة تنويعات باكرة على المحافظين الجدد عقلانيا.

الخوارج: و العقلانية

يثابر البعض–قياسا– على الاعتقاد بان العقلانية وليدة ما يسمى "التنوير" الغربى. الا ان ثقافة او فكر العقلانيين قد نشأ منذ القرن الحادى عشر وازعم انها قد سبقت التنوير الغربى بقرون و قد تعاصرت بعض الحركات الفكرية الاسلامية العاصية و ما يسمى بعصر النهضة. فقد نشأت و انتشرت طوائف ممن يشار اليهم اجمالا و ليس حصرا بالمعتزلة خاصة و الخوارج. و ازعم ان الملامح العنيفة للنهضة الاوربية فيما خلا البندقية–مما يسكت عنه التاريخ الرسمى الاوربى الغربى– قد يعود الى حركة العصاة الاسلاميين والعكس صحيح.

و ازعم ان احراق مؤلفات ابن رشد العربية ربما كان تنويعا على ما يسمى ب"النهضة" فى أوربا الشمال غربية و ما تساوق معها و محاكم التفتيش و احراق العلماء و اعمالهم مثلما حاق بكل من جوردانوا برونو و جاليليو جاليلى وغيرهما ابان الازمات الدورية التى منيت بها كل من أوربا الشمال غربية و الاندلس معا. المهم استقى المعنزلة خاصة و الخوارج كبعض مفكرى و فلاسفة الاسلام افكارهم من الفلسفة اليونانية وبخاصة اورسطو و سقراط من قبله و تلميذه افلاطون و من الرواقيين و الابيقوريين. و كان اعراب الشتات بين من ترجم و نقل تلك الفلسفات الى العربية قبل وصولها الى اوربا الغربية بزمان طويل اى قبل اعتناق المفكرين و الفلاسفة الاوربيين الغربيين الفسلفة اليونانية علنا. و كانت الفلسفة اليونانية ومأ يأتى من الاندلس خاصة محرم بفرمات كنسية.

و كانت طروحات بعض علماء و فلاسفة العرب قد اصدرت عن الجدل الارسطى–قياسا على الجدل التاريخى. و كان ابن رشد اول من قال بالجدل التاريخى مما اخذه عنه كارل ماركس و اطلق عليه الجدل المادى اوالمادية الجدلية التى تنسب الى اعادة ماركس–وكان هيجليا–نسبة الى هيجل–النظر فى الجدل الهيجلى. و يجأر الماركسيون بان الجدل الماركسى بهذا الوصف يعود الى ابقاف ماركس الجدل الهيجلى على قدميه نكاية فى الهيجليين. فمن كان ابو الجدل حقا هيجيل ام ماركس ام ابن رشد؟

ابن رشد و الجدل المادى: هل كان ابن رشد زعيم المعتزلة؟

كان فكر ابن رشد نواة ما تمثل فيما يسمى بنهضة القرن السابع و الثامن عشر الاوربية الجنوبية على الخصوص و تحديدا البندقية و ما تمأسس فوقه من الفكر و الفن النهضوى و التنويرى على التوالى. و قد الف ذلك المناخ سفر تكوين الاشياء

النهضوية الاوربية. و لعل ما يسمى بالمبدأ الانسانوى و ما يسمى بالتنوير عبر عن نفسه كونه وظيفة من وظائف النهضة الاوربية الجنوبية اكثر منه تعبير عن النهضة الاوربية غير المعرفة تاريخيا تماما. و كان التنوير الشمال اوربى قد نشأ فى هولندا قبل وصوله الى الجرز البريطانية. و انتشرت الافكار و الفنون التنويرية فى انتويرب و امستردام و بروج بين الفليمينج Fleming فى القرن الخامس عشرو السادس عشر عندما جعل هنرى الثامن نفسه ملكا بروتستانتيا على انجلترا. و الفلامنج حرفيون تنسب اصولهم الحرفية الى الاندلس. المهم أثر ابن رشد فى توماس الاكوينى و فى مفهوم الجدل لدى هيجل و ماركس على التوالى.

و أجادل أن لعل ماركس كان قمينا بان يحذو حذو ابن رشد اذ رد الاخير ب "تهافت التهافت" على كتاب الغزالى "تهافت الفلاسفة". فقد رد ماركس ب "فقر الفلسفة" على كتاب هيجل "فلسفة الفقر".

وازعم ان ماركس ربما مأسس أهم قوانين او شرط النشوء الاجتماعى الاقتصادى علي جدل ابن رشد. المهم فورا فان كان ابن رشد نفسه مثيرا للجدل فقد غدت افكاره تحض على العصيان. ذلك انه كان من اليسير اتهام تفسيره للرؤى على هدى العقل بوصف ان انبل ما اوتى الله تعالى خلقه على حد قول الرسول صلعم هو العقل بالكفر. ومع ذلك كان محمد بن احمد بن محمد بن رشد الاندلسى مالكيا و من أهم علماء الاسلام و من اهم علماء أوربا فى القرن 12 كما اثر ابن رشد على الفكر الاوربى العلمانى فيما بعد.

تاثير عقلانية الخوارج و المعتزلة على بعض طوائف اليهود:

اثرت أهم اعمال ابن رشد بشأن هوامش او شرح على متون ارسطو كما ذكرنا فى مكان اخر على الافكار العربية و المسيحية الغربية و اليهودية. و لم تكن أعماله معروفة فى الترجمات اللاتنية وحسب انما فى العبرية و قد بدأت بالبزوع لتوها فترمت بعض النصوص بالعبرية لاول مرة. و كان موسى ميمونيديس تلميد ابن رشد طبيب و رياضى و فيلسوف من اتباع ارسطو بدوره فانتج تمثلات للفلسفة اليونانية من وجهة نظر يهودية و قد ترجمت لاول مرة فى الاندلس من وجهة النظر اليهودية تلك. واذا صح هذا الزعم فربما فسر ذلك اهتمام اوربا الغربية بابن رشد و ابن سينا كونهما كانا من كبار المعتزلة. و كان ابو عمران بن موسى ميمون بن عبد الله فيلسوف تلمودى من أهم فقهاه بعض طوائف اليهود فى القرن الثانى عشر و كان عالما وفلكيا و طبيبا و شارحا للتوراة و التلمود بدأ أعماله التوراتيه فى الاندلس و أكملها فى مصر. و حيث لم يكن التعلم و تطوير النحو العبرى و الفلسفة الخ من تقاليد لدى بعض طوائف اليهود الا ان ما تحدى العلم الاسلامى ابان الاندلس لم ينفك أن بات تحديا للعلم لدى بعض طوائف اليهودى و كان اهمها حل القضايا الفلسفية بالجدل. و حيث اثر ابن رشد ايضا على موسى ميمون اهم و اول فلاسفة بعض طوائف اليهودية بصورة عميقة فقد تمثل ذلك فى دورة كاملة من اختراق الفلسلقة اليونانية التى تدخل فى ترجمته اعراب الشتات وكذا بعض طوائف الاسلام وعودة ذلك الاختراق مجددا الى اليهودية.

و كان الميمونى قد ترجم الميشناه الى العبرية. و تقول الميشناه Mishnah وهى كتاب مقدس لشعائر التطهر وغيرها ان المعوق و العاجز و المفقر نجس فالمرض نجاسة و ضعف والعكس صحيح. و حيث ان الطهر و الصحة قوة و منعة فانهما يفرقان بين الاحرار الاصحاء الاقوياء و بين من عداهم من البشر. كما ان الخبل عقاب لان الخبل وظيفة التلوث بالاثم و التلبس بالارواح الشريرة. وتحرم الميشناه المخبولين والمعوقين و المرضى و العجزة من التعبد فى المعبد والتجول حوله بحيث ابقى كهنة المعبد فى القدس الاخيرين مقصيين ليس عن المعبد و حسب و انما منبوذون مبعدون خارج القدس. و ليس غريبا ان يتزل موقف بعض طوائف اليهود من المعوقين و كانه تنويع على اليوجيتيتيكس Eugenetics أو العنصرية العلمية الى النازية. و كان ذلك التنويع قد تزل بصورة لا مباشرة الى بعض طوائف المعتزلة حيث لم تعد ثمة منزلة بين منزلتى الجنة للعاقل التقى والنار للآثم الكافر. وتنزلت تلك الثنائية لدى الجمهورية الامريكية على عهد الادارة

43 وربما ورثها جون ماكين المرشح الجمهورية لرئاسة الجمهورية فى انتخابات نوفمبر 2008. والعكس صحيح. فكل متهم بعدم الوطنية كافر مباح دمغه وفق دستور الخوارج الغربيين الجدد بتهمة الخيانة ينص قانون باتريوت PATRIOT .

و قد تعين موسى الميمونى على شرج التوراة و التلمود لاول مرة فى القرن الحادى عشر مما استعدى بعض طوائف اليهود ضده و اثار حفيظة بعض الحاخامات المتشددين عليه. ذلك ان حاخامات بعض طوائف اليهود المتشددين كانوا يرون انه "حين تكون الميشناة معروفة للعامة جيدا لا يكون "باستطاعة الخاحامات "ادخال اى قرار ذاتى ..."أى اذا بقيت خافية على العامة فان التستبر على الميشناة حرى بان ييسر التفسيرات الذاتية للواقع و يسوغ تحوراتها خصما على المستلبين بانواعهم[263]. و قد عين بن ميمون حاخاما فى كنيس قرطبة وهو لا يزال شابا و بقى فى الاندلس حتى دولة الموحدين الى ان رحل الى قاهرة الفاطميين.

و كانت الخلافة الاسلامية بمصر قبل أفولها متفتحة العقل حرة السيادة كما كانت الاندلس فى ازهى عصورها مما اتاح نشاط و ازدهار بعض طوائف اليهود حبا فى موسى الميمون و ثقة فيه فقد كان الى ذلك مقرب من الخليفة الفاطمى كما ذكرنا فى مكان اخر حتى ان بعض المؤرخين يقول بان موسى بن ميمون مثلا "اعتنق الاسلام فى اواخر ايامه". و يستدل على ذلك بما كتبه احد معاصريه –لم يذكر اسمه–على شاهد مقامه فى طبرية بالعبرية ما ترجمته "دفن فى هذا القبر موسى بن ميمون الطريد المحرم الكافر". و يعتقد ظهر الاسلام خان ان ليس ثمة ما يثبت ذلك فى الكتب و المراجع الاخرى فانه ليس من مصلحة بعض طوائف اخرى من اليهود التشهير باسلامه[264] لان بن ميمون من اكبر علمائهم و اجل مفكريهم حتى ليشبهونه بموسى بن اسيا بنت مزاحم عليه السلام. و تجأر بعض طوائف اخرى لليهود حتى اليوم بان "من موسى الى موسى لم يظهر احد كموسى." بمعنى موسى ابن اسيا بنت مزاحم و موسى ابن ميمون.

وكان كل من ابن رشد و الميمونى قد ظهر عشية النهضة الباكرة Early Renaissance[265] و الاصلاح الدينى, و اجادل ان الاصلاح الدينى كان دافع ما يسمى "المبدأ الانسانوى". و لعل الاصلاح كان سفر تكوين المبدأ الانسانوي و قد ظهر ديزيديرياس ايرازماس Desiderius Erasmus–1466–1536 سيد الانسانويين الهراطقة كونه كان مسيحيا راح يحض الناس على نسيان الرب. و ظهر باروخ سبينوزا 1632–1677 ابان عصر التنوير.

و اجادل أن الحركة التجديدية التى قاده الميموني ربما كانت وراء تكفير بعض الطوائف اليهودية الاورثذوكسية له بانكار الميمونى و تكفيره من ناحية وقد تبنت بعض طوائف المسلمين الميمونى وعدته مسلما. فقد كان موسى الميمونى ابان التقبل الاسلامى بسماحة غير مسبوقة لكافة الاديان-و ليس التسامح فالتسامح يوحى بالابوية و التعالى–رجل دين و عالم له مكانه فى غرناطة. ذلك ان ابن الميمون لم تكن له شعبية بين بعض طوائف اليهود بقدر ما كان له من قبول وسمعة طيبة و حظوة لدى العرب فأطلقوا عليه لقت "ابا عمران موسى بن ميمون عبد الله . و كان يوسف بن عقنين المعروف بابى الحجاج يوسف ابن اسحق السبتى المغربى الذى اشتهر كطبيب و فلكى و سعديا بن بركات من اشهر تلاميذ بن ميمون". و كان موسى الميمون بادر بحركة فكرية غير مسبوقة الهمت نظيره موسى ميندليس فى القرن الثامن عشر و الهمت بدورها يهود أوربا الغربية.

صراع علماء المسلمين و احراق الساحرات:

اجادل ان كل من ابن رشد و موسى الميمونى منيا بمغبة التطورات التى المت بالحركة الفكرية و الثقافية فى القرن الثانى و الثالث عشر ميلادى. فقد اتهم الاول بالذنقة و انكر حاخامات اليهود الثانى و كفروه. و لعل ابن رشد اخذ بجريرة ما حدث فى دشمق و بغداد على ايدى الخوارج و المعتزلة و بخاصة ما حدث ابان الخلافة العباسية على عهد المامون على يدى القاضى ابن ابى داوود. و هو الامام سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران ابو داود الازدي السجستاني[266]. و لم يلبث المعتزلة ان دالت دولتهم بعنف على عهد المتوكل[267].

ومن المفيد تذكر ان الصراعات السلطوية بين الخلفاء و العلماء من ناحية وبين بعض علماء و رجال الدين من ناحية آخرى تسأوقت و عشية اندلاع الصليبية الشرقية الثانية–و قد بدأت فى 1186 مما افرز كيمياء العصاب الذى استقر فى مسام المجتمع الاندلسى لوقت طويل. و رغم ان الخليفة المنصور كان رجل علم وفلسفة الا ان الاندلس بدت و كأنها اصيبت بفيروس اللاتسامح الفكري من أوربا القرون الوسطى. و لعل احراق ما عالجه ابن رشد بالعربية من مسائل كان حريا بان يحرج الخليفة ابا يعقوب المنصور الموحدى فلم يبق للخليفة سوى خيار وحيد–ابان ادق سنوات حكم الاخير–وهو نفى ابن رشد. فقد نفى المنصور ابن رشد الى قرية بالقرب من قرطبة ثم لم تنفك ضغوط–تنتظر التعرف عليها و تحليلها بصورة موضوعية فى السياق بعد–أن تواطأت على ابن رشد ادت الى تقديمه للمحاكمة بتهمة الزندقة.

و أزعم ان احراق مؤلفات ابن رشد العربية ربما كان تنويعا على ما تساوق فى أوربا الشمال غربية من محاكم التفتيش وصراع الكنيسة و العلماء ابان الازمات الدورية التى منيت بها كل من أوربا الشمال غربية و الاندلس معا. فان كان ابن رشد نفسه مثيرا للجدل حيث كان يفسر الرؤى على هدى العقل بوصف انه أنبل ما أوتى الله تعالى خلقه–حيث يقول الرسول صلعم ان انبل ما اوتى الانسان هو العقل– فقد غدت افكار ابن رشد تحض على العصيان. و قياسا فقد كانت افكار الخارجين على الكاثولكية من عصاة البابوية و الاحتجاج العنيف على مؤسسية الكنيسة–العقيدة–كما نرى فى مكان اخر–حرية بان توصم بالذنقة و الكفر.

الفصل الثاني :تنويعات مسيحية غربية على كمياء حركات الخوارج و المعتزلة:

تساوقت حركات الخوارج و المعتزلة و انتشار الفتن و الحروب و الصراعات منذ بيعة معاوية ابن ابى سفيان غب مقتل عثمان[268] وصولا الى محاصرة الخلافات الاسلامية المشرقية و سقوط العباسية فى 1258. وحيث لم يغفر الهاشميون لبنى امية ابدا ولاية من اعتبروه اقل اهلية للخلافة من بين البطون القرشية فقد أغوى ذلك جماعات بعينها كالخرسانيين و غيرهم–و بخاصة اؤلئك اللذين بقى مسكوت عنهم واتصل الصمت حولهم جراء خشية معظم المؤرخين من الجرؤ على النطق باسمهم–على استغلال انقسام بيتى الخلافة العربيين بيت هاشم و بيت عبد شمس[269]. بل ان الجماعات التى وصل دورها فى التحكم فى العباسيين الى ضعضعة فسقوط الخلافة العباسية بقي مسكوت عنه حتى الوقت الحاضر نسبيا[270].

و قد اتصلت تلك المنافسة بين البيتين عبورا بسقوط بنى امية فى دمشق و وصول العباسيين الخلافة فى بغداد و سامراء الى نهاية الاخيرة. و لم يعف الاندلس بدوره من تلك الازمات الدورية حتى سقوط غرناطة. و اجادل ان الخوارج اما استفادوا من ذلك المناح او–و الفوضى المنظمة او–و كانوا وراء الاخيرة كون بعض قادة الخوارج كان حريا بان يكون من أعراب الشتات–الخزر جيران الامويين و العباسيين على التوالى. وكان الاخيرون قد برعوا و ابدعوا فى خلق المناخ المواتى للفوضى المنظمة تلك على مر التاريخ و تباعا. ويلاحظ الناس فى كل مكان من احداث عصر المأمون و اواخر ايام الاندلس مثلا و صولا الى تطورات معاصرة ماثلة كاحداث المنظومة الاشتراكية و البلقان والعراق على الاقل ان عدم الاستقرار يكرس زعزعة السلطة و الاقتصاد و التضخهم والانكماش و يخلق شرط الحروب الاهلية والطائفية وصولا الى مفاقمة افقار الاغلبيات المنتجة للفائض.

و من ملامح الفوضى المنظمة انتشار الحركات و الثورات المشبوهة و يثابر الذين يتعينون على اشعال تلك الحركات المشبوهة على تاجيج نيران الحروب الطائفية و الاهلية و نشر اسبابها فى كل مكان مستغلين الافقار المادى و الاجتماعى الذى يحيق باغلبيات الناس العاديين و الافقار الفكرى والتنظيمى الذى يمنى به مفكرى و مثقفى المجتمع المعين. وغالبا ما يكون اعراب الشتات من اسباب ذلك الافقار مما يلاحظه الناس فى كل مكان على مر التاريخ المسكوت عنه خاصة. فالانهيارات الاقتصادية و المالية و تركز الثروة فى ايد اقل فاقل تباعا من شأنه احلال شرط الفوضى مما يخلق بدوره سياق الافقار والثراء المشبوهين.

و غالبا ما يؤدى احد شرطي الافقار بانواعه الى الاستهداف لايحاء اعراب الشتات مما يلاحظه الناس فى كل مكان. وقياسا كان المثقف و المفكر قد ابقى عليه معدما الا من رعاية امير او قس او تاجر او حبر حتى القرن السادس عشر. و ما يبرح المثقف و المنتج السينمائى و المفكر و غيره يتسول رعاية الشركات عابرة الجنسيات مما يلاحظه مشاهدو التليلفيزيون معلنا بلا احتشام. وكان ذلك الافقار لدى المثقف و المفكر قد خلق لدى الاخير رواسب تمثلت فى الحاق نفسه عقلانيا بخندق العروش أو بخندق الكنيسة. و قياسا تجد ذلك الفرد لدى الخليفة ايضا يخلع عليه الخليفة حلة مقصبة و يمنحه دنانير من الذهب او–و يتصعلك خارج اسوار المدينة. و ما ان يلحق المثقف و المفكر بخندق يجد انه يواجه الخندق الآخر مما يجعله فى خصام مع الاخير لحساب الاول. او–و العكس فى دومة او محنة فكرية قاتلة.

فهل ثمة تعالق بين العقلانية و صراع الكنيسة الكاثوليكية الغربية و المفكرين و المثقفيين الغربيين؟

أزعم ان الفكر العقلانى كان قد نشأ باكرا على خلفية الصراع بين الكنيسة الغربية عشية ما يسمى بالنهضة و العلماء مثلما كانت تنويعاتهم الباكرة قد توزعت بين الخلافة و الخوارج و المتعتزلة العقلانيين بالضرورة و بين غيرهم من لمفكرين بالنتيجة مما انافشه فى مكان اخر.

المهم كان المفكرون و الفلاسفة الاوربيين الغربيين موزعين بين الامراء و الملوك و شرائح مجتمع الفاتيكان بحيث بقوا بين موال و تابع لامير اقطاعى او لملك و–أو ملحق بخدمة البابوات و المرشحين للبابوية والمتنافسين عليها. و قد تمثلت نماذج ذلك المثقف فى حالة جاليليو جوردانوا برونو و مايكل انجلو و الجريكو و كارافاجيو حتى عشية ما يسمى ب"النهضة". و كانت تلك الجماعات تبدو متفاهمة فلم تكن متخاصمة دينيا فى الواقع. و لم يكن معظمهم قد الحق نفسه بعد بالمراكمة الرأسمالية و بما بات يعرف بنمط الانتاج الرأسمالى الميركانتالى. فلم تكن الرأسمالية الموصوفة–رغم الادعاءات الغربية غير القابلة للاثبات–تملك تحقيق شرط المراكمة التى باتت غير مسبوقة حتى الصليبيات و نهب والقسطنطينة وصولا الى "الاكتشافات الجعرافية الكبرى".

و قياسا كانت السلطة و الثروة قد بقيت حتى القرن السادس عشر افتراضيا متقاسمة او متشاركة او الاحرى متنافس عليها بين العرش والكنيسة. ولم تنفك الثروة المراكمة بالوصف اعلاه ان قيضت استقطاب الجماعتين المذكورتين فى كل من النهضة و التنوير على التوالى. ومن المفيد تذكر نشوء ثروة و سلطة اعراب الشتات على نحو غير مسبوق فى اوربا الغربية منذ عشية الاكتشافات الجغرافية الكبرى واستقطاب الكل فى شرط مراكمة تلك الثروتو الهمنية من وبتها و تباعا.

و من المفيد تذكر ان الغرب لم يكن ليتعين على الاصلاح الدينى–لبروتستانتي–لولا زمان المد الاقتصادى الثقافى غب سقوط غرناطة وخصما على العرب و المسلمين من ثم. و كانت حركة الاصلاح قد بدأت بالخروج على الفاتيكان و البابا و قد اتهمت الكنيسة الكاثوليكة بانها عدو التقدم. و قد اتهمت الكنيسة الكاثوليكة بانها عدو التقدم. و كان التقدم قد اتصل بنشوء جماعات بعينها ناصبت الكنيسة الكاثوليكية العداء و بيتت النية على اختراقها قصاصا عقلانيا بصورة عميقة و مبدعة و غامضة. الواقع ان مناصبة اعراب الشتات للكاثوليكية الغربية لم تكن و حسب جراء ذلك الدور و انما:

–لكون الكاثوليكية–على اواخر ايام الامبراطورية الرومانية و قد اوشكت الاخيرة على الافلاس وصولا الى انهيارها المدوي–لم تكن راضية عن الربا

–ان الكاثوليكية–رغم ثراء البابوات و الكرادلة رجال الدين–كانت تعنى بالفقراء و تقيم مؤسسات البر و الاحسان و تجأر بان اسهل على الجمل الولوج من سم الخياط من دخول الغنى الجنة

–انها كانت بهذا الوصف غير معادية للشعوب. و يتضح ذلك بمقارنة البروتستانتية التى تولى االرساء اساسها ان لم يبادر بها اعراب الشتات فى اوربا الشمالية خاصة. فالبروتستانتية لا تأنف من الربا بل تشجع المراكمة باى وسيلة و تعليها الى مرتبة التقديس مثلها مثل اليهودية. و تذرى البروتستانتية مثلها مثل اليهودية بالصدفة و الاحسان. فاعراب الشتات كما

اكون قد ذكرت فى مكان اخر يمنعون عن الفقراء الصدقة فلا يستحق الفقير لديهم صدقة. ذلك ان الصدقة للغنى المعسر و ليست للفقير الذى يرونه مسئول عن فقره و يستحق قدره. و يقول مثال يهودى اذا جاءك متوسلان و كان احدهما غنيا يوما فاملق و الاخر فقيرا فاعط الغنى اكثر لان الاول يعانى من الاحساس بعدم الكرامة فقد تعود علي الكرامة فى الثراء فى حين ان المتسول الفقير لا يعرف الكرامة و لا يفتقده

–هذا و بقليل من امعان النظر تتضح كاريهة البروتسانتية للشعوب و بخاصة الشعوب غير البروتستانتية مما سجله تاريخها ابان الاكتشافات الجرافية الكبرى. و اذا قال قائل و ماذا عن الصليبيات فلعل تاريخ الصليبيات لم يكت بصورة واضحة. و ربما كان مفيدا التساؤل عمن تربح من الصليبيات و لمصلحة من كات فى المحصلة النهائية طويلة النفس؟

المهم فورا من المفيد تذكر ان اليهود ادعوا انه كانت لهم تجربة صعبة مع فيزيقوط Visigoths شبه جزيرة ايبيريا و فرنسا واجزاء من جبال البيرينيز Pyrenees . و كان الفيزيقوط كما ذكرنا فى مكان اخر معادين للسامية على نحو عنيف و عليه فقد لاقى يهود الامبراطوية الرومانية اللذين هاجروا الى شبه جزيرة ايبيريا من الفيزيقوط ما لاقوا من الاضطهاد و العنت. و كان فيزيقوط اسبانيا كذلك كاثوليك متطرفين تمتزج كاثلوكيتهم بالوثنية الا ان شبكة الفيزيوقراط تقول بتسامح الفيزيقوط مع اليهود مع ذلك[271].

المهم لم تغفر بعض الجماعات من غير المسيحيين و بخاصة اعراب الشتات للكاثوليكية منذ الامبراطورية الرومانية دور الاخيرة فى تعقب و تشريد تلك الجماعات. و كانت تلك الجماعات قد تعينت على اعادة تشكيل الامبراطوية–الجمهورية الاسراتية–على عهد يوليوس قيصر و كاليجولا عبورا بنيرو على الخصوص. و كان تيتوس فلافيوس فاسبازيان–9–79– اكثر من بقى يرجع اليه اضطهاد تلك الجماعات ابان ولايته للخليل فى فلسطين على عهد هيرودوت الاكبر حتى وصول فاسبازيان الى سدة سلطة روما. و قد تحورت تلك الجماعات الى طوائف معادية للكاثوليكية او–و قادت تلك الجماعات او أغوت غيرها بذلك.

و أزعم ان تلك العداوة امتدت حتى ما يسمى بالاصلاح الدينى–البروتستانتي المادى للبابوية–و "النهضة". و كانت الكنيسة الكاثوليكية حرية بان ترد الفعل على عدوان جماعات بعينها كانت قد تمأسست فوق تلك العداواة الازلية و لم تنفك الكنيسة ان راحت تتعين على كل من حركة اصلاح مضادة و على كل من الاصلاح الدينى و على ما يسمى ب"النهضة" فى القرن السادس عشر. و لعل النهضة كانت رد فعل الكاثوليكية على الاصلاح المذكورة بريادة الطوائف المارقة.

االمسيحية الغربية و الطوائف المنشقة و عقلانية تلفيق التاريخ الغربى

أجادل ان مناخ ما يسمى بالاصلاح الدينى او ما يشار اليه بخروج الطوائف البروتستانتية من حظيرة الكنيسة الكاثوليكية الغربية كان مناخا اتسم بالتركيب و تدافع ظواهر اتية من الخارج و اخرى اعتملت جراء مواجهة المسيحية الغربية للاسلام و الثقافة الاسلامية و انتشار اللغة العربية و علومها من كل من الشرق و الغرب جميعا زيادة على الحروب الاوربية و الكوارث الطبيعة والاوبئة التى حصدت شعوب اوربا منتصف القرن السابع عشر مثلا.

و ازعم ان محصلة تلك التفاعلات كانت حرية بان تؤدى بالكنيسة الى الانغلاق على نفسها من خشية اجيتاح ما يأتها من خارجها و ما يتفاقم داخلها و تزداد جمودا. و قد تمثل الاخير فى جملة تظاهرات منها تردى تعاليم كاثوليكية القرون الوسطى حتى اوشكت تعاليم الكاثوليكية الغربية أن تتخثر. و كان لميل الكنيسة الى تلفيق تاريخ المسيحية الغربية فى منافسة وصراع مع نظيراتها الشرقية بدوره اثر فى خلق مناخ شارف العصاب و من ذلك:

–أن المسيحية الغربية–الكاثوليكية–راحت تدعى انها "ملكية" خاصة مثلها مثل الاراضى "المكتشفة" و "المفتوحة" و "المتوسع" فيها.

-أن الكاثوليكية راحت تبييض المسيحية الغربية -فى وجه الحقيقة والتاريخ الموضوعيين
-أن الكاثوليكية الغربية كانت قد احتوت باكرا طقوسا اقرب الى الوثنية و لا تمت الى المسيحية
-أن الكاثوليكية الغربية غدت-بهذا الوصف-اشد تجديفا وكفرا بحق المسيحية
-أن الكنيسة بهذا الوصف راحت تكفر من عداها.

ومن المفيد تذكر أن المسيحية الغربية حطت شواطئ البحر المتوسط الشمالية و بعض المجتمعات الاوربية الغربية متأخرة نسبيا. من ذلك ان الانجليز تنصروا فى القرن السابع الميلادى على يدى البابا جريجورى. و كانت احدى اهم مشاريع القس جريجورى الكبرى-وكان قد رلآى اطفال الانجليز يباعون فى سوق العبيد بروما-هى تنصير انجلترا حيث ارسل لهم قسس و رهبان و مبشرين و رسائل وبعث اليهم القس أوغسطين-وكان متطرفا شئ ما-و قد اختاره البابا جريجورى العظيم فيما بمعد كبيرا لاساقفة للانجليز واشترط جرجورى عليه تدمير كافة أيقونات الالهة الوثنية و مظاهر العبادات الوثنية. الا انه عاد و تراجع فطلب تعميد الهة الانجليز الوثنية و جعل المسيحية الغربية الانجليزية استمرار لتلك الالهة و ليس بدائل لها[272].

و فى نفس الوقت الذى راحت الرسالة المحمدية تنتشر فى الجزرة العربية و شرق روما و جنوبها مما لم يعد معه البحر المتوسط بحيرة مسيحية. و كان البابا جريجورى قد تعين على نشر المسبحية من المدن الفيزيقوطية فى شبه جزيرة ايبيريا الى ما شمال افريقيا-تونس و كانت تسمى افريقيا.

و بالمقابل حيث راحت الخلافات الاسلامية تبزغ متوسعة فى الارض فقد كانت راحت الحروب و الاوبئة و الفيضانات فى 589 ميلادية تودى بالامبراطورية الرومانية الغربية-و كانت تعتبر اول من تنصر على يدى القديس بولص على الخصوص.

ومن المهم التوقف عند كل من مفردتى التنصير والقديس بولص مما اعود اليه تباعا. المهم فورا لم يبق من سكان روما الامبراطورية أكثر من 500 الف و نزح الاباطرة الى الشرق فحكموا بيزنطة مخلفين روما ورائهم. و كان الامبراطور قسطنطين قد جأر (تكاذبا) بان هناك اقوام يعيشون على حواف الدنيا و ان الرب يدعوه لنشر المسيحية الغربية بينهم دون سواهم. و لا يزيد ذلك سوى ان يرجع سفر تكوين نشر التنوير و الحرية و الدمقرطة. و لعل في كيمياء مسيحية الانجلوساكسون العصور المظلمة و الوسطى ما قد يفسر خلفية الصليبية الأولى و ربما الصليبيات التالية وصولا الى التاسعة بكل من وثينة المسيحية الانجلو ساكسونية و بمناخ الصليبيات.

صراع العروش و الكنيسة و التطير من الاسلام:

من المفيد تذكر ان ملوك الانجليز-الانجلو ساكسون-و النورمانديين مثلا كانوا فى تنافسهم مع ملوك الفرنج فى فرنسا على رموز الوجاهة ليس الا- قد اخذوا يتنصرون على سبيل الوجاهة اكثر من اى شئ اخر. و اذ اعتنق الملوك المسيحية الغربية فقد ابقى الملوك عقلانيا على الرعية "وثنية" من خشية ان يبداء الناس العاديون يتسألون عن محتوى السلطة و مفهوم العدالة و الخ. و قياسا فيما اعتنق الملوك الانجلو ساكسون المسيحية الغربية على سبيل اللياقة او كرمز وجاهة مثلا فقد بقيت الطبقات الدنيا امية متخلفة فقيرة و وثنية فى انجلتر مثلا و لوقت اطول فى اسكتلندا و ايرلندا.

و قياسا اعتبرت الطبقات الدنيا عقلانيا "خارج حظيرة الايمان المسيحى الكاثوليكى". فان كانت تلك الطبقات قد ابقيت خارج التاريخ و عمش على التقسيم الطبقى و عصف بكل شرط من شأنه ان ينشأ لنضوج الصراع الطبقى فقد قيضت وثنية تلك الطبقات بربرتها فباتت تستحق اقسى العقاب و الاستلاب معا حلال على مستلبيها. و قد وظف كل من الملوك والكنيسة نظرية الاختيار الالهى و الايمان المطلق والخلاص الربانى بحيث صودرت

حتى امكانية تنصير الكفار لوقت طويل. فقد اعدم هنرى الثامن احدى زوجاته كما ذكرنا اذ ضبطها تدرس الانجيل لوصيفاتها فى جناحها الملكى.

ومن المفيد تذكر ان هنرى الثامن–و لم يكن انجلوساكسون على كل حال–الا انه يعتبر اب البروتستانتية لخروجه على البابوية و الفاتيكان فى حين أن اسباب خروجه كانت سياسية اكثر من اتصالها بالايمان. هذا و كان أول ملك انجلوساكسونى لم يتنصر–مظهريا–حتى منتصف القرن السابع– حوالى ظهور الاسلام فى الجزيرة العربية من ناحية. و من ناحية اخرى ما لبثت الكنيسة ان اخذت تستهدف كل من يخرج على تعاليمها من شبه الطبقات الوسيطة كالعلماء و المفكرين و من الطبقات العليا بالذات ممن كانت الكنيسة فى صراع معه على السلطة والثروة فنشأ من يومها الصراع الدينى السلطوى بهذا الوصف بين الكنسية والعرش و شرائح السلطة "الوضعية" و قد اسقط ذلك الصراع بدوره على المسيحية الغربية والاسلام. ذلك ان الكنيسة شرعب–و لم تمضى ثلاثة قرون منذ اعتناق اوربا للمسيحية– فى اشعال حروب دينية للدفاع عن المسيحية–و عن القدس و الاراضى المقدسة و رموزها–انقاذ السيدة العذراء من تدليس الكفرة–ضد المسلمين–فى حروب صليبية امتدت مائتى عام– 1099–1204. ولك ان تلاحظ(ى) كيف ان الصلبية الاولى كانت بعد محض 14 عاما من سقوط طليطلة و وفر ذلك للاوربيين من مغانم زيادة على احتمال كونه يكون قد فتح عيني اوربا على غنى و ثرواة العرب و المسلمين مما كان حريا بان يغوي الاوربيين بالعرب و المسلمين تباعا.

الفصل الثالث : الانسانوية و العقلانية و التنوير :

نشأ المبدأ الانسانى–ما بين القرنين الرابع عشر الى السابع عشر و اثر على كل من العلمانية و العقلانية و بعض الطوائف المنشقة على الكاثوليكية الغربية من حيث التحريض على مقدسات المسيحية. و لم تكن تلك الطوائف تؤمن بالخلاص و لا تكترث بالكنيسة و تراتبها و قسسها و كرادلتها. و كان معظم تلك الافكار قد جاء من البندقية الى هولندا و ما حواليها و انتقل الى انجلترا. و تتشابه بعض مدارس المبدأ الانسانوى من ناحية تأثرها بالفكر اليونانى و بعض طوائف البروتستانت Non-Conformist مثلها مثل طوائف النون كونفورميست اى غير المتقيدة بتعاليم الكنيسة مما اناقشه وجيزا فى مكان اخر.

و يستدعى المبدأ الانسانى او الانسانوية تأسيس كل فرع من فروع التعلم على الادب و الثقافة الكلاسيكية اى العائدة الى الفكر اليونانى خصوصا. وكانت الكنيسة ترى فى الاخير قيما و مفاهيم دنيوية كانت الكنيسة حرية بان تخشى منها على المناخ الفكرى الدينى الاوربى. وحيث كان الفكر اليونانى يأتى اوربا من خارج اوربا بصورة غير مباشرة عن طريق ترجمات لا رقابة للكنيسة عليها و لا يد له فيها فقد فاقم ذلك من تطير الكاثوليكية. و فيما اتهمت الكنيسة الفكر اليونانى بالعلمانية لم تلبث الانسانوية ان اقترنت فى القرن التاسع عشر بالعقلانية–و لو تخاتلا–كما اقترن الفكر الانسانوى بالاخيرة.

واجادل ان الرأسمالية مسيحية و ان الرأسمالية المالية مسيحية يهودية مما يجعل العلمانية مسيحية بالتماس على الاقل. فالاخيرة لا تملك الفكاك من اى من الاثنين. و حيث ليس للعمانية مشروع او برنامج او فلسفة اقتصادية منفصلة عن الرأسمالية بتويعاتها فالعلمانية قد لا تملك التباعد عن الرأسمالية فى شئ. وقياسا تبقى العلمانية بهذا الوصف محض مشروع فكرى ثقافى لا يقف على هامش الهام و المحوري فى حياة الناس العاديين وحدهم وانما لا يعفى المفكرين و المثقفين الذي يدعون ريادة و قيادة الحركة العلمانية من الارتهان بالرأسمالية بتنويعاتها و ربما و غالبا الدفاع عنها بالمقابل. فارزاقهم و مصادر قوتهم الاقتصادية و من ثم الفكرية مرتهنة بالاخيرة.

وحيث عرفت العلمانية فى اماكن اخرى فى سياقها و سياق ما عداها من المفاهيم المتعالقة ازعم ان انحال العلمانية بقي فى الواقع محض تفريق بين فكر الكنيسة و من ينتقدها اكثر منه تقرير حقيقة قابلة للاثبات. ذلك ان معظم الكتاب و

المفكرين الاوربيين الغربيين بقى متدينا بما فيهم جالليو جاليللى و جوردانو برونو و اسباينوزا الى تشارلز داروين و اينشتاين و نيوتون وغيرهم حتى القرن الثامن و التاسع عشر بل القرن العشرين. كما بقى نظائر الاخيرين المتخفية وراء الالجاد او المحافظين الجدد متدين بتستر على عقيدته. و كان ديزيديرياس ايرازماس Desiderius Erasmus–المولود فى روتردام الهولندية فى 1466–1536–من اهم المبادرين بالفكر الانسانوى و محاولة التوليف بين الانسانوية و بين النص الانجيلى.

وكان لتجربة له فى اكسفورد فى 1498–99–مع توماس مور وهيو لاتيمير Hugh Latimere 1485–1555 وكان الاخير زميلا فى جامعة كامبريدج قبل ان يتطرف بروتيستانيا من وجه نظر عرشى هنرى الثامن و مارى ملكة الاسكتلديين اثر على ايرازماش. و قد اودع امثال مارى من الكاثوليك اعداء البروتستانت فى قلعة لندن عدة مرات أو–و أعدم او أحرق. و كان ايرازماس قد نشر واحد من أهم اعماله وهو "دليل الجنتلمان المسيحي و كان اضافة هامة الى احداث عام 1503 المشهود. و يقول دليل الجنتمان المسيحي بضرورة الانصياع لما يعتبر ناموس اجتماعى اكثر من اى شئ اخر فيحض فى الوافع على نسيان كلمة الرب. ويعنى ذلك ما يسمى بعدم الاكتراث الدينى Religious Indifferentism تمثلا لعدم الاكتراث او اللامبالاة الارسطية الرواقية.

و قد اثر المبدأ الانسانوى كما ذكرنا فى مكان اخر على الطوائف البروتستانتية اى الخارجة على الكاثوليكية فى طوائف منتصف القرن الخامس عشر المعارضة و العاصية بمعنى غير الملتزمة بمؤسسية العقيدة Non-Conformist و طوائف النونكونفورميستس Non-conformists–غير الملتزمة بالكاثوليكية–و طائفة غير الملتزمين بالنص الانجيلى و بخاصة الميثوديست Methodist وطائفة الكونجرايشناليست Congressionalist وغيرها. و قد حاولت التعرف على المناخ الذى نشأت فيه تلك الطوائف و مدارسها الفكرية كالكالفينية Calvinism و طوائف الاحتجاج العنيف على الكاثولكية Remonstanism و البيوريتانية Puritanism و نظائرها تباعا. فما سفر تكوين تلك الجماعات الجديدة و تنويعاتها؟

و ازعم انه من الضرورى لفهم بعض أهم الطوائف المسيحية الغربية الخارجة على الكاثوليكية فى منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر غب الاصلاح الدينى البروتستانتى–تأمل تنويعات تلك الطوائف و انتشرت. و فيما يلى بعض اهم الطوائف الخارجة على الكاثلويكية الغربية و المعارضة Protestant مما اتعرض له بتفصيل اكثر من غيره. و من تلك الطوائف ما يعتبر طوائف عاصية بمعنى غير ملتزمة بمؤسسية العقيدة Non-Conformist و طوائف النونكونفورميستس Non-conformists–غير الملتزمة بالكاثوليكية–و طائفة غير الملتزمين بالنص الانجيلى و بخاصة الميثوديست Methodist وطائفة الكونجرايشناليست Congressionalist وغيرها.

و لم تكن تلك الطوائف تؤمن بالخلاص و لا تكترث بالكنيسة و تراتبها و قسسها و كرادلتها. و كان معظم تلك الطوائف تنويرى معنى بالضرورة بتسويغ الاكتشافات الكبرى و الفتح و القدر الدلى و فضاء التوسع الحياتى و تجارة الرقيق فالمراكمة الرأسمالية بالنتيجة. فما هى الطوائف المسيحية الغربية سيدة قاموس الاستحواذ العقلانى؟

- الهيوجونوتس و الجيزويت:

كانت الكنيسة الكاثوليكية فى حرب مع طوائف منشقة كان معظمها يميل الى البروتستانتي أو–و يتستر على ميله نحو الاخيرة فمعاداة العروش الكاثوليكية. و كانت طائفة الهوجينوتس من اهم و اكبر الطوائف التى كانت قد راحت تهدد كل من الكنيسة و العرش. وربما كان مفيدا التعرض بايجاز لطائفة الهيوجونوتس. فما هى تلك الطائفة و ما هى علاقتها بالانقلابات و الانقلابات المضادة على العروش و دورها فى تكريس الرأسمالية؟

الهيوجونوتس طائفة بروتستانتية فرنسية قامت فى القرنين السادس و السابع عشر. و قد اتصلت تلك الطائفة بصورة غامضة بميخائيل نوسترادامس–1503–1566 و كان أكبر صوفيي زمانه. و لعه كان سفارديم من شبه

جزيرة ايبيريا بات مستشار البلاط الفرنسى. وكان نوسترداميس يدعى جاسونيت قبل ان يتنصر قد بات زعيما لطائفة الهيوجينوت.

و رغم ان حركة الهوجونوتس كانت تقف للكاثوليكية وقتها بالمرصاد الا انه ينبغى دائما تذكر ان ليس ثمة عداوة اشد من عداوة اعراب الشتات للكاثوليكية مما أكرره مرارا بمغبة الاملال. و حيث ان اليهودية تدعى انها لا تعمل فى التبشير و لا تبشر فى غير اعضاءها الا انها–فيما يبدو–كانت توظف–عقلانيا–طوائف مسيحية غربية للتبشير بالوكالة. و كانت طوائف المبشرين الباكرين بالنسبة لبعض تنويعات اليهودية–الصهيونية الباكرة– بمثابة الليبراليين الجدد بالنسبة للمحافظين الجدد. فالمحافظين الجدد لا يجندون بين صفوفهم الا من يأتهم من داخلهم هم من الاعضاء. وبالمقابل يدفعون الليبراليين الجدد للقيام بالتبشير نيابة عنهم او تجنيد من عداهم بالوكالة.

المهم كفصيل سياسي ساهم الهيوجونوتس مثلا فى الحروب الدينية الفرنسية و غيرها. و قد تم التوصل الى ايقاف الصراع بينهم و بين العرش مؤقتا فى فرنسا باعلان مبادئ اتفاق نانتيس Nantes فى 1598 التى ضمنت للهيوجونتس حرية ممارسة عقيدتهم. الا ان لويس الرابع عشر –1638–1715–الغى مبادئ نانتيس فى 1685 و لم يسمح للطوائف البروتستانت بحرية العبادة فى فرنسا مرة آخرى حتى بعد الثورة الفرنسية[273]. و كانت بعض تلك الطوائف قد اتصلت بالحروب الاهلية الاوربية و اسهم بعضها فى انتاج فكر مستنير مع ذلك و خلف ابطال شعبيين باقية ذكراهم حتى اليوم و من تلك الطوائف الحفارين.

الحفارون: تنويع باكر على مقاومة عقلانية الرأسمالية البروتستانتية؟

نشأت غب الحرب الاهلية الانجليزية فى بداية النصف الثانى من القرن السابع عشر طوائف عديدة مناوئة للعرش منها طائفة الحفارين Levellers. ومعناها الاجرائى السواسية اومساواة الارض او الشئ بلا نتوءات او مرتفعات و غايتها مساواة الناس من حيث الحقوق والواجبات امام العرش و الكنيسة و الرب. و قد نشأت حركة الحفارين Diggers فى 1649 وباتت تسمى الليفيلرز غب اعدام الملك تشارلز الاول. و قد قاد حركة الحفارين جيرارت وينستانجلى Gerard Winstangly 1609–1672. وكانت الحركة رد فعل على التسييب و ذهاب الحس بالرصانة و بتوقير المقدسات و اجلال العقيدة و الكنيسة وعلى فقدان الاعتبار لكل و اى شئ مثلما نرى على ايدى بعض طوائف الكويكرز ونظائرهم. ذلك رغم ان نظرة الانجليز للالهة والرب كانت قد تغيرت مرة واحدة و الى الابد غب الحرب الاهلية 1644 الانجليزية و مقتل الملك تشارلز الاول فى 1649.

و كان الحفارون يؤمنون بعقيدة اشتراكية من حيث ملكية الارض التى رأوا ان تكون مشاعا بين المفقرين. و كان جون بانيان John Bunyan-1628-88- احد زعماء الاخيرة من جنود البرلمان اى القوى البرلمانية مقارنة مع جنود الملك ابان الحرب الاهلية يجأر بانه ان لم يذهب الملوك و الكنيسة فان رجلا لا يبقى امنا فى بيته و لا صاحب حق فى حقه. و قد دعت حركة الحفارين الى الملكية الجماعية للارض مثلما فعل الرب فى البدئ اذ جعل الارض ملكا للناس جميعا, كما قالوا بان بيع و شراء الارض اثم و أصل الخطيئة. و من ثم فان اعادة الارض الى اصحابها ان هو تحقق الجنة ومملكة السماء فى الدنيا–هنا و الآن.

الرانترز:

نشأت حركات اخرى تاثرت بدورها بالحفارين مثل حركة الرانتارز–Ranters معناها الحرفى الثرثارين. و كانت الاخيرة طائفة مسيحية نشأت فى انجلترا فى القرن السابع عشر, و قد تعينت طوائف بروتستانتية متطرفة مثل الرانتارز– Ranters–الثرثارين–باكرا الى الافانجلية المتطرفة أو–والمسيحيين الصهاينة الباكرة بدورهم على اجتياح الكاثوليكية. و قد ثابرت تلك الطوائف على نشر عدم الاعتبار وصولا الى الاستهانة بالمقدسات. و قياسا كانت تلك الطوائف تذرى بالتراتب

الاجتماعى و تدعو للقضاء عليه و الى التسييب و نكران مفهوم تبجيل أو احترام اى شئ اطلاقا مما قد يذكرك بتسييب ما بعد الحداثة وما بعد الليبرالية.

الكويكرز او الاصدقاء:

رغم ان حركة الكوكرز الباكرة انقسمت على نفسها الى عدة طوائف فبات منها الطوائف المهادنة و العلمانية و الديمقراطية و تلك التى تبرأت من كل علاقة بالعقيدة اى كانت الا ان بدابات الكوكرز كانت متطرفة و عنيفة شأنها شأن نظيراتها اللواتى انقسمن على الكاثوليكية.و كانت حركة الكويكرز تسمى فى بدايتها الجمعية الدينية لاصدقاء الحقيقة of the Truth The Religious Society of Friends و قد لخصت الى جمعية الاصدقاء Friends Society فى القرن 19 وكان قد استدعى تصوراتها بعض الطوائف الاخرى من غير الملتزمين بالنص مثل Non-Conformist و الميثوديست Methodist. و كان جورج فوكس George Fox–1624–1691–قد أسس جمعية الكويكرز بانجلترا فى 1647[274]. و لم يلبث الكويكرز ان هاجروا الى الولايات المتحدة و اسسوا بقيادة رئيسهم ويليام William Penn أول جماعة فى ولاية بنسيلفانيا.

الا ان عقيدة الكويكرز لم تعد لها اهمية مع بداية القرن الثامن عشر بل باتت تدعو الى تكريس علاقة الفرد بربه كونها علاقة خاصة تتسم بتفسيرات فارقة.أم هل كانت جماعات الكويكرز قد انتشرت فى أرجاء الارض حتى الصين. و كان المناخ الذى ظهر فيه الكويكرز مناخ عنف حيث تعاصروا و الحرب الاهلية الانجليزية و اعدام الملك تشارلز الاول. و كانت حركات شعبية مسيحية او اجتماعية قد جعلت الملك تشارلز الاول–و قد اعدمه الجمهوريون–شهادة فى سبيل الرب فبات تشالز الاول شهيدا مسيحيا تشارف شهادته شهادة المسيح. ذلك انه ان استشهد تشارلز الاول من اجل الكنيسة و العرش فقد تحمل وذر كافة الملكيين فمسئوليتهم عن الحرب الاهلية و دفع ثمنها حياته شهادة.

و كانت طائفة الكويكرز فى بداياتها تنكر سلطة النص الانجيلى ورجال الدين و كان بعضها عنيف حيث كان اعضاؤها يدخلون الكنائس عرايا. و قد أكتسب الكويكرز شعبية حيث كانوا يدعوم الى حق كل فرد فى ان يكون له دين يخصه. وكانوا يرفضون دفع الضرائب. و لعلهم كانوا يصدرون عن انجيل ماثيو حيث قال المسيح لحواريه عندما جاءهم احد المتنفذين يطلب اليهم دفع ضريبة المعبد ان ليس عليهم دفع ضريبة المعبد. و كان الكويكرز يجأرون بان المنظومة الكاثوليكية العبادية القيمية الناكصة و الرانية الى الخلف تخص المجتمعات الكلاسيكية والاقطاع وكأنهم يرفضون الفكر السلقى و ينادون قياسا بالخروج عن كل مألوف وبخاصة علاقة الفرد بالرب و بالسلطة يتنويعاتها. وترجع تلك الجماعة كغيرها صدى بعض مدارس فكر العصر الكلاسيكى مما ذكرنا ملامح منه فى مكان اخر اعلاه.

و كان الكويكرز يصدرون عن اعتقاد بان للفرد ان يفعل كل شئ و اى شئ على الاطلاق فذلكم منتهى الايمان والتقوى. بل بات الالحاد تعبير عن التحرر المطلق الذى هو غاية انسانية. ومع ذلك يقول احدهم على الويكيبيديا الخاصة بالكويكرز على شبكة المعلومات بان جماعة الكويكرز او الاصدقاء كانت تتعين فى بداياتها على الدفاع عن الكنيسة الكاثوليكية فى مواجهة البروتستانتنية و على نشر الكاثوليكية بالتبشير و التعليم و قد اشتهرت بانشاء المدارس و الكليات و الجامعات. على اننى اكرر كما قلت فى مكان اخر فلنأخذ عن تلك التسهيلات الناجز بحذر.

الجيزويت:

كانت طائفة الجزويت اميل الى الفكر الكالفيني بنوع خاص و كانت و طائفة الجزويت تسمى نفسها طائفة المسيح. و كان بعض طوائف الجزويت من أهم الحركات التى كرست المفاهيم الرأسمالية–سوى ان بعضها شجع فى نفس الوقت فصل الدين عن الدولة. و الجزويت مبشرين اى افانجليين. و معنى افانجلى هو تبشيرى. و قد عانى اعضاء طائفة الهوجونوتس و الجزويت و الكويكرز لتعقب و الاضطهاد و التعذيب البدنى و القتل وصولا الى المذابح و منها مذبحة القديس بارثولوميو الشهيرة فى 1572 ضد الجيزويت. هاجر الاف الهيوجونوتس الى هولندا بعد مزبحة سانت بارثولوميو و كن

معظمهم بروتستانت– و ربما يهود منصرين عقلانيا–فالحقهم اصحاب الاراضى و ارباب العمل الهولنديين البروتستانت بهم.

و لم تكن كافة الطوائف التى انتشرت فى بداية و منتصف القرن السادس عشر منشقة على الكاثلويكية بهذا الوصف. وكان الحزويت مثلمهم مثل الكويكرز انقسام على الكاثوليك فى بداياتها. و قد ظهرت طائفة الجزويت فى منتصف القرن السادس. و كانوا يسمون بالاخوة و كان لهم دور فى السياسات السلطوية و نزوع نحو الاستيلاء على السلطة. و كانت الكنيسة تغض الطرف أحيانا عن الانتهاكات التى يقومون بها و–أو كانت تقدمهم لمحاكم التفتيش التى كانت اقل غلواء من الجماعات الفائقة على الكنيسة فى دفاعها عن الكاثلويكية مما كان يتستر وراء احراق الساحرات. فقد كانت محاكم التفتيش تتسم بالتمسك بشكل من القانونية و كانت أرحم من حملات الاضطهاد التى قامت بها جماعات فائقة على الكنيسة من احراق الغرماء من السحرة والساحرات و العلماء اعداء الكنيسة أو العرش بمعرفة الاخيرن وتواطؤهما. و حيث كان اللوثريون وبعض طوائف الجيزويت فى بدايات الاخيرين و الهوجنوتس يعادون الكنيسة فقد كانت محاكم التفتيش تعقد للمسيحين الذين يجدفون بالكاثوليكية و ليس لغيرهم الا ما خلا اليهود المترددين و المسلمين.

و كان البعض يعلن كفره حتى يحاكم بواسطة محاكم التفتيش حتى لا توقع عليه عقوبة شديدة البطش مما كانت توقعه جماعت متطرفة دينيا على غير المسيحين. و كانت تلك الجماعات تقوم بتعقب و اضطهاد و احراق المسلمين و اليهود و كل من تعتقده من اعداء المسيحية الغربية فيما كانت الكنيسة الاسبانية مثلا تغمض عينها عن افعال تلك الجماعات. و ربما كانت تلك الجماعات وراء مذابح الهجونوتس ابان الصراع على العرش الفرنسى بين فيليب التاسع 1226–1270– و امه كاثرين دى ماديتشى و كان فيليب قد قاد الصليبية الثانية و قاد صليبية تونس. المهم كانت تلك الجماعات المتطرفة قد حضت على مذابح المسلمين فى الاندلس بعد سقوط دولتهم. و ما يبرح الاسبان يعثرون على مقابر جماعية للمسلمين حتى تسعينات القرن العشرين. وقد تحورت رواسب معظم تلك الحركات الى تنويع على حركة التنوير و ما بعده. الا ان النهضة كانت قد سبقت كل ذلك و كانت تصدر عن اتجاهات متناقضة. فمن ناحية كانت النهضة كنسية كما ذكرنا فى مكان اخر ترعى الفنون من ناحية و تناصب العلم و العلماء العداء من ناحية اخري. و اجادل ان ليس غريبا فقد كان عصر الرشيد مثلا يحتفل بالعلم و يرعى الفن و يفيض بروعة و ازدهار الثقافة العربية الاسلامية من ناحية. و كان من ناحية اخرا يعصف بخصومه السياسيين جرء حركات الخوارج و المعتزلة السياسيين كما رأينا فى مكان اخر.

الباب السابع : عقلنة العصف بالكاثوليكيا

الفصل الاول: هل العقلانية الباكرة دفاع عن النفس ام انتقام من الخصوم؟

تعينت طوائف بروتستانتية متطرفة مثل الرانتارز–Ranters–معناها الحرفى الثرثارين–باكرا وقبل الافانجلية المتطرفة أو– والمسيحيين الصهاينة–على اجتياح الكاثوليكية. و قد انكرت طائفة الرانترز فى انجلترا فى القرن السابع عشر سلطة النص الانجيلى ورجال الدين. وفى القرن 19 تفرعت عن طائفة الرانترز طوائف من يسمون بغير الملتزمين بالنص مثل Non-Conformist و بخاصة طائفة الميثوديست Methodist. و كانت طوائف قد بدأت عنيفة و لم يلبثت بعضها ان غدى مسالما من بعد مثل الكويكرز Quakers و الجيزيويت Jesuit و كانت الاولى و الثانية تتحديان الكاثوليكية بدرجات فى القرن السادس و السابع عشر. و قد تفرعت طائفة متطرفة عن حركة الكويكرز و أكتسبت بدورها شعبية واسعة فى النصف الثانى من القرن السابع عشر فراحت تناصب مسيحية العروش الاوربية الغربية العداء و تثير بين رعاياها حركات شعبية مشبوهة وكأنها تنويعات على الحركات اعراب الشتات المشبوهة التى ذكرنا انتشار بعضهم بين رعايا الخلافات الاسلامية فى مكان آخر.

و أزعم ان يمكن قياسا التعرف علي ملامح الاختراق المذكور و فوضى اشتعال الثورات او الحركات المشبوهة فى فترات بعينها فى اوربا منذ الامبراطورية الرومانية حتى ما بين القرن الثامن عشر و منتصف القرن التاسع عشر. ذلك ان من اسميهم اعراب الشتات لم يغفروا الكاثوليكية ما فعله بهم الامبراطور قسطنطين الاول كما ذكرنا بعد تنصيره وبات ابو المسيحية الغربية وجعل القسطنطينة عاصمة الامبراطورية الشرقية كما قلنا فى مكان اخر و تباعا. و كانت ممارسات أعيان و اقماط و تجار الاعراب –اعراب الشتات و بخاصة تجار الرقيق من بين بعض طوائف اليهود الرومان استهوت قسطنطين الأول بدوره. الا انه يقال انه ما ان ولى قسطنطين ابنائه على الامبراطورية الشرقية–المقدسة–حتى ناصب اليهود العداء. و يزعم التاريخ الرسمى ان قسطنطين راح–بعد ان وطد دعائم امبراطوريته–يوقع اشد انواع العقاب على اليهود والمتنصرين منهم على الخصوص و "استعان باكثر الوسائل دموية فى عقاب اليهود و حظر الزواج بين اليهود و المسيحين و جعل القتل عقابا لمن يتيهود من المسيحيين"[275]. و كان ماليو الاعراب–اعراب الشتات تسببوا جزئيا فى نهاية كل من يولويس قيصر و كاليجولا وصولا الى نيرو بالتماس و تعينون على مناصبة تيتوس فلافيوس فاسبازيان–9–79– العداء لدوره فى مذبح الماسادا كما ذكرنا فى مكان اخر.

و كانت بعض طوائف اليهود قد تخصصت فى فاسبازيان حتى اسقطته بجريرة قمعه انتفاضة لليهود فى الخليل. و لم ينفك أعيان و اقماط و تجار الرقيق من اعراب الشتات ان راحوا يناصبون قسطنطين العداء. و قد تحورت تلك الاسباب النهائية فكرست اهم عوامل سقوط الامبراطورية الرومانية وبقيت رواسب كامنة فى مسام علاقة اعراب الشتات بالكاثوليكية ثم بالبروتستانتية المعتدلة تباعا. ذلك ان حركات مسيحية مشبوهة راحت تنشط كما ذكرنا فى تدمير الكاثوليكية الغربية .

و قد انتشر تحطيم المحاريب و التماثيل الكاثوليكية الغربية بدءا بهنرى الثامن 1491–1547 و اليزابيث الأولى1533–1603– الى تشالز الثانى1630–85 حيث راح "المؤمنون" مدنيين و جنود يدمرون رموز الكاثوليك فى كل مكان فى أوربا وصولا الى اعدام رموزهم و اقامة المذابح لهم. و كان جنود الملك تشارلز الثانى يحطمون الكنائس الكاثوليكية. لا حظ(ى) القياس البائن بين ما كان يفعله الكويكرز و نظائرهم و ما ينعكس اليوم على ما يحدث مع الاسلام.

فقد كان معظم الطوائف المنشقة على الكاثوليكية قد انشق على كافة القيم و كانت تلك الطوائف تبغض طواقم القيم المتصلة بالمقدسات و التراتب الاجتماعى و تسخر من الرموز التى تدل على الاخيرة و لا تكترث للمهن ولا تعطى أهمية تذكر للكلمة و وقع الكلمة و لا الى قيمة الكلمة فى تكريس الحقيقة. و كان كل هم تعاليم و التخريجات البروتستانتية ابتزال الايقونوغرافيا الكاثوليكية الغربية و اماكن العبادة و كافة المقدسات و السلطة الوضعية جميعا. وقد انتشرت اشكال ذلك الابتزال بصورة غير مسبوقة حيث قضى فى محض 20 عاما ما بين 1660 الى 1680 على اى تمجيد لفكر القداس المشخصة و القديسين و لم يعد للقديسن مكان فى البروتستانتية الرسمية.

و قد راحت الاخيرة تعصف بفكرة العناية الالهية وقد اسكرها انتصارها على الكاثوليكية ومفاهيمها السلطوية الدينية و الوضعية فتعنيت على نشر أخيلة حسية و انتشرت بالمقابل شعائر "علمانية" و مراسيم حسية حول التتويج و الطقوسس الملكية والعرش مثلما يشاهد فى لوحة تتويج تشارلز الثانى–1660–1685–و جيمس الثانى و تقع فى مبنى هوايتهول الحالى. وهو المبنى الذى بجوار المكان الذى اعدم به الملك تشارلز الاول–1600–1649. و راح ملوك التيودور Tudors من جانبهم يطلقون للناس الحبل على الغارب فانتشر التسييب و الاباحية القيمية من ادمان الخمر و الجرائم الخ. وكانت انجلترا بسبيل النشوء او النكوص حسبما ترى(ن) الى تنويع على مجتمع ما بعد الحداثة و ما بعد كل شئ وصولا الى التسييب اللامتناه.

كيف عقلن المنشقون على الكاثولكية العصف بها:

ادعى المنشقون على الكاثلوليكية و كان بعضهم يستدعى يهودية الخزر ثم الاشكناز ما زوق Euphemised بالعلمانية و لم تزد الاخيرة على الكفر بالكاثوليكية و تدمير رموزها فى محاولة القضاء عليها ضغينة. فلم تكن البروتستانتية سوى تعبير

عن عقيدة كانت قد ناصبت المسيحية الغربية العداء منذ بولص الرسول و الامبراطور قسطنتيطن الذى اتهم بطرد احبار و اسباط و اقماط و تجار و قضاة اليهود من من روما بعنف. و ازعم ان اختراق الكاثولكية العربية كان قد بدأ باكرا منذ ان ادعى قسطنتطين الاول امبراطورية رومانية مقدسة و اقام المجاريب و المقامات المسيحية خارج قسطنتطينة فى حين بقى يؤمن بالالهة القديمة مما ذكرنا فى مكان اخر.

وقد عبرت ضغينة اليهود على المسيحية الغربية عن نفسها فى كيف راح أعضاء الطوائلف المنشفة عن الكاثولكية مثل طائفة الكويكرز المتطرفة يقتحمون الكنائس عرايا وكانوا يرفضون دفع الضرائب. و كانت تفسيرات كثيرة تصدر عن المسيحين حول الكتاب المقدس تعبر عن نفسها فى سرديات تجمع بين ابطال من البشر و تمثلات للطبيعة فى سياق كوزمولوجى يثير مناخه أخيلة معربدة. و كان الكويكرز و نظائرهم و يجأرون بان المنظومة القيمية و العبادية الكاثوليكية– كونها ليست سوى مخلفات المجتمعات الكلاسيكية والاقطاع وانها تخص تلك المجتمعات. فهى من ثم كم زائد عن الحاجة بل متخلفة و قابلة للاستغناء عنها بل ينبغى الاستغناء عنها تحريرا للفرد. و مع ذلك تذكرك تلك الطوائف باللامكترثين اليونان و كان بعض رموزهم يجلد العمرة فى الاسواق.

و قياسا كان الكويكرز يصدرون عن اعتقاد بان للفرد ان يفعل كل شئ و اى شئ على الاطلاق فذلكم فى عقيدتهم ليس وحسب منتهى الايمان والتقوى و انما غاية التحرر و الانعتاق من مخلفات المجتمع الكلاسيكى. و كان معظم تلك الحركات يصدر عن موروث حركة يهودية ظهرت غب خروج اليهود من انجلترا ابان عهد هنرى الأول و الثانى الى ما بعد الصليبيات. و لعل عقد قياسات على بعض من تمثلات تلك الحركة ما ينفك يعبر عن نفسه فى التسييب ما بعد الحداثى على عهد الرأسمالية ما بعد الصناعية–العولمة–المكدنة–الامركة–مشروع القرن الامريكى الجديد كونه ستار دخان على اجندة المحافظين الجدد او اليسوعوقراط مما اناقشه تفضيلا و احلله فى بحث آخر.

صراع الكاثوليكية الغربية و العلمانية:

كنت قد جادلت فى مكان اخر ان أى زعم بان بان "عصر النهضة" و ما يسمى ب "العصر الذهبى" ل "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" أى "التنوير" كانا نقيضي بعضمها. و اجادل ان تعريف "عصر النهضة" و العصر الذهبى ل "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" اى انتوير بقى لوقت طويل و لعله لم يبرح يشارف تبسيطية شديدة فى النظر الى تلك الظواهر. فان الفت كل من النهضة و التنوير بداية تقابل الكنيسة و الحركة الفكرية فى اوربا فان ذلك لم يكن فى الواقع كل الحقيقة. فقد تربحت كل من الكنيسة و الحركة الفكرية من المؤثرات الاندليسة او–و دخلت فى تنافس معها. وحيث اجادل ان "عصر النهضة" كان حريا بان يبزع فى اوربا الغربية بتأثير الاندلس والحركة الفكرية والعلمية العربية ازعم ان التنوير مثلا لم يزد على نشر فكر يشارف الصهيونية الفطيرة باكرا مما تعين عليه حزب البندقية بمال اعراب الشتات المهاجرين من الاندلس.

و قد تصاحبت عمليتان تبشر احداهما–الاندلس–بفاعلية فكرية و اخرى–اوربا–بنكوص و فوضى عقائديتين و فكريتين معا كل فى مواجهة الاخرى. و قد تمثلت تلك الفوضى فى و اصدرت عن الحروب الدينية و محاكم التفتيش و احراق العلماء و الغرماء مما درجت الاشارة اليه تزويقا باحراق الساحرات. ويزعم البعض أنه ليس غريبا ان ينتشر فكر الانقسام على وعصيان الكنيسة الكاثوليكية التى اضطهدت اليهود فى اسبانيا و فى اروبا الغربية صبيحة خروج الاخيرين من اسبانيا. و قد عثر فى الفاتيكان على اسقفية تسمى أوباس ديي Opus Dei و هى طائفة ممعنة فى التبحر فى الكاثوليكية تسعى لتكريس شعائر العبادة بوصفها واجب المؤمن الأول للرب. و تشبه الطائفة المذكورة نظائر مثل طوائف الموحدين التى تسقط بعض الفرائض عن المؤمن الذى يكشف مدى تقواه عنه الحجب الى حد كبير. و طائفة اواسقفية الاوباس ديي تتبع مذهب الكنسية الكاثوليكية الرومانية. و قد انشأت طائفة الاوباس ديي فى اسبانيا فى 1928 بغاية اعادة تأسيس المبادئ الكاثوليكية الى المجتمع.

المهم فورا من المفيد تذكر ان الكنيسة الكاثوليكة الغربية كانت قد تنبهت على الخطر القادم من كل من العلماء و التجار المهاجرين و ما كان لهم من بعض التأثير على العقيدة فراحت تنزع نحو ما يسمى بحركة اصلاح دينى مضادة مرة و مرة اخرى تنافس البندقية فى الاحتفال بالفنون و المعمار. و كانت البندقية و بعض المدن الدول الايطالية قد راحت تبارى المدن الاندلسية كما ذكرنا تباعا.

و بالمقابل فقد ظهرت اعراض الانقسامات الاندلسية و بخاصة بين بعض طوائف اليهود. و كان بعض ابطال تلك الانقسامات قد هاجر الى اوربا الجنوب غربية و الغربية مما عبرت انقساماته تلك فى تحقق شرط نشوء البروتستانت و معناها العصاة او المعارضين. و لم تكن تلك الانقسامات بدورها سوى تنويع على عرض بقى كامنا فى صراع بعض طوائف اليهود منذ فجر تاريخهم.

هذا و كانت الكنيسة الكاثوليكية الغربية قد تعينت فى البدئ على تحديد اقامة و تقييد حركة المعارضين جراء مواجهتهم للكنيسة الكاثوليكية فبقى معظمهم فى عقر داره ومستقرها فيما انتشرت محاكم التفتيش فى اسبانيا واحراق الساحرات و الخصوم فى كل مكان. و كانت تلك المرحلة من الصراع بين الكنيسة و خصومها حرية بان تكرس معظم اعراض الفكر العقلانى وقد بات الاخير مرادف لكل من العلمانية و احيانا و ربما الالحاد. و كانت حركات عصيان الكنيسة قد تساوقت و النهضة و التنوير و الفكر العقلانى تاريخيا كما ذكرنا.

كيف فبرك الخصام بين العلماء الكنيسة:

ناشد الكاردينال ماكورماك مورفى اوكونور كبير اساقفة الكاثوليك البريطانيين الخميس 8 مايو 2008 الملحدين بان يعاملوا من عداهم باحترام قائلا ان على الجميع التفاوض بشأن تبادل التقدير رغم اختلافاتهم و حول ان ليس للكرة الارضية سيد فليس العلمانيين وحدهم هم سادة البشرية. و قال ان سلوك معظم العلمانيين من شانه ان يدفع غيرهم الى التشكك فى صحة نواياهم حول مستقبل البشرية. و يقول ريتشارد دوكين العلمانى العقلانى البريطاني الملحد و كبير من يطلقون على انفسهم الانسانوييين انه لن يصافح رجل دين او اى فرد متدين حتى يغدو العالم عقلانى. و يرفض ريشارد دوكين مخاطبة كبير اساقفة الكاثوليك البريطانيين القس ماكورماك فيختم على الخصام بين العلم و الدين من حيث ان الملحدين لا يقبلون اى محاولة للتفاهم مع غيرهم.

ويقول البعض ان الواقع ان ليس صحيحا ان الملحدين تكاذبا لا يؤمنون بشئ فهم يؤمنون عقلانيا بعقيدة تدمير عالم المفقرين و ابادة الاخيرين تيسيرا او تسريعا لحلول قيامة بشرية انتقائية من وراء ستار الالحاد و الكفر بالكتب السماوية و غيرها. و ينكر الملحدون ان الثيولوجيا قمينة بان تقيض فضاء التصالح بين العلم والدين بوصف ان الثيولوجيا تعبر عن العامل الفكرى فى الدين. و يقول الانسانويون او الملحدون ان كل من العلم و الدين يبحث فى معنى الله و ليس ثمة صراع مباشر بينهما باكثر مما يعبر تاريخ الانسانية عن مفهوم العلم و الدين. وحيث يبحث العلم فى كيف و لماذا يبحث الدين فى ماذا فكلاهما محصلة و يصدر كل منهما عن الثقافة.

و أزعم ان ابعاد من الفكر العقلانى كانت قد نشأت باكرا على خلفية الصراع بين الكنيسة و العلماء. و كان الا خيرون قد استقطبوا بين الخندقين مما خلق شرط دفاع كل خندق عن خطابه و اجندته فى مواجهة الاخر. و لم يتضح استقطاب الاخيرين الا بقدر ما توزع العلماء بين الكنيسة و الاقطاع الغربى فى العصر الكلاسيكى الجديد و تباعا حتى بزوغ ما يسمى بالطبقة المتوسطة فى القرن الثامن عشر. ذلك ان العلماء كانوا موزعين بين الامراء و الملوك و شرائح مجتمع الفاتيكان. و قياسا فقد كانوا حريون بان يبقون موالين لامراء الاقطاع والعرش و ملحقين بخدمة البابوية من البابوات و المرشحين للبابوية والمتنافسين عليها. و قد تمثلت نماذج ذلك المثقف فى حالة جاليليو و جوردانوا برونو و مايكل انجلو و الجريكو و كارافاجيو حتى عشية ما يسمى ب"النهضة". و

كانت تلك الجماعات تبدو متفاهمة فلم تكن متخاصمة دينيا فى الواقع. و لم يكن معظمهم قد الحق نفسه بعد بالمراكمة الرأسمالية و بما بات يعرف بنمط الانتاج الرأسمالى الميركانتالى[276].

نشوء العقلانية و صراع الكنيسة و المفكرين و العلماء:

نشأت العقلانية و تنويعاتها من النفعية و الذرائعية وصولا الى ما يسمى بالعلمانية فى القرن السابع عشر. ويقول البعض ان انتشار العلمانية لم يكن غالبا كرها فى الدين و انما لان الناس كانوا قد باتوا يكرهون القائمين على الدين. و يلاحظ الناس فى كل مكان كيف ان تنويعا على ذلك ما ينفك يعبر عن نفسه فى كل مكان بين اتباع معظم الاديان بقدر او باخر و فى درجات المقياس. و يعتقد ان العزوف عن الدين راجع الى رد الفعل على تنويعات الاديان المتطرفة سواء الاسلام او المسيحية الغربية و اليهودية وغيرها من الاديان غير السماوية. و العكس صحيح فقد عاد الناس فى المجتمعات الشيوعية السابقة الى الدين ربما كرد فعل على دولة كانت تفرض عليهم ايديولوجيتها. و لعل هذا القول يحتاج الى تدقيق و تأمل اعمق كما يحتاج الى عقد قياس بين ايديولوجية الدولة الاشتراكية و ايديولوجية الدولة الرأسمالية و الدولة المربية Nanny State الام الكبرى. فقد فرضت الاخيرة بدورها على الناس ايديولوجية السوق بنفس الالحاح و اكثر.

و قياسا فلم يكن لدى السوفيت مثلا ما يلوزون به و قد تفاقمت الازمة الاقتصادية و الفكرية فى مناخ الفوضى والحصارالاقتصادى. وكان الاتحاد السوفيتى يمر بتجربة مشابهة لتجربة اثنيا ابان الحرب مع اسبارطا و كان الناس ضائقين ملولين لا يملكون من امرهم كثيرا.

هذا فان كان نيتشيه قد قال فى القرن التاسع عشر ان الرب قد مات و قد قتلته الانسانية فقد قال ماركسيون عديدون ان الماركسية قد ماتت. ولعل ما كان يعنيه نيشته هو أن الانسانية قتلت الوهم و لم تقتل الرب[277] مثلما يمكن القول بان الاشتراكية لم تمت كما تصور الكثيرون ان فرانسيس فوكوياما قد نعاها. و لعل الذى مات هو التطبيق غير السليم جراء حصار اقتصاد السوق. فقد دفعت الرأسمالية الاشتراكية الى الافلاس بالسوق والديون و الاسلحة البائرة Obsolete و سقوط محاصيل القمح مرارا واغراق اسواق الجمهوريات الاشتراكية بالسلع الاستهلاكية الغربية و انهيار الروبل و معه العملات المحلية قد شحنت من الروبل قاطرات كاملة خارج الاتحاد السوفيتى الخ ليعاد تصديرها اليه مجددا مما قضىعلى سعر الروبل و كان يزيد عن سعر الدولار حتى بداية تمانينات القرن العشرين. و لم تنفك الجمهوريات الاشتراكية ان وقعت تحت طائلة الدين الخارجى. و يقدر دين المجر مثلا فى 2008 باكثر من 25 مليار دولار اى ما يفوق قيمة اجمالى الناتج المحلى القومى المجرى. فهل رأيت كيف يختزل المجتمعات حتى الاوربية فى برشامة او محارة المراكمة المالية؟ و المجر مجتمع قديم يعود الى الامبراطورية المجرية النمساوية و كانت من اكثر الجمهوريات الاشتراكية تطورا فلم تجد الرأسمالية ما بعد الصناعية المجر عندما شقط الاتحاد السوفيتى–فى مرحلة تطور الجابون. ارايت كيف يقضى على اقتصاد المجتمعات قاطبة. ارايت كيف تعينت اورباعلى تكريس شرط تخلف افريقيا How Europe Underdeveloped Africa كما قالولتر رودنى–1942–1980 فقتلوه؟

المهم كان رجال الدين الكاثوليك–فيما خلى الاساقفة و الكرادلة–يتحدرون غالبا حتى القرن السابع عشر من طبقات دنيا و تنتشر بينهم الامية و الجهل و بالمقابل كان اغلب علماء و مفكري اوربا الغربية بروتستانت من طبقات أعلى و لو بتعليمهم و قدرتهم على التفرغ للعلم. و كانت تلك القدرة تعود الى رعاية بعض امراء اقطاع اوربا و ملوكها لهم كيدا فى الكنيسة. و لعل سفر تكوين ما سمى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر تباعا بالطبقات المتوسطة كان قد وجد له جذورا فى تلك الفترة بين العلماء و المفكرين المذكورين. و قد لعب الاخيرون دورا ما يبرح يدل على معظمهم و ربما كان بدره نذير بما يقوم عليه و به الليبراليون الجدد.

والمهم كان الصراع الكاثوليكى \ البروتستانتى–بين طائفتين على الاقل–و بين طبقتين و بين العلم و الجهل. وكان الصراع الى ذلك بين شمال برتستانتى–و كان معظم المفكرين من الشمال–و جنوب كاثوليكى مما يكون قد تمأسس عليه ما يزوق بصراع ملكى الشمال و الجنوب.

و قد راح المبشرون–و كان اغلبهم من شذاذ افاق الكاثوليك كالجزويت و الكويكرز فى بداية عهدهم–ينتشرون–مثلهم مثل المغامرين فى رحاب الكرة الارضية فيما بقى المفكرون رهناء مصادرة و تعقب الكنيسة مثلما حدث لجاليلو جاليلى و جوردانو برونى و غيرهما.

و لعل ثنائيات رجال الدين و المفكرين تذكرنا بما كان قد بات سائدا فى الخلافات الاسلامية التى تأثرت بها الكنيسة المسيحية الغربية. و لعل كلاهما تأثر بالفكر و التنظيم اللذان كان اعراب الشتات قد وفدوا بهما او–و صدروهما من بيداء ما بين القفقاز و نهر الفولجا الى الامبراطروية الرومانية فالى الخلافات الاسلامية المشرقية و المغربية و بخاصة الاندلس عودا الى الغرب مجددا الى هولندا و بريطانيا تباعا. و ربما كان واردا عقد قياسات بين المدارس الفكرية و الطوائف التى نشأت فى تلك الخلافات باكرا من انقسام المسلمين بين سنة و شيعة و انقسام الاخيرين بين معتزلة و خوارج و الانقسامات التى نشأت فى الكنيسة المسيحية الغربية على التوالى. و كان انقسام الكنيسة الكاثوليكية الغربية الى طوائف متحاربة يناصب بعضها العداء لوقت طويل و ربما حتى اليوم كما ذكرنا فى مكان اخر قد تساوق و سقوط غرناطة و قمة ازدرهار الامبراطورية العثمانية. و كانت علمانية الاتراك تثير كما ذكرنا زعر الكنيسة المسيحية الغربية فيما كان اثر الاندلس على الغرب على نحو لا ينمحى قد بقى يدفع الاخير عقلانيا الى تلفيق تاريخه نكرانا لذلك الاثر الباقى باطلاق عقلانى.

هذا و حيث تعاصرت اخر الحروب الصليبية الثمانية مع ما يسمى بعصر النهضة" فقد تفاقم التناقض بين تعاليم المسيحية والتقاليد السياسية و "الدبلوماسية" الاوربية الغربية . فقد كانت الكاثوليكية قد احتكرت كل من السلطة الدينية والوضعية فاخذت بخناق كل من التطور الاجتماعى الاقتصادى و ضيقت على الفكر. و قياسا فلم يكن غريبا ان يغدو اى تناقض مع او انحراف عن تعاليم الكاثوليكية تجديف و كفر يهدد سيطرة الكنيسة الروحية. و كان حتى احتمال نشوء تنظيمات او طوائف دينية كاثوليكية معتدلة او متطرفة يهدد سيطرة الكنيسة الروحية.

و كان كل ما و من يخرج على الكنيسة الكاثوليكية قد بات بدوره بمثابة خطر على سلطة الكنيسة المادية اذ قد ينافسها فى اكتناز الذهب والفضة و اقتناء الرقيق باسم الرب نصرنة لخلقه و على خراج و تبرعات المفقرين و صدقات المحسنين الاغنياء والفقراء جميعا. و حيث أصبحت الكنيسة اغنى مؤسسة واحيانا تبذ العرش ثراء فان مقاومة كل ما من شأنه ان يعيد النظر فى او يعدل مقولات الكنيسة حول العالم و الظواهر المحيطة و قوانين الطبيعة بمثابة تهديد مباشر للسطوة الروحية و خطر مباشر على شروط مراكمة الكنيسة للثورة و من ثم القوة. و يتضح صراع الكاثوليكية و العلماء والمفكرين فى التناقض بين رجال الدين و المفكرين و العلماء و التقابل الجغرافى و العقائدى مع الاخيرين. ذلك انه ان انتشرت البروتستانية فى شمال غرب اوربا فقد كانت مجتمعات النمط الشمال اوربى حرية بان تنتقل الى تنويعة على نمط الانتاج الاقطاع الغربى مما يدعى انه "اكثر تطورا" على تنويعته السابقة جراء الرساميل–الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب من الاندلس بالوصف اعلاه و كوظيفة ل"الاكشتافات الجغرافية الكبرى" و شركات الهند الشرقية الخ تباعا. و ليس صدفة اه تكون شركة الهند الشرقية هولندية حيث كانت هولندا قد راكمت رساميل باتت بها اكبر قوة بحرية فى اوربيا الغربية . و كان اول بنك اوربى قد نشأ فى هنلدا فى 1606 و قد تعين نشوء مثل تلك الكيانات على القيام بالمشاريع الكبرى التى كانت الدولة تقوم بها مما يكون قد الف سفر تكوين النحت فى جدرا ن ما بات القطاع العام لحساب القطاع الخاص. المهم بقيت اوربا الجنوبية قياسا محافظة نسبيا على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية و على نمط الانتاج وعلاقات الملكية و الانتاج الاقطاعية الشرقية او–و الاسيوية. و من المفيد تأمل المناخ الذى نشأت فيه طوائف

البروتستانتية و مدارسها الفكرية كالكالفينية Calvinism و طوائف الاحتحاج العنيف على الكاثولكية Remonstanism والبيوريتانية Puritanism و نظائرها المتطرفة.

المهم اجادل انه حيث تعينت تلك الحركات على تحطيم الايقونوغرافيا الكاثوليكية الغربية فلعل ذلك كان بداية الاختراق العنيف للكاثوليكية مما لم يزل يتفعل حتى اليوم فى الحرب الدائرة بين الكنيسة الافانجالية الامريكية المتطرفة و بين الانجيلية الانجلو ساكسونية و الكاثوليكية الامريكية و غيرها جميعا. و ازعم ان الاصلاح الدينى–البروتستانتى–كانت وراءه الى ذلك مصالح عروش و دول بروتستانتية و جمهورية معا بعينها مثل هنرى الثامن –1491–1547–و عرش تشارلز التاسع 1550–74– فى فرنسا الخ. وفى انجلترا ظهرت شخصيات غامضة على عهد هنرى الثامن مثل توماس كروميل مستشار الملك فى الامور الجنسة و يعتقد انه كان سفارديم من الاندلس.

و كان وراء تلك الحركات الغامضة ابان جمهورية كروميل و بداية عرش تشارلز الثانى شخصيات اكثر غموضا بدورها مثل الحاخام يوهانيس الهولندى واتباعه من التجار الذين لحقوا بكروميل ثم لم يلبثوا ان ناصروا تشارلز الثانى تباعا. و كانت هولندا بدورها قد شاركت فى حركة الاصلاح المناهض للبابوية و كانت قد بزغت في هولندا طبقات التجار و الطبقات الوسيطة جراء هجرة رساميل البرتغال و الاسبان اليهود الى اوربا الغربية و ليس صدفة ان تظهر العقلانية فى الاخيرة مثلا على يدى يهودى ملحد من البرتغال هو سبيونوزا. و ازعم فى مكان اخر انه من الاباء الاوائل لتنويعة معتدلة على المعتزلة اكثر منه الى تنويعة على الخوارج.

االاصلاح الدينى بالتنكل By Default: عقلانية العصف بالمقدسات:

من المفيد ملاحظة ان حركات الاصلاح الدينى لا تأت فى زمان الشدة ولا ابان مراحل النكوص الاجتماعى الثقافى الاقتصادى وحسب. بل انه ان نشأ ما يمكن ان يهيأ و كأنه حركة اصلاح تحت ظروف بالوصف اعلاه فان تلك الحركات اما تكون رقصة مذبوح اى رد فعل على النكوص و التخلف او–و حركات مشبوهة من شأنها مفاقمة النكوص و التخلف.

و قد يعبر الاصلاح الدينى عن نفسه او يتساوق و تلك الحركات. قد تصاحبت تلك الحركات بدورها و ظروف احتلال لا يقاوم او–و استباقا لمغبة النكوص مثلما فى الولايات المتحدة بداية الالفية الثالثة. ذلك ان غلواء المحافظين الجدد– و يدعون الثورية–تفاقم مع بزوغ الصين و الهند منذ 30 عاما. و تعبر حالة ما يبدو و كأنه تدفق النبع قبل ان يغيض مع انتشار الاحباط العام مما لا سبيل الى الاستجابة له الا بحركات قد يكون بعضها ران الى الوراء او–و حركات مفتعلة نادرا ما تكون تلقائية او بوعى محلى. فلا تزيد تلك الحركات سوى ان تكرس الاحباط مثلما راينا فى اثنيا ابان حربها مع اسبارطا مع سقراط و ارسطو على عهد الديمقراطيات الكلاسيكية تكاذبا و فى الاندلس على عهد المرابطين و الموحدين مع ابن رشد ومع الحلاج على عهد الخلافة العباسية و مع ابى ذر على عهد الامويين.

المهم لم يترتب مع ذلك على الاصلاح الدينى استقطاب العلم و العقيدة على النحو الذى يعتقده بعض العرب و المسلمين. فقد اختلق الغرب عقلانيا الخصام بين العقيدة والعلم تخاتلا وحسب. و كان ذلك الفصام حريا بان يخلق تراتبا من تراتبات حصار المثقف الغربى مما يمكن قياسه بما يحيق بنظيره العربى المعاصر و منذ بضعة قرون. وأجادل ان حصارا مماثلا كان قد خلق شرط قصور المثقف و المفكر العربى عن التفريق بين او فصل العقيدة عن السياسة و بين خندق العقيدة و السياسة فالقى بالمثقفين والمفكرين العرب والمسلمين رجالا و نساءا بين شقى رحى او خندقي الاسلام و العلمانية و بين الاسلام وبين الدين و الدولة و فصل العقيدة عن السياسة وبين الدقرطة و الديمقراطية و بين الفيمينية او النسوية الغربية و حركة تحرير المرأة و بين اقليات المرأة الحضرية المدربة غربيا و بين اغلبيات النساء الحقيقيات–منتجات الحياة و الكفاف الريفيات و البدويات و ربات البيوت العاديات الصامتات وغير ذلك من الثنائيات الخانقة.

والى ذلك فثمة قياسات اخرى ما تنفك تعبر عن نفسها فيما يصار اليه العالم العربى فى التاريخ. فقد كانت اشد الثورات بأسا و اكبرها خطرا على الخلافة العباسية على عهد المهدى مثلا هى الثورات التى اذكى نيراتها الذنادقة اللذين تبعد

تعاليمهم عن الاسلام و عقائده و تقوم على نوع من الديمقراطية الفاسدة التى تبيع المحرمات و تعبث بالاداب الاجتماعية و القيم العائلية و الزوجية المرعية و تعرض الحياة السياسية و الدينية للخطر[278]. و حيث اوقفت الديمقراطية "العلمانية"–و كأن الغرب علمانى بلا انتقاء لا يبصر بعضنا وهو شاخص النظر فى مراسيمية مؤسسة السلطة البريطانية مثلا من ملابس القضاة و المحامين و احتفالات التتويج الى الجنايز و الزفاف الملكى الامبراطوري الى الافتتاح الطقسى الدوري للبرلمان و شعائر قراءة الملكة لرسالتها السنوية سوى شكليتها. و لا يدرك معنى ان تكون الملكة رئيس الكنيسة و لا تعيين الملكة= بترشيح رئيس الوزرا– 12 من رجال الدين فى مجلس اللوردات الخ.

و لا يبصر بعضنا كيف يفتتح الامريكان جلسات الكونجرس بالصلاة و يبدأ المرشحون حملاتهم الانتخابية بالدعاء وينهونها بان يبارك الرب امريكا. ولا كيف يجلس "فقراء" و صوفيي وأولياء الحزام الانجيلى–و يتركز فى الولايات الجنوبية و الوسطى–و اولياء الصهيونية الجديدة المتطرفان فوق أكتاف كافة الادارات الامريكية. و يستدعى ريجان ما هو سابق على العقيدة باستلهام عرافة و يستجير كلينتون ببعض فقهاء الانجيلية للاقامة فى البيت الابيض يساعدونه على التوبة غب "واقعة" مونيكا لوينسكى تماما كما فعل نميرى عندما استدعى الصوفى ابو قرون ليقيم فى القصر حتى يستلهمه الشريعة التى جائت بقوانين سبتنمر 1983 مما الف سفر تكوين الانقاذ (السودانى) مثلما يدعى بوش ان الله يحادثه فيدعوه لاجتياح العراق ثوابا فى الرب.

و قد سوغ بوش لقوات الاحتلال الامريكية فى كل مكان استدعاء الانجيل و نصرنة السلاح ضد من عداهم. و ينحت الجنود الامريكان فى العراق و افعانستان و باكستان والبوصنة و غيرها سورا من الانجيل فوق اسلحتهم و يصدر بعضهم عن انجيل يوحنا حيث يقول "انا النور و من يتبعنى يكون سعيدا". و قد باتت حركة مسيحية او نصرنة السلاح شائعة. سوى ان الجنود يخشون ان اسروا ان برى العدو انهم يستخدمون السلاح و كأنهم جند المسيح.

الفصل الثاني: خلفية الصراع بين الكنيسة الغربية و نشوء الطوائف العاصية:

تقديم

رغم اننى تطرقت لمعظم الطوائف المذكورة ادناه و تباعا الا اننى ساتعين على التعر لالطوائف و المدارس المسيحية الغربية رغم انها لاحقة لنظائرها العربية الاسلامية. و قياسا ساحاول تحليل المفاهيم العقلانية التى تحدرت عن تلك الطوائف و المدارس الفكرية الغربية فالفت قاموسا ناجزا للفكر و التنظيم الغربيين و كرست الاعتقاد في كل كلمة فيه و الايمان المطلق بها تطرفا باسم محاربة التطرف و رفض كل بديل. هذا و احاول تتبع اطوار العقلانية المسيحية الغربية التى تدعى العلمانية و أثرها على كل ما هو غير غربى عبورا باسطورة نشأة الغرب من اليونان كما اعرف العلمانية.

فرغم ان طوائف العصاة او الخارجين على الكنيسة المسيحية الغربية و العرش لاحقة تاريخيا للطوائف و المدارس العربية و الاسلامية التى ازعم انها الهمت الطوائف المسيحية فان البدئ بتلك الطوائف ربما قيض التفاهم على لغة البحث فالاصطلاح عليها. فقد ييسر ذلك اعادة تعريف المفهومات و ربما قيض نحت مفهومات تخص ظاهرة الخوارج و نظائرهم العربية الاسلامية و لو باثر رجعى يقيص بوضوح الرؤية من على البعد الاحداث التى تلاحقت كما ابان عصر المأمون و سلطة هارون الرشيد من قبله مثلا الى دور الايوبيين فى تكريس مركزية السلطة عقلانيا و تحويل الامارة الى اداة لمراكمة الثروة و مزيد من السلطة و هكذا الى ما لا نهاية. وكان بعض المؤرخين و الكتاب العرب و غيرهم قد بقى يلاحظ ظاهرة المعتزلة الخوارج و نظائرم المسيحية الغربية او–و تنويعاتها بين اعراب الشتات–ان فعل–بمعزل عن و خارج السياق التاريخى العام و فى فراغ مرحلة تطور المجتمع المعين و عن اهم الاحداث المعاصرة لذلك المجتمع يحاول هذا البحث التعين على رؤية تلك الظواهر خلال اطار فكرى اقتصادى قمين بتفسيرها على نحو اعمق.

-سفر تكوين عقلانية المسيحية الغربية الصهيونية: هل كان بين جوريون سيد الخوارج المحدثين؟

من المفيد تذكر ان أعراب الشتات كانوا فى التحليل النهائي قد اورثوا المسيحية الغربية كراهية كل من الفلاحين و الشعب مما اناقشه تباعا و فى بحث اخر فى محاولة تعريف تلك المفردة المسكوت عن تعريفها على مر التاريخ. و ازعم ان سردية اعراب الشتات تتوزع بين المكتوب و الشفاهى و بين ما هو معترف به و ما هو منكور بين السير الذاتية لاعضاء طائفة–بمعنى طائفة حرفية Guild وليس طائفة عقيدية بالضرورة–حكماء اعراب الشتات القدامى و المحدثين او الصهاينة الجدد من بولص الرسول و آشر غربنبرج الشهير ب "احد ها عام" الى تلامذة الاخير امثال هيرتزيل و بن جوريون و غيرهما.

و من المفيد تذكر ان امثال هيرتيزل و بن جوريون ساروا على هدى قضاتهم و احبارهم واسباطهم فكانوا هم انفسهم حريون بان يقفوا بوصفهم قضاة و احبار و اعيان و غالبا تجار كغيرهم من بعض طوائف اعراب الشتات المجدفة. فقد اتقن الاخيرون بعقلانية عبقرية مثيرة للاعجاب على مر التاريخ غير المكتوب غالبا حرفة او اصطناع الاسطورة و اسقاطها على السردية حسب الطلب. و كنت قد حاولت تعريف الاسطورة تحت عنوان اسطورة عقلانية العلم الغربى الفرعى ادناه بوصف ان معنى الاسطورة الاصلى هو الرواية. و تصنع الاسطورة او الرواية الخيالية من حاصل جمع جملة حقائق متكاذبة او حقيقية غير قابلة للنفى و جملة وقائق متحكم فيها. و من المشوق أن اخرين غير "مؤلفي" الاسطورة او ناسجيها الاصليين غالبا ما يستحوذون على الاسطورة و يضيفون اليها و يدفعونها الى حيث يريدون منها. و كانت الاسطورة دائما قابلة لان تغدو تعبير عن اوان تشارف "كبسولة" تحتوى على حقيقة افتراضية بشأن الحالة الانسانية. وكان بن جوريون–1886–1937– قد اعاد تعريف الاسطورة باصطناع تنويعة حرصت على استدعاء "يسوعانوية" Messianic يهودية او يهودية يسوعانوية تنويعا على لحن السردية المسيحية الغربية و العكس صحيح.

و من المفيد تذكر انه ربما كان ذلك سفر تكوين ما بات يشار اليه بالمسيحية اليهودية Judio--Christianity. و قياسا أزعم أن سفر تكوين من اسميهم اعراب الشتات اليسوعوقراط و تنويعاتهم الناضجة و الفطيرة فى كل مكان تصدر عن يسوعانوية بن جوريون العقلانية بالوصف ادناه. و تتمثل عقلانية بن جوريون فى انه لم يكن يؤمن بمركزية الدين فى خلق قوة تضامنية او وحدوية من اجل قومية طوائف اليهود الحديثة[279]. الا ان بن جوريون كان اقدر من وظف مفهوم الرؤية اليسوعية Hebro or Messianic Vision Hazon Meshai in بالنظر الى الحركة القومية بين شعوب بعض طوائف اليهود الحديثة فى فلسطين تيسيرا لاستقطابهم لحساب المشروع الصهيونى الجديد[280].

و كان بن جوريون يزعم ان ثمة مكونات لقومية بعض طوائف اليهود الحديثة تتمثل فى علاقة شعوب بعض طوائف اليهود بالوطن و بعض طوائف اليهود باللغة العبرية. و كان بن جوريون يؤمن فوق كل شئ بتعالق تكريس الدولة العبرية و الخلاص اليسوعى[281].

وكأن بن جوريون رآى فى لحظة عقلانية عبقرية على نحو غير مسبوق ان استبدال "ارض الميعاد" ب الخلاص اليسوعى كان حريا بان يوفر لليهودية مدخلا الى متاريس المسيحية الغربية وكانت الاخيرة قد اغلقت قلبها دون قتلة المسيح المخلص. و حيث كان بن جوريون يدعى انه من اكبر المؤمنين بالعلم و بالعقلانية الا ان شيئا لا يبقى صالحا للمتابعة او الاستبصار بصورة منطقية مع ذهنية بن جوريون المخاتلة–التى توقف العقلانية فوق رأسها–الا بقدر ما توقف العقلانية على قدميها وحسب الطلب.

فالواقع الموضوعى التاريخى يكشف حقيقة فكر بن جوريون و امثاله ما ان يرفع قناع العقلانية الداروينية عن طاقم افكار و مفاهيم بن جوريون و امثاله. فعقلانية بن جوريون وامثاله ليست سوى تنويع على و مرادف للداروينية و قد اعيدت مفصلتها. و يقول البعض ان بن جوريون كان مؤمنا بقوة العقل البشرى مما يتحدر عن القدرة على التماهى مع الكون الذى يتأمله العقل و يكتشفه العقل[282]. و ازعم ان مفهوم بن جوريون و امثاله لقدرة العقل تتمثل اكثر ما تتمثل في امتلاك

ناصية التحايل على الواقع و على الخصم مفردا او جماعة او دولة او تاريخا او سردية الخ اى على كل من عدى اعراب الشتات. أى بمعنى اخر التعين على العقلانية لتيسير سياسات و وراثات اعراب الشتات العسرة خصما على من عداهم منذ قديم الزمان مما بقى مسكوت عنه.

و قد قيض فكر بن جوريون "العقلانى" له بهذ الوصف الدوران حول فكرة مركزية الدين مرة و ترك الدين جانبا مرة و ولوج "باب الدين" من حيث كونه مركزيا فى تكوين الدولة العبرية مرة ثالثة مجددا. و قد يسرت عقلانية بن جوريون الداروينية له و لامثاله و كلما ناسبه ذلك كما يسر ذلك له "طواعية" ايديولوجية بمعنى براجماتية او نفعية لا محتشمة كانت و بقيت معظم او كل ما لزم فى كل مرة لاعادة تفسير الدين حتى يناسب مشاريع بن جوريون المسكوت عنها. فقد كان بن جوريون مثله مثل اسلافه من اعراب الشتات و تنويعاتهم فيما يتصل بغاياتهم المسكوت عنها و المعلنة معا. و لعل اكثر ما تعبر عنه عقلانية بن جوريون هى انها تفضح المعنى الموضوعى المسكوت عنه فى الفكر العقلانى التنويرى بحيث لا يزيد التعريف "الاجرائى" للعقلانية عن التحايل على الواقع و الحقيقة حيثما وجدا و بقدر ما تسمح قدرة العقل البشرى على ذلك.

و قد قيضت قدرة بن جوريون و نظائره السابقة واللاحقة عليه المراوحة–و الاحرى التحور Mutation–بين فلسفة و اخرى حسب الطلب. و قد جعل بن جوريون من بعض طوائف اليهود الصهاينة بمثابة "محظية شرائح السلطة" الحاكمة فى اوربا الغربية و شمال امريكا تاكتيكيا مثلما كان اسلافه يفعلون منذ بابل و اليونان و روما وصولا الى البندقية. و قد بقي اعراب الشتات يوظفون تلك المحظية فى خدمة حاجاتهم السياسية الاستراتيجية و استراتيجية الدولة العبرية. و كانت تنويعات باكرة على تلك المحظية قد تمثلت فيما اسميه بالمحظية الملكية Royal Concubine و قد راحت تلك المحظية تنشأ صاعدة الى سدة السلطة منذ بابل و ربما مصر ان كان اعراب الشتات قد حلوا بمصر اصلا ثم الامبراطورية البيزنطية و اليونان و فى الامبراطورية الرومانية فى القرنين السابع و الثامن وصولا الى اقامة امبراطورية الخزر الاشكنازى و فى القرنين الثامن عشر و التاسع عشر فى كل من اوربا الشرقية و الغربية تباعا.

توظيف بين جوريون للمحظية عقلانيا و ابوكاليبتية سفر الرؤيا

اجادل ان ثمة تنويعات على المحظية الملكية المذكورة فى مكان اخر. و ازعم ان ليس الاخيرة بالضرورة امرأة دائما فثمة العبيد المعتقين والقماتلين و الربابى البلاطيين و الاغوات–كانت تلك التنويعة من المحظية الملكية قد تمثلت فى كل مكان وطأته بطون اقدام اعراب الشتات. و ازعم ان تمثل تلك التنويعات قد يكون بالنتيجة مباشرا أو بغواية رساميل اعراب الشتات و سلعهم الاستراتيجية من الذهب الفضة و الماس و البلاتين و النفظ على الخصوص. و قد بقيت تلك المحظية فيما بقيت تتمأسس فوق تبريرات وذرائعية الحاجات الايديولويجية العقلانية السياسية الاستراتيجية لقيم و مفاهيم ناكصة و رانية الى الوراء من ناحية و ابوكليبتيةِ Apocalyptic قيامية من ناحية اخرى و نسووقراطية مرة ثالثة.

ومن المفيد تذكر ان الماركسية كانت قد استعرت فكرة الزمن الخطي Linear من البداية-الخلق-الى النهاية-يوم القيامة-وعودة المسيح و غيرها من الفكر الالفي Millennial thinking ما معناه ان نهاية و تخثر البرجوازية الصناعية و الرأسمالية قاطبة يقود بداية جديدة او عودة مجددة بالثورة. و تؤمن اسرائيل بانها قمينه بان تاتى بالايام المجيدة. و رغم ان العقيدة الشيعية تدعو الى ترك كل سلطة و شأنها–فكل سلطة فاسدة الا سلطة محمد صلعم–بانتظار عودة الامام الاثنى عشر سوى ان الخمينى اخذ على عاتقه تنشيط الشيعية. و تعود معظم تلك الافكار الى كتاب الرؤيا The Book of Revalation. و لعل التنبؤ بنهاية العالم فكرة يسوعويهودية تستدعي الفكرة غالبا مفهوم ان نهاية الغرب او نهاية اسلوب حياة الغرب يعني نهاية العالم.

و يقول البعض ان مثل تلك الافكار تشيع اللا اكتراث بما يحدث على مستوى البيئة مثلا بين الناس فى زمان الازمات المالية التسونامية مما يدفعهم الى الانخراط فى تبديد الموارد بلا روية. وان ذلك من شأنه ان يؤدى الى تنويع على النهايات الاقتصادية الاجتماعية الابوكاليبتية و كأن الامر بمثابة النبؤة التى تحقق نفسها Self Fulfilling Prophecy.

و الوقع ان اشاعة مثل تلك الذهنية هى حصاد السيطرة على الناس و العالم عن طريق التعقب والمطاردة يدفعهم التطير من نهاية هى ان حدثت فهي فى الواقع نهاية اسلوب حياة الغرب الا ان الاخير و هو يدرك ان مثل تلك النهاية قد لا تحيق بالصين مثلا فانه يعجل بارساء قاعدة او شرط النهاية الكارثية او الابوكاليتبية الكونية. وقياسا فان كان من ابعاد الابوكيلبتية هو فقدان السيطرة على مع يحدث للانسان ونفى المسئولية بان يغدو اخرون هم الذين سوف يمسكون بزمام السلطة فان الافراد يخلفون كل سيطرة لهم على ما حولهم لمن عداهم.

ومن المفيد تذكر ان طاقم قيم اليسوعوقراط–و قد تحدرت اليهم من اسلافهم اعراب الشتات تتلفع بدورها بعباءة عقلانية داروينية و ابوكاليتبية معا. و قياسا فقد ادعى بن جوريون ان الله و الطبيعة وهباه ملكة استبصار و تجليات فوق بشرية من شأنها استدعاء وساطة بين الطبيعة والرب. و ان ذلك قيض له ان يدعى انه منوط بخلق ما اراد الرب خلقه فوق ارض الواقع. فاردة الرب تتمثل فيما خلقت الطبيعة شروطه. فقد كان بن جوريون يعتقد فى عبقريته و فى ان الله او الطبيعة– و هما صنوان لديه حسبما يريد–قد وهباه و خلعا عليه مواهب سامية ليس حبا فيه وحسب كيما يتعين على الوساطة بين الطبيعة والرب من اجل خدمة مشاريعه هو–بن جوريون–و انما لانه مجعول لان يغدو وسيطا بين الله او الطبيعة[283].

و لا يقل اعتقاد بن جوريون فى نفسه على اعتقاد ابى مسلم الخرسانى مثلا فى الالوهية كما كان بعض الخوارج و المعتزلة يفعل. فقد كان الاخيرون يعتقدون فى انفسهم خصما على من عداهم و قد عرفوا بالصلافة و ذراية كل من عداهم و بتتفيه العامة كما ذكرنا فى مكان اخر. ويتعين بن جوريون بهذا الوصف على مشروع مثابر قد يبدو فريد على زمانه.

و كان مشروع بن جويون قد بقى راسبا فى مسام التاريخ البشري على مر القرون فى تنويعات لا متناهية من بعض قبائل اليهود و اعراب الخزر الاشكنازى الى تنويعات على اوليجاركية البندقية وصولا الى المحافظين الجدد واليسوعوقراط الانجلو ساكسون و الانجلوامريكان وربما الامميين الليبراليون Universal Liberals الذين ما ينفكون يطلون برؤوسهم غب سقوط النموذج التنموى الامريكى ما بعد الليبرالي جراء انهيار لنظام المصرفى العالمى صبحية هروب الاموال مع اصحابها.

فقد شارف ذوربان الاقتصاد صبيحة ما يسمى انهيار اسواق الائتمان العقارى صيف 2007 ما كان يعبر على مر التاريخ عن نفسه فيما يزوق فى "الخروج" و"المحرقة". هذا و يمكن رد سفر تكوين اساطير او يولوجيا فكر بن جوريون و نظائره الى القديس بولص و الى سفر الرؤيا وهو انجيل القديس يوحنا الثيولوجى على الخصوص. هذا فتعاليم بولص الرسول و كذا سفر الرؤيا للقديس يوحنا الثيولوجى –لم يزدا على ان انشأءا طوائف أعراب شتات باتت سفر تكوين المسيحية الغربية التى شارفت طائفة يهودية, واجادل ان ذلك تمثل اكثر ما تمثل فى ان الامبراطورية الرومانية سقطت قبل ان تنصر حقا It fell before it was Christianized. و كان انجيل بولص قد قيض فضاء او القى ضوء على والاحرى كرس زاوية تناول تكاد تكون بكرا لاعادة قراءة العهد القديم والجديد. فقد جعل القديس بولص العهد القديم بداية نهاية التاريخ و كأنه تنويع باكر على سفر الرؤيا و على فرانسيس فوكوياما.

ولعل القديس بولص الهم الافانجليين المتطرفين بتكريس فكر سفر الرؤيا الذى كتبه القديس يوحنا المقدس و يشار اليه بالافانجلي و يوحنا باتموس Patmos–و هى جزير يونانية–و لعله كان منفيا بها. و يسمى القديس يوحنا ايضا بالثيولوجي و البصير او الرائي Revalator و الحواري The Desciple. و قد الف القديس يوحنا الثيولوجى(القرن الاول) سفر الرؤيا The Book of revelation باليونانية و ترجم الى الانجليزية على عهد لملك جيمس فالحق سفر الرؤيا بالاصحاح القديم لاول مرة. وسفر الرؤيا هو هو بدوره سفرر تكوين الفكر الابوكاليتي ايضا و يصدر عن تنبؤات متشائمة و لعله الهم اميخائيل نوسترادامیس–1503–1566 اكبر صوفيي بل سيد الصوفيين اليهود. و يوحنا هو سقيق جرجس ابن زيبيدي Zebedee و كلاهما من حواري المسيح الاثنى عشر , < و يصف يوحنا الثيولوجي الامبراطورية الرومانية و يركز على عهد نيرو و يزوق الاخير فى شكل الوحش الذى يروع الكون. فحيث فقد يوحنا الثيولوجى نيرو فى سفر الرؤيا

الوحش المروع تزويقا فقد كان اعراب الشتات يكتبون التاريخ و يثارون فيه من خصومهم مثلما فعلوا بنيرو و كاليجولا و فيسبازيان و يرفعون حلقائهم مثل يوليوس قيصر الى مصاف الابطال.

و من بيده القلم لا يكتب نفسه و حليفه شقيا. فقد كان كل من يوحنا الثيولوجى و بولص الرسول ممن يعتقد بنفسه على نحو استفذ الرومان. وقياسا لم يقل اعتقاد بن جوريون فى نفسه على اعتقاد ابى مسلم الخرسانى مثلا فى الالوهية. هذا و يمكن رد سفر تكوين اساطير بن جوريون و نظائره الى القديس بولص–أو صول Saul of Tarsus كما كان يسمى–5 قبل الميلاد –67 ميلادية –و الى انجيله على الخصوص. ذلك أن بولص الحاخامى المتطرف –أو صول كما كان يسمى–او كان يسمى نفسه رسول الرب الى الجنتايل اى المشركين بيهوا The Apostle of the Gentile.و يعتبر المؤرون الغربيون القديس بولص–و كان يهوديا هيلينيا Helenic Jew– مما قد يجعله خزري بالاحرى–انه مؤسس المسيحية الغربية الحديثة.

وازعم ان بولص او صول لم يزد بهذا الوصف سوى ان انشأ طوائف من أعراب شتات باتت سفر تكوين المسيحية الغربية. و قد قيض فكر بولص فضاء او ضوء و ربما و الاحرى زاوية تناول تكاد تكون بكرا لاعادة قراءة العهد القديم والجديد, فقد جعل بولص الاصحاح القديم بداية نهاية التاريخ[284]. و قياسا يلقي انجيل بولص ضوءا كاشفا على السردية الاعرابية او سردية من اشير اليهم ب "اعراب الشتات" على الخصوص. و يتألف الاخيرون من بضعة قبائل صحراوية سواء خزرية او–و شرق اوسطية او من الجزيرة العربية و قد راحت تصدر منذ الامبراطورية الرومانية –فيما كانت تصدر– عن كل من بولص الرسول و يوحنا الثيولوجي أحد حواري المسيح الاثني عشر و شقيق الحواري جرجس ابن زبيدي Son of Zebedee بدوره,

و ازعم ان يوحنا ابن زبيدي كان اول الافانجليين. و قياسا فلعل القديس بولص ويوحنا الثيولوجي من قبله قد قيضا سفر تكوين الفكر القيامي اليسوعوقراطي. و ما يبرح سفر الرؤيا يلهم الحركات المسيحية الصهيونية المتطرفة بالفكر القيامي اليوسوعوقراطي معا. و قد ترسب فكر بن جوريون و بولص الرسول و يوحنا الثيولوجى–مما يتمثل فى سفر الرؤية Book of Revelation– و بعض فلاسفة اليونان فى مفهوم التراتب الاجتماعى و احقية الملهمين المبدعين خصما على من عداهم و بخاصة العامة الدهماء الخ من كافة الشعوب بما فيها شعوب اعراب الشتات انفسهم. وازعم ان الرؤية تتمأسس و كانت قد تمأسست فوق يوتوبيا عنصرية تقول بالقضاء على الاعداد الزائدة عن الحاجة. واجادل قياسا ان ربما امكن التكهن بان كل من بوحنا الثيوليوجى و بولص الرسول وصولا الى بن جوريون حريون بان يتمثلوا بوصفهم تنوعات مسيحية صهيونية باكرة على الخوارج و المعتزلة و لاشاعرة.

الفصل الثالث: هل تعالقت الطوائف المنقسمة على الكاثولكية الغربية و الخوارج و المعتزلة و المتكلمين؟

ما تأثير الحركات الفكرية والعقيدية الآتية من الاندلس بل من الخلاقة العباسية والاموية على المناخ الفكرى و المذهبى فعلى المسيحية الغربية و على الطوائف و الحركات الدينية الغربية وبخاصة البروتستانتية؟ كيف لا يتساءل معظمنا ان كان لسقوط غرناطة و هروب احبار و قضاة و تجار اليهود من الاندلس–اسبانيا و البرتغال–الى اوربا الغربية و بخاصة الى هولندا و انجلترا دور فى "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" و فى التوسع فى شبه القارة الهندية بل الاحرى فى التنوير والحركات الدينية اللاحقة؟ كيف لا ينتبه اى منا الى تعالق سقوط غرناطة و هروب رساميل احبار و اسباط و تجار اليهود الى اوربا الغربية و ظهور الطوائف البروتستانتية–اى العاصية المعارضة للكنيسة الكاثوليكية و للبابوية و الفاتيكان؟

هل انقضى اثر الاندلس فى الغرب ما ان سقطت غرناطة حقا كما يحب الغرب المسيحية الغربية الرأسمالية ان يخدعنا نحن و ننخدع؟ الم يتساوق انقسام الكنيسة الكاثوليكية الغربية الى طوائف متحاربة يناصب بعضها العداء لوقت طويل–و ربما حتى اليوم كما نذكر تباعا–و سقوط غرناطة و قمة ازدرهار الامبراطورية العثمانية؟ الم

تفجر علمانية الاتراك زعر الكنيسة المسيحية الغربية فيما تمثل أثر الاندلس فى الغرب على نحو لا ينمحى مما اجادل انه بقى يدفع الغرب الى تلفيق تاريخه عقلانيا و نكرانا لذلك الاثر الباقى؟ هل المنوال الحضارى الثقافى– بمعنى توالى الحضارات الثقافات –يعبر عن نفسه كعلامات المرور اخضر كهرمانى احمر حقا؟

هل لا يترك منوال سابق رواسبا فى المنوال اللاحق؟ كيف لا يلفت نظر معظمنا ان المفكرين و الفلاسفة الغربيين لم يتوقفوا عن ان ينهلوا العلم و المعرفة من الاندلس حتى بعد سقوطها و لو لكونهم بقوا يقراؤنها باللغة العربية التى بقيت لغة عالمية بالضرورة و لغة العلم والمعرفة بالنتيجة حتى القرن الخامس و السادس عشر؟ و هل ثمة قياس بين طوائف البروتستانتية المتطرفة فى رفض الالتزام بمؤسسية العقيدة و الشعائر و الايقونات و غيرها من مراسيمية العبادة وموقف الخوارج و المعتزلة من امور اسلامية مماثلة؟

–مغبة عقلانية المتكلمين و الخوارج و الخزر:

يتعين هذا الفصل على التعرف على بعض طوائف و الحركات المتكلمين والخوارج و اهم طروحاتهم اومبادائهم. و الغاية هى فى الاساس محاولة عقد قياسات بين تلك الحركات و المبادئ و نظائر من الطوائف المسيحية الغربية التى نشأت صبيحة سقوط غرناطة. والفرضية هى ان ثمة تعالق بين الاخيرة و المناخ الفكرى و الثقافى الذى افرزه الاندلس فى اوربا من ناحية. و من ناحية اخرى ازعم انه ان تأثرت معظم تلك الطوائف بالفكر اليونانى من سقراط و ارسطو الى الرواقيين و حتى الصوفيين الكلاسيكيين فربما تأثر الاخيرون بفكر الخزر و ربما كانوا من الخزر. و قياسا فربما امكن افتراض ان محصلة اجتهاد مجموعتى تلك الطوائف–الاسلامية و المسيحية–تتصل بغاية واحدة وقد تكون متواطئة.

هل تعالقت اطروحة المتكلمين و محاولة اختراق الاسلام؟

ان بقى اعراب الشتات يتولون امر بعض المسلمين بالالحاح عليهم و استمالتهم و التقرب الى شرائح السلطة حتى استمالوا من الاخيرين من استمالوا فقد كان اعراب الشتات قد عقدوا العزم على اختراق الاسلام بغاية تهويده مثلما راحو ييهودون المسيحية الغربية باكرا عبورا بتنصير الامبراطورية الرومانية على هيئة مشوهة بمعرفة بولص الرسول فلم تنصر الامبراطورية حتى سقوطها. و لم يلبث اعراب الشتات ان اخترقوا أهم المدن الدول الايطالية و جمهورياتها مثل البندقية و نابولى–بعد سقوط الامبراطورية–و وصولا الى اختراق الكاثوليك الغربية بصورة معلنة فى القرن السادس عشر بخروج الطوائف المسيحية عن و عصيان معظمها للكنيسة الكاثوليكية.

و ما ينفك اعراب الشتات و قد تلفعوا بعباءة الافانجلية الانجلو امريكية المتطرفة يتربصون بالانجيلية غير الافانجلية–اى الاصولية التبشيرية–و بالكاثوليكية. و ازعم انهم كانوا قد تعينوا على محاولة تهويد الاسلام من حيث تفسير علاقة الميثاق الذي أخذه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بني آدم بالفطرة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخذ الميثاق عَلَى بني آدم حينما استخرج ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلام من صلبه وأشهدهم عَلَى أنفسهم واستنطقهم. فقد قال المفسرون في تفسير الآية وفي قول النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ان عيسى عبد الله و رسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه. و قالوا ان عيسى روح من الارواح التى خلقها الله و استنطقها. كما صرح بذلك كعب الاحبار و غيره[285].

و اجادل أن مشروع اعراب الشتات كان يستدعى فيما يستدعى محاولة يهودة الاسلام او اختراق الاسلام بالاسرائيليات. و كان الكاتب المصرى الكبير احمد بهاء الدين يثابر على الكتابة في ذلك فى مجلة رزا اليوسف فى ستينات القرن العشرين. وكذا فعل غيره كثيرون. و قياسا فلعل ماهية مثل ذلك المشروع حرية بان تبقى متسارة و غير قابلة للنطق باسمها. بل يثابر ذلك المشروع على تحريم بدائل لمفرداته ناهيك عن تعريف تلك المفردات مثلما فعل اعراب الشتات عقلانيا بالمسيحية الغربية وزوقوا خطابها بوصفه خطاب الرأسمالية المالية على الخصوص. و ازعم ان الطوائف الاسلامية التى

خرجت على الخلافة و الامامة ثم لم تنفك ان استوعبت الاخيرتين و ارتهنتهما كانت تنويع باكر على الطوائف المسيحية الغربية التى خرجت على الكنيسة المسيحية الغربية و على البابوية تياعا.

-تعالق الحركات الخارجة على الصحابة و امراء المؤمنين و العقلانية القاحلة :

ازعم ان بعض تلك الطوائف بتنويعاتها الخوارجية المعتزلية و البروتستانتية ربما كانت غايتها الوصول الى نفى قداسة الكتب السماوية–القرآن والاصحاح الجديد–لحساب الاصحاح القديم. و حتى تقيض تلك الغاية المتضمنة و غير المعلنة و التى لا يجرؤ كثيرون حتى اليوم على النطق باسمها فقد كان لزاما ان تصدر اطروحات تلك الطوائف عن لغة ممفصلة اى معقلنة لا تفصح عن مكنون الهدف من ورائها. و قد اعتبر القول بقدم الذات الإلهية ضرب من الشرط المضاد للتوحيد اى ما يشارف و ربما يعنى الهرطقة. و قياسا نزعت الطوائف المنشقة على الكاثوليكية كل قداسة واستهدفت كثير من مسلماتها كما رأينا فى مكان اخر. وكما يزعم البعض ان تلك الحركات كانت بمثاية ثورة او اصلاحا دينيا يقول البعض ايضا ان حركات الخوارج و المعتزلة السياسيين كانت اصلاحا دينيا ويستدعى بعضهم ابن رشد فيوقفونه علما على المعتزلة والخوراج. و لعله لا يفوت على احد ان المحافظين الجدد يجأرون بانهم اشعلوا ثورة فى مواجهة فشل التجربة الاشتراكية و بديلا لخيبة اليسار التقليدى. و لا تزيد حركة المحافظين الجدد و فراودهم الليبراليين الجدد عن ثورة مضادة. ذلك اننى أجادل ان شيئا لا ينظر اليه فى السياق قمين بالا يوفر محصلة موضوعية بصورة تذكر أو تنسى. كما ان عقد قياسات على ما هو معقلن بالوصف اعلاه لا يعنى اكثر من الاصدار عن خندق الاقتصاد فى قول الحقيقة.

الباب الثامن : الخوارج و العباسيون

الفصل الاول : الحركات المنشقة منذ القرن الاول الى التاسع الهجري:[286]

ما هى ايديولوجية حركات و خطاب تلك الطوائف التى ظهرت منذ القرن الاول حتى التاسع الهجرى فى كل من الجزيرة العربية و العراق و الشام و الاندلس؟ وما هى علاقة بعض تلك الحركات بالخزر؟ وهل كان بعض الخوارج وتنوعات المتكلمين او المعتزلة السياسيين من الخزر؟

ازعم انه حيث كانت حركات الخوارج و تنويعاتهم حركات سياسية اكثر منها دينية او دينية مسيسة فان خطابهم كان حريا بان يصدر تفريعات على و تحوير للعقيدة مما يلاحظ تنويع عليه فى حركات المعتزلة و الاشاعرة من بعدهم وصولا الى حركات الطوائف المسيحية العاصية للبابوية و مؤسسية العقيدة –الكاثوليكية الغربية–مما تعرضنا له اعلاه. و قياسا أجادل ان حركات المتكلمين والخوارج وغيرهم كانت حرية بان تكون افراز او تنويعات على حروب الردة. و كانت تلك الحروب قد شارفت الثورات المضادة من حيث انها خرجت على قواعد الاسلام و روح التشريع الاسلامى و مفاهيمه الايمانية مثلما فعلت نظيراتها المسيحية الغربية وهكذا. و قد تحورت حركات الخوارج السياسيين وباتت لهم طوائف فى المعتزلة و الاشاعرة و تنويعات الاخيرين وصولا الى الخوارج الجدد و المعتزلة الجدد ممن يهم هذه الدراسة التعرف عليهم اكثر من غيرهم.

وازعم ان مشروع الخوارج و المعتزلة و تنويعاتهم الاسلامية و نظائرهم المسيحية الغربية ليست سوى مشاريع اقتصادية تتستر وراء ايديولوجية غامضة ملفقة مثلها كمثل تنويعات معاصرة ماثلة كالمحافظين الجدد و بعض طوائف الاسلام السياسي وبخاضة مشاريع المستوطنين المتطرفين من المهاجرين الاقتصاديين على مرالتاريخ المسكوت عنه. و تتعين تلك الجماعات على ادعاء الدفاع عن عقيدتها و هى فى الواقع تدافع عن مصالحها الاقصادية مثلما ذكرت فى مكان اخر.

المهم فورا كانت اولى فرق الخوارج قد ظهرت فى القرن الاول–السابع الميلادى–و ظهر المتكلمون و المعتزلة المتسيسين Politicised فى القرنين الاول و الثانى الهجرى اى السابع و الثامن الميلادى. ولعله من المفيد تذكر ان المناخ الذى ظهرت فيه طوائف الخوارج كان قد اتسم بكل من:

–انتهاء عهد الفتوحات و بداية استقرار الولايات و الامصار بين شعوب جديدة

–اختلاط العرب و المسلمين بتلك الشعوب و الاخذ عنهم و التأثر بهم بقدر ما اثر العرب والمسلمون فى تلك الشعوب.

و ازعم ان مثل تلك الكيمياء كانت حرية بان تنتج ظاهرة جديدة على عرب الجزيرة و على شعوب المناطق المفتوحة معا مما كان من شأنه ان يخلق شرط نشوء عقل جديد يتعين على التعامل مع واقع جديد و مركب و مستهدف للتحور بصورة متسارعة مما قد يشارف تنويع على العولمة. و اجادل نتاج العولمة الاسلامية بالمعنى الثقافى و ليس بالمفهوم الاقتصادى الرأسمالي وحسب و كانت العقلية الجديدة حرية بان تعبر عن نفسها فى التعامل المسمى عقلانى بمعنى ذلك الذى يصدر عن كل من الحذر و المصلحة الجمعية و الفردية ازاء الجماعات الوافدة الجديدة و المستقرة .

و لعل العولمة الاسلامية كانت حرية بان تنمى لها تنويعا باكرا من العقلانية التى تتصل بالتعامل مع شعوب وافدة او–و مضيفة او ضيفة الخ. و لعل الشعوب الوافدة على مجتمعات المستقرين المضيفة–و قد باتت الشعوب الوافدة و الضيفة ظاهرة مواكبة لنشوء و تطور الخلافات الاسلامية–كانت بدورها قمينة بان تفعل المثل فتخلق شرط بزوغ اجزاء عقلانية–المعنى التعريف اعلاه–حديدة بدورها. و ربما كان بعض الجماعات الوافدة كالاعراب و الخزر و غير تلك الشعوب ممن يترحل و يتنقل و يختلط بغيره بدوره كان حريا بان يصدر باكرا عن عقلانية باكرة جدا تخصه و تدل عليه. و لعله ليس ثمة سبيل الى تعريف عقلانية مناخ الفتوحات التوسع بسوى حلول موقف ترتب على تحورات ظاهرة و اخرى غير معلنة.

و تواجه تحورات تلك الظاهرة او الظواهر العقل فيجد نفسه مقصور على مواجتها و التعامل معها. و تخلق ضرورة محاولة العقل لمواجهة تحورات بعض الظواهر شروط مجددة للتعايش بين تحورات تلك الظاهرة او الظواهر و ما كانت عليه الاخيرات. و يتمثل ذلك اكثر ما يتمثل فى محاولة تعايش قيم و ثقافات و اعراف و تقاليد متعددة و متجاورة و متحاورة و متخاصمة و نظائرها. كما يتثمل فى محاولة كل ظاقم قيم تلك الثقافات و الاعراف و التقاليد المتواجهة و المتعايشة حماية نفسها فى نفس الوقت كل بطريقتها. ولعل طريقة كل من تلك الثقافات و التقاليد الخ فى التعامل مع الاخرى قد لا تزيد على نوع من العقلانية الفطيرة او–و المفلصفة falsified و ربما حتى المزوقة المسفسطة سواء فى الامور "التشريعية او فى الامور المتصلة بامور الايمانية بالذات"[287].

و ازعم ان تخريجات العقلانية المذكورة اعلاه كانت قد أفرزت ابان بعض الخلافات الاسلامية جماعات كانت حرية بان تنشق عن الاسلام الصحابى و على طاعة امير المؤمنين. و لعل تلك العقلانية تخريج على عقلانية اليونان وبخاصة رد فعل على عقلانية الخزر وعنف بعض ممارسات الاخيرن مثلما فعل اعراب الشتات مع الخلافة الاموية و الخلافة العباسية و العثمانية الخ,

هل تعالقت حروب المسلمين و عقلانية حركات الخوارج و المعتزلة؟[288]

هل ثمة علاقة بين الخزر و اعراب الشتات و الخوارج و من لف لهم بحروب المسلمين؟ و هل تعالق دخول الخزر الاسلام بتلك الحروب؟ ام ان ظاهرة الخوارج محصلة حروب الخزر و الخلافة العباسية؟

حيث تقاتل حزبى عاشة و حزب عثمان والامويين بزعامة معاوية فى موقعة صفين[289] فقد كانت معركة الخريبة قرب البصرة اول مرة يتقاتل فيها المسلمون. و من المهم تذكر ان احدا لا يبدو على يقين من طبيعة القوات الدنيا التى تكون قد اندست بين صفوف الجيشين. و لعل الخزر دخلوا ***الاسلام*** فى ذلك الوقت الباكر اى حوالى النصف الاول من القرن الاول الهجرى مما عبر عن نفسه فى زمان و مكان كانا حريان بان يفترضا:

– تدافع الطامعين فى المكاسب كما الحال بالنسبة لحزب عائشة و حزب عثمان–معاوية[290]–بعد ان بدى و كأن زمان التوسعات و الفتح قد انقضى و تقلصت فضاءات الغنائم.

–متاخمة اقاليم الخلافة الاموية لبيزنطة ومضارب الخزر وكذا اقاليم الخلافة العباسية الشمالية فى العراق لمضارب جماعات من اعراب الشتات عرفت بمناكفة الخلافة و اختراق صفوفها وصولا الى اشعال الحرب عليها فى القرن الاول لظهور الاسلام أى تساوقا و التداعيات المذكورة اعلاه و تباعا مما اتصل اكثر من قرن مما نذكره فى مكان اخر.

المهم فورا انضم من ناحية اخرى الهاشميون الى على رضى الله عنه و التفوا حوله و كان المسلمون قد بقوا بلا خليفة 5 ايام فقبل علي رغم ان البيعة صعبت عليه و لم يكن راغبا فيها الا انه كان يدرك ان الاسلام كان ما يبرح "غضا و قد راح المسلمون يخشون من عودة الجاهلية" [291]. وكان ابو بكر قد "وحد القبائل المتاخمة لبيرنظة و فارس و هزم المرتدين خلال خلاقته القصيرة. و حيث شكم ابو بكر الصديق(رض) القبائل العاصية ابان الفوضى التى اجتاحت الجزيرة غب مقتل عثمان (رض) برفض المعاهدات التى كانت القبائل قد عقدتها مع النبى صلعم فقد قيض ذلك توحيد الجزيرة العربية بالقبائل العربية.

و قد حدى ذلك بالقبائل المتاخمة لبيزنطة و فارس بدخول الاسلام" و لو بعقلانية براجماتية كما هو عهدهم فى اعتناق احبارهم و اقماطهم و تجارهم و حتى انبيائهم اديان و عبادة بعضهم الهة المجتمعات التى جاوروها او–و استضافتهم على مر السنين. فقد فعل دوود و سليمان ذلك ما بين 930–1000 قبل الميلاد. اذ داوود اعتنق دين حميه اخيش فورث مملكة جاهزة ما بين الخليل و المجدل. و كذا اعتنق سليمان أديان نساءه و انسبائه فورث تجارة بلقيس و اورث ابنه منها ملك الحبشة. وكان سليمان يعبد آلهة النساء اللواتى يتزوجهن أو يتسراهن و يأكل طعامهن ايضا مما اثار حفيظة بعض الاحبار[292]. و يعنق بعض طوائف اليهود الكاثوليكية كلما كان فى ذلك تيسير لمصالحهم مثلما اعتنق العديد من رجال الاعمال والفلاسفة اليهود مسيحية الكويكرز فى القرن السابع عشر.

و رغم ان بعض طوائف اليهود تناصب الكانوليك العداء كما رأينا حتى انهم بادروا بما يسمى بالتنوير خصما على ما يسمى النهضة تكاذبا الا انهم يلوذون فى الكاثويكية بطوائف كبالية مثل طائفة الاوباس داى Opus Dei و حركة اكسفورد Oxford Movement. و تعود الاخيرة الى سفر تكوين الليبرالية مشبوهة الغرض فى الجزر البريطانية. فقد تحورت الاخيرة الى ما بعد الليبرالية وصولا والى ما قيضته وتقيضه لتنويعات اعراب الشتات من المحافظين الجدد و انغالهم الليبراليين الجدد.

المهم كان كل من توحيد القبائل المذكورة ومتاخمة الخلافة لبيزنطة و فارس حريا بان يخلق شرط مواجهة الامبراطورية الاسلامية الجديدة لكل من الامبراطورية البيزنطية و امبراطورية الفرس. هذا و قد وجد على ان عليه الى ذلك مواجهة تحديات متفاقمة من كل جانب و باتت اشد خطرا هذه المرة على مصير الاسلام و مستقبله و قد حكمت الفوضى المدينة عاصمة المسلمين[293]. و كان لخروج الصحابة لمواجهة القبائل اثره فى اغناء تجربة كل منهم مما خلق شرط التنوع الفكرى و التنظيمى بشأن قضايا عدة منها السياسة و الدين. و قد كانت لذلك بوادره التى كانت قد راحت تعبر عن نفسها عشية موت الرسول صلعم و برزت بعد مقتل عثمان فى "ادلجة السياسة و تسيس الدين مما واجه علي و لم يلبث ذلك ان تمخض عن فتنة مجددة".

و كان على علي رضى الله عنه ان ينذر بان من يعصى خليفة بايعه الناس بان "فى العدل سعة و من ضاق عليه العدل فالجور اضيق". و لعل ذلك خلق كيمياء تنوع من التسييد الباكر على الرعية. الا ان تمأسس تسييس العقيدة ابان الامبراطورية الاسلامية الاولى على مبدأ "ان الناس فى الحقوق سواء و لا محاباة لقوى و لا اجحاف لضعيف"[294] كان حريا بان يحييد–نظريا–ما قد يبدو من غلواء السلطة المركزية. و حيث نشأت معارضات متفرقة ما بين الحجاز و العراق و بين مدارس نشات فى كل منها فقد تحولت من وقتها معارضة الخليفة من محض حركة الى ما يشارف الحزب لاول

مرة. و قياسا كان العمل السرى قد نشأ على عهد الحسين ابن على بعد وفاة اخيه الحسن. و قد اثر مقتل الحسين على العمل السياسى باستمرار الحركات الطالبية أو العلوية فى العمل السرى وصولا الى الثورة كما فعل العلويون "لكسب التاييد بالافتاء و "ادلجة خصومتهم"[295].

و قياسا فقد ارتبطت الفلسفة و مدارس الحكمة و الفقه بمذاهب السياسة حول مفهوم السلطة بغاية "التمييز بين الامام الحق و الحاكم المغتصب"[296] و كان ذلك حريا بان يتحول فى تطوره الى ما بات يشارف التعددية الحزبية. على ان اهم ملامح تلك التعددية عبرت عن نفسها فى فرق ما بلت يسمى الخوارج. فقد كانت تنويعات باكرة قد انشقت باكرا عن على(رض).

وحيث كان الخوارج قد رفضوا مبدأ التحكيم فى بيعة صحيحة لعلى فانهم لم ينفكوا ان جاهروا بتكفير على. و رغم ان الخوارج ادعوا ما يشارف الديمقراطية ازاء من اعتبروهم عقائديين متطرفين الا انهم هم رفضوا الحوار و التفاوض و الاقناع و بقوا على عداء لكل من العلويين و الامويين و قالوا بعزل الخليفة و بتكفيره بل قتل كل من ينحرف عن الدين–دينهم هم و قد فسروه عقلانيا وكأنهم الادارة الامريكية 43 حيث عقدت الوطنية بالتقوى و العكس صحيح.

و بالمقابل فقد جأر الخوارج و من على شاكلتهم مثل بعض أطياف المعتزلة بتكفير مرتكب الكبيرة الخ. و مع ذلك كان الاخيرون هم انفسهم من لم يعمل بذلك, فلم يلتزم الخوارج و تنويعاتهم فى المقياس المدرج بنص موجود بل كانوا اميل الى التطرف و التنويع على النص الموجود. و لم يعملوا بنص افتوا به حول الكبيرة. و مع ذلك او ربما بسببه فقد "كان للخوارج نشاط تشريعى ملحوظ يقوم على تكفير مرتكب الكبيرة و التشدد فى امور الدين و العمل بالكتاب و الاجتهاد فيما لم يعملوا هم به نصا او يفتوا به"[297].

وقد افرز قول الخوارج ب"الارجاء" ما يسمى فرقة المرجئة جراء خلاف الخوارج بشأن الخليفتين الثالث و الرابع فنشأ الخلاف تباعا حول تطابق مفهومى الخلافة و الامامة و لم تلبث مدارس عدة مثل مدرسة السلف و اهل الحديث الى مدرسة الرأى و غير ذلك ان نشأت فى الحجاز و فى العراق. و الى ذلك حيث كان النبى صلعم قد اشار بما يشارف تحريم تسجيل حديثه و امر من كانوا يدونونه بالتخلص مما كتبوا فقد احرقت احاديث النبى صلعم.

و بالمقابل فمن المفيد تذكر أن المسيحية الغربية اليهودية ادعت قياسا القيام "على اساس من اقوال الانبياء مقابل كتاب عزيز منزل من البارى عز و جل لا يأتيه الباطل متحرر من الكهنوتية و التعريف"[298]. فكيف يمكن التعرف على و تعريف عقلانية الخوارج والمعتزلة السياسيين ابان الخلافات المشرقية وهل تعالق الاخيرون و اعراب الشتات و الخزر فى سياق الخلافات الاسلامية الباكرة؟ و ما هى تنويعات تمثل تلك العقلانية الاعرابية ابان الخلافات الاسلامية؟

الخزر و الخوارج و المعتزلة:

لا يفرق بعض المؤرخين بين الخوارج و بعض النظائر العاصية للامامة باسم الامامة و النص جميعا. ولا افرق فى بعض القضايا المفصلية فيما يتصل بعلاقة الفرد بالله و بالكتاب و بالسلطة القائمة الخ و بين الخزر. فقد تعاصر ظهور بعض تلك الطوائف و الحركات و الثورات و الانتفاضات الشعبية المشبوهة وأهمية قبائل الخزر فى المنطقة المتاخمة شمالا للعباسيين جراء امتدادات الفتوحات الاسلامية. و قد اتصلت تلك الاهمية تباعا بكل من نشوء ما يسمى بامبراطورية الخزر فى بيزنطة المخزرنة منذ منتصف القرن الثامن و ببيعة معاوية و نشوء الخلاقة الاموية على مشارف بيزنطة و قد تبادلت الاخيرة مع الاولى تعالقا ازعم انه كان حريا بان يكون على اهمية كبيرة و ان بقيت تلك الاهمية غير متعرف عليها بصورة كافية.

ذلك ان الخزر بقوا اقوام شبه اسطورية يحوط وجودها الغموض و تتعدد حولها الروايات مما اناقش بعض ملامحه ادناه. و لعل احتكار الخزر تجارة المتوسط كان حريا بان يخصم على الفينيقيين بعد هزيمة روما لقرطاج. و يقول بعض المؤرخين ان الخزر اصل الاشكناز ويؤكد بعض المؤرخين المحدثين ان الخزر اصل اوليجاركيي جمهورية البندقية الحرة ولعل

الاخيرون سيطروا على سلطة اهم و اقوى دولة مدينة فى ايطاليا بنهب القسطنطينة مما قيض لهم ثروة لا يضاهيها شئ فى تاريخ اوربا الغربية سوى غنائم ما يسمى "الكشوفات الجغرافية الكبرى" و منهوبات شبه القارة الهندية من بعد.

المتكلمون و المعتزلة:

يقصد بالمتكلمين او أهل الكلام الذين اعتمدوا على العقليات فى تقرير العقيدة كالكلامية و الاشاعرة الاوائل و الماتريدية و الجهمية و المعتزلة. على ان أصل تسمية المتكلمين بقى غير معروف الا بقدر ما نسبوا الى اهل الكلام الا ان أول المتلكلمين عرف بالمعتزلة. و يقول حسين مروه ان علم الكلام ينتظم جملة المسائل ذات الشكل الديني الت اثارتها انواع الصراع الاجتماعي السياسي ف المجتمع العرب–الاسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين ثم تحولت الى مركبات من الافكار عن عالم ما وراء الطبيعة حتى كادت تحتجب ابعادها الاجتماعية وراء ضباب التجريدات مضاف الى نظرات ذات اتجاه فلسفي عن العالم الطبيعى من زاية نظر لاهوتية".

و يقول اتاذنا حسين مروه انه في "كل من هذه المسائل او فى رعضها او فى مجموعها كانت دائما –اذا نظرنا الى ابعد من الظاهرات الشكلية للافكار–منطلقات واقعية اجتماعية اى انها ناشئة بابعد جذوره عن مواقع اصحاب هذه الافكار فى التركيب الاجتماعي." و من المهم ملاحظة ما قد تعنيه مواقع اصحاب هذه الافكار مما سوف نحاول رده الى ما قد يكون قد اصدر عنه فعلا. هذا و يضيف مروه ان "علم الكلام قطع مرحلتين رئيسيتين خلال تلك المسيرة التى اشتغرقت نحو ستة قرون مرحلة علم الكلام المعتزلي ومؤسسها واصل ابن عطاء–748 م و مرحلة علم الكلام الاشعري حتى عهد اشهر المتكلمين السلفيين المتأخرين ابن تيمية 728 هحرية القرن الرابع عشر الميلادي"[299].

و قد اثارت حركة المتكلمين من المعتزلة فتنة بقى سعارها يشتد على مر السنين حول ما اذا كان القرآن مخلوق ام منزل فيما انتشرت الفوضى تحت شعار عزل الخليفة و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر الى التكفير تزويقا لما شارف الديمقراطية ما بعد الليبرالية قياسا على ما يبدو من حركات السنة المحافظة. ذلك ان المنادين بالامر بالمعروف لم يكونوا ليحتملوا رأيا مخالفا لهم تحت راية ما شارف حرية الرأى و نقد التطرف و السلفية و جمود افكار المسلمين و العزوف عن الحوار و الجهاد فى الفكر. فقد كان يحفظهم السنة امثال ابن حنيل الذى تخصص فى الحديث و الف كتابه الموسوعى "المسند" و اهم و اكثر المؤلفات توفرا على الاحاديث و نقدها و تفسيرها. و لعل ذلك كان وراء خصومة المعتزلة له و هم الذين ينكرون كل ما خلا ما يمليه العقل حتى القرآن الا بوصف الاخير مخلوق. و من المفيد تذكر ان المناخ الذى ظهرت فيه طوائف الخوارج المعتزلة واصحاب الكلام كان قد اتسم بكل من:

–انتهاء عهد الفتوحات و بداية استقرار الولايات و الامصار بين شعوب جديدة

–اختلاط العرب و المسلمين بتلك الشعوب و الاخذ عنهم و التأثر بهم بقدر ما اثر العرب والمسلمون فى تلك الشعوب.

و ازعم ان مثل تلك الكيمياء كانت حرية بان تنتج ظاهرة جديدة على عرب الجزيرة و على شعوب المناطق المفتوحة معا مما كان من شأنه ان يخلق شرط نشوء عقل جديد يتعين على التعامل مع واقع جديد و مركب و قابل للتحور بصورة متسارعة مما قد يشارف تنويع على العولمة. و اجادل ان نتاج تلك العولمة كانت حرية بان تعبر عن نفسها فى التعامل المسمى عقلانى بمعنى ذلك الذى يصدر عن كل من الحذر و عن اصحاب المصالح الخاصة الجمعية و الفردية ازاء الجماعات الجديدة. و لعل الاخيرة كانت بدورها قمينة بان تفعل المثل و ربما كان بعضها كالاعراب و الخزر و غير تلك الشعوب ممن يترحل و ينتقل و يختلط بغيره بدوره كانت قد نمت لها تنويعا باكرا من العقلانية التى تتصل بالتعامل مع شعوب وافدة او–و مضيفة او ضيفة الخ.

تنويعات المعتزلة و الاعتزال [300]:

يقول بعض المؤرخين ان المعتزلة فرقة كلامية ظهرت فى البصرة فى القرن الهجرى الثانى. ويقول اخرون ان الاعتزال سابق على ذلك بل انه اتصل منذ الاسلام و ان النبى و صحبه كانوا معتزلة. و للمعتزلة فرق عديدة كالاشعرية– و قد

تاب معظم الاشاعرة على عهد المتأخرين منهم فعاد الى السنة نادما على مغالاته تكاذبا مثلما تفعل تنويعات الفرق التى تتقرب الى السلطة دون ان تستولى عليها الا بقدر ما تفعل ذلك غالبا من وراء الستار ثم ما تنفك تتقلب عليها و العكس صحيح مما يلاخظ الناس تمثلاته فى الزمكان و بخاصة على مر التاريخ غير المكتوب. فقد كان الاشاعرة قد انقسموا عن المتعزلة و لعل الاخيريين تنويع على الخوارج مثلما باتت بعض فرق الاشاعرة تنويع على المعتزلة وهكذا. و من الفرق الاخرى الماتريدية لصاحبها ابى منصور و تقف الماتريدى–بين الاشعرية بخاصة اوائلهم و المعتزلة[301] و كالاباضية و المتكلمين الخ[302] موقفا يستحق التأمل بدوره.

و يقول البعض أن المعتزلة و احيانا الخوارج اعتزلوا الانخراط فى السياسة و انهم وقفوا بين متزلتين من فتنة مقتل عثمان –و تشارف مقتل يوليوس قيصر–و صفين و مبايعة معاوية و على(رضى الله عنه). و قياسا قيل انهم من انصار المنزلة بين المنزلتين من مرتكب الكبيرة و ما اذا كان واحدهم كفر و لم يكفر الاخر. و قد ظهر المعتزلة فيما يقال ايضا على عهد النبى صلعم و كان اولهم شخصية عبد الله ابن السبا ثم ابان فتنة و اغتيال عثمان ثم لم يلبثوا ان ظهروا فى بغداد على عهد العباسيين. و يقال فى معنى المعتزلة انهم اعتزلوا بمعنى اعتصموا خارج الصراع الدائر على الخلافة بين على و معاوية بعد ما يكون بعضهم قد اجج الصراع كعادة اعراب الشتات حتى اليوم. الا ان عليا رضى الله عنه كشف تخاتلهم حيث قال فى المحكمة(بشد الكاف) منهم بين على و معاوية بالبيعة و الاختياز فرد اليهم ما سمع منهم من "قولة حق اريد بها باطل" مما اناقش بعضه ادناه و قد يعود تأجيج الصراع باكرا الى "عبد الله ابن سبا الذى كان اول من اشعل حركات و انتفاضات الامر بالمعروف و النهى عن المنكر على نحو واسع بصورة غير مسبوقة فى امصار المسلمين[303].

المهم يغدو الاعتزال المتخاتل بالمعنى اعلاه هو ادعاء الوقوف بمنأى عن الفتنة وعدم الانخراط بمسألة قتل الخليفه الراشد عثمان رضي الله عنه ولا معركة صفين حيث وقف المعتزلة خارج الاقتتال[304]. اما معتزلة القرن الثاني فهم استمرار للمعتزلة الأوائل ولكن النظرية الأقوى منها أن المعتزلة هي اعتزال (واصل بن عطاء) للإمام (الحسن البصري) في الحكم على مرتكب الكبيرة، وكان الحكم أن الاخير مؤمن فاسق وتقول الرواية أن واصل بن عطاء لم ترقه هذه العبارة وقال هو في (منزلة بين منزلتين) وبسبب هذه الإجابة اعتزل مجلس الحسن البصري وكوّن لنفسه حلقة دراسية وفق ما يفهم ويقال حين ذاك أن الحسن البصري أطلق عبارة (اعْتزِلنا واصل).

و يجمع معظم المؤرخين ان المعتزلة هم جماعة على واصل بن عطاء و اصحابه اعتزلوا مجلس الامام حسن البصرى فى 110 هجرية حوللى 742 ميلادية و يقال ان جماعة واصل اختلفت مع البصرى حول تصنيف مرتكب الكبيرة وحيث كفر المعتزلة مرتكب الكبيرة باطلاق فانهم لم يسمعوا الى رأى البصرى حين استفتي فى مجلسه بل قال واصل ان مرتكب الكبيرة بين منزليتن و خرج من عند الحسن البصرى فقال الاخير "اعتزل عنا واصل. فسمي هو وأصحابه معتزلة"[305].

فما ان اختلف واصل ابن عطاء و الامام الحسن البصرى على الكبيرة و اعتزل الاول مجلس الثانى حتى نشأت التنويعة الثانية من المعتزلة و يقال الخوارج و يخلط بين الاثنين احيانا. و تقول المنزلة بين المتزلتين بان الانسان ليس مؤمن ولا كافر فيظل على هذا الحال فإن تاب أصبح مؤمن وإن لم يتب حتى موته يخلد في النار. و كان سفر تكوين اخرى كما قلنا فى مكان اخر عندما جأر عبد الله ابن سبأ يتهم النبى صلعم و كان يوزع الغنائم غب احدى الفتوحات ب "لا اراك قد عدلت" وما كان الى ذلك من امر بن سبأ عشية مقتل عثمان والفتنة و بعدهما فى ادعاء الوقوف بين متزلتين من فتنة مقتل عثمان و صفين و مبايعة معاوية و على. و يميز موقف المعتزلة من هذه المسألة المعتزلة–وتنويعاتهم اللاحقة من وغيرهم، أهل السنة–عن غيرهم اصلا.

و يقول ابو الحسن البصرى انهم هم اللذين اطلقوا على انفسهم اسم المعتزلة. فعندما بايع الحسن بن على رضى الله عنه معاوية اميرا على المؤمنين اعتزلت تلك الجماعة كل من الحسن و معاوية و جميع الناس احتجاجا بادعاء انهم من اصحاب على. و يقال انهم من ثم لزموا منازلهم و مساجدهم و اكتفوا بالاشتغال بالعلم و العبادة فسموا معتزلة[306]. و لا

يمكن أن تكون نشأة فرقة كبرى كالمعتزلة آتية من مجرد كلمة فمذهب المعتزلة عقلاني ولا يمكن أن تكون هذه الكلمة مبدأ لمجموعة من المبادئ الكبرى التي يشكلها فكر المعتزلة[307]. و يؤكد بعض المؤرخين ان الداعي لظهور فرقة المعتزلة "ظرف حضاري أو تاريخي لأن الإسلام عند نهاية القرن الأول كان قد توسع ودخلت أمم عديدة وشعوب كثيرة في الإسلام ودخلت معها ثقافات مختلفة ودخلت الفلسفة ولم يعد المنهج النصي التقليدي النقلي يفي حاجات المسلمين العقلية في جدالهم. والمنهج الذي يصلح لذلك هو المنهج الطبيعي العقلي والذي سيصبح أهم المذاهب الكلامية من الناحية الخالصة فهو أكثر المذاهب إغراقا وتعلقا بالمذهب العقلاني"[308].

هذا و المعتزلة و يخاصة الخوارج لهم تنويعات غربية يتعرض لها هذا البحث و يقارن مبادئها الخمس بمبادئ المدارس او الطوائف المسيحية الغربية التى نشأت لاسباب و ظروف مشابه فى القرن الخامس عشر والسادس عشر فى اوربا الشمال غربية على الخصوص. و ازعم انهم من اوربا الجنوبية(البندقية). و قد هاجرت تلك المدارس مع من يطلق عليهم الحجاج التطهريين او الحجاج الاباء الاوائل للولايات المتحدة. و ما يبرح احفاد الاخيرين يحكمون امريكا الشمالية فيحكمون من ثم العالم تحت مسميات منها المسيحية الغربية اليهودية و المسيحية الصهيونية ما اعرفه باليسوعوقراط.

بعض اهم مبادئ المعتزلة:

يقول المعتزلة ان "الإنسان لا يولد عليم ثم يصبح عليم(و طبعا يقصود بالعليم علية القوم و السادة دون العامة الدهماء الغوغاء) ، فهذه الصفات ليست زائدة عن الذات إنما هي عين الذات الإلهية (العلم–القدرة–الإرادة –الحياة–السمع–البصر–الكلام) سبع صفات للذات. الكلام صفة الفعل وليست صفات الذات. و صفة الذات هى الصفة التي لا يجوز أن يوصف الله تعالى بها و بضدها فلا يوصف الله تعالى بالعالم و الجاهل و بالقادر و العاجر مثلا, ومن تلك الصفات صفات الفعل. و يجوز وصف الله تعالى بضدها مثل المانع و المانح. و يقول المعتزلة أن صفات الله الستة لا تنفصل عن الذات وإنما هي عين الذات الإلهية.

فالله تعالى سميع بسمعه وسمعه هو عين ذاته، بصير ببصره وبصره هو عين ذاته وهكذا... لأنه إذا قلنا أن الصفات ليست عين الذات فمعنى ذلك أن هناك تعدد و تجزؤ في الذات الإلهية و هذا لا يجوز لدى المعتزلة كون ذلك شرك ..... ومعنى ذلك أننا نقع في الشرك بقول ما هو أفظع من قول النصارى في الله[309].

و ينسب الى المعتزلة تحكيم العقل دون سواه و ينسب اليهم القول بان العقل والفطرة السليمة من شأنهما هداية الانسان و قيادته الى الحلال و الحرام فهما قادران على تميز الحلال من الحرام. و يقول بعض المؤرخين حسب موقع الدكتور محمد باسل الطائي– قسم الفيزياء–جامعة اليرموكاربد–الأردن على شبكة المعلومات" ان الانسان يكون معتزلا بالايمان بخمس مبادئ التوحيد/ العدل/ المنزلة بين منزلتين/ الوعد والوعيد/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. و يعتقد المعتزلة أن المبدئيين الرئيسيين هما التوحيد والعدل لذا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد". و ليس كل معتزل ملتزم بتلك المبادئ[310].

فما هى مبادئ المعتزلة الخمس اختصارا؟

1–التوحيد: وله مفهوم خاص عند المعتزلة, و هو يعني عندهم التنزيه المطلق و التوحيد بين الذات والصفات. ويعبر المعتزلة عن التنزيه فى "و الذى "ليس كمثله شيء" فلا تشبيه ولا تجسيم وتنزيه الله تعالى عن أن يكون مثل الأجسام أو الموجودات الحسية ونفي أي تشبيه بين المخلوقات والله، ولا يقبل المعتزلة الآيات التي تفيد التشبيه على ظاهرها بل يؤولونها مثل "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام" فيخرج المعنى الظاهر لكلمة (وجه) و يغدو المقصود بها الذات. و كذا يغدو التوحيد بين الذات والصفات بوصف الله ذات و وجود وكذا يتصف الوجود بصفات ذكرها الله في كتابه وصف الله بها نفسه بأنه عالم، كبير، قدير، سميع، خالق، بصير. والخروج من هذا المأزق بالتوحيد بين الذات و الصفات فصفة العلم هي الذات نفسها، فالشيعة والخوارج والإباضية أخذوا بهذا المبدأ، وهذا هو معنى التوحيد عند المعتزلة ويترتب على هذا المذهب بعض المواقف العقيدية مثل نفي رؤية الله لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. "وجوه يوم إذن ناضرة إلى ربها ناظرة".

إلى ليست حرف جر بل تعني النعمة/ ناظرة أي تنتظر تمشيا مع مبدأ التنزيه فإذا رؤي الله بالأبصار فهو جسم[311].
وخصوم المعتزلة يسمونهم المعطلة أو أهل التعطيل أي عطلوا أن يكون للصفات وجود متمايز.

-تعالق قداسة و تنزيه السلطة و التوحيد:

اجادل ان اخطر ما قام به المعتزلة حقا و من وراء تزويق الايات و تصويغ ما يرومون من وراء التأويل المتخاتل و المجاز و الكناية الخ هو تنزيه المعتزلة سلطة المأمون ضمنا اى سلطتهم هم. فقد كانوا هم الحكام الحقيقيين للخلافة يومها. ويرى بعض المؤرخين ان "الوجه الثوري لعلم الكلام المعتزلي يتمثل فى منهجه ذاته اى في جانبه العقلاني" المعتزلي". ذلك ان عقلانية المتعزلة تصدر عن "الاطار العام للايديولجية اللاهوتية الرسمية دون ان يخرج عنها .. و ان الفكر المعتزلي يقوم على مبدأ التنزيه المطلق للذات الالهية و هو مفهوم التوحيد الرسمى. و هذا يتضمن وحدانية الحقيقة و هى الحقيقة الدينية اى الشريعة ذات المصدر الالهي الاوحد. و هذا هوا ساس لايديولوجية الطبقة الحاكمة فى دولة الخلافة الاسلامية. ذلك ان دولة الخلافة من حيث كونها دولة الاسلام تصع نفسها فى مكان الممثل الشرعى الوحيد للنظام الاجتماعي الذي تحدده الشريعة الالهية على هذا الاساس تترتب معادلة ذات صورة منطقية تنتج المستند النظري الاسلامي لمفهوم "الحق الالهي" فى الحكم المطلق و هذه المعادلة تاى على الوجه التالي"

-النظام الاجتماعى الذي تؤيده الشريعة هو نفسه نظام دولة الخلافة

-و الشريعة التى تقيض النظام شريعة الهية فهي مقدسة

-النتيجة المنطقية هى ان نظام حكم الخلافة مقدس

-ان تلك القداسة تمنح الطبقة الحاكمة-اى المعتزلة-حث السيطرة المطلقة

-ان اى اعتراض علىتلك السلطة او الخروج عن طاعتها ناهيك عن الثورة بلا مدلول قانوني. اى ان معارضة السلطة فى تشريع هذا الحكم ليس سوى "الهرطقة" الدينية

-ان معارضة تلك السلطة اعتراض على حكم الله وهو خروج عن طاعة اولى الامر-و قد فسروا اولي الامر بالحكام-التى فرضها الله[312].

2-العدل و القدر(الجلي) و الجبر:

من مبادئ المعتزلة العدل و" يتصل مفهوم العدل لديهم بالقدر و الجبر و الارادة. و فى رسالة نسبت إلى الحسن البصري كتبها إلى عبد الملك بن مروان وقد ساله عن القول بالقدر والجبر فاجابه فيها بما يوافق مذهب القدرية واستدل فيها بايات من الكتاب ودلائل من العقل ولعلها لواصل بن عطاء فما كان الحسن ممن يخالف السلف في ان القدر خيره وشره من الله تعالى فان هذه الكلمات كالمجمع عليه عندهم. وكذلك اوردها جماعة من المعتزلة في المقالات عن اصحابهم"[313].

3-العدل: العدل حسب بعض المصادر الاليكترونية كالمواقع الخاصة و كالوكيبيديا المذكورة ادناه و مراجع اخرى "مبدأ هام في فكر المعتزلة لأنهم يربطون بين صفة العدل الأفعال الإنسانية ويرون أن الإنسان حر في أفعاله وهم يقولون ذلك لكي ينقذوا التكليف الشرعي لأن الإنسان المسلم مكلف شرعيا والإنسان مسئول عن هذه الأفعال حتى يستقيم التكليف ويكون الثواب عدلا والعقاب عدلا". و لا يقول المعتزلة و من درج على فلسفتهم مثل مفكري التنوير و المبدأ الانسانى مثلما فعل أو لم يفعل فلاسفة اثينا اى انسان يقصدون. فالاخيرون جميعا من انصار الفكر الصفووي النخبوي الذي يحتقر العامة و يذري بهم مما ذكرنا طرفا منه فى مكان اخر.

4-الجبر: :يواجه المعتزلة ب"التكيف الشرعى مفهوم الجبر و الجبرية" الذى كان اصلا وراء خروجهم عن الخلافة و امر امير المؤمنين تذرعا يومها(تذكر(ى) "الخروج" و "التذرع"). و كانت الافعال عند امير المؤمنين يومها "من خلق الله والإنسان مجبور عليها" فيما يقول المعتزلة ان الانسان مسئول عنها. ذلك ان المعتزلة يرون أن عدل الله يقتضي أن يكون الإنسان هو صاحب أفعاله. يترتب على القول بالعدل الإلهي بأن الله لا يفعل الشر فأفعال الله كلها حسنة وخيرّة "[314].

-الخير و الشر و مبرراتهما[315]:

يقول المعتزلة "أن الله يفعل ما هو الأصلح لعباده و لا يمكن أن يفعل الشر لعباده. ويتمثل المعتزلون الذات الإلهية خيرا مطلقا، ويقولون باللطف الإلهي أن الله يهدي الناس إلى ما فيه الخير لطفا بهم. وذلك ان القول بالحسن والقبح الذاتيين أو العقليين، المقصود بهما أفعال الإنسان الحسنة وأفعال الإنسان القبيحة. فمثلا الصلاة فعل حسن، التصدق فعل حسن، إطعام المسكين فعل حسن.../ الزنا فعل قبيح، الاعتداء.. أفعال سيئة قبيحة[316]. و يقصد بالحسن و الفبح الذاتيين أن الأفعال تحمل في طبيعتها الذاتية الحسن أو القبح ففعل الزنا في ذاته قبيح. و ليس هناك تعارض بين ما هو نقلي وعقلي. ففقه الأحكام يتسع وهذا مدخل من مداخل الاجتهاد الأساسية"[317].

و الشر لدى المعتزلة "إما من الإنسان، أو لا يكون شرا. و قياسا ينسب الى الرواقيين التمييز بين قيمة الخير وقيمة الشر ويقولون "هناك أشياء خيره وأشياء شريرة وأشياء بين البينين. ولعل هذه هي فكرة المعتزلة عن الحسن و القبح و الخير و الشر بالقول بمنزلة بين منزلتين إذ تأثروا بالرواقيين وقد تشكل الإعتزال كمذهب في القرن الثاني.

-العدل و خلق القرآن[318]:

يترتب على مبدأ العدل "عند المعتزلة أيضا القول بخلق القرآن، فالقرآن كلام الله تعالى والكلام صفة من صفات الله فالله متكلم وكلم موسى تكليما وصفة الكلام هي إحدى الصفات التي يعتبرها بعض المسلمين صفات ذات (صفة الذات هي صفة يوصف الله بها ولا يجوز أن يوصف بضدها مثل الحياة والإرادة). والمعتزلة يعتبرونها صفة من صفات الفعل (لماذا؟) لأنها من الصفات التي توصف بالحسن أو بالقبح وبالطبع توصف بالحسن لله.. يقول المعتزلة كلام الله مخلوق أو حادث أي أنه وجد بعد لم يكن موجودا وتكلم الله به بعد لم يكن متكلما. و لم يلبث الخليفة المأمون أن فرض القول بخلق القرآن كما قلنا فى مكان اخر وطلب من الجميع أن يقروا بذلك و اعتبر القول بقدم الذات الإلهية ضرب من الشرك المضاد للتوحيد اى ما يشارف و ربما يعنى الهرطقة. و تعنى الهرطقة لدى المعتزلة تسويغ او-و اعتناق أي عقيدة خارجة عن العقيدة الإسلامية أو العقيدة الصحيحة. و يتصل بهذه المسألة خلق القرآن. ف"القرآن يقول عيسى كلمة الله. س/ هل الكلمة قديمة أم حديثة؟ إذا كانت قديمة فعيسى قديم إذن عيسى إله، و إذا كانت حديثة فعيسى حادث فهو بشر. لذا المعتزلة قالوا بخلق القرآن وأنه حادث ومخلوق وليس قديم والذين لا يقولون بخلق القرآن يضاهون قول النصارى بأن عيسى إله. و يقول بعض اليهود بخلق التوراة. "فقد روى ابن الاثير... ان لبيد ابن الاعصم اليهودى كان يقول بخلق التوراة و ان ابن اخت طالوت صنف فى خلق القرآن فكان اول من فعل ذلك فى الاسلام. و ذكر ابن الاثير انه كان زنديقا افشى الزندقة."[319] و لا بد من التوقف عن عيسى و التوراتو المريم العذراء و ما اذا كان ذلك من الاسرائيليات او ربما بداية اختراق الاسلام بها.

ولا يقول أهل السنة إجمالا أن كلام الله قديم وبعضهم يقول لا قديم ولا حديث ويسمون (الواقفة)". و لعل الاخيرين تنويع على المنزلة بين المنزلتين بدورهم.

القول بالوعد والوعيد:

يعرف القول بالوعد و الوعيد عند المعتزلة و نظائرهم "بوعد الله تعالى المؤمنين بجنة وتوعد الكافرين والأشرار بالعذاب وجهنم. س/ هل الله ملزم بإنفاذ وعده ووعيده أم أن الأمر ممكن أن يكون على وضع آخر؟ مثلا واحد يصلي ويصوم الخ... هل حتما يدخل الجنة؟/ واحد لا يصوم ولا يصلي الخ... هل حتما يدخل النار؟ يقول المعتزلة (نعم) الله ملزم بإنفاذ وعده والعدل يطلب ذلك ويشترط ذلك والوعد والوعيد فرعان من العدل، وليس هذا رأي المسلمين فالأشاعرة الاوائل يقولون عن القرآن أن الله قد وعد تقاة المؤمنين بالجنة فلا بد أن يدخلوها و توعد الكافرين بالنار فلا بد أن يخلدوا فيها أما عصاة

المسلمين والمذنبين فهم تحت مشيئة الله فمنهم من يعذب في النار لفترة من الزمن ثم يدخل الجنة ويخلد فيها ومنهم من يغفر الله له كأن يشفع له النبي فيدخل الجنة من غير أن يعذب في النار. الله لا يلزم بشئ إنما ما توعد به لا بد أن ينفذ فهذه مشيئته ومشيئة الرحمن لا تتقلب[320]. و حيث قال أحد الباباوات أن الدين الإسلامي لا يخضع للعقل ألا ان المعتزلة قالوا أن الله عقلاني وأفعاله تلتزم بمتطلبات العقل فوعد الله حق و وعيده حق والعدل الإلهي يوجب ذلك. و ينبغى الاشارة الى شفاعة النبى صلعم بما ان المعتزلة و من لف لفهم ينكر السنة و الحديث مرة و يصدرون عن بعضه انتقاءا.

5-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تلزم هذه النقطة المسلم المعتزلى بالتدخل ومنع المنكر ومن واجبه أن يأمر الآخرين بالمعروف. و يعرف المعتزلة و من تبعهم درجات الأمر بالمعروف وما اذا كان يحق للمسلم ألتدخل بالقول (باللسان) مثلا ليقول ان هذا عيب، حرام، لا يجوز، او بالكتابة اى بقلمه أم يتدخل بيده بالدخول فى عراك مع مرتكب المنكر أو يثور منتفضا بالسلاح بوصف الثورة احدى وسائل مواجهة المنكر متمثلا فى الظلم. و قياسا فالعدوان والاحتلال و الاستعمار و الاستحواذ على مقدرات المسلمين ظلم. فمواجهة المنكر تبدأ بالهداية و الامر بالمعروف و تنتهى بالثورة. و لم يقل بقية المسلمين بابعد من "من رآى منكم ظلما فليدفعه بقلبه او بيده او بقلمه وهو أضعف الإيمان.

الحسبة و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر:

يعتبر "نظام الحسبة تجسيد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[321] و قالوا مثلما قال بعض العقلانيين الاوربيين فى القرن الثامن عشر أن على الدولة "مسؤولية فعل ذلك بسن القوانين". و كان الأكثر شيوعا عند المعتزلة هو "النصح والقول أي التغيير باللسان ولم يلجأ المعتزلة (بصورة مباشرة) إلى اليد والثورة إلا مرة واحده سنة 144هـ. مع بشير الرحال في خلافة أبي جعفر المنصور حين خرجوا مناصرين للإمام الشيعي الزيدي-محمد بن إبراهيم بن الحسن بن علي الملقب بالنفس الزكية. و ثاروا في وجه أبي جعفر المنصور فبعث لهم جيشا قضى عليهم جميعا. وهذه حالة واحدة وإجمالا كانوا يتبنون موقف النقد القوي"[322]. الا ان ذلك لم يمنع الدولة التى ناصروها و ربما سيطروا على السلطة فيها من خلف الابواب المغلقة لم تتردد فى ان تعصف بخصومها و تثابر على ذلك حتى شارف بعضهم الموت و-أو اوردت بعضهم موارد التهلكة

و مع كل ما تقدم من التحليل الذى يعتقد اصحابه ان العقلانية منتهى القدمية بل الثورية ايضا فقد بقى معظمهم و ربما اهم من تناول مسألة المتعزلة و السلطة بخاصة سلطة الخلافة الاسلامية على عهد العباسيين يرفض رؤية ما هو ماثل روى العين من تداعيات عقلانية المعتزلة. بل الاهم لا يرى البعض الى تخاتل الفكر المعتزلي ازاء اهم مقومات الفكر الاجتماعى التطوري المبدع فى تنظيم التغيير الاجتماعى ودور المعارضة ناهيك عن دور العامة و جماهير المنتجين لثرواة زمان ازدهار اقتصاد الخلافة العباسية الهائلة و عصرها الذهبى جميعا.

هل علم الكلام المعتزلي تنويع على القدر الجلى و حق الفتح؟ ام ان المعتزلة تنويع على المحافظين التروتسكيين الجدد؟

يقول الغزالى أن دفع الظلم و المنكر "من حق الدولة (أولي الأمر) لأنه ان دفع احد غير الدولة الظلم "ممكن أن يربك الأمن العام ويعمل صراعات شخصية ويترتب عليه فتنة وعصيان واضطرابات مدنية وأمنية". و يكاد رأى الغزالى فى مواجهة الرعبية-الشعب لظلم حاكم او عدوان غاز او محتل بمثابة موقف عقلانية حق الفتح والتدافع نحو الاستحواذ على ارض و ثروات الغير. وكان المدافعون عن الحق-المشاع فى الارض-المستحوذ عليها بالقوة يجأرون بان ليس ثمة سبيل الى مقاومة حق اصحاب الارض المستحوذ عليها الا بالسلاح. و قالوا ان ذلك من شأنه ان يشجع العنف. و قد ثابر النهابون على القول بان عدم الاعتراف بالحق المنتزع بالقوة مسألة لا تتسم بالعقلانية و دونها الحرب و العكس صحيح.

فكأن الاستحواذ على ارض الغير و حق الفتح و التدافع نحو اقتسام افريقيا مثلا ليس عنفا فى قاموس العقلانية الغربية. فالعقلانية الغربية تنكر كما ذكرنا اعلاه على المستحوذ على حقهم و المخضعين للاحتلال مثلا مقاومة ما يحيق بهم لان ذلك من شأنه ان يشيع العنف. و كان مالكولم ريفكين وزير الخارجية البريطانية الاسبق قد جأر حين طالب البوسنيون بالسلاح لمواجه الصرب بان تسليح البوستيين–المسلمين–من شأنه يحول الصراع على الارض المعركة متكافئة القوة فى القتل Level killing field. ,

فى ختام هذا العرض الموجز لخطاب المعتزلة ربما كان من أهم ما يكن الرجوع اليه و التفكر فيه هو ما قاله استذانا الجليل حسين مروة فى كتابه الموسوعي النزعات المادية فى الفلسلفة العربية الاسلامية الجزء الاول: يقول مروه مثلا "شاء المعتزلة معادلة الشريعة الالهية التى تعبر عن قدسية السلطة و نظام حكم الخلافة المقدس بدوره حيث تضفى تلك الشريعة على سلطة الخلافة طابع القداسة الدينية" و بعود و يؤكد بصورة تدعو للتأمل انه "سواء فكروا فيه او لم يفكروا فالمسألة ليست منوطة بمشئيتهم اياها او عدم مشيئتهم و لا فى تفكيرهم أو عدم ت تفكيرهم. و ليست منوطة ابضا بان هذا المضمون للفكر المعتزلي صحيح او غير صحيح. فلسنا بصدد الحكم على صحة ذلك اوعدم صحته و انما المسألة التى نحن بصددها هى ان علم الكلام المعتزلي من حيث دلالته الايديولوجية و من حيث علاقة هذه الدلالة بايديولوجية سلطة النظام القائم لدولة الخلافة اذا نظرنا اليه من خلال منهجة العقلاني بذاته كان نظاما تقدميا بالقياس الى موقعه التاريخى. و اذا نظرنا اليه من خلال مضمونه الايديولويجي كان مؤيدا و سندا "نظريا" لتلك الايديولوجية"

و يزيد استاذنا الجليل حسين مروه "غير ان المنهج العقلاني الذى كان هو الامر الجديد المسيطر على اتجاه علم الكلام المعتزلي يبقى له وجهه التقدمي لانه كان الصدمة المؤذية–اى التى اضرت– ب الايديولوجية السلفيه فى عصره"[323].

و لا مناص من القول بان هذه النظرة تضع فكرة ترقى و نشوء و تطور الظواهر الاجتماعية فى محارة الارتقاء اللامتناه شبه الغيبي الذى لا يرى من خلفه او من امامه بل يترك امر المجتمع لعوامل لا دخل لاهل ذلك المجتمع فيها و لا يد لهم حيالها فهى حالة لا مناص منها. على انه لا يسعنى سوى ان انبه الى ان الثلاثين عاما الماضية منذ نشر الكتاب الموسوعى لاستاذنا الجليل حسين مروه كانت غير مسبوقة و كان قد قيض بها كل من:

–شبكة المعلومات و حرية المعلومات

–العري الذي اصاب الرأسمالية تباعا و قد خلفت البرجوازية الصناعية مكانها للرأسمالية المالية

كل ذلك قيض للباحثين ما لم يقيض لهم من قبل من القدرة على استشراف الواقع من فوق هضبة ثورة المعلومات غير المسبوقة. هذا و ازعم ان عقلانية علم الكلام المعتزلي العباسي تنويع باكر على ما يمكن تعريفه يعلم الكلام التروتسكى الذى انجب المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد و نظائرهم ممن بات يعرف نفسه بالمحافظين التقدميين الخ.

الفصل الثاني : هل قيام و سقوط الخلافات الاسلامية وظيفة عقلانية اعراب الشتات؟

كانت تنويعة المعتزلة ممن اعرفهم بما يشارف التروتسكيين اى المعتزلة التروتسكية– قد عاصروا او–و الاحري خلق وجودهم شرط نشوء بعض جماعات و فئات فى المدن العباسية بالعراق تعينت على احتلال مكان جماعات و فئات سابقة عليها كات توالى الامين في مواجهة المامون مثل جماعات الاقطاعيين الرزاعيين و اغنياء الريف من اصحاب الاراضى المتغيبين Absentee landlords مما كان قد خلق بدوره شرط اندلاع انتفاضات الفلاحين مثل ثورة الزنج. وكان الى جانب الفئات المرتبطة بالاقطاعات الريفية ممن ساند الامين ممثلي الاخيرة فى القطاع الفكرى الفقهاء و المحديثن و المفسرين المحافظين التقليديين بالضروؤة[324].

هل حلول التجار و المرابين مكان الرأسمالية الزراعية نشوء ؟

كان الاستاذ حسين مروه قد لاحظ ان كل قطاع من القطاعات التى نشأت ابان العصر العباسي الاول من التجارة و صرافة و الربا كانت قطاعات مربحة و انها كانت بدرجات قد جمعت الى العرب "سائر الاقوام التى كانت تحتويها الامبراطورية العباسية. و اكثر ما تتجلى هذه الظاهرة فى طبقة "العامة" (اى جماهير الكادحين والفقراء) اذ كانوا خليطا من اجناس مختلفة العرب و الفرس و الترك و الزنج و الديلم و الروم و النبط و الارمن و الكرج (الجورجيون) و السلاف و الاكراد والبربر تربطهم جميا اللغة المشتركة (العربية) المسيطرة[325]. ولا يذكر استاذنا الجليل حسين مروة–مثلما لم يفعل كثير من المؤرخين العرب– احتمال حلول جماعات من الخزر بين الاخرين, هذا ؤرغم ان الخزر تاخموا و جاوروا و تاجروا مع العباسيين و مع الامويين من قبلهم بل مع عرب الجزيرة العربية باكرا ايضا[326].

و تتماثل تداعيات وجود اقوام غريبة على الخلافة سواء قبائل اعرابية مغيرة على الخلافة بوصفهم جيرانها منذ بدئ التاريخ أو–و ممن الف جمهورية الخزر الشمالية–بيزنطة–تركيا الحالية–و اليونان الى شعوب نهر الفولجا من الاتحاد السوفيتى سابقا و الجمهوريات الاشتراكية السابقة[327] والخلافات الاسلامية ابان العشرين سنة الهجرية الاولى. و قد عبرت تلك التداعيات عن نفسها فى عوامل اختراق لمجتمع الخلافة على مستوى العامة أو شرائح السلطة. و اجادل ان ثمة قياسات يحتاج المؤرخون التعيين على تبيانها بصورة مفصلة و تفكيك مترتباتها منذ بداية نشوء اتيلا صاحب مملكة الخيام The King of the kingdom Tents[328] وصولا الى أصحاب الرساميل– المالية اللتى تراكم بالنهب حتى ازمة اسواق الائتمان العقارى و ما قبلهما.

فهل ثمة تعالق بين تلك الرموز و ماحاق بالعرب جراء تهجم الخزر و غاراتهم المتصلة على شمال العراق؟ و لماذا تنسحب قوات الخلافة المنتصرة الى ما وراء القفقاز رغم انتصار جيش الخلافة العباسية عسكريا فلا يكرس العباسيون نصرهم على جحافل الخزر ولا سلطتهم على الارض على نحو يذكر او ينسى؟ و هل ثمة صلة بين وجود تلك الجماعات فى تلك المناطق و ما حاق و يحيق بكل من الدول التى تتاخم مضاربهم على مر التاريخ و تباعا مثلما فى العراق وافغانستان و روسيا الفيدرالية؟ ثمة اسئلة اخرى الى ذلك مما قد لا تقيض فرصة لهذه الدراسة الاجابة عليه الا انه من المفيد طرح الاسئلة على كل حال.

ويهمني هنا اكثر من اى شئ اخر مغبة حلول التجار و المرابين من اعراب الشتات و الخزر على المستقرين. و كانت تلك الظاهرية قد تمثلت فى المجتمعات الاسلامية منذ ظهور الاسلام فى الجزيرة العربية حيث يدخل بعضهم فى دين المجتمعات المضيفة ليرتد عنه و ما ينفك يشكك فيه مثلما فعل بعضهم فى معظم المجتمعات المضيفة من ألأسراتية و الرافدية و الخلافات الاسلامية حتى الاندلس فالعثمانية و تباعا وصولا الى مصر و السودان مثلا. و قد اسلم بعض اعراب سلطنة الفونج و اسلم اعراب المهدية ثم لم ينفك اغلبهم أن ارتد ثم راح يشكك فى القرآن[329]. وكان معظم الاخيرين من سفارديم الاندلس بخاصة. و الاخيرون هم اليهود اللذين هاجروا فى القرون الوسطى من الاندلس الى اوربا[330].

تأسلم القبائل العاصية و احتياح مجتمع المدينة:

أسلم خصوم المسلمين فى موجات متتالية من أعراب الشتات والخزر بمغبة الهزيمة أو/و نفعيا بل وحتى اقتناعا. وكان أبو بكر الصديق (رض) قد تعين على شكم القبائل العاصية إبان الفوضى التى اجتاجت الجزيرة العربية والمدينة عاصمة الإسلام غب مقتل عثمان (رض)[331]. وكانت القبائل قد رفضت المعاهدات التى كانت قد عقدتها مع النبى صلعم. وقد قيض ذلك توحيد الجزيرة العربية بالقبائل العربية كما حدا بالقبائل المتاخمة لبيزنطة وفارس وغيرها فى كل مكان احتك به سكان المناطق المعادية بدخول الإسلام. وكانت تلك التحولات حرية بأن تخلق شرط مواجهة الإمبراطورية الإسلامية البازغة لكل من الإمبراطورية البيزنطية المسيحية ثم الخزرية من بعد وإمبراطورية الفرس.

ويقول المسعودي إنه لما زاد اضطهاد أباطرة بيزنطة منذ جستينيان الأول Justinian the First–527–65– ثم هيرقل Hercules في القرن السابع وليو الثالث Leo III فى القرن الثامن وليو الرابع في القرن التاسع ورومانوس في

القرن العاشر راح يهود إمبرطورية بيزنطة يهربون إلى خزاريا وما جاورها. وكان ليو الثالث –الذى حكم روما قبل عقدين من تحول خزاريا إلى اليهودية– قد تعهد بالتسامح مع اليهود إلا أنه لم يلبث أن فسخ ذلك العهد وفرض التنصير على خزر إمبراطورية بيزنطة. وحيث إن تعميد الخزر لم يفلح فى تنصيرهم، فقد ولت أعداد ملحوظة من يهود بيزنطة الفرار. ويقول المسعودى "فى إتيل Itil المدينة الخزرية مسلمون ومسيحيون ويهود ووثنيون. أما اليهود فهم الملك وحاشيته والخزر من قومه"، ويعتقد أن هؤلاء هم القبيلة البيضاء من الخزر الذين كانوا يتكونون من خزر بيض وخزر سود.[332]

ويقول المسعودى ايضا "كان ملك الخزر قد تحول إلى اليهودية على عهد هارون الرشيد وقد اجتمع إليه كافة يهود بلاد الإسلام واليونان–بيزنطة. والواقع أنه في ذلك الوقت من العام 333 الهجرى/ 943–4 أن "ملك بيزنطة (روانوس) نصر اليهود في إمبراطوريته بالقوة... ولم يلبث معظم اليهود أن لاذوا بالفرار من بلاد اليونان الى خزاريا".

التدافع الى التبشير في الخزر وسفر تكوين الصهيونية اليوسوعية:

كان ذلك العهد فيما يبدو عهد التسابق نحو التبشير فى الشعوب وكان كل من المسلمين والنصارى واليهود حسب قول آرثر كويستلر (1976) يجتهد في استقطاب شعوب منطقة القفقاز والمناطق المتاخمة للإمبراطوريات الثلاث في المنطقة. و يقول كويستلر إنه رغم أن التحول إلى اعتناق اليهودية كان حريا بأن يخدم غاية براجماتية وكان من أصله وصوليا كما يمكن أن يلاحظ من مسيرة ذلك التحول بوصفه كان حيلة أو مناورة سياسية إلا أن التحول إلى اليهودية جاء معه بتطورات ما كانت لتحدث لولا ذلك التحول. فقد كان خزر بيزنطة وبلاد الإسلام حريين بأن يأتوا معهم بتجارب فى الزراعة والمعمار والفنون. ويقول ابن النديم حوالى 987 في سجله الموسوعي العالمي–"الفهرست" إن الأحرف العبرية سرعان ما راحت تنتشر في إمبراطورية الخزر[333].

ويقول كويستلر إن إدخال الأحرف العبرية كان حريا بأن يخلق شرط ما اسماه كويستلر "الصهيونية اليسوعية Messianic Zionism" كما جاء برموز"مسيحية بطولية مثل الملك دافيد الروي David el Roi. وقد تعيين داوود الروى ذلك على تجنيد يهود العراق الخزريين وغيرهم في صليبيات دونكيشوتية لاستعادة القدس أورشليم"[334]. و لعل ذلك المشروع بقى يهجس لبعض طوائف الخزر تباعا فقد كان مشروع بينجامين ديزرائيلي من وراء حرب القرم فى القرن التاسع عشر استعادة بعض فضاءات الخزر و لم يلبث المشروع الصهيونى الجديد ان تعين على تكريس مفهوم ارض الميعاد مجددا. المهم رغم ان الظروف التى تم فيها اعتناق الخزر لليهودية تبقى محوطة بالغموض و الالتباسات ما بين ما سجله المؤرخون المسيحيون والمسلمون إلا أن ثمة ملامح معينة واضحة يتفق عليها ومنها ما جاء به المسعودي.

ورغم أن جزءا كبيرا من وثائق المسعودى حول تلك الظروف فقد إلا أن محمد ديماسقي–1327–[335]عثر على تفاصيل هامة تشير إلى واقعتين الأولى أن اضطهاد الخزر كان معاصرا لزمان الرشيد وأن ذلك الاضطهاد كان قد دفعهم إلى الهجرة إلى خزاريا وأن "اعتناق ملك الخزر الوثني لليهودية جاء عقب اعتنافه المسيحية" بعد أن كان قد اعتنق الإسلام وجيزا[336]. ذلك أن "ملك الخزر سرعان ما اكتشف ختل المسيحية حيث كان اضطراب عظيم قد أصابه جراء بعض تعاليمها فراح يناقش ذلك مع واحد من كبار رجالاته. وقد قال له الأخير أيها الملك إن أولئك الذين يملكون الصحف المقدسة ينقسمون إلى ثلاث فأحضرهم لك ليقول كل منهم ما عنده فتختار ما تراه حقيقة". وأتى الوزير الملك بيهودى ومسيحي إلا أن المسلم لم يصل.

ذلك انه حيث كان مبعوث المسلمين رجلا ملما وقوي الحجة فقد سعى اليهودي الى قتله بالسم فسممه فى الطريق فلم يصل، وبذا انتصر اليهودي على المسيحي واعتنق ملك الخزر اليهودية. ويقال إن ملك الخزر كان قد اعتنق الإسلام وجيزا قبل أن يعتنق اليهودية[337] بل كان جيشه مكونا من مسلمين حسب كل من المسعودى وابن حوقل[338]. فهل كان المشروع المعتزلي تنويع على اليسوعانوية الباكرة بدوره ؟

- تحول الخزر الى اليهودية فى عهد هارون الرشيد:

كان العالم فى القرن الثامن مستقطب بين المسيحية و الإسلام و كانت مملكة الخزر الوثنية تتوسط سلطة إمبراطور روما وسلطة خليفة بغداد. وقد خشي الخزر أن تستعدى وثنيتهم جيرانهم عليهم أو حتى تدفع الاخيرين للذراية بهم. ولعل كل من مناخ التذذب بين العقائد الماثلة و زمان الفتوحات و وعودها بفرص النهب و السلب كانت حرية بان تغوى–كما فعلت نظيراتها منذ فتوحات الاسكندر الاكبر مثلا–ان تغوي بعض أعراب الشتات والخزر فى الجزيرة العربية بدخول الإسلام فى ذلك الوقت الباكر أى حوالى النصف الاول من القرن الاول الهجرى[339].

هذاو كانت بعض جماعات الخزر قد رحلت تباعا وأسلم بعضها كما فى كل مرة فى موجات لعل أبعدها أثرا كان فى القرن الثامن الى العاشر على المجتمع الاسلامى إبان الخلافة الاموية و العباسية وتباعا. ولم يكن الأمر يخلو من محاولات المسيحيين والمسلميين التبشير والدعوى في الخزر. و لما كان الخزر قد دحروا الهجوم العربى من القفقاز فلم يكن الخزر راغبين فى اعتناق الإسلام لتغدوا خازاريا ولاية من ولايات هارون الرشيد ولا كانوا راغبين فى أن يعتنقوا المسيحية فيذوبون فى روما. ويعتقد أن ذلك دفعهم إلى:

–أعتناق اليهودية

–اللياذ بدولة تخصهم باتت تسمى إمبراطورية الخيام المتنقلة Mobile tents Empire. ولعل خزاريا كانت سفر تكوين أرض الميعاد أو/و إسرائيل.

فهل كانت بعض تلك الجماعات من التجار والمرابين كعهدها؟

هل ازدهرت التجارة و الصرافة خصما على مرحلة تطور المجتمع؟

يقول استاذنا الجليل حسين مروه ان "الحركة التجارية انتعشت فى دولة الخلافة العباسية خلال عصرها الاول لان العراق منذ اصبح مركز الخلافة هذه اصبح ملتقى الطرق التجارية العالمية فادى ذلك الى ازدهار التجارة واندفاع الكثيرين من سكان المدن الى الاشتغال بها باغراء وفرة الارباح و ارتفاع المكانة الاجتماعية لفئة التجار"وازعم ان ارتفاع تلك المكانة اجتماعيا صحبها ارتفاع فى مانتهم الاقتصادية بالتماس او العكس. فقد كان لبعضهم امتيازات كالإعفاءات الضريبية أو/و الضرائب المنخفضة[340]. و يفترض مروه ان مكانة الاخيرين كانت حرية بان تخصمم على مكانة نظائرهم من الشرائح الاجتماعية السابقة عليهم مما ساد على عهد الامين كطبقة الاقطاعيين الزراعيين.

و لعل مروه يصدر فى ذلك التحليل و فى التالى عن مفهومات مراحل تطور المجتمع حيث يفترض كثير من الماركسيين ان الرأسمالية التجارية الغربية نشأت من رحم الاقطاع الزراعى اما ببيع الاخيرين اراضيهم او–و بما يسمى قانون المذاريب او الحواشات الزراعية Enclosures التى فتتت الملكية الجماعية للاقطاع مثلا وحررت العمل الريفى الحي من علاقات العمل الاقطاعية القنية مما اعود اليه حالا, و يقول استاذنا الجليل حسين مروه ان مناخ تلك المرحلة قيض "ازدهار التجارة "بالارتباط مع توفر انتظام وسائل والمواصلات و النقل و نشاط السوق الخارجية. و هذا المناخ نفسه هو الذي كان قائما بالفعل انذاك. ان الفئات الاجتماعية النامية فى المدن كانت متنوعة طبقيا و قوميا فى مدن العراق و لم تقتصر على كبار التجار و اصحاب الاموال التجارية بل كانت تشمل قطاعات من المجتمع". و يعدد استاذنا الجليل مروه تلك الفئة فيذكر "اصحاب الاموال النقدية – الربوية والمصرفية واصحاب الصناعات الحرفية و شغيلتها المهرة و اصحاب البيوعات البيسطة"[341].

و يقول مروه فى وصف التشكيلات الافتصادية الاجتماعية فى المدن و الارياف العباسية بنشوء تشكيلات بديلة او–و موازية كانت تمتلك رساميل منها المالى و المصرفى و الربوى و التجاري و يمتهن بعضها صناعات و حرف الفت القطاعات المالية و التجارية و الاقتصادية و الحرفية تلك. و يفترض مروه ان الاخيرة خصمت على نظائر اقطاعية ريفية فنشأت الاولى بذلك صاعدة الى اعلى اى حسب اللوحة الخماسية. و افهم من اين يأت

هذا التحليل و الى اين يتجه هذا التحليل تماما. فقد كنا وقتها نتناول الظواهر الاقتصادية الاجتماعية بمسطرة تلك اللوحة حيث لم نكن ندرك بصورة كافية ان الظواهر قد تتحور فتتشوه فتتكص و لا تنشأ بالضرورة صاعدة الى اعلى لترتقى الى ما هو اكثر تقدما على سابقاتها بضرورة المادية الجدلية او الحتمية التاريخية بالاحرى.
و رغم اقرار استاذنا الجليل حسين مروه مرارا بوجود رأس المال المالي و المصرفى و الربوى الا انه بقى راغبا عن استبصار مغبة مثول تلك الظواهر وتحليل تداعياتها الموضوعية التاريخية على المجتمع. و لا يتطرق اتاذنا الجليل حسين مروه–رغم انه ماركسي بل و شيوعي ايضا الى دور الربا– بوصفه لا اقتصاد او اقتصاد افتراضي Virtual economy يراكم خارج المجتمع و خارج تشكيلاته الاقتصادية الاجتماعية–لا يتطرق الى دور الربا فى تشويه الاقتصاد. كما لا يرى الى كيف ان مثول تلك الرساميل فى اعصاب الاقتصاد العباسي و ما اذا كانت قد احلت شرط تكريس اعراض النمط الشرقي من وقتها ناهيك عن الى اين تقود تلك الظواهر المجتمع غالبا.
كما أن استاذنا الجليل حسين مروه-و اركز انا على تحليله ربما اكثر من غيره بوصفه اكثر المؤرخين مسئولية حيال الظواهر التي يتأملها كمفكر ماركسي–لم يركز استاذنا مروه على تداعيات رأس المال الربوي و مغبة الربا من حيث احتمال وجود المديونية الريفية. و قياسا لم يركز بصورة تحليلية كافة على اثر المديونية الريقية و غير الريفية على خلق شرط انتفاء نمو الريف بل فى تكريس تنويعات من الاستلاب التى قد تحل استلاب العمل المسترق مكان استلاب العمل الاقطاعى القنى فتخلق شرط نكوص مرحلة الاقطاع الشرقى او الغربى سمه ما شيت(ي) الى تنويعة ناكصفة على نفسها.
و لعل تلك التنويعة من شأنها ان تخلق شرط مع ظهور ملامح اجتماعية من شأنها ان تدعو الى نوع من زيغ البصر و النظر الاقتصادي الاجتماعي مما قد يخلق التباس منهجى تحليلي. و لا نعلم بصورة قاطعة اثر الربا على القطاعات المدنية و ما اذا ارتهن رأس المال المالى الاستثماري و الربوى الخلافة او ما اذا كان ذلك وراء ارتهان الخلفاء و عزلهم فى سمراء و غيرها. فقليلا ما يتطرق معظم المؤرخين الى كيف ان ظواهر بهذا الوصف حرية بان تخلق شرط تحور المجتمع فنكوصه الى مرحلة سابقة على ما كان عليه مثلما يلاحظه الناس من تحور مرحلة تطور الرأسمالية الصناعية الى مرحلة ناكصة عليها تعبر عن نفسها كما يلاحظ الناس فى كل مكان فى الرأسمالية ما بعد صناعية مثلا.
و قياسا فقد كان ماركس قد تغاضى عن المديونية الريفية او–و لم يركز على اثرها حين اندفع فى تحليل نشوء البروليتاريا من احشاء الريف الانجليزي مثلا كما ذكرنا فى مكان اخر ففسر ظاهرة نشوء طبقة البروليتاريا الصناعية بتداعيات الغاء ممارسات ريفية بعينها مثل الغاء قانون ما كان يشارف المشاعية فى الاراضى القروية فى انجلترا و اسكتلندا. و كان ماركس قد لاحظ ارهاصات نشوء الريف صاعدا فى انجلترا فى القرن السادس و السابع عشر بالنظر الى المفهوم الانجليزى لظاهرة المذاريب الذرابات او الحواشات. و كانت المذاريب او الذربات الريفية و تسمى احيانا حواشات ذات منافع ملحوظة بالضرورة للمزارعين والرعاة و سكان القرى عامة من حيث المرعى و المسيل و انواع المحاصيل الغذائية الزارعية و البرية من ناحية. كما اكتسبت تلك المذاريب او الحواشات Enclosures بالنتيجة سمعة سيئة بين ملاك الاراضى بالطبع Enclosures and their bad name and benefits من ناحية اخرى.
ورغم ان الغاء ظاهرة التذريب كان يعنى لدى ماركس ان الانسان تحرر من الارض بالذهاب الى المصانع[342] الا اننى ازعم ان الحرب الاهلية هى التى كانت من اهم ما اقتلع الناس من الارض. فلم يجند للحرب سوى افراد من الريف. فقد كانت الحرب و ليس اقتلاع الفلاحين من الارض هى التى "حررت" العمل الحى اجل الانخراط فى الحرب و ليس فى سوق العمل. و لعل مفهوم البروليتاريا حريا بان يتصل بالحرب اكثر منه بالصناعة. ذلك انك ما كنت لتجد مجندين من

المصانع بل الاحرى كان المحندون يوجدون فى الريف[343]. و كان اطفال فى سن السابعة و الثامنة يجندون للحرب لقاء الطعام و ربما كساء بسيط جدا مقابل حمل سلاح الضباط مثلما كان الامر فى اسبارتا. و كان معظم الفلاحين المجندين من صغار السن و معدمين و كان يكفى الواحد منهم زوجا من الاحذية و طعام يومه اجرا.

الخزر و ما ادراك ما الخزر

بدأ بعض المؤرخين حديثا جدا يعبر عن اهتمامه بالخزر كجماعات لها تأثير بفي غير متعرف عليه فى التاريخ منذ مدن اليونان و امبراطورية فارس الى زمان الاسكندر الاكبر على الاقل و تباعا. و كان هناك وقت لم يكن فيه الباحث يتمكن من الحصول على كتاب حولهم. و اتذكر كم مكتبة و موقع اليكترونى سعيت اليه فى طلب كتاب اى كتاب عنهم و لم اكن احظ باكثر من ان الكتاب نفذ و لم تعاد طباعته. وكان الرحالة العرب و المسلمون قد ارخوا للخزر و زاروا مناطقهم و منهم احمد ابن فضلان و ياقوت والمسعودي و ابن حوقل و غيرهم.

الا ان معظم العرب المحدثيون لم يستدعوا مقولات هؤلاء حتى جاء بعص الاوربيين الغربيين ليحققوا بها فى امور كثيرة حول الخزر مثلا. و ازعم ان اخفاء تاريخ الاخيرين و قد بقى مسكوت عنه طويلا لم ينفك ان انكشف حراي ما اعرفه بالحرب الاهلية بين طوائف اليهود منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية و بخاصة مع تفاقم فحش الاحتلال الاسرائيلى لفلسطين وما يحيث بالعرب والمسلمين عامة فى كل مكان.

المهم فورا فمن المؤرخين المعاصرين الذين اصدروا عن الرحالة العرب و المسلمين بالكامل ارثر كويتسلر Koestler وهو من أهم من كتب حول الخزر في العقود الأخيرة في بحثه كتابه المثير للجدل "القبيلة الثالثة عشر". وينسب كويستلر أصول الخزر إلى من يعرفهم بالأشكنازي فهم أقوام خزرية وتركية ولا علاقة لها بالسامية أو بشعوب الجزيرة العربية والشرق الأوسط الذي نعرفه. و تؤكد الدراسات التى التى باتت ميسرة اليوم اكثر من اي وقت اخر ان من هاجر من الخزر لحق كما ذكرنا الى الجزيرة العربية بيهود الجزيرة.

و كانت جماعات منهم ممن تنصر على عهد الملكة ايزابيلا و الملك فيرديناند ملكى إسبانيا الكاثوليكية بعد هزيمة الأندلس قد هاجر إلى مجتمعات متاخمة للمتوسط فى القرن الخامس عشر الميلادي[344]. على ان ما يهمنا هنا هو جماعات الخزر التى هاجرت الى الخلافة الاموية و العباسية فى القرن الثامن الى العاشر الهجري. و اجادل ان ثمة تعالق بين مثول تلك الجماعات فى المجتمع المضيف و نشوء ظاهرة الاوليجاريكيات الصفووية المالية منذ ايام بني يعقوب فى مصر او ميصراما مما اناقشه فى مكان اخر. وازعم ان تلك الاوليجاريكيات حرية بان تخلق شرط كل من:

- الانتفاضات الشعبية الموضوعية التاريخية
- و استباق الاخيرة بثورات مشبوهة
- حصار شرائح السلطة لحساب تلك الاوليجاكيات و الصفوويات التجارية والمالية.
- احتمال نشوء ارستقراطيات من رحم تلك الاوليجاركيات خصما على شرائح السلطة القائمة مما يلاحظ الناس فى كل مكان تنويعات عليه جراء تفاقم هيمنة الرأسمالية ما بعد الصناعية فى تنويعتها المالى على الخصوص,
- وقوف الجماعات الاخيرة و ما تعبر عنه مما اسميه اللا اقتصاد او الاقتصاد الافتراضى Virtual economy
- مثول تلك الجماعات بوصفها فائقة على المجتمع المضيف و خارج الاقتصاد الحقيقي. حعة

الخزر والانتفاضات الشعبية وشرط حصار العباسيين:

رغم ان الخزر لاقوا عنتا على عهد الرشدي الا ان بغداد قبل حلول الفكر والتنظيم المعتزلي كانت متسامحة وكوزموبوليتانية وقد انفتحت كمثل الأندلس أو شارفت انفتاح الأندلس على كافة التيارات. ويقول الشيخ حيدر حب الله فى مقالة بعنوان المفكر الإسلامي وأزمة العلاقة بين الدين الحداثة إن المأمون (780–850) وقد تولى الخلافة فى 814 م أعطى "ولاية العهد لأحد أئمة الشيعة (الأمام الثامن) فاستطاع الشيعة فى هذه الفرصة من نشر مذهبهم ومأسسة التعبير

العقائدي والفقهي عندهم" ويضيف الشيخ حيدر حب الله إنه" برغم أن الحقبتين الأموية والعباسية كانتا في غاية الصعوبة على الشيعة لكن تخللتهما فترات من الجزر القمعي في عهد الخليفة الأموي عمر ابن عبد العزيز والفترة الفاصلة بين العهدين الاموى العباسي أو عهد الخليفة العباسى المأمون"

وكذا كان الحال إبان الخلافات العباسية، ومنها عهد المقتدر بالله الإمبراطورية الواسع الزاهر حقا. وإلى ذلك ورغم ازدهارها وعظمتها فقد كانت الخلافة العباسية تمر بأزمات واضطرابات مما دفع السلطة للخشية من المعارضة على زمان المتكلمين ونظائرهم. فقد انتشرت الانتفاضات الشعبية. و كانت مجتمعات العباسيين قد جمعت الى العرب "سائر الاقوام التى كانت تحتويها الامبراطورية العباسية. و اكثر ما تتجلى هذه الظاهرة فى طبقة "العامة" (اى جماهير الكادحين والفقراء) اذ كانوا خليطا من اجناس مختلفة العرب و الفرس و الترك و الزنج و الديلم و الروم و النبط و الارمن و الكرج (الجورجيون) و السلاف و الاكراد والبربر مما يسر اختلاط تلك الاقوام باللغة العربية المسيطرة من ناحية كما خلق شرط عدم الاستقرار و بذر بذرة الانتفاضات. و قد تعاصرت حروب الخزر و الخلافة العباسية التى اتصلت 100 عام و ظهور الطوائف العاصية كالخوارج و قد انشقت عن المؤسسة الدينية الاسلامية و على امير المؤمنين مرة و احتوته مرة اخرى كما فعل الخوارج مع اعضاء الدائرة الداخلية لسلطة هارون الرشيد الاسراتية.

فإن تجاسر البدو والخزر وأعراب الشتات–على الخلافة "عاثوا فى بلاد الحجاز فنهبوا الأسواق وامتد أذاهم إلى كثير من الناس و قطعوا الطرق و اوقعوا بجند والى المدينة المنورة" و غيره فى جزيرة العرب الشمالية[345]. و كان بنو مرة يقلقون أمن الخلافة كما اشتبكت قوات الخلافة فى "عدة حروب مع القبائل المناوئة للخلافة فى أواسط هذه البلاد وجنوبها"[346]. و قد منيت بغداد وسامراء بانتفاضة الأكراد وأقد أثاروا الفتنة في بلاد الموصل على يد جعفر الكردى فى اوائل خلافة الواثق 742 وكذا ثورة البابيك فى 817–838 التى أشعلها بن بابك الخزمى. و قد ارتهن العباسيون بالخرسانيين والأتراك.

وكذا منيت الخلافة بثورة القرامطة فى 877 وثورة الزنج في 869–993 وغيرها من الثورات. وكانت ثورة الزنج قد خلقت شرط نشوء دولة خارج الخلاقة. فقد اتصل مجتمع الزنج مستقلا عن بغداد لأكثر من 10 سنوات[347]. و كانت بعض تلك الانتفاضات قد اندلعت اما خارج الدولة أو/و إبان مراحل إنهاك غرماء خارجيين أو داخليين للدولة–تنافسوا على سلطة الدولة المركزية. و"غدا الخلفاء أثناء وجود البلاط العباسى فى سامراء ألاعيب في أيدي القواد الأتراك"[348]

وقياسا فقد "ظلت انتفاضات البدو (العربان) في صراع "مستمر ضد الأيوبيين طوال عهدهم وتفجرت أيضا في عهد المماليك البحرية وبخاصة في الأعوام 992 و1002 هجرية وأصبحت حدثا مزمنا فى عهد المماليك البرجية (بمصر) وكان أشدها عنفا ووقعا في منطقة "البحيرة" في أعوام 875 و892 هجرية وفى الشرقية والغربية عام 806 هجرية وفى الصعيد عام 882 هجرية وما تلاه أكثر من مرة فى فترة لاحقة"[349]. و ثمة تنويعات على الأخيرة في الأندلس وصولا إلى سقوط إشبيلية فغرناطة وفى الخلافة العثمانية.

وقد عاصرت الانتفاضات الشعبية تلك حركة الحلاج–إن صح التعبير–وثورة البدو العربان والأكراد وهجمات الزط (غجر الهند) على المدن العباسية حتى سنة 1220 مما هدد الخلافة العباسية فخلق شرطا مشابها لما حاق بأثينا إبان حربها مع إسبارطا مما فاقم بدوره ضيق السلطة والدوائر الداخلية لشرائح السلطة، وقد تعينت جماعات بعينها على استباق السلطة العباسية الشرعية بأى معارضة وعدم تسامحها. وأزعم أن أسلاف الخوارج و المعتزلة–غير العرب والمسلمين، وأعراب الشتات بداءة– قد تعلموا من كل تلك التجارب مع الحركات والانتقاضات الشعبية وعاصروها وخلقوا شرط كل من اندلاع الحركات المشبوهة منها و قمعها استباقا للحركات الشعبية التاريخية الموضوعية على مر السنين مما عبر عن نفسه فى تجاسر بعض الخزر على العباسيين[350].

و من المفيد تذكر ان حركات الخوارج و المعتزلة و ما شابههما كانت قد تصاحبت و ثورات و انتفاضات شعبية مشبوهة و تعينت حركات المعتزلة و بخاصة الخوارج على خلق شرط اندلاع تلك الثورات و الانتفاضات. و كانت كيمياء ظهور

الخوارج السياسين حرية بانتاج شرط انتفاضات و ثورات شعبية مشبوهة فى الخلافات المشرقية و المغربية جميعا على مر تاريخ الاسلام منذ الصحابة حتى سقوط الاندلس و الخلافة العثمانية[351].

وأجادل ان امعان النظر فى دور الخزر–و قد عرفتهم فى دراسة اخرى ب "اعراب الشتات"–و حروبهم المتصلة مع العرب على مدى 100 عام حري بتفسير خلخلة مجتمعات المسلمين المستقرة سواء بالتجارة غير المتكافئة او–و بحقن مجتمعات المستقرين تلك بفيروس الربا و بالفتن الى اختراق شرائح سلطة المجتمعات المستقرة مما قد اتناوله فى مكان اخر. و ربما تعين ما ذكر اعلاه على تفسير ضمنى لما حاق بالمجتمعات العربية الاسلامية فى القرنين السابع و الثامن و تباعا. فقد اظهرت بعض المجتمعات العربية الاسلامية منذ نهاية الخلافة الاموية الى العباسية فالاندلسية اعراض تكاد تتطابق جراء تلك الظواهر المنوالية حتى ان وصفت احوال واحدتها فقد يغنى ذلك عن وصف احوال بعضها الآخر. ذلك ان تلك الخلافات ماانفكت ان سقطت بمغبة اختراق اعراب الشتات لشرائح السلطة او–و بافتعال حركات شعبية مشبوهة فى بضعة تظهرات بعينها:

–اما نشات ظاهرة شبه نمطية من ظهور جماعات على حافة الدائرة الداخلية لشرائح السلطة وصولا الى الهيمنة على شرائح السلطة و تحويل شرائح السلطة الى ما يشارف رهناء لتلك الجماعات.

– او ظهرت حركات صفووية متطرفة تدعى–بعقلانية مخاتلة–رفض التطرف و الاصولية الا انها تحرم من عداها حق التعبير و–أو تقصيهم وصولا الى القضاء عليهم باسم العقلانية و معاداة التطرف. و كان تطرفهم مدعاة لمصادرة اى جدل أو الحق فى الاختلاف معهم و كانت مغبته تهمة التجديف و الهرطقة و التكفير[352].

–او–و تجد مجتمعات العرب و المسلمين غب نهاية الفتوحات نفسها مواجهة بانتفاضات و ثورات منوالية منذ ثورة الزنج فى 869–993 و تباعا و–أو بحروب مع خصوم غامضين مثل موجات الزط–غجر الهند–الى جحافل الخزر و غيرهم. –و الى ذلك فقد كان ملوك المسلمين –كما فى الاندلس–قد راحوا بدورهم يتصارعون فيما بينهم وبتحالفون مع و يستعدون ملوك النصارى ليستعدوا الامويين على بعضهم البعض فى الاندلس مثلا مرة اخرى فى فترات منوالية حتى نهاية الاندلس. و من المفيد تذكر انه رغم صراع ملوك الاندلس مثلا الا ان بعض الملوك كان ينجح فى توسيع دولته قبل سقوطها و كأن ذلك تعبير عن ما يشارف فيض الغدير قبل ان يغيض. فمن ذلك انه رغم صراع ابناء و احفاد الرشيد170–193\876–809 فقد نجح الرشيد فى جعل دولته اوسع مملكة عرفها بنو العباس. و كان الرشيد قادرا على جباية الدنيا وما فيها فقد كانت الخلافة من السعة بحيث كان يقول للسحابة العابرة "امطرى حيث شئت فان خراجك لى". و كأن خلافة الرشيد كانت تنويع على انفساح الامبراطوريات عشية نهايتها كما قلت فى مكان اخر.

ذلك انه "لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والفقهاء والشعراء و القضاة و الكتاب و العملاء و الندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد[353]". و من خصائص او تداعيات حلول لحظة سقوط بعض الخلافات تظهر تنويعة من السلطة الاسراتية فى مناخ او كيمياء و على خلفية مثول تلك الجماعات المتسارة الغامضة مما قد يعبر بدوره عن فيروس التخثر تباعا. و يلاحظ هاجس تلك فى امريكا المهاجرين و الاباء الاوائل و بخاصة أمريكا العولمية.

و اجادل ان أهمية الجماعات المذكورة اعلاه تصاحبت فى اغلب الاحيان ان لم يكن قاطبة و انتشار الحركات الشعبية الغامضة وصولا الى انتشار صراع شرائح السلطة. فما هى ملامح اشهر السلطات الوراثية العربية و تداعيات مضمونها الاسراتى و تعالق الاخيرة و تلك الحركات الفامضة؟

و قد تساوقت الفتن و الحركات المذكورة اعلاه وغيرها ابان الخلاقة العباسية والاموية من قبلها حركات شعبية غامضة او–و ثورات الخوارج و حركات المرتدين و المنقسمين على السلطة المركزية الى الهجمات الحدودية على الخلاقة من كل مكان. و الى ذلك كانت الانتفاضات الشعبية من ثورة البدو العربان والاكراد ثورة البابيكا فى 817–838 و ثورة القرامطة

فى 877 و ثورة الزنج فى 869–993 و هجمات الزط–غجر الهند–على المدن العباسية حتى سنة 1220 قد انتشرت مهددة الخلافة تباعا.

صراعات العباسيين الاسراتية و عقلانية الجماعات الغامضة:

بلغ خلفاء العباسيين 24 خليفة هم السفاح المنصور المهدى هارون الرشيد المأمون–الامين––المعتصم الواثق المتوكل المتنصر المستعين المعتز المهتدى المعتضد المكتفى المقتد الراضي الطائع القادم المستنصر بالله المسنجد بالله المستغنى بالله الناصر لدين الله المستنصر بالله الظاهر بامر الله المستنصر بالله المستعصم بالله. و قد توالت اسرة هارون الرشيد على سلطة العراق والخلاقة العباسية على مر 6 او حتى 7 عهود و أجيال.

و كان عصر الرشيد من ازهى العصور العباسية و كان عصر المأمون كذلك الا ان عصر المأمون لم ينفك ان تهاوى امام كثرة المؤامرات و الفتن. و قياسا "كان الامين 193– \808–813 جميل الخصال شجاعا قوي سخيا و محبا للشعر الا انه كان بدوره ميال للتبذير و اللهو و اللعب رغم ذكائه المشهود. و كان الامين على حد قول الطبرى (224\ 839–310 هجرية–930) سئ التدبير كثير التبذير ضعيف الرأى لا يصلح للامارة"[354]. واورث الاخير ابنه موسى198–218 \ 813–823– خلافا لما قال به الرشيد فى عهده الذى اشهد عليه القوم و علقه فى الكعبة–"صفا للمأمون". و قد فاز المأمون على الاميرن فى الصراع على السلطة او–و فاز حزب المأمون على حزب الامين مما نفصله ادناه.

و"كان المعتصم 218–721 \ 833–842 على عكس المأمون سديد الرأى موصوفا بالشجاعة وسمى بالمثمن لان الرقم ثمانية كان له اثر بعيد فى حياته و ولايته و حتى فى العمر الذى قضى عنه و فى السنة التى توفى فيها و الابناء و البنات ممن ترك ورائه و المال الذى خلفه. و قد عمل بوصية "اخيه المأمون فى حمل الناس على القول بخلق القرآن" رغم ان المعتصم لم يكن على درجة كافية من العلم بالمسائل المركبة فقد اذى معظم من خالفوه و منهم احمد ابن حنبل وسجن و اهان كل "من لم يأخذ برأى المعتزلة فى القول بخلق القرآن" اهانات بالغة و ضربهم بالسياط و غير ذلك من الوان العذاب[355] وصولا الى صلبهم و احراقهم".

تبادل الخلافاء العباسيين و علماء الكلام المعتزلي حب وكره بعضهما و الضيق بمن يخالفهم:

ازدهر المعتزلة فى العصر العباسي الأول عصر ازدهار و بلغوا شأوا لا مثيل له وكان معظم شيوخ مدرسة البصرة وكان المتعتزلة و انتشروا مع النصف الثانى من القرن الثاني كما كان شيوخ مدرسة بغداد من المعتزلة قد ازدهروا بدورهم و عاصرهم عمرو بن عبيد أبا جعفر المنصور العباسي. و كانت للاخير صله بهم الا انه لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية على أبي جعفر المنصور، "بعث برسالة إلى عمرو بن عبيد ليستعين به على قتال المنصور فأبى واستوثق المنصور بنفسه من عدم مساندة عمرو للنفس الزكية في حركته". و قياسا لم يلق المعتزلة على عهد الرشيد قبولا بل العكس لاقوا "متاعب جمة نظرا لكراهية الرشيد لمبادئهم، فقد نهى عن الكلام وأمر بحبس المتكلمين، وحبس العتابي الشاعر وثمامة بن أشرس المعتزلي، ثم اتخذه بعد ذلك نديما له وإن لم يتأثر بمذهبه، كما توعد بشرا المريسي فظل مختفيا طوال خلافة الرشيد" و كان الرشيد يقتل من يقول بخلق القرآن.

و بالمقابل كان المأمون اكبر نصراء المعتزلة او العكس فقد كان للاخيرينفضل كبير فى وصول المأمون الى السلطة خصما على الامين كما ذركنا فى مكان اخر. و كان المأمون قد فضل الخرسانيين على العرب و اثر وزيره الفضل بن سهل–الذى استبد بالامور حتى انه انزل المأمون قصرا عزله فيه. وتقول موسوعة الفرق حول المعتزلة في الباب السادس المطلب الثانى :المعتزلة فى العصر العباسي على شبكة المعلومات: "."ان الأمر انتهي إلى المأمون العباسي بان زين له بشر المريسي الاعتزال فاعتنقه ، كما قرب منه ثمامة بن أشرس حتى أصبح لا يبرم أمرا دونه، بل إنه أصبح يرشح له

وزراءه، فرشح له أحمد بن أبي خالد ثم من بعده يحيى بن أكثم، وعن طريقه تعرف المأمون بأحمد بن أبي دؤاد أحد رؤوس بدعة الاعتزال في عصره، وقد صار أحمد هذا رأسا في فتنة خلق القرآن وقاضيا للقضاة في عهد المعتصم.

و يقول نفس المصدر ان المأمون كان " في أول أمره بين اتجاهين: أولهما إظهار الاعتزال علنا، وكان يشجعه على ذلك ثمامة وأحمد بن أبي دؤاد حتى إنه كاد أن يأمر بلعن معاوية على المنابر إلا أن يحيى بن أكثم قاضيه ويزيد بن هارون وزيره كانا يمنعانه من هذا حتى مات يزيد بن هارون، وعزل يحيى بن أكثم عن منصبه، فخلا الجو لثمامة وأحمد بن أبي دؤاد، فأظهر المأمون بدعة الاعتزال، وحمل الناس عليها، فكانت المحنة التي أطلق عليها محنة خلق القرآن" و تضيف الموسوعة اعلاه: ". ويظهر أن المأمون كان سريع التقلب والتغير في آرائه، فهو قد نادى – قبل ذلك – بتفضيل علي على أبي بكر وعمر، بل بايع من بعده لإمام أهل البيت في عصره وهو علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وخلع السواد شعار العباسيين ولبس الخضرة لباس العلويين وذلك في عام 201هجرية:

و "لما مات علي الرضا رجع عن البيعة لآل البيت ، يقول ابن كثير عنه: "كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة". والصلة بين التشيع والاعتزال وثيقة كما سيتبين بعد، وقد سار على منهج الاعتزال بعد المأمون المعتصم ثم الواثق من بعده، وقد بدأت فتنة خلق القرآن في عهد المأمون عام 218هجرية" فمن هو الفضل بن سهل هذا؟ أكان ايثار المأمون لابن سهل حري بان يثير استياء بنى هاشم و حفيظة وجوه بغداد حتى شق نصر بن شبث عصا الطاعة على المأمون وصولا الى قتاله؟[356]. و هل كان عزل ابن سهل للخليفة قد زوق بوصف اعتكاف المأمون تبتلا معتزلا مما يقول به معظم المؤرخين؟ و من كان وراء ابن سهل حقا؟

1–***صراع حزبي المأمون و الامين و فوز الاوليجاركيات المالية:***

كان المأمون قد جاء الى السلطة بعد صراع مع اخيه الامين لحساب عناصر التجار و المصرفيين والماليين الربويين و مفكريهم من المعتزليين مع نصراء الامين من "الاقطاعيين الريفيين و ممثليهم المفكرين السلفيين من الفقهاء و المحدثين و المفسرين المحافظين" و قد حسم الصراع للمأمون و جماعاته. و لعل انتصار تلك الجماعات بالوصف اعلاه كان حريا ان يخلق شرط نشوء اوليجاريكات مالية باكرة فى الخلافة يعود الى التجار و اصحاب المال المالي والربويين و اصحاب المال النقدي, و يذكر الاستاذ مروه مثول ظاهرتى المال المالى و الربوى. و من المفيد ملاحظة ان كل من رأس المال التجارى القطاعى و رأس المال الاستعماري المالى كان متوفرا على ايام المأمون مما لا يستبعد احتمال نشوء اوليجاركبات مالية و ربما صففوية بدورها.

ويؤكد حسين مروى على ارتفاع المكانة الاجتماعية لفئة التجار حتى ان مروة يؤكد ان "امراء و زعماء التجار و الماليين و المصرفيين و الربويين(كانوا)ذوي الفكر الحر"[357]. و يقول حسين مروه ان ذلك الفكر الحر راق للمأمون. و لعل عناصر التجار و الماليين و المصرفيين و الربويين ذوي الفكر الحر حريون بان يعبروا عن انفسهم و كانهم تنويع باكر على اعراب الشتات. فقد كانت تلك العناصر حرية بهذا الوصف ان تراهن على المامون وهي تدرك مسبقا اهمية ضعف شخصية المأمون لمشروعهم غير المعرف و الذى تعين على نفى كل بديل بل صادر و حرم كل بديل باسم الفكر الحر اى ما قد يشارف الديمقراطية ما بعد الليبرالية او–و التنويع المخاتل عليها.

فقد كان المأمون بهذا الوصف حريا بان بان يكون اكثر مواتاة من الامين لمشاريعهم التى ادعى انها كانت قمينة بطبيعتها ان تكون فائقة علي الدول و المجتمع جميعا مثلهم مثل ما قد يشارف المحافظين الجدد. و لعل ذلك من شأنه ان يدفع الى الزعم بانهم بهذا الوصف اقرب الى الاوليجاريكيات المالية بالتعريف اعلاه و تباعا. و قياسا فقد كان "اؤلئك الامراء و

الزعماء يأملون ان يستفيدوا من ضعف شخصية المأمون و من تذبزبه و تبدل احواله مما يذكره بعص المؤرخين. هذا و يعزو الاستاذ مروة الى عزوف المأمون " الى التفرغ لحياة اللهو و عدم مبالاته بالشئون العامة للدولة ما قيض لتلك العناصر بذلك تحقيق "مطامحهم الى السلطة و ربما الى الاستقلال الذاتى فى هذا الاقليم او ذاك من اقاليم الامبراطورية". وقياسا لعله لم يكن غريبا ان يرتمي المأمون فى احضان التجار و المصرفيين و الربويين والاحرى كانوا هم الذين استحبوه. فقد كانوا وراء انتصاره على الامين و على زعامات القوى الاقطاعية و امرائها التى كانت تؤيد اخاه الامين فى صراع الاثنين الدامى بداية القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادي.

و لك ان تلاحظي مؤيدي المأمون من التجار و المصرفيين و الماليين و الربويين و حملة الافكار الحرة و المثقفين هذه. فهى مقولة مهمه. وافهم كيف انه بدون فرضية بعينها يبقى النظر مشغول بما هو اقل اهمية من المهم حقا. و تصدر الفرضية التى قد تؤدي الى فهم و تحليل الخلافة العباسية و مجتمعات الخلافة الاسلامية منذ الامويين بل منذ مجتمع المدينة حتى غرناطة عن وجود جماعات بعينها اما على مشارف شرائح السلطة او–و تقوم مقام الاخيرة– مما قد يفسر كيف ان بعض اهم الخلفاء كان يملك ان يعتكف او–و يعزل فيما تبفى تمثلات "سلطته" ماثلة او–و الاحري سلطة من يقومون من وراء الستار بممارستها لحسابهم و خصما على الخليغة و الرعية جميعا مثلما نرى فى بعض الادارات الامريكية المعاصرة مثلا.

وقياسا فليس غريبا ان تسود على عهد المامون "فتن هوجاء فرقت المسلمين و اضعفت قوتهم و قوضت كثيرا من معالم مدينة بغداد وكانت حاضرة العباسيين وكعبة العلوم و الآداب ومركز التجارة و حاضرة الاسلام"[358]. و يقول استاذنا الجليل حسين مروه ان القوى الممثلة لاقتصاد المدينة و مجتمعها التجاري الربوي الحرفى بالاضافة الى حملة الافكار الحرة و مثقفيها قوى المدينة هذه كانت تساند المأمون فى سبيل اعتلائه عرش سلطة مطلقة". و قد "جاء المأمون الى السلطة العليا مؤيدا من الفئات الاجتماعية المتناقضة" و قياسا ازعم ان تلك التناقضات كانت حرية بان تخصم مع وصول المأمون الى السلطة لحساب ما اسماه مروه" راية الفكر الحر المتمثل فى علم الكلام المعتزلي"[359].

2–هل بات المعتزلة و الاشاعرة حزبى العباسيين الكبيرين؟

اذا كان المعتزلة و كبار التجار و اصحاب الرساميل المالية و الربوية و بعض الحرفيين الضريين من حزب المأمون فهل الف الاشاعرة حزبا يناصر المتوكل؟ كان الاشاعرة– نسبة الى ابى الحسن الاشعري الذى تربى في بيت زوج امه المعتزلى–و كانوا على "تباين ظاهر بين ما كان عليه متقدموا الاشاعرة فى بعض المسائل و بين ما استقر عليه الرأي عند المتأخرين منهم فى تلك المسائل–هل كان الاشاعرة المتأخرين تابعين تماما لابي الحسن الاشعري –رحمه الله–و ربما خالفوه فى مسائل من الاهمية بمكان لو حدث–مبني للمجهول–عمن له الى رأيه انتماء لقال اخبرهم اننى مما يقولون براء"

اذا كان الاشاعرة –و لا اكومهم فى كومة واحدة من حيث فرقهم و زعاماتهم و من حيث بداياتهم و نهاياتهم–اذا كانوا تنويع على المعتزلة فما هى الظروف الموضوعية و الذاتية لتفضيل المتوكل لهم على المعتزلة؟. و هل كان الاخيرون قد استنفزوا أغراضهم باتوا زائدين عن الحاجة فتحوروا الى اشاعرة مثلما يتحول الجمهوريون الى ديمقراطيين والعكس و العمال الى محافظين و العكس و تنويعاتهم على مر الزمان؟ حيث كان المعتزلة قد سادوا خلافة المأمون حتى الواثق فكريا و تنظيميا الم يسودوا اقتصاديا ايضا ؟ نحن لا نعلم كثيرا عن موقع المعتزلة من الاقتصاد الا بقدر ما يصورهم معظم المؤرخين مفكرين زاهدين عازفين عن السياسة مثلا. و الى ذلك ماهى التحورات الاقتصادية الاجتماعية التى حاقت

بالخلافة تباعا بحيث تعين عليها ان تغيير خطابها و تمفصل اجندتها او–و تجبر على ذلك مثلما يحدث للسلطة القائمة على مر الزمان فى زمان حصار تشكيلات السلطة و المنتجين معا؟

3–*لماذا يبقى عصر المأمون مثير لجدل لا ينقطع؟*

كان عصر المأمون مع ذلك و رغمه من اهم عصور العباسين تأثيرا على الخلافة فى بغداد و ما حولها و ما ورائها حتى شمال افريقيا و الاندلس الى أوربا الغربية فى المكان اما فى الزمان فان ذلك الاثر لم يقيض بعد ادراك مداة على السردية الاسلامية العربية. المهم فقد قيل فى المأمون انه " كان من عظماء الخلفاء و من عقلاء الرجال و له اختراعات كثيرة فى مملكته منها انه اول من فحص علوم الحكمة و حصل كتبها و امر بنقلها الى العربية وشهرها و نظر فى علوم الآوائل و تكلم فى الطب و قرب اهل الحكمة. و من اختراعاته مقاسمة اهل السواد بالخمسين. و من اختراعاته الزام الناس ان يقولوا بخلق القرآن"[360].

من المفيد ملاحظة كيف "كثر علماء الكلام فى عهد المأمون"[361] و انتشرت مقولة ان القرآن مخلوق. و لم يلبث المعتزلة العباسيون و الخوارج ان ناصبوا–عقلانيا– كبار و ائمة المسلمين السنة–عداءا مريرا–من وراء اجندة غير معلنة–مثلما فعلوا مع الامام احمد ابن حنبل. ذلك انه ما ان ظهر ان للامام احمد ابن حنبل رأيا مخالفا فيما قال المعتزلة من خلق القرآن فقد ادى ذلك بابن حنبل الى السجن على عهد المأمون. و لم ينفك الواثق من بعد اخيه المأمون أن ضرب ابن حنبل بالسياط حتى كاد يقضى. و"مع ذلك يقال فى المأمون انه كان يميل الى الاقناع و الجدل و المناقشة و احتمال اراء المتناظرين اذا لم تتفق مع ارأئه و ميوله و العمل على قطع دابر الرياء و النفاق و غيرهما من الرذائل التى كانت متفشية بين قواده و جنده"[362].

و من المفيد تذكر شخصيات محورية–مثل القاضى ابن ابى داوود–و هو الامام سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران ابو داود الازدي السجستاني[363]. ورغم دور ابن ابى دؤاد فى تكريس استلاب اهم مفكر فى الاسلام على ايامه تبقى مع ذلك تلك الشخصية غامضة و دورها اشد غموضا. فقد كان لابن ابى داوود و امثاله ادوارا خطيرة فى التحولات الحالة فى الخلافات الاسلامية منذ فتنة عثمان و اندلاع حركات الامر بالمعروف و النهى عن المنكر ومثل حركات المعتزلة والخوارج عبورا بحركة عبد الله بن سبأ. فقد كان المعتزل ابن ابى داوود مستشار المأمون و الواثق و المعتصم على التوالى و كان ابن ابى داوود اشد المناوئين لاحمد ابن حنبل و كان وراء تغريب احمد ابن حنبل و تعذيبه. فمن هو ابن ابى داوود ذاك؟ و لعله ليس واردا ان يتطرق البحث الى الرد على هذا السؤال فورا.

على اننى ازعم ان مجادلة الاعراض المحورية لتلك الفترة و قد استدعتت بعض ابطال و فصول كتاب الف ليلة و ليلة. فرغم ان الف ليلة و ليلة من ادب شبه الجزيرة الهندية الا ان الاخيرة لم تكن بعيدة عن الخلافة العباسية. و لعل بعض فصول الف ليلة و ليلة قد تعبر عن بعض ملامح و فصول الخلافة العباسية. ذلك ان البعض يرد عصر الرشيد الى اصداء الف ليلة و ليلة. كما يمكن ان يرد الى عصور اخرى فى اسيا الوسطى مثلا. فهل يمكن طرح سؤال جانبى دون الخوض فى الاجابة عليه بعد؟

–لمن يرمز ذلك الرجل الذى كان جلاد شهريار يقطع رأس امرأة كل ليلة؟ كيف يعرض ذلك الرجل ابنته شهرزاد على حاكم بذلك الوصف و هو يعلم مصيرها؟ فلم يكن الرجل يعلم ان ابنته فى أمان وحسب و انما كان على يقين من ان ذريته سترث الخلافة. فقد انجبت شهرزاد لشهريار 9 ابناء ذكور. فاى طلاسم و أى رموز؟ الا يذكرك ذلك الرجل بميردوخاى شقيق استير و وزير سوروس وهما يدبران للانتقام من خصوم اليهود بمهرها ويرثا ملك بابل؟ هل حكاية شهريار و شهرزاد فى الف ليلة و ليلة ترميز لجمهورية الخزر؟ ام هل هى تزويق لسفر سارة فى الاصحاح القديم؟ ام لسيرة استير؟ ام للخلافة العباسية؟

المهم فورا فقد تعاصر الخزر و الخلافة الاموية و دخل الخزر مع الخلافة العباسية فى حروب اتصلت 100 عام. و تعاصرت تلك الحروب و ظهور الطوائف العاصية كبعض طوائف الخوارج والمعتزلة و ازعم ان بعض الأخيرين كان له صلة بالخزر. و قد انشقت طوائف الأخيرين عن المؤسسة الدينية الإسلامية و على امير المؤمنين مرة و احتوته مرة اخرى مثلما فعلوا مع أعضاء الدائرة الداخلية لشرائح سلطة هارون الرشيد و المأمون الاسراتية. فهل الف اصحاب المال المالي الربويين و المصرفيين اوليجاركة عباسية او الاحرى خزرية او من اعراب الشتات؟

4-غياب ارستقراطية عربية و تكريس سطوة اعراب الشتات:

لا يسع الباحث الا ان يتسأئل- و قد درج اعراب الشتات على تحين الفرص لتكريس الاستقراطية اعرابية فى المجتمعات المضيفة- ما اذا كان غياب ارستقراطية عربية اسلامية على الاقل بين العباسيين وراء تكريس سلطة اعراب الشتات بالقدر الذى لاحظه كثيرون دون ان يمنحوه اسما و لا تيعينوا بالتالى على تعريف ما غلق من امر علاقتهم بالمأمون مثلا؟ فقد بقى اعراب الجزيرة العربية أى العرب-و قد استغرقتهم ثلاث حروب اهلية على مدى 80 عاما- قبل ان يستقروا ليؤسسوا دولا وامبراطوريات الخلافات الاسلامية البازغة المتعاقبة.

وتقول باتريشا كورن *Patricia Crone* أن العرب اشعلوا حربا اهلية لغاية انشاء تنظيم سلطوي و اخرى لتكريس الاخيرة و ثالثة لم تنفك ان اثبتت ان التنظيم السلطوى بات زائدا عن الحاجة[364]. و من ثم يصح القول بان العرب كانوا حريون- مثلهم مثل مغول الصين- بان يهبطوا فضاءات الفتوحات و التوسعات الجديدة و قد عصمهم تجانسهم الثقافى الاثني. فلم يكونوا بحاجة الى تنظيم المجتمع الاسلامى على هدى خطوط اثنية. على انه رغم ان الشعبين يملكان خصائص ثقافية و اثنية متجانسة مما قد ييسر تنظيم المجتمع اثنيا الا ان الاثنين قد يختلفان كثيرا. و قد نجح المغول فى تأسيس أرستقراطية مغولية سابقة على الفتوحات.

ولا يسعنى سوى ملاحظة ان المغول كانوا من اعراب شتات اسيا مما يجعلهم-ما ان استقروا دون اى ميل الى الترحل مجددا-عكس اعراب الشتات الخزر و تنويعاتهم- الى النزوع الى خلق ارستقراطية. و لا يعنى ذلك ان كل ارستقراطية حرية بان تتحور ا لى اوليجاركية. فالاخيرة تعبير عن طبيعة اعراب الشتات التى تستقر بالتنكل و ترحل تذرعا كما ذكرنا في مكان اخر. المهم لم ينفك المغول ان الحقوا الصين وغيرها بتلك الارستقراطية.

و قياسا وظف عرب الجزيرة العربية تجانسهم الاثنى فى الاحتماء بمدن القلاع وكأنهم فى مدن الجزيرة العربية و قد احاطت بها البيداء و اعراب الشتات. هذا و كانت مدن الجزيرة العربية و غيرها من عواصم الاسلام الشرقية على الخصوص كبغداد و القاهرة حرية بان تبقى نائية على نحو لا يؤلف ملاذا او يطرح مسألة "عودة" للعرب و المسلمين اللذين ترحلوا بعيدا عن المواطن او حتى المضارب الاولى للبدو و الاعراب التقليديين تفريقا لهم عن اعراب الشتات الاستثنائيين. ذلك أن مدن الامتدادات و البيداء التى تحيطها باتت فضاءا نائية.

المهم يضع حسين مروه يده على ملامح جماعة او جماعات توالت على مجتمعات المستقرين التى استضافت اعراب الشتات و تنويعاتهم بصورة تدعو للاعجاب دون ان يشير الى ظاهر حلول اعراب الشتات فى المجتع الاموي او العباسي. و حيث حللت فى اكثر من مكان شرط حلول تلك الظاهرة اكتفى بان اشير الى:

- اهمية الايديولوجية بالنسبة لهجرات اعراب الشتات وبالتالى بالمعتزلة و الاشاعرة و تنويعاتهم, و الى ذلك اضيف للتركيز و حسب كيف ان الدفاع عن الايديولوجية او العقيد كان دائما دفاع عن المصالح المادية لتلك الجماعات. و اضيف مجددا ان تلك الجماعات لا تنشئ لها حزابا منفصلا عن الاحزاب القائمة بل تلحق نفسها بتلك الاحزاب و تسيطر عليها فكريا كما يمكن ملاحظته فى تنويعاتها المعاصرة من الهيمنة على ماكينة خلق الرأي العام بغاية السيطرة على الاخير او-و الاحرى شكمه بفتاوى و فرمانات سلطوية وقوانين و تشريعات و

التهديد بالتعقب و بالترويع وصولا الى القضاء على الخصوم مما لم يقصر المعتزلة عن كيله لخصومهم مثل ابن حنبل, و لا يعدم الحال مع تنويعات تلك الجماعات من ان يعبر عن نفسه حتى فى قلب ما يسمى بالديمقراطيات الحداثية او ما بعد الحداثية.

–ان اختراق السلطة و احتوائها او–و السيطرة عليها باسم تطويرها ليس سوى وسيلة ثالثة من اجل تكريس سلطة تلك الجماعات بغاية:

أ– احلال شرط هيمنة وسائل المراكمة المالية اكثر من غيرها خصا على منتجي الفائض

ب–التستر على تصدير تلك المراكمة لحساب جماعات لا تكن الولاء للسلطة القائمة بحال بل تعمل لحسابها هى مما يحول الاقتصاد المضيف الى لا اقتصاد او اقتصاد افتراضى

ج–تخلق تداعيات العوامل المذكورة مجتمعة او بعضها شرط اندلاع الانتفاضات الشعبية او–و تتعين بعض تلك الجماعات على اشاعة الفوضة باشعال ثورات غامضة تضاعف من عدم استقرار النظام او–و زعزعته بصورة منتهية.

د–تخرج تلك الجماعات فيما يشارف المحارق

هاء– ما تنفك جماعة منتقسمة على الاخيرة او تنويع عليها كما المعتزلة مع الخوارج و الاشاعرة مع المعتزلة تغيير الوان المعاطف و تعيد انتاج ما سبق فى منوال قد يلاحظ تداعياته الناس على مر التاريخ حتى اليوم.

المعتزلة و شرائح السلطة العباسية:

يشير كثير من المؤرخين الى وجود المعتزلة وبعض نظائرهم التى ما انفكت ان حلت محلهم كالاشاعرة بوصفهم فصيلة او طائفة منقسمة على المعتزلة, و كانت تلك الفئات قريبة الى القصر العباسي. و يؤكد ذلك بعض المؤرخين بالقول بان المعتزلة كانوا حريون بان يحتلوا و ربما يسيطروا على الفصر واضيف ان مثل ذلك المشروع لا يقيض الا بوصف المتعزلة أصحاب مصالح اقتصادية و مالية و تجارية و فكرية و ايديولوجية. و يؤكد حسين مروه–ص:854–ارتفاع المكانة الاجتماعية لفئة التجارو اهمية التجار خاصة. و رغم ان حسين مروة لا يعرف تلك الفئة تفصيلا و ما اذا كانوا يتاجرون فى المال كسلعة ام فى البضائع و هى غير السلع Goods.

فالبضائع Commodities فى لغة الاقتصاد هى السلع الاستراتيجية كالذهب و الفضة وغيرها الا اننى ازعم ان تلك الفئة غالبا ما تكون صاحبة رأس المال المالي اللاستثماري بقدر ما يراكم الاخير خارج المجتمع. و اجادل ان تلك الجماعة سرعان ما تتحور نحو فتشئ لها اوليجاركية و لو بتماس علاقتها الصفووية بالسلطة و الثروة. ويمكن افتراض ان البضائع التى تتاجر فيها تلك الجماعة غالبا ما تكون اما احتكارا لشرائح السلطة او– و لاوليجاركيات مالية تحارية تقف خارج الاخيرة. و كنت قد عرفت الاوليجاركية فى اكثرو تعنى الاوليجاركية Oligarchy سلطة تتمأسس فوق جماعة صغيرة– بالنظرالى الاغلبيات المحكومة–من النخب[365].

وتتميز الاوليجاركية بالهيمنة على الثروة والسيطرة الفكرية و السلالية الاسراتية او ما يشارفها و بالسلطة العسكرية و الدينية. و اعرف الاوليجاركية بحزب رأس المال المالى (الاجنبى بالضرورة) الخاص (بالنتيجة). وتعنى كلمة اوليجاركية فى اليونانية ايضا سلطة القلة the power of the few. و يقول مروة ان المعتزلة " لم يكونوا يؤلفون فئة اجتماعية مستقلة منفردة لا فى المجتمع الاموي او فى العباسي. وانما كانوا جاؤا من تلك الفئة الكبيرة التى نشأت فى المجتمع العربي–الاسلامي خلال تطوره الاجتماعي الثقافي نعنى بها اهل الفقه و الحديث و التفسير و ما يدور حولها من علوم العربية و المنطق. فقد كان كل واحد من علم الكلام المعتزلي

كغيرهم من الشيعة و الخوارج والمرجئة و اهل السنة معدودا من الفقهاء و المحدثين اوالمفسرين او النحويين او معدودا من هؤلاء جميعا".

وضيف مروة "وهذه الفئة الكبيرة بالرغم من انها لم تكن منفصلة عن الاحزاب كانت موازية لها. بل كانت الجزء الدينامي فيا كانت مع ذلك متميزة ضمن الاحزاب بكونها ذات تأثير خصما على الرأي العام.و قد اكسبها هذا المركز امكانية التجاوب و التفاعل مع الحركات الاجتماعية و السياسية عل اختلاف نزعاتها داخل صفوف الرأي العام". و يقول مروه " من هناك كان الصراع الايديولوجي لا يقل احتداما عن الصراع السياسي المباشر. و من هنا ايضا يظهر لنا اليوم كم كانت مواقف المعتزلة فى المعركة الايديولوجية التى خاضوها حاجة تاريخية و عاملا من عوامل التطور فى تلك المرحلة". شرحه مروه :ص:852. و يضيف مروه ان تأثير علم الكلام المعتزلى "على الجذور و المبادئ التى تقوم عليها ايديولوجية الخلافة اساسا وقد كان تثيره فى زعزعة هذه الجدور اشد من حرب الخوارج رغم عنفها بل ربما بسبب من عنفها كما يمكن ان نقول". شرحه:ص:852.

وبالمقابل يجد بعض المؤرخين فى قلبه ان يقول بان بعض المعتزلة تفرع للعلم و العبادة. و لعل ذلك الادعاء قيض لبعض المعتزلة تصورات غير قابلة للاثبات ماديا فى شأن العقيدة و تحكيم العقل فى ذلك مما كان حريا بان ينسبهم الى العقلانية تخاتلا. بل ازعم انهم كانوا اباء العقلنة التى لم تنفك ان باتت حركة كبرى تمثلت فى الاصلاح الدينى الاوربى الشمال غرب اوربى على الخصوص. و قد الهمت الاخيرة فلاسفة العقلانية المسيسة المسلمين و قد جاء أهمهم الى اوربا الغربية من الاندلس او–و بفكر الاندلس كما ازعم مما اناقشه ادناه.

فهل تكفى ملامح فئة المعتزلة كما وصفها و حللها حسين مروة لان تلحق المعتزلة بلوحة الاوليجاركيات الارستقراطية الصفووية كما عرفتها اعلاه؟ و هل خصم حلول تلك الارستقراطية الاوليجاركية على شرط حلول ارستقراطية عربية عباسية او اوليجاركية عربية عباسية ؟ و هل بات الاشاعرة من بعدهم ارستقراطية اوليجاركية– اي حزب رأس مال مالي بالضرورة اجنبي بالنتيجة على عهد المنصور و الرشيد مثلا؟

تعالق زهد المأمون و نشوء ارستقراطية اوليجاركية معتزلية:

و هل كان زهد المأمون فى السلطة و انعزاله لسبب ما عن مزاولة شئون السلطة و ما هو السبب الذى يمكن ان يعزى اليه اعتكاف المأمون؟ ومن الذى يقوم على شئون الخلافة ان كان الخليفة معتزل فى قصره؟ و لمصلحة من كان ذلك الاعتزال؟ هل كان ثمة من يقومون مقام الخليفة فى الحكم و هو معتكف معتزل؟ و ماهي صلاحيات و اقصي حدود تصرفهم فى الخلاقة و الامصار و الولايات؟

وكيف احكتر المعتزلة سلطة الخلافة فخلق شرط نشوئهم طبقة فى حد ذاتها A class-in - itself او ربما من اجل ذاتها A class-for- itself ؟ و هل قيض ذلك لتلك الطبقة ان تتحور الى ارستقراطية أوليجاركية كعهد اعراب الشتات فى المجتمعات المضيفة على مر التاريخ غير المكتوب؟ وهل كانت مصالح تلك الفئة وراء خلق القرآن و غيرها من ممفصلات الكلام؟ و ما هى مصلحة المعتزلة فى تكريس فلسفتهم تلك؟ هل كانوا سفر تكوين كمال اتاتورك و علمنة المسلمين خصما على روح الاسلام و قوته؟ الم تفشل حتى تجربة كمال اتاتورك تلك رغم كل ما بذل فيها من فكر و جهد و مال و تآمر؟

يقول المؤرخ الكبير حسين مروه "كان "الجالس على عرش السلطة الرسمية حينذاك قد احتضن مذهب المعتزلة الى حد انه اصبح المذهب الرسمي لدولة الخلافة"(التركيز موجود فى ئلاصل) مدى ثلاثة عقود من الخلافاء العباسيين" كان ذلك من خلافة المأمون الى بدئ خلافة المتوكل 232 هجرية أى 847 م. و بينهما خلافة كل من المعتصم و الواثق[366]. وكانت علاقة المأمون بالمعتزلة مما حير بعض المؤرخين و المفكرين الا ان احدا لم يتوقف عند ذلك الا قلائل منهم استانا الجليل حسين مروه الذى قال بان "لا ينبغى اعتبار كل معارضة معارضة

تقدمية بوجه الاطلاق و لا كل سلطة قائمة سلطة فمعية بوجه الاطلاق". و لعل مروه بفترض ان صراع المعتزلة ضد الامين يعنى ان سلطة الاخير رجعية و العكس صحيح ان سلطة المأمون كانت تقدمية و ان معارضتها بالتالى رجعيه.

و قياسا راح مروه يتأمل العلاقة "التاريخية المتميزة التى اتفق حدوثها بين المعتزلة و السلطة العباسية فى خلافة المأمون و قد استمرت فى خلال خلافني المعتصم و الواثق. و يقول مروة ان تلك العلاقة كانت "مسألة بقيت حتى الان تدرس على اساس نظرة مثالية ذاتية دون ان يتوجه احد الباحثين لكشف ما يكمن وراءها من عوامل اقتصادية–اجتماعية فى العصر العباسي الاول". و فى محاولته الكشف عما وراء تلك العلاقة يقر مروه بان الدراسات المعاصرة مثلا تقول ""أن المأمون لانه مثقف ثقافة واسعة و عميقة و انه شغف بالبحث العلمي و الادبي و عقله عقل فلسفي وحر التفكير كان الاعتزال اقرب المذاهب الى نفسه من حيث انه اكثر المذاهب حرية واعتمادا على العقل" و قد قرب–اي المأمون–"المعتزلة منه و اصبحوا ذوي نفوذ فى القصر"[367].

ويستطرد مروه وهو يبدو غير مقتنع بهذا التفسير قائلا: "اذا كان هذا هو تفسير هذه المسالة فى عهد المأمون فما تفسير امتدادها بعده نحو ستة عشر عاما فى خلافتى المعتصم و الواثق و ليس لواحد منهما شئ من مزايا المأمون و ثقافته وحرية تفكيره؟" و يؤكد استاذنا الجليل حسين مروه و نحن معه ان "هذه المسألة تستحق دراسة وافية فى ضوء المنهج المادى التاريخي و ليس باستطاعتنا فى هذا البحث اكثر من محاولة وضع اساس تمهيدي لهذه الدراسة مسترشدين ببعض المؤشرات الاقتصادية –الاجتماعية فى عير المأمون و بالقوانين العامة لدياليكتيك الحركة الاجتماعية"[368]. ومع ذلك لا يستدرك حسين مروة التناقض وصفه للمأمون بانه صاحب مزايا عددها مروه و بين قول مروه ان المأمون كان ضعيف الشخصية. و فى ختام الباب التاسع ينبغى ان أتساءل طويلا و اعدد تتويعات على العباسيين و تشكيلات السلطة غير المعلنة على الخصوص التى تعبنت على انتاج تلك السردية التى ما برحت تشغل المءرخين و المفكرين العرب بلا انقطاع'.

هل كان المتوكل والاشاعرة تتويع على نفس اللحن

كان وزراء و مستشارون و نصحاء مشبوهين–امثال يوسف ابن نغزالة اليهودى وزير باديس و امثال الميمونى مستشار صلاح الدين من قبل وامثال ايتاح الخزرى والمملوك صالح بن وصيف مستشارى المتوكل قد تعينوا بدورهم باكرا على الوسوسة بالحاح على الخلفاء فلم ينفك الاخيرون ان اسلموا امرهم للاول. وكان وزراء العباسيين و رجالات البلاط الارستقراطيين من اصحاب الاعمال و التجار العالميين امثال الفضل بن مروان وراشد المغربى و عبد الله بن يحى بن خاقان و غيرهم قد راحوا مثلا يخططون فيكرسون خطاب كان من شأنه تكريس دعامات استقرار امتيازاتهم و تسويغ مصالحهم خصما على كل من الخليفة و المحكومين. فقد كان امثال مصعب الزبيرى واسحاق بن ابى اسرائيل قد تعينوا بدعوة من الخليفة المتوكل على المساهمة فى "الادلجة المذهبية الجديدة" وقد راحت تحل مكان فكر المعتزلة.

وازعم انه ظاهرة احاطة نمازج و عناصر مشبوهة باعضاء الدائرة الداخلية للسلطة بقيت ظاهرة متستر عليها او–و لم يعنى كثيرون برصدها و مقارنتها فمقابلتها بما تستحق من الاهتمام من حيث انها عامل مؤثر بصورة كبيرة فى مجريات امور و سياسة اعضاء الدائرة الداخلية للسلطة و بخاصة شخص الخليفة و رئيس الدول. و ازعم ان تلك الظاهرة ما برحت ماثلة مما يلاحظه الناس فى كل مكان. بل ان تلك الظاهرة باتت ماثلة بصورة اكثر وضوحا اكثر من اي وقت مضي. و قياسا فقد كان قياصرة و اباطرة الرومان من يوليوس قيصر على الاقل و كاليجولا لوقت ما و اباطرة وقياصرة و ملوك و ملكات و رؤساء جمهوريات اوربا الشرقية و الغربية بدورهم العوبة فى يد اعراب الشتات منذ الامبراطوري قسطنتين الاول على الاقل. فقد كان يوسف بن ماتلياهو المعروف بيوسوفوس 37–100 م و قد اطلق على نفسه اسم تيوتوس فلافيوس *Titus Flavius* بعد ان بات مواطنا رومانيا مستشار الامبراطور قسطنطين الاول[369] و ثمة موسى الميمونى الاندلسي

المصري–وقد رحل و اسرته من الاندلس فى القرن الثانى عشر الى الفاهرة– ليعمل فى خدمة صلاح الدين وصار طبيه الخاص و مستشاره عشية الصليبية الثانية ولم ينفك ان اثر موسى الميمونى بعد صلاح الدين على الايوبيين فاغواهم بوضع نجمة داوود السداسية على عملتهم فى 568 هجرية على عهد الناصر صلاح الدين[370].

و ثمة نوسترادامیس–1503–1566 اكبر صوفيي زمانه ومستشار البلاط الفرنسى وشبتاى لاوى وغيرهم من اسباط بعض طوائف اليهود المتنصرة. و منهم يوسف ابن نغزالة اليهودى وزير باديس و قياسا ثمة لاوي شبتاى نبى طوائف الدونمة و زعيم ثورتها العالمية الذي اسلم تخاتلا فغدى عضوا فى حكومة الخلافة العثمانية. وثمة الى الاخيرين فيرناندو–أو فيرنديناد–لوبيز مستشار الملكة اليزابيث الاولى وميخائيل نوسترادامیس مستشار ملكة فرنسا الام كاثرين دى ماديتشى و ابنها فيلب التاسع و جريجورى بوتمكين مستشار امبراطورة روسيا القيصرية ياكاترينا الكبرى و ديزرائيلى الذى تنصر و بات رئيس وزراء بريطانيا و مستشار الملكة فيكتوريا المفضل فى القرن التاسع عشر.

المهم فورا كان الفضل بن مروان وراشد المغربى و عبد الله بن يحى بن خاقان و مصعب الزبيرى واسحاق بن ابى اسرائيل قادوا فى القرن التاسع ثورة مضادة على المعتزلة وعلى فلسفة و فكر قادتهم العظام امثال الكيندى و كان فيلسوف المعتزلة و الفارابى و ابن سيناء.

و كان الاخيرون ينادون باقامة فضاء واضح بين الدين و السياسة و باسلام يصدر عن اعمال العقل و يتعين على اقامة مبادئ اسلامية انسانوية تتمأسس على الاسلام بوصف الاسلام لا يرى حيفا بطبعه فى فصل الدين عن صناعة السلطة Statecraft بل العكس فقد كان غير ذلك استثناء على قاعدة تشكلت بواقع امر اغلبية المجتمعات الاسلامية منذ عمر.

فقد كانت جماعة موازية قد ظهرت على عهد المتوكل راحت تتعين على تسييس الاسلام او–و تنادى بادلجة مذهبية جديدة من تحت عباءة الخليفة المتوكل, و اجادل انه كيما يتيسر لتلك الجماعة التعين على ادلجة مذهبية جديدة او–و تسيس الاسلام فقد كان على تلك الجماعة ان تزين للخليفة تنويعة من استبداد السلطة المشخصنة فى الخليفة بوصفه امير المؤمنين.

وكانت تلك الجماعى تطلق بالاحرى على امير المءمنين صفة او اخرى تستدعى مهابة معنوية تتصل بقيادة تسترشد برعاية الله لحاملها من المتوكل الى المأمون و المستنصر و المعتصم وغيرها وصولا الى القاب ملوك الاندلس و قد اخترعت لكل منهم بليل صفة خارقة و هكذا. و ازعم ان شخصنة السلطة و احاطة الخليفة الملك بجلالة او مهابة اخلاقية فارقة ما انفكت ان استقرت فى مسام شرائح السلطة العباسية مثلما كانت قد عبرت عن نفسها باكرا فى السلطة الاموية من حيث اعادة التوزيع على الاقل ان لم يكن من حيث تقاسم السلطة و الثروة. و قد تكرست تنويعة السلطة المشخصنة فى نظائر لاحقة تباعا[371]. فمن الذى كتب سردية العباسيين؟ و من الذي وصف المأمون و سجل سيرته؟ هل كانت مجاميع متغايرة؟ و لمصلحة من او ماذا؟

الباب التاسع : عصاة و عصاة

الفصل الاول: انتشار الحركات الشعبية الغامضة فى الخلافات و الكنيسة الغربية:

تقديم:

اجادل انه ان كان من بعض غايات مشروع بعض اعراب الشتات يهودة الاسلام او اختراق الاسلام بالاسرائيليات مما كان يثابر على شرحه الكاتب المصرى الكبير احمد بهاد الدين فى مجلة روزا اليوسف فى السبعينات فان ماهية مثل ذلك المشروع تبقى متسارة و من ثم غير قابلة لنطق باسمها. بل و تحرم ماهية ذلك المشروع اى بديل لمفرداتها ناهيك عن تعريف تلك البدائل. و قد اتصل المتكلمون والخوارج و المعتزلة و تنويعاتهم و نظائرهم من اهل الكلام الذين اعتمدوا على

ما يسمى بالعقليات فى تقرير العقيدة كالكلابية و الاشاعرة الاوئل و الماتريدية و الجهمية و تزويق الكلام و رفض المجادلة.

1-***المتكلمون و محاولة اختراق الاسلام:***

كان بعض اعراب الشتات يتولون امر بعض زعماء و حكام المسلمين بالالحاح عليهم و استمالتهم و بالتقرب الى شرائح السلطة حتى استمالوا من الاخيرين من استمالوا. و كان مشروع اعراب الشتات عازم على اختراق الاسلام بغاية تهويده مثلما كانوا قد تعينوا على يهودة المسيحية عشية صلب المسيح الى احباط تنصير الامبراطورية الرومانية. وازعم ان بعض ما جاء من خلق و القرآن وصولا الى اختراق الكاثوليك الغربية بصورة معلنة فى القرن السادس عشر بخروج الطوائف المسيحية عن البابوية وعصيان معظمها للكنيسة الكاثوليكية تنويع على الخوارج و المعتزلة. فلم ينفك نظائرهم ان راحوا قوا ويتربصون بالكاثوليكية و الانجيلية غير الافانجلية ممثلة فى تنويعتها الانجلو امريكية المغالية الدوائر.

و ازعم انهم كانوا قد تعينوا على محاولة تهويد الاسلام من حيث تفسير علاقة الميثاق الذي أخذه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بني آدم بالفطرة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخذ الميثاق عَلَى بني آدم حينما استخرج ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلام من صلبه وأشهدهم عَلَى أنفسهم واستنطقهم. فقد قال المفسرون في تفسير الآية وفي قول النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: و ان عيسى عبد الله و رسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه. و قالوا ان عيسى روح من الارواح التى خلقها الله و استنطقها. كما صرح بذلك كعب الاحبار و غيره[372].

قد فعلوا المثل مع شرائح سلطة أهم المدن الدول الايطالية و جمهورياتها مثل البندقية و نابولى–بعد سقوط الامبراطورية الرومانية. و قد قيض ذلك لهم اختراق الكاثوليكية الغربية مجددا بصورة معلنة فى القرن السادس عشر بخروج الطوائف المسيحية الغربية عن و عصيان معظمها للكنيسة الكاثوليكية. و ما تبرح التنويعة الانجليلية و قد تحورت الى طائفة افانجلية انجلو امريكية تناصب الكاثوليكية و الانجيلية غير الافانجلية العداء و تثابر عقلانيا على محاولة تفيتتها و تقسيمها مجددا بين طوائف متنافرة كما يلاحظ الناس فى مشروع تنصيب المثليين من رجال الدين فى قيادة الكنيسة و غير ذلك.

و أزعم أنهم كانوا قد تعينوا على محاولة تهويد الاسلام من حيث تفسير علاقة الميثاق الذي أخذه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بني آدم بالفطرة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخذ الميثاق عَلَى بني آدم حينما استخرج ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلام من صلبه وأشهدهم عَلَى أنفسهم واستنطقهم. فقد قال المفسرون في تفسير الآية وفي قول النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: و ان عيسى عبد الله و رسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه. و قالوا ان عيسى روح من الارواح التى خلقها الله و استنطقها. كما صرح بذلك كعب الاحبار و غيره[373].

و لعل المتكلمون اقدر من وظف تدوير الكلام و التزويق و المجاز. فقد اتصل الكلام بالمجاز والتزويق. و يستخدم المتكلمون و نظائرهم المجاز و اما اسميه احيانا تزويق الكلام حتى يقول الكلام ما لا يعنى او لا يقول شيئا فلا يصل الكلام الى معن محدد او مفهوم بل يرفض التعريف ناهيك عن المجادلة. و يقول المؤرخ الكبير حسين مروه " في الإشارة إلى نفي الدلالات المادية الظاهرة عن بعض الآيات القرآنية، يشير حسين مروه في الجزء الأول من كتابه "النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية" بالقول :"حرّفوا الألفاظ ذات المدلول المادّيّ عن معانيها اللغوية المباشرة إلى معاني مجازية والى دلالات رمزية، فاليد هي القدرة، والاستواء على العرش هو السمو والمهابة، والأعين هي الرعاية والإرادة.."

ويقول الفارابى فى مروه حول تعريف علم الكلام بانه "صناعة الكلام " و ان "صناعة الكلام" ملكة يعتدر بها الانسان عاى نصرة الاقوال و الاعال المحدودة الى صرح بها واضع الملة و تزييف كل ما خالفها بالاقاويل"[374].الا يذكرك تحريف

الالفاظ ذات المدلول المادة عن معانيها اللغوية المباشرة بغزل الكلام Spin او العلاقات العامة. و أذا لم يكن ذلك غزلا للكلام او علاقات عامة ماذا يكون اذن؟ If that is not spin what is?

و ازعم ان مثل ذلك المشروع يتحايل على ذكر الحقيقة كونها غير قابلة للافصاح عنها. و قياسا يبقى مشروع المتكلمين مثله مثل مشروع المحافظين الجدد و الاصحاح القديم كالدستور غير المكتوب يفتح فضاءا على المراوغة و على اعادة ترتيب الاحداث و اعادة انتاج المشروع حسب الطلب فى كل مرة. و تغدو مفردات ذلك المشروع تعبير عن منهج بحثى متخاتل و الاحرى لا منهج بامتياز. فمفردات مثل ذلك المشروع هى منهجه بالنتيجة. فاستخدام تعريفات بعينها دون غيرها لا يوفر سوى المفهومات التى تستدعى التكاذب فى التعبر عن الواقع.

و يقول المتكلمون فى المجاز ان " كل اسم هو اما شائع او غريب او مجاز اوحيلة او مختلق او مطول او موجز او معدل" و يكررون ان "المجاز نقل اسم يدل على شئ الى شئ اخر و النقل يتم اما من جنس الى نوع او من نوع الى جنيس (Genre) و من نوع الى نوع. او بحسب التمثيل ... و من جنس الى نوع ما مثاله هنا توقفت سفينتى لان الارساء ضرب من التوقف و اما من النوع الى الجنس.."

و ازعم ان تحورات المجاز بهذا الوصف اوسع شيوعا اليوم فيما يزوق المجاز بدوره فى مفهوم او لا مفهوم العلاقات العامة و تدوير الكلام و فى نسج الكلام SPIN و غير ذلك مما يشارف عادة سقط القول الذى قد يعلو اما باجنحة من الترديد بالالحاح على على الذهن و الخاطر.

2–المتكلمون و المعتزلة و العقلانيون التنويريون:

قال المعتزلة "بخلق القرآن وأنه حادث ومخلوق وليس قديم والذين لا يقولون بخلق القرآن يضاهون قول النصارى بأن عيسى إله. ولا يقول أهل السنة إجمالا أن كلام الله قديم وبعضهم يقول لا قديم ولا حديث ويسمون (الواقفة)". و قد اثارت حركة المتكلمين من المعتزلة فتنة بقى سعارها يشتد على مر السنين حول ما اذا كان القرآن مخلوق ام منزل فيما انتشرت الفوضى تحت شعار عزل الخليفة و الامر بالمعروف و التكفير. و كان المتكلمون و المعتزلة يستدعون–افتراضا–فكرا مستنيرا يرفض حرفية النص و النقل المحافظ فى تنويع على حركات المنشقين على الكاثوليكية من بعدهم.

و ازعم ان المتكلمين و الخوارج الخزر منهم على الخصوص اسقطوا مفهوما للدمقرطة او الديمقراطية الافتراضية على خطابهم المسييس–حيث اجادل انهم اخذوا عن التوراة–تكفير العوام الغويم الاممين أى كل من عداهم هم. ذلك انهم كانوا يدعون ضمنا او علنا ما يشارف الديمقراطية و حرية الرأى فيما كانوا يمنعون على من سواهم المثل فى تنويع على الديمقراطية ما بعد الليبرالية والاحرى الدمقرطة على ما يبدو من حركات السنة المحافظة معا.

و لعل كافة الحركات الاسلامية و المسيحية الغربية المنشقة بالوصف اعلاه و تباعا أو معظمها يتعالق على الاقل عند أصل واحد. و قد يكون من المفيد ان يتفكر من لا يجرؤ على امعان النظر فى هذه الفرضية القابلة للاثبات اذا ما قيض الزمن لمزيد من البحث. واجادل ان تلك الحركات تعينت على استباق حركات كانت شروطها الموضوعية و الذاتية قد نضحت. و اجادل أن بعض تلك الحركات كان حريا بان يؤلف قياسا على دمقرطة العالم العربى و الاسلامى تحسبا لانفجار الحركات الشعبية التاريخية الموضوعية و قد احتقنت الجماهير بالاحتجاج و المعارضة للانظمة القائمة و السخط على حلفاء تلك الانظمة الخارجيين.

واجادل ان حال المجتمع العربى ابان عصر المأمون الاسراتى مثلا كان حريا و لعله بقى مدعاة لدهشة كل من يتأمل جملة تاريخه. ذلك ان مثول تناقض ازدهار ذلك العصر الادبى و الفكرى ورفعه و عظمة و ابداع خلفائه مثل المأمون و تردى الاوضاع الامنية والاقتصادية و الاجتماعية فى وقت واحد حرى بان يستدعى تنويعات باكرة و محدثة. و ليس غريبا فقد كانت الامبراطورية الرومانية فى اوج سلطتها و ازدهارها حين كان الرومان على عهد الجمهورية الاسراتية–من يوليوس

قيصر الى نيرو يمثلون ازهى عهود روما مرة. و مرة اخرى كان الاجانب من العبيد مثلا يجتربون اسوأ ما مر بهم ابان تلك الازمات الدورية.

و تبدو امريكا اليوم و مع فضائح شركة اينرون للاسهم و السندات الامريكية بداية 2001 و انهيار اسواق الائتمان العقارى و مثول الكساد الاقتصادى منذ خريف 2007 حتى 2008 و ربما الى 2010 حسب تقدير اشد المتخصصين تفاؤلا–تبدو امريكا فى كل من اوج همينتها و ازدهار العلوم و الفنون الخ فيها من ناحية كما تتفاقم العطالة وترتفع نسبتها بصورة غير مسبوقة على ما كانت عليه منذ اكثر من ثلاثة عقود زيادة على تورطها فى مستنقع العراق وافعانستان. فمن المهم التنبه الى ان شيئا مما يتمثل فى السردية الرسمية قد يكون فى الواقع تعبير عن شئ اخر غالبا ما يكون بعيدا عن الحقيقة. ذلك انه ما ان تكتب السردية الرسمية لاجتياح العراق فانها يقينا سوف تعبر عن سجل للنصر الامريكى و لديمقراطية الاقتراع تحت وابل النيران الخ.

و يجأر الرئيس الامريكى جورج ووكر بوش عقلانيا–الثلاثاء 9 سبتمبر 2008–أننا نسحب 8 الاف من العراق بعد ان حققنا نجاحا بائنا و لندفع بالقوات الى افغانستان حتى نحافظ على النجاح الذى احرزناه هناك فى مواجهة الطالبان و ذلك ضمانا لحرية امريكا و الامن العالمى. و قياسا تجد ان معارك و هزائم بريطانيا كانت و بقيت تصور غزاة السكان الاصليين امجادا يتغنى بها الاخيرون. فاجتياح هادريان بوبلياس ايليوس–القائد الرومانى–117–38 ق.م. للجزر البريطانية وصولا الى وليام الفاتح–1066–87–تتنزل فى التاريخ الانجليزى الرسمى فتصور على انها انتصارات لبريطانيا ويحتفل بها الشعب البريطانى اعيادا وطنية. فلم يسبق لبريطانيا ان حكمها انجليزى قبل اوليفر كروموبل فى منتصف القرن السابع عشر.

و مع ذلك صلب كروموبل و قطعت رأسه وشقت بطنه وبعثرت احشاؤه و مثل ببقية جثته و القيت فى ارجاء المدينة حيث فقدت اذ لم يعرف لها مكان حتى اليوم. و عندما يكتب تاريخ امريكا الرسمى فسوف تصور امريكا على انها أقوى و اغنى و اوسع و اكبر من طبق العلوم و التكنولوجيا فى خلق ارقى وسائل انتاج عالية التقنية. و لن يذكر ان اكثر من نصف الامريكان لا يملك بطاقة تأمين صحى ولا انتشار المجاعات فى المدن الامريكية و لا فاجعة عاصفة كاترينا ناهيك عن ابادة السكان الاصليين و صولا الى قتل المسلمين فى كل مكان و تهجير 4 ملايين عراقى و قتل ميلون ونصف و التسبب فى موت اعداد غير معروفة من الفلسطينيين ولا مذبحة جنين و لا قانا مرتين و لا غزة مرات الخ الخ.

3–الخلافة العباسية و تنويعات اسلامية معاصرة:

تجاسر البدو–اعراب الشتات–على الخلافة و "عاثوا فى بلاد الحجاز فنهبوا الاسواق و امتد اذاهم الى كثير من الناس و قطعوا الطرق و اوقعوا بجند والى المدينة المنورة" و غيره فى جزيرة العرب الشمالية[375].

كان بنو مرة يقلقون امن الخلافة كما اشتبكت قوات الخلافة فى "عدة حروب مع القبائل المناوئة للخلافة فى اواسط هذه البلاد و جنوبها"[376]. و قد منيت بغداد و سامراء بانتفاضة الاكراد و قد اثاروا الفتنة فى بلاد الموصل على يد جعفر الكردى فى اوائل خلافة الواثق 742 و كذا ثورة البابيك فى 817–838 اشعلها بن بابك الخزمى. وقد ارتهن العباسيون بالخرسانيين و الاتراك. و كذا ثورة القرامطة فى 877 و ثورة الزنج فى 869–993 وغيرها من الثورات لتى اندلعت اما خارج الدولة أو–و ابان مراحل انهاك غرماء خارجيين أو داخليين للدولة –تنافسون على سلطة الدولة المركزية. و"غدا الخلفاء فى اثناء وجود البلاط العباسى فى سامراء الاعيب فى ايدى القواد الاتراك"[377] واجدل ان الاخيرين من الخرز او–تنويع عليهم. وازعم ان هذه المفردة كالخزر من فروع قبائل الترك الاعرابية و مضاربها ما بين القفقاز و نهر الفولجا و ربما ما عدى و ما وراء ذلك[378].

المهم حيث فاقمت تلك الانتفاضات و الثورات و الفتن تطلب الخليفة لمزيد من العبيد أو–واستلاب فالضغط على خراج العامة و العبيد معا ارتهنت الدولة بجماعات خارجها. و لعل تلك الجماعات كانت من الدائنين نوعيا و ماديا فقد تلجأ

الدولة المركزية بهذا الوصف اليهم. و لعل ارهان الدولة للدائنين تكرس منذ ذلك الوقت و بقى ذلك الارتهان منتستر عليه تباعا.

و قياسا بقيت الدولة المركزية منذ قيامها باكرا اما مرتهنة بانتفاضات البدو "العربان" عند مشارفها على نحو بات خصوصية لازمة لوجود الدولة المركزية الخراجية أو الاحرى قيامها و سقوطها فى كل مرة. أاو–و مرتهنة للدائنين مرة اخرى. و يكرس ذلك بدوره الفساد حيث يستدعى مطالب بالاحقية فى السلطة على مطالب اخر بصفه وارص شرعى او دعى منذ انفشام بيت قريش باكرا. و كان المجتمع أو–و نمط الانتاج من ثم حري بان يمنى بالنكوض او التنويع على نفسه قاصرا عن النشوء الى اعلى.

وقياسا فقد "ظلت انتفاضات البدو "العربان" فى صراع "مستمر ضد الايوبيين طوال عهدهم و تفجرت ايضا فى عهد المماليك البحرية و بخاصة فى الاعوام 992 و1002 هجرية واصبحت حدثا مزمنا فى عهد المماليك البرجية (بمصر) و كان اشدها عنفا و وقعا فى منطقة "البحيرة" فى اعوام 875 و 892 هجرية و فى الشرقية و الغربية عام 806 هجرية و فى الصعيد عام 882 هجرية و ما تلاه اكثر من مرة فى فترة لاحقة"[379].

و من المفيد تذكر ان تلك السنين كانت سنوات ازدهار بعض الخلافات كما ذكرنا كما كانت اوج حركات المنشقين على امير المؤمنين و على الاسلام التقليدي النصى النقلى. و يمكن عقد قياس بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية و نظائر فى مكان اخر.

3–انقسام الكنيسة و الممالك والعروش الاوربية الغربية و الحركات الشعبية المشبوهة:

كان الفساد و المحسوبية قد انتشرا و تفاقم الفقر والجهل و الاوبئة و اندلعت الحروب الدينية و الدسائس البلاطية و مذابح المعارضين للعروش الاوربية و الكنيسة الكاثوليكية الغربية فى القرن الخامس عشر فى كل مكان فى اوربا الغربية. و كانت مؤسسة المسيحية الغربية محاصرة بالاسلام من الشرق بالخلافة العباسية و الاموية وصولا الى العباسية منذ سقوط القسطنطينة للعثمانيين فى 1453 و من الغرب بالاندلس. و ازعم ان مناخ ذلك الحصار و الاهم حضور الاسلام فى الغرب فى العلوم و الفلسفات و الثقافة و المعمار و الفنون كما ذكرنا فى مكان اخر كان حريا بان ينتج كمياء ما بات يسمى بكل من النهضة و بخاصة التنوير–العقلانى–الارسطى–أو–و ما اعرفه بالعقلانية التنويرية.

و لم تنفك تلك العقلانية ان استقرت فى مسام الفكر و التنظيم الغربيين. فهل ثمة تعالق طردى بين الحركات الاسلامية المذكورة اعلاه و كل من "النهضة" و "التنوير" بما يسمى "المبدأ الانسانوى؟ و كيف اثر ابن رشد–اهم من نقل ارسطو الى اوربا الغربية–فى كل من المسيحية و اليهودية؟ و الى اى مدى أثرت الفلسفة اليونانية على المسيحية الغربية ؟ و كيف تأتى ان تتعالق بعض ملامح فلسفة ارسطو و سقراط و رواسب الاخيرة فى الفلسفات المسيحية الغربية فيما يتصل بالطوائف البروتستانتية؟ و ما تأثير اليهودية على الاخيرة؟

الفصل الثاني:ابن رشد و ارسطو و اوليجاركية البندقية و كمياء أزمة الموحدين[380]"

يقارن كثير من المفكرين المحدثين بين ابن رشد و ارسطو. و ازعم ان ذلك أدعى للتأمل بخاصة فيما يتصل بسياسات و منظومة قيم و مفاهيم ما يسمى بالاوليجاركيات الحاكمة فى جمهورية البندقية. وكنا قد عرضنا لسيرة موجزة لكل من سقراط و ارسطو بوصفهما اهم من اثر على فكر الفلاسفة العرب و المسلمين امثال ابن رشد و ابن سينا و الفارابى و غيرهم من ائئمة المعتزلة او ممن يشارفهم فى نقد مؤسسة الامارة الرسمية او الخلافة ان شئت(ى) وقد حاولنا تحليل مقولات المعتزلة و نظائرهمم الاساسية كما اوجزنا فى مكان اخر سيرة ابن رشد فورا. و ربما تعرضنا لموسى الميمونى كون الاخيرة تلميذ و ثمرة فكر ابن رشد على غرار افلاطون و سقراط و ارسطو و اندرايكوس Andronicus of Rhodes.

و كان ابن رشد قد علق على فلسفة ارسطو فى مؤلفات موسوعية بقى معظمها معروف فى ترجمته اللاتنية وربما العبرية. و قد توفرت تلك الترجمة على مقابلة تركيبية كاملة بين التقاليد اليونانية و العربية. فان كان ابن رشد قد بادر

بحركة فكرية فلسفية عربية اسلامية فقد اثر ابن رشد على الفكر الأوربي الدينى و العلمانى معا. و الى ذلك نقل ابن رشد الفكر من الفكر الدينى الى الفكر العقلى.

و قياسا الهم ابن رشد أوربا القرون الوسطى بحركات مماثله منها تلك الحركة الفرنسية التى بقيت تحتفل به بوصفه أهم جسر بين الفكر الدينى و العقلى. و قد راج ما بقى من مؤلفات ابن رشد المؤلفة بالعربية رغم او–و بسبب احراق معظمها و لم يكن قد بقى منها سوى 50 مؤلفا غب اتهامه بالذنقة, و حيث حفظ ما يقدر ب 50 مؤلفا فى الجامعات و مراكز البحوث الأوربية فقد ترجمت الى اللاتينية لتؤثر فى الفكر الأوربي الغربي فى القرن الخامس عشر و السادس عشر على الخصوص و تباعا.

و قد تعاصر ابن رشد و كذا موسى الميمون من بعد كونه تلميذ ابن رشد واعلام فلاسفة و مفكري العرب و المسلمين والمتصوفة من ابى العلاء –974–1057 و كان ابن زهر حوالى 1072–1162 المولود فى اشبيلية من اكبر علماء الطب فى الخلاقة الغربية. و كان ذلك عهد ابن مالك الاب و الابن محمد عبد الله بن مالك الطائى 1203–1274. و كان عهد الفارض و ابنه ابن الفارض. و كان الاول على السعدى المولود فى حماة قد تولى الدفاع عن حقوق النساء امام المحاكم الشرعية بمصر و فرض حقوقهن قانونيا فسمى بالفارض و سمى ابنه عمر بن مرشد الملقب بشرف الدين احيانا و بابى حفض–ابن الفارض الشاعر الصوفى المتوفى عام 1234 الشهير بابن الفارض.

و قد ملأ اؤلئك جميعا العالم العربى و الاسلامى ابداعا من ادب و فلسفة و شعر و تنظير و نظر و تفسيرا فى القرن العاشر و الحادى عشر الى الثالث عشر. و كان علماء الاندلس كالشيخ زهراوى يعملون الفلك والتشريح و كان الفقهاء ينخرطون فى العلم و التعليم و كافة العلوم الاخرى فى جامع قرطبة[381]. و قد مهد ذلك بدوره للحركة الاصلاحية بين بعض طوائف اليهودية التى انجبت بدورها بعض طوائف اليهودية العلمانية على يدى موسى منيديليس فى المانيا فى القرن 18 مما ناقشته فى محاضرة بالجزائر العاصمة اكتوبر 2007 و فى دراسة تحت النشر.

و كان ابن رشد قد اخذ عن ارسطوا فاوصل أرسطو بالترجمات العربية للفلسفة اليونانية الى اوربا و بخاصة البندقية التى زعمت فى مكان اخر انها كانت مرة مدينة اندلسية و مرة تنويعة على اواخر ايام روما معا. هذا و كانت البندقية قد اخذت عن الجزيرة العربية و لعله ليس مستبعدا ان يكون التنوير قد جاءها من ممالك المغول و بخاصة من عصر أكبر خان الزاهر بالعلم و الفن و المعمار و فن الادارة والمكتبات. و كان للحركة الفكرية فى جمهورية البندقية بدورها تداعيات يرى بعض المؤرخين انها كانت من اخطر ما حاق باوربا الغربية. و اجادل ان تلك التداعيات قد تعود الى اثر ارسطوا على فلسفة الحكم و نمط الانتاج. فقد أستدعت جمهورية البندقية الرق و الربا فتمأسست على كل من الرق و الربا تمثلا لنفي ارسطو لمفهوم سواسية البشرية و مفهوم أن الله تعالى خلق البشر قاطبة على شاكلته.

و يعزو بعض المؤرخين الى ذلك الاثر ما يسمى تخاتلا ب"النهضة" و ما يسمى ب"التنوير" الاوربيين. و ليس صدفة ان يكون منطلق تلك النهضة و كذا التنوير هو روما–الفاتيكان–و نابولى و بخاصة البندقية مما اشرح بعضه فى مكان اخر. وازعم الى ذلك كما ذكرت فى مكان اخر ان ماركس كان حريا بان يحذو حذو ابن رشد فى كتابه "تهافت التهافت" ردا على كتاب الغزالى "تهافت الفلاسفة" و على المتلكلمين. فقد رد ماركس بكتابة "فقر الفلسفة" Poverty of Philosophy على كتاب هيجل "فلسفة الفقر"Philosophy of Poverty و قياسا اجادل ان الهيجليين و الفيختيين–من فيختة– و الشيللرين–من شيللر– و الكانطيين–من ايمانويل كانط–كانوا حريون بان يغدون بمثابة المتكلمين المسيحين الغربيين غب الاصلاح الدينى و فى مواجهته او–و توافقا معه–و ربما الفوا رديفا لفلاسفة جمهرية البندقية الحرة و التنويريين تباعا.

و حيث الف فكر ابن رشد نواة ما تمثل فى القرن السادس عشر و "نهضة" القرن السابع عشر و"تنوير" القرن الثامن عشر فى البندقية ازعم ان ربما كان ما يسمى بالمبدأ الانسانوى و ما يسمى بالتنوير كانا حريان بان يغدوان وظيفتا النهضة الأوربية الجنوبية. و لم يلبث التنوير و المبدا الانسانوى–وظيفتا فكر ابن رشد–ان عبرا عن نفسيهما كما ذكرنا فى فكر

توماس الاكوينى و فى مفهوم الجدل لدى هيجل و ماركس على التوالى و ازعم ان الاخير كان حريا بان يمأسس أهم قوانين أو شرط النشوء الاجتماعى الاقتصادى علي جدل ابن رشد. و بالمقابل اثر ابن رشد على موسى الميمونى و غيره.

الفصل الثالث : قياس بعض الطوائف المسيحية الغربية المنشقة و الخوارج :

أزعم ان ثمة قياس بين المناخ الذى نشأت فيه طوائف مثل الكاليفينية Calvinism و ذلك الذى تساوق وظهور الخوارج كما ذكرت أعلاه و أذكر تباعا.

قياس الكالفينية و الخوارج :

ربما كان مفيدا ملاحظة كيف ان انقسام الكنيسة الكاثوليكية و ظهور الكنيسة البروتستانتية و انقسام الاخيرة الى طوائف لا متناهية حتى اليوم كان حريا بان يصدر بدوره عن تنويعة باكرة مرة و متأخرة مرة اخرى لنظائر من المدارس و الطوائف الاسلامية المذكورة. فقد ظهرت البروتستانتية عشية سقوط غرناطة و هجرة اعداد من اعراب الشتات من كل مكان الى كل مكان و بخاصة من الاندلس و معهم علوم و رساميل كانوا قد راكموها فى الاندلس حتى بداية اضطهاد كل من عدى الكاثوليك فى اسبانيا. كما انه من المفيد تذكر انه حيث تمثلت النهضة بعد اقل من عقد من سقوط الاندلس فقد ظهرت معظم الطوائف التى يتعين على ذكرها هذا البحث فى اقل من ثلاثين الى خمسين عاما من سقوط غرناطة.

هذا و لعله من المفيد ايضا تذكر ان سقوط غرناطة لم يأت هكذا بدون مقدمات او كانه كمثل حادث لا متوقع. فقد كانت الممالك الاندلسية تتهالك واحدة بعد الاخرى و يلقى بعضهم بنفسه فى احضان الفرنجة و يستعدى كل منها الاخيرين على خصومه مما الحق بالشعوب العربية و المسلمة الخراب. و يشارف ذلك المنوال ما يتيعن عليه بالحكام العرب و المسلمين و ما يحيق بالشعوب العربية و المسلمة اليوم تباعا بغض النظر عن شرم الشيخ و الطائف و الدوحة و انا بوليس و ربما بسببها. وقد انقسم المفكرون و المثقفون العرب والمسلمون بدورهم على مؤسسية الاسلام تحت راية العلمانية المتخاتلة خوارجا و متكلمين و اشعريون و معتزلة الخ ينددون ببعضهم بعضا و يمارسون الحجامة و جلد الذات او جلد شعوبهم.

ويسقط معظم اؤلئك المفكرين والمثقفين حال المجتمعات العربية الاسلامية الماثل على التاريخ و يسحبون خراب تلك المجتمعات المادى و غير المادى على الخلافة العباسية و على المجتمعات النظيرة كالاندلس الخ. و رغم ان ما يفعله البنك الدولى و صندوق النقد الدولى و الرساميل عابرة القوميات و ما يسمى بالاستثمارات الاجنبية ماثل و لا يحتاج لتأمل. فان معظمهم لا يجد فى قلبه ان يعقد بين الاخيرة و بين رساميل اعراب الشتات.و بالمقابل فان احدا لا يسأل عما ادى الى خراب مجتمعات كانت زاهرة ماديا و ثقافيا فى بغداد وطليطلة و غرناطة.

1-***تنويعات الخوارج والمتعزلة الاسلامية و اليونانية و الخزرية***

يقول بعض المتفقهين ان ليس ثمة مسألة لدى المعتزلة سوى مسألة مرتكب الكبيرة التي اعتزل بها واصل بن عطاء رأس المعتزلة حلقة الحسن البصري. و يقول اخرون انه لا يوجد فى الفكر الفلسفى المعتزلى مما لا يوجد فى الفكر اليونانى. و يقول مؤرخ للمعتزلة " لا نكاد نجد "مسألة من مسائل علم الكلام إلاّ كانت ناشئة عن مسألة سَبَق للفلاسفة اليونان أن بحثوها"[382]. ة ر يتسائل معظمنها متى اهتم اليونان ان فعلوا بالوصف اعلاه بعلم الكلام. و من هم اكثر من تعينوا على تكريس هذه الظاهرة فى الخطاب؟ و اجادل ان علم الكلام بالوصف المعتزلي كان قمينا بان يتعين على ما ييسر لهم تمرير الكلام الذى قد لا يقول شيئا او–و الاحرى الكلام الذي يقول غير ما يعني بما في ذلك اهم و اخطر ما نسب اليه و ما استهوى افئدة الكثيرين من علم الكلام فى قولهم

مثلا ان " الكلام صفة من صفات الله فالله متكلم وكلم موسى تكليما" فهل كان موسى مسلم؟ و غير ذلك من تزويقات الاحداث التى لا رابط احيانا بينها.

و كان المعتزلة و بعض طوائف الخوارج قد بحثوا مسألة "القضاء والقدر" بهذا الاسم واختلفوا فيها. و يقول البعض ان بحث المعتزلة هو الأصل في هذه المسألة، وأبحاث باقي المتكلمين إنما جاءت للرد على المعتزلة، ولذلك يعتبر المعتزلة هم الأصل في بحث مسألة القضاء والقدر، بل في جميع أبحاث علم الكلام[383]. و حيث كان الفلاسفة اليونان قد بحثوا تلك المسائل و اختلفوا بشأنها بدورهم الا ان قلائل يقولون لنا متى كان ذلك.

المهم فورا كان الابيقوريون اللذين تأثروا بسقراط يرون "أن الإرادة الحرة في الاختيار"، و ان "الإنسان يفعل جميع الأفعال بإرادته واختياره دون أي إكراه". ورآى الرواقيون الذين تأثروا بسقراط ايضا و اثروا فى معظم الطوائف المنشقة على الكاثلويكية كالفينيين "أن الإرادة مجبَرة على السير في طريق لا يمكنها أن تتعداها" و ان "الإنسان لا يفعل شيئاً بإرادته وإنما هو مجبور على فعل أي شيء ولا يملك أن يفعل أولا يفعل[384] شرحه. أى ا ن الانسان مسير و ليس مخير.

و يعتقد معظم المؤرخين ان الافكار الفلسفية اليونانية وصلت الفكر الاسلامى بالترجمة على عهد المأمون خاصة و ابان العصر الذهبى للثقافة الاسلامية. المهم كان من أهم المسائل الفلسفية التى شغلت الفلاسفة العرب و المسلمين "مسالة صفة العدل بالنسبة إلى الله. فالله عادل ويترتب على هذا العدل مسألة الثواب والعقاب، وترتب على ذلك مسألة قيام العبد بأفعاله جرياً على منهج البحث الذي سار عليه فلاسفة اليونان و بعض فلاسفة المسلمين من بعد متأثرين بأبحاث الفلاسفة اليونان, و بما درسوه من أفكار فلسفية تتعلق في موضوعاتهم" التي يردّون عليها.

و يقول بعض المؤرخون أن تلخيص أفكار المرحلة التى نشأت فيها ظاهرة المعتزلة و المتكلمين قد تعود الى ان الفلاسفة المسلمين تعينوا على أبحاث علم الكلام بالكلية متأثرين بالفلسفة اليونانية فيما خلا القليل جدا من المسائل. و كان الفلاسفة اليونان قد بحثوا فى مسألة القضاء و القدر أو الجبر و الاختيار أو حرية الإرادة. ومنها:

-واقعة أخذ المتكلمين عن اليونان عين المسائل باسمائها و مسمياتها و كذا المعتزلة. و قد عرف كل من الاخيرين و نقلا عن الابيقوريين و المتكلمين تعريف مفهوم القضاء و القدر بوصف انه "ما يحدث من الإنسان من أفعال و هل الإنسان حرّ في إحداثها وعدم إحداثها أو مجبور". [385]الا ان الأبيقوريين قالوا بالتخيير فقد كان الرواقيون مجبرين يقولون "بوهمية الاختيار".

-حيث تسربت الأفكار الفلسفية إلى أهل الاسلام بهذا الوصف فقد باتت أهم تلك المسائل المتسربة مسألة صفة العدل بالنسبة إلى الله.

-و قياسا فقد ترتبت لدى الاخيرين مسألة الثواب و العقاب من مفهوم العدل. و تترتب على الاخير مسألة قيام العبد بأفعاله

- كان المعتزلة بحثوا هذه المسألة و سائر المسائل الكلامية.

و حيث ان هذا البحث لا يدعى كما قلت التبحر فى امور المعتزلة و المتكلمين و نظائرهم الباكرة الا بقدر ما يتطرق وجيزا الى اهم ملامهحم فانه يتعين على استبصار التنويعات المعاصرة لتلك الفرق التى اثرت فى الفكر الاسلامى و المسيحي عائدة الى الفكر و التنظيم الاسلامى حتى اليوم. ولتحليل و التعليق على النقاط و المسائل المذكورة اعلاه و لتعريف علم الكلام و المتكلمين وكذا الفرق بين الاخيرين و بين غيرهم من الفلاسفة احيل القارئ الى العديد من البحوث المنشورة على المواقع المتخصصة التى تعمر شبكة المعلومات مما اخذت

عنه و اثبت مصدره هنا قدر الممكن كما اقر بفضله امتنانا و عرفانا. كما احقق فى بعض تلك المراجع و اضاهيها ببعض كما ذكرت فى مكان اخر.

المهم فورا هو مدى تأثير المنقول في مسائل علم الكلام بعامة بالفلسفة اليونانية عبر المعتزلة كونهم يعتبروا اسبق من غيرهم فى النظر الى تلك المسألل على مدارس الفكر اللاحقة. و تزعم هذه الدراسة ان اثر المعنزلة و المتكلمين و الخوارج لم يكن على الفكر الاسلامى و حسب. بل اجادل ان المعتزلة و بخاصة أئمتهم مثل ابن سينا و ابن رشد كان لهم و ما يبرح اثر على الفكر الغربى سواء ما اخذ منه بحرفيته و ما حرف منه على ايدى الطوائف المنشقة عن الكاثوليكية الغربية مما اناقشه و احاول تحليله تفصيلا قدر الممكن تباعا.

و كان الخوارج بدورهم يؤمنون بتكفير من لا يتفق معهم و يرفضون حتى ما بين منزلتى الايمان و التجديف. فلم يكونوا يتفقون سوى على المنزلة التى يرونها صواب. و يقول الخوارج و بعض المعتزلة السياسيين بما يشارف الاصحاح القديم فى كتاب موسى الثالث فى سفر ليفيتيكوس Leviticusالذى يجرم المؤمن ان اتى فعلا مثل لمس شئ نجس حتى اذ لم يكن يعلم بنجاسته فيغدو نجسا يحق عليه التكفير بذبيحة للرب. هذا و المؤمن الذى يقترف اثما دون ان يعلم يغدو اثما يستحق العقاب و ربما كفر و هكذا[386].

فما هى كمياء ذلك التطرف؟

حيث اناقش كمياء ذلك التطرف ادناه فلعل مجادلة نقاط التماس بين تلك الجماعات حري بان ييسر تبين مدى تشارك تلك الجماعات و نظائرهم الاموية و العباسية و ربما بعض نظائر الاخيرين الاندلسية فيما يشارف المطابقة احيانا. و قياسا اجادل ان ثمة نقاط مشتركة بين الامويين و العباسيين بدرجات المقياس. فقد كان الامويون قدريون من حيث ان الله تعالى اختارهم لامارة المؤمنين. و كان الامويون يقولون بالجبر و بان اعمالهم مقدرة من عند الله تعالى و انهم يحكمون بارادة الهية اختارتهم–لاحظ(ي) القياس مع مفهوم القدر الجلى Manifest Destiny وكان الاخير قد تكرس مجددا مع التدافع نحو فتح الغرب الامريكي للتوسع غربا مع ما سمى الزيادة الطبيعة للسكان و تزايد المستوطنين.

لاحظ(ي) القياس على تبرير التوسع الاستيطانى الاسرائيلى فى ارض و ممتلكات الفلسطينين. المهم فقد اخذ الخوارج و نظائرهم بذلك المفهوم واجادل ان الاحرى انهم كانوا وراء انتشار ذلك الفكر بعد مقتل عثمان و بيعة معاوية.وربما كانت تلك المفاهيم وراء بيعة الاثنين ومقتل الاخير. هذا فما ان بدأ الخوض فى مفهوم المقدر Manifest destiny لم ينته فقد تعينت فكرة الجبر على خلق مفهوم الصفوة و تكريسها بصورة غير مسبوقة. و سوف نرى ان مفهوم الصفوة–دون ان نتوقف عند تعريفه طويلا–بات فكرة محورية تحدرت من بعد الى مفهوم السلطة و تكرست بصورة لا مباشرة فى الانظمة العسكرية–حتى بملابس مدنية. بالمقابل كان افلاطون تلميذ سقراط قد قال بتراتب المجتمع بين احرار و عبيد و بين رجال و نساء احرار[387] على نحو معسكر Regimented. فالعالم كان حريا بان يغدو معسكرا بالاستقطاب الطبقى على الاقل–كون العسكرة تؤمن بالتراتب و الضبط و الربط أو–نظام الطوائف و المنبوذين الخ. و يكرس مفهوم السلطة بهذا الوصف العقاب الرهيب على "الخروج عن الصف".

و قياسا فان قال المتكلمون والخوارج و نظائرهم بان كل من يخالفهم معتوه او معوق عقليا فقد كان معاصروهم من المعتزلة امثال ابن رشد يرون أن ينبغى التفريق فيما يتصل بقدرة العقل على الاستيعاب بين الخاصة و العامة. و ليس ذلك وحسب فقد كان المعتزلة مثلا يذرون بمن عداهم من المفكرين و العلماء و الشعراء. فقد عرف عن المعتزلة انهم مغالين فى الاعتداد " بانفسهم و بمبادئهم و افكارهم و بائمانهم الى الحد الذى جعلهم

يتهكمون على الاخيرين و يسخرون من سلوكهم ومعتقداتهم و افكارهم"[388]. و لعل ذلك الاعتداد وصل حد الصلافة فالتعالى على من عداهم و على العامة جميعا.

صفووية الحكام و الاعيان وعقلانية أبلسة العامة:

حيث يعزو بعض المؤرخين ظهور الخوارج و امثالهم لمناخ الجبر وكمياء الارادة الهية[389] أزعم انه لا يمكن الجزم أن كان ظهور الخوارج و المعتزلة و أمثالهم وظيفة ذلك المناخ ام العكس. فكأننا بمثابة البيضة و الدجاجة. وأزعم ان الخلافة الاموية من دمشق الى المدن الدول المجاورة كانت حرية بالمقابل بان تتأثر باكرا ببيزنطة قبل مبايعة معاوية و الخلافة الاموية بمغبة متاخمة دمشق–سوريا–لبيزنطة و حركة البشر و السلع و المال بينهما طويلا. و اجادل ان الخلافة الاموية كانت حرية بان تتأثر باكرا بكل من الفكر اليونانى و فكر اعراب الشتات و كان الاخيرون يجاورون و يتاجرون و يترحلون فيما بين حدود كلاهما وربما اغاروا–مثلما فعلوا مع شمال العراق–على شرق سوريا.

و كان كل من الامويين و العباسيين قدرى على هدى المتكلمين و الخوارج معا–بمعنى ان افعالهم مقدرة سلفا و كانوا بما يشارف الجبر. و كان المعتزلة بؤمنون بالاختيار الالهى و بالارادة الالهية و كأنهم تنويع على مفهم "شعب الله المختار"و ارض الميعاد.

و كان العباسيون بدورهم قدريين بمعنى يؤمنون بالمقدر الجلى البائن و بانهم اصحاب رسالة القدر الجلى دون ان يفصحوا تماما. و قد جعلوا الامامة من ثم مشروعا وراثيا فى بيتهم من هارون الرشيد حتى الوائق. و كانوا على غرار الخوارج ممن هيمن على الخلافة العباسية يقولون بان القرآن مخلوق الخ. وازعم ان الخوارج و بعض المعتزلة كان يصدر عن ارسطو اكثر من غيره مثلما باتت الطوائف المنشقة على الكاثوليكية الغربية تصدر عنه ايضا و لو عبر الترجمات اليونانية.

المهم فلعل المأمون كان يصدر عن ترجمة ارسطو و الفكر اليونانى و لعله تأثر بارسطو و كراهية الاخير للديمقراطية مما يكون قد تمركز فوقه الفكر الخوارجى او الاحرى. و قد اتفق العباسيون على ما بات فيما بعد محنة القرآن وما اذا كان مخلوقا او منزلا. و كان تطرفهم مدعاة لمصادرة اى جدل و الحق فى الاختلاف معهم و كانت مغبة الاختلاف معهم مما بلقى بصاحبه تحت طائلة تهمة التجديف و الهرطقة و التكفير[390].

وقياسا يصم بعض الكتاب و المفكرين العرب والمسلمين خصوم الخوارج و نظائرهم حتى اليوم باللاعقلانية. و اجد فى هذا الامر مدعاة للحيرة حيث تخلط الاوراق هنا بصورة لا مغتفرة موضوعيا و تاريخيا وبالتالى علميا. ذلك ان معظم الخوارج و بعض المعتزلة–فيما خلا ربما ابن رشد و ابن سينا مثلا و ليس حصرا–لم يكن صادقا فيما يقول. بل كان جل ما يقولون على سبيل قولة حق اريد بها باطل مما يذكرنا بمن يسمى بحجاج العالم الجديد من المسيحيين الافانجليين و بالتطهريين و الكالفينيين و غير الملتزمين بمؤسسية العقيدة. كما تجد تنويعات محدثة عليهم فى المحافظين الجدد و اتباعهم الليبراليين الجدد و العقلاينيين و المتكلمين الجدد. ذلك ان للاخيرين اجندة خفية مثلما كان لبعض الخوارج و المتلكمين و الاباضية الخ اجندة خفية وراء خطابهم المعلن. و قد اتضحت تداعيات ذلك التخاتل سريعا فيما حاق بالخلافة العباسية 750–1258–على الاقل و تباعا فى الخلافة العثمانية–1229–1922–و اذا امعنا النظر–فى الاندلس711\718–1492.

و بالمقابل كانت الطوائف الخارجة على الكنيسة الكاثوليكية الغربية مثل الكالفينية و التطهرية و ما يسمى النون كونفورميستس Non-Conformist اى غير الملتزمين بمؤسسية العقيدة و بخاصة المحتجين بتطرف على الكنيسة الكاثوليكية كانت تلك الطوائف تتفق فى:

–القدرية أو المقدر و فى الاختيار الالهى و فى عجز البشر الا ما خلا صفوة المؤمنين عن الخلاص لقصورهم.

– كيف يفسر الغربيون القضاء او القسمة و القدر الجلى مثلا بما يناسب طموحاتهم التوسعية و فكرهم و ربانية مساعاهم و كونهم يتعينون على تحقيق مشيئة الرب ثوابا فى الرب.

–كون الرب وحده الذى يملك انقاذ اغلبية البشر و بخاصة عامتهم من مغبة التجديف. فالضلالة قسمة لا يملك البشر ردها جراء او بمعبة قصور البشر و بخاصة العامة الدهماء الغوغاء عن بلوغ العقل فالتعين على الخير و هكذا.

–ان القيادة معقودة على صفوة من المؤمنين و لا راد لذلك.

–بات الملوك من هنرى الثامن و فيليب التاسع و غيرهما مثل ياكاترينا قيصرة روسيا العوبة بيد مستشاريهم سواء كان الاخيرون افانجليين أو جيزويت مثل ميخائيل نوستراداميس. و قياسا كان معظم حكام الامويين والعباسيين و الاندلسيين يأتمرون بمشيئة انتهازين مماثلين لنوستراداميس عشية سقوط كل من خلافاتهم تباعا.

و قد تعينت الطوائف التى الفت فى مجموعها كما هو معلوم ما يسمى بالبروتستانتية–اى المعارضة او المحتجة على الكاثوليكية–تعينت على خلق مفهوم الحكم الالهى او السلطة الالهية اكثر من اى مذهب مسيحى غربى اخر. و كانت الى ذلك وراء كل من تسييس العقيدة و خلق شرط مثول التسارر الكبالى بين شرائح السلطة القائمة. و الكبالى عضو جماعات تسمى الكبالا او القبالاCabalah –أو Cabala كما يتهجاها القاموس الانجليزي أو القبالاه كاباله Kabballah. و تتمأسس تلك الجماعات فوق تقليد يعود الى اعراب الشتات. و الكبالا ناد صغير مغلق لا يسمح بسوى عضوية جماعة معينة تدعى التطهرية و المثالية و احيانا الثورية مثلما يلاحظ عبر التاريخ المسكوت عنه وصولا الى المحافظين الجدد مما قد اعود اليه تباعا.

و قياسا يتحول بوش الابن من فاسق مقامر فاشل الى رئيس جمورية تقى يحادث الرب الا انه بقى مع ذلك لعبة فى ايدى اعراب الشتات مثله مثل عشرات من الحكام الغربين و غير الغربيين مما قد ارصد بعضه فى مكان اخر. المهم فورا ثمة بعد قياسات ماثلة بين الطوائف المسلمة و المسيحية الغربية فى محاربة المقربين من زعامات تلك الطوائف لخصومهم بوصف الاخيرين خصوم السلطة القائمة. و كان ذلك يتمثل فى العداء لكل من المفكرين و الفلاسفة وللعامة معا. و من ذلك على سبيل المثال:

– محاربة القاضى ابن ابى داوود لكل من لا يتفق و اراء الخوراج. و كان ابن ابى داوود مستشار معظم ان لم يكن كافة الخلفاء العباسسين الاسراتيين من عصر المأمون الى الواثق.

و ثمة قياس اخر فى محاربة جورج ابوت George Abbot لكل من لم يتفق معه بخاصة الكاثوليك–خصوم العرشو الكنيسة البروتستانتية الغربية بالطبع على عهد اليزابيث الاولى.

وكان امير المؤمنين قد تحول الى اقل من نظير لبوش الابن. فحيث "كان امير المؤمنين كالمأمون مثلا–سيد القوم و اتقاهم قد بات–بغواية اعراب الشتات متهتكا متبذلا سكيرا ضعيف الشخصية" يلعب اعراب الشتات به. فقد "اتصلت حظوة اليهود لدى حكام المسلمين والعرب" مرورا بالاندلسيين حتى راح وزراء و مستشارو اليهود المؤسلمين و غير المؤسلمين "يديرون شئون بعض الممالك فيوردون بعضها مورد التهلكة مثلما فعل يوسف ابن نغزالة اليهودى و وزير باديس و يهود الخلافة العثمانية و غيرهم[391].

– ثمة قياس ثالث فحيث قال المعتزلة بان القرآن الكريم مخلوق و ليس منزل انكر البروتستانت–و بخاصة الكالفينيين والرانترز و النون كونفوميست و كلهم ممن لا يدين بمؤسسية العقيدة و ينكرون البابوية–و انكروا الثالوث المقدس. هذا و كانت المسيحية الغربية–بخاصة طوائف الكالفينيين و التطهريين و الحجاج و غير الملتزمين بمؤسسية العقيدة–قد استقطبت الناس–غب ما يسمى بحركة الاصلاح الدينى. و قد جأر الاخيرون بدورهم بالكفر بالكتاب المقدس كونه مكتوب و ليس منزل و لم يعترفوا بالثالوث المقدس.

و كان بعض علماء و فلاسفة و مفكرى القرنين الرابع و الخامس عشر راح يتهم الكنيسية الكاثوليكية الغربية بالفساد و المحسوبية و الجهل الا ان ما كان قد اثار الجدل تمأسس فى الواقع فوق اعمدة العقيدة و الايمان المسيحى الغربي باكرا و قبل سقوط الامبراطورية الرومانية. فقد ثار الجدل حول كل من البعث و الثالوث المقدس و تنزيل الانجيل و ما اذ كان منزلا او كتبه بشر غير منزهين عن الخطأ و مؤسسية العقيدة و زواج رجال الدين و لم تحل الاشكاليات المذكورة سوى بانقسام الكنيسة. و قد اتصل الانقسام فى الانقسام كما ذكرنا فى مكان اخر. و ما ينفك الانقسام يهدد الكنيسة الافانجلية الانجلوساكسونية الانجلوامريكية و رعيتيهما فى افريقيا و اسيا تباعا حول موقف الكنيسة من المثلية و تنصيب المثليين اساقفة.

فكيف تعالقت البروتستانتية و المغامرة و الحج و الثروة؟ من اين جاءت تنويعات العقلانية المعاصرة نسبيا؟

سفر تكوين عقلنة العقيدة و تسييبها:

ذكرت فى مكان اخر نبذة عن مارتين لوثر و ما تعين عليه غب اعلان حربه على الكنيسة الكاثوليكية و نقد الانسانويين لبيع صكوك الغفران. و قد خرجت على اثر دعوة مارتين لوثر البروتستانتية طوائف عديدة فى منتصف القرن السابع عشر كالبيوريتانية وطائفة الرانترز Ranters و الكويكرز Quakers او جمعية الاصدقاء الدينية The religious society of friends و طائفة النونكونفوميست Non- Conformist اى غير المقتدين مباشرة بأى كنيسة. وكانت بعض تلك الجماعات قد راحت تهاجر الى العالم الجديد اما فى وجه الاضطهاد الدينى او–و وراء التوسع و المغامرة والحج الى ارض ميعاد جديدة للبحث عن الثروة.

و كانت المغامرة و الجسارة تكافأن عندما كان الفرد يخرج الى العالم فارغ اليدين و يعود بسفن محملة بالغنائم. و كان عصر المغامرة الذهبى قد تعاصر و الاكتشافات الجغرافية الكبرى و اجتياح العالم الجديد و شبه القارة الهندية و التدافع نحو اقتسام افريقيا و اسيا القصوى. و يتغنى الغربيون بتلك السنين. و كانت جماعات المهاجرين من اوربا الى العالم الجديد قد استدعت صفة "الحجاج" على غرار الحج الى القدس او الى دمشق والاحرى الهجرة الى ارض الميعاد. و قد استدعى شباب شمال يوركشير الامريكية فى مدينة James Town كما ذكرنا فى مكان اخر تلك المفاهيم اكثر من غيرهم.

و يعود مفهوم الحج بدوره الى البحث عن الثروة و السعادة. و كان الحج يعنى البحث عن الثروة المعنوية. و لم ينفك ان بات يعبر عن الثروة المادية و السعادة الهيدونية اى الشهوانية. و ثمة قياس ماثل بين مفهوم المغامرة فى عصرها الذهبى و بين تنويعاتها الاكثر تشوها على عهد الشراسة الرأسمالية المالية. فقد باتت المصارف المالية التجارية من الجشع بحيث لم يعد ثمة سبيل لسوى اقليات المغامرين و المضاربين فى حيازات تحتكرها ايد اقل فاقل. و كانت المضاربة تجد لها–على عهد المراكمة الذهبى بالنهب السلب غير المسبوقين–فضاءات لا محدودة فى امتدادات راس المال التوسعية. و كان كريستيان فريهر وولف Christian Freiherr Wolff-1679-1754–و يعتبر وولف الناطق الالمانى باسم التنويريين[392]–قد و صف الرأسماليين بانهم سادة الكون. و كانت القوة دائما هى ادراك ان الثروة تأت بالقدرة على دولبة و تحوير و تغيير المجتمع المعين بالتلاعب Manipulate على العالم و كيف ان العالم من السهل التحايل عليه.

المهم لم تزد استراتيجية او اجندة تلك الجماعات على التوسع فى اراض جديدة و قد ضاقت بهم اوربا. فما ان حطت افواج الحجاج فوق شطوط العالم الجديد و راحت تؤلف مجتمعات فى الشمال حتى توسعت غربا وصولا الى فتح الغرب الامريكي. و قد تركت تلك الطوائف اثارا بعيدة المدى فى خلق الذهنية الامريكية و فى السردية الامريكية. و كان بعض تلك الطوائف مثل النونكونفورميست(اى غير المتلزمة بمؤسسية العقيدة) ثورى يتميز بوعى يتجاوز مؤسسية العقيدة. و كانت الطبقة العاملة البريطانية مثلا قد اعتنقت النونكونفورميزم Non-conformism مثلا. و يتصل بها سفر تكوين حزب العمال البريطانى.

الخوارج و الافانجليون الانجلو امريكان و تنويعتهم الخزرية:

من اهم مميزات بعض الطوائف البروتستانتية الافانجلية انها عموما تكرس علاقة الفرد بالرب مباشرة تجاوزا لوساطة رجال الدين الا ان تنويعتها ما بعد الكونفورميست المعاصرة لم تنفك ان اسلمت–اقتهارا– وساطة الرب للسوق. فقد بات الاخير تمثلا للرب. و قد بات السوق المعولم تنويع على زعامة ساسة لا يزيد معظمهم عن لاعب سيرك عولمى لا اكثر كما يقول كارل ماركس. وكانت تلك التحورات قد باعدت بين الفرد و بين التعامل الاسرى و المجتمعى الذى كانت الكنيسة الكاثوليكية حضت عليه بغاية ربط الفرد بالاسرة عن طريق الكنيسة نفسها. الا ان البروتستانتية الاصولية المغالية "حرمت" الفرد من العلاقة الاسرية و صورتها تخلفا عبورا بتتفيه مفهوم الفضاء الاجتماعى و قد شوهت العلاقة بين الرجل و المرأة و بين الزوجين و بين الابناء و الآباء و –او بالاسرة قاطبة وصولا الى انكار مفهوم المجتمع.

على انه قد يكون من المفيد تذكر ان مارتين لوثر كان قد الهم كروموبل–قائد قوات الحرب الاهلية على سلطة العرش و الملك تشارلز الاول–البيوريتانية. و كان كروموبل وقواته يرفضون حق الملك فى فرض عقيدة بالذات على الرعية. و قد ورث بيللى جراهام الزعيم الافانجلى الامريكى الشهير ادعاء منع حق رأس الدولة فرض عقيدة على المواطنين عن كروموبل و مارتين لوثر.

و ازعم ان ذلك قيض للافانجليين المتطرفين فرض عقيدة على رأس الدولة و البابوات كما يلاحظ الناس فى كل مكان تقريبا. و كان الانجيل–الاصحاح الجديد–قد بدأ تحريفه باكرا و تباعا وصولا الى الزعم بان الاصحاحين القديم و الجديد مكملان لبعضهما. و تعين هيرتزيل و اعراب الشتات على اجبار البابا على اعفاء اليهود من دم المسيح و بات المسيح ملك اليهود بعقلانية بن جوريون و اشر ها عام و روتشديل غيرهم من اسباط و قضاة بعض طوائف اعراب الشتات. و قد فرض الاخيرون على البابا فيما فرضوا عليه حذف كل ما يشير الى العداء للسامية من الاصحاح الجديد. و لم ينفك ان بات ممكنا تكريس الافانجلية الانجلوامريكية المعاصرة خصوصا لمفهوم ان "كل شئ موجود فى الانجيل".

وكانت بعض طوائف افانجلية انجلوساكسونية و قد هاجرت الى امريكا الشمالية قد تحورت تباعا الى الافانجلية الامريكية المعاصرة بقيت لوقت طويل عازفة عن السلطة. فلم يكن الافانجليون الامريكان يمارسون السلطة الوضعية أو –و يتدخلون فى السياسة و كأنهم معتزلة انجلو امريكان. الا نهم ما انفكوا ان التفتوا فوجدوا ان من صالح عقيدتهم ان يدافعوا عنها و ينشروها بقوة المال و السلطة و من فوق اهم منابرها و أعلى رموزها و مراكزها. وكانت تلك الحركة قد بدأت فى عهدها الحديث بغواية الرئيس هارى ترومان باكرا وكان عازفا عن غوايتهم بل كان معاد للسامية فمازالوا به حتى استمالوه لحساب المشروع الصهيونى الجديد فتعين على مشروع حق تقرير المصير و غايته خلق شرط اقامة دولة اسرائيل القومية خصما على سيادة و قومية من عداها.

و ازعم ان من حق تقرير المصير واحد من تاكتيكات مشروع الشرق الاوسط الكبير بوصف الاخير من استراتيجيات مشروع القرن الامريكى الجديد. هذا و لم تغدو تجارب احفاد الحجاج مع السلطة القائمة اشد مثولا حتى ترشح رونالد ريجان للرئاسة الجمهورية فوصوله الى البيت الابيض. و كانوا قد حاولوا مراودة بيل كلينتون الديمقراطى و اختلفوا فى التفاصيل فتعينوا كعادتهم على خلق شرط فضيحة مونيكا لوينسكى. و كانت الفضيحة من صنع المحافظين الجدد الجمهوريين خصوم الديمقراطيين صغينة فى الاخيرين تكاذبا.

و لم يلبث كلينتون بدوره ان راح غب الفضيحة يلوذ ببعض شيوخ الحزام الانجيلى الجنوبى فيدعوهم لمجاورته فى البيت الابيض بخاصة ابان قضية اتهامه فى شرف وظيفته او فى استقامته الوظيفية Impeachment. الا انهم لم ينجحوا كثيرا فى استمالة كلينتون باكثر من التوبة رغم انه كان قد انكفأ مهزوما جراء الفضيحة فتركوه و تعينوا على غواية بوش الثانى. فقد كان الاخير تمثلا للابن الضال الذى رأى النور مرة اخرى كونه ممن يسمون المولودين مسيحيين مرة اخرى Born Again Christian.

و كان لظهور بيللى جراهام و نظائر سابقة عليه اهمية فى تحور الافانجلية الانجلومريكية الثورى من موقفها السلبى السابق من السلطة و التباعد عن السياسة. فكأن بيللى جراهام ابن ابى داوود. و قد تعالقت مفاهيم اعتزال السياسة و بناء مجتمعات يوتوبية تحقيا للحلم الامريكى. و رغم اننى ازعم ان مفهوم الحلم الامريكى يتصل بحلول اعراب الشتات تذرعا الا انه ربما كان فى مقولة اليوتوبيين المذكورين أعلاه قياسا على مفهوم الاعتزال لدى المعتزلة و لعله تعبير واضح عن تعالق تنويعات بعض مفاهيم الاعتزال و مفهوم اليوتوبيا.

المهم لم يعد مشروع المعتزلة الانجيلي–الانجو امريكى–المسيحي الصهيونى على الخصوص–اذا صح التعبير–ممكنا مع العولمة فى نفس الوقت الذى باتت معه المشاريع الاقتصادية الاجتماعية التقليدية القديمة بائرة. هذا و حيث باتت المشاريع الاقتصادية الاجتماعية بائرة بغاياتها التى عرفها الناس الا ان نزوع الناس الى اليوتوبيات يتفاقم فى علاقة عكسية. و حيث كان شرط تلك المشاريع قد تمأسس يوما على الاحزاب الكبرى و خطاب القضايا المفصلية و الكبرى و اجندة المشاكل الاجتماعية الا ان زمان فعالية الاحزاب الكبرى و الساسة الكبار يبدو و كأنه ينقضى تباعا و لو الى حين.

و بالمقابل احلت الخصخصة فاعلين محليين و مقأولين دوليين مكان الساسة فاعفت الاخيرين من كل من المسئولية و من عبء القضايا الكبرى والنظريات الكبرى و قد راحت حركات القضية الواحدة و قادة القضية الواحدة من حق المثليين و المرأة على جسدها و سلامة ابى القنفذ ابان الشتاء تحتل مكان القضايا الكبرى خصما على القضايا الشعبية بحق و على القادة الكبار و القادة الشعبين و بحق الاحزاب التاريخية الكبرى. يشجع اعراب الشتات العلاقات المثلية كونها تشوه الفوارق بين الجنسين. و يجأرون بان الفرد يخترع نفسه ذكر او انثى او–و يان الجنس فبركة اجتماعية. و لا يكترثون ما اذا كان ذلك من شأنه ان يعرض الانسانية للانقراض بمغبة ما يسميه البابا بينيديكت السادس عشر الثلاثاء 23 يسمبر 2008– عشية عيد الميلاد–التدمير الذاتي. لقد بات المجتمع يغرق الفرد و بخاصة الاطفال بطوفان من الادب و الفن الغث الرخيص حول الجنس و ما هى جنسانوية الفرد و ان له اختيار ما يكون عليه كفرد حيث ان ذلك من حريات الفرد و حقوق الانسان, و قد قيضت عملية تمييع التمييز بين الذكر و الانثى ما يشارف ابادة المجتمع الغربى. فالمجتمع الغربى يموت.

وقياس فقد كان ذلك حريا بان يخلق شرط فيوفر تمثل يوتوبيا عولمية متخفية. ذلك ان الاقليات العولمية من اثرياء العالم– و قد قيضت لهم ثروات غير مسبوقة خصما على اغلبيات المفقرين تباعا–كانوا حريون بان يؤلفوا مجتمع او محفل تجمع الاطهار يجلس فى السماء لا يخشى احدا و لا يخاف شيئا مثلما فى قصيدة حلم رجل سئ الخلق The Dream of a Rude Man.

المهم كانت الافانجيلة الانجلو امريكية تجد ان السياسة حرية بان تلوث حياة المؤمن. الا ان تاثير بيللى جراهام و غيره من ابطال تثوير الافانجلية الانجلو امريكية لم ينفك ان دفع الطائفة التطهرية الى العمل دائبة على تسييس الافانجلية باستخدام الانجيل لتبرير تلك الثورة. و بات من ثم القول بان المؤمن اذ يتحدث الى الرب انما يكرس العلاقة المباشرة بينه و بين الرب دون وسيط تعبير قياسى على ابائهم الاوائل قبل و بعد الهجرة الى العالم الجديد.

و بالمقابل فعندما يعلن بوش صليبية(تاسعة) فانه يستجيب الى نداء الرب مباشرة بان يخرج بالضرورة فى حرب ضد محور الشر و حماية المسيحية و الغرب بالنتيجة و الرأسمالية بالضرورة. ذلك انه ان يجأر بوش الابن بانه يحارب الشر و يشعل صليبية على الاسلام فانه فى نفس الوقت يحافظ عقلانيا او ذرائعيا بصورة شبه معلنة على ولايته المحروسة بالمصالح الرأسمالية ما بعد الصناعية و الحارسة للاخيرة معا. و كأن الادارة 43 تنويع على اواخر عهد هارون الرشيد الاسراتى. و هكذا فقد تحورت الافانجلية من طائفة ثورية معادية للعروش الى طائفة محافظة تكرس مفهوما للادارة الامريكية وغيرها يشارف السلطة الرئاسية الامبراطورية. فقد باتت الافانجلية الانجلوامريكية اكثر محافظة من الطوائف الاخرى و خصما على الاخيرة كونها طائفة أكبر و اقوى سلطة فى العالم. وحيث كانت بيوريتانية الافانجيلة او الافانجلية

البيوريتانية طائفة ثورية للضعفاء ضد الاغنياء الا انها ما انفكت ان باتت عقلانيا حركة محافظة للاقوياء ضد الضعفاء[393] والبؤساء المتستهر بهم بجريرتهم. و تتمثل تلك الظاهرة اكثر ما تتمثل فى تنويعتها الاخيرة و قد باتت كاركاتير لما سبقها و هى ظاهرة الرأسمالية المالية المغالية و تداعياتها فى اخطر ازمة تحيق بالمجتمعات الرأسمالية و مجتمهات التوسعات الرأسمالية فى كل مكان منذ صيف 2007 و تباعا.

عقلانية المفهوم الرأسمالى للشيطان:

أبقت المسيحية الغربية –بخاصة الافانجلية– بهذا الوصف عامة الناس خارج حظيرة الايمان و كذا خصومها, و حيث اقصت الصفوات الاوليجاركية الحاكمة العامة و المفقرين خارج حظيرة الايمان فقد بات العامة خصوم بالتماس رغم او بسبب تحايل التنويعة ما بعد الليبرالية على الديمقراطية الغربية. وما ان ابلس العامة و الخصم حتى بات العامة و الخصوم صنو للشيطان. و كان الغرب و ما يبرح نقيض خصومه هو. فالغرب خير و ديمقراطى و انسانى الخ. و كانت أمريكا مثلا –فى نظر المتطرفين امثال الان ادجار هوفر مدير الاستخبارات المركزية الامريكية فى خمسينات القرن العشرين–و الرأسمالية و المسيحية الغربية ممثلة للرب. و تعبر الرأسمالية عن كل ما هو خير و متقدم و انسانى و جدير بالحماية من كل شئ و اى شئ فى مواجهة الاتحاد السوفتيى الذى هو شر و تخلف و بربرية تستحق ان تسحق فالاتحاد السوفيتى جمهورية الشيطان و تجسيد للشيطان نفسه بوصفه جمهوية الشيطان. و لما انهار حائط برلين سرعان ما اسقط الشر على الاسلام فى تدبير عقلانى متقصد يحاول القضاء على خصوم الرأسمالية تباعا و تحت راية مكافحة الارهاب.فالرأسمالية تخلق عدوا كبيرا و اعداء صغار باستمرار

وحيث لم يكن ثمة مفهوم للشيطان فى الاصحاح القديم فقد زوق *القديس يوحنا الثيولوجى نيرو فى صورة الوحش الشيطانى فى سفر الرؤيا* The book of Revelation *و ضم الاخير الى الاصحاح الجديد منذ انجيل الملك جيمس على الاقل الذى ترجم الى الانجليزية فى القرن الخامس عشر. و قياسا فقد باتت* تنويعات الشيطان تطال كل من لا يروق للسلطة القائمة. ولعل ذلك يعلل تطرف حكم الزعامات المسيحية الاولى على من عداها مما انتقل بدوره الى السلطة الوضعية كالعرش فبات الملك يقول انا الدولة و الدولة انا. و لعله بامعان النظر يمكن ادراك كيف ان الديمقراطية الليبرالية و بخاصة ما بعد الليبرالية–بمعنى نهاية الليبرالية–ليست فى الواقع و لعلها باتت تباعا اقل من ان تغيير من شأن العامة–الشعوب–شيئا. فلو كانت الديمقراطية تفعل شيئا للعامة–الشعوب–لما تركت الرأسمالية الديمقراطية للعامة. ذلك ان الرأسمالية تتعين على تزويق الديمقراطية تحت راية ما تشير اليه بالدمقرطة مما يلاحظه الناس فى كل مكان اليوم.

واجادل ان الديمقراطية و الدمقرطة شيئان. فرغم علاتها فان الديمقراطية تضمن بعض شروط اعادة توزيع حقوق سياسية على الاقل و اقتصادية فى المقياس المدرج. وقياسا فالدمقرطة ليست سوى تنميط الناس و مساواتهم بارض الفاقة و العوذ السياسي والاقتصادي جميعا. ذلك انه فيما تؤمن المسيحية الغربية –الافانجلية الانجلوامريكية على الخصوص–بالتبشير فى الناس و نشر كلمة الرب بين البشرية فان الرأسمالية –ما بعد الصناعية على الخصوص–تؤمن بنشر الحضارة الغربية بمعنى توسيع فضاءات الربح. فتلك رسالة و عبء الرجل الابيض. و لعله من المفيد تعريف ما يسمى بالحضارة الغربية اجرائيا. فقياسا على معظم الحضارات الانسانية من حضارات الشرق الاقصى مثل الصين و اليابان و حضارة جنوب شرقى اسيا مثل الهند واسيا الصغرى كحضارة فارس و حضارة جنوب المتوسط مثل حضارة قرطاج والحضارات الاسلامية العربية فان ما يسمى بالحضارة الغربية بدأ باليونان–ان كان غربيا–و الامبراطورية الرومانية كان يصدر عن:

–تلقين الاقوام المكتشفة و المفتوحة و المتوسع فيه ما ينبغى عمله و الاثراء بفائض و خالص عملهم ا ما لو التلقين – استلاب الاجزاء الثقافية للمجتمعات المحيطة و ادعائها.

–الاستيلاء بصورة كاملة على حضارات من عداه مثلما فعل الرومان مع قرطاج

–استدعاء مفهوم الاكتشافات الجعرافية الكبرى بغاية اجتياح فضاءات من عدى اوربا الغربية والقضاء على سكان تلك التوسعات باسم تحضر ومدينة و تنصير الخ الاقوام المهزومة بالاكتشافات او الفتح الخ.
و ثمة فارق غاية فى الاهمية والمحورية والخطورة وهو ان:
أ–معظم الحضارات غير الغربية لم تخرج للفتح بغاية سرقة مقدرات الشعوب المفتوحة.
ب–ولم يكن معظم تلك الحضارات قد خرج جراء الفقر و الجوع و الحاجة مسلحا بدعوى الحرب على من عداه باسم الرب.
ج– لم تكن الصليبيات ولا اجتياح القسطنطينة و لا اكتشاف ما يسمى بالعالم الجديد اقل و الا اكثر من حملات نهب منظم بحد السيف و باسم الانجيل. و قياسا اسقط الاوربيون الغربيون هذه الخاصة التى تدل عليهم هم على غيرهم فاطقلوا على الاسلام اسم دين السيف مثلا The religion of the sword.
هاء– ويعبر هذا التراث عنه نفسه فى الغايات المعلنة و المتسارة للثقافة الرأسمالية الغربية وسعيها غيرالحتشم للربح و اقسى الربح و الفائدة و مزيد منهما تحت راية ايمان امريكا –المحافظون الجدد على الخصوص–بدمقرطة العالم اى تدعى–تكاذبا–اعادة تشكيله على شاكلة ما يسمى النموذج الامريكى بمعنى تسوية كل ما عداها هى بالارض كما العشب المحلوق.
دال: فقد احتلت مفاهيم الدمقراطية و تمكين المرأة و حقوق الانسان و تنويعاتها مكان و رفع الاهالى من وهدة البربرية وتنصيرهم حتى الموت ا انقاذا لارواحهم ثوابا للرب جريا على انتحال الحجاج و الاباء الاوائل الحق فى العالم الجديد.

الباب العاشر : الحجاج و البيوريتانيين

الفصل الاول :عقلنة استرقاق من عدى الغرب:

خرجت جماعات من الطوائف المسيحية الغربية المنشقة عن الكاثوليكية الى البروتستانتية و لم تنفك بعض طوائف الاخيرة ان انشقت مجددا عن الكنيسة و العرش و ان بقى بعضها يستدعى بعض تمثلات الكاثوليكية مثل طائفة الحجاج Pilgrims. و لعل الاخيرون اطلقوا على انفسهم صفة الحجاج تيمنا بحوارى المسيح وقد سارت تنويعاتهم المعاصرة على هدى بولص الرسول. كما استدعوا مفهوم ارض ميعاد فى العالم الجديد. و كانت البروتستانتية واحدة من محاولات مثابرة و ناجحة للفت من عضض الكاثوليكية الغربية التى كانت قد حرمت الربا فى 325 و ما انفكت الكاثوليكية ان حرمت الربا مجددا فى القرن السابع عشر. الا ان ارتهان العروش بالديون جراء حروب اوربا الغربية اللامتناهية على مر 1000 عام اوقع تلك العروش فيما يشارف الافلاس بالارتهان بالمدينين من اعراب الشتات.
وكان المرابون قد عقدوا باكرا تحالفا بين البندقية و سويسرا. و كانت سويسرا قد تأسست اول اغسطس 1291 بوصفها مصرف عالمى. فقد كانت الامبراطورية الرومانية قد احتلت جبال الالب ومنها هيلفاتيا وهو الاسم الاصلى لسويسرا و لم يلبث اثرياء الامبراطورية ان احتكروا نشاط تلك المستعمرة الاقتصادى. و سويسرا من اصغر الدولة الاوربية الغربية و مساحتها نحو 41 الف كيلومتر و تعداد سكانها 7.5 مليون نسمة. الا انها واحدة من اغنى الدول الاوربية و هى مقر مؤسسات مالية و منظمات تابعة للامم المتحدة و منظمة التجارة العالمية و المصارف التى تغوى معظم اثرياء العالم جراء سرية تعاملها فى المال الخ.

المهم كان معظم المرابين و اكثرهم ثراءا ينتقل بين المدن الدول متواطئين و متكأكئين على الكاثوليكية الغربية . ذلك ان الكاثوليكية الشرقية لم تكن قد دخلت فى صراع حول اباحة الربا بعد و كانت ما تبرح محاطة بالاسلام الذى بقى يحرمه. و كان تحريم الربا حريا بان يثير حفيضة المرابين و كانوا قد احتكروا التعامل المالى و التجارة و هيمنوا على اقتصاد المجتمعات التى استضافتهم من الدول القومية مثل فرنسا على عهد لويس التاسع بوصفها اول دولة اوربية قومية بعد سقوط الامبراطورية الرومانية. ذلك ان دولة قومية لم تنشأ بهذا الوصف فى اروبا الغربية حتى القرن الرابع والخامس

عشر. و قد بقي ما يسمى المانيا عبارة عن محض امارات اقطاعية حتى قيام الثورة الفرنسية فى 1789 مما قد يفسر كل من مشروع موسى ماندیلسون و مفهوم المسألة اليهودية لدى ماركس. ذلك ان دفاعا جادا لم يكن قد نشأ بعد فى المانيا مثلا حول تكريس الهوية الثقافية لليهودى فى فضاء المجتمعات العلمانية والدينية بعد.

No srious debate around cultural identity could be traceable to either distinctive Jewish secular or religious societies yet. وكان ماركس قد نشأ فى مناخ التثاقف و التذويب الاثني الثقافى ابان اربعينات القرن التاسع عشر مما الهم ماركس تعريف اليهودية على انها ليست هوبة اثنية او قومية. Nevertheless there is an equally robust defence of Marx as a product of the Jewish assimilationist movement at that particular time in the Germany of the 1840s- Fifty years later Marx's daughter, Eleanor, would insist on restoring her father's Jewish identity[394]. و حيث لم يكن ماركس يكترث لما تكون عليه هويته هو الا ان ايلينورا Lenora ابنة ماركس المفضلة عادت بعد 50 عاما على اطروحته تلك و طالبت باعادة الهوية اليهودية لابيها[395]. `ذلك ان فكرة القومية التى لم تكن قد نضحت فى اوربا الغربية كوعى اجتماعى وقتها لم تكن قد نضجت بعد فى المانيا الاقطاعية بدورها.

الا ان فرنسا كانت كما ذكرنا فى مكان اخر كانت الكيان الوحيد الذى عبر عن نفسه فى دولة قومية باكرا غب سقوط الامبراطورية الرومانية حيث بقى ما عداها مدنا دول حتى اتفاقية ويستفاليا فى 1642. و لعل ذلك كان السبب فى ان فرنسا الكاثوليكية و;كانت اول دولة "قومية" و قد سبقت ما عداها من الدول القومية الاوربية الغربية كانت حرية بهذا الوصف ان تستعصي على كل من اختراق اعراب الشتات و التداعيات البيوريتانية للعقيدة الافانجلية بالمعنى الذى اورثه اياها اعراب الشتات كما ذكرنا فى مكان اخر[396]. و قد بقى اعراب الشتات و ما يبرحون يناصبون الكاثوليكية العداء و قد تجسد عداؤهم لفرنسا فى خصومة انجلترا الطبقات الحاكمة اكثر من غيرها و كانت الاخيرة قد اخترقت باكرا فراحت تتربص بفرنسا الدوائر حتى تصفية ممتلكات الاخيرة فى العالم الجديد و شبه القارة الهندية و مصر. وما تبرح فرنسا حتى حلول نيكولاس ساركوزى فى قيادة الحزب الديجولى شديد القومية و صولا الى ان تبقى سلطة فرنسا مستعصية على الانجلو ساكسونية و الانجلو امريكية و خارج حلف الناتو لوقت طويل. ذلك ان ديجول بقى معاد للاخير و لم تنخرط فرنسا فى حلف الاطلنطى حتى مارس 2009.

هذا و كان نموذج حكومة المدن الدول قد تكرس لوقت طويل بين معظم اوربا الجنوبية على الاقل. و لعل ذلك راجع الى استضافة تلك الكيانات اعراب الشتات. ذلك ان استقرار الربا فى مسام المجتمعات التى استضافتهم كان حريا ان ينفى شرط نشوء تلك المجتمعات الى مرحلة اعلى. فقد بقيت اغلبيات مجاميع المنتجين فى تلك المجتمعات تراوح بلا مل فى النشوء الا بقدر ما تتنوع مرحلة الاقطاع الغربى على نفسها مع نشوء فئات و شرائح الى اعلى و قد اجادت الاخيرة التعيين عقلانيا على الابقاء على ما عداها فى مرحلة تطور ادنى فيما يبدو الى الابد. المهم كان تأثير البيوريتانيين فى القرن السابع عشر على كل من انجلترا و امريكا واسعا و بقيت امريكا بيوريتانية و تخلت بريطانيا عن البيوريتانية نسبيا و لو وجيزا.

و كانت المستعمرات البيوريتانية فى العالم الجديد تؤمن بان الارض و الذهب من نعم الرب. وازعم ان بريطانيا لم تنفطم من تطهرية الحجاج الا مظهريا كونها كانت قد اخترقت باكرا بمفاهيم و ثقافة اعراب الشتات. و كانوا قد تعينوا على نشر افكارهم فى انجلترا منذ قيام جمهورية البندقية الحرة فى القرن الرابع و لم يلبثوا ان كرسوا وجودهم على عهد اليزابيث الاولى فى القرن الخامس عشر ثم مجددا فى موجة عنيفة على عهد اوليفر كروميل فى القرن السابع عشر. و كان كروميل سيد التطهريين. و يعتبر اوليفر كروميل ابو البيوريتايين. و البيوريتانيون اسلاف المحافظين الجدد. وتدفع البيوريتانية عقلانيا غيرها من العقائد الى الاحساس بالذنب طوال الوقت مثلما يفعل اصحاب سردية اعراب الشتات اللوامة البكاءة.

و حيث تحاصر البيوريتانية ما عدها عقلانيا فانها لا تعدو أن تتحور الى الشمولية فالديكتاتورية[397] كونها متطرفة باسم معاداة التطرف تكاذبا بالطبع و التطبع. و كانت البندقية قد رحلت رساميل معتبرة الى لندن فتعينت اليزابيث الاولى على المرابحة بفائض الرساميل –الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب ة–و قد بلغت نسبة ارباحها من الاخير 5000% كما ذكرنا فى مكان اخر–مما قيض لها تسديد ديونها و التوفر على الاستثمار فى العالم الجديد مجددا. و كان كروموبل قد دعى يهود هولندا بغواية الحاخام الهولندى مناسى بن اسرائيل. وكان الاخير قد ناشد أوليفر كروموبل فى 1656 السماح لليهود بالحركة ما بين أوربا و انجلترا و نجح فى اقناع كروموبل بالغاء قانون يحرم الملكية الخاصة على اليهود لجاؤوا باموالهم و نافسوا فحاصروا التجار الانجليز. و كان كروموبل بدوره مشرف على الافلاس جراء الحرب الاهلية بين الجمهوريين و قوات الملك تشارلز الاول.

الا ان اليهود الاوربيين هم لم يلبثوا ان ناصروا تشارلز الثانى ابن الملك المخلوع الذى اعدمه البرلمان.

و كان الملك تشارلز الثانى قد اثرى بصورة ملحوظة من تجارة الرقيق. وقد ازدهرت الجمعية الملكية لتجارة الرقيق على عهد تشارلز الثانى و ربح هو و حلفاؤه وغيرهم من اعراب الشتات فقد كان معظمهم يملك عبيدا يتاجر فيهم بين بيستول و ليفربول وغيرها من الموانئ الانجليزية مع مستوطنى العالم الجديد مما در عليه مبالغ طائلة فى القرن الثامن عشر. و كان ثراء تشارلز الثانى وظيفة موالاة اعراب الشتات له بعد ان قلبوا لكروموبل ظهر المجن و راحوا يعادونه و يناصرون تشارلز الثانى وصولا الى محاكمته فاعدامه و قطع رأسه و التمثيل بجثته رغم و ان كروموبل كان اول ملك انجليزى يحكم الانجليز.

المهم فورا تمركز الملك تشارلز الثانى سليل بيت تيودر Tudor فى مدينة اوكسفورد و كان الملك و حاشيته الخ قد جعلوا اكسفورد عاصمتهم و سمح الملك لليهود بجمع الخراج و الضرائب كعهدهم و ممارسة تجارتهم فباتت اكسفورد عاصمتهم هم من بعد و حتى اليوم مما يتمثل فى اسماء معظم الشوارع و الكبارى و بعض الكليات و الاحياء و ابطال الاكاديميا و مكتشفى افريقيا مثل سيسيل رودز و صديق روثتشايلد الحميم. و كان روثتشايلد Rothschild–مؤسس الامبراطورية المالية الاسراتية المعروفة هو الذى كتب وعد بيلفور Belfour Declaration و اعطاه للورد بلفور ليوقع عليه فقط. و كان روثتشايلد شريك سيسيل رودز فى مشروع خط القاهرة الكاب Rail way Road Cairo to Cape.

و بالمقابل فقد نشأت حركة الحفارين فى نفس الوقت الذى احاط فيه اليهود بالعرش التيودرى فى منتصف القرن السابع عشر. على ان حر كة الحفارين كانت معادية لامراء الاقطاع و كانت تنادى بمبادئ اشتراكية و تدعو الى محاسبة العرش على الاسراف والخروج الى الحرب وراء توسعات مهلكة و بخاصة التوسع فى ايرلندا. و كان اوليفر كروموبل قد شرع فى 1649 فى تعين على صليبية غير معلنة على الايرلنديين الكاثوليك بغاية نصرنتهم بمعنى ارغامهم على البرتستانتية. و لما وجد ان ذلك كان مستحيلا بقوة السلاح تحول الى الاستعانة على الكاثوليكية الايرلنديين بالتعليم.

تعقب الحفارين كونهم اعداء الرب و الرأسمالية و تحليل مالهم.

كان الحفارون يقولون ان اقتلاع الناس من الارض قمين بتحويلهم الى كائنات اقل ادمية. فكأن الحفارين شارفوا باكرا حركات اللاهوت الثورى. سوى انه لم يقيض لحركة الحفارين الاستمرار حيث تعقبها كل من ملاك الاراضى–و كان معظمهم بروتستانت–واعراب الشتات. وكانت البروتستانتية قد تطرفت رغم عهد او اعلان التسامح مع الكاثوليكية بعد اعادة الملكية و عودة تشارلز الثانى الى العرش. الا ان تطرف البروتستانتية الرسمية فى مواجهة من يختلف معها ما انفك ان بات يجعلها أقرب الى الاصولية. ذلك ان البروتستانتية كانت تدعى الليبرالية عقلانيا و تكاذبا و حسب حتى تقيض للمتنصرين الجدد فضاءا فى انجلترا مثلا. و كانت اعداد كبيرة من اليهود المهاجرين من هولندا و غيرها و من أوربا الشرقية قد هبطت انجلترا فى القرنين السابع عشر الى الثاسع عشر. و قد كرست هجرات تلك الجماعات شرط نشوء الفكر

و التنظيم الرأسماليين المغامرين مرة واحدة و ا لى الابدا. فقد الهمت تداعيات تلك الهجرات كل من ادم سميث وشومبيتر و ماركس و ماكس فيبر من بعد مدارس اقتصادية عديدة قيضت فكرا و تنظيما ملهما للرأسمالية البازغة تباعا.
و قياسا كان واردا ان يتحمل الحفارون و اتباعهم من الناس العاديين التعذيب و الاضطاد و الاهانات. وكان التجسس على العصاة قد استشرى و ادى الى تداعيات دموية وقد اثرى جواسيس الكنيسة والعرش. فقد راح الاخيرون يتعقبون العصاة فى خمسينات القرن السابع عشر علنا و يأخذون القانون بايديهم حتى باتوا يقتسمون الغنائم من اموال العصاة بدون ترخيص على رؤوس الاشهاد فى الشوارع قبل صدور الحكم على العصاة و المتهمين. الا ان أتباع جون بانيان زعيم الحفارين و مفكرهم تزايدوا بشحاعة رغم التعقب و قد راحوا ينتظرون تحقق مملكة الرب مع انهم اقروا بان مملكة الرب قد لا تتحقق بعد و ان عليهم انتظار تحققها. و كان جون بانيان قد الف كتاب بعنوان "سبيل الحجاج" نشر فى 1716 فنال شعبية واسعة شارفت شعبية الانجيل. و من تأثير حركة الحفارين على الذاكرة الجمعية ان اخذت الفئات الشعبية تعتقد انها شعوب حرة محبة للحرية فراحت الحركات العمالية واليساريين الراديكاليين يستدعون قيم الحقارين الطوباوية فيما راح الاشتراكيون و الماركسيون يصدرون عن قيم الحفارين فيما بعد. ومع ذلك يقول البعض ان رواسب الاصولية بقيت بالمقابل كامنة فى مسام السلطة الوضعية والدينية و قد تمثلت فى الحرص على القيم التقليدية من الطقوس الدينية الى مراسيم العرش[398].

و من المفيد تذكر ان رواسب النهضة الاخلاقية فى تعقب الغرماء اتصلت كامنة او معلنة حى نهاية القرن الثامن عشر فيما يسمى ب "مناهضة الرذيلة وتقويم الاخلاق" Reformation -of Manners 1690–1738 . وهى حركة او مبدأ قد يكون تنويعة على الامر بالمعروف و النهى عن المنكر الذى قال به عبد الله ابن سبأ تكاذبا. و كانت حملات مشابه قد عادت للظهور فى 1750 و ابان الثمانينات من القرن الثامن عشر حيث انشأ جورج الثالث فى 1787 جمعية "اعلان الحرب على الرزيلة" من اجل تنسيق "جهود الامة" قضاء على فساد الاخلاق. و كانت اول حملة لمكافحة الرزيلة و الانحراف الخلقى فى انجلترا فى 1690–و اتصلت حتى 1738 من اجل تقويم المجتمع بريادة بعض التجار اللذين استأجروا " كنستابلات" للقبض على و محاكمة المتسكعين و اللذين يمارسون السباب و كل من ينتهك قيم يوم الاحد بعدم حضور القداس و شرب الخمر الخ.
و قد نشأ الفساد مع رشوة الكونستابلات اللذين كان منوط بهم القبض على المعتدين فيما راح العرش يصدر الفرمان بعد الاخر حول مكافحة الرزيلة و الضعف الخلقى على مر القرن السابع عشر الى القرن الثامن عشر. و كانت مارى الثانية زوجة الملك جورج الثالث ترعى تلك الحملات ندليلا على الاهتمام الملكى بارساء الاخلاق البيوريتانية بين الرعية. و قد توالت مناويل الحماس لحملات مماثلة فى 1750 و فى 1780 مرارا حتى مرسوم جورج الثالث 1787[399]. و يحتفظ الفاتيكان بلجنة "تفتيش" الى اليوم فى شكل "مجمع تعاليم الايمان المسيحى" The congregating for the Doctrine of the Faith التى تقرر بشأن المحرمات الكاثوليكية كتحريم الاجهاض وحبوب منع الحمل.

عقلانية "كل شئ موجود فى الانجيل":

حيث اصدرت طوائف الحجاج و البيوريتانيين و غير الملتزمين بمؤسسية العقيدة عن الكتاب المقدس مباشرة و فسرته كما رأت فقد بات ذلك حقا ادعته تلك الطوائف اصلا بخروجها عن مؤسسية العقيدة. و لم يكن الخروج عن العقيدة المؤسسية وحده من اجندة تلك الطوائف العاصية وانما كان "خروجها" قياسا عقلانيا على "خروج" بنى اسرائيل من مصر او ميصراما فباتت كل ارض ملكوا التوسع فيها حلال عليهم. ويلاحظ ان ذلك يعيد انتاج مفهوم بنى اسرائيل من "ادعاء "كل شبر وطأته بطون اقدامهم" باسم الرب و بوعد منه حلالا بلالا.
و ربما كان ذلك ايضا راجع الى الذهنية الاعرابية التى تحدر عنها بعض طوائف المسيحيين الغربيين باكرا ومن بولص الرسول وصولا الى البروتستانتية و عبورا بالخرز. و ترى تلك الذهنية فى اجتياح حدود كافة القبائل حولها و غزوها بصورة

منوالية مكونا لا يتجزأ فى قدرتها على الحياة و الاستمرار وربما الازدهار. و قد تنوعت تلك الذهنية مزوقة فى الاكتشافات و القدر الجلى و حق الفتح و الفضاء الحياتى و ارض الميعاد.

ذلك ان المكون المذكور تنويعة مخاتلة على الصراع من اجل البقاء كونه للاقوى. فقد كان الغرب قد سوغ نظرية النشوء و الارتقاء قياسا على قدرة اعراب البحر و البادية و على قدرة اعراب المدن القتالية و نزوعهم نحو اجتياح المستقرين. و قد بقى الاخيرون مستضعفين لاعراب الشتات يثيرون احتقارهم اذ يستحقون قدرهم مما اسقط على سكان العالم الجديد و غير الاخيرن ممن سبقهم من لحقهم تباعا. و كان الاوربيون الغربيون و العربيون عموما و ما يبرحون يسقطون على من عداهم– بما فى ذلك الانسان الاول النيونياتل Neonatal الذى عاش منذ 50 الف عام– الغباء و العنف و البربرية والتخلف حتى"

–يكرسوا ذكاء الغربيين ورقة فؤادهم هم و تحضرهم و تقدمهم هم

– يسوغون ابادتمن عداهم كلما امكن بعنف من عداهم ضدهم هم و ليس العكس.

و قد اتصح السبت 9 يناير 2010 حسبما كسفت حفريات فى اسبانيا ان الانسان الاول كان محبا للجمال يتجمل بالمساحيق و يتحلى بالحلى و لم يكن عنيفا على الاطلاق.

المهم فورا ما انفك بعض طوائف الحجاج ان هاجر فى القرن السادس و السابع عشر و تباعا من انجلترا الى بعض المجتمعات الاوربية فالى العالم الجديد. و حيث كانت تلك الطوائف تعتبر نفسها عاصية لسلطة الكنيسة و العرش فقد راحت تحتفل بذلك العصيان بالخروج على شعائرية الكنيسة الغربية و على قوانين العرش و البرلمان. بل راح بعض تلك الطوائف يعصف بكل مقدس مسيحى غربى. و من تلك الطوائف طائفة الحجاج و طائفة البيروتانيين اللتين اثرتا فى التاريخ والذهنية الامريكية بصورة ابعد من غيرهما من الطوائف العاصية بما فى ذلك الكويكرز Quakers و النونكنفورميست Non-conformist.

و حيث اعتبر الحجاج انفسهم عصاة بوصفهم خارجين على سلطة فاسقة فقد راحوا يعتقدون فى انفسهم نزوعا متأصلا نحو الديمقراطية و قد تأصل بذلك النزوع خروج الحجاج عن مجتمع فاسد مما دفعهم الى ادعاء امتلاك القدرة على بناء مجتمع افضل. و قد تنزلت سردية الحجاج على الخصوص فى ذاكرة و تاريخ الولايات المتحدة فكرست تصورا بان امريكا هى رائدة الحرية و الديمقراطية و ان عليها القيام برسالة لنشر كلاهما على الارض. الا ان ذلك لم يمنع امريكا من ابادة السكان الاصليين و ليس استلابهم حريتهم وحسب و استرقاق الافارقة و المتاجرة فى الرقيق و الخروج توسعا لنشر الحرية و الديمقراطية بالسلاح فيما وراء البحار.[400]

فلم يكن ثمة تناقض بين تلك المفاهيم بل العكس فقد يسر مفهوم المقدر الجلى Manifest Destiny بعقلانية غير مسبوقة مصالحة تلك التناقضات. و حيث صالحت امريكا بين تلك التناقضات الفاحشة ب"تطهرية" اصولية فلم يطرف لامريكا جفن بل ارتاح بتلك الاحبولة ضمير امريكا فكرس تصورها لنفسها كونها "امة مباركة" ذات رسالة على غرار "عبء الرجل" الابيض الاوربى الغربى. فمنذ اسبارتا التى لم تزد على جمهورية مثلية معسكرة تتمأسس فوق عبودية الصبى للجندى المثلى و اثينا الدولة المدينة سيدة النمط العبودى و التراتب الاثنى و الجنوسى Sexual يبدو ان الرجل "الحر" اخذ على عاتقه تكريس مسئولية العالم نحو الرجال الاحرار خصما على من عداهم.

فقد كان كل من هو ليس فى عداد الاعيان و القضاة و التجار و الرجال الحكماء الاثنيين فى عداد العبيد و الاماء و البرابرة. وكانت اثينا اول من استخدمت مفردة البرابرة.

و رغم ان اثينا لم تزد على مدينة دولة فقد ادعت ما لم تدعية ممالك وادى النيل الاسراتى الشمالية او الجنوبية التى لم تفرق بين السكان الاصليين و الوافدين من اطراف الامبراطورية الوادى نيلية. فقد كانت الممالك الوادى نيلية سواء شمالية او جنوبية كما ذكرنا قد شارفت حدود الامبراطورية الرومانية شرقا واسيا الصغرى غربا ابان المملكة الوسطى و المتأخرة و

مع ذلك لم تصم غير سكان وادى النيل بالبرابرة او مارست ضدهم تمييزا عنصريا يذكر او ينسى الا اذا كانوا خصوما. و لعل الغرب كان حريا بان يدعى ما لم تدعيه اثينا نيابة عنها. ذلك ان اوربا الغربية و امريكا الشمالية من بعدها لم تنفطم من فكرة ان اليونان–فى عين المنطق و التاريخ الجداليين–مهد الحرية و الديمقراطية. و قد بقيت اوربا الغربية تدعى نسبتها الى يونان لم يزد على مدينتين مشبوهتين: اسبارتا و اثينا تحاربتا منواليا و كانت الاخيرة قد اجتاحت اثنيا فى 418. فقد كانت اسباراتا تجمع بين العسكرة و المثلية حيث كان الاطفال الذكور يمنحون للجنود ليدربوهم على القتال. و كان الاخيرون مثليون يستعملون الولد و يسخرونه و هم يدربونه على القتال. و كانت الامهات تهبن اولادهن اضاح بشرية لاعادة انتاج اسبارتا–بامل ان يحتل الولد مكان قائده تباعا[401].

هذا و لم تكن للنساء فى اسبراتا وظيفة سوى انجاب الاولاد قدر الممكن و المستحيل. و كانت اثينا متراتبة اثنيا و جنوسيا و طبقيا. فقد كان القادة يونان ذكور احرار و يؤلفون الطبقة العليا الحاكمة. و كان الجند من الطبقة اليونانية غير الحاكمة و محرم عليهم الزواج او اقتناء العقار طالما بقوا اعضاء فى جيش اثنيا. و كانت المرأة اليونانية الحرة للاستولاد و المرأة غير اليونانية المثقفة مكلفة بتسلية الرجال اليونان الاحرار و مرافقتهم فى ليالى السمر و الحوارات الفكرية الطويلة. و كان الرجال و النساء غير اليونانيين طبقة الرقيق و الاماء اللذين يوفر خالص عملهم ادارة الاقتصاد و يقيض تكاثرهم مزيدا من العمل الحى. و تعبر علاقات العمل من ثم عن نمط الانتاج العبودى و اعادة انتاج المجتمع اقتصاديا و بشريا بالطبع.

و قياسا رفضت امريكا اى تعريف بديل لمفهومات السردية اليونانية كون الاخيرة كغيرها من مستدعيات التاريخ الغربى متخاتلة و غير قابلة للتأمل بعيون صافية و قلوب صادقة. ذلك انه ما ان ادعت أمريكا مثلها مثل اوربا الغربية اليونان فقد صورته على شاكله لا تشبهه و صدقت اسطورة اليونان و صدقت اسطورتها هى حول نفسها. فقد باتت امريكا الحجاج المهاجرين بلاد الحرية و الديمقراطية و ارض الشجعان.

و اجادل ان مشروع الامة الامريكية و قد تمأسس فوق فكر الحجاج والاباء الاوائل بخاصة البيوريتانيين فانه حرى بان يصدر عن تنويعة من تسلط الافكار و الافعال الايديولوجيين ان صح التعبير. و قياسا فمشروع القرن الامريكى الصهيونى الجديد اذ يتمأسس فوق تنويعات على افكار الحجاج و البيوريتانيين فى الاستباق الدفاعى و حماية قيم المجتمع الغربى و الحضارة الغربية و دمقرطة المجتمعات غير الغربية – تكاذبا–انما يصدر عن تنويع على جنون ران الى ماض ملفق تلفيقا متصلا على نحو سيكوباتى اوصل اصحابه لتصديق ما لا سبيل الى اثباته. و لعل ذلك من شأنه ان يفترض ان الاخلاق البروتستانتية تتمأسس فوق عقلانية كالفينية من شانها تكريس مفهوم فتيسير الدفاع عن المصالح.

الفصل الثاني:–عقلنة حماية المصالح الاقتصادية تحت راية الدفاع عن العقيدة:

كان التجار الانجليز قد تعلموا من تجار اعراب الشتات ان الدفاع عن المكانة الاجتماعية الاقتصادية دفاع عن العقيدة و العكس صحيح. و كان تحييز الكاثوليكية الغربية الاقتصادى للتجار المسيحيين رجح كفة المنافسة بين الاخيرين الى حين و تجار و مرابيى اعراب الشتات خصما على الاخيرين. فقد تعلمت الكنيسة الدفاع عن مكانة العقيدة المسيحية الغربية باللف حول فتسويغ الربا فحافظت الكنيسة على مكانتها الاجتماعية و العكس صحيح. و قياسا بات التجار المسيحيون الغربيون الوطنيون يدافعون بدورهم عن مكانتهم الاجتماعية الاقتصادية ازاء نظائرهم اعراب الشتات فكأنهم يدافعون بدورهم عن عقيدتهم. ذلك ان التجار المسيحيين الغربيين استعاروا مفهوم الدفاع عن مكانتهم الاقتصادية من اعراب الشتات كتزويقة لمكانتهم الاجتماعية الاقتصادية.

و لم تلبث البروتستانتية ان غدت عقيدة الدفاع عن المصالح الاقتصادية بوصف الاخيرة دين النجاح و الثروة. و أزعم ان ثقافة المتاجرة و التبادل و الائتمان باتت من بعد تصدر عن الحفاظ على العقيدة على نحو مستبطن و مركب بصورة تدعو للاعجاب. فقد راحت المراكمة الرأسمالية المالية تصدر تكاذبا عن كل من الحفاظ على الهوية الغربية فتجأر بالدفاع

عما يسمى اسلوب الحياة الغربية Western Way of life أو–و "الحضارة" الغربية و قد جعلت من احداث الثلاثاء 11 سبتمبر ذريعة لاجتياج ما لا يروقها.

هذا و لعل احداث الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 ان كانت قد فعلت شئ بحد ذاتها و اذا عبرت تداعياتها فى الغرب على الفرد و المجاميع الغربية عن شئ فقد كرست تلك الاحداث هوية الاخيرين مجددا و اظهرت مكانين تلك الهوية وبتبسيطية من عنصرية طافحة و قد راحت تتستر و راء مكافة الارهاب. و كانت معركة 732 بين المسلمين و الفرنجة دفعت الاخيرين لان يطلقوا على على انفسهم اسم الاوريين و قد شحذت هويتهم الحرب على المسلمين مما قد يكون قد تمثل بدوره فى ذريعة اعلان الصليبيات على المسلمين. و ربما اعادت الحرب على الارهاب انتاج ذكرى تلك المعركة.

و قد اصبحت تلك العنصرية تجد ذريعة فى اسقاط تطيرها من جماعات–المهاجرين–و اقوام–العرب و المسلمين–و ثقافات–كل ما هو غير غربى معولم–بعينها تحت ستار الدفاع عما يسمى بالحضارة الغربية. و تتنوع الوية اجتياح المراكمة المذكورة بشكليها المادى و غير المادى لما عداها باسم مبادئ تتنوع بدورها حسب الطلب على مر العصور من الصليبيات الى ما يسمى ب "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" ف"النهضة" و "التنوير" و "المبدأ الانسانوي" وصولا الى "الحرب على الارهاب" بمعنى على الاسلام.

و كانت جماعات باكرة قد تعينت على خصم مصالحها على مصالح من عداها باسم بالدفاع عن قيمها هى وايديولوجيتها و هويتها وما يسمى باسلوب حياتها هى. و يقدم صابى صاجال Sagal انموذجا باكرا و ربما كان تنويعا فطريا تحورت عنه تنويعات اخرى تباعا فيقول صاجال Sagal "ان ما يبدو و كأنه "دفاع التجار اليهود عن عقيدتهم" لم يكن فى الواقع سوى "وسيلتهم للحفاظ على انفسهم كفئة اجتماعية" و تكريس اهمية هويتهم و خصوصيتهم الثقافية الفائقة لما عداها. فقد حافظ الاخيرون على انفسهم بوصفهم فئة اجتماعية الا ان ذلك كان يعنى بالمحل الاول حماية تلك الجماعة لمصالحها الاقتصادية[402].

وتقف ثنائية المكانة الاجتماعية الاقتصادية و المكانة الدينية بوصفها تعبير عن مفهوم علمانية الغرب الرأسمالى المسيحي الذاتى. وقد زوقت علمانية اوربا الغربية باكرا فى تضمينات استقرت فى مسام الثقافة و الفكر و الهوية البروتستانتية الغربية و نظيرتها الصهيونية معا. و الاحرى استقرت العلمانية المزوقة فى مسام الثقافة و الفكر المسيحى الغربى من طول المعايشة و بالتماس مع طائفة اعراب الشتات كتنويعة ذات خصوصية مثابرة على نحو معين من الاخيرة على وجه الدقة. فكيف تعالقت البروتساتنتية و الرأسمالية؟ هل البروتستانتية طائفة مجددة على بعض تنويعات اليهودية؟

تنتهي هذه الصفحة غير الضرورية فيما اعتقد.

استفزاز ثرواة بعض اليهود للكنيسة:

كان ثراء اليهود قد اصبح ماثلا و استقززيا ليس بين اثرياء الانجليز و انما لدى لكنيسة على الخصوص. و قد عبر ذلك عن نفسه فى كل من :

–دنو لحظة خروجهم المنوالية بلا جريرة من جانبهم الا بقدر ما كان الحسد قديما فى الناس.

–حلول لحظة استعداء الكنسة عليهم حتي بات بعض أعيان و اقماط الانجليز يردد انه "ان تنصر اليهود لغدوت يهوديا".

و لم يلبث رئيس كنيسة كانتيربرى–كنيسة العرش–ان امر بتعقب اليهود غب صدور فتوى ويليام روفوس William Rufus- فى1087 بنصرنة اليهود أو–و قتلهم. و حيث تنصر معظم اليهود انتفائيا كعهدهم فى كل

مرة فقد شاع انهم لم يتنصروا وانما تنصر اليهودى علنا و بقى يهوديا سرا حتى داخل السجون. و كان السجناء اليهود يدفعون رشأوى لحراس السجن فى قلعة لندن حتى يسمحوا لهم باقامة شعائرهم ابان اعيادهم الكبرى.

ومن المفيد تذكران العنف ضد اليهود كان قد نوصل حد استباحة دماء و قتل بعضهم مثلما فى مذبحة يورك التى راح ضيحتها 150 رجلا وامرأة و طفل فى عام 1190. و قد الفت المذبحة المذكورة حلقة فى سلسلة اعتداءات دموية على اليهود يشجعها و يقودها المسيحيون الذين كان بعضهم يعتقد فى اسطورة قتل اليهود للاطفال المسيحيين. فقد بات قتل اليهود قصاص بمغبة ما سمى "تبعة الدم" Blood Libel. و يقول باحث متأخر فى دراسة نشرت فى اوائل 2007 بان ثمة جماعة متطرفة من تفرعات الاشكنازى كانت قد تعينت فى القرن الثانى عشر على نشر مبدأ تبعة الدم و قد تورط بعض اعضائها فى قتل الاطفال.

و يقول البروفيسور توليانى المتخصص فى الطقوس الدموية ان انهام الاشكنازى بالتورط فى استخدام الدم فى الطقوس اليهودية يرجع الى الاخذ باعترافات اليهود انان انتشار العداء لليهود فى ذلك الوقت. و يقول الى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا قد درجوا على استخدام الدم فى العلاج الا ان شعيرة الدم تعود فى الواقع الى دمع المسيح و ان قتل الاطفال يصدر عن مفهوم المسيح الطفل الذى كان يراد قتله مثله مثل كافة الاطفال الذكور على عهد الحاكم الرومانى هارود.

و تقول بعض البحوث التاريخية انه حين احتل بعض اليهود كاتدرائية مدينة لينكن Lincoln لاقامة شعائرهم اشيع انهم يقيمون شعيرة توراتية سرية تقوم على قتل طفل ذكر و القاء جسده فى بئر. و تقول دراسة ثانية ان جماعات مسيحية تحولت الى حركة دينية متطيرة كرد فعل على تبقة الدم اتخذت لها اسم حركة او عقيدة "الاطفال الشهداء" فاخذت بشعيرة الاقتصاص من ممارسى قتل الاطفال المسيحين. و قد تمأسست الاخيرة فوق اساطير حول اطفال قديسين مثل:

– اسطورة القديس الطفل ويليام أوف نوريتشSaint William of Norwich

–زيادة على القديس الطفل هيو من مدينة لنكلن Saint Huge of Lincoln[403].

و من المفيد تذكر ان مناخ ذلكالوقت كان حريا بان يطلق العنان بالتطير فراحت المخيلة الشعبية تدفع الانجليز الى الانتظام فى حركة واسعة الهمها ما سمى بعقيدة "الاطفال الشهداء" الذين اتهم اليهود بقتلهم و أكلهم. و قد كوم الانجليز اليهود فى كومة واحدة و لم يفرقوا بين من كان قد استقزهم لسبب ما و بين عامة اليهود من الطوائف المسالمة فاتهومهم بلا انتفاء باشر انواع التهم. فقد كانت شعائر بعض طوائف اليهود السرية و تسترهم على ممارستها حرية بان تثير حول كافة طوائف اليهود الشبهات فتسهل اشاعة ان اليهود يقتلون صبية و يلقون ثثهم فى بئر بجوار الكاتدرائية لاعادة انتاج صلب المسيح كشعيرة توراتية يهودية.

و قد اكتشف حديثا لوحا حجريا بالهيروغليفية فى كاتدرائية لينكلن يقول بان كان ثمة نبع أو ماء جار لعله كان يستخدم فى مراسيم غسول–الميتكفا–و دفن اليهود عند المقبرة. و تعود شعيرة الميتكفا الى ما قبل هجرة اليهود من الارض المقدسة. المهم حيث راح الناس يتعقبون اليهود فقد سجن يهود فى قلعة لندن و شنق 910 يهودى فى عام 1255 معظمهم من يهود لينكلن. وتقول رواية ان سيمون دى مونتفورت طرد كافة الجالية اليهودية من انجلترا فى 1290 و تقول آخر ى ان ادوارد الأول 1284–1307 هو الذى امر بطرد اليهود من انجلترا فى 1290 و كان أول امبراطور أوربى يقدم على ذلك.

فيما تقول رواية ثالثة ان ويليام الثانى هو الذى فعل ذلك و تقول رواية رابعة أن كلاهما اقدم على طرد اليهود بالجملة. و كان بعض اليهود المتنصرين قد تعين فى القرن الثالث عشر والرابع عشر على فضح مؤقف الطوائف اليهودية–التى اعرفها بالاعراب –اعراب الشتات–الموضوعى–و قد اخفى عن المسيحيين–تجاه

المسيحية الغربية فى بعض المناظرات المفتوحة كما ذكرنا فى مكان آخر . ولعل تلك المناظرات سوغت تعقب ادوارد الثانى 1284–1327 لليهود و قد امرهم بوضع علامات على صدورهم تميزهم عن غيرهم فكان اسبق من هتلر فى ذلك. وقد سجل الشاعر الانجليزى الكبير جيوفرى شوسر–1343–1400– Chaucer الحادثة فى قصيدة تعتبر أول سابقة للعداء للسامية فى تاريخ الشعر.

و قد دفع التعقب بعض اليهود للهرب. كما طردت طوائف يهودية من انجلترا لاثبات نصرة المسيحية فعاد بعضهم ادراجه الى فرنسا فيما احتل اليهود المتنصرون المستوطنات التى كان اليهود قد بنوها ابان ارتياحهم على فضاءات التسامح الدينى السابق. و قد راحت الروايات الشعبية تقول باختفاء جنس اليهود من فوق سطح الارض أو على الأقل من الارض البريطانية تديلا على علامة القيامة التى تتمثل فى خلو الارض من اليهود اى نصرنة اليهود حتى يعود المسيح على الارض فيعم السلام. و لم يلبث العداء للسامية ان انتشر بحق كل يهودى حى و لم يتنصر. و كان اضطهاد اليهود فخروجهم حرى بان يمثل لدى العامة "علامة" على صواب المسيحية. فلم يكن عامة الاقنان والعبيد متدين و لا كان مطلوب منهم ذلك. بل العكس.

فقد كان تنصير العامة غير مرغوب فيه و ان تنصر بعضهم بقيت لغة الانجيل اللاتينية تستعصى علي معظم العامة فلا يفهمونها. و كان التعليم قد بقى لاهوتيا فلم يتيسر سوى لبعض رجال الدين و ان توفر فلاعداد اقل من الشرائح أو الفئات الطبقية الوسطى العليا, بل ان شرائح ارستقراطية و معظم الأعيان و الاقماط بقى اميا حتى نهاية القرن السابع عشر و بداية القرن الثامن عشر. و قد بقيت المسيحية عامة شديدة التبسيط و تميل نحو الاسراع فى التكفير و تلح على فكرة العقاب الرهيب للكفرة. و قد حرم العامة من انجيل قابل للفهم بلغتهم أو حتى بلغة يفهمومنها حتى لا يندفع العامة للتساؤل أو مجادلة اسيادهم حول القيم المسيحية كالعدل و تسأوى البشر امام الرب و أو استحباب المسيحية للعبودية ممثلا فى ملكية الكنيسة للعبيد فى الداخل و فى امتدادت العرش اينما كانت حتى القرن الثامن عشر و التاسع عشر.

المهم خرج اليهود من انجلترا و لم يسمح لهم بحمل شئ معهم الى فرنسا حيث بقوا حتى دعاهم أوليفر كروموبل مرة آخر ى بعد الثورة على العرش وانتصار الجمهورية فى 1466 لاسباب مشابهة لتلك التى كانت قد دفعت ويليام الفاتح لدعوتهم كما ذكرنا و هكذا. الا ان علاقتهم بكروموبل ثم بتشارلز الثانى–الذى انقلب كروموبل على ابيه تشارلز الأول–الحقت بهم تهمة المداهنة فطردوا من انجلترا مرة آخر ى.

و لم تعد بعض طوائف اليهود الى بريطانيا و غيرها من المجتمعات الأوربية حتى بداية القرن السادس عشر أى صبيحة سقوط غرناطة فاسقروا مرتاحين على نحو غير مسبوق فى أوربا الغربية. و كان بعضهم قد صاحب حملات اكتشاف العالم الجديد أو–و الاحرى مولها و هاجر آخر ون الى أوربا الشرقية. و أواصل مجادلة وجود اليهود فى بريطانيا منذ جمهورية كروموبل حتى عشية الحرب العالمية الثانية فحلول الرساميل عابرة الحدود الاعرابيةو تجار الاعراب –اعراب الشتات المؤقت توقيتا تاكتيكيا أحيانا و شتات عامة اليهود بالتماس وظيفة الربا ام العكس؟ ام هل ان خروج اليهود وظيفة استفزاز ثرواتهم و نجاحهم لمن عداهم؟

2–هل الشتات وظيفة الربا ام العكس؟

اجادل ان نمط اللا انتاج الاعرابي الأستثنائي السبئى الربوي الريعي–التشكيلات الاعرابية الربوية الريعية–قد حقنت بتجارب الشتات الطويل بخاطر احبار و اسباط و مفكرى و تجار بعض طوائف اليهود أو جريرتهم. و كان عنف بعض المجتمعات المضيفة الاقتصادى اكثر منه الايديولوجي سببا و نتيجة فى "خروج" اليهود فشتاتهم. و لعله كلما ارتهنت التشكيلة الاعرابية الاستثنائية المجتمع المضيف اقتصاديا كلما اسقط المجتمع المضيف سخطه على عقيدة تلك التشكيلة الضيفة. فقد اتصل "خروج" بعض طوائف اليهود باكرا من المجتمعات

المضيفة فشتاتهم فما هى سياقات ذلك الشتات؟ يعتقد ان اليهود تشتتوا باكرا قبل اجتياح القدس. و يقول بعض المؤرخين ان اليهود تفرقوا ما بين القرنين 8 الى 6 قبل الميلاد ثم تفرقوا مجددا بداية سقوط الامبراطورية الرومانية و لا حول خروج احبار و اسباط بعض طوائف اليهود من روما بعنف باكرا و قبل عهد قسطنطين الأول.

و يقدر البعض ان عدد اليهود فى الشتات بعد سقوط الامبراطورية الرومانية كان يفوق عددهم فى فلسطين. و لم يتفق العلماء حتى الان حول اسباب سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية.

و ليس واضحا لماذا سقطت الامبراطورية الغربية و بقيت الشرقية فيما سمى تزويقا "بيزنطة" و اسقط عليها اسم الامبراطورية الرومانية المقدسة و لم تكن امبراطورية رومانية و لا كانت مقدسة. و رغم ان المسيحية الغربية كانت تضطهد الجماعات الوثنية خلال العشر قرون الأولى من ظهور المسيحية. الا أن الكاثوليكية بقيت تتسامح مع اليهود حتى سقوط الاندلس كما نرى فى مكان آخر فى جمهورية البندقية الكاثوليكية مثلا.

فلم يكن اليهود يؤلفون خطرا على المسيحية حيث انتشر الاعتقاد بان بعض طوائف اليهود لم تعرف بالتبشير فى الناس–رغم انهم يتعينون على يهودة كل من يتزوجون منهم كما فعلوا مثلا مع نساء الشعوب التى تعايشوا معها منذ سليمان و بلقيس وصولا الى النساء السودانيات بعد ان ارتد معظمهم عن الاسلام بسقوط المهدية[404]– فى حين بقيت الوثنية متغلغلة فى المخيلة الشعبية و الفولكلور و الحكمة الشعبية الأوربية كما رأينا اعلاه.

و كان العامة ضعيفى الايمان مستهدفين للايحاءات الوثنية بعد مرور قرون من دخول المسيحية فى أوربا الغربية. فقد بقى بعض الايرلنديين القبليين وثنيين الى القرن الثامن عشر وحيث كان الاخيرون و الويلش قبليون و معظمهم بدوا فلم يكونوا يقيمون لسلطة المستقرين وزنا فلا ترهبهم سلطة الانجليز و يذرون بالابهة و الاحتفالية التى ورثها الانجليز عن غزاتهم الرومان فى اكثر مراحل تطور روما سوقية. وكانت الطوائف المنشقة عن الكاثوليكية تؤلف بدورها تهديدا للكنسية ابان ما يسمى بالنهضة فى أوربا الشمال غربية فى القرنين الخامس و السادس عشر.

و قد اثرى اؤلئك اليهود فكرس اختلاف اليهود و ثراءهم تميزهم عن الامراء الاقطاعيين من ناحية و العامة من ناحية آخر ى بالضرورة فعزلتهم بالنتيجة. و كان اختلاف اليهود يرجع الى انهم كانوا الى ذلك و قد بقى بعضهم يأكل ويلبس ازياء و يتعامل فيما بينه وبين اهله بصورة تختلف. ولم يلبث اختلاف بعض طوائف اليهود وعزلتهم زيادة على رواج تجارتهم ان اثار انزعاج الكنيسة اذ رأت فى اليهود خطرا على الكاثوليكية.

و كانت الكنيسة حرية بان تتطير من نجاح اليهود–الكفرة بالمسيح و بالحياة الآخر ة و الجنة فيما اثارت ثروات اليهود حفيظة الامراء و تساؤل العامة جميعا[405]. فقد كان رواج تجارة اليهود و تزايد ثرواتهم وازدهار احوالهم يتناقض مع كفر اليهود فى نظر الكاثوليكية وعدم ايمان اليهود بالمسيح و بالجنة والنار. و كان بعض احبار و اسباط و تجار اليهود اغتنى حتى بلغت ثروة أحدهم– القديس ايرون اليهودى St. Eron the Jew–الذى يدعى ان ثروته بلغت وقتها 2% من الناتج القومى الاجمالى للمملكة الانجليزية بكاملها

فقد فاقت ثورة ابن ن ابن نغزالة الذى عينه باديس ابن حبوس الزيرى ملك غرناطة كبير وزرائه ثروة الملك المهم فورا لم تلبث الكنيسة ان راحت تغمض العين عن اضطهاد اليهود ما ان تزايد ثراءا. بل يقول بعض المؤرخين ان الكنيسة نشطت فى اثارة مشاعر الناس ضد اليهود. و قد رأت الكنيسة انه ان لم يكن اليهود يؤمنون بالجنة والنار فان رخائهم يهدد التعاليم المسيحية التى تقول بان الايمان سبيل المرء الى الرخاء و السعادة من ناحية. و من ناحية آخر ى فان صلب اليهود المسيح و لم يكونوا يؤمنون به فكيف يوفق الفكر المسيحي القائل بان المال بركة Blessing .

فالمسيحى يثاب على الايمان بالمسيح بوصفه سبيل البشرية للخلاص فسعادة الدنيا و نعيم الآخر ة فكيف يبرر رخاء وازدهار من صلبوه و غيرهم من الكفرة بآلهةالمسيحيين؟ و كان اشد ما يقلق الكنيسة ان العامة كانوا مستهدفين على صعيد آخر الى رؤية أن بعض طوائف اليهود يفعلون ما يفعلون من الكفر بالمسيح وصلبه الى الربا الذى تحرمه الكنيسة–و لا يذهبون الى النار. و قد راح الناس يتسألون فيما اذ كان وجود اليهود بين ظهرانى المسيحيين حكاما و زعماء دينين وعامة يستفز كل من تلك الشرائح على حدة و يقلقها مجتمعة.

على انه من المفيد تذكر ان الاعراب –اعراب الشتات لم ينفكو ان راحوا يخترقون الكاثوليكية منذ القرن الثالث فالرابع و الخامس عشر و تباعا. و ما ان انشقت الكنيسة الكاثوليكية بحلول تنويعات البروتستانتية مما افصل بعض طوائفه فى مكان آخر و علاقة الاعراب –اعراب الشتات ببعض تلك الطوائف فقد راحت البروتستانتية تستدعي مفهوم المال بوصفه بركة من اليهودية فيما اخذت الأولى عدم ايمان الاخيرة بالجنة فى السماء فلم تعد اشكالية التقوى و الثراء و الجنة و النار تقلق البروتستانتية و كأنه باتت تعيد انتاج موقف اليهودية من تلك الاشكاليات.

ورغم تعالق المال والبركة و نكران الحياة الآخر ى متمثلا بلا جدال و كأنه علاقة جدلية فان تلك العلاقة ليست بالضرورة بهذه السلاسة التبسيطية كما ذكرنا فى مكان آخر . فقد تعين اعراب الشتات باكرا على اختراق البروتستانتية بمفهوم كل من المال و البركة و الجنة وصولا الى احلال عملية فرز نوعية و كمية بين الذين يملكون و الذين لا يملكون من حيث رضى و بركة الرب. و كانت الكنسية الكاثوليكية قد وجدت حرجا كبيرا فى ثراء اليهود و هم الذين صلبوا الرب و قد عجزت عن مصالحة هاتين الفكرتين بوصف ان احداهما مصادرة على مطلوب الآخرى.

و ازعم ان الاعراب –اعراب الشتات تعينوا على مصالحة تلك المفهومات المتصارعة تاريخيا و عرقيا و ايديولوجيا و مسحيا بابتاثر على الاخيرة فى تنويتها البروتستانتية و بخاصة الانجليكية البيوريتانية. و لم تنفك الرأسمالة ما بعد الصناعية ان راحت تجأر بان اصحاب المال هم الذين يخلقون الثروة ؤغم ان الاخيرين بتيصرفون فى المال بلا حساب وينقفهونه و يبددونه حتى الافلاص ا الاملاق مما الف حسب رأيا البعض جريمة فالازمة المالية جريمة. و تجأر الدولة مرة اخرى ان اصحاب المال هم الذي يخلقون العمالة وان العمل عبادة و الخ. و قد سوغ ذلك فكرة ان المال بركة مما تعين على:

–الايحاء للمفقرين بالتدافع نحو الحصول على البركة بلا طائل بالطبع. فحظ مفقر فى الثراء فالبركة كمثل حظ صاحب ورفة يانصيب. و الاقرب ان تقتله صاعقة من ان يكسب اللوتارية سوى ان وهم الثراء مثل الحلم الامريكى قمين يحييد بعض المرارة.

–تكريس احساس المفقر بالقصور فلعنة الرب عليه لامر ما يبقى غامضا أو لا يتم التساؤل بشأنه.

–تزويق الثراء بوصفه بركة من عند الرب لعباده الاتقياء الانقياء فالاثرياء مباركون.

–اذ تقاس البركة بالثراء بين الامم كما بين الافراد يشعر الافراد الذين ينتمون الى امم مباركة بانهم مباركون مثلما شعر الرومان و كافة رعايا الامبراطوريات الكبرى وصولا الى الامريكان.

–يحمد العامة لاثريائهم تلك البركة فيدينون لهم بالولاء و الامتنان معا أو يوهم العامة بان ينبغى ان يمتنوا للاثرياء لان الاثرياء هم اللذين يخلقون ثروة الامم مرة فيباركها الرب و مرة ثانية يتعنون على خلق العمالة و الاخيرة سبيل الفرد الى الثراء بدورها.

–يمنح الاثرياء انفسهم حق اشاعة قيم العمل و الجد و التقوى مثلما فعلت البرجوازية الصغيرة–و قد استلهمت الاعراب الاستثانئيين–رغم خصومة الاخيرة مع الاعراب –اعراب الشتات المعلنة و الخفية المثل.

و قد فعلت البرجوازية الصناعية من بعدها المثل. و ما تنفك الرأسمالية ما بعد الصناعية و هى تعبير مسكوت عنه–عن المراكمة الاعرابية الربوية الريعية على نحو غير مسبوق. الا ان الاثرياء لا يلزمون انفسهم على كل حال بتلك القيم و قد باتوا يشيعون التسييب. فمعظمهم زنديق متلاف كسول لا يعمل الا بقدر ما يستلب الفائض و الخ.

على ان الناس بقوا مستقطبين طويلا قبل ان يتعين الاعراب الاستثنائيون اى اعراب الشتات و نظائرهم المضيفة على مفصلة طواقم قيم البروتستانتية بين الثراء و الافقار و بين السلطة و الاستلاب. ذلك ان تمظهرات الثراء كانت تتمثل أحيانا على نحو استثنائى من وقت لآخر مما استقطب الناس على نحو فارق قبل حلول البروتستانتية بالوصف اعلاه.

و كان الاستقطاب بدوره حريا بان يفرز شرط "خروج" احبار و أعيان و اقماط و تجار بعض طوائف اليهود على الخصوص خاصة و كانت ثروة آحاد الاعراب –اعراب الشتات كما ذكرنا فى مكان آخر تؤلف فى وقت ما نسبة من الناتج المحلى الاجمالى للمجتمع المضيف. و يؤرخ بعض الكتاب شتات اليهود الأول فى أوربا الغربية بالقرن الثانى عشر. و كان بعض احبار و اسباط و أعيان و اقماط و تجار اليهود و راء أزمات اقتصادية مدوية فى انجلترا على عهدى هنرى الثانى و الثالث مثلا فى القرنين الثانى و الثالث عشر و كان بعضهم هاجر الى الاندلس كما ذكرنا.

ذلك انه ما ان تنصر ملوك أوربا الغربية وصولا الى هيمنة الكنيسة الكاثوليكية على السلطة الدينية و تقاسم السلطة الوضعية مع الملوك النصارى فى القرن الحادى عشر الى الثالث كان قد آذن فى أوربا الشمال غربية بتحولات هامة بين يهود أوربا. فقد تعين الوجود اليهودى التلمودى التجارى المالى فى أوربا على تفعيل أهم التحولات الحالة فى الكاثوليكية فتعينت الكاثوليكية على اعتاق حركة المال و التجارة من قبضة التشدد الكاثوليكى القيمى كما رأينا. و لم يلبث تجار و احبار و اسباط بعض طوائف اليهود ان هاجروا من أوربا الشمال غربية بعد استعداء الكنيسة الكاثوليكية لهم فتفرقوا فى الشتات الى ان استقروا فى أوربا الجنوبية تباعا و الغربية مرة أخرى فى القرن الثانى و الثالث عشر. و كانت اقامة بعض طوائف اليهود فى أوربا الجنوب غربية و بخاصة فى الاندلس افضل ما حدث لهم لوقت طويل.

فقد كان نمط الانتاج الآسيوي–الشرقي مواتيا لنمط اللا انتاج الاعرابي الأستثنائي الاعرابي الربوي كما ذكرنا فى مكان آخر . و الاهم ان الاندلس كان عصرا ذهبيا لليهود. فقد قيض الاندلس–موضوعيا–و الخلافات الاسلامية فى المشرق وصولا الى الخلافة العثمانية من بعد استثناءات على قاعدة "خروج" اليهود بعنف. فقد خرج يهود تلك الدول بخاطرهم للاسباب المذكورة فى مكان آخر أو–و استباقا للحظة شدة باتت تتذر بنوازل و كوارث طبيعية و ازمات اقتصادية. و كانت بعض طوائف اليهود قد انخرطت فى خلق شرط وقوع تلك النوازل والكوارث و الازمات مثلما فعلت تلك الطوائف على مر التاريخ منذ يوسف الى النازيين اليهود فالمحافظين الجدد بشهاده اهلهم انفسهم مما احأول مجادلته فى مكان آخر.

الفصل الثالث:تعالق لا علمنة اوربا الغربية و الخزر و البروتستانتية:

لا يختلف اثنان بامعان النظر على تعالق البروتستانتية و الرأسمالية. و ازعم ان التنويعة الشمال غرب اوربية خاصة البيوريتانية العقلانية منها اختراع كان قد جاء مع خزر اوربا الشرقية–و قد اطلقوا على انفسهم صفة الاشكناز–و جلبوا معهم ثروات شعوب اسيا الوسطى و ما بين جبال القفقاز و نهر الفولجا الى بيزنطة المخزرنة منذ منتصف القرن الثامن و رساميل ركومت و غنايم نهبت على مر الاف السنين. وقد اثرت شعائر و منظومة قيم الخزر الاشكناز على أوربا الشمال

غربية. و رغم عداء مارتين لوثر للسامية الا ان انتشار الاثر الخزرى الاشكنازى كان قمينا بان بخلق كمياء العداء للكاثوليكية مما قد يفسر ثورة مارتين لوثر او–و يكرسها. وكان الاخير قد تراجع عن العداء للسامية.

و قد استقرت الاخلاق البروتستانتية فى مسام المجتمعات الشمال اوربية. و قياسا بقى الشمال غرب اوربيين حتى و ان لم يعودوا يذهبون الى الكنيسة الا انهم كانوا حريون بان يغدون–لعلاقات السوق و سوق العمل–بروتستانت ذهنيا. فاخلاقيات العمل مثلا التى تكرس فى الاطفال تعود الى البروتستانتية التى كانت قد شكلت ذهنية الناس منذ القرن السادس عشر. ذلك ان بيورتانية الايمان البروتستانتى تدفع الناس و تلهب ظهورهم بعقلانية العمل الدؤوب و الاستهلاك و اقرار الذات الفورى و قد استعاضت الرأسمالية عن الجنة ببهجة مادية دنيوية كاذبة غالبا. و ازعم قياسا ان أوربا لم تعلمن الا بقدر ما ادعت ذلك اكثر من اى شئ اخر و ان العملنة لم تزد على عقلنة الاستلاب خارج و من وراء اى وازع اخلاقى او حس عاطفى. و اجادل ان بزوغ مفهوم العقلانية كان حريا بان يتمأسس فوق مبدأ ان مصلحة المجتمع من مصالح الافراد و ان الفرد اذ يسعى الى تحقيق مصالحة يوظف عقلانية من شانها ان تسوغ له الوصول الى غايته باعمال كل ما من شأنه ان يكرس وسيلة تحقيق تلك المصالح و ان العاطفة ليست من بين شروط تلك الوسيلة.

و ليس غريبا ان تغدو اسكتلندا مثلا و هى كالفينية فى اغلبها من اكثر من توسع فى فضاءات العوالم الجديدة مما جعلها فى وقت ما اكبر مستعمر–بكسر الميم–بعد انجلترا. و كانت البروتستانتية البيوريتانية الكالفينية حرية بان تستقر فى مسام المجتمع فتسوغ الفردية والبحث البراجماتى عن المصلحة الفردية. و قد بات يستوى فى عقلانية بروتستانتية القرن الثامن و التاسع عشر ان يثرى الفرد بالسلب و النهب و الانخراط فى[406] جيوش المرتزقة او–و بغنائم حروب لا متكافئة ضد سكان المجتمعات المكتشفة و المفتوحة.

و قياسا يشتهر الفرد العولمى و يثرى بنيل جائزة نوبيل او جراء سلوك فاسق[407]. فسوف تكتب الصحف عن الاثنين و قد تحتفل بهما بنفس القدر و يشتهر كلاهما فيثرى كلاهما بلا انتقاء[408]. و من المفيد تذكر ان المصلحة الفردية خصمت على من عدى ذلك القرد الغربى بوصف ان مصلحة ذلك الفرد العولمى ليست مصلحة عالمية و انما مصلحة اقلية قومية و عولمية فى وقت واحد. و قد بات له حق فى كل مكان و كل شئ خصما على من عداه. فمن الخبير الى المبشر و السائح و عامل اغاثة دولي او عضو فى شركات حراسة امراء الحرب و الخبراء الدولين بل حتى الصحفى يتعين ذلك الفرد النهم الشبق على نهب المجتمعات التى تستضيف تلك النماذج الشائعة و المنتشرة فى كل مكان.

و المفترض ان ذلك الفرد هناك ل"مساعدة" تلك الاقوام الجائعة المتخلفة المهزومة بالديون الخارجية او يحارب من اجل دمقرطتها فيبتذل ذلك الفرد العولمى اصحاب الموارد و الثروات و المصادر الطبيعية و الفنون و الاثار المحلية بلا هوادة او–و يستدعى سلطة عليهم لا يجدها فى بلده. بل ويكاد ذلك الفرد يعيد تشكيل الجماعات المحلية لحساب اجندة اكبر و اوسع و يغدو سلطة قائمة بحد ذاتها و مرجعا يؤخذ عنه او عنها القول و التفلسف و التنظير بشأن الجماعات المهزومة بحلول اؤلئك الافراد.

ذلك ان فردا من المجتمع المضيف لا يعلو عليهم حتى بل و خاصة كتاب العوالم الثالثة اصحاب الوجيعة فيما يحل بهم و بعالمهم و بالبشرية الحقيقية. و قد تجاوزت الاقليات المعولمة تلك الجماعات المحلية فجلست الاولى فى محفل الكواكب و الالهة نائية بنفسها عن كون لوتته نفس الاقليات بسياستها و ممارساتها الفاحشة. و يلاحظ الناس فى كل مكان ان حدود الاغاثة و العمليات العسكرية باتت مموهة ولم يعد غريبا ان يدخل جون سميسون كابول فاتحا او تحرم(بالمعنى التوراتى اى تباد عن بكرة ابيها) الانبار قصاصا لاختصاف 4 من عمال شركة بلاك ووترز Black Waters التى تتخصص فى تصدير تنويعات المرتزقة نيابة عن الجيوش النظامية و قد خصخصت قوات الحلفاء. فقد غدى حق الفرد الموصوف والتعبير عن مكانته و امنه و حق اوربا الغربية وبخاصة بريطانيا و هولندا و التعبير عن مكانتها و امنها منذ سقوط غرناطة و حتى القرن التاسع عشر وحق امريكا الشمالية والتعبير عن مكانتها و امنها وحلفائهما اعراب الشتات و

مواليهم تباعا فى كل مكان–هو احتكار الحق فى كل ما على الارض و ما تحتها وما فى الفضاء الخارجى بكامله عقلانيا.

الفصل الرابع : تعالق الفلسفة العقلانية و سقوط غرناطة:

زعمت فى مكان اخر أن استقرار و ازدهار المجتمعات الاوربية الغربية مثلا تساوق و صبيحة سقوط غرناطة و ما يسمى ب"الاكتشافات الجغرافية الكبرى"[409]. و زعمت ايضا فى مكان اخر ان هجرة اعراب الشتات من اسيا الوسطى و اوربا الشرقية كان قد خلق كمياء نشوء طوائف الخوارج فى القرن الاول–السابع الميلادى– والمتكلمين و المعتزلة فى القرنين الاول و الثانى الهجرى اى السابع و الثامن الميلادى و طوائف البروتستانتية الشمال غربية فى القرن الخامس و السادس عشر. ولعلي اكون قد قلت و ان تنويعات تلك الطوائف كانت حرية بان تنتج شرط عقلانية لا تقر بالعاطفة ولا تسمح بها بل تعتبر الانسياق للعاطفة تخلفا و ضعفا و ربما كفرا بحق الهة الخزر و الاشكناز و نظائرهم البروتستانت البيوريتانيين. الا اننى اعود فاجادل ان سفر تكوين فلسفة العقلانية تساوق فى اوربا الغربية و مراكمة اموال معتبرة كما تمأسست بدايته تباعا–ولو كان بعضها على استحياء–فوق ثروات رساميل مادية و غير مادية. و كانت تلك المراكمة حرية بان تفضى الى تطورات بعينهما تصاحبت بدورها وهي:

–سقوط غرناطة

–هروب رساميل السفارديم المادية و غير المادية الى اوبا الغربية و كانت قد بدأت تهاجر باكرا و قبل سقوط غرناطة الى البندقية. و كانت الاخيرة كما ذكرت فى مكان اخر قد تعينت على درجة عظيمة من الاتصال بالاندلس و التواصل معه تجاريا و فكريا و فنيا و معماريا الخ. و قد باتت البندقية بحيث كانت توصف بالمدينة الاندلسية.

–ان مثول البدقية بهذا الوصف و غيره كان حريا بان يكرس دورها المالي فى اوربا الغربية مما قد يكون قد افرز ما يسمى بحزب البندقية و نادي البندقية بالوصف اعلاه.

– تسيير ما يسمى ب"الاكتشافات الجغرافية الكبرى"

ومن المفيد ملاحظة اننى كما ذكرت في مكان اخر اضع معظم مفردات تلك المرحلة او ذلك التطور الاوربى الغربي من مفردات النهب و السلب الفكري و المادى بين اهلة او هلالين–لسبب انها لم تكن مثلها مثل معظم المفردات التى راحت تمفصل منذ نهاية القرن الخامس عشر و تباعا من عصر النهضة و المبدأ الانسانى و التنوير و العقلانية و غيرها من قاموس مصطلحات الاستحواذ سوى مزوقات Euphemisms ليس الا.

وليس غريبا ان يتوافق تاريخ اهم الاحداث المذكورة –سقوط غرناطة و هروب اموال السفارديم الى اوربا الغربية و اكتشاف العالم الجديد فى تاريخ و تطور اوربا الغربية . فقد فاقت أرباح اليزابيث الاولى مثلا من العالم الجديد 5000% من الاموال التى استثمرتها بوساطة ووالتر رالى–1552–1618– فى العالم الجديد. و اجادل ان ذلك كان حريا بان يؤدى الى كل من ازدهار فاستقرار انجلترا كما كرس مفهوم الجشع فى الذهنية الانجليزية و ربما الاسكتلندية والهولندية وغيرها من نظائرها الاوربية الغربية و الشمال امريكية جميعا.

وكانت الاموال –الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب و من اسبانيا غب سقوط غرناطة الى اوربا الغربية بخاصة الى هولندا و الى انجلترا قد الفت الى ذلك شرطا اضافيا لتعزيز الاقتصاد البريطانى و الديمقراطية الهولندية.

وبالمقابل فقد كان لهروب اموال سفارديم الاسبان و البرتغاليين اثر فى تحوير نمط الانتاج الاقطاعى فى شبه القارة الايبيرية بمعنى اصابته بما قيض تشوهه و كرس اعوجاجات بحرمانه من شرط نشوئه قياسا على نمط الانتاج الاوربى الغربى. ذلك ان خروج رساميل اعراب الشتات كما ذكرنا فى مكان اخر ما انفك ان اصاب نمط الانتاج الاقطاعى الايبيرى بفيروس ما يسمى نمط الانتاج الاسيوى. فليس غريبا ان تكون شبه الجزيرة الايبرية هى الوحيدة من دون المجتمعات

الاخرى مثل الاوربية الغربية التى عرفت ظاهرة نمط الانتاج الاسيوى الشرقى مما بقى مستقرا بها–رغم ما نهبه اللاسبان و البرتغاليون من امريكا الجنوبية–و رغم رساميل المجموعة الاوربية–حتى اليوم.

المهم اجادل ان تلك التطورات كانت حرية بان تؤلف فى مجموعها الاساس المادى لنشوء العقلانية فى اروبا الغربية من حيث انتشار الاعتقاد بان المال غاية ينبغى ان يصبو اليها الافراد من اجل استقرار و ازدهار الافراد ومن ثم المجتمع و بخاصة ادعاء اثر تلك الرساميل على دمقرطة المجتمع.

ذلك ان رساميل السفارديم –الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب ين فى وجه الاضطهاد الكاثوليكى الاسبانى و فائض انتاج و خالص عمل المستعمرات فى العالم الجديد كانا حريان بان يقيضا هامشا اقتصاديا تنظيميا و سياسيا و من ثم فكريا للطبقات الحاكمة و الطبقات الوسيطة.

و كان ذلك الهاجس حريا بان يخصم على الحركات الشعبية تباعا. و لم تنفك الطبقات الوسيطة التى بزغت تباعا وقد ادركت ان من العقلانية الحاق نفسها او الحق بعضها نفسه بشرائح سلطة الرأسمالية الصناعية وصولا الى ما بعد الصناعية و قد اخلى بعضها عن انتحال مفهوم نصرة الطبقات الدنيا و المنتجين. و اجادل ان بزوغ مفهوم العقلانية كان حريا بان يتمأسس فوق مبدأ ان مصلحة المجتمع من مصالح الافراد و ان الفرد اذ يسعى الى تحقيق مصالحة و يوظف عقلانية غان الفرد العقلانى يصل الى غايته باعمال كل ما من شأنه ان يكرس وسيلة تحقيق تلك المصالح. وكان الفيزيوقراط Physicals من اوائل من نظر فى الاقتصاد و قد سبقت نظرياتهم الاقتصادية نظرية ادم سميث 1723–90 حول ثروة الامم و ريكاردو فى نظرية الريع و قانون الغلة المتناقصة.

و يمثل الفيزيوقراط امثال بيير صامويل دو بونت دى نيمورس Pierre Samuel du Pont de Nemrours احد اوائل النمازذج الفيزيوقراطية الفرنسيية الحقة. فقد باتت اسرته فى العالم الجديد من اكبر الشركات الكيماوية المعروفة و بقيت حتى اليوم. و كان بيير صامويل دو بونت دى نيمورس فيزيوفراطى مرموق و مستشار لدى لويس الرابع عشر. و قد اسس ابنه ثانى اكبر شركة كيماوية فى العالم و كان دو بونت ينادى بتخفيض التعريفات الجمركية و لعله و غيره من الفيزيوفراط كانوا اوائل من نادى بحرية التجارة. و كان فرانسوا كويسنى Francois Quesnay-1694-1744 وهو فيزيوفراطى مهم اخر يرى ان الصناعة قد تخصم على القطاع الزراعى بتحويل العمل الحى من الاخيرة الى الصناعة.

و من المفيد ملاحظة ان الفيزيوقراط فرنسيون و كانوا يقولون بان الارض هى اصل الثروة و ان ثروة الملك محرك للانتاج وفى بيع و شراء المحاصيل الزراعية. و لم يكن فرانسوا كوينسى معاد للصناعة و انما قد يعتبر وقتها واقعيا. فقد كانت فرنسا و بقيت مجتمعا زراعيا و لم يكن لها امتدادات مثل انجلترا و هولندا تسمع لها بانتاج فائض للطعام و التجارة فى السلع الغذائية و الحرفية حتى القرن 19 بحيث يتفرغ الفلاحون الفرنسيون لانتاج سلع اخرى غير الطعام[410]. و قد عبر ذلك عن نفسه فى الذهنية الفرنسية التى تميل الى الادخار ولا تستهويها غوية السوق و الاستهلاك مثلما فى بريطانيا مثلا. و يلاحظ ذلك فيما حاق بالاخيرة قياسا على فرنسا التى رغم ان دعه يعمل و الفيزيوقراط كانت مدارس فرنسية الا ان انهيار اسواق المال و انهيار قطاع الائتمان العقارى لم يمسها بصورة مماثلة لما حدث و يحدث لجارتها بريطانيا.

النظريات الاقتصادية و العقلانية:

المهم نشأت نظريات الفيزيوقراط و دعه يعمل دعه يمر Laissez faire laissez passez فى القرن السابع عشر فمهدت لما سمى بالفيزيوقرط الجدد Neo-Physicals من بعد وصولا الى الاورثوذوكسية الاقتصادية الجديدة. و ترفض كافة تلك النظريات العقلانية العاطفة فلم تعد العاطفة من بين شروط ممارسات تلك النظريات الفكرية و الاقتصادية العقلانية" للمراكمة. ور يزيد ذلك سوى ان يكرس مفهوم الربا فى المراكمة. و أزعم ان التنويعة العقلانية العولمية المعاصرة تعبر عن نفسها منذ القرن التاسع عشر على الاقل اكثر ما تفعل فى المدارس الاقتصادية الكلاسيكية الجديدة ومدرسة الفيزيوقراط و

الفرويدية الجديدة و تنويعاتها اليوتوبية الجديدة و الليبرالية الجديدة و ما بعد الحداثة و الصواب السياسى والفيمينية الغربية المغالية–النسووقراط و تنويع الطبقات الوسييطة و المتوسطة العقلانية الجديدة.

و قد غدت الاخيرة تلحق نفسها بالعولمة و تستمثل الفرد العقلانى الجديد كون الاخير بات غوارى الثورة المضادة على الثورات الشعبية. ذلك ان معظم الكتاب والمفكرين و الاكاديميين باتوا–مثلهم مثل معظم الصحفيين و النجوم–يرهنون انفسهم بماركة مسجلة يدافع كل منهم–كما تفعل الكاتبة النسوية المعرفة فاى ويلدينج Fay Welding مثلا–عن مصلحتها مقابل جعل معتبر من عائد ربحها او الفائدة على اسهمها فى سوق المال. ولا يزيد الاخيرون عن معظم الفلاسفة و المفكرين و المثقفين الذين كانوا قد ارتهنوا بفكر فلاسفة و ايدولوجيي جمهورية البندقية الاوليجاركية فى الاقتصاد السياسى و السكان و التمايز الطبقى والديمقراطية و الدولة. فقد كان الاخيرون ملزمين بالاخذ عن امثال اورتيس بلا تحفظ كما ذكرنا فى مكان اخر.

و كانت جمهورية البندقية الحرة تتمأسس فوق مفهوم ديمغرافى يشارف العقيدة فيحدد اعداد السكان و يكرس فكرة التخلص من الاعداد الزائدة عن الحاجة, و كانت جمهورية البندقية الحرة تصدر عن مفهوم للثروة و السلطة يتراتب فيه المجتمع بين بليونيرات و مليونيرات وعامة. اى على اساس الثروة. فلكل حسب ما يملك من مال. اى بقدر ما يملك الفرد او الواقع المجاميع الاسراتية والاقليات الصفووية من مال يملك ذلك الفرد من سلطة كونه عضو اسرة اوليجاركية والعكس صحيح رغم ان ذلك هو التعريف المزوق من ان مصلحة الفرد هى مصلحة المجتمع و ان حصل جمع مصلحة الافراد مصلحة المجتمع.

فمن لا اصل له او لا يتصل بعراقة المحتد الذى يمفصل فى ملكية المال اكثر من اى شئ اخر ومن لا ينتمى الى اسرة ثرية لا سبيل امامه للوصول الى المركز الممتاز و لا الى الثروة. اى ان من لا مال له لا سلطة له و هكذا. و الاهم ان المال يجلب المال و الثروة تراكم نفسها مجدداو هكذا خصما على الاغلبيات التى يتفاقم افقارها. على انه من المفيد تذكر ان البندقية لم تكن تصادر حق اى فرد فى ان يثرى. ان ان ذلك الحق بقى نظرى اكثر منه عملى حيث انه مهما اثرى فرد عادى فانه لن يصل الى مصاف البليونير بيسر. و لعل ذلك سفر تكوين الحلم الامريكى المخادع.

"الاكتشافات الجغرافية الكبرى" و عقلنة الربح و الجشع الرأسماليين:

ان تساوقت العقلانية و كل من "الاكتشاات الجغرافية الكبرى" و سقوط غرناطة فقد قيضت "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" فضاءات غير مسبوقة للمراكمة. و كانت المراكمة و ما تبرح تبرر السلب و النهب وصولا الى الثروة التى باتت الاساس المادى لاهمية الدول. و ليس غريبا ان تعود ثروة الامم التى تقاس بالمعادن النفيسة الى طاقم مفاهيم و قيم جمهورية البندقية الاوليجاركية فقد تأثر جون ستيوارت ميل وامثال اورتيس فيلسوف و مفكر و غيره من ايديولوجى البندقية كما ذكرنا فى مكان اخر. و يدعى بعض المؤرخين ان مفهوم الامبراطورية الانجلو ساكسونية على الخصوص يصدر عن الخروج الى نهب و سلب ثرواة غير الغربيين بوصفه وظيفة اثر جمهورية البندقية على الامبراطورية البريطانية. و ازعم ان ذلك الا ثر ما يبرح باقيا و قد استقر فى مسام المجتمع البريطانى و المؤسسة السياسية الانجليزية.

وقياسا يلاحظ كيف تساوق ما يسمى بعصر "النهضة"–و كانت الاخيرة قد ازدهرت اول ما فعلت فى البندقية–و ما يسمى ب "الاكتشافات الجغرافية الكبرى" خصما على و بثمن سقوط الاندلس وصولا الى ضعضة الخلافة العثمانية اخر الخلافات الاسلامية تباعا. و اجادل ان الفكر العقلانى الذى اتصلت به تلك الاكتشافات من حق الفتح والتدافع نحو تقسيم القارات و القدر المحتوم او الجلى و الفضاءات الحياتية واجبة التحقق للشعوب الاوربية الغربية الممتازة عرقيا كانت محصلة الفكر الرأسمالي و المسيحية الغربية بخاصة البروتستانتية التى بعتبرها بعض المؤرخين ام المؤامرات العالمية مما يحتاج الى تحليل عميق و شديد التركيب[411]

و تدعى الرأسمالية انها النظام الوحيد القابل للبقاء و الذى اثبت انه الوحيد الذى يعمل فان البروتستانتية و تنويعاتها المغالية على الخصوص تسوغ الربح و الفائدة. و قياسا تعبر البروتستانتية عن نفسها فى فكر محافظ يسوغ الجشع فى جمع المال و يعتبر الحديث عن فرض ضريبة على الثروة نوعا من التجديف. و تغوى الاحزاب–و قد باتت تسمى نفسها وسطية و لم يبق غيرها فى كل مكان–الرساميل الاجنبية بالاعفاءات الضريبية و بالغاء التعريفة الجمركية بحيث تحول الاخيرة ارباحا و فوائد على بيع المال كسلعة الى الخارج خالصة بلا نقصان حتى ان تسبب ذلك فى افلاس المؤسسات و المصارف و الشركات التى انشأتها عقلانيا فى المحل الاول فى المجتمع المضيف الذى تستثمر فيها تلك الرساميل الغجرية. فاى خسارة تمنى بها تلك الرساميل الاجنبية الغجرية تخصم على دافع الضريبة الوطنى. ذلك ان البنوك المركزية الوطنية تضمن ارباح الشركات الاجنبية كما رأينا فى فضائح و ازمة انهيار سوق الائتمان العقارى الامريكى صيف 2007 و تباعا مما يبدو انه جاء ليبقى طويلا.

الفصل الخامس: تنويعات ماثلة على لحن المال الهارب و الاكتشافات و حق الفتح الخ:

تهرب رساميل طائلة 24 ساعة على مر العام من كل مكان الى كل مكان. الا ان فضح أمر هروب المال يبقى دونه ام الكبائر. و تضمن البنوك المركزية مثلما فعل بنك نجلترا (المركزى) Bank of England نهاية صيف وبداية خريف 2007 مصرف نورثارن روك northern rock الائتمانى و كذا مصرفى فانى ماى Fanny Mae و فريدى ماك Freddie Mac الى خريف 2008 . و قد اشترت الحكومة الامريكية الاخيران ب 3 مليار دولار. و قد لحق بهما ميريل ليتش Merrill Lynch –و قد خسر الاخير 5 مليار دولار صيف 2008 –كغيره من المصارف التجارية و تلك التى تتعين على الائتمان و المضاربة بالمال جراء أزمة سوق ائتمان العقار الآتية من امريكا[412].

و ينذر اكبر المصارف الامريكية سيتى بنكCity Bank (و يستخدم 60 الف و يشارف رصيده ميزانية بريطانيا) بان الازمة حرية بان تبقى لبضعة سنوات و ليس لاشهر كما يتصور البعض.

المهم حيث لم يقيض لمصرف نورذارن روك Northern Rock أن يتعافى بدون فضحية ليخرج من غرفة الانعاش فقد بات على البنوك المركزية العمل على ضمان تدفق السيولة الكافية فى اسواق المال حتى لا يعلن المصرف المذكور افلاسه[413]. و قد ادى وقوف المدخرين و صغار حملة الاسهم امام المصرف الى افتضاح امر المصرف مما اشان سمعته و غيره من المصارف بمعنى اخر سمعة رأس المال –الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب الذى يرفض عقلانيا اى تخاتلا أن يطلق عليه ذلك الوصف. و حيث كان الامر قد خرج من يد محافظ البنك المركزى البريطانى حين سجلت الصحف صور الناس يصطفون خارج المصرف فقد اتهم المحافظ بالتقصير فى التستر الواجب على سمعة المصرف حين فرط فخرج المدخرون يقفون صفوفا امام المصرف لسحب مدخراتهم الخ. بل دعى محافظ بنك انجلترا المركزى للمثول امام لجنة تحرى برلمانية متلفذة فاخذته الاخيرة و كذا الاعلام على التلكؤ فى انقاذ مصرف نورثارن روك[414].

وقد بات رأس المال–الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب جزءا عضويا من الرأسمالية ما بعد الصناعية و كأن الجشع و العصف و التنكيل بالخصوم الماليين و الاقتصاديين و السياسيين امر لا مناص من ان يحتمله الاخيرون بوصفه قضية مقطوع بها. و قياسا تجأر الرأسمالية المذكورة بانه و الامر كذلك فلا معنى من التشكى من الرأسمالية مثلما لم يعد ثمة معن فى التشكى من الطقس لان ليس ثمة ما لديك عمله ازائهما. و قياسا فقد كانت المسيحية الغربية قد ارتهنت كما ذكرنا فى مكان اخر بالرأسمالية باكرا فتعينت المسيحية الغربية البروتستانتية الغربية على الخصوص على عداوة ما عداها و بررت كل وسيلة للقضاء على خصومها. و يتمثل

الاخيرون اكثر ما يتمثلوا فى شعوب المجتمعات المضيفة لرأس المال –الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب بتنويعاتها قاطبة و على مر التاريخ.

و تتمأسس عقلانية مراكمة الثروة بالوصف اعلاه فوق كل من السرديتين المذكورتين–سردية رأسمالية اعراب الشتات المالية وسردية المسيحية الغربية البروتستانتية خاصة. ذلك ان الاخيرة تلتقى و الرأسمالية المالية فى ادانة المفقر لفقره بل تحلل استلابه عقلانيا بصورة فاحشة حتى الافلاس و الموت. فيما تقول الرأسمالية ان الفقير مسئول عن فقره فان الرأسمالية ليست مسئولة عن افقار المفقرين لان فقرهم بجريرهم. و من المفيد ملاحظة القياس بين مفاخرة أعراب الشتات بان ليس بينهم مفقر و احتقارهم للفقر و الفقراء, فاعراب الشتات يمنعون عن الفقراء الصدقة فلا يستحق الفقير لديهم صدقة. ذلك ان الصدقة للغنى المعسر و ليست للفقير الذى يرونه مسئول عن فقره و يستحق قدره.

و يقول مثال يهودى اذا جاءك متوسلان و كان احدهما غنيا يوما فاملق و الاخر فقيرا فاعط الغنى اكثر لان الاول يعانى من الاحساس بعدم الكرامة فقد تعود علي الكرامة فى الثراء فى حين ان المتسول الفقير لا يعرف الكرامة و لا يفتقدها[415]. و من المفيد تذكر ان ذلك المفهوم تنزل الى قلب البروتساتنية فاستقر فى مسام الاخلاق البروتستانتية بوصفها عقيدة الرأسمالية الغربية و صنوها بامتياز كما اكد ماكس فيبر فى اطروحته حول الاخلاق البروتسانتية و روح الر

و لا تتحدث الرأسمالية و لا المسيحية الغربية عن الافقار و انما عن الفقر. و تجعل الرأسمالية الفقر عاهة وتدعى انها لرقة فؤاها تتعين على مساعدة الفقراء بمطالبة الدولة بدفع ضرائب عن دخول الشركات الكبرى التى تعمل فى المجتمعات المفقرة.

فذلك المفهوم العقلانى الفاحش من شأنه ان يحقق الازدهار الاقتصادى و يخلق الثروة بغض النظر عن استلاب المفقرين مجددا حتى الفناء. و ليس اكثر تعبيرا عن ذلك من معونات الدول الغربية لافريقيا مثلا و لا من قروض البنك الدولى التى تتعين على سياسات ما يسمى ب"النمو" التى تستحوذ على اضعاف قيمة القروض الحقيقة مقابل خدمة الديون Debt Servicing من المجتمعات المدينة و هكذا. فتلك صورة يومية من صور العقلانية المالية والمسيحية الغربية–معبرة عن نفسها فى افضل تنويعاتها فى رأس المال –الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب او فى تصدير خالص راس المال فوائد و ارباحا على ما يسمى الاستثمارات الاجنبية المباشرة Foreign Direct Investments.

من ثم فقد بات نهب و سلب مال الخصم حلال على الكنيسة و على المجتمعات المسيحية الروتستانتية الغربية فعلى الرأسمالية بالاحرى بواقع مبدأي الربح والفائدة الجشعين.

و من المفيد تذكر البروتستانتية لم تكن سوى تنويع متستر على اليهودية مما المح له ماكس فيبر Max Weber 1864-1920-و قد اصدر عن ماركس الذى اكد تعالق الرأسمالية اليهودية. فقد قال ماكس فيبر بدوره أن الفكر و الايمان البروتستانتى اصل المراكمة الرأسمالية الحديثة.

و قياسا تتمثل العقلانية بالوصف اعلاه فى الافانجلية الانجلو امريكية اكثر من اى شئ اخر بوصف ان الاخيرة هى دين الثراء. و تتهم البروتستانتية الانجليكية الانجلو ساكيونية و نظيرتها الانجلو امريكية من عداهما بالكسل و التقاعص عن "اللحاق" فالنجاح و مراكمة الثروة. وتقت موقتا يشارف التحريم من فرض ضريبة على اصحاب الثروة كون ذلك تجديف بحق البروتستانتية و الافانجلية الانجلو امريكية منها على الخصوص ومن ثم بحق الرأسمالية المالية بالتماس. فلا مسئولية لاثرياء اعراب الشتات خاصة فى المساهمة فى الانتاج و اعادة انتاج المجتمع.

وحيث لا يدفع معظم اثرياء الاخيرين الضرائب على ثرواتهم فان مفهوم الضريبة يتمأسس فوق عقلانية الذهنية المحافظة و يصدر عنها. فلا يغفر لحزب سياسى محافظ فرض ضريبة على الاثرياء اذا ما سافروا او طاروا او انفقوا او استثمروا او استهلكوا او بددوا مصادر طبيعية او الحقوا امرا بالبيئة. و اجادل ان ما يشارف تحريم الضريبة على اموال التجار و بخاصة اعراب الشتات و كانوا قد احتلوا مكان الملوك ورجال الدين منذ المجتمع الكلاسيكى الاوربى الغربى و فى غيره من المجتمعات التى استضافت رساميل الاخيرين كان مفهوما قد تحدر منذ بداية المراكمة الرأسمالية الغربية التى نعرفها.

و كانت الاخيرة قد اخذت عن و تعلمت من و تمأسست فوق طاقم قيم اعراب الشتات. فلم يكن الاخيرون يدفعون ضرائبا للمجتمعات المضيفة و لم يحاسبوا على استهلاك موارد المجتمعات ***المضيفة و لا على تخريب البيئة.***

عقلانية رأس المال الهارب او الرأسمالية المالية الربوية او المراكمة بالنهب Accumulation by Pillage و البقاء للاصلح:

ازعم قياسا أن الرأسمالية الغربية بقيت كارهة للشعوب تستهذئ بها بوصفها غير قابلة للصلاح, و الى ذلك فقد تعينت الرأسمالية الغربية على العصف بالشعوب كون الاخيرة غير قابلة للرشوة فرشوة الشعوب مصاردة على مطلوب المراكمة بانواعها:

-مرة لان تلك الرشوة تخصم على المراكمة بالضرورة.

-ومرة لان الابقاء على الشعوب عند خط الفقر بمعنى أعلى قليلا من خط الرمق الاخير انما هو تجديف بحق المفهوم الداروينى الرأسمالى المسيحى الصهيونى التوراتى يشأن العامة الغوغاء الدهماء- الخصوم الشيطان. ذلك ان رأس المال المذكور يؤبلس الخصوم و الشعوب قاطبة. ومن المفيد تذكر ان مفردة الخصم تعنى فى الكتاب المقدس كما ذكرنا الشيطان رغم انها لا تظهر بهذا الاسم فى الاصحاح القديم. و تعبر الرأسمالية فى اكثر تنويعاتها تشوها او فى اخر تحوراتها عن نفسها فى رأس المال -الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب او المتنبدون اكثر من اى شئ اخر.

و قد بقي رأس المال -الرأسمالية المالية الالتى تراكم بالنهب ظاهرة عبرت عن نفسها فى مفهوم الضيف على المجتمعات حيث يراكم رأس المال الهارب و يعيد انتاج نفسه بين ظهرانيها. و لم يتوفر استثناء على هذه القاعدة الا وجيزا ابان حلول البرجوازية الصناعية الوجيز بوصفها كانت محض مرحلة انتقالية متسارعة نحو الرأسمالية المالية ما بعد الصناعية الفائقة Super Capitalism.

و قياسا يمكن فهم كيف كانت الستنيات من ثم تعبير عن تدفق النبع قبل ان يغيض. ذالك ان نشوء رأسماليين و طنبين فى المجتمعات الغربية على الخصوص و نشوء اوربا الشرقية بدروها كان قد الف ما يشارف جملة اعتراضية فى تاريخ نشوء و تطور احتكار الرأسمالية للمراكمة المالية خصما على راسمالية الانتاج السلعى و كل ما عدى المراكمة المالية قاطبة. و قد تعالق مفهوم الربح و الفائدة بالجشع و عقلانية المراكمة بلا اى اعتذار عن ذلك الجشع بل تبريرا و تزينا له كونه عنوان على عقلانية الفرد و حصافته و قدرته الداروينية على الصراع من اجل البقاء و الانتخاب الطبيعى بوصف الانسان الغربى الناجح الثرى هو الاصلح بالضرورة غالبا.

و يتماسس مفهوم الاصلح فوق أهلية الفرد او جماعات اعراب الشتات فوق ما يملك الفرد او تلك الجماعات من ثروات العالم. و يتأتى من هنا البحث عن اجابة عن السؤال بشأن مآل الثروة. و قد يتساءل البعض الى أين يذهب رأس المال -الرأسمالية المالية الفائقة؟ ازعم ان رأس لمال-الرأسمالية المالية الفائقة تذهب الى اقتناء

الماس و الذهب و السلع الاستراتيجية من المعادن النفيسة و النفط و الغاز الى التحف الفنية. و يلاحظ الناس فى كل مكان التناسب الطردى بين ارتفاع سعر السلع الاستراتيجية و التحف الفنية و تفاقم نسب المال – الرأسمالية المالية الفائقة من كل مكان الى كل مكان مما يعبر عن نفسه في الكساد و ما يشارف الازمة الاقتصادية الماثلة منذ انهياراسواق الائتمان العقارى الامريكية نهاية صيف الى خريف 2007 فبداية ربيع 2008 و تباعا. و رغم ذلك فان امريكا و بريطانيا ورغم تدفق المال السائل العام من البنوك المركزية لانقاذ ما يمكن انقاذه و هيهات الا ان امريكا و بريطانيا ما تبرحا عقلانيا حتى خريف 2008 فى حالة الانكار الذاتى self denial.

و لا ترتفع اسعار السلع الغذائية اضعاف و يتناقص احتياطى القمح و الارز بصورة خطيرة فى كل مكان وحدها وحسب و انما ترتفع اسعار النفط و غيره من السلع الاستراتيحية والتفاخرية غير الاستراتيجية. من المفيد تذكر أنه فيما يسعد المشترى ان ينخفذض سعر السلعة التى يبتغيها فان مقتني السلع التفاخرية يسعد كلما ارتفعت اسعار الماس و الذهب والتحف الفنية من اللوحات و التماثيل الخ. و قد ارتفعت اسعار الماس والذهب و النفط والتحف الفنية بمعدلات غير مسبوقة كما ارتفعت اعداد المشترين معا. فقد ارتفع سعر الذهب الى 1اكثر من 1000 دولار الاسبوع الثالث من مارس 2008 و سعر النفط الى اكثر من 147 دولار فى الاسبوع الاول من يونيو 2008.

و يقدر الخبراء نسبة ارتفاع اسعار السلع المذكورة الى ما بين مرتين الى 3 مرات وصولا فى بعض الحالات بالنسبة للوحات الفنية الى 9 مرات مما تمثل منذ الثلاث سنوات وخاصة السنة الماضية و تباعا. و تجعل تلك الارقام من مراكمة الثروة فى خلق اقليات فائقة على ما عداها سواء اقوام او دول بما تملك تلك الاقلية المعولمة من الثروة العولمية و افقار ما عداها جراء تكريس مفهوم وممارسة اللا اقتصاد او الاحرى الاقتصاد الزائف False Economy. *و تتمثل عقلانية مثل تلك المراكمة فيما تتمثل فى اتساع قطاع اللا اقتصاد بمعى الاستثمار فيما لا ينتج سلعا و لا يعيد الانتاج خصما على الانتاج–اعادة التوزيع–الاستهلاك–و الانتاج عائدا الى نفسه الخ مما يخلق العمالة و يضمن الاجور و يقلل افقار المنتجين.*

و لا يقيض اللااقتصاد افقار المنتجين فى كل مكان و انما ينفى أى شرط يذكر او ينسى يمكن اى جهة الا ما خلا تلك الاقلية من اللحاق بتلك الاقلية و لو بعد مئات السنين. و حيث لا سبيل الى مواجهة تلك الاقلية الا بالتنظيم و الحركات الشعبية فان تلك الاقلية تمعن فى العصف بالحركات الشعبية كما يلاحظ الناس فى كل مكان.

و ختاما : –نص تحتى* Sub-Text *او شرح على المتون:

أزعم ان ظاهرة المحافظين الجدد و قد بزغت على نحو غير مسبوق مع حلول الادارة الامريكية 43 قد قيضت المادة الخام لجزء هام من المجادلة اعلاه. ولعل احدى فرضيات البحث الاساسية اصدرت عن تلك المادة الخام مما اعرفه ايضا بالنص التحتى Sub Script. و يدعم النص التحتى للنص الاصلى بعض فرضيات البحث من واقع تلك النماذج الشائعة بين بعض المثقفين و ادعياء الفكر بل الفلسفة العرب و المسلمين 7

تنويعات ماثلة من الليبراليين الجدد او غواريى الثورة المضادة:

كانت تنويعة صفوات من الانثروبوليجيين و المستشارين والاستعماريين و من بعدهم الخبراء المعولمين قد اسلمت مكانها لتنويعة صفوات المغامرين المكوننين فنشأت صفوة تبيع خبرة مكوننة بلا خصوصية ثقافية او تاريخية او مرحلية. و قد اخذت تلك الصفوات تنتشر فى اصول و تنويعات عليها من العبيد المعتقين و الربابى والرهائن الملكية والمحظيات الملكيات–النسوقراط– فى كل مكان. وتتألف فئة و تنويعة من الخبراء المكوننين من

صفوة شباب من رجال ونساء من كافة الجنسيات ممن لا تزيد اعمارهم على منتصف او نهاية العشرينات. فان كان شرط الغوار الثورين عدم تجاوز الثلاثين فقد وصم غواريو الثورة المضادة الثلاثين ناهيك عن الاربعين بانها سن متقدمة لا مكان لها فى السوق.

ذلك ان الاربعين قد تبعث على استعارة خبرات حياتية تعترض سبيل امتلاك غواريي الثورة المضادة ناصية التحليل "العقلانى" و من ثم "حل" المشكلات على غرار تعاليم الجماعة. الا ان الرأسمالية ما بعد الصناعية ما انفكت كعادتها ان نكصت على ما جأرت به حتى تخلق شرط بوار العمال و المنتجين فى السوق لحساب جماعات اخرى نغلة بالضرورة. و لم تلبث الرأسمالية ما بعد الصناعية ان راحت تستقطب رجال و نساء من كل الاعمار ممن لا يستنكف بيع ذهنه او ذكاءه بغض النظر عما اذا كان لديه ذهن يسوى او ذكاء يباع. بل العكس فاضل و ابرك الا يكون لهم منهما شئ. فلا يعنى ذلك ان كل من تشترى العولة صاحب او صاحبة ذهن متوقد او على ذكاء يذكر.

بل العكس يروق العولمة–الرأسمالية ما بعد الصناعية شراء البائر من خصومها اكثر من غيرهم حتى تصم خصومها بالتخلف العقلى او بالمساخة الفكرية التى تشارف البلاهة فى افضل الشروط. و يقيض ذلك للعولمة الرأسمالية ما بعد الصناعية ان تضرب اكثر من عصفور بحجر:

–ان تكرس هوان مستوانا فجدارتنا بقدرنا و مصيرنا

–ان تضمن ولاء كائنات مفلسة غالبا عاجزة عن الابداع لا سبيل امامها الى اى تألق يذكر اوينسى حتى تلتقطها العولمة.

ذلك انه ما ان تلتقط العولمة تلك النماذج و تلح على ابرازها فوق شاشات التلفاذ و منابر الاعلام الاخرى بل تخلع على بعضها القابا ارستقراطية مثل لورد و بارونة الشعب او المفكر الكبير الخ حتى تدخل فى روع تلك الكائنات انها عبقرية دون شك فيداخل بعضها خيلاء اشخصه بالاصابة بقيروس العقلانية والتخاتل و خداع الذات و هى اعراض سيكباتية مرضية. فقد لا يتورع بعض الاخيرين عن التواقح على من يفوقونهم فكرا–ان كان لاؤلئك المتواقحين فكر–وكرامة بما لا يقاس. و فيما يلى لوحات من التنويعات الفكرية والادبية العربية من الليبراليين الجدد: [417]

1–*صورة دوريان جراى الليبرالى النرجسى الجديد*[418]:

هذه اشارة الى رواية صورة دوريان Dorian Gray جراى لاوسكار وايلد حيث تزداد صورة دوريان جراى تشوها كلما ارتكب فعلا قبيحا أو ارتكب اثما فيعبر ذلك عن روح ذلك الكائن القمئ وازعم انه حيث كان اوسكار وايلد يصدر عن المدرسة الرومانسية على اواخر ايامها فقد كان حريا بان لا يجرد بطله–رغم افعاله السيئة– من الضميرالانسانى على طريقة عقلانيي المبدأ الانسانوى امثال ديكارت من قبله. الا اننى اجادل ان دوريان جراى ما بعد الحداثى او ما بعد التقليدى المذكور قبيح نفسيا و بدنيا وبلا ضمير. فالضمير فى الفكر او اللا فكر ما بعد الحداثى عملة بائرة.

بل ان عدم الضمير امر يحتفل به طالما اوصل صاحب الفعل و الشكل القبيح الى النجاح و الثروة باى وسيلة تعويضا. و قياسا يبقى دوريان جرينا قبيح و منبت لانه فاقد الموهبة. و قد قام دوريان جراى مفلس–يخشى على حوزته فى بلد عربى بقى يسئ اليه حتى زاع صيت تلك الاساءة على شبكة المعلومات–رغم ان ليس له هو صيت فى اى مكان اخر سوى ذلك البلد الكريم–قام دوريان جرى ما بعد التقليدى ذاك بانقلاب على المحاور النظرية لملتقى فى ذلك البلد. و قد عبر عن احباطه و افلاسه و زعره و خشيته على مكانته التافهة بعنفوان مشخصن خلى من اى فكر او حتى مجادلة عابرة فيما تعين عليه و اعوانه من نقد لمن عداه .

فقد كانت غايتة–و رفاق التقاهم معه او المتوطئين معه و اخرين اتوا فى نفس المهمة محض–الاغارة على من عداهم فيما شارف حربا معلنة على غايات مثل تلك اللقاءات العربية و على كل ما بذل من اجل انجاحها من طاقات و جهود تنظيمية و احتفالية و فكرية بثمن غالبا ما يكون باهظا على مجتمعات مفقرة.

ذلك ان تلك الكائنات العاطلة عن الموهبة افلاسا–فى محاولاتها العقلانية اى الوصولية الدفاع عن انفسها الخائبة و مراكزها المهتزة حرية بوصفها غالبا ما تتلفع بعباءة الليبرالية الجديدة بتحويل نشاط المشاركين فى عمل عظيم مثل المتلقى المذكور الى مجالس للنميمة خارج قاعة المداخلات بدلا من ان تكون حلقات نقاش رديف فكريا لجلسات الملتقى الرسمية.

و حيث منع على ادارة الجلسات الحوار–كما علمت لاحقا–فقد اقتصرت الجلسات على تلقى الاسئلة و المداخلات من القاعة دون اعطاء اصحاب الاوراق فرصة الرد على أو الاضافة الى ما قالوا. و قد سمح ذلك بغير قصد غالبا للبعض بانتهاز الفرصة لاشفاء غليل مشخصن على من عداهم من غير الليبراليين الجدد. و قد اشار بعض الحضور من الرصناء الى مثل ذلك النشاط بوصفه افعال شنيعة حقا".

و قد هيأت تلك الافعال لبعض الموتورين المحبطين ممن–ليس له دخول التاريخ من بات الابداع و الرصانة و الوطنية–و قد باتت الاخيرة نوعا من العار بينهم–فليس لهم دخول التاريخ الا من باب الانقلاب اللا فكرى على مفكرين–و قد قيض و بيض لهم مثل ذلك التهالك الانقلاب على من لا يطالون قلامة ظفر كلمة مما يبدع من المفكرين الشرفاء. وقد دفع ذلك البعض الى المطالبة بنقطة نظام للدفاع بها ضد المتواقحين المتطاولين على تلك المناسبة العظيمة و ما احوجنا لها قائلا بتواضع رائع ان احدا لا يملك التشكك فى قول من هم اعلام قد يفوق بعضهم ما لا يطمح اليه اى منا.

و قياسا فمن الجدير بالذكر ان واحدا من اصحاب تلك الافعال الشنغاء لم يكن معروفا الا بقدر ما اذكر اننى التقيته محض مرتين قبل الملتقى المذكور و كانت احداهما فى شتاء ما منذ اعوام طويلة بمدينة كارديف عاصمة ويلز و كان يقرأ من ورقة مكتوبة بالانجليزية وهو يتصبب عرقا و يكاد يقع مغشيا عليه .... الا ان فعلته الشنعاء لم تنفك ان قيضت لى و لغيرى ان نعرف عنه الكثير و المثير ممن درج ذلك الشخص على الاستهانة باذهانهم زملاء و طلاب و طالبات.

و قد وجد الاخيرون فرصتهم لرد الصاع صاعين اخيرا لذلك "النرجسى المتسطح", و كان قد تعين طويلا على "مصادرة المعرفة فيما راح يغوى اخرين و اخريات ليشتهر بسمعة لا يؤهله لها سوى استغلال تواضع مضيفيه و حيائهم و وضعه من حيث المسافة الاجتماعية. و كان وبقى يدرك و يستغل تخاتلا المسافة الاجتماعية و الاحتشام و الادب كونه يمنع بعض الاخيرين–بخاصة الشباب–من مواجهته.

و قياسا ما يبرح الابقاء على كل سبيل للاتصال الفكرى مع الشباب غاية منى معظمنا فالشباب ملاذنا و جسر او قارب نجاتنا–ان قيض لنا ذلك–من المحارق الثقافية و الاقتصادية و ربما البدنية القادمة لا محالة و بناء مستقبلنا. وكان الشباب قد قال فى رد فعله الصارم الفورى قولته. و كان معظمنا قد خزل الشباب ليس وحسب عزوفا عن الاجتهاد صلافة وتسطيحا وانما جبنا و تزلما لاعداء المستقبل و الحياة.

و لعل معظم جيلنا كان قد اجهد بمرور الزمن و تخثر بعضه للاسف جراء كل من نفاذ الصبر على النضال لجعل العالم مكان افضل بالعلم و المعرفة الموضوعيين فايقاف العلم و المعرفة العربيين على اقدامهما و قد اوقفا فوق رأسيهما طويلا بمغبة ارتماء بعضهم بالمقابل فى احضان او الاحرى تحت اقدام من يتعين على تدميرنا لهثا وراء الشهرة و الثروة ارتزاقا فيما لا يجد غيرهم ممن يسميهم احد الزملا الاصدقاء الاعزاء "المستقيمين"–ما يدفع به فواتيره.

و الاخطر ان امثال هؤلاء الليبراليين الجدد و قد راحوا يطلقون على انفسهم العقلانيين الجدد يوقفون بسلوكهم و افعالهم تلك النظر و التنظيم فى الواقع العربى و الاسلامى و كل باب و سانحة للتغيير و اى شرط للنهوض العربى فوق رأسه خدمة مدفوعة الاجر لاسيادهم. و قد صرح واحد منهم بلسانه على مسمع من اخرين فى نرجسية لا اساس لها سوى غطرسة الجهالة– فالجهل و الصلافة وجهى عملة واحدة والعياذ بالله "انه لا يرهق ذهنه". و لعلكم تدركون ان خصومنا يحرصون على تجنيد أقلنا موهبة بل عديمى الموهبة امعانا فى الذراية بنا و بعقولنا.

2–صورة مكطم يتستر على تزلمه بالقاب العشائر العربية الاصيلة[419]:

يحمل ذلك الليبرالى الجديد حقيبته و بها محاضرة يتيمة يدور بها على الملتقيات و المنابر الثقافية خارج وداخل البلاد العربية "على حسابه الخاص"(!!) ان لزم و ينزل فى فنادق الخمس نجوم ليلقى تلك المحاضرة, و مفاد المحاضرة ان شعبا معينا مسئول عما يحدث له و ان امريكا لم تفعل اكثر من ان اخطات اخطاء قليلة وحسب. و يقارن ذلك المتعهد لحفلات الازعان الفكرى و التنظيمى بين مراحل تطور ذلك المجتمع نشوئا و نكوصا او تنويعات على الاخيرة بلا انتقاء و بلا اكتراث لمنهجية تذكر أو تنسى. ذلك ان غاية اطروحته الضحلة تلك التى لا تبذل جهدا للوصول الى محصلة بعينها هو تبرئة امريكا و لا يزيد عمرها على 300 تدمر مجتمع يزيد عمره 7 الاف عام.

فتلك الغاية هى تاكيد ان ذلك الشعب هو بطبعه عنيف و منقسم على نفسه و من ثم يستحق قدره. و قياسا تبرئ تلك الاطروحة أمريكا من الجرائم التى ترتكبها بحق الانسانية. و الاخطر فان تلك الاطروحة حرية باعادة انتاج مفهوم اعراب الشتات فى وصم الشعوب بغاية تسويغ كراهيتها فتبرير ابلستها تسويغا لابادتها. و من المفيد تذكر ان ذلك الدعى تبلغ استهوانه بالناس مبلغا يدعى معه انه يحمل اعترفات القديس اوغسطين مع اينما سار–و لا يعرف ان المذكرات من 28 جزءا. و من المفيد تذكر ان علاقة ذلك الدعى بالمناضلين الشرفاء و القوميين الوطنيين علاقة مركبة بقدر ما هى شائكة حقا. فبقدر ما يتمنى و امثاله موتنا الا ان وجودنا يبقى التبرير الوحيد لوجودهم. ذلك ان محاولة ضحد ما نقول هو سبيلهم الى ترويج تجارتهم. فانه ان لم يوجد امثالنا من المعادين لمشروع القرن الامريكى الصهيونى الجديد و تفريعاته و تنويعاته الممحللة فى مشروع الشرق الاوسط الكبير و الاخدود الافريقى العظيم الخ فان الليبراليين الجدد اقل من عديمى الفائدة فزائدون عن الحاجة. ذلك ان قيمة شأيلوك النرجسى و قيمة صاحب مذكرات القديس اوغسطين متوهمة وكذا قمية الليبرالى الجديد فى شيخوخته متوهمة. و الواقع ان كل منهم اقرب الى الضفدعة و تبقى الضفدعة ضفدعة. المهم تبقى قيمة الليبراليين الجدد متوهمة كمثل الرجل الضفدعة الا بقدر ما يدرك الليبراليون الجدد ان تجارتهم رهينة بوجود الكتاب المكافحين فى وجه الاستبداد و الامبريالية الجديدة. و مع ذلك و بسببه ما ينفكون يتطيرون من ابداعات الكتاب المكافحين على الخصوص. فالاخيرين يتعينون على مشروع بديل يدحض مشروع الشرق الاوسط الكبير و العولمة و كونهم معادين لطروحات الليبراليين الجدد انغال المحافظين الجدد.

و قياسا فان ابداعات من عدى الليبراليين الجدد تكلف الليبراليين الجدد جهدا لا يملكه الاخيرون. فليس فى جعبة اؤلئك الادعياء اكثر من اتهام من يخالفهم بالنظرية التآمرية و التعيين على تهديم ما يقول خصومهم بتتفيه و–او الانخراط فى محاولة تشويه سمعة خصومهم مقابل مناصب فى مراكز بحوث معلومة الجعول و الاجر. و بالمقابل يتضور خصوم تلك الكائنات–الا من مجد النضال فى صفوف و من اجل الاغلبيات المفقرة المهانة و المحتقرة شرفا يفوق كل مكانة او ثروة.

3–صورة ليبرالى جديد فى شيخوخته:

كانت زوجة احد الاصدقاء قد الحت على ان تحمل عنى نصا من 3 اجزاء بعنوان قاموس الاستحواذ ليحمله زوجها بدوره للصديق المناضل الناشر عبد الرحمن النعيمى صاحب دار الكنوز بدمشق و بيروت. و كنت قد اعطيت نسخة من النص–وهو قاموس الاستحواذ–من 3 اجزاء للابن العزيز الاستاذ محمد جابر ليوصله لعبد الرحمن النعيمى منحه الله الصحة والعافية. و مع الحاحها سلمتها نسخة من نفس النص و سافرت هى و سافرت انا بدورى. و فى اليوم التالى لعودتى من الخرطوم حيث كنت اتابع قضية فك حجر الحكومة على بيتى و قد تركتها غير محلولة من طول مشقة و امتهان حتى تدخل النائب العام–و كان زميل و صديق شقيقى عبد العزيز صفوت–و كان رحمه الله صديق "الصديق" المذكور اعلاه. فى اليوم التالى دعوانى هو و زوجته.

و كان هو قد عاد من الخارج بدوره–على مشروب فى مكان عام. و راح الرجل يحقق معى اين كنت وهل اطلعت على صحف عربية حيث كنت حتى نهرته زوجته–الاشد عقلانية و اكثر حصافة منه–بان يتوقف عن استجوابى. و كان ما يجرى وقتها ابعد ما يكون عن ذهنى الا انه علق بخاطرى. فلم اتصور ان لكل ذلك اى معن الا فيما بعد و متأخرا جدا. و كنت استبعد ثم رحت اقول لنفسى يستحيل ان يصل الامر بالناس هذا التدنى. الا اننى اخذت اتذكر تباعا فيما تذكرت كيف اخذ الرجل يؤكد انه ترك كتابة المقالة الاسبوعية فى جريدة خليجية كان يكتب فيها–و لعها الاتحاد–واصبح يكتب لجريدة خليجية اخرى لا توزع فى الخارج.

وجلست اسمع و لا اصغى بلهاء كعادة المؤمنين بالصداقة و بالانسان الانسان. فلم افهم وقتها و لم يخطر ببالى انه ينشر عملى باسمه فى جرائد و مجلات خليجية و غيرها. و بدأت ادرك متأخرة–كعادتى فى عدم افتراض سوء النية حتى تخزأ عينى–فيما ادركت–وقد تمادى لما لم اقل شئيا لان شيئا لم يخطر على بالى وقتها. الا ان مفرداتى التى انحتها و لا يملك امثاله حتى ان يحلم بما يشارفها راحت تترى على لسانه فى مقالات و تصريحات مرارا. و كان فى البدئ يذكر لى فى جملة اعتراضية–على سبيل جس النبض–"سوف اكتب فى المال الجديد" أو "اننى بسبيل ان اكتب هذا الاسبوع حول ابلسة الحركات الشعبية". و لا اعلق بل ليس ذلك وحسب و انما ارسل انا له بالفاكس مقتطفات و بعض المعلومات و الاحصاءات والتواريخ حول تلك المواضيع التى كنت قد كتب فيها و اكتب فيها حول قاموس الاستحواذ و ما ابرح.

و لم البث ان بدأت تباعا ادرك انه يتكسب من جهدى سرقة بالكتابة فى منابر تدفع مئات الدولارات على المقالة لامثاله من معظم الليبراليين الجدد مرتزقة على كل الاصعدة.

و بالمقابل لا ينهب امثاله جهد غيره الذى لا يطال امثاله تأليف جملة واحدة منه و لم يكتب جملة القة فى حياته و انما كل ما يملك هو تهديم ما يبدع غيره و القيام بالانقلاب عليه افلاسا و حقدا و ارتزاقا مدفوع الاجر.

3–الانسان المسهوك– الممسوح

هو من اؤلئك اللذين يملكون وجها لا يميزه شئ لا نتؤة او علامة و ليس له سوى اذنين مثل زهرة من زهور الكرنبيط. فلا شخصية له تماما. فان وضعته فى غرفة مزدحمة بالناس ذاب فى الزحام و لم ينتبه لوجوده احد. فهو ذلك الرجل الذى يسميه الامريكان "زلمة عادي" Ordinary guy. و يملك الزلمة المذكور و المنسى معا الحاضر الغائب ان يكون انسانا اخر بسهولة فيغدو غيره هو نفسه. يعطيك من طرف اللسان حلاوة مبتسم دائما فى بلاهة يكاد يكون اراجوزا او حتى مضحك الملك غالبا و قد تعلقت ريالة مزمنة بشفتيه. مرح كلما لزم يتواضع بصورة محزنة ينحني انحانة ياباينة بترحيب فائض. لا يملك سوى التعاطى مع كل شئ و كأنه موافق على كل شئ بلا تحفظ لا ينتقد و لا يرفض و لا يعارض. ويغتابك بين معارفه و اشباهه ما ان تفارقه.

و يتواطأ الاخيرون على بعضهم فكلهم متواطئ بلا حدود جاهز فى سعادة طافحة لتقديم سجل مشوه فى كل مرة عن بضهم و عن خصومهم لدى اسيادهم. فكلهم مدفوع الاجر و حياته معلقة بخدمى اولئك الاسياد فيما يشارف الرق العظيم. فان لا يملك امثاله اكثر من ان يقعى عند القاع فى حفرة تلميع الذات والارتزاق باسم وطنية متكاذبة و الاحرى عولمية

تؤبلس القومية باسم ما بعد الحداثة الشائهة فتلك الفصائل لا تملك بل تجهل ادراك اصالة تلك المفردات وتعلن جهلها ذلك و كأنه نيشان فوق صدورها التى يتأكلها فيروس الخديعة و قد على وجوهها الشوهاء جزام الخيانة فامثاله لا يتعين على سوى ما يجده جاهزا امامه معدا فقد تخرج فى اكاديميات الطعام السريع و اللا فكر السريع و اللا ثقافة او الثقافة القمامية Junk culture و كرسها.

و ازعم ان ذلكم هو لب ما يسمى بالعقلانية لا اكثر و لا اقل الا بقدر ما تتناسب العقلانية طرديا و المفهوم الملفق للداروينة. فامثال هؤلاء يبدع اكثر ما يبدع فى الرقاعة الفكرية. و يثرى اؤلئك من وراء السرقات الادبية بعد "حقنها" بعقلانية الليبرالية الجديدة متاجرة بالسياسة و بالوطنية فيما لا يجد امثالنا ما يدفع به فواتيره.

4- ***معبد الهولات العقلانيات :***

ليس ثمة ما يدعو للجزم بان الليبرالية الجديدة وقف على الرجال وحدهم. فثمة تنويعة من اسميهن بالهولات المجنحات ممن يخدمن الليبرالية الجديدة و كن قد خدمنها سابقا بوصفهن نسووقراط منذ نهاية السبعينات مما اذكره فى بحث اخر. وكانت الاخيرات قد مهدن الطريق لليبرالية الجديدة باقتصاد السوق وحرية التجارة و تطويع النقابات العمالية فى كل مكان وبالخصخصة و التنمية المشبوهة و بالنمو و اللحاق و غيره من سياسات صندوق النقد الدولى منذ سبعينات القرن العشرين حتى الالفية الثالثة. فالنقابات ديمقراطية تمثل قطاعات واسعة من المجتع فى حين مجتمع رجال الاعمال معاد للديمقراطية و لقطاعات المجتمع التى تمثلها النقابات العمالية والتعاضدات المطلبية. و لم تلبث النسووقراط ان بتن زائدات عن الحاجة فى العالم الاول. الا انهن بقين وظيفيات فيما عداه.

تعالق الهولات الفيمنيات و الليبراليين الجدد:

تنتشر جماعات بعينها من النساء على تكريس خطاب و اجندة الفيمينية الغربية المغالية Radical feminist agenda مما اعرفه بالنسووقراط.Feminocracy و تقوم هاتيك النساء نيابة عن السوق بضرب سوق العمل المسيس المنظم لحساب سوق عمل مسترخص لا مسيس لا منظم مما يحقق سياسات الاقتصاد والحر اللا اقتصاد ما بعد الليبرالى. الا ان خطاب النسووقراط و قد بات بائرا فقد ادى الى نهاية الدراسات الجندرية. و تتحسر بارونة الشعب و استاذة الدراسات الجندرية–كما تسمى الاخيرة–على موت النسووقراط و تقول ان الجيل الجديد سوف ينعش النسووقراط و ان كل اطر فكرى او براديجما من شأنها ان تعود مرة اخرى.

و كانت الجامعات و مراكز البحوث البريطانية قد الغت اقسام الدراسة الخاصة بالفيمنية الاسبوع الاخير من مارس 2008 كون النسووقراط قد ادين المطلوب منهن فانتهى دورهن وضحى بهن كغيرهن و غيرهم من قبل و من بعد على مذبج تيسير عمليات المراكمة المادية و غير المادية. وتقول بعض النساء ان الجيل الجديد من النساء لا يرغبن فى حمل مشعل النسووقراط. وتتساءل بعض النساء ما ذا فعلت دراسات الجندر لاغلبيات النساء و ما يبرح اجر المرأة 70% من اجر الرجل فى بريطانيا مثلا. و لم تتعين الدراسات المذكورة على البحث من اسفل و على تعدد المناهج الا مؤخرا.

ويقول مهاجمو الفيمنية المغالية Extremist or fundamentalist feminism ان المرأة البريطانية–من الطبقة الوسيطة غالبا و من الشابات حتى يشخن فى الثلاثين على الاكثر–باتت ما بعد فيمنية و احتفظت برافعات الصدر–السوتيان– الذى كانت الثورة الفيمينية المغالية قد احرقته فى ستينات القرن العشرين و احرقت عقلها. فقد باتت الشابة ما بعد الفيمنية نحيفة بصورة مرضية باثداء هائلة من السليكون كملكة النحل تلتهم اليعسوب قبل ان يفيق من نشوة مجامعتها أو كأنها هولة تكاذ تنقض على فريستها.

على ان ما يسمى بالفجوة الثقافية قمينة بتكريس الفيمنية المغالية فى العوالم الثالثة والرابعة. و تلاحظ(ين) كيف تعمل تلك الفحوة عملها فى العوالم غير العربية كالصين مثلا و الشرق الاوسط و غيرهما. ذلك ان نهاية الفيمينية المغالية فى العوالم الاولى و بخاصة فى المجتمعات الانجلوساكسونية الانجلوامريكية حيث نشأة الفنمينية المغالية و كرست لا تعنى نهايتها

فى العوالم الثالثة و الرابعة. و ما تبرح الفيمنية المذكورة تعبر عن نفسها فى الاباحية الجنسية و الانجابية العصف بالاسرة و الرجل والطفل و فى برامج تحديد النسل و الترويج لحبوب منع النسل بغض النظر عن ضررها او فائدتها فالامر سيان. و تتعين نساء عقلانيات ليبراليات جدد بالضرورة ممن ينخرطن بوعى أو بلا وعى و بانتهازية اكيدة فى نشر حملات التوعية الجنسية و حول تنظيم الاسرة و غيرها فى ثمن العوالم الثالثة و الرابعة مما كان قد بار من برامج فى العالم الاول و تجاوزها الاخير. وتخرج "متخصصات" عربيات و مسلمات الى المجتمعات العربية و المسلمة مسلحات باحابيل النسوية الغربية بتمويل المؤسسات المالية الكبرى كالبنك الدولى. و تكرس هاتيك الهولات المجنحات الاحابيل الفيمينة فى المجتمعات العربية و الاسلامية و غيرها.

و قد ارتفت نسب الطلاق بين الشابات فى بعض المجتمعات العربية مثلا بصورة غير مسبوقة و انتشرت اشكال الانحلال مرة جراء الغلاء و اطلاق تطلعات الناس و الكبت تحت ظل ثقافات متطرفة مرة و مرة اخرى و هذا هو الاخطر بفاعلية هاتيك الهولات النشطة بين نساء العوالم الثالثة و الرابعة. و حيث كانت المرأة تنتمى الى اليسار التقليدى على عهد حركات تحرير المرأة التى تعاصرت و مرحلة النضال من اجل الاستقلال و حتى صبيحة الاستقلال السياسى فان هاتيك الهولات المجنحات حريات بان يتواطأن مع رفقاء فراش الخديعة من التنمويين Developmentalists.

و كان الاخيرون قد انتشروا يبشرون بالتنمية سيئة السمعة فى سبعينات القرن العشرين و ما بعد الحداثيين فى ثمانينات و تسعينات القرن العشرين و نظائر الاخيرين من تنويعات الليبراليين الجدد منذ عشية الالفية الثالثة. و تمول تلك الحملات التخريبية اجتماعيا نظائر من أهم و اكبر بل و أخطر المؤسسات المالية التى تتعين على اعادة تشكيل و هيكلة المجتمعات و الثقافات و النظم الاجتماعية مثل البنك الدولى. فان تعينت الهولات على تكريس دور المرأة فى سوق مسترخص لا مسييس لا منظم طييع باسم تمكين المرأة اقتصاديا فقد نشأت ظاهرة المرأة "المستقلة" نسبيا اقتصاديا والمستعبدة لتحولات السوق و قد خصم استقلالها الاقتصادى المفترض على مكانتها الاجتماعية السابقة فى الاسرة و المجتمع و حتى فى الجيرة.

و بالمقابل تدفع نسب العطالة بين الرجال بالاخيرين الى مناشط تعويضية و قد سلب الرجل دوره فى السوق و فى الاسرة لحساب المرأة تكاذبا. و تتمثل بعض تلك المناشط التعويضية فى ادمان المخدرات و الخمر والعنف و الجريمة و اغتصاب المرأة و الاعتداء على الاطفال. و ازعم ان الاغتصاب و الاعتداء على المرأة تعويض للرجل عن فقدان ما كان قد درب عليه اجتماعيا و نفسيا من الموقع المتسيد فى العلاقة بين الجنسين. و قياسا انتشرت مع تضعضع الاسرة ظاهرة الامهات العزباوات. و الى ذلك يقول المحللون الاجتماعيون انه مع ارتفاع نسب العطالة و ظاهرة الامهات العزباوات فقد انتشرت الجريمة و المخدرات.

و قياسا فحيث ينشأ الطفل و ليس لديه اب أو–و ليس هناك فرد فى الاسرة يخرج فى الصباح للعمل و يعود فى المساء بالرزق و المحبة الابوية فان ذلك يحرم اطفال فى مثل تلك الاسر من الشعور بدفئ حنان الاب و من العاطفة التى يفتقدها كل طفل فيبحث عنها بين العصابات التى تنتشر فى احياء الطبقات المفقرة و فى الجنس المخدرات. و تنشر ثقافة المخدارات و تتبع ذلك الجريمة للحصول على المخدرات. و فى كل ذلك فالخاسر الاول–بعد المجتمع عامة–هو المرأة خاصة. فمثل تلك المرأة التى تأتى غالبا من الطبقات التى كانت تسمى عاملة معرضة اما للاغتصاب او مدفوعة الى اللجوء الى الدعارة لرعاية ابناء كل واحد منهم من اب احيانا لتوفير احتياجات اطفال بلا اباء و الى ادمان المخدرات مما دفع النساء الى الدعارة و الرجال والاطفال الى الجريمة.

خواجة منهم:

هذا الرجل يعيش على عمل غير الغربيين من الطلاب العرب خاصة و بلا احتشام. و يطرح نفسه مدافعا عن قضاياهم من نفس الوقت. وقد بات يعتقد فى قرارة نفسه انه ممثلهم لدى المجتمع الدولي دون ان يكون اي منهم قد وكله عليه. و

كان و ما يبرح يسرق عمل طلاب زوجته فهى استاذة فى جامعة بريطانية عريقة كما ينتحل اعمال غير الطلاب من الرسائل العلمية. و ما ان يقيض له ذلك فانه يقوم بضمان الا ينشر لاصحاب تلك الرسائل عمل ابدا. و كان قد استولى على دار معروفة للنشر فباتت ملكه بعد ان كان قد شارك صابحها فيها فى البداية ليحتكرها مرة واحدة و الى الابد و قد شاخ صاحبها و لم يعد يدرك من امره شيئا.

و لعلي افضل ان اكبت قصته بلغته هو حتى يطلع عليها و يدرك انه مفضوج بين العرب و معظم الافارقة كالسودانيين الجنوبيين مثلا. و من ذلك انه قد يأخذ مسودة كتاب احدهم ليكتب لها مقدمة الا انه يبقيها معه اشهرا حتى ينشر هو بحث كاتب البحث قبل ان ينشر الاخير كتابه. 5-يتغنى اليبراليون الجدد و الهولات المجنحات بالرأسمالية المالية الفائقة حتى اخر لحظة رغم ما يقر به العالم اجمع بما فى ذلك بعض مفكرى الادارة 43 وحكومات المجتمعات الرأسمالية ما بعد الصناعية الغنية قاطبة بنهاية مشروع الليبرالية الجديدة و قد فشل الانموذج الامريكى للتنمية. و لعل مقولى التركى و المتورك او ذلك يبقى ملكى اكثر من الملك جائزة هنا بحق تلك الحفنة الضائعة من الليبراليين الجدد عرب و مسلمين و خلافهم.

خاتمة اخيرة: هل قضى الاعصار المالى على مشروع الليبرالية الجديدة :

فقد سوق المال ما قيمته 7.2 تريليار دولار فى الاسبوع الثانى من اكتوبر و قد نزل يوم الجمعة 10 اكتوبر فى تاريخ الرأسمالية المالية بوصفه يوم الجمعة الاسود قياسا على الاربعاء الاسود اكتوبر 1978و الثلاثاء الاسود اكتوبر 1929 و كأن اكتوبر هو شهر الكوارث الرأسمالية المالية على الخصوص. و كانت اسواق المال قد فقدت منذ صيف 2007 الى اكتوبر 2008 تريليارات الدولارات منها 25 تريليار دولار فى اسبوع واحد.

و يتجاهل الليبراليون الجدد عقلانيا ان المصارف المالية استثمارية و ان الصناعة والاعمال الكبير و الصغيرة مرتهنة بالاخيرة. و لا يذكرون عقلانيا ان دافع الضريبة هو الذى يضمن تلك المصارف الهالكة. و لا يشيرون عقلانيا من قريب او بعيد للقطط السمينة ممن لم يحاسب حتى الان فى بريطانيا على الاقل على المضاربة بلا ترو فى اموال غيرهم فيما يدفعون لانفسهم الملايين رواتب و مكافئات سنوية ثم ما ينفكون يهربون مثلما فعل نظائرهم من اعراب الشتات على مر التاريخ المسكوت عنه. و اذ يهربون باموالهم يخلفون ورائهم شرط نضوج ما يزوقونه في تلك "المحارق" التى تعمر التاريخ المسكوت عنه ايضا.

المهم فورا تشترى الدولة باسم دافع الضريبة الاسهم السامة Toxic stocks لتنقى الدفاتر المصرفية من السموم. وقد اشترت الدولة البريطانية اكبر 4 مصارف تجارية نهاية الاسبوع الثانى من اكتوبر 2008 ب 37 مليار استرلينى وبذلك اممت 6 مصارف بريطانية. وكان افلاس المصارف التجارية و الاستثمارية قد الحق الخراب بكل شئ فى الاقتصاد الحقيقى من تجارة القطاعى و حتى شركات الهواتف النقالة الى المناجم و الصناعات الكيماوية التى لم يكن يظن ان شيئا ينالها. وتتهاوى ادعاءات فلسفة السوق الحر و حرية السوق و قوى السوق و قدرتها على احلال التوازن فى السوق.

و قياسا تخرج الدول فى كل مكان فى المجتمعات الراسمالية الغنية عن طورها العقلانى القائل بعدم التدخل فى الاقتصاد. و لم يكن ذلك بصحيح يوما فقد بقيت الدول تتدخل سرا فى سوق العمل لصالح اصحاب المال والمخدمين دائما خصما على العاملين و دافعي الضريبة. و توظف حكومة بريطانيا قانون الارهاب فى مطالبة حكومة ايسلندا بتعويض المودعين البريطانيين فى مصارف ايسلندا عن خسائرهم جراء انهيار المصارف الايسلندية. ويسافر وفد رسمى ليفاوض حكومة ايسلندا وتشارف الافلاس او افلست فعلا.

فلم يعد مبدأ حرية السوق و قدرة قوى السوق على تحقيق التوازن الاقتصادى يعنى شيئا. و لن تجد ايسلندا عندها ما تدفعه للبريطانيين الا اذا استدانت من الاسواق العالمية غير الراغبة و غير القادرة غالبا على توفير الرساميل او-و ينقذ صندوق

النقد الدولى ايسلندا. و يتصل هبوط اسعار الاسهم فى الاسواق و قد فقد معظمها ابن الاعصار المالى ما قدر بيا بين 20% الى 25 % من قيمته.

و ليس ثمة من يملك شراء شئ سوى الاثرياءز وسوف ينتظرون حتى تصل قيمة الاسهم التراب ثم يشترون معظمها قيزدادون ثراءا و هكذا فى حلقة جنهمية. و معظم تلك الاشهم هى اسهم الصناعات و مدخرات صغار حملة الاسهم و معاشات التقاعد. و الاخيرون هم و غيرهم من المنتجين هم دافهو الضريبة الذين يضمنون المصارف الهالكة و تشترى الحكومات ياسهم ما يسمى بالاسهم السامة فى خطط انقاذ المصارف السامة بدورها.

و تهرب الراساميل من كل مكان الى كل مكان مخلفة الاقتصاد الحقيقى ورائها و قد تضعضع معظمه و لم يعد يملك قدرة على الاستثمار. ذلك ان معظم ما انهار مصارف استثمارية. و كانت الصناعة كغيرها قد ارتهت بالاستدانة من المصارف المالية التجارية و الاستثمارية. و يجأر بعض الليبراليين الجدد فى قلب الكارثة التى يصفها اصحابها بانها غير مسبوقة و ان كل شئ تغيير و ان شيئا لن يعود الى ما كان عليه قبل الاعصار المالى الحالي يجأرون هجوما على من عداهم فى دفاعهم عن مراكزهم المتضعضعة تباعا بان من يعلن شماتته فى الراسمالية ليس سوى جاهل محبط لا يفقه شيئا فى الاقتصاد. فهم وحدهم الذى يكتب فى كل شئ من البرسيم الى فوكياما الى الشائعات حول خصومهم ساسة و اناس عاديين بائسين غلابة الا بقدر ما يملكون مواجهتهم هم.

و فيما يصدرون عن محللين اجانب فانهم ينثرون اسماء اجنبية هنا و هناك دليلا على طول الباع المعرفى و لا ينسون ذكر انبيائهم من فوكوياما و صمويل هنتيجتون الى برنارد لويس دون مراجعة اخر ما قالته تلك الكائنات الحربائية. فقد اقر فوكوياما الاثنين 8 اكتوبر 2008 ان النموذج الامريكى للتنموية اثبت انه غير صالح. و يروح الليبراليون الجدد يرددون اغنية بوش المفصلة–وقد بات بطلع على الناس كل 4 دقائق يضمئنهم على اسواق المال ومستقبل الاقتصاد الامريكى و قدرة الادارة على تحقيق ذلك –ينشودون معه او ورائه ان الاقتصاد الامريكى متين و انه سوف يخرج بامريكا– و العالم بالتماس–من الازمة سالمين مثلما يقول ان القوات الامريكية منتصرة فى العراق و افعانستان.

و يرجع الكورس من ورائه "الدنيا ربيع و الجو بديع قفل لى على كل المواضيع".

و ينتشر الاحساس بين الناس العادين ان الانموذج الامريكى فقد مصداقيته و ان وول ستريت قد سيكون قد شهد اخر ايامه الى حين على الاقل. و لا يقول ذلك الشامتون فى امريكا و اؤلئك الذين ينتقدون السياسة الامريكية الخارجية وانما يقول فرانسيس فوكوياما–الذى اعلن موت الايديولوجية و التاريخ و ابنهما–يقول ان النموذج الامريكى للتنمية–الذى هيمن على مدى 30 عاما على مفهوم التنمية فى العالم–لم يعد صالح و لا حتى لامريكا نفسها.

الا ان الليبراليين الجدد يثابرون على الجأر بتبسيطية باعة السلع الرخيصة و الباعة المتجولين بان الذين ينتقدون الرأسمالية الغربية لا يفقهون شيئا كون الاخيرين لا يدركون ان ليس ثمة رأسمالية غير الرأسمالية الغربية. و لا يفرزون لجهلهم هم او لصلافتهم و ادعائهم بين النموذج الامريكى للتنمية–المراكمة بالرأسمالية المالية الفائقة و رأس المال الهارب و بين الرأسمالية الصناعية التى تحاول او تدعى على الاقل اعادة التوزيع مهما كان فارقا.

و بجأر افضلهم بان ما انهار هو محض المصارف المالية و يتجاهلون ان المصارف المالية استثمارية و ان الصناعة والاعمال الكبيرة و الصغيرة مرتهنة بالاخيرة. و يلح اؤلئك الادعياء ان كل من ينتقد الرأسمالية ليس لديه مشروع بديل يقدمه فليس ثمة سوى الرأسمالية قدر العالم و مصيره. و حيث يتصور الليبراليين الجدد انهم يلقمون من عداهم حجرا يجأرون بان "ليصمت الحاقدون" ذلك ان المحافظين الجدد و الليبرالين الجدد و امثال جولدمان ساكس وغيره من مثلى ما يمكن ان يعفر بالاهاب المالى الذى يكاد يودى بمقدارت العالم بانهم يقومون بما امر به الرب و ان كل من ينتقدهم حسود بل يجدف بحق الرب, تشهر تهمة الحسد بوجه الشعب الامريكى مثلا لاخضاعه و كل من يتجاسر فينتقد المصرفيين. و تنشر لهم صحفا مشبوهة مباعة سقط القول هذا.

الا ان معظم الشعوب–التى يذرى بها المشروع ما بعد الليبرالى وتتجاوزها الرأسمالية المالية و الانموذج الامريكى للتنمية– تدرك الشعوب ما يدور بتفصيل التفاصيل و قد ارتفقت نسبة توزيع جرائد المال و الاعمال فى العالم الغربى بصورة لافتة. و قد كشفت نشرات الاخبارية 24 ساعة فى اليوم بشأن احوال المصارف و اسواق المال كل مخبوء لاول مرة بصورة واسعة. و يدرك الناس انهم الاضاحى البشرية كما فى كل مرة فى سبيل احلال شرط ثراء الاثرياء خصما على اغلبات المنتجين فى كل مكان بافقار تلك الاغلبيات.

و حين يخرج الشعب اليوناني الثلاثاء 9 فبراير– شباط 2010 الى الشوارع محتجا او تضرب نقابات العمال و اتحادات الطلاب فى مواجهة سياسة التقشف التى تفرضها الحكومة اليونانية جراء الازمة المالية فانهم يوجهون سخطهم على من خلق تلك الازمة. و يجأر المتظاهرون بانهم ليسوا على استعداد لان يتحملوا دفع ديون متفاقمة و لا خسائر مالية لا يد لهم فيها و لا حول لهم عليها. فالشعب اليوناني ليس مسئولا عن الازمة و لا عن تداعياتها. و قياسا حين تحرج الشعوب فى مواجهة سياسات حكوماتها و ساستها فانها تحرج فى مواجهة الاوليجاركيات المالية العولمية وسماسرتها من الاوليجاركيات المحلية معا,

هذا ومن المقيد تذكر ان اوباما اضطر ان يعلن الجمعة 22 يناير 2009 انه بسبيل تقديم مشروع للكونجرس يحدد حجم و يمنع ممارسات التجارة بين المصارف التى تسببت فى الازمة الاقتصادية. و قد اكد اوباما الخلط بين الاعمال الموضوعية للمضارف و بين المضاربة باموال و مودعات اصحاب الاسهم و السندات و صناديق المعاشات اى مدحرات ما بعد الخدمة. و يترتب على ذلك كل من فصل نشاط تلك المصارف مما يعنى تقليض حجم مصارف عريقة مثل و جولدمان ساكس Goldman Sacks وميريل ليتس Meryl Lynch ايه اى جى American International Group(AIG) وستانلي مورجان Stanly Morgan و من المفيد تذكر ان المصارف المذكورية كانت قد تسبب فى الازمة الماثلة و فى ازمة ثلاثينات القرن العشرين معا.

و فيما يعلن اوباما الحرب على المصارف المذكورة فانه يدرك ان السخط الشعبى الذى راح يعبر عن نفسه فى سقوط مرشح الديمقراطيين فى دائرة لا فيجاس الخميس 21 يناير لاول مرة منذ نصف قرن فقد كانت دائرة مساتشوستس مقفولة على الاخيرين بلا منازع لنصف قرن. والى ذلك عبر رد فعل المصارف عن نفسه فى حرب على اوباما تمثلت فى هبوط اسعار الاسهم و السندات بليل و قد انداحت اعراض تلك الحرب عبر العالم. الا ان اوباما يرى تماما معنى المظاهرات اليومية التى تستهدف شارع المال.

ذلك ان تلك المظاهرات و المواكب اليومية تهتف بخاصة امام جولدمان ساكس و ستانلى مورجان وغيرهما بان "المال لخلق العمالة و الصحة والتعليم و ليس لتعويض المصارف عن اخطائها و لا لمكافئة المضاربين" و يعتبر ذلك فى الذهنية الامريكية تطور خطير و يكاد يكون غير مسبوق مما يهدد بامور لا تستحبها الادارةالامريكية و لا الموسسة السياسة او العسكرية جميعا. وتشهد امريكا تحولات بنائية و حركية غير مسبوقة فيما تنخفض شعبية اوباما و لم ينقضي على رئاستة اكثر من عام واحد.

و ريما جعل ذلك اوراما اول رئيس لا تستمر راسته لاكثر من دورة واحدة الا اذا قرر المحافظون الجدد تزوير الانتخابات كما فعلوا مع فترة جورج ووكر بوش الثانية خصما على ال جور. و يبقى ذلك مشكوك فيه فاوباما قد لا يزيد على جسر او معبر لجوزيف ليبرلمان او نظير له الى الراسة 45. و لعل ذلك السيناريو حريى بان ينتج شرط الطوفان أى كان الطوفان. هل هو اجتباج الاوليجاريكايت المالية و العسكرية المسيحية الصهيونية العالم بلا روية حتى الابادة؟ ام هو طوفان الحركات الشعبية التى تكتسح فى طريقها كل شئ؟

و قياسا فقد ينهار المشروع الليبرالى الجديد فى لمح البصر مثلما انهار المشورع الاشتراكى و ليس ثمة من يملك القول بان النموذج الراسمالي صالح دون احتشام. فقد اشاعت الرأسمالية المالية ما يسمى الافلوينزا Affluenza و تشتق المفردة من

الجزء الاول من كلمة الازدهار بالانجليزية Affluence و الجزء الثانى من كلمة انفلوينزا. و الافلوينزا مشروع انجلو ساكسونى يقول بالمادية وبتكريس شرط ثراء الاثرياء و ان غيرهم يمكن ان يعيش على تنشق الهواء. و قد باتت السلع غير قابلة للترميم او الاصلاح و ان كل شئ قابل للاستغناء عنه وراء سلع اخرى من الاجيال الجديدة لنفس السلعة و الا ما دارت عجلة الاستهلاكية و الربح واقسى الربح. و قد بات الناس اكثر تعاسة و انتشرت العلل النفسية بينهم.

و كانت تلك الاحداث تقيض شرط "خروج" اعراب الشتات–بخاطرهم تذرعا–عشية اندلاع الازمة مما يفسر مفهوم المال الهارب. و ازعم ان سفر تكوين مفهوم رأس المال الهارب يعود الى خروج اعراب الشتات الافتراضى من مصر او ميصراما بذهب المصريين عشية الخروج, و كانت تلك التطورات تخلق شرط المحارق –بمعنى الخروج العنيف او الافتراضي مثلما يخرج رأس المال بضغط ذر على صفحة مفتاح حروف الحاسوب دون ان يخرج اصحاب رأس المال ذاك بالضرورة معه كما كانوا يفعون على مر التاريخ غير المكتوب قبل الثورة الديجيتالية.

و بالمقابل ينشد متظاهرون ايسلنديون امام عدسات الصحافة نشيد الاممية و اندلع ما اسماه مايكل مور منتج و مخرج فيلم 11 \9 ما يشارف الثورة بين الامريكان. و خرج سكان ايسلاند السبت 22 و الاحدد 23 نوفمبر 2008 فى العاضمة رايكورفيك فى مظاهرة كسروا فيها ابواب مقر الشرطة و هو يقمسون انهم لن ينهوا المظاهرة يستجاب لمطالبهم. و قد اخذ بعض الاكاديميين و حتى الامريكان العاديين يتحدثون عن الاشتراكية.

و قد اممت الحكومات الغربية الغنية المصارف الهالكة حقا وحقيقية. الا ان تلك الحكومات ما تبرح تزوق التأميم و لم تجد فى قلبها الاقرار بانها اممت المصارف فيما زوق فى اعادة الرسملة Recapitalisation و –او المحافظاتبية Conservativism. و يشير روان ويليامز كبير اثاقفة الكنيسة الانجيلية البريطانية الى كارل ماركس قائلا انه كان على حق. فهل قضى الاعصار المالى غير المسبوق بمشروع الليبرالية الجددة و كان الاخير ورقة التوت التى تسترت ورائها الرأسمالية ما بعد الصناعية اى نهاية الصناعة لحساب اقتصاد الخدمات و الاقتصاد الافترايضى او اللا اقتصاد بمعنى الرأسمالية المالية اى المال غير الحقيقى خصما على الاقتصاد الحقيقى و المال الحقيقى فى كل مكان؟

و ماذا سيفعل عرفاء و مشاة المشروع الليبرالى الجديد و قد بارت تجارتهم بوصفهم فراودة المحافظين الجدد؟ ماذا سيفعل اؤلئك الذين تقاضوا مئات الاف الدولارات لتغيير النظام Regime Change بالثورات الملونة المشبوهة الملونة بوصاية بيت الحرية و قد جأر اوباما بان ليس من حق دولة فرض نموذجها على دولة اخرى؟ أم هل سيطلع علينا اعوان الشيطان الجديد باحبولة جديدة بعد ان فشلت الثورات الملونة الشبوهة فى معظم المجتمعات الاوربية الشرقية فشلا ذريعا و على رأسها الثورة البرتقالية فى جورجيا مثلا؟ هل حقا اصاب خطاب اوباما خطاب المحافظين الجدد و مشاريع الليبراليين الجدد بالبوار ام انه تنويع على نفس اللحن؟ و لماذا يبقى الغرب وحده هو الذى يسوغ لنا خطابنا و يضع لنا اجندة ما نفعل و ما نترك؟ لماذا تكون اجندتنا–ان كانت لنا اجندة–على ضوء ما يتفق عليه الغرب لنا؟

ان الاطروحة الاساسية هى ان العالم لا يسعنا جميعا بمعدلات استهلاك الغرب الاويات المتحدة خاصة–بلطاقة و الموارد المتاحة على هذه الارض. و لن يتنازل الغرب–امريكا خاصة–عن نوع الحياة التى الفتها و تحبها باى حال The Amercian way of life we know and love. فهل يقول لك من جاء ليغتالك انه ات ليغتالك؟ ام يرقد شعرة جلدك كما نقول عندنا فى السودان اى يهدئ من روعك و يخاتلك حتى تتهيأ له مباغتك ليقضى عليك؟ ان العالم يحتاج ارضنا و ماءنا و عملنا الحي المسترخص قبل نفطنا و هوائنا و سماواتنا الصافية. تحتاج الرأسمالية و كانت قد احتاجت دائما رقيقا. و سيكون الرقيق احسن حظا بيننا ممن عداهم. فلن يبق ثمة سبيل الى الاحتفاظ بالاعداد الزائدة عن الحاجة ممن لا وجوه لهم. فاعراب الشتات كارهين للشعوب على مر الزمان. و الله المستعان.

فصل لأي مكان: معلقة قصيرة فى غبائن العولمة اللامتناهية

اذا كان لا يعجبك ان يكون طريق السلام هو الحروب
ادا كان لا يعجبك النور على جباه الزعماء
اذا كان لا يعجبك ان تغدو السيدات الاوائل اوائل السيدات
اذا كان لا يعجبك نفاق الجأر بحرية الفرد–الابيض– ان يفعل
ما يحلو له
اذ كان لا يعجبك ان يكترث لحرية اقليات والتفرقة النوعية العنصرية انتقائيا خصما على الاغلبيات
اذا كان لا يعجبك ان تغدو الاغلبيات العددية اقليات سياسية
اذا كان لا يعجبك أن تغدو الاقليات العددية اغلبيات سياسية مالية
اذا كان لا يعجبك تدريس المحرقة و اغفال تاريخ تجارة الرقيق و الاستعمار
فانت معاد للسامية
اذ كان لا يعجبك حق الفرد فى سعادة كاملة خصما على من عداه
اذا كان لا يعجبك ان يموت البعض بالتخمة و يموت اخرون جوعا
فانت حاسد حاقد تنفث على الغربى اسلوب حيات رزقه الرب بها و ما حققه بكده و عرقه.
اذا كان لا يعجبك ان يستسخ الكلاب و القطط
اذا كان لا يعجبك ان يكون لابى القنفذ غرفا للعناية المكثفة كل شتاء
اذا كان لا يعجبك ان يروح الاطفال و النساء خسائر موازية بالفسفور الابيض
و المدنيون باليورانيوم المنضب
فطوبى لك فلن تملك دفع فواتيرك
اذ كان لا يعجبك فن البهار و مغنيات البهار Spice Girls و راويات البهار
اذا كان لا يعجبك ان يشتهر البعض بالتشهير بقومه و اهله
اذا كان لا يعجبك تسول النجومية مساومة على شرفك
فطوبى لك تخلفك عما بعد الحداثة
طوبى لك فلن تملك دفع فواتيرك
اذا كان لا يعجبك ان بات الحكام مصارعين فى حلبة الرومان تسلية لسادة الكون
اذا كان لا يعجبك ان يتحدث الساسة فلا يقولون شيئا
اذا كان لا يعجبك اهتراء اللغة
اذا كان لا يعجبك تخثر التاريخ و الجغرافيا و الحساب
اذا كان لا يعجبك تحور تاريخ عالمنا ليغدو متخاتلا بعقلانية التكاذب على الذات و الاخرين
اذا كان لا يعجبك تحور التاريخ الى حروب الحكام ضد المحكومين بنهاية مثلجة سلطة الحكام
واذا كان لا يعجبك حلول ميثلوجيا الربح والفائدة مكان الالهة و الاسلاف

اذا كان لا يعجبك تدريب القوات لملاقات المتظاهرين المسالميين ضد منظمة التجارة العالمية
اذا كان لا يعجبك خصخصة الجيوش
اذا كان لا يعجبك ان تطلق طائرات بلا قبطان فلا يقاتل الجنود
فسوف تسبح فى الفسفور الابيض قبل ان تدلى بشهادك
اذا كان لا يعجبك ان الا تاريخ شعبى سوا ما فى صدور الرجال و النساء و ما يتغنى به المهمومون فى الليالى القمرية فوق كثبان الرمال
اذا كان لا يعجبك أن التاريخ الشعبى الشفهى مطرود من الحضر حيث ليس ثمة ليال قمرية و قد عدى النيون على النجوم والقمر
اذا كان لا يعجبك الا يوجد علم او فكر غير غربى
و ان معظم علماء و مفكري غير الغرب اما مباع او قتيل
فلعلك تلحق بالاخيرين بوما.
اذا كان لا يعجبك ان تثرى الشركات عابرة الجنسيات
على أشلاء العمل الحى
اذا كان لا يعجبك ان يقول المحافظون الجدد بالفوضى المنظمة او المهيكلة
فلعلك غافل عن انهم كانوا يستبقون حلول الفوضى فى اسواق المال
و ان عليك مكافآة الذين خيبوا املك فى العولمة
ذا كان لا يعجبك تماهى رأسمالية الكاوبوى والمسيحية الصهيونية
اذا كان لا يعجبك تحور الاولى الى عقيدة تؤبلس كل من يدعو لغيرها
اذا كان لايعجبك ان تدرب القوات الامريكية لمواجهة السخط الشعبى القادم
اذا كان لا يعجبك ان تغدو الديون أفيون الشعوب
اذا كان لا يعجبك رشوة شعوب الدول الغنية باقتصاد الديون خصما على غيرهم و مستقبل البشرية
اذا كان لا يعجبك استقطاب مفهوم اعادة التوزيع و تقسيم الثروة
اذا كان لا يعجبك القول بما يسمى القدر الجلى الذى يجعل للغرب الحق فى الارض
و ما عليها
اذا كان لا يعجبك استدعاء كينسنجر الغرب لاستعادة ثرواته حتى تلك التى راكمها من عداه
اذا كان لا يعجبك استيلاء امريكا على اموال النفط الخليجى
اذا كان لا يعجبك ان تراكم شركة شيل بمفردها 71 مليار دولار فى ربع واحد من العام
طوبى لك فانت مجدف بحق الذات الرأسمالية.
اذا كان لا يعجبك اختلاق محور الشر

اذا كان لا يعجبك ان تدعم البقرة الامريكية يوميا بما يعادل دخل 8 اسر فى اليوم فى مجتمعات الجمع و الالتقاط و العصر حجرية

اذا كان لا يعجبك رفع الدعم عن السلع التموينية و الخدمات العامة للمفقرين فانت جاهل او غافل لا يدرك التعريف العقلانى لحرية التجارة

اذا كان لا يعجبك اقتهار محصولك لمنظمة التجارة العالمية

اذا كان لا يعجبك استحواذ البنك الدولى على مقدراتك

اذا كان لا يعجبك ان تتحول الى قن على ارضك

اذا كان لا يعجك احلال المال كثروة مكان البشر و قد باروا كثروة حقيقية

اذا كان لا يعجبك ان يكون لكل شئ ثمن و لا يكون لشى قيمة

اذا كان لا يعجبك خصخصة الثروات

اذا كان لا يعجبك أبلسة الثورات

طوبى لك فلن تدفع فواتيرك

اذا كان لا يعجبك الثراء ببيع الأوراق

اذا كانت الخصخصة لا تعجبك

و اذا كان القطاع الخاص لا يعجبك

اذا كان لا يعجبك مسخرة الشركات عابرة الجنسيات للقادة

اذا كان لا يعجبك ان يتشارك القادة والشركات عابرة الجنسيات الفراش

اذا لم تعجبك عبادة المال فوق كافة المقدسات

فلن تجد ما تدفع به فواتيرك

اذا كان لا يعجبك تحول الجمهوريات الرئاسية الى عروش اسراتية

اذا كان العصف بكل سلطة و بكل مقدس لا يعجبك

اذا كان لا يعجبك ان تتفاوض القوى الكبرى مع رئيس غير منتخب و تقاطع رئيس منتحب

اذا كا لا يعجبك ان يصيب اقتدار الشعوب على انتخاب ممثليها الرأسمالية و الصهيونية العالمية بالتطير

اذا كان لا يعجبك ابلسة الاخيرات للثورات الشعبية

فانت مجدف بحق الديمقراطية الليبرالية اي الدمقرطة

فطوبى لك كونك على قائمة الصهيونية العالمية السوداء

اذا كان لا يعجبك احتمال موت 25 مليون امريكي اسود بسرطان الاسبيستوس

اذ كان لا يعجبك سرير تراسى ايمون فى متحف الفنون

اذا كان لا يعجبك مسلسل الجنس والمدينة

فطوبى لك فلن تملك ان تدير وجهك نحو العصر

طوبى لك لن تملك دفع فواتيرك

اذا كان لا يعجبك ان يرتزق "أصدقاؤك" بعرقك

اذا كان لا يعجبك ان يسرق "اعدقاؤك" عملك

اذا كان لا يعجبك اقتدار البعض على التبجح بالمبادئ

اذ كان لا يعجبك ان يغدو النضال محض كلمات كلمات كلمات

اذا كان لا يعجبك ان يغدو الحديث ساقية بلا ماء

اذا كان لا يعجبك ان يغدو كلب الملوك ملك الكلاب

اذا كان لا يعجبك ان تغدو للصداقة دفاتر حسابات

اذا كان لا يعجبك ان الدولار المسروق يبتاع ما يبتاعه الدولار المكتسب

اذا كان لا يعجبك ان مقالا متعوب عليه لا يأتى باجر مقال مسروق

فطوبى لك فلن يبقى لك "اصدقاء"

طوبى لك فسيتمنى بعضهم موتك

طوبى لك فلن تملك دفع فواتيرك

اذ كان لا يعجبك ان تغدو الديمقراطية محارة فارغة

اذا كان لا يعجبك الخلط بين الديمقراطية و الانتخابات كل 4 او 5 اعوام

اذا كان لا يعجبك ان تغدو التعددية محض شعيرة طقسية

اذا كان لا يعجبك ابلسة الحركات الشعبية و تجريم الفكر الاشتراكى

اذا كان لا يعجبك ان الا يرى احدا الى شقاء الناس

اذا كان لا يعجبك ان يدمغك محض اسمك بالارهاب

اذ كان لا يعجبك ان يصمك لون جلدك و عيونك بالارهاب

فرغم تعريف الارهاب هو قتل الدول الكبرى للمدنيين ان تجاسورا على التعبير عن امانيهم الا ان جندى امريكي ينظم شعرا فى امرأة تنشر غسيل على حبل فى حلابجا تدثر به الموتى و الذكرى و بيقين التاريخ.

اذا كان لا يعجبك أن كل شئ فى امريكا الى رمال العراق. فكل ما تراه امريكا هو الان الان الان و لا وقت لما فات و لا لما هو ات.

اذا كانت مساواة الناس بالارض كالعشب المحلوق لا تعجبك

فتوقع صدور حكم بالاعدام المدنى عليك و توقع ملاحقة اغوات و ازلام الاخ الاكبر

اذا كان لا يعجبك ان يستهلك مجتمع واحد 25% من موارد العالم

اذا كان لا يعجدبك ان تحور الجمهوريات الى انظمة عسكرية بملابس بمدنية

اذا كان لا يعجبك ان تصادر نتائج انتخابات جاءت بما لا يعجب الاخ الكبر

اذا كان لا يعجبك استئجار معظم المعارضات الامريكية لازالة حكومات الخصوم

اذا كان لا يعجبك سفاح شاتيلا

الااذ كان لا يعدبك ارهاب الدولة

اذا كان لا يعجبك ان تقصف الشعوب عقابا على اختبار قادتها

اذا كان لا يعجبك ان يدمر بلد عمره 300 عام عام حضارات عمرها اكثر 7 الاف عام باسم تحرير المرأة

اذا كان لا يعجبك تمكين المرأة على جسدها أو حقها فى طفل دون علاقة برجل

و اذا كان لا يعجبك الذراية بالرجل و الاب و الزوج

اذا كان لا يعجبك مغالاة النسووقراط للرجال و النساء و الاطفال

اذا كان لا يعجبك ان تحل النسووقراط الحرب بين الجنسين مكان الصراع الطبقي

اذا كادت مرارتك تنفجر من مغلاة النسووقراط فى احلال الهيوية مكان الوطنية االا ما خلا هوية العبد المطيع لسيده و الا دفع الاخير حياته ثمنا للعصيان

فانت متخلف لا تعاصر العولمة فى تجلياتها غير المسبوقة فستغدو عنينا بجريرتك

ان كان لا يعجبك ممارسة احابيل الكذب الشامل لايقاع محارق بحق شعوب بكاملها باسم الدمقرطة

و اذا كان لا يعجبك تنصير الناس غصبا و افتهارا باسم حرية العقيدة

و اذا كان لا يعجبك حذف ايات من القرآن و اعادة تفسير القرأن باسم تحرير العقل العربى من الارهاب

فستغصب عليك بعض القنوات الفضائية و قد لا تنشر لك صحيفة عربية او افرنجية

فطوبى لك فجوانتانامو على كل الابواب

طوبى لك فلن تملك دفع فواتيرك

ولا عليك ان لم تملك دفع فواتيرك

سوى انك تملك السير مرفوع الرأس فى ركاب او مقدمة الثورات القادمة لا محالة.

شاعر مجهول

ملحوظة : *يمكن الاسترسال فاضافة غبائن لا تحصى فى معلقة لا متناهية فى رأسمالية رعاة البقر العولمية. و هذه دعوة لمن يستحب.*

المراجع و القراءات

[2] هذا البحث وغيره من بحوثى واعمالى الاكاديمية و العلمية مسجل لدى الجهات المختصة بموجب حق الاختراع و عليه غير مسموح بالاقتطاف او غيره بدون اذن مكتوب من المؤلفه وشكرا.

[3] انظر (ي) Pierre Rossi: 1976: La Cite D'Isis: Histoire Vraie Des-Arabes: Nouvelles Editions Latines: Paris : 53. بيير روسى:1976: "مدينة ازيس:التاريخ الحقيقي او الموضوعي للعرب":دمشق. و لا امل الاخذ عن بيير روسى و بخاصة هذا القول الرصين الرصين.

[4] تعليق على مقال للمؤلفة بالقدس العربى اللندنية بتاريخ 11 سبتمبر 2009 :

[5] Josephos, Luke-Acts and Apologetic Historiography: Historiography and Self-Definition by Gregory E. Sterling Author(s) of Review: Rebecca Gray in the
The Jewish Quarterly Review, New Ser., Vol. 86, No. 3/4 (Jan. - Apr., 1996), pp. 452-455 doi:10.2307/1454923

[6] انظر (ي) Information Clearing House News Letter :Jan:2010

[7] انظر (ي) بقية الاسماء على قائمة موقع .sitfu.com

[8] كان المثقفون من المانيا الى بريطانيا مع الحرب العالمية الثانية وهم الذين ورطوا الاتحاد السوفينى فى الحرب. فقد كان الالمان غير متوافقين مع فكرة الاشتراكية الاممية و هم الاشتراكيون القوميون ولم تكن بريطانيا لتغفر للاتحاد السوفيتى الخروج عن حظيرة الايمان بالرأسمالية.

[9] تشير بعض الدراسات الجادة مثل كتاب كمال صليبى "التوراة جاءت من جزيرة العرب" كمال صليبى Kamal Salibi:1978:The Bible Came From Arabia: Jonathan Cape: London: 2 الى اصول اليهود وكذا دراسة زياد منى "جغرافية التوراة – مصر وبنو إسرائيل في عسير" و احمد داوود "تاريخ سوريا القديم". و تقول ويكيبيديا حرة على شبكة المعلومات ان "اليهودية هي إحدى الديانات

العربية، التي نشأت أصلا في غرب الجزيرة العربية" و تقارن بين تلك النظرة و النظرة التقليدية التى تفترض ان التوراة –التى لم تكتب حتى لاحقا جدا نشأت فى فلسطين ووصلت الى الجزيرة العربية من بعد. و تفترض تلك النظرية بالتالى ان احتكاك العرب عن طريق التجارة بيهود العراق و بلاد الشام ادى الى انتشار اليهودية هناك. و لا تستبعد تلك النظرية ان فرار اليهود الى الجزيرة العربية من فلسطين اثناء الامبراطورية الرومانية كما كان ذلك حريا بان ينشر اليهودية فى الجزيرة العربية . حيث تغلبت اليهودية بوصفها دين سماوى على الديانات الوثنية الارضية. الا ان بهود الجزيرة اتلعربية بقوا يتحدثون الارامية و العربية لوقت طويل ثم طوروا اليديشية Yiddish فى اوربا.

و قد ذكر ابن قتيبة في حديثه عن أديان العرب في الجاهلية "أن اليهودية كانت في حمير و بني كنانة و بني الحارث بن كعب و كندة و بعض قضاعة. و ذكر نفس الأمر ابن حزم الأندلسي الظاهري في جمهرة أنساب العرب عند حديثة عن نفس الموضوع، و بالمثل ياقوت الحموي في معجمه. و قد ذكر صاعد البغدادي الأندلسي، صاحب المصنفات، والذي كان من المقربين من محمد ابن ابى عامر المعروف بالمنصور، مجموعة من القبائل التي تسربت إليها اليهودية مثل حمير و بني كنانة و بني الحارث بن كعب و كندة. و ذكرت مصادر أخرى أن اليهودية وجدت في بعض الأوس من قبائل الأنصار، و بني نميرو بعض غسان و بعض جذام. بل أن بعض المصادر تذكر أن الآية القرآنية البقرة 256، نزلت ربسبب أن بعض الانصار يهود.

[10] تقول الوكيبيديا اعلاه "اختلف يهود الجزيرة العربية عن بقية يهود الشرق العربي القديم و حوض البحر المتوسط، في إنهم اقتصروا على التاناخ أي العهد القديم، و لم يأخذوا بالتلمود سواء البابلي أو الأورشليمي، رغم أن التلمودين المذكورين تم الإنتهاء منهما قبل ظهور الإسلام بوقت طويل يكفي لوصولها إلى يهود الجزيرة العربية خاصة إن سكان الجزيرة العربية لم يكونوا معزولين عن العالم، نتيجة مرور طرق التجارة العالمية بأرضهم و في البحار المحيطة بجزيرتهم. لهذا فمن الممكن أن نعدهم أقرب لليهودية في صورتها الأولى منهم لليهودية الحديثة التي يعتنقها أغلب يهود اليوم و التي تقوم على التاناخ، أي العهد القديم، مع التلمود. و أقرب الطوائف اليهودية الحالية إلى يهود الجزيرة العربية الأقدمين، هي طائفة اليهود "القراؤون" أما حاليا فإن يهود الجزيرة العربية في اليمن و البحرين فهم من اليهود الربانيين الذين يأخذون بالتلمود مع التاناخ. و يلاحظ أن يهود أثيوبيا المعروفين بالفلاشا أيضا لا يأخذون بالتلمود إلى اليوم، و لا شك في أن اليهودية إنتقلت لأثيوبيا قادمة من اليمن، لكن يهود الفلاشا حافظوا على طبيعة عقيدتهم بخلاف يهود اليمن الذين تحولوا إلى اليهودية الربانية التي تأخذ بالتلمود مع التاناخ. المهم بقى معظمهم يتحدث لغة المجتمع الذى وجد نفسه فيه كالامهرية مثلا و الارامية وقد اشتقت اليديشية من الاخيرة و كانت فى بداياتها تسمى لغة الاشكناز و يشار الى اصلها ب"الثقافة الاشكنازية" و تعود الاخيرة فى بدايتها الى بلاد الراين و لم تنفك ان انتشرت فى اوربا الوسطى ثم

الشرقية. و لم تنتشر تلك اللغة حتى القرن الثامن عشر. و هناك يديشية اصلية و هى لغة الاشكناز و عندما تسربت الاخيرة غربا انفصلت عن اليديشية الشرقية التى كانت قد اخذت عن لغة السلاف و حقنت الاخيرة بدورها بمفردات و تعبيرات يديشية اوربية شرقية. و قد بقيت اليديشية الشرقية حتى اليوم فيما بات يهود الغرب يتحدثون لغاة المجتمعات التى وجدوا انفسهم فيها. و ثمة بضعة ظواهر تستحق الملاحظة 1) ان اليهود اخترقوا لغاة المجتمعات المضيفة 2) هناك حركة لاحياء اليديشية فى المجتمعات التى بات اليهود لا يتحدثون اليديشية فيها 3) ان اليديشية بقيت لغة اليهود الاوثوزكس فى كل مكان.3) ان اليديشية تنتشر بين جماعات الحاسيديم وقد اصبحت تدرس منذ الطفولة. انظر(ي) الوكيبيديا حول اليديشية

[11] فى محاضرة بمقر اتحاد طلاب جامعة اكسفورد صيف 1999 Oxford Students' Union.

[12] تزعم هذه الدراسة و دراسة اخرى لم تنشر بعد ان كل من عدى اليهود بالوصف اعلاه يندرج تحت من اسميه اعراب الشتات و تنويعاتهم من الخزر و احفادهم وصولا الى اليسوعوقراط و المحافظين الجدد و الليبراليين الجدد. و قد تعينت الصهيونية الجديدة على نشر مشروعها بين جماعات ليست بالضرورة يهودية. فثمة صهاينة مسيحيين هم المسيحيين اليهود و ثمة صهاينة عرب هم تنويعات الليراليين الجدد و العقلانيين الجدد و نظائرهم. وتقول الويكبيديا الحرة على شبكة المعلومات–التى اخذت عنها التالى وأقر بفضل أصحابها على هذا البحث–انه "من الثابت تاريخيا أن الوطن العربي هو مهد التوحيد، وأن الديانات التوحيدية الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلام بالطبع ديانات عربية، وكل رسلها وأنبيائها من العرب. فالأمة العربية هي أمة الإسلام كما هي أمة اليهودية وأمة النصرانية على السوأ، أي أن الأمة العربية هي حاضنة هذه الديانات التوحيدية الثلاث ومنبعها. من المفيد هنا فيما يتعلق بالديانات العربية الإشارة إلى عالمية التفكير وشموله، وكذلك إلى المبادئ الأساسية، التي تجمع هذه الديانات العربية وتميزها عن غيرها من ديانات العالم، والمعروفة بأركان الإيمان، وهي ستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره، وشره. بسبب إنتشار الديانات العربية بين كافة الشعوب وفي مختلف القارات فإن الغالبية العظمى من أتباع هذه الديانات العربية اليوم، بمن فيهم اليهود، لم يعودوا عربا، بل ينتمون إلى شعوب وأمم وأوطان مختلفة. و يقول هويللر روبينسون فى كتابه تاريخ اسرائيل Wheeler,W.:1957: The History of Israel: Its Facts and Factors: Gerald Duckworth &Co. Ltd. London: P: 156. ان الوحيد الذي كان عبريا هو يوسف عليه السلام و كان يسمى الولد العبري. و عن اللغة العبرية يقول بيير روسي ان موسى الميمونى شرح التوراة و المشناه و ترجمهما الى العبرية لاول مرة فى القرن الثامن عشر. و كانت العبرية "لا وجود خاص لها بالمعنى الشعبى و التاريخى للتعبير" مما جعل المشناة بعيدة تقصدا عن متناول يد عامة معظم طوائف اليهود

[14] أنظر(ي) رحلات مع الثورة: صحبة حركات التحرر الافريقى و العربى:للمؤلفة: ينشر عن دار السويدى قريبا: و هو الطبعة الثانية ل ستار الصمت حول افريقيا البرتغالية القاهرة 1964:

[15] نشر جزء من هذا الفصل بالعدد 35 بتاريخ نوفمبر 2009 من مجلة الكلمة الاليكترويية الشهرية التى يرأس تحريرها الدكتور صبري حافظ .

[17] . انظر(ي) Mark Fisher: Mama said knock you out:Newstatesman:6hy. July 2009: pp: 44-45.

[18] . انظر(ي: Ecofeminism:;36-38 2001: Maria Maies & Vandana Shiva

[19] Lind, Michael (2004-02-23). " A Tragedy of Errors". The Nation. www.thenation.com/doc/2004223/lind. Retrieved 2008-03-30.
The power of Nightmares, episode 2.
Mark Gerson: The Neoconservative Vision: From the Cold War to the Culture Wars, pp. 284-85. Madison Books, 1997. ISBN 1-56883-054-5.
Cohen, Martin: Political Philosophy 2nd edition, Pluto Press, UK 2008,
Fukuyama, F. (February 19, 2006). After Neoconservatism. New York Times Magazine. Retrieved on: December 1, 2008. ^ Marshall, J.M. " Remaking the World: Bush and he Neoconservatives": From Foreign Affairs, November/December 2003. Retrieved on December 1, 2008.

[20] هذاالجزء فيما خلا بعض التعليقات من شبكة المعلومات انظر(ي) لمزيد من التفاصيل-Neo conservatism: Wikipedia: Free Wikipedia: on the internet.

[21] انظر(ي) Jonathan Derbyshire:The meaning of Conservatism: the Newstatesman:12.Oct.2009:PP:30-34

[22] انظر(ي) Stuart White: Thinking the Future: Newstatesman: 7th.Sept,2009:pp:19-22

[23] انظر(ي) Jon Cruddas :Labour in the middle of its gravest crisis in 30 years;Newstatesman:7.sept.2009:PP23-25

[24] اسمع(ي)نشرة اخبار السادسة صباح الجمعة اول يناير 2010: بي بي سي راديو 4 على شبكة المعلومات.

[25] انظر(ي) The second Vatican council Wikipedia on the internet

[26] انظر (ي) BBC.Radio4/inourtimes.com

[27] انظر (ى) New liberal Wikipedia

[28] Robert A, Dahl: 1956. A Preface to Democratic Theory. Chicago: The University of Chicago Press..

Robert .Dahl:. 1972. Polyarchy: Participation and Opposition. Yale University Press.

[29] Polyarchy: a paradigm: Domaine de Nianing - Novara - Oxford - Bydgoszcz - Bern 2002

انظر (ي) Eatwell, Roger; Anthony Wright (1999). Contemporary Political Ideologies. London: Continuum. pp. 38-39.

[31] انظر (ي) Wikipedia on he internet

[32] انظر (ى) صاجال Sagal, Sabby::1998:'From the Chosen people to the Holocaust': in Gaza Community Mental Health Programme: Third International Conference Health and Human Rights-13-15 Oct.1997:PP429-430: ص. 117 و ص433:

[33] . أنظر (ي) Goitein, SD:1900:A Mediterranean Society, An Abridgment in one :P184:Volume:

[34] . جويتين:1900:ص:185

[35] كانت الصفوات الاوليجاريكيات المالية قد خلقت شرط مراكمة رأس المال الخاص حتى راكموا فى القرن السادس عشر الى التاسع عشر رساميل خاصة قيضت منذ ما بين الحربين على الاقل لهم السيطرة على سوق المال. و كانت رساميلهم محصلة نشاط لا اقتصادى او اقتصاد افتراضى Virtual Economy تمأسس فوق السلع الاستراتيجية بايجار رساميل النفط و الماس و الذهب و الفضة أو رأسمال ريع او ايجار تلك السلع الاستراتيجية و بيع المال كسلعة.

و لم تلبث الرأسمالية المالية ان قضت على شرط مراكمة رأس المال السلعى القومي الخاص لحساب رأس المال المالى عابر القوميات–تخاتلا. فمعظم الاخير مالهم هم بقدر ما يتفرقون هم انفسهم يتبدونون كطبعهم بين قوميات العالم من الشعوب المستقرة فى كافة القارات سواء غربية او شرقية حيث الشعوب المستقرة المذكورة كانت قد استضافتهم على مر التاريخ و ما تبرح تستضيفهم تباعا.

[37] انظر(ى) جور فيدال و يجزم فى مؤلفه:Gore Vidal:2002:The Golden Age: Doubleday: USA: بان روزفيلت– الذى كان فيدال معجب به لمشروعه الاجتماعى–بقى يتحرش باليابانين تاركا قطع الاسطول الامريكى بميناء بيرل هاربر بلا تأمين او حراسة لغواية اليابانين على ضرب الميناء فى 4 نوفمبر 1941. و يشبه فيدال معركة بيرل هاربر التى تذرعت بها امريكا لدخول الحرب العالمية الثانية بضرب برجى منظمة التجارة العالمية الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 التى سوغت بها امريكا عقلانيا اشعال ما تسميه الحرب على الارهاب.

[38] فامريكا تكتب التاريخ كما يكتبه اعراب الشتات لصالحها هى و تعيد كتابته فى كل مرة حسب المقاس و الطلب.

[39] و الا فكب تهزم حفنة من الرعاة و القبليين جيش الاتحاد السوفيتى العتيت؟ توفى تشارلز ويليون عن 76 عاما الاربعاء 10.2.2010.

[40] نشرت الامم المتحدة تقريرا حول التعاليم التى ينبغى على الدول و الاباء و المدارس الخ ان تتعين عليها بغاية تعوعية الاطفال منذ سن 5 على حقائق الحياة و منها جلد العمر و الاجهاض. و يقول مارك رتشاردمان المكلف بنشر التقرير ان الامم المتحدة لا تجبر احدا على الاخذ بما تقول الا بقدر ما يناسب خصائصه الثقافية وان تلك التعاليم للكل حسبما يرى المربون و الاباء و الدولة(من نشرة اخبار السادسة صباح الاربعاء 9 سبتمبر 2009).

[41] قرر الرئيس الفرنسي نيكولاس ساركوزى تدريس المحرقة للاطفال القرنسين.

[42] يصدر هذا القول عن بحث اجريه ما برحت على مدى سنين حول سيطرة اعراب الشتات على أدواة الاعلام.و تجدنى ممن يصغون للمذياع ليل نهار سواء فى يقطتى أو منامى.

[43] يقوم جوناثان روس Jonathan Ross بتقديم برنامج فكاهى مكلف للغاية لمحض التسلية الاباحية غالبا و يتقاضى 18 ميلون استرلينى عن عقد لثلاث سنوات. ويقدم الكوميدي رسل براد Russell Brad برنامج مماثل على ال BBC Radio 2 بشروط اقل. و كلاهما عديم الموهبة الا فيما خلا استضافة نجوم عالمية و كبار ساسة العالم و التعين على الاثارة والابتذال على نحو مغال حقا. و قد استقال براد و اوقف روس لثلاثة اشهر جراء حملة احتجاج شعبية واسعة و استقالت ليزلى دوجلاس مديرة بى بى سى راديو 2.

45

[46] انظر(ي) العالم يحترق Amy Chua:2003:World ON Fire: How exporting free market democracy breeds ethnic hatred and global intabitly:London:ch:7.

[47] انظر (ي) Stuart While:Thinking the future فى النيوستيسمان 7 سبتمبر ص:19 –22

[48] انظر (ي) :Making Mistakes: النيوستيتسمان بتاريخ 24 اغسطس 2009 صفحة 15 و 16 وايضا Rightness of Wrongness" on www.demos.co.uk

[50] انظر (ي) Making Mistakesالنيوستيتسمان بتاريخ 24 اغسطس 2009 صفحة 15 و 16 the Rightness of Wrongness: Julian Baggini: also on www.demos.co.uk

[51] انظر (ي) الفيديو الملحق بمقال Christopher Bullyn: How the Mossad Controls Our Political Parties dated 25th. October, 2008 على شبكة المعلومات

كمال صليبى Salibi,Kamal:1978:The Bible Came From

[52] انظر (ي) وكالات الانباء –الثلاثاء21 يوليو 2009.

[53]

[54] ما زالت ترد 3 حالالت لاطفال عراقيين مصابون بامراض خصرة من الكساح الى التشوه الخلقى و العقلى فى واحدة وحسب من مستشفيات الفالوجة. و قد باتت تلك الحالات وباءانتشر فى كافة العراق بعد الاجتيا الامريكى فى 2003. ويضر المسئولون العسكريون الامريكان ان لا علاقة بين الاسلحة المستخدمة فى الحرب على العراق و بين تلك الحالات . و يصعب اثبات استخدام قوات التحالف ليرانيوم النضب كما ان المسئولين الامريكان يؤكدون ان الفوسفور الابيض لا ينتج مثل تلك الحالات. و بالمقابل تنصح اللسلطات الصحية العراقبة النساء العراقيات فى الفالوجة مثلا بعدم الانجاب. فهل نحن امام نموذج حديث من نماذج الامم البائدة؟

[55] . انظر (ي) John Pilger::Newstatesman::4.1.2010:P:16

[56] انظر (ي) او اصغ على BBC world Service /Hard Talk/430 am Wednesday/24/12/2009

[57] [57] انظر (ي)جون جراي نهاية حلم:John Gray: the end of a dream: the Newstatesman

[58] يقول ماركس ما معناه "ان اردت التعرف على الرأسمالي فابحث عن اليهودى". واعتقد انه يقصد بعض اسباط واحبار و قضاة و امراء و تجار بعض طوائف اليهود و ليس كل يهودي بهذا الوصف الله اعلم

[59] انظر (ي) بيير روسى ص: 27

[60] انظر (ي) بيير روسى شرحه ص:27–29.

[61] انظر(ى) Encyclopaedia: Crystal David,(ed.)The Cambridge Biographical 1998: P: 563.

[62]. انظر(ي) The Sunday Programme, BBC Radio4الساعة السابعة صباح الاحد 25 يناير 2009

[63] انظر(ى) Tom Holland in the Newstatesman: 13th.october, 2008:34-37.

[64] انظر(ى) رمسيس عوض:2002:محاكم التفتيش فى ايطاليا:دار الهلال: صفحة 153.

[65] . انظر(ى) لمزيد من بعض التفاصيل:مازن كم الماز:.25.3.2007: مركز دمشق للدراسات النظرية الحقوقية و المدنية: شبكة المعومات.

[66] انظر(ي) شبكة المعلومات حول حملات التضامن مع الاسرائيليين فى وجه الشرطة و الجيش و الدولة الاسرائيلية مما نوقعه نحن دفاعا عن الديمقراطية و الحرية يوميا تقريبا.

[67] انظر(ى) جور فيدال و يجزم فى مؤلفه:Gore Vidal:2002:The Golden Age: Doubleday: USA بان روزفيلت– الذى كان فيدال معجب به لمشروعه الاجتماعى–بقى يتحرش باليابانين تاركا قطع الاسطول الامريكى بميناء بيرل هاربر بلا حرسة حتى اقدم اليابانيون على ضرب الميناء فى 4 نوفمبر 1941. و يشبه فيدال معركة بيرل هاربر التى تذرعت بها امريكا لدخول الحرب العالمية الثانية بضرب برجى منظمة التجارة العالمية الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 التى سوغت بها امريكا عقلانيا اشعال ما تسميه الحرب على الارهاب.

[68] فامريكا تكتب التاريخ كما يكتبه اعراب الشتات لصالحها هى و تعيد كتابته فى كل مرة حسب المقاس و الطلب.

[69] فى فرنسا قرر نيكولاس ساركوزى تدريس المحرقة للاطفال القرنسين.

[70] يصدر هذا القول عن بحث اجريه ما بريحت على مدى سنين على سيطرة اعراب الشتات على دواة الاعلام. فانا ممن يصغون للمذياع ليل نهار سواء فى يقطتى أو منامى.

[71] يقوم جوناثان روس Jonathan Ross بتقديم برنامج فكاهى مكلف للغاية لمحض التسلية الاباحية غالبا و يتقاضى 18 ميلون استرلينى عن عقد لثلاث سنوات. ويقدم الكوميدي رسل براد Russell Bradبرنامج مماثل على ال Radio 2 BBC بشروط اقل. و كلاهما عديم الموهبة الا فيما خلا

استضافة نجوم عالمية و كبار ساسة العالم و التعين على الاثارة والابتذال على نحو مغال حقا. و قد استقال براد و اوقف روس لثلاثة اشهر جراء حملة احتجاج شعبية واسعة و استقالت ليزلى دوجلاس مديرة بى بى سى راديو 2.

[73] . أنظر(ي) :The Newstatesman 24th. August, 2009 P11

[74] تنادى منظمات مدنية اربعاء 25 نوفمبر 2009 ب اعادة قانون تحرم الربا الذ كانت الكنيسة قد سنته فى القرن السابع عشر. ثم الغته ثم عادت السلطات القائمة و سنته منذ 200 عام مضت لتلغيه تحت ضغط اصحاب الرساميل الربوية التى باتت تتحكم فى الاقتصاد منذ القرن التاسع عشر على الاقل

[75] فى 9 نوفمبر 1799 من روزنامة الجمهورية الفرنسية–و البروميرهو الشهر الثاني من فصل الخريف الفرنسى وهو شهر ضبابى.

[76] فاضل الانصارى:2000:قصة الطوائف الاسلام بين المذهبية و الطوائفية:دار الكنوز الادبية:بيروت و دمشق. ص:1–3.

[77] يملك العرب و المسلمون فيما بينهم 70% من الطاقة النفطية و ما لا يقدر من المياه السطحية و الجوفية. و قد لا يملك احد تقدير ثرواة اصحاب المال العرب و المسلمين الخاصة الا ان تلك الثروات قدرت نهاية 2004 ب 1400 مليار دولار اى 1.4 تريليون دولار فى الخارج يمتلكها 200 الف عربى. و تبلغ ثروات دول الخليج ما بين 800 الف و تريليون دولار. و تستثمر هذه الاموال فى المصارف الدولية فى ايداعات و توظيفات مصرفية و استثمارات مالية فى شركات و عقارات و فى اسواق الاسهم و السندات العالمية. و تبلغ المحافظ الاستثمارية العربية المتنوعة 40% من هذه الاموال ويتتركز ما قدر ب 80% من تلك الاموال فى امريكا و يتوزع 30% من المحافظ الاستثمارية ما بين اوربا و خاصة لندن و جنيف و نسبة ضئيلة فى الدول الاسيوية. عن وكالات الانباء.

[78] انظر(ي) احمد كريم: تاريخنا بين الحقيقة و الخيال طرابلس 2003 ص:106.

[79] بدأ الرئيس الامريكى ريجان يجأر بان ينبغى مواجهة جمهورية الشيطان. و كان انذار باطلاق صواريخ من فصيلة جيرتسوين ذات الرؤوس النووية قد ظهر على شاشة الاتحاد السوفيتى فى اغسطس 1983. و لم يستجب الاتحاد السوفيتى بامل ان يكون انذارا الرئيس الامريكى انذارا كاذبا. وبعدها بثلاث سنوات تقريبا التقى جورباتشوف و ريجان فى ريكيوفيك عاصمة ايسلاندا لتوقيع اتفاقية عدم التصارع النووي. وكان ستاليسلاف بيتروف Stanislav Yevgrafovich Petrov الكولونيل فى سلاح الدفاع الجوى السوفيتى و الذى كان قد افشل حربا نووية جراء تنبهه على عطل فى جهاز الانذار السوفيتى فى

26 سبتمبر 1983 كان السوفيتى المسئول الوحيد الذي وظف حسه فى تفادى ما كان حريا بان يغدو ذوبان نووي. بي بي سي راديو 4 الساعة الحادية عشر صباح الاربعاء 20 مايو 2009.

[80] أنظر (ي) Plot to kill off labour Peter Wilby: the Newstatesman:15.June2009:P:14

[81] انظر (ى) طابور الرغيف فى امريكا بقلم ماثيو بيج Mathew Piege و تيم جينور Tim Gainur: العرب العالمية. و يقول ماثيو بيج و تيم جينور انه في أغنى دولة على ظهر الأرض تصطف أعداد متزايدة من الافراد للحصول على طعام مجاني لانهم يجدون صعوبة في توفير الغذاء لاسرهم. وتقول سكند هارفيستSecond Harvest اكبر مورد لبنوك الطعام في الولايات المتحدة وتضم 200 بنك في شبكتها ان الطلب على بنوك الغذاء في الولايات المتحدة زاد بما بين 15 و 20 في المئة على مدار العام الماضي وان العديد من بنوك الطعام يواجه صعوبة في ملاحقة الزيادة . وتشتري شبكات بنوك الطعام منتجات طازجة لا تفسد سريعا وتخزنها في صوامع قبل توزيعها عبر سلسلة من بنوك الطعام في ارجاء البلاد . ولا يعرف اجمالي عدد المستفيدين من بنوك الطعام ولكن الاقبال المتزايد يدل على تراجع الاقتصاد فيما يعاني كثيرون من اصحاب الدخول المنخفضة اوالمتعطلين عن العمل نتيجة ارتفاع تكلفة الوقود وأسعار السلع الاساسية .وتقول تلك البنوك إن أعدادا اكبر ممن يشغلون وظيفة ثابتة يترددون على مراكزها ويقفون في صفوف لملئ استمارات والحصول على حصص طعام سواء مجانا أو بأسعار مخفضة. .وفي تطور مواز زاد ايضا الطلب على كوبونات الطعام الحكومية. وفي نورث داكوتا North Dakotaحيث نحو نصف الاسر التي تحصل على كوبونات طعام تضم بالغا واحدا او اثنين يعملون الا ان ذلك لا غيير من وضع تلك السر كثيرا. وتقول مارسيا بولسون المتحدثة باسم بنك طعام جريت بلينز " Great Blenzلم لم تعد وظيفة منخفضة الاجر كافية لاعالة اسرة. .كما ان العمل بوظيفتين اوحتى ثلاث لم يعد كافيا "وتوضح قصة ماريا اولجا محنة كثيرات و كثيرين من اصحاب الاجور المنخفضة الذين يقولون انهم يعتبرون حاجتهم شبه الدائمة بلا مخرج فى الافق للحصول على طعام مجاني امرا مهينا في دولة تفخر باستقلالها وتؤكد على العمل كطريق مضمون للنجاح.

وتعمل ماريا اولجا بدوام كامل في رعاية كبار السن بمنازلهم في دوجلاس على حدود اريزونا مع المكسيك . وقالت انها تكسب 1100 دولار شهريا لتعول والديها وابنها المريض ولكنها تعجز عن الوفاء باحتياجاتهم بسبب ارتفاع تكلفة الطعام والوقود و العلاج و الدواء. وفي معظم الاسابيع تجمع ماريا اولجا الحليب والفاكهة والخضروات من مستودعات للمخلفات خارج متجر سيفواي Safeway.وفي احد الايام في الشهر الماضي انتظرتماريا اولجا في الصف مع 147 اخرين خارج بنك الطعام بمنطقة دوجلاس للحصول على معونة من سلع البقالة لانها لم تملك خبزا . وتضيف وهي تضع نظارة شمسية "تخفي دموعها" نتحمل الكثير

من المذلة للبقاء .انه امر مهين ولكننا جوعى والجوع مرير ''.وفي مستودع ضخم في مونرو بجورجيا يعمل عشرات من المتطوعين والعمال المستأجرين في تحميل الطعام فوق شاحنات ضخمة . والمستودع تابع لمنظمة انجيل فود منستريز التي تعمل في جميع ارجاء البلاد وتبيع الطعام لمن يحتاجه بنصف الثمن. و تشتري المنظمة وهي ترتبط باحدة الكنائس المواد الغذائية بكميات كبيرة بسعر منخفض و توفر الطعام لاكثر من 500 ألف اسرة تستعين بخدماتها في 35 ولاية حيث يتم توزيعها من خلال مجموعة من الكنائس الاخرى. ويقول جوزيف وينجو مؤسس المنظمة إن الاعتقاد بأن أداء الاقتصاد الامريكي هو أفضل مما يتردد في الانباء الا ان مثل ذلك التصريح يفشل فى ان يضع في الاعتبار واقعا مختلفا لملايين الامريكيين من بينهم مسنون . وقال وينجو'' اذهب لاي مجتمع دمرته الازمة و فقد وظائف وستجد ان عدد اكبر مما تتوقع اوتعتقد من المواطنين ممن يصارعون من اجل توفير احتياجاتهم من الغذاء''.

وبالنسبة لسيلينا لويس28 عاما وهي صاحبة متجر صغير في الفاريتا بولاية جورجيا فإن الذهاب لبنك طعام نورث اتلانتا كوميونيتيي North Atlanta Community ينطوي على مفارقة إضافية فقبل عام تبرعت سلينا لويس ببعض المال للبنك كعمل خيري .ولكن التراجع الاقتصادي اضعف الطلب على متجرها وفي بعض الايام تبيع قطعة واحدة والحصيلة غير كافية لسداد ديونها وتوفير الطعام لها ولابنها مما يضعها في معضلة حول ما اذا كان عليها ان تغلق المتجر وتبحث عن عمل اخر . وتقول سيلينا لويس انها تركت وظيفة في مجال التسويق تدر أجرا مرتفعا لتفتتح المتجر وتضيف'' لا اريد التخلي عن حلمي لان اصعب شيء هو البداية''. وتبين قصتها كيفية تضرر اصحاب الاعمال الصغيرة من تراجع الاقتصاد ولكن المشاكل قائمة عند شرائح اخرى من حيث السن والفرصة. وتقف بريندا سالازار في الصف امام بنك طعام دوجلاس وهي امراة في سن التقاعد ترتدي ملابس انيقة وكانت قد عملت في مجال التمريض في المدينة على مدار 25 عاما. والان بعد ان اصيبت بإعاقةفان بريندا سلازار تحصل على مبلغ شهري 944 دولارا وكوبونات طعام ولكن بعد سداد الايجار وفاتورة المرافق وتموين سيارتها بالوقود لا يتبقى لها سوى 16 دولارا للطعام. وتقول'' اشتريت جالونا من الحليب وكيسا من البصل الاخضر وكيسا من العنب .انفقت 17 دولارا . اشتريت ثلاث سلع فقط ..الان ادعو الله كي اتمكن من تزويد سيارتى بالوقود.

[82] تقول مزحة انتشرت على شبكة المعلومات نشرت صبيحة الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 ان ابا اخذ ابنه بعد سنوات من احداث الثلاثاء 11 سبتمبر 2001 الى ساحة السفر–حيث كان برجى منظمة التجارة العالمية– ليعلمه شيئا من تاريخ نيويورك مشيرا الى كيف "أن العرب ضربوا أعلى مبنيين كانا فى ساحة الصفر" الا أن الابن سأل اباه "ما معنى عربى يا أبت؟" و المغزى مفهوم. و لعل العد التنازلى لابادة العرب و المسلمين كان حريا بان يبدأ منذ ان جعل من احداث الثلاثاء المشؤوم ذريعة لمطاردة المسلمين و العرب فى كل مكان بتهمة الارهاب تسويغا لازاحة الاعداد الزائدة عن الحاجة عن اراضيها بوصفها

اراض بلا سكان مثلما فعلو فى 3 قارت و نصف من 5 قارات.من قبل او ربماكما فعلوا مع العماليق و غيرهم من الامم البائدة على مر التاريخ .

[83] ما تبرح بعض الدول الخليجية مثل قطر و ابو ظبى تعير مصرف باركليز–البريطانى–الجمعة 31 كاتوبر 2008 8.5 مليار دولار. و يفضل المصرف ذك على اللجوء الى وزارةالخزانة البريطانية سعبا للحفاظ على حريته التجارية. زيقيض ذلك للمصرف تفادى تدخل الدولة البريطانية و رقابتها على المصرف–كشرط للدين–على ما يدفع لكبار مدراء المصارف من مرتبات و امتيازات و علاوات فائقة مما كان قد خلق بعض شروط افلاس المصارف التجارية و المالية.

[84] انظر(ي) جريدة العرب العالمية الصفحة الاولى بتاريخ 19 مايو–أيار 2009(عن وكالات الانباء).

[85] الا ان الحكومة البريطانية مثلا لا تحتشم من نقد ايران وغيرها فى حين انها بقيت تنشئ لجان تحقيق الواحدة تلو الاخرى تحت الضغط الشعبى فى اسباب اعلان الحرب على العراق من لجنة لورد هاتون الى لجنة بترلر وصولا الى اللجنة التى اعلن عن قيامها الثلاثاء 17 يوليو 2009. وكان عضوا فى لجنة بتلر. و فى نفس اليوم يجأر الاعلام البريطانى بمطالبة ايران بحق الشعب ايرانى فى التعبير عن نفسه و بالشفافية و الديمقراطية.

انظر(ي) John Pilger: Mourn on the 4th. Of July Newstatesman: 13th. July 2009:PP:36-39

[87].انظر(ي) خطة اوباما لنهب امريكا The Looting of America:Barry Grey:Information Clearance:April 10.2009

[88] انظر(ي) سفر صمويل1– 15:3

[89] انظر(ي) وكالات الانباء –الثلاثاء21 يوليو 2009.

[90] كما يقول جيمس جالبرايث James Gailbraith المستشار الاقتصادى لباراك اوباما مرشح الحزب الديمقراطى الامريكى فى انتخابات نوفمبر 2008.

[91] انظر(ي) Amy Chua:2006:World On Fire: How Exporting Free-Market Democracy Breads Ethnic Hatred &Global Instability: Chapter 7 Particularly : pp:78-9.

[92] ما تبرح بعض الدول الخليجية مثل قطر و ابو ظبى تعير مصرف باركليز–البريطانى–الجمعة 31 كاتوبر 2008 8.5 مليار دولار. و يفضل المصرف ذك على اللجوء الى وزارة الخزانة البريطانية سعبا للحفاظ على حريته التجارية. زيقيض ذلك للمصرف تفادى تدخل الدولة البريطانية و رقابتها على

المصرف–كشرط للدين–على ما يدفع لكبار مدراء المصارف من مرتبات و امتيازات و علاوات فائقة مما كان قد خلق بعض شروط افلاس المصارف التجارية و المالية.

[93] انظر (ى) Ina Baghdiani, McCabe, Celina Harlaftis and Joanna Peplasis Mingolou(EDS):2005:Disapora Entrepreneurial Networks; Four Century of History:pp:164-5.

[94] انظر (ى) Ina Baghdiani, McCabe, Celina Harlaftis and Joanna Peplasis Mingolou☹EDS):2005:Disapora Entrepreneurial Networks; Four Century of Hisotry:PP:4-5.

[95].McCabe, Baghdiantz, Ian & Celina Harlaftis and Loanna Peplaisis Minoglou: 2005: Disapora Entrepreneurial Network; Four Centuries of History: Oxford & N. York: PP: 270-4

[96] انظر (ي): William Thomas and Florian Znaniecki, 1996:The Polish Peasant: University of Illonoi Press Urn:bana

[97] أنظر (ي) Davidson, Peter:2005:Theidea of the North: London

[98] انظر (ى) رمسيس شرحه.

[99] Jonathan: :Arabia
Cape: London: 25

[100] شرحه

[101] من موقع الدكتور محمد باسل الطائي– قسم الفيزياء– جامعة اليرموك اربد–الأردن.

[102] انظر (ى) كارين ارمسترونج: التحولات العظمى–شرحه:ص:324–6. Karen Armstrong: The Great Transformation: London: PP: 324-6.

[103] لم ينبث ريتشارد بيرل ببنت شفه طوال اسابيع ازمة اسواق الائتمان. الا انه لم ينفك ان صرح بعد مرور 48 ساعة على قصف قرية على الحدود السورية العراقية الاحد 27 اكتوبر 2008 بان المسئول عن موت العراقين و الافغان هما سوريا و الباكستان على التوالى. و كأنه–و بعد ان ضبخت امريكا قصة حول الحادثة و لم تكن قد وجدت ما تقوله امام رد فعل الرأى العام العالمى–فكأن ريتشار بيرل عراب المحافظين الجدد عثر على ضالته او ان الامر كله احبولة جديدة تخلق منفذا يمرر منه مجددا خطاب المحافظين الجدد احياءا لنموذج التنمية الامريكية مجددا.

[105] و يبنى الرئيس الايطالي سيلفيو بيرليسكوني له مقبرة داخل حديقة قصره–مخالفة لقوانين البدلية–على غرار معمار وادي الملوك الوادي نيلي فى طيبة–الاقصر–وقد نحت تابوت بيرليسكوني من اللاباتس الوردي.

Descartes, R. Meditations (1641), Descartes: Selected Philosophical Writings, transl. John Cottingham, Robert Stoothoff and Dugald Murdoch (Cambridge: Cambridge University Press, 1988).

Descartes, R. Principles of Philosophy (1644), Descartes: Selected Philosophical Writings, transl. John Cottingham, Robert Stoothoff and Dugald Murdoch(Cambridge: Cambridge University Press, 1988).

Hume, D. An Inquiry Concerning Human Understanding (1748) (Indianapolis, IN: Bobbs- Merrill, 1955).

Kenny, A. Rationalism, Empiricism and Idealism (Oxford: Oxford University Press, 1986).

Leinbiz, G. New Essays on Human Understanding (c1704), Leinbiz: Philosophical Writings, ed. G.H.R. Parkinson, transl. Mary Morris and G.H.R. Parkinson (London: J.M. Dent & Sons, 1973).

Locke, J. An Essay on Human Understanding (1690), ed. Woolhouse, Roger (London: Peguin Books, 1997).

Plato, Meno (c380 BC), transl. W. K. C. Guthrie, Plato: Collected Dialogues, edited by Edith Hamilton and Huntington Cairns (Princeton: Princeton University Press, 1973)

| Kant, Immanuel | knowledge:analysis of | Leibniz,

[107] يعتبر ادم سميث 1723–90 الاقتصادى الاسكتلندى ابو الاقتصاد مثلا الذى يدعيه كل من اليمين و اليسار من فريدمان الى غردون براون. و رغم من كتاباته الباكرة حول الاخلاق فى توزيع الثروة الا ان اكثر ما اشتهر به هو مؤلفه بعنوان اطروحة فى طبيعة و اسباب ثروة الامم الذى نشره فى 1770 و قد تدرج ادم سميث من منصب استاذ المنطق فى جامعة جلاسجو فى 1751 الى استذ كرسى فلسفة الاخلاق كلية الاخلاق ثم انتقل الى لندن فى 1752 وقد عين محافظا ديوان الضرائب فى ادنبرة عام 1778. و يتعرض كتاب ادم سميث ثروة الامم الى موضوعات ما تبرح تشغل الناس من مغبة حرية الاقتصاد و تقسيم العمل الى دعه يعمل دعه يمر. و رغم ان ادام سميث كان قد قال بان على المجتمع ان يضمن طعام و كساء المحتاجين و قال بالاشارة الى مصنع الدبابيس على الشريط المتحرك ان التعليم ضرورى لانه يخلق فردا كاملا و الا فاننا بسيل خلق افرادا ممكنيين AUTOMATOUNS الا انه بات نبى الاقتصاد الحر و السوق الحر بحيث يجتمع فى محراب افكاره جرينسبان GREENSPAN مدير البنك الامريكى المركزي السابق الذى بات مستشار غوردون براون رئيس الوزراء العمالي البريطانى.

[108] انظر (ى) العربى العالمية الاربعاء 19 مارس 2008 الصفحة الاولى العدد 7911.

[109] الاعراب و اليعاريب:

تقول الويكيبيديا الحرة حول الاعراب واليعاريب ان "الأعراب هم سكان البادية من العرب. والأعراب أو اليعاريب ومفردها أعرابي، هو الإسم الذي كان يطلق على أهل البادية من العرب. يقول سيبويه الأعراب أي بالفتح هم سكان البادية خاصة والنسبة إليه أعرابي تقول في الأعراب: أعرابيٌ أنه ليس له واحد على هذا المعنى.. و يقول حافظ ابراهيم "الفارق بين العربي و الأعرابي، العربي: هو كل من نسب إلى العرب وإن لو يكن من البدو ، اما الأعرابي: هو من سكن البادية من العرب". وقال ابن الاثير كتابه "النهاية في غريب الحديث ": "الاعرابي هو البدوي وجمعه أعراب. وقال ابن عزيز" يقال : رجل أعرابي ، إذا كان بدويا ، وإن لم يكن من العرب ، ورجل عربي ، إذا كان منسوبا إلى العرب ، وإن لم يكن بدويا" . و قال ابن قتيبة "الأعرابي لزيم البادية ، والعربي منسوب إلى العرب " و "يعتبر التعرب بعد الهجرة"، حيث يعود الشخص إلى البادية ويقيم مع الأعراب ويتخلق بأخلاقهم ويرجع إلى عاداتهم بعد أن كان مهاجراً"– اى من الانصار–"من الكبائر" و يعد التبدون او البدونة بعد الاستقرار فى المدينة من الكبائر عند الشعية و الكبائر عندهم كما عند السنة «هن في كتاب علي عليه السلام سبع: الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البينة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة".. انظر(ى) الوكيبيديا على شبكة المعلومات. و لعل ذلك راجع الى اجحاف الاعراب فى التجارة مع المستقرين و اهم من ذلك عدوانهم على الاخيرين على مر السنين.

أعرف اعراب الشتات فيما اعرفهم بالخزر. و أزعم ان الاخيرين فلول اعراب وثنيين و يهود صاحبوا جيوش الاسكندر الاكبر طمعا فى الغنائم كعادتهم. ولم ينفكوا ما ان انقضى زمان الفتح والغنائم ان اخذوا من الفضاء ما بين القفقاز و نهر الفولجا مسرحا لعملياتهم. انظر(ى) Rather Koestler:1976:The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire and its Heritage: Chapter one. هذا و قد انتشر بعضهم و ربما وصل فلسطين و الجزيرة العربية لاحقا و الحق نفسه بيهود تلك المناطق. ذلك ان يهود شبه الجزيرة و الشرق الاوسط و الاندلس و بات منهم من يسمى السفارديم فيما ان الخزر ليسوا عربا. و قد تنوع الاخيرون على انفسهم فباتوا اشكناذ اوربا الشرقية ورحلوا الى العالم الجديد تباعا و هبطت جماعات كبيرة منهم اوربا الغربية فى القرن السابع و بخاصة التاسع عشر.

انظر(ى) عرب شبه الجزيرة العربية–الوكيبيديا على شبكة المعلومات.

[110] من "رحلة افكار الشتات": ورقة للمؤلفة فى "ملتقى ارتياد الافاق الاول للكتاب و الادباء العرب فى المهجر"–الجزائر العاصمة يوليو 2007.

[111] [111] و بالمقابل ليس ثمة ما يشير الى مقتل 43 الف من الجيركا الذين حاربوا فى صفوف بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية.

[112] أنظر(ى) John Plunger: The Newstatesman:26hMay,2007:pp:26-27.

[113] كلمة فلصفة من منحوتات هذا البحث فى تأمل و تحلبل الاحداث العولمية المتسارعة بصورة مختلفة. و الكلمة بديل لكلمة انجليزية شبيهة صوتيا و من حيث المعنى و هى to Falsify.

[114] فقد اصابه مقاوما سعوديا برصاصة فى عامودة الفقرى فى 2004 اردته رهين مقعد متحرك فتحول حانق و مرير كونه تصور انه و قد تزوج امرأة عربية و انه يجيد جملتين بالعربية و ربما اعتنق الاسلام ان ذلك سوف يعفيه من عشوائية الاصابة برصاصة طائشة او متقصدة دون سواه. و يعنقد معظم الغربيين انهم فوق ان يصبهم الرصاص الطائش او ينالهم الموت العشوائى. فقد فداهم المسيح من كل الشرور و لم يعد ثمة ما يزعجهم حول الموت و انما عليهم ان ينخرطوا فى الحياة و الجد فى السعى للسعادة Pursuit of Happiness تمجيدا للرب كما يقول دستور الولايات االمتحدة. فالرب قد منح الامريكان كل تلك الارض الواسعة ليعبودوا و يسبحوا بحمده. و ان ذلك الحمد يعبر عن نفسه فى ان فردا لن يصاب بالعوز.فهناك ما يكفى لان يحقق كل فرد مطامحه. و لعل ذلك واحد من ابعاد الحلم الامريكى.

[116] انظر (ى) John Pilger: The lies of Silence: the Newstatesman:25.9.2008:pp:35-37.

[117] اليس فاجعا الا يحتمى اولئك الذين احتلوا مجتمعات لكسب قلوب و عقول اهلها وحدهم بمتاريس مدججة بالسلاح مثلما فى المنطقة الخضراء فى بغداد و المركب الخاص فى كابول و انما يرافقهم وزراء و مسئولون وبعض المحاسيب من اهالى تلك المجتمعات المحتلة؟

[118] انظر (ى) Finkielkraut: 1988

[119] انظر (ى) غز الدين عمر موسى:2003: :دراست اسلامية غرب افريقية:دار الغرب الاسلامى: بيروت: الطبعة الثانية:ص:80 كذلك لشرح على المتون فى نفس الصفحة.

[120] . انظر (ى) Stephen Armstrong: New Apies:Newsraresman:11.August, 2008:24-26

[121] انظر (ى) Stephen Armstrong: The New Spies in the Newstatesman:11th. August, 2008: PP: 24-26.

[122] لمزيد من التفاصيل حول عملية خلق تلك الفرانكشستانيات ا انظر (ي) جراي Grey فى And Naomi Klein & Avi Lewis, the Information Clearance House May 2009 Take WWW.naomiklein.org May 2009

[123] فتراكم شركة واحدة من اشهر شركات صناعة و بيع الملابس والازياء العالمية(جاب GAP) مثلا ما قدر فى 27 اكتوبر 2007 ب 3 مليارات استرلينى سنويا من عمالة الاطفال فى شبه القارة الهندية مثلا.

[124] انظر (ى) كتاب "المعلم" :1994: W. Thornton: London The Boss

[125] طبع الكتاب بالايطالية فى روما سنة 1592 اى 100 عام من سقوط غرناطة. انظر (ي) حسن ابراهيم حسن: "تاريخ الاسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى":الجزء الرابع: "العصر العباسى فى الشرق و مصر و المغرب و الاندلس–1055–1258" :ص:587.

[126] انظر (ى) Herrnstein, Richard, J, & Charles Murray:2004:The Bell Curve; Intelligence and Class Structure in American Life: P:346

[127] كيف يتعين تحليل العقل الفردى للمهاجر او المنفى خارج مجتمعه ليس بالمسافات و انما بمقررات مدرسية لا تعبر عن واقعه او–و باختبارات ذكاء لا علاقة لها بمقدراته الذهنية؟ اذا عرفنا الهجرة او المنفى بفضاءات الفكر اكثر منها بالفضاءات المكانية الفيزيقية فاغلب المثقفين و المفكرين العرب و المسلمين مهاجر منفى خارج مجتمعه بمحض ولاءاته الاكاديمية الفكرية المنهجية.

[128] أنظر (ى) Barthes, Roland(1957) Tranl: 1990: Mythologies: .London

[129] يحصد الايدز افريقيا جنوب الصحراء بحيث يتنبأ البعض بان مجتمعات بكاملها–بوتسوانا–قد تنقرض فى غضون سنوات–وتفرغ جنوب اقريقيا من فئات سكانية فى مجميع العمر الاقتصادي المنتج كعمال المناجم وغيرهم يعترف احد الكتاب بان ثمة من يصرح "بان ثمة اعداد زائدة منهم–الافارقة–وربما كانت تلك هى طريقة الله فى معادلة الارقام There are too many of them it is God's way of keeping numbers". انظر (ي) ايضا حول بداية انتشار الايدز فى افرقيا منذ ستينات القرن العشرينEdward Hooper: 1999: The River: London

[130] [130] انظر (ى) Tarplay, Webster Griffin:2007: 9/11 Synthetic Terror :Made IN USA:Progress Press:PP:109.

[131] انظر (ى) Webster Tarpley in the American Almanac, June 20th. 1994.

[132] انظر (ى) www.bbc.radio4/theword,12th. December, 2007 at 15,30pm.

[133] انظر (ى) لمزيد من التفاصيل حول السخط الشعبى الفرنسى الماثل ربيع 2009 Andrew Hussey: Demonstrations and strikes, Uproar in the universities and the emergence of a new anti capitalist party : is France o the verge of another May 68?in the Newstateman,1sr. June, 2009: pp: 38-40

[134] انظر (ي) John pilger:the depth of curruption:the Newstatesman:1st June,2009:P:12

[135] تطلق امريكا مشاتها يكتبون فى الصحف و يملأءون فضاء القنواة و يدورون على المنابر و ينزلون فى فنادق الخمس نجوم يجأرون بان الشعب العراقى و الفلسطينى يستحقان ما يحيق بهما اما الافغانى

فلا سبيل الى انقاذه من وهدة البربرية و التوحش و العنف. فالشعوب–العربdة و المسلمة–عنيفة بطبعها و تاريخها و انها تستحق من ثم قدرها و ان كل ما فعلته امريكا هو انها ربما اخطأت فيساوى الليبراليون الجدد بين الخطأ يمكن الدفاع عنه و التراجع عنه و ربما التكفير عنه بلا مغبة تذكر و بين الجريمة بحق الانسانية.

[136] ". انظر (ى) رمسيس عوض:2002:محاكم التفتيش فى ايطاليا:دار الهلال: صفحة 153.

[137] انظر (ى) John D. Clare & Dr. Alan Millen, Italian Renaissance (London, 1994) p14

[138] انظر (ى) لمزيد من التفاصيل ture, Leonardo da Vinci, May12, 2007. and BBC History, MICHEL ANLGO May 12th. 2007.
P. Burke, The European Renaissance: Centre and Peripheries:Blackwell, Oxford 1998) and J. Brotton, The Renaissance: A Very Short Introduction, Open University 2006J

[139] انظر (ى) Patricia Emison in The Art Bulletin, June 2002, by Robert Williams

[140] أنظر (ى) شرحه.

[141] ذلك ان خطاب ما بعد الحداثة و الليبرالية الجديدة او العقلانية الجديدة والنسووقراط الخ يخصم على كل خطاب عداه. قياسا يخصم تاريخ هؤلاء الانتقائى على التاريخ الموضوعى لمن عداهم و على حركات الاخيرين البديلة. ذلك ان قدرات ما بعد الحداثيين والليبراليين الجدد و النسووقراط الخ بقيت بحيث يستحيل على خصومها مجاراتها ناهيك عن مواجهتها بنفس الاقتدار التمويلى و التنظيمى المسبق.

[142] ". انظر (ى) رمسيس عوض:2002:محاكم التفتيش فى ايطاليا:دار الهلال: صفحة 153.

[143] ". انظر (ى) رمسيس عوض:2002:محاكم التفتيش فى ايطاليا:دار الهلال: صفحة 153.

[144] .(انظرى) J.D. Douglas:1974:The New International Dictionary of the Christian Church:P:739.

[145] انظر (ى) Herbert Butterfield, The Origins of Modern Science, 1300-1800, p.
Steven Shapin, The Scientific Revolution, (Chicago: Univ. of Chicago Pr., 1996), p. 1.and J. Brotton, "Science and Philosophy", The Renaissance: A Very Short Introduction . Open University :2006)
www.Oligarchy.net

[147] The making of Music ,bbc/rado4/3.35pm, Monday,11.6.2007

[148] انظر (ى) Strathern, Paul The Medici: Godfathers of the Renaissance (2003)

[149] انظر (ي) www.willocreek.org

[150] Wars of Religion, R. W. Johnson in New Statesman, 14th December 1989

[151] انظر (ى) acob Burckhardt, "The Development of the Individual," The Civilisaton of the Rennaisance (trans. by S.G.C. Middlemore, 1878)and

Stephens, "Individualism and the cult of creative personality", The Italian Renaissance (New York, 1990) pp. 121.

[152] Manifest Destiny followed the war of independence on which was based the right of expansion thus the American west was conquered. There is analogy here with an earlier European notion which expressed itself in the so called right of conquest. These concepts also resonate with the German counterpart, Arian habitat and the living space. These concepts are Lebensraum meaning the further reproduced in the ally's defence of democracy against the axis fascism, and the vilification of nationalism, the New World Order, the New American century and it's off shoot the Greater Middle East انظر (ى) www. Puritanism,

[153] انظر (ى) لمزيد من التفاصيل Juliet Gardiner & Neil Wenborn(Editors):1995:The History Today: Companion to British History:P:503.

[155] .- انظر (ى) اعتاق البشرية من طفولتها الطويلة.

[156] انظر (ى) Puritanism, Ibid

[157] كانت زامبيا قد اجبرت على فك تأميم النحاس و خصخصة المناجم فاشترت كندا و استراليا و فرنسا و غيرها مناجم نحاس زامبيا. و قد ارتفع سعر النحاس اخر 2007 بصورة غير مسبوقة فقد بلغت ارباح الشركة الكندية فيرتس كوانتوم First Quantum وحدها 4 مليار دولار فى نوفمبر 2007. و كانت كندا قد اشترت مناجم نحاس زامبيا بمحض 300 مليون دولار و حسب. و تحصل زامبيا على محض 1.2% من عائد ارباح نحاسها. و يقول مدير شركة فيرست كوانتوم ان لا خيار امام زامبيا فهى لا تملك المطالبة برفع حصتها من عائد النحاس لان ذلك من شأنه تهديد المستثمرين فايذاء اقتصاد زامبيا. ترى كيف يعقلن المستثمرون لغة التفاوض؟ ذلك ان مطالبة زامبيا برفع حصتها من العائد لا يضر زاميبا و انما يضر بارباح الشركات عابرة الحدود اى الاستثمارات الاجنبية. انخفض متوسط العمر بين الزامبين منذ خصخصة النحاس و ارتفاع ديون زامبيا لدى البنك الدولى الى 38 عاما. و قياسا يبقى الزامبيون مفقرين حتى الموت.

[159] ما ان بات بوش مسيحيا متطرفا يؤمن بعودة المسيح عاجلا لم تعد الادارة الامريكية البوشية تزد عن محفل طائفة افانجلية جنوبية متطرفة او مجمع ما يسمى بالمسيحيين الصهاينة. فقد ولد جورج ووكر بوش مسيحيا مرة اخرى Born again Christian على يدى زعماء الحزام الافانجلى الامريكى الجنوبى و بخاصة الزعيم الاقانجيلى المتطرف بيلى جراهام وجراهام الابن من بعد. فان تاب بوش وقد شارف

الاربعين من حياة البلاى بوى وادمان الخمر على يدى الافانجليين الجنوبيين سيطر الاخيرين و جراهام على بوش و الادارة. ولم تلبث ظاهرة ما اسميه اليسووقراط ان هيمنت على الادارة.

[161] أنظر (ى) اصلاح الاراضى فى جنوب افريقيا الساعة 11.15 صباح الخميس 10يوليو 2008

[162] انظر (ى) Ibid David Crystal: Right of Conquest:

[163] انظر (ى) David Boyle:2003:The little Money Book: Fragile Earth Books;14-5.

[164] . انظر (ى) شبكة المعلومات Capitalism in Russia و Amy Chua: World on Fire:2003:How Exploring Free market Democracy Breeds Ethnic Hatred & Global Instability:London:pp:78-9.

[166] فان يؤمم حزب العمال الجديد مصرفا ائتمانيا–اى رمز من رموز رأس المال المالى وليس اى شئ اخر–فان المجتمع الدولى حري بان يشده. الا ان اعراب الشتات الذين يتطيرون من التأميم و يرونه تجديفا لا يغتفر بحق العولمة الرأسمالية ما بعد الصناعية الا انهم ما نفكون يزينونه عقلانيا. ابان تلك الازمة ولا يعترضون بل يرحبون به. وذلكم هوايضا تعريف اخر للعقلانية.

[167] تخصم حماية مصالح اعراب الشتات على كل من الدولة المضيفة و على شعوب المجتمعات المضيفة سواء كان المصرف خاصا او مؤمما. فقد كان دافع الضريبة يتحمل 55 مليار استرلينى قبل تأميم المصرف الا انه يتحمل اكثر من 100 مليار بعد التأميم أى بواقع 3.5 الف استرلينى لكل فرد بريطانى. و يدفع التأميم المستثمرين الى سحب مودعاتهم و مدخراتهم مما يؤدى الى انكماش المصرف. و ليس ذلك و حسب و انما تتعرض سمعة بريطانيا دوليا كونها عادت الى سياسة التأميم.

[168] Pearsall, Judy and Bill Trumble: Eds: 1996: The Oxford English Dictionary of Reference Dictionary: New Edition: p: 754.

[169] انظر (ى) مؤتمر هامبتون كورت.

[170] In Our Times 9.02m Thursday 5th July 2997 انظر (ى)

[171] انظر (ى) Hoffman II, Michael, A.:2001: Secret Societies and Psychological Warfare, Idaho: USA.

[172] انظر (ى) www.bbc.co.uk/radio4/fileon4/17.12pm/2.2.2003.

[173] انظر (ى) الانصارى حول احتراب الطوائف شرحه :ص:232–235.

[174] انظر (ى) David Boyle: 2003:The Little Money BookLLondon:PP85-6.

[175] روبرت کینج Robert King فی مقال بعنوان ملك الشمالThe king of the North على شبكة المعلومات فی 2004

[176] انظر(ی) BARRINGTON MOORE, Jr. (1974) Social Origins of Dictatorship and Democracy :Lords and Peasants in The Making in The Modern World. Penguin Books, Middlesex

[177]مثلما یستأجر طغاة عصرنا العامة فی مظاهرات و مسیرات و مواکب حسب الطلب بمحض بطاقة قطار للعاصمة او رحلة بالحافلات على حساب الحکومة و طعام و مبیت بالمجان خصما على دافع الضریبة و الناخب النزیه.

[178] انظر(ی) Armstrong Karen:2007:The Great Transformation: The World in the Time of Buddha, Socrates, Confucius and Jeremiah>Atlantic Books:London:PP:251-2.

[179] اخذت الجماعات الامریکیة المتطرفة تتزاید و قد قدر عددها بحوالی 484 حرکة و جمعیة . وکان نفوذ تلك الجمعیات والاحزاب قد انشتر مع اقتراب حلول الالفیة. وتری ان ما یسمی باحزاب الرب God's parties التی تدعی انها اخر حلقات "النشوء" الداروینی "التنویر"ی قد اخذت تنذر نفسها لمواجهة الخطر المحدق بالجنس الابیض الممتاز White Supremacy والدفاع عنه و تتضامن الحرکات والجماعات المتطرفة فی الولایات المتحدة فیما بینها اکثر من ای وقت اخر و مع غیرها من الجمعیات المشابهة بصورة متزایدة و بعضها ما برح قائم بذاته بعد. و یلاحظ ان میل الکنیسة الانجیلیة الجنوبیة التی تتزعم تلك الجماعات و "اخوة " الکوکلوکس کلان و مثیلاتهما نحو تجمیع تلك الکائنات فی تحالف واحد تحت شعار هویة الامة الامریکیة المسیحیة البیضاء الراقیة White Supremacists مما کریس تلك الحرکات فی حرکة واحدة کبری مع حلول الالفیة. و کانت بدایة و منتصف تسعینات القرن العشرین قد شهدت حرکات عنیفة مثل حرکة دیفید قریس فی 1993 و حادثة ضرب مدینة اوکلاهوما فی 1995.

و کانت حادثة مهاجمة البولیس الفدرالی الامریکی لحرکة دایفید قریش فی واکو Waco غرب تکساس عام 1993 اتصلت حرکة دیفید قریش التی تعود الی الافانجلیین المتطرفین من طائفة الیوم السابع و قد نشأت فی مع الازمة الاقتصادیة الاکبری فی 1930. و کانت حرکة واکو بدورها قد تعینت على اشعال سخط عام بین تلك الجماعات لاول مرة مفاده ان الدولة الامریکیة فی واشجنطون بسبیلها لان ان تقضی على الجنس الامریکی الابیض الطاهر لصالح الیهود الذین یسیطرون على الحکومة و ادوات الاتصال والاعلام والبنوك وتمارس مایشبه العلاقة المحارمیة مع السود. و تعتقد بعض الجماعات المتطرفة ان الامم المتحدة لیست سوی حکومة اتیة من الفضاء الخارجی تهم بالتهام الولایات المتحدة بعد ان کادت تبتلع الادارة الامریکیة.

وحيث كان اعراب الشتات قد نجحوا فى تحييد جماعات الامتياز العرقى الامريكي الابيض White Supremacists بزعامة ديفيد هيو Hugh و كانت تلك الجماعات قد بقيت معادية لليهود و للسود حتى ثمانينات القرن العشرين و بداية قيام حركة الافانجليين الاصوليين فقد بقيت جماعات الامتياز العرقى مع ذلك معادية للسود لتمثل قنبلة موقوته فى اى وقت يراد لها التفجر فى المجتمع الامريكي.

وقياسا فان راحت تلك الجماعات تصدر منذ الالفية الثالثة عن خطاب و اجندة قيامية و نهاية العالم فقد تحالف اسباط و احبار و تجار الجماعات المسيحية الصهيونية الجديدة معها و قد اطلقت الاخيرة على نفسها اسم المحافظين الجدد. و يجأر تحالفت تلك الجماعات المشبوهة بالخشية على امريكا من انتشار خطر السود والمسلمين. و لعل تنويع على انتفاضة حي البيازين و امثالها حرية بان تندلع فى وجه اوباما و قد راحت تلك الجماعات تتهمه بالتحييز ويتهمها حلفاؤه بممارست اشتراكية من شأنها تقويض المجتمع الامريكى كما تعرفه تلك الجماعات و حلفاؤها.

[180] انظر (ى) Brian Davies:1988:Slavery and Progress: London.

[181] رأى بيير دى لا بيريه المستعمر الفرنسى عام 1922 فى الجنوب الاقسى لجزيرة مدغشقر سبيلا عظيما للتوسع و الازدهار الحضارى الغربى. و كان نبات التين الشوكى الكثيف يعصم سكان الجزيرة من التوسع الفرنسى اذ استعصى اخضاع الاهالى على المستوطنين الاوربيين طويلا فلم يتمكن الاخيرون من الاستيلاء على اراضي و قطعان الاهالى و جباية الضرائب منهم, وحيث وقف حاجز التين الشوكى عائقا امام طموحات دى لا بيير جأر الاخير سيكون جريمة بحق الانسانية ان نترك حاجز نبات التين الشوكى يحول بيننا و بين الثروة و العمالة المتوفرة خلف ذلك الحاجز". و غنى عن القول ان بيير دى لا بيريه عنى بتدمير الاساس المادى لمجتمع جنوب مدغشقر. و لم يقيض ذلك للفرنسيين الا بدس الفرنسيين بحشرة فتاكة فى نبات المستعمرة اودت بنبات التين الشوكى الذى كان يعتمد عليه السكان غذاء لهم و لثروتهم الجيوانية العظمية من البقر مما ادى الى مجاعة بين السكان الاصليين للجزيرة فلم يلبثوا ان خرجوا و ما ابقى لهم من قطعانهم مهاجرين قسرا نحو الشمال. و لم تنفك تلك الممارسات الاستعمارية ل"تطوير" المستعمرة بكل من الاستيلاء على البقر و الارض ان وفرت ايدى عاملة مسترخصة او عملا اجباريا فى اراضى المستوطنين زيادة على تسهيل جباية الضرائب للحاكم الفرنسى.

[182] الطبرى فى حسن ابراهيم حسن شرحه ص:75.

[183] انظر (ى) حسين مروه:1979:الملامح المادية فى الثقافة العربية و الاسلامية: دار الفارابى – بيروت:ص:435 –6.

[184] انظر (ي) يوسف العش: شرحه ص:131

[185] انظر (ي) يوسف العش: شرحه:ص: 132–3.

[186] كان عثمان قد رد الحكم ابن العاض الى المدينة وقرّبه منه وأعطاه وولده المال الكثير من بيت مال المسلمين ، مع علمه بأن رسول الله « ص » لعنه وطرده ولعن وُلده ، وهذا غاية العجب من عثمان حيث أنه خالف صريح عمل رسول الله « ص » وأحب من يبغضه.انظر(ي) البيان و و التعريف ص:266 الوكيبيديا

[187] قال ابو هريرة : اذا بلغ بنو العاص ثلاثين كان دين الله دخلا ومال الله نُحلا وعباد الله خولا . و قال الزمخشري الدّخل (بفتحين) هو الغش والفساد ، وحقيقته ان تدخل في الأمر ما ليس منه ، أي يُدخلون في الدين امورا لم تجر بها السنة . والنّحل (بالضم) من العطاء ما كان ابتداءا من غير عوض والمراد انهم يُعطون بغير استحقاق . الخول (بفتحتين) الخدم : جمع خائل. شرحه

[189] انظر(ى) الاوس و الخزرج على شبكة المعلومات من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[190] كما لقي موسى وقومه في سيناء مقاومة عنيفة من سكانها "العمالقة"، و كذا داؤود من بعد فقد لقي يشوع كذلك مقاومة عنيفة من سكان فلسطين، وقد ورد ذكرهم في العهد القديم سبعة شعوب، هم "الحثيون والجرجاشيون والأموريون والكنعانيون والفرزيون والحوريون واليبوسيون"، بالإضافة إلى الفلسطينيين. وقد قاتل هؤلاء يشوع ومن بعده من حكام العبرانيين وقادتهم (الذين عرفوا بالقضاة ثم بالملوك)، وتبادل العبرانيون مع هذه الشعوب النصر والهزيمة في معارك عديدة فصّلتها العهد القديم.
انظر(ى) موقع بيانات:موقع مكتب سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله
www.arabic.byannat.org.lb/alam/lbn/sina.hlm

[191] انظر(ي) سفر صمويل1- 15:3

[193] هذا البحث وغيره من بحوثى واعمالى الاكاديمية و العلمية مسجل لدى الجهات المختصة بموجب حق الاختراع و عليه غير مسموح بالاقتطاف او غيره بدون اذن مكتوب من المؤلفه وشكرا.

[194] لمزيد من تفاصيل هذه الاطروجة انظر(ى) المسألة اليهودية لماركس و تعليقات جون روز John Rose و ابراهام ليون Abraham Lion و ماكسيم رودينسون Maxim Robeson و اللان هارت Alan Hart و غيرهم :Alan Hart:2005:Zionism : the Real Enemy: Kent-England: Volume one

[195] من موقع الدكتور محمد باسل الطائي- قسم الفيزياء- جامعة اليرموك اربد-الأردن.

[196] انظر(ى) كارين ارمسترونج: التحولات العظمى-شرحه:ص:324-6. Karen Armstrong: The Great Transformation: London: PP: 324-6.

[197] بلغ عدد سكان العالم الذين يعيشون فى المدن وعلى حوافها فى الاسبوع الاخير من فبراير 2008 نصف سكان العالم. و تعتبر بومباى اكثر المدن اكتظاظا بالسكان فى العالم. فقد كان تعدادا سكانها

عندما تركها الانجليز فى 1947 ما يقارب 1.5 نسمة و يبلغ تعداد سكان مومباى–الاسم الجديد لبومباى فى 2008 ما قد يزيد على 19 ميلون نسمة.

[198] و ترى(ين) امثلة على ذلك فى المستعمرات و المستعمرات الداخلية. و ما ان تستقل بعض المستعمرات وجيزا أو–و تحصل على استقلال ذاتى فان الشعوب تطمح الى و قد تحظى باعادة توزيع افضل. وتتحسن احوال تلك الكيانات وجيزا كما فى حالة اسكتلدا ومقاطعة ويلز.

[199] انظر(ى) Ina Baghdiantz, McCabe, Gelina Harlaftis and Joanna Peplasis Mingolou(EDS):2005:Disapora Entrepreneurial Networks; Four Century of Hisotry:PP:4-5.

[200] انظر(ى) Ina Baghdianti, McCabe, Gelina Harlaftis and Ivonna Pepelasis Minoglou☹EDS):2005:Disapora Entrepreneurial Networks: Four centuries of History: Oxford & New York: Chapter one& 12..

[201] انظر(ى) قاموس كولينز 2006: Nano gene is a derivation or a branch of nanotechnology dealing with the manufacture and or the creation of objects with dimensions of less than 100 nanometer and manipulation of individual molecules and atoms: Collins English Dictionary & Thesaurus concise editon:2006:P561. a

[202] انظر(ي) Cary,A:1960:The Hitory of Rome Down to the Reign of Constantine:London:p:544.

[203] www.bbc.radio4\inoutimes May, 2008-05-01 In Our Times, 9.03am Thursday , 1st Enclosures and their bad name and benifits

[205] انظر(ى) Ina Baghdianti, McCabe, Gelina Harlaftis and Joanna Peplasis Mingolou☹EDS):2005:Disapora Entrepreneurial Networks; Four Centuries of History:PP:64-5.

[206] انظر(ي)جون جراي نهاية حلم:John Gray: the end of a dream: the Newstatesman

[207] [207] انظر(ي)جون جراي نهاية حلم:John Gray: the end of a dream: the Newstatesman

[208] انظر(ي) الفيديو الملحق بمقال Christopher Bullyn: How the Mossad Controls Our Political Parties dated 25th. October, 2008 على شبكة المعلومات

كمال صليبى Salibi,Kamal:1978:The Bible Came From

[209] انظر(ي) وكالات الانباء –الثلاثاء21 يوليو 2009.

[210] انظر(ى) David Boyle:2003: The Little Money Book: London: PP:36-7.

[211] انظر(ى) David Boyle:2003:The little money Book:PP:122-5.

انظر(ى) Economic Bubble :2008:Currier and Inves print on economic bubbles, 1875.& King, Ronald R.; Smith, Vernon L.; Williams, Arlington W. and van Boening, Mark V. "The Robustness of Bubbles and Crashes in Experimental Stock Markets," R. H. Day and P. Chen, Nonlinear Dynamics and Evolutionary Economics. Oxford, England: Oxford University Press, 1993 & Lahart, Justin, "Bernanke's Bubble Laboratory, Princeton Protégés of Fed Chief Study the Economics of Manias", The Wall street Journal May 16, 2008; Page A1 & Smith, Vernon L., Gerry L. Suchanek, and Arlington W. Williams. 1988. "Bubbles, Crashes, and Endogenous Expectations in Experimental Spot Asset Markets." Econometrica 56:1119-1151

[213] انظر(ى) David Boyle:2003: The Little Money Book: London: PP:36-7.

[214] انظر(ي) Information Clearing House Newsetter3rd Jan, 2010

[215] (انظرى). J.D. Douglas:1974:The New International Dictionary of the Christian Church:P:373.

[216] فلا غرابة اذن ان يجمع العرب فى ربيع 2008 للمفاوضات حول حل القضية الفلسطينية التى لا تنتهى الا بنهاية القضية الفلسطينة خصما على الفلسطيين و قد امات طول التفاوض قلوبهم على مر سنين يائسة من اى امل و تعويلا على انقضاء اعمار الاجيال التى عاصرت الامل فمجى اجيال بلا ذاكرة و بلا هوية من طول الهوان.

[217] انظر(ى) Harriet Beecher Stowe فى كوخ العم توم Uncle Tom's. :Cabin:1995:P:301

[218] انظر(ى) :David Boyle:2003:The Little Money Book89-93.

[219] فى برنامجه الخاص بعنوان البحث عن الرب

Humphrey's in search of God: وجون همفريز مقدم برنامج اليوم To Day's Programme و هو عبارة عن نشرة اخبار و تقارير صباحية تبدأ فى الساعة السادسة حتى التاسعة على راديو 4 بى بى سى.

[220] انظر(ى) المجاهد الاسبوعى(الجزائرية) العدد 2483 بتاريخ 10 مارس 2008 .

[221] انظر(ى) منصور الحلاج:ويكيبيديا الموسوعة -شبكة المعلومات.

[222] شرجه- انظر(ى) منصور الحلاج:ويكيبيديا الموسوعة -شبكة المعلومات.

[223] . انظر(ي) Daniel Volman:6.27.08:AFRICIM:The New Us Military Command for Africa; The African Security Research Project: Washington D.C: on the net.

[224] الطبرى فى حسن ابراهيم حسن شرحه ص:75.

[225] أنظر(ى) العرب العالمية الثلاثاء 1ديسمبر 2007 ص:10 عن هفهاف مبهوب–الوطن السورية.

[226] انظر(ي) فالح الربيعي:2001:تاريخ المعتزلة فكرهم و عقائدهم:الدار الثقافية للنشر:ص:93–40.

[227] .هذا وكان المأمون "سريع التقلب والتغير في آرائه، فهو قد نادى – قبل ذلك – بتفضيل علي على أبي بكر وعمر، بل بايع من بعده لإمام أهل البيت في عصره وهو علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وخلع السواد شعار العباسيين ولبس الخضرة لباس العلويين وذلك في عام 201هـ، ثم لما مات علي الرضا رجع عن البيعة لآل البيت و يقول ابن كثير عنه: "كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة". والصلة بين التشيع والاعتزال وثيقة ..، وقد سار على منهج الاعتزال بعد المأمون المعتصم ثم الواثق من بعده،

[228] انظر(ى) موقع كلير اشكويث كذلك حديث معها قامت به Debra Murphy على شبكة المعلومات

[229] انظر(ى) Dan Brown:2005:The Da Vinci Code:Gorgi Books:P:17.

[230] انظر(ى) Michael Baigent,Richard Leidgh & Henry Lincoln:1996:The Holy Blood and the Holy Grail:P:83.

[231] انظر(ى) جديث ديبرورا مورفى Debra Murphy مع كلير اشكويث Claire Asquith; شرحه. هذا و لم يكن شيكسبير لينتج ما انتج لولا التربعات من الكاثوليك سرا و منهم هنرى ريدلى الايرل اوف سوثامبتون Henry Ridsley the earl of Southampton.

[232] انظر(ى) سفر الخروج 12:30

[233] انظر(ى) الطروانية:1993: نساء الصليبيين:دراسة فى تاريخ مجتمع الفرنجة فى بلاد الشام و سوريا الكبرى: سلسلة موتاه للدرسات و البحوث فى الانسانيات و العلوم الاجتماعية: ص:69–94.

[234]انظر(ى) Ahmed Ibn Majid Wikipedia, free wikipedia, on he inernet.

[235]مثلما يجبر فرد مثلا على "مساعدة الشرطة على تقديم معلومات تقود الى الكشف جريمة بارغام ذلك الفرد على الاعتراف.

[236] اظر(ى) Crystal David,(ed.)The Cambridge Biographical Encyclopaedia: 1998: P: 563.

[237] تحدرت ثروة تلك العائلة الى احفادها حتى اليوم و منهم فيتوريو فيسكونتى المخرج الايطالى السينمائى و الاوبرالى المشهور.

[238] و تعنى امة او شعبا و قد ظهرت فى سفر التكوين لاول مرة فى الفصل 10.5. و كانت تكررت حين وعد الرب ابراهيم ان يمنحه امة و يجعل من احفاده امة لا كل الامم فى سفر التكوين 12.2. و لم تلبث المفردة ان باتت تشير الى غير اليهود.

[239] انظر (ى) كارين ارمسبتورنج: شرحه:ص:324-325.

[240] انظر (ى) Robert Reich: in the New Statesman: The Pay packet Crunch: 6th. October: 2008: PP: 12-13.

[241] انظر (ى) Crystal, David:1998:Biographical Encyclopedia :2nd.Edtion :London:P41

[242] -انظر (ى) Egypt: Philip Coppens: Frontiers Magazine 5.3.May-June:1999. Origin of Greece Culture:

[243] انظر (ي) Oriental and Occidental Despotism:1976:: K. Safwat: PhD Thesis: University of Wales>

[244] انظر (ى) حسين مروه :1979:"التيارات الفكرية والمادية فى الثقافة الاسلامية":الجزء الاول:ص:203-5: بيروت.

[245] انظر (ى) كارين ارمسترونج شرجه ص:261

[246] انظر (ة) in our times, Melvin Bragg: الخميس 27 سبتمبر .2007

[247] انظر (ى) كارين ارمسترونج: التحولات العظمى-شرحه:ص:324-6.

[248] - www.bbc\radio4\in our times الساعة 9.03 صباح للخميس 27 سبتمبر 2007

[249] انظر (ي) مقال للمؤلفة في مجلة الكلمة الشهرية الديجيتالية العدد 24 بتاريخ 6 ديسمبر كانون الاول 2008 بعنوان العبودية العولمية بالالوان الطبيعية و باسمال بالية.

[250] انظر (ى) Galbraith,K: 1994:The old Economy to the Wars:London

[251] انظر (ي) وكيبيديا The Khazar على شبكة المعلومات.

[252] انظر (ى) Socrates in David Crystak:1998: The Cambridge Bibliographical Encyclopaedia: Cambridge.

[253] . انظر (ى) David Crystal:ibid:P:205 & Judy Pearsal &Bill Trimble(Eds):1996::Ibid:P263

[254] بيان بخصوص العرب و ثقافات الجوار و غياب العلاقات الثقافية و السياسية مع الهند و ايران والجوار الافريقى فى جريدة الخليج. و افتتاحية مجلة القصيدة بجريدة الحياة فى 1990.

[255] [255] انظر (ى) كارين ارمسترونج شرجه ص:261

[256] انظر (ى) Armstrong .Ibid:P:253 :

[257] انظر (ى) Armstrong Karen:2007:The Great Transformation: The World in the Time of Buddha, Socrates, Confucius and Jeremiah>Atlantic Books:London:PP:251-2.

[258] انظرى(ى)In our times Thursday 5.sept.2006

[259] Armstrong Karen: 2007: The Great Transformation: The World in the Time of Buddha, Socrates, Confucius and Jeremiah: Atlantic Books: London: PP: 251-2.

[260] بيير روسى :شرحه:ص:30.

[261] انظر (ي) نبيل فياض:1991:"التلمود البابلى :رسالة عبدة الاوثان":دار الفكر:دمشق:ص:6.

[262] انظر (ى) الدكتور محمد باسل الطائى قسم الفيزياء جامعة اليرموك–الادرنmaltaie@yu.edu.jo-

[263] انظر (ي) نبيل فياض:1991:"التلمود البابلى :رسالة عبدة الاوثان":دار الفكر:دمشق:ص:6.

[264] انظر (ي) ظفر الاسلام خان:2002: شرحه: ص:37.–ص:37. وص: 70–97 و ص:90

[265] اظر (ى) Crystal David,(ed.)The Cambridge Biographical Encyclopaedia: 1998: P: 563.

[266] وقال إبن كثير و هو بن يحيى بن عمران.ولد سنة اثنين ومائتين من الهجرة المباركة.

[267] شرحه حسين مروه ص:856

[268] انظر (ى)جسن ابراهيم حسن:1964: تاريخ الاسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى:الجزء الاول:ص: 64و 80و 88–90.

[269] شرحه:ص:88

[270] انظر (ى) شرحه ص: 80 و 83.

[271] انظر (ى) Visigoths: Bibliographical Encyclopaedia: Ibid

[272] www.bbc/radio4/beyondbelief/15.30pm/24th. October,2007.

[273] انظر (ي) Pearsall, J et tal:eds:1996:Ibid: PP:688-9

[274] (انظرى). J.D. Douglas:1974:The New International Dictionary of the Christian Church:P:383.

[275] عصام ناصف ص:211

فلم تكن الرأسمالية الموصوفة–رغم الادعاءات الغربية غير القابلة للاثبات–تملك تحقيق شرط المراكمة التى باتت غير مسبوقة حتى الصليبيات و نهب بيزنطة والقسطنطينة وصولا الى "الاكتشافات الجعرافية الكبرى". و قياسا كانت السلطة و الثروة قد بقيت حتى القرن السادس عشر متقاسمة او متشاركة او الاحرى متنافس عليها بعد بين العرش والكنيسة. و من المفيد تذكر ان الغرب لم يتعين على الاصلاح الدينى الا فى زمان المد الاقتصادى الثقافى غب سقوط غرناطة وخصما على العرب و المسلمين من ثم.

و كانت حركة الاصلاح قد بدأت بالخروج على الفاتيكان و البابا و قد باتت الكنيسة الكاثوليكة عدوة التقدم. و كان التقدم قد اتصل بنشوء جماعات بعينها ناصبت الكنيسة الكاثوليكية العداء و بيتت النية عقلانيا على اختراقها قصاصا لدور المسيحية الكاثوليكية ابان تنصير الامبراطورية الرومانية على عهد قسطنطين الاول فى القرن الاول الميلادى فى تشريد اعراب الشتات مجددا و خروج اعيانهم و اسباطهم الى البندقية فى وجه "الاضطهاد" تكاذبا.

فلم تغفر بعض الجماعات من غير المسيحيين و بخاصة اعراب الشتات للامبراطورية الرومانية دورها فى تعقب و تشريد تلك الجماعات بعد ان كانت تلك الجماعات قد تعينت على اعادة تشكيل الامبراطوية–الجمهورية الاسراتية–على عهد يوليوس قيصر و كاليجولا عبورا بنيرو على الخصوص. و كان تيتوس فلافيس فيسبازيان–9–79– هو الذى يرجع اليه اضطهاد تلك الجماعات ابان ولايته فى الخليل بفلسطين على عهد هيرود الاكبر حتى وصول فاسبيازيان الى سدة السلطة فى روما.

[277] BBC/RADION4/BEYOND BELIEF 16.32pm ,MONDAY 16TH July 2007 .

انظر(ى) حسن ابراهيم حسن:1964: تاريخ الاسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى.مكتبة النهضة المصرية: القاهرة:ص:43.

[279] انظر(ى) Simha Flagen:1979:Zionism and the Palestinians:PP:14-144

[280] انظر(ى) David Vesarabi:1989:Review:The English Historical Review:vol:104P:268.

[281] انظر(ى) التعرف الارسطى للدولة;www. Aristotelian state

[282] انظر(ى) Rose, John:2004: The Myths of Zionism: Pluto: London:10-12

[283] شرحه جون روز

[284] ترادف كلمة العهد في هاتين التسميتين معنى الميثاق، أي أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه: فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى؛ والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً من عهد عيسى. وتنقسم أسفار العهد القديم إلى أربعة أقسام:

يشتمل القسم الأول على كتب موسى أو الأسفار الخمسة أو "البانتاتيك"، وهي سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.وتشتمل هذه الأسفار الخمسة على التوراة في نظر اليهود.

أما سفر التكوين Genesis، فيتحدث عن تاريخ العالم، من تكوين السماوات والأرض، إلى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل في أرض مصر. ويحكي بالتفصيل قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام (أحد أبناء نوح، وهو الذي انحدر منه شعب بني إسرائيل)، وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط، أما بقية الموضوعات فإنه يتناولها بالإجمال. في حين يعرض سفر الخروج Exodus تاريخ بني إسرائيل

في مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بني إسرائيل وتاريخهم في أثناء مرحلة "التيه" التي قضوها في صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاماً، وكان الله سبحانه قد وعدهم بأرض الميعاد "أرض كنعان"، ولكنه حرّمها عليهم عندما تقاعسوا عن قتال الكنعانيين، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: {قال إنها محرمة عليهم}[المائدة:26]. ويشتمل سفر الخروج إلى جانب هذه القصص على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات، وغير ذلك.

وأما سفر التثنية، فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات... وسمّي "التثنية" لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل. بينما نجد أن سفر "اللاويين" قد شغل معظمه بشؤون العبادات، خاصة ما تعلّق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور. وينسب هذا السفر إلى اللاويين، وهم نسل "لاوى" أو "ليفي" أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى وهارون، وكان هؤلاء سدنة الهيكل والمشرفين على شؤون المذبح والأضحية والقرابين والقوّامين على الشريعة اليهودية. هذا في حين أن سفر العدد، قد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شؤونهم، وبأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات. ويعرف القسم الثاني بالأسفار التاريخية، وهي اثنا عشر سفراً تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين، وبعد استقرارهم في فلسطين، وتتحدث عن تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة في شؤونهم، وهي أسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل (سفران) والملوك (سفران) وأخبار الأيام (سفران) وعزرا ونحميا وإستير. أما القسم الثالث، فإنه يشتمل على خمسة أسفار من الأناشيد الشعرية، ومواعظ معظمها ديني مؤلفة تأليفاً شعرياً في أساليب بليغة، وهذه الأسفار هي: سفر أيوب . ويبدو من عباراته أن صاحبه هو المدعو أيوب من بني عيسو وليس من بني إسرائيل، وهو أيوب المذكور في القرآن . ومزامير داود، وأمثال سليمان، والجامعة من كلام سليمان، ونشيد الأناشيد لسليمان. ويعرف القسم الرابع بأسفار الأنبياء، وعدد أسفاره سبعة عشر سفراً، يعرض كل منها لتاريخ نبي من الأنبياء الذين أرسلوا بعد موسى وهارون، وهي أسفار أشعياء وأرمياء ومراثي أرمياء وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونس وميخا وناحوم وحَبَقوق وصُفُنيا وحَجّى وزكريا وملاحي، وجميع هؤلاء الأنبياء إسرائيليون وأرسلوا إلى بني إسرائيل، ما عدا يونس، فإنه يظهر من عبارات كتابه أنه مرسل إلى نينوى، وهو النبي يونس المذكور في القرآن.

[285]موقع الشيخ الدكتور سفر الحوال فى شرح العقيدة الطحاوية: القدر –الحلقة الرابعة: بعنوان أول واجب على الإنسان عند أهل الكلام والرد عليهم.

[286] انظر(ى) : ابن سعد (3/77–78) و خليفة بن خياط و الطبري (4/415–416) و المسند (2/10) و الذهبي في تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين و البداية و النهاية لابن كثير (7/190) والاستيعاب لابن عبد البر (3/1044) " انظر(ى) المصدر اعلاه.

[287] انظر (ى) حسين مروه:1979:النزعات المادية فى الفلسفة العربية الاسلامية:در الفارابى- بيروت: ص:432.

[288] ينبغى ان اقر فورا و من باب الامانة العلمية و الاقرار بالعرفان ان معظم المادة الخام لهذا الجزء تصدر عن الدكتور فاضل الانصارى الذى اعدت قراءتة المادة التاريخية التى تعين عليه بدقة مرات و اصدر عنه فيما اشير الليه بشأن احداث بعينها مثل تلك المذكورة اعلاه و غيرها فاعيد تحليلها. و اشير بصورة متصله الى الدكتور الانصارى كمصدر و اتعين على ذكر الصفحات. و ان سهوت او اخطأت فله العتبى و مثلى حربى بان يخطئ. و الى ذلك فقد كانت بعض الفرضيات التى استطراد فى تطويرها و تحليلها قد الهمتنى ما تعينت على محاولة الاستطراد فيه و قد طفح الكيل بالباحث و قد حاصرته تهمة النظرية التآمرية. فقد كان الدكتور فاضل الانصارى و اخرين يقولون احيانا ما معناه فالتبحثوا عن السبب الحقيقى وراء ظاهرة او اخرى مثل قصور المجتمعات العربية الاسلامية فى مرحلة من تطورها عن النشوء صاعدة. فله منى كل الامتنان و التقدير و الاعزاز و استميحه عذرا ان كنت قد تطفلت على مادته الخام باكثر مما ينبغى.

[289] انظر (ى) فاضل الانصارى: شرحه ص:28-29.

انظر (ى) فاضل الانصارى: شرحه ص:34-38.

[290] كما يقول الانصارى ص:28 ة ص:30,

[291] انظر (ى) فاضل الانصارى قصة الطوائف "الاسلام ين المذهبية و الطائفية :دمشق :2000:ص:27-33.

[292] سفر الملوك الفصل الأول:21

[293] انظر (ى) الانصارى:ص:27-29.

[294] انظر (ى) فاضل الانصارى: شرحه ص:31.

[295] انظر (ى) فاضل الانصارى: شرحه ص:33.

[296] انظر (ى) فاضل الانصارى: شرحه ص:35.

[297] الانصارى ص:27-33.

[298] انظر (ى) فاضل الانصارى: شرحه ص:34-38.

[299] انظر (ي) حسين مروه النزعات المادية فى الفلسفة االعربيةالاسلامية"الجزء الاول¨1979:جار الفارابي: بيروت: ص:847-8.

[300] جل الجزء التالى بخصوص المعتزلة و مبادئهم و تفسيرها أو كله من موقع الدكتور محمد باسل الطائي– قسم الفيزياء– جامعة اليرموك اربد–الأردن و موقع بيانات:موقع مكتب سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله. فلهما جزيل امتنانى.

[301] انظر(ى) فاضل الانصارى:2000:قصة الطوائف"الا سلام بين الذهبية و الطائفية: دار الكنوز الادبية: دمشق: الفصل الثانى:ص:230.

[302] موقع الدكتور محمد باسل الطائي– قسم الفيزياء–جامعة اليرموك اربد–الأردن على شبكة المعلومات.

[303] يعود سبب الفتنة الرئيسى حسب كثير من المؤرخين الى "رجل يقال له عبد الله بن سبأ و اراه سيد العقلانيين قاطبة و اسبقهم الى توظيف براجماتية فولاذية ان صح التعبير فى سبيل استراتيجية اجندته. و شهرته ابن السوداء لأن أمه كانت سوداء من الحبشيات . و هو من صنعاء و كان يهودياً من يهود اليمن . أظهر الإسلام و باطنه الكفر ، ثم انتهج التشيع لعلي رضي الله عنه ، و هو الذي تنسب إليه فرقة السبئية الذين قالوا بألوهية علي و خبر إحراق علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطائفة منهم تكشف عنه الروايات الصحيحة في كتب الصحاح و السنن و المساند . انظر: المحبَّر لابن حبيب (ص308) . تاريخ الطبري (340/4) . و تاريخ دمشق لابن عساكر (3/29) و كتاب : ابن سبأ حقيقة لا خيال لسعدي مهدي الهاشمي ، و كتاب عبد الله بن سبأ و أثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام لسليمان العودة ، و مقال حقيقة ابن السوداء في جريدة المسلمون للدكتور سليمان العودة ، العدد (652–653) . و خبر إحراقهم عند : أبو داود في سننه (520/4) و النسائي (104/7) و الحاكم في المستدرك (538/3–539) و صححه الألباني في صحيح أبي داود (822/3)" كل ذلك على شبكة المعلومات. و بعضه على موقع الطائى جامعة اليرموك– الادرن شرحه.

وقد قتل "عثمان رضي الله عنه صباحاً ، في يوم الجمعة ، الثاني عشر من ذي الحجة ، سنة خمس و ثلاثين من الهجرة ، و دفن ليلة السبت بين المغرب و العشاء ، بكوكب شرقي البقيع ، و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة ، على الصحيح المشهور . رحم الله عثمان و رضي عنه . انظر(ى) : ابن سعد (77/3–78) و خليفة بن خياط (ص176) و الطبري (415/4–416) و المسند (10/2) و الذهبي في تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين (ص481) و البداية و النهاية لابن كثير (190/7) والاستيعاب لابن عبد البر (1044/3) " انظر(ى) المصدر اعلاه.

[304] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات

[305] انظر(ى) موقع الدكتور محمد باسل الطائي– قسم الفيزياء– جامعة اليرموك اربد– الأردن على شبكة المعلومات maltaie@yu.edu.jo

[306] انظر(ى) www.muslimphilosophy.com/ip/dakik.pdf المشار اليه فى مقال الدكتور محمد باسل الطائي على شبكة المعلومات

[307] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات

[308] موقع الدكتور محمد باسل الطائي– قسم الفيزياء–جامعة اليرموك اربد–الأردن على شبكة المعلومات"

[309] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

[310] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات

[311] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

[312] انظر(ي) استاذنا الجليل حسين مروه شرحه:ص:857

[313] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات

[314] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات

[315] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

[316] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

[317] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

ا[318] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

[318] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

[319] انظر(ى) فالح الربيعى:2001:تاريخ المعتزلة :فكرهم وعقائدهم:القاهرة:ص:35.

[320] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

[321] انظر(ى) المعتزلة على شبكة المعلومات.

[322] انظر(ى) شرحه. ثمة 4 مبادئ اترك لمن يرغب فى التطرق اليها بالتفصيل ان يطلع على شبكة المعلومات موقع الدكتور محمد باسل الطائي– قسم الفيزياء–جامعة اليرموك اربد–الأردن و موقع بيانات:موقع مكتب سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله.

[323] انظر(ي) حسين استاذنا الجليل حسين مروه: 1979: النزعات المادية فى الفلسفة العربية الاسلامية: دار الفارابى :بيروت :ص:857.

[324] استاذنا الجليل حسين مروه ص:856.

[325] ". انظر(ي) حسين استاذنا الجليل حسين مروه 1979:النزعات المادية فى الفلسفة العربية الاسلامية: دار الفارابى:ص:854–5.

[326] مروه ص:855,

[327] انظر(ى) Amy Cua:2003:Wolrd On Fire: How Exporting Free Market Democracy Breeds Hatred and Global Instability:London:278-88

[328] انظر(ى) Arthur Koestler:1967:The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire and its Heritage:PP:17-8.of tents

[329] انظر(ي) حسن قرجة فى خديجة صفوت:2006:سرديات رحلات العبور و اسلمة الفونج فى القرن السادس عشر:ورقة مقدمة لندوة ابن حوقل: السوان و افريقيا فى مدونات رحالة الشرق و الغرب: تحرير و تقديم نورى الجراج:المركز العربى لارتياد الافاق: دار السويدي ابو طبى :2006.

[330] انظر(ي) خديجة صفوت" 2009: ازدهار و خراب المدن من يثرب الى اشبيلية :تعالق حلول و رحيل اعراب الشتات: قراءة فى ابن فضلان: ورقة الرحلة العربية فى الف عام مقدمة الى ندوة اوربا فى مرايا الرحالين العرب "المعرفة–الحداثة–الاخر" تحرير: و تقديم نورى الجراج: المركز العربى لارتياد الافاق: دار السويدي ابو طبي 2009.

[331] انظر(ي) الانصارى شرحه.

[332] انظر(ي) Arthur Koestler:1967:The Thirteenth Tribe: The Khazar Empire and its Heritage:PP:17-8.of tents

[334]انظر(ي) كويستلر صل:62–3

انظر(ي) كويستلر صل:62–3

[335] دليل كسوزموغرافيا القرون الوسطى

[336] انظر(ي) كويستلر ص:63.

[337]كويستلر ص:64.

[338] فى كويستلر ص:51–2

[339]

[340] انظر(ي) Goitein, SD:1900:A Mediterranean Society, An Abridgment in one Volume: 184:

[341] استاذنا الجليل حسين مروه ص:855.

[342] www.bbc.radio4\inoutimes

May, 2008-05-01 In Our Times, 9.03am Thursday , 1st

Enclosures and their bad name and benifits

[344] انظر(ي) Koestler:Ibidالفصل الثامن:ص"181و 198–199.

[345] انظر(ى) حسن ابراهيم شرحه.

[346] انظر(ى) حسن إبراهيم حسن:1964: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: مكتبة النهضة المصرية: القاهرة:ص:80.

[347] كانت ثورة الزنج ثورة شعبية عبرت عن السخط على التمايز الطبقي بين السادة والعبيد وحاولت شكلا من الاشتراكية.

[348] انظر(ى) حسن إبراهيم حسن:1964: تاريخ الإسلام السياسى والديني والثقافي والاجتماعي :مكتبة النهضة المصرية: القاهرة:ص:87.

[349]انظر(ي) أحمد صادق سعد:1772: تاريخ مصر :القاهرة: ص:421-2-

[350] كانت تلك التحولات حرية بان تخلق شرط مواجهة الامبراطورية الاسلامية البازغة لكل من الامبراطورية البيزنطية و امبراطورية الفرس. و لعل ذلك اغوى بعض اعراب الشتات و الخزر بدخلوا الاسلام تخاتلا اى عقلانية منهم فى ذلك الوقت الباكر أى حوالى النصف الاول من القرن الاول الهجرى.

[351] كان ابو بكر الصديق(رض) قد تعين على شكم القبائل العاصية ابان الفوضى التى اجتاجت الجزيرة العربية و المدينة عاصمة الاسلام غب مقتل عثمان (رض) كما ذركنا فى مكان اخر برفض المعاهدات التى كانت القبائل قد عقدتها مع النبى صلعم. و قد قيض ذلك توحيد الجزيرة العربية بالقبائل العربية كما حدى بالقبائل المتاخمة لبيزنطة و فارس و غيرها فى كل مكان احتك به سكان المناطق المعدية بدخول الاسلام. و كانت تلك التحولات حرية بان تخلق شرط مواجهة الامبراطورية الاسلامية البازغة لكل من الامبراطورية البيزنطية و امبراطورية الفرس. و لعل ذلك اغوى بعض اعراب الشتات و الخزر بدخلوا الاسلام تخاتلا اى عقلانية منهم فى ذلك الوقت الباكر أى حوالى النصف الاول من القرن الاول الهجرى.

[352] . انظر(ى) لمزيد من التفاصيل:مازن كم الماز:25.3ز2007: مركز دمشق للرداسات النظرية الحقوقية و المدنية: شبكة المعومات.

[353] حسن ابرهيم حسن:ص:60

[354] انظر(ى) الطبرى:تاريخ الامم و الملوك فى حسن اراهيم حسن: شرحه : ص:63-4.

[355] حسن ابراهيم شرحه ص:75-76.

[356] انظر(ى) حسن ابراهيم حسن: ص:69-71.

[357] مروه: ص: 854

[358] حسن ابراهيم حسن:ص:63-65.

[359] حسين مروه: ص:856

[360] حسن اراهيم حسن:66-67.

[361] حسن اراهيم ص:74

[362] حسن ابراهيم حسن 74.

[363] وقال إبن كثير و هو بن يحيى بن عمران و انه .ولد سنة اثنين ومائتين من الهجرة المبارك.

[364] لمزيد من التفاصيل انظر(ي) Crone, Patricia:2003: Cambridge: pp:29-30

انظر (ي) Eatwell, Roger; Anthony Wright (1999). Contemporary Political Ideologies. London: Continuum. pp. 38-39.

[366] انظر (ي) حسين مروه:1979:النزعات المادية فى الفلسفة العربية الاسلامية:الجزء الاول: دار الفرابى بينوت ص:853.

[367] يعدد مروه اسماء المفكرين و الكتاب الذين رددوا مثل ذلك القول كجرجي زيدان و احمد امين و محمد على ابو ريان. انظر (ي) حسين مروه:1979: النزعات ا لمادية فى الفلسفة العلابية الاسلامية: الفارابى: بيروت ص:853

[368] شرحه:ص:854.

[369] Josephos, Luke-Acts and Apologetic Historiography: Historiography and Self-Definition by Gregory E. Sterling Author(s) of Review: Rebecca Gray in the
The Jewish Quarterly Review, New Ser., Vol. 86, No. 3/4 (Jan. - Apr., 1996), pp. 452-455 doi:10.2307/1454923

[370] .انظر (ى).Koestler:Ibid:Pp:14-16

[371] ثمة اوليفر جولد سميث و بخاصة ميخائيل ملكين مستشار ريجان الذى تسبب فى ازمة الاسهم القمامية فى منتصف ثمانينات القرن العشرين و مادلين اولبرايت وزيرة خارجية بيل كلينتون التى جأرت ان موت نصف مليون طفل عراقى ثمن يستحق دفعه من اجل تحرير العراق و ان "تدمير العقول العراقية اهم من ضرب القنابل الذرية" الى اليسيتير كامبيل Alistair Campbel مستشار تونى بلير وبيتر ماندیلسون بطلى كل من ملف اسلحة الدمار الشامل خصما على اجندة جون سميث.

[372]موقع الشيخ الدكتور سفر الحوال فى شرح العقيدة الطحاوية: القدر –الحلقة الرابعة: بعنوان أول واجب على الإنسان عند أهل الكلام والرد عليهم.

[373]موقع الشيخ الدكتور سفر الحوال فى شرح العقيدة الطحاوية: القدر –الحلقة الرابعة: بعنوان أول واجب على الإنسان عند أهل الكلام والرد عليهم.

[374] مروه:شرحه:842

[375] انظر (ى) حسن ابراهيم شرحه.

[376] انظر (ى) حسن ابراهيم حسن:1964: تاريخ الاسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى :مكتبة النهضة المصرية: القاهرة:ص:80.

[377] انظر (ى) حسن ابراهيم حسن:1964: تاريخ الاسلام السياسى و الدينى و الثقافى و الاجتماعى :مكتبة النهضة المصرية: القاهرة:ص:87.

[378] أنظر (ى) .Arthur Koestler:ibid:PP:21-25

[379]انظر (ي) احمد صادق سعد:1772: تاريخ مصر :القاهرة: ص:421-2-

[380]

[381] غرس الكاثوليك الاسبان فى قلب الجامع كنيسة مما افسد انسياب جمال المعمار و شوهه.

[382] انظر(ى) المتكلمون–منتدى الاصلين–تعليق على رأى النبهانى فى القضاء و القدر على شبكة المعلومات.

[383] انظر(ى) المتكلمون–منتدى الاصلين–تعليق على رأى النبهانى فى القضاء و القدر على شبكة المعلومات.

[384]

[385] انظر(ى) المتكلمون–منتدى الاصلين–تعليق على رأى النبهانى فى القضاء و القدر على شبكة المعلومات.

[386] انظر(ى) سفر لافيتوكوس 5\1–4.

[387] انظر(ى) Karen Armstrong: The Great Transformation: chapter 7:PP:244-261

[388] انظر(ى) فالح الربيعى:2001:تاريخ المعتزلة: فكرهم وعقائدهم:القاهرة: ص:65–66.

[389] انظر(ى) مازن كم الماز:الفكر بين السلطة و السائد: مركز دمشق للدراسات القانونية و المدنية شبكة المعلومات.

[390] . انظر(ى) لمزيد من التفاصيل:مازن كم الماز:.25.3.2007: مركز دمشق للدراسات النظرية الحقوقية و المدنية: شبكة المعومات.

[391] انظر(ى) فاضل الانصارى:2000:قصة الطوائف الاسلام بين المذهبية و الطائفية:دار الكنوز الادبية:بيروت و دمشق. ص:202–208.

[392] انظر(ى) David Crystal(editor):1998:The Cambridge Biographical Encyclopaedia : Second Edition: Cambridge:P:1006.

[393] BBC4:23.10pm Thursday 13th. Sept,2007

[394] انظر(ى) Rose, John:2005: The Myths of Zionism: Pluto: London:10-12

[395] انظر(ى) Leopold, 2007, p172. It could be argued that Marx is ignoring John Rose: Karl Marx, Abram Leon and the Jewish Question-a reappraisal in the International Socialism A quarterly journal of socialism: Issue 119:24 June in Rose:2005. 08.Also see Traverso, 1994, pp21-22; Draper, 1977, pp591-608

[396] تعود البيوريتانية المذكورة الى كل من العالم الجديد و قد بات البيوريتانيون يؤمنون بان الارض–ارض غيرهم–و الذهب–,ثروات من عداهم من حلال عليهم و من نعم الرب عليهم . و كانت بريطانيا قد انفطمنت من تطهرية الحجاج مظهريا. وكانت قد اخترقت باكرا بمفاهيم و ثقافة اعراب الشتات. و كان الاخيرون قد تعينوا على نشر افكارهم فى انجلترا منذ قيام جمهورية البندقية الحرة فى القرن الرابع و لم يلبثوا ان كرسوا وجودهم على عهد اليزابيث الاولى فى القرن الخامس عشر ثم مجددا فى موجة عنيفة

على عهد اوليفر كروميل فى القرن السابع عشر. و كان كروميل سيد التطهريين. و يعتبر اوليفر كروميل ابو البيوريتايين. و البيوريتانيون اسلاف المحافظين الجدد. و تدفع البيوريتانية عقلانيا غيرها من العقائد الى الاحساس بالذنب طوال الوقت مثلما يفعل اصحاب سردية اعراب الشتات اللوامة البكاءة كما ذكرت اعلاه.

[397] غرودن براون رئيس وزراء بريطانيا بيوريتانى ميثوديست. و يجار براون الاربعاء 12 ديمسبر 2007 ان على الطالبان ان يحترموا الدستور و يتعينوا على احترام حقوق الانسان قبل ان يقبلوا داخل حظيرة المجتمع الافغانى المستقر !!!.

[398] . انظر (ى) www, bbc,co.uk/ radio 4 /the long search.1.30 pm.28.3.2004.

[399] 1787 : اظر (ى) Juliet Gardiner % Neil Wenborn:1995:The History today Companion to British Hisotry:London:P640

[401] تنزلت العلاقة المثلية بين القساوسة و صبية الكورس و كان بعض الصبية يخصى حتى تبقى اصواتهم اصوات اطفال غير بالغة و يسمون الكاسترادوس Castratos. و قد بقى التقليد حتى يومنا هذا. و قد مات اخرهم عام 2007. و قد تكرست نفس الثقافة فى المدارس الداخلية بين المدرسين و مدرس التلاميذ حيثما ذهب الانجليز من البلد الام الى المستعمرات. ولم تنفك بعض طوائف الكنيسة البروتستانتية–الافانجلية الانجلو امريكية ان راحت تحلل العلاقة المثلية بين رجال الدين و الدنيا.

[402] انظر (ى) صاجال Sagal, Sabby::1998:'From the Chosen people to the Holocaust': in Gaza Community Mental Health Programme: Third International Conference :Health and Human Rights-13-15 Oct.1997:PP429-430 ص. 117 و ص433:

[403] انظر (ي) Juliet Gardiner &Neil Wenborn:1995:The History Today Companion British History:P:436.

[404] انظر (ي) مكى ابو قرجة:2004:اليهود فى السودان: قراءة فى كتاب الياهو سولومون ملكا "اطفال يعقوب فى بقعة المهدى". ص20هـ

[405] Andrew Sacks: www.bbc.co.uk/The Jewish Journey

[407] نشرت الصحف فضيحة ضبط نجم البب Pop العالمى جورج مايكل يمارس الجنس المثلى مع عابر سبيل فى احد مراحيض مطار دولى

[408] فشركات الاغانى لا ترى اى غضاضة فى ارتفاع اسهم جورج مايكل مثلا George Michael و تباع ملايين من اسطواناته جراء فسقه المتهتك علنا.

[409] من قاموس الاستحواذ تحت الطبع و على الموقع الاليكترونى nileline.info

[410] انظر (ى) Physiocrats:Bibliographical cyclopedia:Ibid

[411] انظر (ى) David Ray Griffin: the Free Wikipedia and also :Omissions and Distortions.

[412] انهارت اسعار اسهم مصرف نورثارن روك مثلا فى نهاية صيف وبداية خريف 2007 باكثر من 50% من قيمتها بعد اسبوع من ازمة البنك المذكور و لم تلبث اسهم ان وصلت 65 بنسا الاثنين 17 سبتمبر 2007 بعد ان كان سعرها 9 استرلينى و بات على الدولة ان تغدو ضامنة لسمعة تلك المصارف و لمدخرات صغار حملة الاسهم و المودعين لحساب المضاربين الماليين المتبدونين فى سوق الاسهم و السندات و المال العالمي. اما مودعات و مدخارت كبار حملةالاسهم و معظمهم عابر الجنيسيات مضمون مهما حدق و الا هددوا بعدم الاستثمار فى المجتمع المضيف.و قد رفعت الدولة البريطانية– البنك المركزى–الضمان على مصرف نورثارن روك فى ديسمبر 2007 الى 100 ميليار استرلينى نهاية سبتمتبر 2008 اى ما يزيد 3 مرات عم ميزانية الدفاع البرطانية ثم الى 2ز7 تريليار استرلينى فى اكتوبر 2008.

و ذلك اما تفاديا لتأميمه او–و تيسيرا لذلك برفع قميته فى السوق غواية للمشترين. و الى ذلك فان باعت الدولة المصرف فسوف تعود عائدات البيع الى المستثمرين و ليس لدافع الضريبة البريطاني. فلم تعد الدولة مجبرة على عقلنة خسائرها وانما و الاهم التستر على ما يصيب الاقتصاد جراء ازمات سوق المال المنوالية تلك. فقد راح وزير المالية البريطانى مثلا يصر غب ازمة المصرف المذكور و اضطرار الحكومة لضمان المصرف و المدخرات الفردية بما قدر ب 61 مليار استرلينى–ناهيك عن ضخ النقد فى السوق تيسيرا للسيولة–راح يصر على ان اقتصاد بريطانيا قوى. و بالمقابل يكرر الماليون و الاقتصاديون الاوثوذوكس الجدد تلك المقولة فلا يذكرون ديون الدول التى باتت تعيش على الاقتراض بما يفوق حاصل الناتج القومى الاجمالى لتلك لدول فتستدين بريطانيا مثلا 65 مليار فى 2007–ناهيك عن ديون البريطانيين الفردية. هذاو قد اضطر البنك الفيدرالى الامريكى المركزى و بنك ماستريخت الثلاثاء 11 مارس 2008 الى ضمان عدم تفاقم الكساد جراء احجام الدائين عن الاستمثار فى سوق العقار حتى ذلك الاكثر ضمانة بما قدر ب 125 مليار دولار.

[413] الا ان ذلك لم يعف مدير المصرف من الاستقالة عصر الجمعة 19 اكتوبر 2007 . وكذا اجبر مدير بنك ميريل لينش Merill Lynch اكبر بنك كيمائى تجارى امريكى على الاستقالة الاثنين 29

اكتوبر 2007 جراء خسارة المصرف 8 مليار دولار. و ما تلبث تداعيات ازمة سوق الائتمان العقارى الامريكية تنتهى بعد.

[414] حيث كان البنك المركزى البريطانى مثلا قد منح استقلالا مظهريا فلم يبق للبنك دور فى تنظيم المصارف الوطنية و لم يعد البنك المركزى يملك معرفة شئ عن نلك المصارف بالنتيجة.

و فيما لا يملك البنك المركزى التدخل فى و لا حتى معرفة الطريقة التى تتصرف بها المصارف التى تتعبن على المتاجرة فى المال و حسب قياسا على غيرها مما قد يستثمر فى او يمول التجارة–الا ان البنك المركزى مضطر لضخ الاموال فى السوق بما يسمى التيسير الكمى اى بطابة اوراق و ندات مالية بلا رصيد يذكر– حتى يضمن اتصال السيولة كما ان عليه تقديم القروض للمصارف المتعسرة. و قد قدرت قيمة التيسير الكمي الامريكى ب 29 تريليار دولار فى 2008 و البريطانى ب 23 مليار.

فقد بات البنك المركزى–مثله مثل كافة البنوك المركزية–فيما يبدو–مجبرا على انقاذ تلك المصارف ما ان تتورط فى سياسات المبالغة الائتمانية منها المضاربة فى السوق المال و السندات و السلع الاستراتيجية مثل النفظ و الغذاء كالازر و القمح كما نرى منذ صيف 2008 و.باعا.

[415] www. Bbc. Co.uk. a queston of faith/16.30 pm.12.1.2004.

[416] .و هى مجموعة من المقالات نشرت مابين 1905–6 بالمالنية ونشرت فى 1930 و قد ترجمها تالكوت بارسونز Talcott Parsons صاحب مدرسة الوطيفية–الامريكية–Functionalism فى 1930.

[418] The Picture of Dorian Gray by Oscar Wild first came out as the lead story in Lippincott's Monthly Magazine on June 20, 1890 Published in 1981. The portrait serves as a reminder of the effect each evil act has upon Forian's Soul with each sin being displayed as a disfigurement of his form, or through a sign of aging.

[419] : انظر(ى) موسى الحسينى:2006:المقاوم العراقية والا رهاب الامريكى المضاد:ص:36. و نجدنى ممنونة ان اهدانى نسخة منه امسية تأبين فقد العرب و المسلمين اجمعين الدكتور عبد الوهاب المسيرى بالملتقى الثقافى المصرى العربى بلندن.